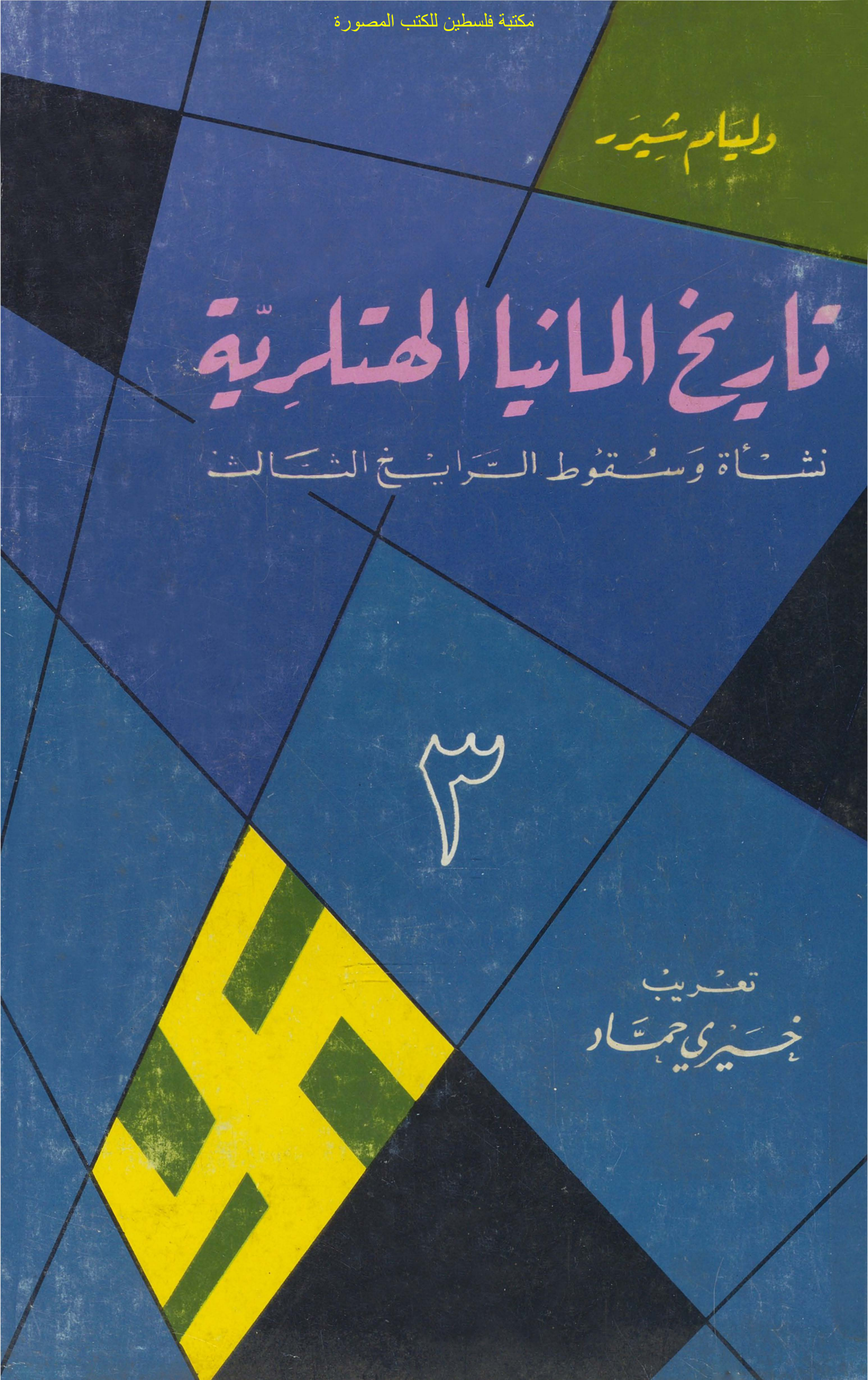

وليام شيرر
تاريخ ألمانيا الهتلرية
نشأة وسقوط الرايخ الثالث
٣
تعريب
خيري حماد

هذا الكتاب

قد يكون أدولف هتلر آخر حلقة في سلسلة الفاتحين المغامرين العظام من أمثال الإسكندر وقيصر ونابوليون .. وقد يكون الرايخ الثالث آخر الامبراطوريات التي شهدها العالم .. ولكن الفترة التي شهدت ارتفاعها وسقوطها - هتلر والرايخ الثالث - رغم قصر مدتها، (١٩٣٣ - ١٩٤٥) تعد بحق أخطر فترة شهدها التاريخ عبر قرونه الطويلة.

ومؤلف هذا الكتاب صحفي عالمي ذائع الصيت، عاش على مسرح الأحداث منذ بدايتها، وكان آخر صحفي غادر ألمانيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية، وهو أقدر من يؤرخ لهذه الفترة الخطرة التي هزت العالم من أقصاه الى أقصاه، ويكشف أدق أسرارها، وعلى الأخص، بعد أن اطلع على أطنان الوثائق والمستندات وراجع مئات الكتب والمجلدات، إثر انهيار الرايخ الثالث ووقوع كل أسراره ووثائقه في أيدي المنتصرين.

لقد احتل هذا الكتاب مكان الصدارة في العالم، وظل أكثر الكتب رواجا منذ ١٩٦١ الى يومنا هذا.. وقد نقلناه الى العربية في ترجمة بارعة أمينة، ضمن أربعة أجزاء، لكي يكون مرجعا ثمينا للقراء العرب من أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة.

منشورات مكتبة المثنى - بغداد

٣

تاريخ ألمانيا الهتلرية

وليام شيرر



تعريب

خيري حماد

منشورات مكتبة المثنى - بغداد

THE RISE AND FALL OF THE THIRD REICH

* * *

Part IV

A History of NAZI Germany

by

William L. Shirer.

الطبعـــة الأولى

آب (اغسطس) ١٩٦٢

القسم الثالث

الكتاب الرابع

الحرب

الانتصارات الأولى ونقطة التحوّل

١٨

سقوط بولندة

اجتمع الفريق هولدر في الساعة العاشرة من صباح الخامس من ايلول عام ١٩٣٩ ، الى الفريق فون براوخيتش ، القائد العام للجيش الألماني والفريق فون بوك قائد مجموعة جيوش الشمال . وتولىّ الفرقاء الثلاثة تقييم الوضع الحربي كما بدا في مستهل اليوم الخامس من الغزو الألماني لبولندة ، واتفقوا ، كما دوّن هولدر ، في يومياته « على ان العدو قد هزم تقريباً »

وكانت معركة الرواق البولندي قد انتهت في اليوم السابق ، باتصال جيش الفريق فون كلوغه الرابع المندفع شرقاً من بوميرانيا وجيش الفريق فون كويشلر الثالث المندفع غرباً من بروسيا الشرقية . وكانت هذه المعركة هي اول المعارك التي احرز فيها الفريق هاينز غودريان شهرته الأولى بدباباته وقد تعرضت هذه الدبابات وهي تزحف راكضة شرقاً في فترة من الفترات للهجمات المضادة التي شنها عليها لواء فرسان « بومورسكا » البولندي ، وقدّر لمؤلف هذا الكتاب ان يرى بأم عينه بعد بضعة ايام عندما قام بزيارة الجبهة ، اشلاء الخيول البولندية وهي مبعثرة في ميدان المعركة لتقوم دليلاً تتقزز منه النفس على طبيعة الحملة البولندية القصيرة .

يا لها من مفارقة ...الخيول تهاجم الدبابات . ورماح الفرسان الطويلةتصارع

مدافع الدبابات الضخمة .. والنتيجة واضحة ولا شك ... فمهما كان البولنديون شجعاناً وبواسل ومتهورين ، فانهم كانوا اعجز من ان يصمدوا للهجوم الألماني الساحق وكانت هذه هي التجربة الأولى التي مروا بها هم ، كما مر بها العالم ايضاً في حروب الصاعقة الجديدة ... انها الحرب التي تتسم بالهجوم المباغت ، وقد حلقت الطائرات المحاربة والقاذفة مدوية بأزيزها في سماء الميدان ، بينما تعول طائرات « الشتوكا » بصراخها الذي يصم الآذان وهي تنقض من علُ باعثة الرعب والفزع . والفرق الكاملة من الدبابات تشق طريقها زاحفة الى الامام تقطع المسافات الكبيرة في لحظة عين ، وتسجل في كل يوم تقدماً جديداً يتراوح بين الثلاثين والأربعين ميلاً ، بينما تسرع عربات المدافع الثقيلة قاطعة اربعين ميلاً في الساعة ، وقد جرّت وراءها المدافع الذاتية التوجيه ، والسريعة الإطلاق ، حتى على طرق بولندة السيئة . والمشاة بدورهم ، لا يدبون دبيب النمل ، كما كان يحدث في الحروب السالفة ، وانما يستقلون العربات ، وقد أربى عددهم على المليون ونصف المليون من الجنود توجههم وتشرف على تنظيمهم وتنسيق اعمالهم الحربية شبكة الكترونية من المواصلات الاذاعية المعقدة والهواتف واجهزة البرق . حقاً انه اضخم استشهاد آلي لم يشهد العالم مثيلاً له من قبل .

وتم تحطيم القوة الجوية البولندية في غضون الثماني والأربعين ساعة الأولى من القتال ، اذ نسفت الطائرات الألمانية القاذفة القسم الاكبر من طائرات البولنديين الصالحة للقتال والتي تعد نحواً من خمسمائة ، وهي جاثمة على ارضها قبل ان تتمكن من التحليق في الجو . واشتعلت النيران في معظم الابنية وتجهيزات المطارات ، ولقي معظم العاملين فيها حتفهم أو تعرضوا لجراح بالغة . وسقطت كراكاو عاصمة بولندة الثانية في ايدي الألمان في السادس من ايلول . وولّت الحكومة البولندية الأدبار تلك الليلة من وارشو قاصدة لوبلين . ولم يحل اليوم التالي حتى كان هولدر يشغل نفسه بالخطط الرامية الى البدء في نقل القوات الى الجبهة الغربية ، على الرغم من عدم ظهور اية بادرة تشير الى قيام نشاط فيها . ووصلت طلائع الفرقة الآلية الرابعة بعد ظهر الثامن من ايلول الى ضواحي

العاصمة البولندية ، بينما استولى جيش الفريق رايخناو العاشر والزاحف شمالاً من سيليزيا وسلوفاكيا على كييلسي ، ووصل جيش الفريق ليست الرابع عشر ، الى ساندوميرز ، التي تقع عند التقاء نهري الفستولا وسان .

وتمت هزيمة الجيش البولندي في غضون اسبوع واحد . وتعرض القسم الاكبر من فرقه الخمس والثلاثين إما الى التمزيق الكامل ، أو الى الوقوع محصورة في حركات التطويق الضخمة التي اطبقت على العاصمة على شكل فكي كماشة . ولم يبق امام الألمان إلا الانتقال الى « المرحلة الثانية » ، التي تتمثل في تضييق النطاق على الوحدات البولندية المحصورة ، والتي شتتت الحرب الجديدة شملها واصابتها بالذهول، تمهيداً لتحطيمها ، والشروع في حركة « كمّاشة » جديدة على بعد مائة ميل شرقاً ، لإيقاع ما تبقى من تشكيلات الجيش البولندي الموجودة الى الغرب من بريست ليتوفسك ونهر بوغ في الطوق .

وبدأت المرحلة الثانية في التاسع من ايلول وانتهت في السابع عشر منه ، اذ اتجه الجناح الايسر من مجموعة جيوش الشمال التي يقودها بوك ، الى بريست ليتوفسك التي وصلها الفيلق التاسع عشر الذي يقوده غودريان في الرابع عشر من ايلول ليستولي عليها بعد يومين. واتصلت طلائع هذا الفيلق في السابع عشر منه مع دوريات جيش ليست الرابع عشر من وولدووا على بعد خمسين ميلاً الى الجنوب من بريست ليتوفسك ، متممة فرض النطاق على ما تبقى من الجيش البولندي . وذكر غودريان فيما بعد ، ان هجمات البولنديين المضادة قد توقفت نهائياً في السابع عشر . وتم تطويق جميع القوات البولندية باستثناء حفنة قليلة ما زالت مرابطة على الحدود الروسية . وصمدت جيوب القوات البولندية في مثلث وارشوه والى الغرب على مقربة من بوزين صموداً اتسم بالبسالة ولكن مصير هذه القوات كان محتوماً ومقرراً . ووصلت الحكومة البولندية او من تبقى من اعضائها ، بعد ان تعرضت بصورة مستمرة للقصف الجوي من طائرات السلاح الجوي الالماني الى قرية على الحدود الرومانية في الخامس عشر من ايلول . وكان كل شيء قد انتهى بالنسبة اليها والى الشعب المتكبّر ، باستثناء الموت في

ميدان القتال للوحدات التي كانت لا تزال صامدة بعزيمة لا تكاد تصدق ، محتملة كل ضروب المتاعب والتضحيات

وحان الوقت للروس الآن للتقدم نحو البلاد المهشمة ، لا قتناص حصة من اسلابها .

الروس يغزون بولنده

فوجيء الكرملين في موسكو ، كما فوجئت عواصم الدول الاخرى بهذه السرعة الهائلة التي زحفت فيها الجيوش الالمانية في بولنده . وكان مولوتوف قد بعث في الخامس من ايلول ، برد رسمي خطير على الاقتراح النازي بأن تقوم روسيا بمهاجمة بولنده من الشرق ، وقد اوضح الرد بأن هذه الخطوة « ستتم في الوقت المناسب » واضاف ان هذا الوقت المناسب « لم يحن بعد » . وكان يرى ان « الاسراع الكثير » في هذه الخطوة قد يعرض « القضية » السوفياتية للأذى ، ولذا فقد اصر على الالمان في رده ، بوجوب احترام « خط الحدود » المقرر في الميثاق السري ، في حالة وصول الالمان اولاً الى بعض الجهات المحددة للروس [1]. وكانت شكوك الروس من الالمان قد بدأت في الاتضاح يضاف الى هذا ان الكرملين كان يعتقد بأن احتلال الالمان لبولنده قد يستغرق أمداً طويلاً .

وأبرق ريبنتروب بعد منتصف ليل الثامن من ايلول ، وكانت فرقة المانية مدرعة قد وصلت الى ضواحي وارشو ، الى شولنبرغ سفيره في موسكو ، برقية « عاجلة وسرية للغاية » يقول فيها ان العمليات العسكرية في بولنده « تتقدم بسرعة تفوق ما كان الالمان انفسهم يتوقعونه » ، وان المانيا تود ان تعرف في هذه الظروف « حقيقة النوايا الحربية للحكومة

---

١ – نص الرد الروسي (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٤ وتوجد بعض الرسائل المتبادلة في « العلاقات النازية ـ السوفياتية ») .

السوفياتية » [١] ورد مولوتوف في الساعة الرابعة والدقيقة العاشرة من بعد ظهر اليوم التالي ، ان روسيا ستتحرك عسكرياً « في غضون الايام القليلة القادمة » . وكان وزير الخارجية السوفياتية قد هنأ في ساعة سابقة من ذلك اليوم ، الالمان تهنئة رسمية « بدخول جيوشهم الى وارشو » [٢] .

ووقع اول خلاف بين مولوتوف والسفير الالماني فون دير شولنبرغ في العاشر من ايلول . اذ عندما اجتمع الرجلان راح الوزير السوفياتي يعلن ان الحكومة السوفيانية قد بوغتت مباغتة كلية بالسرعة الهائلة التي « حققت المانيا فيها انتصاراتها العسكرية » واضاف ان الاتحاد السوفياتي يجد نفسه تبعاً لذلك « في وضع شاق »، ثم أخذ يشير الى المبرر الذي سيستند اليه الكرملين في تفسير العدوان الذي سيقوم به على بولندة . وكان هذا التفسير كما ابرق شولنبرغ لبرلين « سرياً ومستعجلاً للغاية » ... ثم قال ..

> « يود الروس ان يقولوا ان بولندة شرعت في الانهيار ، وان الواجب يحتم على الاتحاد السوفياتي ، نتيجة لذلك أن يسارع الى مساعدة الاوكرانيين والروس البيض الذين باتوا « مهددين » من المانيا . واضاف مولوتوف ان هذه الحجة ضرورية لاضفاء شيء من التبرير المعقول بالنسبة الى الجماهير السوفياتية ، ولتجنيب الاتحاد السوفياتي الظهور بمظهر المعتدي » .

واحتج مولوتوف ايضاً على بيان صدر عن الفريق فون براوخيتش ونقلته عنه وكالة الانباء الألمانية قال فيه « انه لم يعد ثمة حاجة الى أي عمل عسكري على حدود المانيا الشرقية » . وقال الوزير السوفياتي ان بيان القائد الألماني يوحي بأن الحرب قد انتهت وانه لم يعد ثمة مبرر لروسيا « في ان تشن حرباً جديدة».

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣٣ - ٣٤ .

٢ – تهنئة مولوتوف - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣٤ ووعده بالعمل العسكري في ص ٣٥ .

واضاف انه يحس بالامتعاض من تطور الوضع على النحو الذي وقع فيه .[1] وراح مولوتوف ليزيد الأمور تعقيداً ، يستدعي شولنبرغ الى الكرملين في الرابع عشر من ايلول ، وبعد ان ابلغه بأن الجيش الأحمر سيزحف في وقت أبكر مما كان متوقعاً ، طلب من السفير ان يبلغه موعد سقوط وارشو اذ ان الروس رأوا وجوب انتظار سقوط العاصمة البولندية لتبرير حركتهم العسكرية .[2]

وأثار الوزير السوفياتي عدداً من الاسئلة المربكة المعقدة . فهو يريد ان يعرف موعد سقوط وارشو ، وهو يريد ان يعرف كذلك ، هل يرغب الألمان في ان يحمّلهم الروس جريرة تدخلهم وهل يقبلوا به ؟ . ولكن ريبنتروب راح في الخامس عشر من ايلول ، يبرق الى مولوتوف عن طريق سفيره ، رسالة « عاجلة للغاية وسرية » ، يرد فيها على هذه الاسئلة . وقال الوزير الألماني في رده ان وارشو « ستسقط في غضون بضعة ايام » ، وان المانيا « تود لو تدخل الروس بعملهم العسكري الآن » . واضاف ريبنتروب ان المانيا ترى في الذريعة التي تود روسيا تبرير هجومها بها عن طريق القاء اللوم على المانيا ، أمراً لا يمكن قبوله ، ومتعارضاً مع حقيقة النوايا الألمانية ومخالفاً لما اتفق عليه من ترتيبات في موسكو ، بالاضافة الى انه سيظهر الدولتين أمام العالم كله بمظهر الدولتين العدوتين . وانتهى من رده طالباً الى الحكومة السوفياتية تحديد « اليوم والساعة » التي ستشرع فيها بالهجوم على بولندة .[3]

وحددت روسيا ما طلبته المانيا في المساء التالي ، وتقدم برقيتان بعث بهما شولنبرغ ، وعثر عليهما بين الوثائق الألمانية المصادرة ، صورة عن خديعة الكرملين ، وعن الطريقة التي تمت فيها هذه الخديعة .. قال شولنبرغ في برقية بتاريخ ١٦ ايلول :

---

١ - برقية شولنبرغ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٤٤ - ٤٥
٢ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٦٠ - ٦١
٣ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٦٨ - ٧٠

« قابلت مولوتوف في السادسة مساء . قال الوزير السوفياتي ان التدخل العسكري السوفياتي بات وشيك الوقوع ، وقد يقع غداً أو بعد غد . واضاف ان ستالين يوالي مشاوراته الآن مع القادة العسكريين .

« وذكر مولوتوف ان الحكومة السوفياتية تعتزم تبرير اجرائها على النحو التالي : لقد وقع التفسّخ في الدولة البولندية وزالت من جرائه من الوجود ، ولهذا غدت جميع الاتفاقات السابقة المعقودة مع بولندة لاغية . ومن المتوقع ان تحاول دول اخرى الافادة من الفوضى الناجمة عن هذا التطور . وتجد الحكومة السوفياتية نفسها ملزمة بالتدخل لحماية المواطنين الاوكرانيين والروس البيض ، ولتمكين هؤلاء المواطنين التعساء من العيش بأمان » .

واعترض شولنبرغ على هذا التبرير ، لأن المانيا هي الدولة الوحيدة التي يمكن ان تكون المعنية بعبارة « الدول الاخرى » ... ثم مضى يقول في برقيته :

« وأقر مولوتوف بأن المبرر المزمع الاستناد اليه من جانب الاتحاد السوفياتي ينطوي على تلميح يمس بمشاعر الألمان ، ولكنه طلب الينا بالنظر الى الوضع الشاق الذي تجد الحكومة السوفياتية نفسها فيه ، ان نتسامح بهذا التلميح ، وان لا نجعل من « الحبة قبة » . وأضاف ان الحكومة السوفياتية لا تجد لسوء الطالع إمكاناً في العثور على مبرر جديد ، طالما ان الاتحاد السوفياتي لم يكن قد اكترث في الماضي بموضوع الأقليات الروسية في بولندة ، وطالما انه في حاجة الى تبرير تدخله الراهن في الخارج بشكل او بآخر » .(٢)

وبعث شولنبرغ في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين من بعد ظهر اليوم

---

٢ – وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٧٩ - ٨٠

التـــالي في السابـع عشر من ايلول ، برقية أخرى « عاجلة وسرية للغـــاية » الى برلين ..

« استقبلني ستالين في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم،وابلغني ان الجيش الأحمر ، سيجتاز الحدود السوفياتية في الساعة السادسة مساء . . وستشرع الطائرات السوفياتية اليوم بقصف المناطق الواقعة الى الشرق من لواو (ليمبرغ) » .

وعندما اعترض السفير الألماني على ثلاث نقاط واردة في البلاغ السوفيـاتي سارع الديكتاتور السوفياتي « بمنتهى الرغبة والاستعداد » الى تغيير الصيغة[1].

وهكذا تذرع الاتحاد السوفياتي بتلك الحجة الواهية من ان بولندة قد زالت من الوجود وان ميثاق عدم الاعتداء البولندي - السوفياتي لم يعد باقيـاً ، وانه بات يشعر باضطراره الى حماية مصالحه ومصالح الأقليات الأوكرانيـة والروسية البيضاء ، فراح يدوس بأقدامه ، بولندة المسكينة الهاوية صباح السابع عشر من ايلول . وكان الاتحاد السوفياتي قد ابلـغ السفير البولندي في موسكو « لزيادة الطين بلّة » بأنه سيحافظ على الحيـــاد المطلق في الصراع البولندي !. والتقى الجنود السوفيات بالألمان في اليوم التالي ، الثامن عشر من ايلول ، عند بريست ليتوفسك ، وهي المدينة التي كانت الحكومة البلشفية المولودة حديثـــاً ، قد تنكرت فيها قبل واحد وعشرين عاماً ، لارتباطات بلادها بالحلفاء الغربيين ، وقبلت من الجيش الألمـــاني ، شروط الصلح المنفرد ، التي كانت مغرقة في القسوة والشدة .

وعلى الرغم من ان الروس كانوا شركاء الآن لألمانيا النـازية في ازالة بولنده العريقة من الخارطة ، فإنهم ما لبثوا ان بدأوا يشكون برفقائهم الجدد . ففي الاجتماع الذي عقده ستالين مع السفير الألماني عشية يوم العدوان السوفيـــاتي ، اعرب الطاغية الروسي عن شكوكه التي نقلها شولنبرغ باخلاص الى برلين ، فيما

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٧٩ - ٨٠

اذا كانت القيادة العليا الألمانية ستحافظ على اتفاقات موسكو وتسحب قواتها الى الخط المتفق عليه . وحاول السفير تهدئة شكوكه ، وبعث الطمأنينة في نفسه ، ولكن محاولاته ذهبت كما يبدو ادراج الرياح . وراح شولنبرغ يقول في برقيته الى برلين . . « وبالنظر الى ما عرف عن ستالين من مزاج كثير التشكك، فاني اكون ممتناً اذا خولتموني ، اصدار بيان آخر، يكون من النوع الذي يضمن ان ينتزع من فؤاده كل ما بقي فيه من شكوك »[١]. وبعث ريبنتروب في اليوم التالي ، أي التاسع عشر من ايلول ، ببرقية الى سفيره يخوله فيه « ابلاغ ستالين، بأن المانيا ستحترم حتماً الاتفاقات التي عقدها هو - أي ريبنتروب - في موسكو ، وانها تعتبر هذه الاتفاقات حجر الزاوية في علاقات الصداقة الجديدة بين المانيا والاتحاد السوفياتي » .[٢]

لكن الاحتكاك ظل قائماً على أي حال بين الشريكين اللذين لا تقوم شراكتهما على اسس طبيعية . ووقع خلاف في السابع عشر من ايلول على نص البلاغ المشترك الذي كان من المقرر اصداره « لتبرير » اشتراك الروس والألمان في تدمير بولنده . فقد اعترض ستالين على الصيغة التي وضعها الألمان « لانها تبسط الحقائق بصراحة متناهية لا لزوم لها » وراح يضع الصيغة التي يقترحها هو ، والتي كانت نموذجاً في الخديعة والتضليل ، وارغم الألمان على قبولها . وقد ذكرت هذه الصيغة ان الهدف المشترك لألمانيا وروسيا « اعادة السلام والنظام الى بولنده بعد ان ادى تفسخ الدولة البولندية الى انهيارها ، ومساعدة الشعب البولندي على اقامة اوضاع جديدة لحياته السياسية » وهكذا عثر هتلر في شخص ستالين على صنوه في الفلسفة « الكلبية » التي تقوم على الاستخفاف بعقول الناس .

ويبدو ان الديكتاتورين قد فكرا في بداية الأمر ، باقامة « حطام دولة »

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٩٢

٢ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٠٣

بولندية على نسق « دوقية وارشو الكبرى » التي اقامها نابوليون ، وذلك رغبة منها في تهدئة الرأي العام العالمي . ولكن ما عتم مولوتوف في التاسع عشر من ايلول ان اعلن ان البلاشفة قد اعادوا النظر في هذا الاقتراح . وبعد ان احتج غاضباً الى شولنبرغ على ما ادعاه من تجاهل القادة العسكريين الألمان لاتفاقات موسكو عن طريق محاولتهم إلتهام اراض هي من حق موسكو بموجب هـذه الاتفاقات ، انتقل فوراً الى النقطة الاساسية ... كما ابرق شولنبرغ لبرلين . .

« اشار مولوتوف الى ان مـــا أحست به الحكومة السوفياتية وستالين شخصياً من ميل سابق الى السماح باقامـــة حطام دولة بولندية ، قـد اختفى ليحل محله ميل جديد الى اقتسام بولنده على اساس خط بيزا – نارو – الفستولا – سان . وتود الحكومـــة السوفياتية ان تبدأ المفاوضات مع المانيا على هذا الاساس فوراً»[1] .

وهكذا صدر الاقتراح باقتسام بولندة كلية وحرمان الشعب البولندي من أي وجود مستقل مهما كان شكله ، عن الاتحاد السوفياتي . ولكن الألمان لم يكونوا بدورهم في حاجة الى من يحثّهم عـلى الموافقة على هذا الاقتسام . فقد ابرق ريبنتروب الى شولنبرغ في الثالث والعشرين من ايلول ، يأمره بابـــلاغ مولوتوف بأن « الفكرة الروسية باقامة خط للحدود على اساس الانهار الاربعة المعروفة . تتفق مع وجهة نظر حكومة الرايخ تمام الاتفاق » . واقترح ان يطير الى موسكو ثانية لوضع تفاصيل هذا الاتفاق الجديد وكل ما يتعلق « بالكيان النهائي للمنطقة البولندية » .[2]

وتولى ستالين شخصياً الآن زمام المفاوضات ، وسرعان ما عرف حلفـاؤه البريطان والامريكيون فيما بعد ، مـا يتميز به هذا المساوم من انتهازية وصلابة وكلبية . واستدعى الديكتاتور السوفيـــاتي شولنبرغ الى الكرملين في الساعة

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٠٥ .

٢ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٢٤ .

الثامنة من مساء الخامس والعشرين من ايلول ، وفتحت البرقية التي بعث بها هذا السفير في وقت لاحق من تلك الليلة عيون برلين على بعض « الوقائع القاسية » . وعلى ان بعض الفراخ قد سارعت الى اقنانها لتجثم فيها قبل الأوان . (اشارة الى وقوع تطورات منتظرة) ... قال شولنبرغ في برقيته ..

« قال ستالين انه يرى من الخطأ السماح باقامة حطام دولة بولندية مستقلة . واقترح ان تضاف الى حصتنا امارة وارشو بكاملها التي تمتد الى الشرق من خط الحدود حتى نهر بوغ ، شريطة ان نتخلى مقابل ذلك عن كل مطالبنا في ليتوانيا .

« واضاف ستالين انه في حالة موافقتنا على اقتراحه ، فان الاتحاد السوفياتي سيبادر فوراً الى وضع الحلول لمشكلة دويلات البلطيق على ضوء الملحق (السري) لاتفاق الثالث والعشرين من ايلول ، وهو يعتمد في هذه القضية على تأييد الحكومة الألمانية المطلق وقد ذكر ستالين بوضوح كلاً من استونيا ولاتفيا وليتوانيا ، دون ان يذكر شيئاً عن فنلندة »[1]

حقاً انها لمساومة ماكرة وقاسية . فستالين يعرض على المانيا امارتين بولنديتين باتتا في الواقع تحت سيطرة الألمان بعد احتلالهما ، مقابل تخليهم عن دول البلطيق . وكان في مساومته هذه يستغل الخدمة العظيمة التي قدمها الى هتلر بتمكينه من الهجوم على بولندة ، ليحصل على كل شيء يتمكن من الحصول عليه لروسيا ، في الوقت الذي ما زال المجال فسيحاً فيه للمساومة . يضاف الى هذا انه يقترح ان يضم الألمان اليهم الأغلبية الغالبة للشعب البولندي . فهو يدرك كروسي ، ما علمته إياه قرون طويلة من التاريخ ، وهو ان البولنديين لن يستسلموا هادئين لفقدهم استقلالهم . ولذا فهو يرى انه اذا كان لا بد لهم من اثارة المتاعب و « الصداع » فلتكن هذه المتاعب وذلك « الصداع » من نصيب الألمان

---

١ وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٣٠ .

لا الروس . وسيأخذ في غضون ذلك دول البلطيق التي انتزعت من روسيا بعد الحرب الكونية الأولى ، والتي تسهل اوضاعها الجغرافية على الاتحـاد السوفياتي الحماية الضخمة اللازمة ضد أي هجوم مباغت قد يشنه عليه حلفاؤه الألمان

ووصل ريبنتروب الى موسكو بالطائرة للمرة الثانية في الساعة السادسة من مساء الثامن والعشرين من ايلول ، واتيح له الوقت اللازم ، قبـل المضي الى الكرملين لقراءة برقيتين وصلتا من برلين، تبصرانه بحقيقة ما يسعى اليه الروس وكانت البرقيتان صادرتين عن الوزير الألمـاني المفوض في تالين ينقل فيهما الى حكومته ما ابلغته اياه الحكومة الاستونية قبل لحظات من ان الاتحاد السوفياتي قد طلب بعض القواعد العسكرية والجوية في استونيا مهدداً « بالهجوم الفوري في حالة التقاعس عن تلبية هذا الطلب »[1] . وابرق ريبنتروب في ساعة لاحقة من تلك الليلة الى هتلر في برلين ، وبعد ان عقد اجتماعـاً مطولاً مع ستالين ومولوتوف يقول، ان ميثاقاً قد « عقد تلك الليلة نفسها » يخول الاتحاد السوفياتي وضع فرقتين من جنود الجيش الأحمر ، وكتيبة من السلاح الجوي على « الارض الاستونية ، دون المساس على أي حال بنظام الحكم الاستوني او إلغـائه في هذا الوقت » . ولكن الفوهرر ، وهو الخبير بهذا الطراز من الاعمال ، ادرك لتوه ، ضيق الفسحة الزمنية التي اتيحت لاستونيا قبل ان تلفظ انفاسها الاخيرة، ولذا فقد ابلغ ريبنتروب في اليوم التالي بأن الاوامر قد صدرت باجلاء (٨٦) الف الماني من استونيا ولاتفيا[2].

وهكذا أخذ ستالين في تقديم « فواتيره »، وتحتم على هتلر مؤقتاً على الأقل، ان يؤدي قيمتها . فها هو يتخلى فوراً عن كل من استونيا ولاتفيا اللتين كان قد وافق في الميثاق النازي - السوفياتي على اعتبارهما من منـاطق « المصالح » السوفياتية . ولم ينته ذلك النهار حتى كان يتخلى ايضاً عن ليتوانيا الواقعة على

---

١ وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٢ وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٦٢ .

حدود المانيا الشمالية الشرقية ، وهي البلاد التي كانت البنود السرية في ميثاق موسكو قد نصت على انها جزء من منطقة «مصالح» الرايخ .

وكان ستالين قد خير الألمان في الاجتماع الذي عقده مع ريبنتروب تلك الليلة والذي بدأ في العاشرة مساء وانتهى في الواحدة من صباح الثامن والعشرين من ايلول بين احد امرين سبق له ان ذكرهما لشولنبرغ عند اجتماعه به في الخامس والعشرين . وهما إما قبول الخط الأصلي للحدود في بولندة على طول أنهر بيزا ونارو والفستولا وسان ، مع الحصول على ليتوانيا أو التخلي عن هذه لروسيا مقابل الحصول على ارض بولندية اكثر اتساعاً بحيث تشمل امارة لوبلين والاراضي الواقعة الى الشرق من وارشو ، مما يضمن للألمان السيطرة على الشعب البولندي بكامله . وحث ستالين الألمان حثاً ملحاً على قبول الخيار الثاني ، ونقل ريبنتروب هذه الرغبة الملحة الى هتلر في برقية مطوّلة بعث بها اليه في الساعة الرابعة من صباح الثامن والعشرين من ايلول ، ووافق هتلر على القبول بها .

واستغرق تقسيم اوروبا الشرقية ، وما صاحبه من رسم معقد للخرائط ، وقتاً طويلاً تجاوز حدود ثلاث ساعات ونصف الساعة من بعد ظهر الثامن والعشرين من ايلول ، عقبته وليمة رسمية في الكرملين ، واستأذن ستالين ومولوتوف اثناء الوليمة ، بالخروج للتحدث الى وفد لاتفي كانا قد استدعياه للمجيء الى موسكو . وهرع ريبنتروب خارجاً من المأدبة الى دار الاوبرا لحضور فصل من اوبرا «بحيرة البجع» ، ليعود بعد انتهائه عند منتصف الليل الى الكرملين لاجراء محادثات اخرى بصدد الخرائط وغيرها من المواضيع . ووقع مولوتوف وريبنتروب في الساعة الخامسة صباحاً على ميثاق جديد ، اطلق عليه رسمياً اسم «معاهدة الحدود والصداقة الالمانية - السوفياتية» ، بينما اشرق وجه ستالين مرة ثانية ، على حد تعبير موظف الماني في تقرير لاحق ، بعلائم الرضى الواضحة »[١] . وكان من حقه بالطبع ان يفرح وان يرضى .[٢]

---

١ - كتب هذا الموظف ويدعى اندور هينكي ، وكان يعمل دليلاً لوزارة الخارجية الالمانية

واعلنت المعاهدة التي اذيعت نصوصها تخطيط الحدود بالنسبة الى « المصالح القومية للفريقين المتعاقدين » ضمن حدود « الدولة البولندية السابقة » واوضحت ان الدولتين المتعاقدتين ستعيدان « اقرار السلام والنظام» في المناطق التي حصلتا عليها وانهما « ستضمنان للشعب الذي يعيش في هذه المناطق حياة سلمية تنسجم مع شخصيته القومية » .

ولكن هذه المعاهدة ، شأنها في ذلك شأن سابقتها ، انطوت على « ملاحق سرية » ، عددها ثلاثة ملاحق تضمن اثنان منها زبدة الاتفـــاق وجوهره ، اذ نص الأول على اضافة ليتوانيا الى « منطقة النفوذ » السوفياتيـة مقابل اضافة مقاطعتي لوبلين ووارشو الشرقية الى « منطقة النفوذ » الألمانية ، بينما كان الملحق الثاني صريحاً وموجزاً في النص على ان لا . . .

« تتسامح الدولتان المتعاقدتان في مناطقهما البولندية مـع أي اضطراب بولندي قد يؤثر على المناطق الاخرى . وتتعهدان باخماد أية اضطرابات من هذا النوع من مستهلها ، وبتبادل المعلومات فيما بينهما بصدد الاجراءات اللازمة لتحقيق هذا الهدف . »

وهكذا اختفت بولندة ، كما اختفت النمساوتشيكوسلوفاكيا من قبل ، من خريطة اوروبا . لكن ادولف هتلر لم يكن وحيداً هذه المرة وانما تلقى العون والمساعدة ، في هذه العملية من ازالة هذه البـلاد من الوجود ، من دولة تدعى « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » كانت تبدو دائماً بمظهر المدافع عن الشعوب المضطهدة ، وحامي حماها . وكان هذا التقسيم هو الرابع لبولندة على

== بعد ان خدم عدة سنوات سابقة في سفارة بلاده في موسكو وصفاً مفصلاً ومنمقاً للمحادثات. وكان هذا الوصف هو التسجيل الألماني الوحيد عن اجتماعات اليوم الثاني من المحادثات . (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) الملحق رقم (١) .

٢ - يوجد نص المعاهدة وملاحقها السرية والبلاغ الرسمي والرسائل المتبادلة بـين مولوتوف وريبنتروب في وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ١٦٤ - ١٦٨ .

ايدي المانيا وروسيا .[١] وكانت النمسا قد اشتركت في عمليـــات التقسيم السابقة ، وقدر له ان يكون مدة بقائه ، اكثر هذه العمليات قسوة وبعداً عن الرحمة والاشفاق . اذ اتفق هتلر وستالين في الملحق السري الذي عقد في الثامن والعشرين من ايلول[٢]. على اقامة عهد من الارهاب في بولندة ، قصد منه ان يقضي على حرية هذه البلاد وثقافتها ووجودها القومي .

ولقد حارب هتلر في بولندة وكسب حربها، لكن ستالين كان الرابح الأكبر في هذه الحرب ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي انه لم يطلق رصاصة واحدة فيها .[٣] ولقد تمكن الاتحاد السوفياتي من ان يسيطر على نصف بولندة تقريبـاً وان يقيم حاجزاً منيعاً في دول البلطيق . وقد ضيق هذا الحاجز الحصـار على المانيا بشكل اوثق ، وأبعدها عن تحقيق أي من هدفيهـا الاساسيين البعيدي المدى وهما الحصول على قمح اوكرانيا والسيطرة على الزيت الروماني . وتحتاج المانيا حاجة ماسة الى هاتين المادتين اذا كانت تريد البقاء ومقاومة الحصـــار البريطاني. وتمكن ستالين ايضاً من السيطرة على منطقة بوريسلان - دورغوبيكز البولندية الغنيـــة بالبترول ، والتي كان هتلر يود لو تمكن من الاستيلاء عليها ، ولكنه ، أي ستالين ، وافق كرماً منه على ان يبيع الألمان زيتاً يعادل في كمّه الانتاج السنوي لهذه المقاطعة .

فلماذا دفع هتلر هذا الثمن الى الروس ؟ من الحق ان يقـال ، انه قد وافق على دفعه في شهر آب ، رغبة منـه في الابقاء على الاتحاد السوفياتي بعيداً عن معسكر الحلفاء ، وخارج نطاق الحرب. ولكنه لم يكن قط ، صادقاً في التمسك بمعاهداته واتفاقاته ، وكان في مكنته الآن ان يستجيب الى حث قادة الجيش

---

١ – يطلق ارنولد توينبي على هذا التقسيم في كتبه المختلفة اسم التقسيم الخامس .

٢ – أرخت هذه المعاهدة رسمياً في الثامن والعشرين من ايلول ، عـلى الرغم من التوقيع عليها في الخامسة من صباح التاسع والعشرين منه .

٣ – اعلن الالمان رسمياً ان خسائرهم في بولندة بلغت ١٠,٥٧٢ قتيلاً و ٣٠,٣٢٢ جريحاً و ٣٤٠٠ مفقود .

وان يعلن تنكره لميثاق الثالث والعشرين من آب ، ولا سيما بعد ان تم احتلال بولندة نتيجة عمل مدهش لا مثيل له من اعمال السلاح الألمـاني . ولو اعترض ستالين على ذلك ، لكان في مكنة الفوهرر ان يهدده بالهجوم مستخدمـاً اقوى جيش في العالم ، كما اقامت الحملة البولندية الدليـل على ذلك . ولكن هل كان بوسعه ان يهاجمـه فعلاً ؟ لا . طالما ان القوات البريطانية والفرنسية ما زالت مرابطة في الغرب تحمل سلاحها . ولكي يصفي أمره مع بريطانيا وفرنسا ، رأى لزاماً عليه الإبقاء على مؤخرته في منجاة من الخطر . وكان هذا التفكير هو الذي حمله ، كما شرح هو نفسه فيما بعد ، على السماح لستالين بالغلو في تلك الصفقة التي عقدها . ولكنه ظل يذكر هذه المساومـــة القاسية من جانب الديكتاتور السوفياتي وهو يتجه باهتمامه الآن الى الجبهة الغربية .

١٩

حرب "الجلوس" في الغرب

لم يقع الكثير في الجبهة الغربية . ولم تطلق حتى رصاصة واحدة إلا فيما ندر .. وشرع « رجل الشارع » الألماني ، يطلق على هذه الحرب اسم « حرب الجلوس » . أما في الغرب فقد أخذوا يلقبونها « الحرب الزائفة » . ففي هذه الجبهة يقف « اقوى جيوش العالم (الجيش الفرنسي) » على حد تعبير اللواء (الجنرال) البريطاني جي.إف.سي فولر ، « مواجهاً ما لا يزيد على ست وعشرين فرقة المانية ، يجلس رجالها هادئين ، قابعين وراء حصونهم من الإسمنت والفولاذ بينما تجري هناك ابادة دولة حليفة باسلة الى اقصى حدود البسالة »[١] .

فهل دهش الألمان يا ترى ؟ كلا انهم لم يدهشوا مطلقاً ، ففي يوميات الفريق هولدر نفسه ، وفي مستهلها الذي شرع في كتابته في الرابع عشر من آب ، وضع رئيس هيئة الاركان العامة للجيش الألماني ، تقريراً مفصلاً للوضع في الغرب في حالة قيام المانيا بمهاجمة بولندة . وقد رأى ان قيام الفرنسيين بالهجوم في الغرب « احتمال بعيد للغاية » . وكان واثقاً من ان فرنسا لن تبعث بجيشها عبر الاراضي البلجيكية لمهاجمة المانيا ، « ضد رغبات البلجيكيين انفسهم » . وتوصل الى

---

١ – اللواء ، جي . فولر – الحرب العالمية الثانية ص ٥٥ . مقتبس من « الربع الاول» ص ٣٤٣ .

النتيجة التي تقول بأن الفرنسيين سيواصلون التزام موقف الدفاع . وكنا قد ذكرنا قبل قليل ، ان الفريق هولدر ، شرع في السابع من ايلول ، بعد ان ايقن من القضاء على الجيش البولندي ، يشغل نفسه في وضع الخطط الرامية الى نقل القوات الألمانية الى الغرب .

ودوّن عشية ذلك اليوم نتائج اجتماع عقده الفريق براوخيتش بعد ظهر اليوم نفسه مع هتلر . فقال :

« لم تتضح العمليات في الغرب حتى الآن . هناك بعض الدلائل على عدم وجود نية فعلية في شن حرب في هذه الجبهة ... ويفتقر اعضاء الوزارة الفرنسية الى الوزن البطولي وهناك تلميحات اولى من جانب بريطانيا عن تأمل مغرق في التفكير . . »

واصدر هتلر بعديومين التوجيه الثالث عن ادارة دفة الحرب مصدراً اوامره باتخاذ الاجراءات اللازمة لنقل وحدات من الجيش والسلاح الجوي من بولندة الى الغرب . ولكن التوجيه لا يتطلب من هذه الوحدات ان تقاتل . ومضى التوجيه يقول بصراحة .. « وحتى لو بدأت بريطانيا العظمى بداية تفتقر الى التصميم في شن العمليات الحربية . . وحذت فرنسا حذوها ، فان من الواجب الحصول على أوامري الصريحة في كل حالة من الحالات التالية .. وهي قيام قواتنا الأرضية أو احدى طائراتنا باجتياز الحدود الغربية ، أو قيام طائراتنا بهجوم جوي على بريطانيا »[1] .

ولكن ترى ما هي الوعود التي صدرت عن فرنسا وبريطانيا لبولندة في حالة تعرض هذه للهجوم ؟ كانت الضمانة البريطانية عامة بينما كانت الضمانة الفرنسية محدودة ومعينة ، وقد تم النص عليها في الميثاق العسكري الفرنسي - البولندي الذي عقد في التاسع عشر من ايار عام ١٩٣٩ . وأوضح هذا الميثاق ان الاتفاق قد تم على ان يشن الفرنسيون « عمليات هجومية تدريجية ، ضد

---

١ - نص التوجيه في وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص٤١ .

اهداف محدودة في « نهاية اليوم الثالث من اعلان التعبئة العامة » . وقد اعلنت التعبئة العامة في فرنسا في الأول من ايلول. واتفق كذلك على ان تقوم فرنسا في حالة توجيه الألمان جهودهم الرئيسية ضـد بولندة ، بشن هجوم رئيسي بمجموع قواتها ضد المانيا ابتداء مـن اليوم الخامس عشر بعد اعلان التعبئة الفرنسية العامة » . وعندما سأل العقيد جاكلينز نائب رئيس هيئة اركان الحرب البولندية ، عن عدد القوات الفرنسية التي يمكن توافرها لهذا الهجوم الرئيسي ، رد الفريق غاملان ، بأن هـذه القوات ستتراوح بين الخمس والثلاثين والثاني والثلاثين فرقة »[1] .

ولكن عندما اصبح الهجوم الألماني متوقعاً في كل لحظـة على بولندة ، في الثالث والعشرين من آب ، كان الجنرال سيمو (الجنرال الاكبر) الفرنسي يبلغ حكومته ، كما رأينا من قبل انه لا يستطيع القيام بأي هجوم جدي « في أقل من نحو عامين ... أي في عام ١٩٤١ – ١٩٤٢ » ، مـع افتراض شرط آخر وهو ان تكون فرنسا في ذلك الوقت قـد تلقت « عون القوات البريطانية والمعدّات الحربية الامريكية » .

وليس ثمة من شك في ان بريطانيا لم تكن قادرة في الاسابيع الأولى مـن الحرب . على ان توفد اكثر من قوات قليلة الى فرنسا . وقد اصبح لها في الحادي عشر من تشرين الأول ، أي بعد ثلاثة اسابيع من انتهاء القتال في بولندة اربع فرق في فرنسا تعد (١٥٨) ألـف رجل . واطلق تشرشل على هذه القوة اسم « المساعدة الرمزية » وذكر فولر ان الاصابة البريطانية الأولى ،التي كان ضحيتها عريف انكليزي قتل إبّان قيامه بأعمال الدورية - قد وقعت في التاسع مـن كانون الأول . ويعلق فولر على ذلك بقوله .. « كانت حرباً خالية من سفك الدماء ولم يعرف العالم مثيلاً لها منذ معركتي مولينيلا (Molinella) وزاغونارا

---

١ – نامير – في العهد النازي ص ٤٥٩ – ٤٦٠ يورد نامير نص الميثاق العسكري .

« (Zagonara) »[1] .

واذا ما عاد المرء بذاكرته الى الوراء مستذكراً الوقائع وحاكماً عليها على ضوء ما وقع فعلاً فيما بعد ، تبيّن لنا ان القادة العسكريين الألمان اتفقوا في اثناء محاكمات نورمبرغ ، على ان الحلفاء الغربيين اضاعوا فرصة ذهبية بتقاعسهم عن الهجوم في الغرب . فلقد ذكر الفريق هولدر ...

« كان نجاحنا ضد بولندة ، ثمرة تمكننا بنجاح من تحصين حدودنا الغربية تحصيناً كاملاً ولو تمكن الفرنسيون من ادراك منطق الاوضاع والامور ، واستغلوا فرصة انشغال القوات الألمانية في بولندة ، لكان في امكانهم عبور نهر الراين دون ان نتمكن من منعهم ، ولهددوا بذلك منطقة الروهر ، وهي العامل الحاسم جداً في تسيير الألمان لدفة حربهم »[2] .

وقال الفريق يودل ايضاً ...

« واذا كنا لم نفشل ولم نتلاش فان الفضل في ذلك يعود الى بقاء المائة والعشر فرق فرنسية وبريطانية خاملة لا عمل لها في الغرب ، أمام ثلاثٍ وعشرين فرقة المانية ، وذلك طيلة حملتنا في

---

١ - استقل الكاتب في التاسع من تشرين الاول ، القطار الذي يسير بحذاء الضفة الشرقية لنهر الراين باتجاه الشمال ، حيث يؤلف النهر مسافة نحو من مائة ميل الحد الفاصل بين فرنسا والمانيا ، ودون في يومياته ما يلي : « ليست هناك اية علامة على وجود حرب . وابلغني موظفو القطار انه لم تطلق رصاصة واحدة على هذه الجبهة منذ نشوب الحرب . وكان في وسعنا ان نرى المنابر الفرنسية ونبصر بحواجز فرنسية كبيرة في بعض الاماكن حيث يقوم الجنود وراءها ببناء التحصينات . ولا تختلف الصورة في الجانب الالماني عنها عند الفرنسيين . فالجنود يقومون بأعمالهم على مرأى من جنود العدو وعلى مرمى النار منهم . وكان الالمان ينقلون على الخط الحديدي المؤن والمدافع دون انيتعرض لهم الفرنسيون بأذى . يا لها من حرب غريبة » (يوميات برلين المؤلف ص ٢٣٤).

٢ - شهادة هولدر الدفاعية في « قضية الوزراء » في محاكمات نورمبرغ في ٨ - ٩ ايلول عام ١٩٤٨ (محاكمات مجرمي الحرب - ١٢ - ص ١٠٨٦).

بولندة » [1] .

واضاف الفريق كايتل رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة الشهادة التالية :

« وكنا نحن العسكريين نتوقع هجوماً من فرنسا إبان حملتنا في بولندة ، وكانت دهشتنا بالغة عندما لم يتحقق ما توقعناه...ولو شن الفرنسيون هذا الهجوم لما واجه إلا عمليات تغطية عسكرية المانية دون ان يكون هناك دفاع حقيقي » [2] .

اذن ترى مـــا الذي حال بين الجيش الفرنسي - اذ لم تصـــل الفرقتان البريطانيتان الاوليان الى الجبهة إلا في الاسبوع الاول من تشرين الاول وبين الهجوم في الغرب على الرغم من تفوقه الهائل على القوات الألمانية هناك .تنفيذاً للوعود الخطية الصادرة عن الفريق غاملان وعن الحكومة الفرنسية لبولندة ؟

هناك اسباب عدةحالت دون هذا الهجوم اولها روح الانهزامية التي سيطرت على القيادة العليا الفرنسية وعلى حكومة فرنسا وشعبها . وثاني هذه الاسباب الذكريات المريرة عن الحرب الكونية الاولى ، عندما سالت دمـاء الفرنسيين انهاراً ، مما خلق تصميماً عند المسؤولين على عدم تكرار تلك المذابح ، اذا كان تجنبها ممكناً . وكان السبب الثالث هو ادراك المسؤولين في منتصف شهر ايلول ، بأن الألمان قـــد أتموا هزم الجيش البولندي هزيمة كاملة ، وان من المحتمل ان يتمكنوا قريباً - أي الألمان - من نقل قوات متفوقة الى الغرب تقضي على أية مكاسب فرنسية اولية وتمحوها محواً تامـــاً . أما السبب الرابع فهو خوف الفرنسيين من تفوق الألمان عليهم في السلاح وفي الجو . وبالفعل كانت الحكومة الفرنسية قد اصرت منذ البداية ، على ان يمتنع السلاح الجوي البريطاني عـــن مهاجمة الاهداف في ألمانيا مخافة ان يثأر الألمان بالاغارة على المصانع الفرنسية ،

---

١ - شهادة يودل دفاعاً عن نفسه في ٤ حزيران ١٩٤٦ في نورمبرغ (محـــاكمات كبار مجرمي الحرب (١٥) ص ٣٥٠) .

٢ - شهادة كايتل دفاعاً عن نفسه في ٤ نيسان ١٩٤٦ في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٥١٩) .

مع العلم بأن الإغارة بشكل قوي وشامل على الروهر . قلب المانيا الصناعي ، كان كفيلاً بأن يترك آثاراً مفجعة عند الألمان . وكان القادة الألمان يخشون هذا التطور اشـد الخشية ، وظل يقضّ عليهم مضاجعهم طيـلة شهر ايلول ، طبقاً لاعتراف الكثيرين منهم فيما بعد .

وليس ثمة من شك في ان تشرشل قد اوضح في مذكراته السبب الجوهري الذي حمل فرنسا على عدم مهاجمة المانيا عندما قال : « لقد خسرت فرنسا هذه المعركة قبل سنوات طوال »[1] . اجل لقد خسرتها عندما سكت الحلفاء في ميونيخ عام ١٩٣٨ . وقبل ذلك عندما اعـاد الألمان احتلال منطقة الراين في عام ١٩٣٦ ، وقبل سنة اخرى عندما أعلـن هتلر التجنيد الالزامي متحدياً معاهدة فرساي . وهكذا دفع الآن ثمن تقاعس الحلفاء تقاعساً مؤلماً عن العمل في السنوات الماضية ، على الرغم من الحقيقة الواقعة ، وهي ان باريس ولندن تصورتا ان في الامكان تأجيل دفع هذا الثمن عن طريق التقاعس عن العمل .

* * *

لكن البحر ، بات مسرحاً للعمل الحربي .

ولم يحصر الاسطول الألماني في الاكفان التي حصر بها الجيش في الغرب ، وتمكن هذا الاسطول في الاسبوع الأول من البدء بالعمليات الحربية من اغراق احدى عشرة باخرة بريطانية مجموع حمولتها (٦٤,٥٩٥) طناً وهو نصف الرقم للحمولة الاسبوعية التي اغرقتها الغواصات الألمانية في قمة نشاطها في نيسان عام ١٩١٧ ، عندما اشرفت بريطانيا العظمى على شفير الكارثة . وبدأت خسائر البريطانيين في الهبوط بعد ذلك ، فبلغت (٥٣,٥٦١) طناً في الاسبوع الثاني و (١٢,٧٥٠) في الاسبوع الثالث و (٤,٦٤٦) في الاسبوع الرابع ، وبذلك بلغت الخسائر في شهر ايلول بكامله ستاً وعشرين باخرة اغرقتها الغواصات مجموع حمولتها (١٣٥,٥٥٢) طناً ، وثلاثاً اخرى اغرقتها الالغام حمولتها (١٦,٤٨٨)

(١) مذكرات تشرشل ص ٤٧٨ .

طناً . (١)

وكان ثمة سبب لهذا الهبوط السريع ، لم يكن البريطانيون يعرفونه آنذاك. فلقد اجتمع الاميرال ريدر طويلاً الى هتلر في السابع من ايلول وكان الفوهرر قد أحس بالزهو والطرب من انتصاراته الاولى في بولندة ، ومن تقاعس الفرنسيين عن الهجوم في الغرب . فنصح قائد الاسطول بالتؤدة في الحرب البحرية . وكانت فرنسا قد اظهرت « كبتاً لأعمالها في الميدانين السياسي والعسكري » ، كما كانت بريطانيا قد اظهرت « تردداً واضحاً » وتقرر على ضوء هذه الاوضاع ان تمتنع الغواصات في المحيط الاطلسي عن مهاجمة كافة بواخر الركاب دون استثناء . وان تمتنع كلية عن مهاجمة البواخر الفرنسية ، وان تقلع بارجة الجيب « دويتشلاند » العاملة في شمال الاطلسي ، وبارجة الجيب « غراف شبي » العاملة في جنوب هذا المحيط ، الى مراكز الانتظار في الوقت الحاضر ، متوقفة عن العمل . ودوّن ريدر في يومياته ان « السياسة العامة اقتضت التمسك بضبط النفس الى ان يصبح الوضع السياسي في الغرب اكثر جلاء ، وهذا يستغرق

---

١ - كشف تشرشل ، وزير البحرية آنذاك ، عن الارقام التقريبية في بيان القاه في مجلس العموم في السادس والعشرين من ايلول . وعاد فذكر الارقام الرسمية « المصححة » في مذكراته . ولقد ذكر المجلس ايضاً ان ست غواصات المانية أو سبعاً قد اغرقت ، وعاد فصحح في كتابه ايضاً هذا الرقم فيما بعد فذكر ان غواصتين المانيتين فقط قد اغرقتا في هذه المدة .

وتميز خطاب تشرشل هذا بطرفة ممتعة : فقد ذكر ان قائد احدى الغواصات الالمانية قد بعث اليه شخصياً برسالة لاسلكية يبلغه فيها عن موقع باخرة بريطانية اغرقها قبل قليل ، وحثه على ارسال وسائل النجدة لانقاذ بحارتها ، وقال تشرشل ... « ولم اعرف العنوان الذي استطيع ان اوجه اليه الرد على هذه الرسالة ، لكنه بات الآن في قبضتنا » . ولكن قائد الغواصة لم يقع في ايدي البريطانيين كما قال تشرشل . فقد عقدت معه وهو القبطان هربرت شولتز ، حديثاً اذاعياً وجهته الى امريكا بعد يومين . وقد اطلع لي من سجل غواصته البرقية التي بعث بها الى تشرشل (راجع مذكرات تشرشل ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ويوميات برلين المؤلف ص ٢٢٥ - ٢٢٧) .

اسبوعاً على الاقل »[1] .

غرق الباخرة اثينيا

واتفق هتلر وريدر في اجتماعهما في السابع من ايلول على قرار آخر. فقد دوّن الاميرال في يومياته . . . « يجب ان لا نقوم بأية محاولة لحل مشكلة « اثينيا» الى ان تعود الغواصات الى الوطن » .

وكنا قد ذكرنا ان الحرب في البحر ، بدأت بعد عشر ساعات من اعلان بريطانيا الحرب ، عندما نسفت الباخرة اثينيا التي تحمل (١٤٠٠) راكب بالطوربيد دون انذار في الساعة التاسعة من مساء الثالث من ايلول على بعد نحو من مائتي ميل الى الغرب من جزر « الهيبريديز » ، مما ادى الى غرق (١١٢) شخصاً من ركابها بينهم (٢٨) من الامريكيين . وارادت وزارة الدعاية الألمانية التأكد من الانباء الاولى التي اذيعت من لندن عن الحادث ، فاتصلت بالقيادة العليا للأسطول ، وقيل لها ان ليس ثمة من غواصات المانية في المنطقة التي تمزقت فيها الباخرة ، ونفت نفياً جازماً ان يكون الألمان هم المسؤولون عن اغراقها . وحيّرت الكارثة هتلر وقيادته البحرية ، ومالا في البداية الى الشك في صحة الانباء البريطانية . وكانت القيادة البحرية العليا قد اصدرت اوامر صارمة الى جميع قادة الغواصات بملاحظة ميثاق لاهاي ، الذي يمنع قيام الغواصات بمهاجمة أية باخرة قبل انذارها . ولما كانت جميع الغواصات تمتنع عن اعطاء أية اشارات لاسلكية حرصاً على سرّية حركاتها ، فلم يكن ثمة سبيل للتحقق مما وقع فوراً.[2] ولكن هذا لم يحل بين الصحافة النازية الموجّهة وبين توجيه التهمة في غضون

---

(١) « اجتماعات الفوهرر لبحث الشؤون البحرية » - ١٩٣٩ - ص ١٦ - ١٧

(٢) صدرت اشارة لاسلكية في اليوم التالي ، الرابع من ايلول الى جميع الغواصات هذا نصها : « يأمر الفوهرر ، بعدم القيام بأية عملية حربية ، مهما كان السبب ضد أية باخرة من بواخر الركاب ، حتى ولو كانت تحت حراسة حربية »

يومين الى بريطانيا بنسف هذه الباخرة رغبة منها في استفزاز الولايات المتحدة ودفعها الى الاشتراك في الحرب .

وسيطر القلق فعلاً على دوائر « الويلهلمشتراسه » من رد فعل امريكا على الكارثة التي أدت الى موت ثمانية وعشرين من المواطنين الامريكيين. واستدعى وايزساكر بعد يوم واحد من غرقها ، اليكزاندر كيرك ، القائم بأعمال السفارة الامريكية ونفى له ان تكون الغواصات الألمانية هي المسؤولة عن غرقها . مؤكداً ان أية قطع بحرية المانية لم تكن قريبة من مكان الحادث آنذاك وذكر وزير الدولة ايضاً في شهادته اللاحقة في نورمبرغ، انه راح يقابل الاميرال ريدر تلك الليلة . ليذكره كيف ادى اغراق الألمان للباخرة لوزيتانيا في الحرب الكونية الاولى الى دخول امريكا الصراع العالمي، وليحثه «على اتخاذ كل وسيلة» لتجنب استفزاز الولايات المتحدة وقد أكد له الاميرال الألماني ان «أية غواصات المانية لا يمكن ان تكون قد اشتركت في عمل كهذا » [١] .

ودعا الاميرال ريدر بطلب ملح من ريبنتروب ، الملحق البحري الامريكي لمقابلته في السادس عشر من ايلول ، وصرح له بأنه قد تلقى معلومات من جميع غواصاته ، وقد اصبح نتيجة لذلك على ثقة « من ان الغواصات الألمانية ليست المسؤولة عن غرق الباخرة اثينيا » ، وطلب اليه ابلاغ حكومته ذلك ، ففعل الملحق الامريكي ما طلبه منه [٢].

ولكن امير البحر الاكبر لم يكن قد روى الحقيقة . اذ لم تكن جميع الغواصات التي كانت تعمل في البحر في الثالث من ايلول قد عادت الى قواعدها.

---

(١) مذكرة وايز ساكر عن محادثته مع كيرك (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣ - ٤) وشهادته في نورمبرغ عن حديثه مع ريدر (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٤) ص ٢٨٧)

(٢) يبدو ان برقية الملحق الامريكي لم ترسل بالرموز ، فقد ظهرت صورة من البرقية في اوراق البحرية الالمانية في محاكمات نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٣٥) ص ٥٢٧ ٥٢٩) .

فلقد كان بين هذه الغواصات الغواصة (يو ٣٠) التي يقودها الملازم الاول ليمب، التي لم ترس في مياه الوطن حتى السابع والعشرين من ايلول . وقد استقبلها الاميرال دونيتز قائد سلاح الغواصات . الذي تولى بعد سنوات وفي نورمبرغ وصف الاستقبال ، وكشف اخيراً النقاب عـــن القصة الحقيقية لغرق الباخرة « اثينيا » ، اذ قال :

« قابلت القبطان، الملازم الاول ليمب، على رصيف ويلهلمسهافن عندما كانت الغواصة تدخل الميناء ، وطلب ان اسمح له بالتحدث الي على انفراد . ولاحظت فوراً ، انه كان يبدو تعساً وقد ذكر لي فوراً بأنه يعتقد بأنه مسؤول عن غرق الباخرة اثينيا في منطقة الطريق الشمالية ، وكان تنفيذاً لتعليماتي السابقة ، يراقب مراقبة دقيقة ظهور أية بواخر تجارية مسلحة في مداخل الجزر البريطانية، وقد نسف بطوربيداته باخرة تبيّن فيما بعدمن الاذاعات اللاسلكية انها اثينيا وكان يخالها طراداً تجارياً مسلحاً يقوم بأعمال الدورية .

« وبعثت بليمب فوراً وبالطائرة الى برلين ليقدم تقريراً الى هيئة اركان البحرية . وأمرت في غضون ذلـــك بالسرية المطلقة كاجراء وقائي مؤقت . وتلقيت في صبيحة اليوم التالي ، أو في نفس اليوم . فقد نسيت التاريخ تماماً امراً من القيادة العامة يقول:

« ١ – يجب الحفاظ على سرية القضية تماماً » .

« ٢ – لا ترى القيادة العامة للاسطول ضرورة لمحاكمة القبطان امام محكمة عسكرية ، نظراً لقناعتها بأنه ارتكب ما ارتكبه عن حسن نية » .

« ٣ – ستتولى القيادة العامة الايضاحات السياسية اللازمة » .

« ولم يكن لي على أي حال دور مهما كان شكله في الاحداث السياسية التي حملت الفوهرر على الإدعاء بأن الغواصات الالمانية لم

تكن مسؤولة عن اغراق اثينيا » [١] .

ولكن دونيتز الذي يفسر وجوده في الميناء لاستقبال الغواصة (يو ٣٠) عند عودتها الشكوك التي كانت تساوره منذ البداية في الموضوع كله، قد اشترك فعلاً في تغيير سجل الغواصة ، وفي تغيير يومياته نفسها ، رغبة منه في طمس معالم أي دليل يقوم على الحقيقة . فقد اعترف هو نفسه في نورمبرغ ، بأنه قد اصدر الأمر بمحو أي ذكر للباخرة اثينيا من سجل الغواصة المذكورة، كما طمس أية اشارة اليها في يومياته . وقام كذلك بحمـــل بحارة الغواصة على أداء اليمين بالحفاظ على السرية المطلقة [٢].

وتحتفظ جميع القيـــادات العسكرية لجميع الدول في ايام الحروب بأسرار داخلية غير مستحبة ، وكان من المفهوم ، ان لم يكن من المقبول ، ان يصر هتلر، كما شهد امير البحر ريدر في نورمبرغ فيما بعد، على الإحتفاظ بسرية موضوع اثينيا، لا سيما وان القيادة البحرية العليا ، كانت تظن نفسها صادقة عندمـــا نفت اولاً مسؤولية المانيا عن اغراقها . وكان لا بد من ان تحس بالكثير من الضيق اذا تحتم عليها ان تعترف بهذه المسؤولية فيما بعد. ولكن هتلر لم يكتف بذلك ابداً. فلقد راح غوبلز وزير الدعاية يذيع بنفسه مساء الأحد الثـــاني والعشرين من تشرين الاول ، كما يذكر مؤلف هذا الكتاب تماماً ، ليتهم في اذاعتـه تشرشل باغراق

---

(١) شهادة دونيتز المشفوعة باليمين في نورمبرغ (المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ١١٤ ، ١١٥)

٢ – نقل ضباط الغواصة ومعهم قائدها ليمب وبعض بحارتها كذلك الى الغواصة « يو ١١٠ » وقد غرقوا جميعاً معها عندما غرقت في التاسع من ايار عام ١٩٤١ . وقـــد اصيب احد البحارة بجراح من نيران الطائرات بعد بضعة ايام من غرق الباخرة اثينيا . وانزلته الغواصة في ميناء ريكجافيك في السلايزة ، في منتهى السرية ، ثم نقل فيما بعد الى معسكر لأسرى الحرب في كندا ، ووقـع بعد انتهاء الحرب على شهادة مشفوعة باليمين تسرد الحقائق . ويبـــدو ان الألمان كانوا يخشون من ان « يتحدث » ولكن يبدو انه لم ينبس ببنت شفة حتى انتهاء الحرب . (المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ١٥٦ - ١٥٨) .

الباخرة «اثينيا» . وطلعت صحيفة النازيين الرسمية – الفولكشاير بيوباختر – في اليوم التالي تنشر قصة في صدر صفحتها الاولى تحمل العنوان الكبير التالي « تشرشل يغرق اثينيا » ، ذكرت فيها ان وزير البحرية البريطانية قد وضع قنبلة موقوتة داخل الباخرة. وقد ثبت في محاكمات نورمبرغ ان الفوهرر قد أمر شخصياً باذاعة ذلك الحديث ونشر ذلك المقال ، وانه على الرغم من ان ريدر ودونيتز ووايز ساكر كانوا قد أحسوا بالامتعاض من هذه الكذبة الصارخة ، إلا انهم لم يجرؤوا على القيام بأي عمل تجاهها .[1]

وقد قدر لهذا الجبن من جانب الاميرالين ومن جانب هذا الكبير المسؤول في وزارة الخارجية والمصر على اظهار نفسه بمظهر المناوىء للنازية ، وهو جبن كان يشترك معهم فيه كل الاشتراك القادة العسكريون كلما ظهر سيد الحرب النازي المهووس بمظهر الجنون ، ان يقود المانيا الى حقبة من اكثر الحقب سواداً في تاريخها .

هتلر يقترح الصلح

دوّنت في يوميتي بتاريخ العشرين من ايلول ... « تتحدث الصحف صراحة اليوم عن الصلح والسلام » ويكاد يؤكد جميع الألمان الذين التقيت بهم اليوم ان السلام سيعود ثانية في غضون شهر . ان معنوياتهم عالية للغاية » .

واصغيت في القاعة المذهبة والمزخرفة في دانزيغ قبل ظهر اليوم السابق الى

---

١ - شهادة ريدر في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٤) ص ٧٨) ، وشهادة وايز ساكر (نفس المصدر ص ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٩٣) وشهادة هانز فريتشه من كبار موظفي وزارة الدعاية (نفس المصدر (١٧) ص ١٩١ و ص ٢٣٤ - ٢٣٥) ، ومقال الفولكشاير بيوباختر في المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ١٠٠٨ . واذاعة غوبلز من (يوميات برلين المؤلف ص ٢٣٨) .

هتلر وهو يلقي اول خطـاب له بعد خطابه في الرايشستاغ في الأول من ايلول معلناً بدء الحرب وعلى الرغم من انه كان ثائراً اذ حيل بينه وبين لقـاء هذا الخطاب في وارشو ، التي كانت حاميتها لا تزال صامدة ببسالة ، وكان يقطر سماً كلما جاء على ذكر بريطانيا العظمى ، إلا انه اشار بايماءة خفيفة الى موضوع الصلح اذ قال : « ليست لدي أية اهداف حربية ضد بريطانيـا وفرنسا » ثم مضى يقول : « وانني لأشعر بالعطف على الجندي الفرنسي البـاسل ، فهو لا يعرف السبب الذي يدفعه الى الحرب » . وراح يبتهل الى الله « الذي بارك قواتنا ان يهب الفهم للشعوب الاخرى لتدرك ما في هذه الحرب من ضير . وان يحملها على التفكير في نعم السلام » .

وشنت صحافة المانيا واذاعاتها في السادس والعشرين من ايلول ، أي في اليوم الذي سبق سقوط وارشو ، حملة ضخمة من اجل السلام . وكانت النغمـة التي سادت هذه الحملة والتي دونتها في يومياتي . ترى لماذا تريد بريطانيا وفرنسا ان تحاربا الآن . ليس ثمة ما يستحق ان يحارب المرء بسببه . ان المانيـا لا تريد شيئاً في الغرب » .

وسرعان ما انضمت روسيا بعد يومين اثنين ، وبعد ان شرعت تهضم بسرعة حصتها في بولندة ، الى حملة الصلح هذه . فقد طبخ مولوتوف وريبنتروب اثناء الاجتماعات التي دارت لعقد معاهدة الصداقة والحدود النازية – السوفياتيـة بما فيها من بنود سرية لاقتسام اوروبا الشرقية ، تصريحاً مشتركاً سرعان ما اذاعاه في الثـامن والعشرين من ايلول ، داعيـاً بصوت جهوري طنان الى الصلح والسلام .

وقد جاء في هذا التصريح المشترك ان حكومتي المانيا وروسيا بعد ان ...
« توصلتا بصورة نهائية الى تسوية واضحة للمشاكل الناجمة عن تفسخ الدولة البولندية ، وبعد ان خلقتا اساساً ثابتاً للسلام الدائم في اوروبا الشرقية ، تعربان بصورة مشتركة عن اعتقادهمـا بأن مما يخدم المصالح الحقيقية لجميع الشعوب ، التوصل الى انهاء حالة الحرب

القائمة بين المانيا وانكلترا وفرنسا. وستوجه هاتان الحكومتان تبعاً لذلك جهودهما المشتركة لتحقيق هذا الهدف في اسرع وقت ممكن » .

« أما اذا ظلت جهود هاتين الحكومتين دون جدوى، فان هذا الواقع يعرض آنذاك الحقيقة الماثلة وهي ان انكلترا وفرنسا ستكونان في هذه الحالة مسؤولتين عن استمرار الحرب .. » .

هل اراد هتلر السلام حقاً او انه كان يريد مواصلة الحرب ، وان يحمّل بمساعدة روسيا المسؤولية في استمرارها على الحليفتين الغربيتين ؟ من المحتمل ان لا يكون هتلر نفسه قد عرف ماذا يريد ، وان كان متأكداً الى حدٍ ما من النتيجة .

فقد اجرى هتلر في السادس والعشرين من ايلول حديثاً طويلاً مع داهليروس الذي لم يكن قد تخلى بأي حال من الاحوال عن جهوده الهادفة الى السلام . وكان السويدي الذي لا يكل ولا يمل ، قد التقى قبل يومين بصديقه القديم اوغيلفي فوربس في مدينة اوسلو، حيث كان المستشار السابق للسفارة البريطانية في برلين يعمل الآن مستشاراً لمفوضية بلاده في عاصمة النروج . وتروي مذكرة سرية كتبها الدكتور شميدت [1] ان داهليروس نقل الى هتلر ، قول فوربس بأن الحكومة البريطانية ساعية الى الصلح . واضاف ان المشكلة الوحيدة التي تشغل بالها ، هي كيف يمكن لها ان تصون ماء وجهها ؟

ورد هتلر قائلاً ... « اذا كان البريطانيون يريدون الصلح حقاً ، فان في وسعهم الوصول اليه في غضون اسبوعين دون اراقة ماء الحياء في وجوههم » . واضاف الفوهرر ان على البريطانيين اولاً ان يهيئوا انفسهم لتقبل الحقيقة الواقعة وهي « ان بولندة لن تعود الى الوجود ثانية » . ومضى يقول .. انه اذا تحقق هذا الشرط ، فانه على استعداد لضمان «الوضع الراهن فيما تبقى من اوروبا»

---

١ ـ مذكرة شميدت عن الحديث ـ وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٤٠ ـ ١٤٥

وان يضمن ايضاً « سلامة » بريطانيـــا وفرنسا والاراضي المنخفضة (هولندة وبلجيكا واللوكسمبورغ) . وانتقل النقاش الى الطريقة التي يمكن فيها الشروع بمحادثات الصلح . واقترح هتلر ان يتولى موسوليني ذلك ، ولكن داهليروس رأى ان ملكة هولندة قد تكون اكثر « حياداً » للقيام بهذه الوساطة . واقترح غورنغ الذي كان يشهد المقابلة ايضاً ان يجتمع اولاً ممثلون عن بريطانيا والمانيـا سراً في هولندة ، وان تقوم الملكة في حالة احراز هؤلاء الممثلين تقدمـــاً في مفاوضاتهم ، بدعوة البلدين علناً الى اجراء محادثات الهدنة . ووافق هتلر الذي كان يعلن شكه في حقيقة « رغبـة البريطانيين في الصلح » اخيراً ، على اقتراح السويدي بأن « يسافر في اليوم التـالي الى انكلترا ، ليسبر غورهـــا بصدد الاتجاه المشار اليه » .

وقال هتلر لداهليروس وهو يودعه : « في وسع البريطانيين ان يحصلوا على الصلح اذا ارادوه ، ولكن يتحتم عليهم ان يبادروا بسرعة الى تحقيقه » .

كان هذا أحد الاتجاهات في تفكير الفوهرر . وقد اوضح اتجاهـــاً آخر لقادته العسكريين . وقد روى الفريق هولدر في يوميته التي دونها بتاريخ الخامس والعشرين من ايلول ، تلقيه « كلمة من الفوهرر عن خطته للهجوم في الغرب » . وفي السابع والعشرين منه أي بعد يوم واحد من تأكيده لداهليروس استعداده لعقد الصلح مع بريطانيا ، دعا هتلر القـادة العامين لفروع القوات المسلحة الى اجتماع عقد في دار المستشاريـة وابلغهم قراره « بالهجوم في الغرب ، في اسرع وقت ممكن ، طالمـا ان الجيوش الفرنسية والبريطانية مـــا زالت مفتقرة الى الاستعداد » . وذكر براوخيتش ان الفوهرر حدد الثاني عشر من تشرين الثاني موعداً للهجوم .[1] وليس ثمـة من شك في ان هتلر قد استشاط حماساً في ذلك اليوم بالانباء التي وصلته عن استسلام وارشو . ومن المحتمل ان يكون قد فكر

---

١ ــ شهادة براوخيتش في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٥٧٣). وهناك مذكرة في يوميات القيادة البحرية الألمانية العليا تؤكد هذه الفقرة المقتبسة

بأن في الامكان اجبار فرنسا على الأقل على الركوع بنفس السهولة التي تم فيهـا اخضاع بولندة ، وان كان هولدر قد دوّن بعد يومين في يومياته بأنه « يرغب » في ان يوضح للفوهرر ان « الاسلوب الذي اتبع في الحملة البولندية لا يصلـح كوصفة في حملة مماثلة في الغرب ، اذ ان هذا الاسلوب لا يجدي مع جيش قوي التماسك » .

ومن المحتمل ان يكون شيانو قد افلح في النفاذ الى عقل هتلر وتفهمه احسن من غيره عندما جرى له حديث طويل مع المستشار في الاول من تشرين الأول. وقد وجد وزير خارجية ايطاليا الشاب ، الذي كان يكره الألمان الآن كراهية شديدة ، ولكنه يرى نفسه مضطراً الى التظاهر بصداقتهم ، الفوهرر في وضع الواثق تماماً من موقفه . ولاحظ شيانو ان الفوهرر وهو يحدد له خططه ، كانت عيناه تومضان ببريق خاطف ينطوي على الشر ولا سيما عندمـا يتحدث عن طرقه ووسائله في القتال . وكتب الزائر الايطالي ملخصاً انطباعاته ما يلي :

« .. يبدو لي ان هناك املاً يداعب خيال هتلر ويغريه ، وهو ان يقدم لشعبه سلاماً ثابتاً بعد النصر العظيم الذي حققه له امـا اذا وجد ان الوصول الى هذا السلام يتطلب منه بعض التضحية ، حتى ولو ضؤلت ، مما يحرمه من بعض الثمار التي يعتبرهـا مشروعة لانتصاره ، فانه يؤثر والحالة هذه المضي الى المعركة ، وايثـاره هذا يبلغ الف ضعف ما يحس به من رغبة في السلام » [1]

وخيّـل الي وانا اجلس في دار الرايشستاغ مستمعاً ظهر السادس من تشرين الأول الى هتلر وهو يوجه نداءه من اجل السلام ، ان هذا الحديث اسطوانـة

---

١ ـ لم يكن موسوليني يشارك هتلر ثقته في النصر ، وهي الثقة التي نقلها شيانو اليه في تقريره عن محادثاته . وكان يرى ان البريطانيين والفرنسيين « سيصمدون ، وان ليس من الخير في شيء خفاء هذه الحقيقة » . وسجل شيانو في يومياته بتاريخ الثالث من تشرين الأول « ان موسوليني يشعر بشيء من الألم ، والغيظ ، لهذا الارتفاع المفاجيء الذي حققه هتلر في طريق الشهرة » (ا يوميات شيانو ص ١٥٥) و (اوراق شيانو الدبلوماتية ص ٣٠٩ ـ ٣١٦) .

تدور على الحاكي « الغرامافون » للمرة الخامسة أو السادسة . وعدت بذاكرتي الى المرات العديدة التي استمعت اليه فيهـا يتحدث من فوق هذا المنبر نفسه ، وبعد آخر فتح حققه ، وبنفس اللهجة الواضحة من التلهف والاخلاص ، داعياً الى السلام الذي يبدو اذا تجاهلنا ضحيته الاخيرة ، سلاماً كريماً ومعقولاً وقد كرر نفس هذه المعزوفة في هذا اليوم المشمس من ايام الخريف ، بما عرف عنه من بلاغة في القول وزيف فيه . وكان خطابه هذه المرة طويلاً بـل ولعله من اطول الخطب العامة التي ألقاها في حياته ، وعندما وصل الى نهايته ، وبعد اكثر من ساعة كاملة من سرد المغالطات النموذجية للتاريخ ، والتفاخر بما حققه السلاح الألماني فى بولندة « تلك الدولة المضحكة » ، راح يعرض اقتراحاتـه للسلام معدداً الاسباب التي تحمله على تقديمها فقال :

« لقد اتجهت محاولاتي الاساسية ، كلها الى تحرير علافاتنـا مع فرنسا من كل اثر من آثار سوء النية ، وان اجعلهـــا مقبولة الى البلدين ... وانني لأعلنها كلمة صريحة وهي ان ليس لألمانيـا أية مطالب اخرى من فرنسا ... وقد رفضت ايضاً ان اشير بكلمة واحدة الى الالزاس واللورين .. وقد اعربت لفرنسا دائماً عن رغبتي في ان ادفن عداوتنا القديمة ، وان اقرّب بين هاتين الأمتين اللتين تتميزان بالامجاد العريقة .. »

وانتقل الى بريطانيا فقال ...

« ولم آل جهداً كذلك في تحقيق التفاهم بين انكلترا والمانيا ، بل ومضيت الى ابعد من ذلك ، اذ حاولت اقامة صداقة المانية انكليزية . ولم اقم في أي وقت من الأوقات ، ولا في أي مكان من الاماكن بعمل يناقض المصالـح البريطانية .. واني لأعتقد حتى الآن ، ان السلام الحقيقي لـــن يستتب في اوروبا وبالتالي في العالم بأسره ، إلا اذا توصلت المانيا وانكلترا الى التفاهم » .

وتحدث عن السلام فقال ...

ولمــــاذا نخوض هذه الحرب في الغرب ؟ هل نخوضها لإعادة بولندة ؟ ان بولندة التي خلقتها معاهدة فرساي لن تعود ثانية الى الوجود ... فمشكلة اقامة الدولة البولندية لن تحل مطلقاً بالحرب في الغرب ، وانما تحل بالاتفاق بـــين روسيا والمانيا ... وليس من المعقول ان تعرض ملايين الارواح للفناء ، ومــا قيمته الملايين من الممتلكات للدمار ، لنعيــد تأسيس دولة اعتبرت منذ ولادتهـــا « طرحاً » جهضت به معاهدة فرساي ، وذلك عند جميع الناس باستثناء الذين يمتون الى اصل بولندي ... فهل هناك من سبب آخر للحرب » ؟

« اما اذا كنا نخوض هذه الحرب حقاً ، ليقيم اعداؤنا في المانيا نظاماً جديداً من الحكم ، فان ملايين الأرواح سيضحى بها عبثاً ... لأن هذه الحرب في الغرب لا يمكن لها ان تحـل اية مشكلة أو قضية ... »

ولكن ثمة قضايا عدة يجب حلها . وراح هتلر يعدد قائمة كاملة بهذه القضايا ، فذكر منها « تشكيل دولة بولندية » على الرغم من انه كان قد اتفق قبل وقت قصير مع الروس على عدم السماح بوجودها ، و «حل المشكلة اليهودية وتسويتها» وقضية مستعمرات المانيا السابقة ، وانعاش التجارة الدولية و « السلام المضمون بلا قيد او شرط » و « خفض التسلّح »و« وضع الأنظمة للحرب الجوية وحرب الغازات والغواصات وما شابهها » وتسوية مشاكل الاقليات في اوروبا .

واقترح « لتحقيق هــذه الاهداف العظيمة » عقد مؤتمر للدول الاوروبية الكبرى ، شريطة « اتخاذ الاعدادات اللازمة والكامـــلة له مسبقاً » ... ثم مضى يقول :

«ويستحيل ان يتمكن مؤتمر كهذاغايته تقرير مصيرهذه القارة لأجيال عدة ، من تحقيق اهدافه والقيام بمشاوراته ، في الوقت الذي تواصل فيه المدافع هديرها والجيوش الكاملة التعبئة فرض ضغطها عليه .

« واذا كان لا بد من حل هذه المشاكل ان عاجلاً وان آجلاً ، فان من المنطق كل المنطق ، المبادرة الى الحـــل قبل ان يتعرض الملايين من الناس للموت والبلايين من الثروات للدمار . ولا يمكن للمرء ان يتصور استمرار هذه الاوضاع الراهنة في الغرب . فكل يوم يمضي يتطلب المزيد مــن التضحيات ... وستتبدد ثروة اوروبا القومية في انتاج القنابل والقذائف ، وستهدر حيوية كل بـــلد من البلاد في ميادين القتال ...

« وهناك شيء واحد لا يسع المرء إلا التثبت منه . فقد علمنا التاريخ العالمي ، انه لا يمكن ان يكون هناك منتصران ، بل عدد كبير من الخاسرين دائماً . فهل للشعوب التي تحمل مثل هذا الرأي ، وهـل لقادتها الذين يشاطرونها اياه ايضاً ان يردوا على ما أقول . وليرفض اولئك الذين يعتبرون الحرب الحل الأمثل ، هذه اليد التي امدها اليهم » .

وانتقل بفكره الى تشرشل فقال ...

« امـــا اذا تغلبت افكار المستر تشرشل وشركاه ، فسيكون هذا البيان آخر ما سأقوله. ولا بد من ان يكون هناك قتال والحالة هذه ... ولن يكون هناك تشرين ثان آخر في التاريخ الألماني » (اشارة الى هدنة عام ١٩١٨) .

ودوّنت في يومياتي عند عودتي من الرايشستاغ في ذلك اليوم . انني اشك كل الشك في ان البريطانيين والفرنسيين سيعيرون هـــذه الاقتراحات الغامضة إلتفاتهم ولو لمدة « خمس دقائق » . لكن الألمان كانوا متفائلين . وابتعت وانا في طريقي الى دار الاذاعة ، لأبث رسالـتي الى امريكا تلك الليلة ، نسخة من الطبعة المبكرة لصحيفة هتلر « الفولكشاير بيوباختر » ، ووجدتها تحمل العناوين النارية التالية :

« ارادة المانيا في السلام – لا اهداف حربية لنا مع انكلترا

وفرنسا لا مطالب اخرى لنا سوى المستعمرات السابقة - خفض التسلح - التعاون مع جميع دول أوروبا - اقتراح عقد مؤتمر » .

ونعرف الآن من الوثائق الألمانية السرية المصادرة، ان دوائر الويلهلمشتراسة، كانت قد تلقت تقارير من باريس عن طريق السفيرين الاسباني والايطالي، شجعتها على الاعتقاد بأن الفرنسيين لا يميلون الى استمرار الحرب . وابلغ السفير الاسباني برلين في الثامن من ايلول ان بونيه - وزير خارجية فرنسا - نظراً لما تلقاه الحرب من كراهية في فرنسا، سيحاول الوصول الى تفاهم فور انتهاء العمليات في بولندة . وهناك بعض الدلائل التي تشير الى انه على اتصال بموسوليني لتحقيق هذه الغاية » [1]

وسلّم اتوليكو - السفير الايطالي في برلين الى وايز ساكر في الثاني من تشرين الأول، نص الرسالة الأخيرة التي تلقتها حكومته من سفير ايطاليا في باريس، وهو يذكر فيها ان غالبية اعضاء الوزارة الفرنسية يؤيدون عقد مؤتمر للصلح، ولم تعد القضية الآن اكثر من مجرد « تمكين فرنسا وانكلترة من انقاذ وجهيهما »، لكن رئيس الوزارة ديلاديه لم يكن على الغالب من رأي هذه الاكثرية . [2]

وكانت هذه المعلومات صحيحة . ففي السابع من تشرين الأول، رد ديلاديه على هتلر . وأعلن ان فرنسا لن تلقي سلاحها، ما لم تحصل على ضمانات صحيحة « لقيام سلام حقيقي وأمن عام » ولكن هتلر كان اكثر اهتماماً بالاستماع الى رأي تشمبرلين منه الى رأي الرئيس الفرنسي . وراح في العاشر من

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٧) ص ٢٤ .

٢ - تلقى الألمان من الايطاليين بعد فترة وجيزة أي في السادس عشر من تشرين الثاني ان معلوماتهم من باريس تشير الى ان « الماريشال بيتان، يعتبر المدافع الأول في فرنسا عن سياسة السلام . واذا قدر لقضية السلام ان تغدو اكثر حدة في فرنسا فان بيتان سيلعب دوره فيها » (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٧) ص ٤١٤) . وكانت هذه هي الاشارة الأولى للألمان بأن بيتان قد يغدو نافعاً لهم فيما بعد . (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ١٩٧ - ١٩٨) .

تشرين الأول ، وفي غضون خطاب قصير القاه في الميدان الرياضي في افتتاح حملة اغاثة الشتاء « Winterhilfe » ، يؤكد مرة ثانية « استعداده للسلام » واضاف « ان ليس لألمانيا أي سبب يدعوها الى الحرب مع الدولتين الغربيتين » .

وجاء رد تشمبرلين في الثاني عشر من تشرين الأول وكان بمثابة « دوش » بارد للشعب الألماني ان لم يكن لهتلر .[1] فقد اطلق رئيس الوزراء على اقتراحات هتلر في خطاب القاه في مجلس العموم صفة « الغموض وعدم الثبات » ، واضاف انها « لا تنطوي على اية اقتراحات لتصحيح الاخطاء التي ارتكبت بحق تشيكوسلوفاكيا وبولندة » . وقال انه لا يمكن الركون ابداً الى « وعود الحكومة الألمانية الراهنة » . واذا كانت هذه الحكومة تريد السلام حقاً فعليها ان تقيم الدليل على رغبتها هذه « بالافعال لا بالاقوال » . وطلب من هتلر « دليلاً مقنعاً » على انه يريد السلام حقاً .

وهكذا تبيّن ان « رجل ميونيخ » - اشارة الى تشمبرلين ، لم يعد مستعداً لقبول خديعة هتلر ووعوده . وصدر بيان رسمي الماني في اليوم التالي ، أي الثالث عشر من تشرين الأول ، يعلن ان تشمبرلين برفضه عرض هتلر للسلام ، قد اختار الحرب عامداً متعمداً ووجد الديكتاتور النازي الآن المبرر الذي يريده .

ونحن نعرف من الوثائق الألمانية المصادرة الآن . ان هتلر ، لم يظل مكتوف اليدين بالفعل في انتظار رد رئيس الوزراء ، قبل ان يصدر أوامره بالاستعداد للهجوم الفوري في الغرب . واستدعى في العاشر من تشرين الأول ، قادته

---

١ - شهدت برلين في اليوم السابق أي في الحادي عشر من تشرين الاول فتنة تطالب بالسلام. فقد اعلنت اذاعة على موجة « برلين » في ساعات الصباح الباكر ان الحكومة البريطانية قد سقطت وان الهدنة الفورية ستقع في كل لحظة . وعندما انتشرت الشائعة عمت العاصمة الالمانية موجة طاغية من الفرح . وراحت العجائز يقذفن بما اشترينه من « ملفوف » من سوق الخضار في الهواء ، وتحطمت بعض المظلات في السوق ، من جراء مظاهرة الفرح هذه ، ومضت العجائز الى اقرب حانة ليشربن « الشنابز » نخب السلام . (شراب الماني) .

العسكريين وتلا على مسامعهم مذكرة مطوّلة عن حالة الحرب ، واوضاع العالم، وقذف في وجوههم بتوجيهه السادس عن ادارة دفة الحرب .[1]

واثار اصرار الفوهرر في نهاية شهر ايلول على وجوب شن الهجوم في الغرب في اسرع وقت ممكن، غضب القيادة العليا للجيش . وتواطؤ براوخيتش وهولدر ومعهما عدد آخر من القادة العسكريين على ان يقيموا الدليل للزعيم ، بأنه لا يمكن البحث الآن في موضوع أي هجوم فوري . وقالوا ان عملية اصلاح الدبابات التي استخدمت في بولندة ، واعدادها للعمل من جديد تتطلب عدة اشهر أخرى . وقدم الفريق توماس ارقاماً تثبت ان هناك عجزاً شهرياً قدره ستمائة الف طن في انتاج الفولاذ . وقدم الفريق فون ستولبناغل مدير تموينات الجيش، ان الذخيرة الموجودة لا تكفي « لأكثر من ثلث فرقنا الحالية ، لمدة اربعة عشر يوماً من القتال » ، وهو أمد لا يكفي مطلقاً لكسب الحرب ضد فرنسا . ولكن الفوهرر لم يشأ الاصغاء الى قائده العام ورئيس هيئة اركان الحرب ، عندما قدما اليه تقريراً رسمياً عن نقاط الضعف في الجيش ، في السابع من تشرين الأول . وذكر الفريق يودل وهو الرجل المطواع الثاني في القيادة العامة للقوات المسلحة بعد كايتل، في حديث مع الفريق هولدر ، ان «ازمة حادة على وشك الوقوع»، وذلك بسبب معارضة الجيش للهجوم في الغرب وان الفوهرر « يشعر بالمرارة لأن العسكريين لا يطيعونه » .

واستدعى هتلر نتيجة هذه المعارضة ، قادته العسكريين الى اجتماع عاجل في الساعة الحادية عشرة من صباح العاشر من تشرين الأول . ولم يطلب الفوهرر منهم الرأي والمشورة ، وانما اكتفى بأن يردد على مسامعهم التوجيه السادس الذي اصدره في اليوم السابق ، والذي حدد لهم ما يفعلونه ... وهذا نصه :

---

١ ـ مذكرة هتلر (المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٨٠٠ ـ ٨١٤) والتوجيه السادس (نفس المصدر (٦) ص ٨٨٠ ـ ٨٨١).

« اذا اتضح في المستقبل القريب ان انكلترا ، وان فرنسا التي تعمل في ظل قيادة حليفتها ، لا ترغبان في الوصول بهذه الحرب الى نهايتها ، فانني عازم عزماً قاطعاً على العمل بحزم ، وبصرامة ، ودون أي ابطاء ...

« ولهذا فانني اصدر الأوامر التالية :

« ا – يجب اتخاذ الاهبة والاعداد لعملية هجومية ... عـــن طريق اراضي اللوكسمبورغ وبلجيكا وهولندة . ومـــن الواجب تنفيذ هذا الهجوم ، في اقرب تاريخ ممكن .

« ب – ويكون الهدف من هـذا الهجوم هزم اقوى جزء من جيش فرنسا العامل ، وهزم حلفائه الذين يحاربون الى جانـــبه ، والحصول في الوقت نفسه عـــلى اوسع منطقة ممكنة من هولندة وبلجيكا وفرنسا الشمالية ، لاستخدامها قواعد ، لتسيير دفة حرب ناجحة في الجو والبحر ضد انكلترا ...

« وانني اطلب الى القادة العامين للقوات المسلحة ، ان يقدموا الي في اسرع وقت ممكن ، تقارير مفصلة عن الخطط التي يضعونها على اساس هذا التوجيه ، وان يواصلوا اطلاعي على كل شيء ... »

وكانت المذكرة السرية المؤرخة كذلك في التاسع من تشرين الأول ، والتي تلاها هتلر على مسامع قادته العسكريين قبل ان يقدم اليهم توجيهه هذا ، مـن اكثر الوثائق التي دوّنها العريف النمسوي السابق تأثيراً . اذ تظهر هذه الوثيقة بالاضافة الى مفهوم الألمان عن التاريخ ، ومفاهيمهم عن السوقية (الاستراتيجية) العسكرية وعن الاساليب التعبوية (التاكتيك) ، وهي مفاهيم بارزة كل البروز. بعض الاحساس بالغيب والتكهن عن الطريقة التي ستسير فيها الحرب في الغرب وما يمكن ان تؤدي اليه من نتائج . ويقول هتلر في مذكراته ، ان الصراع بين

المانيا والدولتين الغربيتين ، الذي ما فتىء مستمراً منذ انحـلال الرايخ الألماني الأول في معاهدة ويستفاليا (مونيستر) في عـــام ١٦٤٨ « يجب ان يخاض بشكل أو بآخر » . ولكنه لا يرى مانعاً ، على أي حال ، بعد النصر العظيم في بولندة ، من « انهـــاء الحرب فوراً » شريطة عدم المساس بالمكاسب التي حققتها المانيا في بولندة . ومضى يقول :

« وليس القصد من هذه المذكرة ان تدرس الاحتمالات في هذا المجال ، ولا حتى ان تأخـذ هذه الاحتمالات في موضـع العناية والاهتمام . ولذا فسأحصر الحديث فيها ، في الحالة الأخرى ليس إلا ، وهي ضرورة مواصلة القتال . وهدف المانيا من هذه الحرب « التصرف » عسكرياً وبصورة نهائية بالغرب ، أي تحطيم ما لدى الدولتين الغربيتين من قوة وطاقة ، لجعلها عاجزتين عن معارضة وضع اسس الاستقرار للشعب الالماني في اوروبا وتطويره المقبل . .

« ومن الواجب بالنسبة الى العالم الخارجي . ان يمر هذا الهدف السرمدي ، بمراحل مختلفة من التعديلات في شؤون الدعاية ، على ان لا يشمل التعديل الهدف الحربي نفسه وسيظل هذا الهدف كما هو الآن تحطيم اعدائنا الغربيين » .

وكان القادة العسكريون قد اعترضوا على الاسراع في التحول الى الهجوم في الغرب . لكن عامل الزمن في رأيه ، يقف الى جانب العدو . وراح يذكر هؤلاء القادة ، بأن الانتصارات الضخمة في بولندة ، لم تتحقق ، إلا لأن المانيا لم تقاتل بالفعل إلا في جبهة واحدة . واضاف ان هذا الوضع ما زال قائماً ، ولكن ترى حتامَ يظل هذا الوضع على هذا النحو ؟ ومضى يقول :

« ولا يمكن لأي ميثاق أو أية معاهدة ، ان يضمنا بقاء روسيا السوفياتية على الحياد بشكل دائم ومستمر ، وثابت . وتقوم جميع العوامل في الوقت الحاضر ضد خروج روسيا على حيادها . ولكن هـذا الوضع قد يتبدل في غضون ثمانيـة اشهر او سنة او عدة

سنوات . وقـد اثبتت حوادث السنوات الاخيرة ، تفاهة مـا للمعاهدات من قيمة عند جميع الاطراف . ولعل اعظم ضمانة لنـا ضد وقوع هجوم روسي علينا ، تقوم في عرض حـــازم للقوة العسكرية الالمانية »

واشار الى ايطاليا فقال ان « الأمل في مساعدة الايطاليين لألمانيا » يعتمد اكثر ما يعتمد على بقاء الدوتشي على قيد الحياة ،وعلى طاقة الانتصارات الألمانية الجديدة على اغرائه . وعلينا ان لا ننسى في هذا الصدد عامـل الزمن ايضاً ، وهو ينطبق كذلك على بلجيكا وهولندة ، اللتين قد ترغمهما بريطانيا وفرنسا على التخلي عن حيادهما ، وهو أمر لا تستطيع المانيا ان تظل مكتوفة اليدين منتظرة حدوثه . وأضاف ان « عامل الزمن ايضاً ، يعمل ضد المانيا » بالنسبة الى موقف الولايات المتحدة نفسها .

واعترف هتلر ، بأن ثمة اخطاراً عظيمة تهدد المانيا من الاستمرار في الحرب أمداً طويلاً ، وشرع يعدد بعض هذه الاخطار فقد تنقلب الدول المحايدة من صديقة أو لا صديقة الى الجانب الآخر ، كما حدث في الحرب الكونية الأولى (لا ريب في انه كان يفكر في روسيا وايطاليا والولايات المتحدة ليس إلا) . وقد تجد المانيا بالنسبة الى « اوضاع المواد الغذائية والأولية المحدودة عندها » ، ان من الصعب عليها ايجاد السبل « للاستمرار في الحرب امداً طويلاً » . وقال ان الخطر الاكبر يقوم في « افتقار حوض الروهر الى المناعة » .واذا قدر لقلب الانتاج الصناعي الالماني هذا ان يصاب بأذىً فان اصابته ستؤدي الى « انهيار اقتصاد المانيا الحربي ، وبالتالي الى انهيار طاقتها على المقاومة » .

وارى لزاماً علينا ان نعترف بأن « العريف» السابق ، قد اظهر في مذكرته هذه فهماً مدهشاً للسوقية والتعبوية العسكريتين ، وان كان هذا الفهم مصحوباً بالافتقار البارز كل البروز الى القواعد الاخلاقية. فقد تضمنت المذكرة صفحات عدة عن الاساليب التعبوية لتطور حرب الدبابات والطائرات بالنسبة الى ما وقع في بولندة ،بالاضافة الى تحليل مستفيض للصورة التي يمكن تطبيق هذه الاساليب

التعبوية فيها في الجبهة الغربية ، مع تحديد الاماكن التي تصلح لهذا التطبيق . وقال هتلر في مذكرته ان النقطة المهمة الأولى ، هي تجنب حرب المواقع الثابتة التي تميزت بها الحرب الكونية الأولى . ومن الواجب استخدام الفرق المدرعة في تحقيق اختراق الجبهة اختراقاً حاداً ... ثم مضى يقول :

« وعلى هذه الفرق ان لا تضيع في متاهات الصفوف التي لا نهاية لها من البيوت في المدن البلجيكية . وقد لا يتوجب على هذه الفرق ابداً ان تهاجم المدن ، ولكن عليها ان تحافظ على تدفق الجيش وتقدمه ، وان تحول دون تثبيت جبهات العدو عن طريق زحوف ضخمة تشق طريقها عبر نقاط واضحة الضعف » .

وليس ثمة من شك في ان هذه الأقوال كانت استشفافاً دقيقاً كل الدقة للغيب ، ولما وقع حقاً في الجبهة الغربية ، وعندما يقرأها المرء ، يدهش كل الدهشة ، من عدم ظهور شخص واحد من الحلفاء ، تميز بمثل هذه الفراسة وقوة الاستبصار .

وتصح هذه الاقوال ايضاً على آراء هتلر السوقية (الاستراتيجية) . فهو يرى ان اللوكسمبورغ وبلجيكا وهولندة ، « هي المناطق الوحيدة الصالحة للهجوم » . ومن الواجب ان يهدف الهجوم الى غايتين عسكريتين اساسيتين ، اولاهما تحطيم الجيوش الهولندية والبلجيكية والفرنسية والبريطانية ، وثانيتهما كسب مواقع على القناة الانكليزية (المانش) وبحر الشمال ، يستطيع سلاح المانيا الجوي الاعتماد عليها واستخدامها « استخداماً قاسياً » ضد بريطانيا .

ويعود بعد ذلك الى نظرياته التعبوية فيقول ان زمام المبادرة ، هو أهم عامل .. ثم يمضي قائلاً :

« وتحتم طبيعة هذه الحملة الغريبة اللجوء الى الابتكار والمبادرة الى اقصى حدودهما . وذلك بتركيز القوات الدفاعية والهجومية في بعض النقاط ، بأعداد تفوق المألوف كالدبابات أو وسائل محاربة الدبابات وتخفيض هذه القوات من نقاط أخرى دون المستوى العادي .

وذكر هتلر لقادته العسكريين المترددين انه لا يرى « البدء بهذه العمليات في وقت مبكر للغــاية ، وان كان يرى ان الشروع فيها يجب ان يتم في كل الظروف ، اذا امكن في هذا الخريف » .

* * *

ولم يكن الاميرالات الألمان على النقيض من زملائهم الفرقاء ، بحاجــة الى « وخز » هتلر ، ليشرعوا في هجومهم ، على الرغم من تفوق الاسطول البريطاني على اسطولهم تفوقاً هائلاً . وظل ريدر يتوسل الى الفوهرر طيلة الايام الاخيرة من شهر ايلول ، والأيام الأولى من تشرين الأول ، لرفع « القيود » عن الاسطول ، واطلاق يده في العمل . وتم للأميرال ما يريده على درجات ومراحل . وتمكنت غواصة المانية في السابع عشر من ايلول ، من نسف حاملة الطائرات البريطانية « كوريجيوس » بطوربيداتها الى الجنوب الغربي من ايرلندة . واصدر ريدر في السابع والعشرين من ايلول اوامره الى بارجتي الجيب « دويتشلاند » و « غراف شبي » ، بمغادرة قاعدتي انتظارهما والشروع في مهاجمة الملاحة البريطانية . ولم يحــل منتصف شهر تشرين الأول ، حتى كانتا قد اغرقتا سبع بواخر تجارية بريطانية ، وسجلتا ظفراً لهما باغراق الباخرة الامريكية ، مدينة الصوّان (سيتي اوف فلينت . (City of Flint

وتمكنت الغواصة الألمانية (يو – ٤٧) الـتي يقودها الملازم الأول غونيتر برابين (Guenther prien) من اختراق الخطوط الدفاعية التي كانت تبدو في منتهى المناعـة بحيث لا يمكن اختراقها ، لميناء سكابافلو ، القاعـــدة البحرية البريطانية العظمى ، ونسف البارجة الضخمة رويال اوك (Royal Oak) ، وهي راسية في قاعدتها ، مما سبّب خسارة (٧٨٦) من ضباطها وبحارتها . ولقد استغل الدكتور غوبلز ، هذا العمل الحربي الجبار في دعايته ، واتاح للاسطول مكانة ضخمة في تفكير هتلر .

ومع ذلك فقد ظـل القادة العسكريون يؤلفون مشكلة بالنسبة الى هتلر . وعلى الرغم من مذكراته المطوّلة والمدروسة التي وجهها اليهم ، وعلى الرغم من

صدور توجيهه السادس داعياً اياهم الى الإعـداد لهجوم فوري في الغرب ، فقد ظلوا على ترددهم وتخاذلهم. ولم يكن هذا التردد ناجماً عن بعض النوازع الاخلاقية الـتي تحول دون اعتدائهم على بلجيكا وهولندة ، وانما كان ناتجاً عن تشككهم الكبير في النجاح في هـــذا الوقت . لكن في وسعنا استثناء واحد منهم على الأقل .

فهناك بعض الوثائق الألمانية التي تحسر النقاب عـن ان الفريق ويلهلم ريتر فون ليب قائد مجموعة الجيوش (ج) ، التي تقف مواجهة للفرنسيين على ضفاف الراين وعلى طول خط ماجينو، لم يكن يشك في امكان النصر في الغرب فحسب، بل كان يعارض ايضاً في مهاجمة هولندة وبلجيكا المحايدتين ، لدوافـع اخلاقية على الاقل . وقد اعد ليب في الحادي عشر من تشرين الأول أي في اليوم الذي تلا اجتماع هتلر بقادته العسكريين مذكرة مطولة بدوره بعث بها الى براوخيتش وغيره من الفرقاء. وذكر في مذكرته هذه ان العالم بأسره سينقلب ضدالمانيا...

«لمهاجمتها المرة الثانية في غضون ربع قرن بلجيكا المحايدة ، بعد ان تعهدت حكومتها بالحفاظ على هذا الحياد واحترامه قبل بضعة اسابيع ليس إلا » .

وراح بعد ان اسهب في سرد الحجج العسكرية ضد الهجوم في الغرب ،يدعو الى الصلح والسلام وقال .. « ان البلاد بأسرها تواقة للسلام »[1] .

ولكن هتلر كان يتلهف الآن للحرب والمعارك ، وكان قد ملّ مما خيّل اليه أنه جـبن لا يغتفر للقادة العسكريين . وتشاور براوخيتش وهولدر في الرابع عشر من تشرين الأول ، في اجتماع طويل عقداه . وكان قائد الجيش يرى «ثلاثة احتمالات ، اولهـــا الهجوم وثانيها الترقب والانتظار وثالثها احداث تبدلات جوهرية » . وقد دوّن هولدر هذه الاحتمالات في يوميته التي كتبها في ذلك اليوم ، واوضح بعـــد انتهـاء الحرب ان عبارة « التبدلات الجوهرية » عنت

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (١٠) ص ٨٦٤ - ٨٧٢ .

« الاطاحة بهتلر » . ولكن براوخيتش الضعيف الخائر العزيمة رأى ان مثل هذا الاجراء الجذري « يعتبر سلبياً بصورة جوهرية ، ويعرضنا الى الاصابـــة في مقاتلنا » . ولذا فقد قررا ان هذه الاحتمالات الثلاثة لا تتيح « مجالات للنجاح الحاسم » . وتبيّن ان الطريقة المثلى هي الاستمرار في الالحاف على هتلر .

واجتمع براخيتش الى الفوهرر مرة ثانية في السابع عشر من تشرين الأول، ولكنه ما لبث ان ذكر لهولدر ، ان حججه لم تترك اثراً في نفس هتلر . واضاف ان الوضع قـد بات « يائساً » ، ودوّن هولدر في يومياته لذلك اليوم ، ان هتلر ابلغ قائـد جيشه بلهجة قاطعة ، « ان البريطانيين لن يرضوا بالتفاوض إلا بعد ان ينالوا نصيبهم من الضرب . ولذا علينا ان نبادر الى مهاجمتهم في اسرع وقت ممكن . ومن الواجب وقوع الهجوم بـين الخامس عشر والعشرين من تشرين الثاني على اكثر تقدير » .

ووقعت اجتماعات اخرى مع سيد الحرب النازي ، الذي فرض « قانونه » في النهاية على « جنرالاته » في السابع والعشرين من تشرين الأول. فبعد احتفال انعم فيه هتلر على اربعة عشر منهم بوسام الصليب الحديدي من رتبة فارس ، انتقل الى الحديث عن موضوع الهجوم في الغرب . وعندما حاول براوخيتش مناقشته في ان الجيش لن يكون متأهباً للهجوم قبل شهر واحد على الأقل ، أي قبل السادس والعشرين من تشرين الثاني ، رد هتلر ، بأنه لا يستطيع الانتظار « هذا الوقت الطويل » ، وأمر بـــأن يبدأ الهجوم في الثاني عشر من تشرين الثاني . وانسحب براوخيتش وهولدر من الاجتماع وقد احسّا بالهزيمة واليأس. وحاول الواحد منهما تلك الليلة ان يسرّي عن رفيقه ويعزيه . ودوّن هولدر في يومياته يقول : « يبدو براوخيتش مجهداً ويائساً » .

مؤامرة زوسّين للاطاحة بهتلر

وخيل للمتآمرين ان الوقت قـد حان الآن للوثوب الى العمل من جديد .

وتحتم على براوخيتش وهولدر التعسين ان يختارا بين تنفيذ الاحتمال الثالث الذي بحثنا فيه في الرابع عشر من تشرين الأول وهو الاطاحة بهتلر ، وبين اعداد هجوم في الغرب كانا يعتقدان بأنه سيكون بمثابة كارثة لألمانيا . وعاد المتآمرون العسكريون والمدنيون على حد سواء الى الحياة فجأة . وكان الفريق فون هامر شتاين الذي استدعي مؤقتاً من حياة التقاعد الطويلة التي عاشها عشية يوم الهجوم على بولندة ، قد سلم قيادة في الجبهة الغربية . وكان يحث هتلر طيلة الاسبوع الأول من الحرب لزيارة مقر قيادته ، ليظهر انه لم يكن يهمل تلك الجبهة اثناء استيلائه على بولندة . وكان هامر شتاين ، وهو الخصم اللدود لهتلر ، يضع الخطط فعلاً لاعتقاله اذا ما زار جبهته . وقد نقل فابيان فون شلابريندورف نبأ هذه الخطة الى اوغيلفي فوربس في الثالث من ايلول ، أي يوم اعلان بريطانيا الحرب في اجتماع عاجل تم بينهما ذلك اليوم في فندق أدلون في برلين . ولكن الفوهرر شمّ رائحة التآمر ، فرفض زيارة القائد العام السابق للجيش في الجبهة وسرعان ما أقاله من منصبه (١)

وواصل المتآمرون اتصالهم ببريطانيا ولما كانوا قد فشلوا في القيام بأي عمل للحيلولة بين هتلر وبين تدمير بولندة ، فقد ركزوا جهودهم الآن على محاولة منع الحرب من الانتشار الى الغرب . وقد ادرك المتآمرون المدنيون الآن اكثر من أي وقت مضى ، ان الجيش هو المنظمة الوحيدة في الرايخ ، التي تملك الوسائل لوقف هتلر ، لا سيما وقد اتسع سلطانه واهميته اتساعاً كبيراً بعد التعبئة العامة وبعد الانتصارات الصاعقة التي حققها في بولندة . وحاول هولدر ان يوضح لهؤلاء المدنيين ان اتساع حجم الجيش ، يؤلف ايضاً عقبة في طريق تنفيذ أية مؤامرة . فقد اكتظت رتب الضباط التي « توسعت وانتفخت » بضباط الاحتياط الذين كان معظمهم من النازيين المتعصبين ، بينما تشبّع معظم الجنود بالعقيدة النازية تشبعاً كاملاً . وذكر هولدر ايضاً – وكان عظيماً في تأكيد المصاعب للأعداء

١ – غيزيفيوس – الى النهاية المرة . ص ٤٣١ .

والأصدقاء على حد سواء — ان من الصعب جداً العثور على أية تشكيلة عسكرية يمكن الركون اليها في التحرك ضد الفوهرر .

وكان هناك اعتبار آخر ، ألمح اليه القادة العسكريون من المتآمرين ، وتفهمه المدنيون تمام التفهم فلقد قدروا بأنهم اذا قاموا بثورة على هتلر ، فان من المحتمل ان يستغل البريطانيون والفرنسيون ما سيصحبها من فوضى في الجيش وفي البلاد عامة ، فيقتحموا الجبهة الغربية ، ويحتلوا المانيا بأسرها ، ويفرضوا على الشعب الألماني صلحاً قاسياً على الرغم من اطاحته بزعيمه المجرم. ولذا رأوا من الضروري الاستمرار في الاتصال بالبريطانيين ليصلوا معهم الى تفاهم بأن لا يستغل الحلفاء الانقلاب الالماني المناهض للنازية لمصلحتهم .

واستخدمت طرق عدة لتحقيق هذا الاتصال وكانت احدى هذه الطرق، بواسطة الفاتيكان وقام الدكتور جوزيف مريلر ، المحامي البارز في ميونيخ ، والكاثوليكي الورع ، بدور الوسيط . وقد تميّز هذا الرجل بقوة جسدية هائلة وطاقة كبرى على العمل ، وصلابة اكسبته في صباه لقب « جو الثور » . وقام هذا الرجل بتدبير من العقيد اوستر من رجال المخابرات الالمانية برحلة الى رومة في مطلع تشرين الأول ، حيث اقام في الفاتيكان اتصالاً مع الوزير البريطاني المفوض لدى الكرسي البابوي . وتقول المصادر الالمانية انه افلح في الحصول على تأكيد من البريطانيين وعلى موافقة البابا نفسه على القيام بدور الوسيط بين العهد الألماني الجديد المناوىء للنازية وبين بريطانيا [1].

وجرى الاتصال الثاني في مدينة برن في سويسرا . وكان وايز ساكر قد نقل تيودور كوردت الذي كان الى عهد قريب قائماً بأعمال السفارة الألمانية في لندن، الى برن ليعمل ملحقاً في المفوضية الألمانية فيها ، وقد عثر هذا الرجل في العاصمة السويسرية على الفرصة لمقابلة انكليزي يدعى الدكتور فيليب كونويل — ايفانز ،

---

١ — ويلر — بنيت — نقمة السلطان ص ٤٩ . يورد المؤلف مصادره الالمانية . راجع ايضاً يوميات فون هاسيل ومقال توماس « التفكير والتطورات » المنشور في المجلة الشهرية السويسرية .

الذي مكنه عمله كاستاذ في جامعة كونيغزبرغ الألمانيــة من ان يغدو خبيراً في الشؤون النازية ، وصديقاً ودوداً للنازيين . وتمكن كونويل — ايفانز في النصف الأخير من تشرين الأول من ان يحمل الى كوردت ما وصفه الأخير فيما بعـــد ، بالوعد القاطع من تشمبرلين بأن يسلك سلوكاً عادلاً ينطوي على التفهم مــع أية حكومة المانية معادية للنازية في المستقبل. وكان البريطاني قد حمل معه في الحقيقة مقتطفات من الخطاب الذي القاه تشمبرلين في مجلس العموم والذي اعلن فيه بعد رفضه لمقترحات هتلر السلمية ان بريطانيا لا تشعر « بأية رغبة في ان تحرم المانيا من احتلال مكانها المشروع في اوروبا شريطة ان تعيش المانيا هذه في جو من الود والصداقة مع الدول الاخرى » . وعلى الرغم من ان الاذاعة البريطانية كانت قد بثت هذا البيان وغيره من البيانات الأخرى ذات الطابع الودود تجـاه الشعب الألماني ، التي وردت في نفس الخطاب ، وعلى الرغم من ان المتآمرين لا بد وان يكونوا قد التقطوها ، إلا انهم هللوا لهذا « العهد » الذي حمله الى برن بريطـاني غير مسؤول ، واعتبروه في منتهى الأهمية . وحمـــل المتآمرون هذا العهد ، والتأكيدات البريطانية الأخرى التي خيل اليهم انهم حصلوا عليهـا عن طريق الفاتيــكان ، وراحوا يتجهون بهـــا ، والأمـل يسيطر عليهم ، الى القادة العسكريين الألمان . لكن هذا الأمل كان مصحوباً بشيء من اليأس ايضاً . فقد ذكر وايز ساكر لهاسّيل في السابع عشر من تشرين الأول ، ان « أملنا الوحيد في الخلاص يتركز في انقلاب عسكري . ولكن كيف يمكن لهـــذا الانقلاب ان يقع ? » .

ان الوقت قصير . وقد تقرر الشروع في الهجوم الألماني عبر بلجيكا وهولندة في الثاني عشر من تشرين الثاني . ومن الواجب تنفيذ هذه المؤامرة قبـل ذلك التاريخ . وكان هاسّيل قد حذر رفاقه من صعوبة الحصول على « صلح شريف » بعد ان تكون المانيا قد خرقت حياد بلجيكا واعتدت عليها .

وهناك روايات عدة من المشتركين في المؤامرة حول ما وقع بعد ذلك ، او عن الاسباب التي حالت دون وقوع الكثير ، وهي انبــاء متضاربة وتدعو الى

الحيرة والارتبـاك . ولقد كان الفريق هولدر رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، العنصر الرئيسي في المؤامرة تماماً كما كان في ايام ميونيخ. ولكن هذا الرجل تميّز بالتردد والاضطراب والتخاذل . وقد اوضح عنـد استجوابه في نورمبرغ ان « جيش الميدان » لم يستطع القيام بالثورة لأنه كان يواجه « عدداً كامـل التسلح امامه » . ويقول انه استنجد « بجيش الوطن الداخلي » الذي لم يكن مشتبكاً آنذاك في قتال مع العدو ، للإسراع الى العمل ، ولكن اقصى مـــا تمكن من الحصول عليه من قائده الفريق فريدريش (فرتيز) فروم هو افهامــــه « بأنه كجندي » سينفذ كل أمر يصل اليه من براوخيتش[1] .

ولكن براوخيتش كان اكثر ضعفاً من رئيس اركان حربه . وراح الفريق بيك يقول لهولدر. . . « ولكن اذا لم يكن براوخيتش قوياً في شخصيته الى الحد الذي يمكنه من اتخاذ القرار فان عليك انت ، ان تتخذه وان تواجهــــه بالأمر الواقع » . ولم يقتنع هولدر بهذا القول وأصر على ان المسؤولية الاخيرة تقع على براوخيتش بوصفه القائد العام للجيش . وهكذا ظلت المسؤولية تنتقل باستمرار من هذا الى ذاك . ودوّن هاسّيل في يومياته باكياً في نهاية شهر تشرين الاول : « مع الأسف ، ان هولدر لا يستطيـع مواجهة الموقف لا بشخصيته ولا بالسلطة التي يملكها » . أما براوخيتش فكان على حد تعبير بيك « انسانـاً من الدرجة السادسة » . ومع ذلك ظل المتآمرون يقودهم هذه المرة الفريق توماس الخبير الاقتصادي للجيش والعقيد اوستر من رجال المخابرات ، يلحفون على هولدر ، الى ان وافق اخيراً كما اعتقدوا على تدبير انقلاب يقع في اللحظة التي يصدر فيها هتلر أمره النهائي بالهجوم في الغرب . أما هولدر فيقول ان موافقته ظلت رهن شرط واحد ، وهو ان يصدر براوخيتش الأمر النهائي. ويقول العقيد هـــانز غروسكورث من رجال القيادة العليا للقوات المسلحة ، والصديق الأمين لكل

---

١ – استجواب هولدر في نورمبرغ في ٢٦ شباط ١٩٤٦ (المؤامرة النازية والعدوان – الملحق (٥) ص ١٥٦٤ – ١٥٧٥) .

من هولدر وأوستر ، ان الأول بعث على كل حال في الثالث من تشرين الثاني ، كلمة الى كل من الفريق بيك وغويردلر وهما من كبار المتآمرين بأن يكونا على أتم الاستعداد اعتباراً من الخامس من تشرين الثـــاني . وغدت زوسّين وهي البلدة التي يقوم فيها مقر القيادة العامة للجيش وهيئة اركان الحرب ، أشبه ما تكون بخلية نحل تعج بنشاط المتآمرين .

وكان الخامس من تشرين الثاني تاريخاً في غاية الأهمية . وكان من المقرر ان يبدأ في ذلك اليوم تحرك الجنود الى مراكز القفز المواجهـــة لهولندة وبلجيكا واللوكسمبورغ . وكان ثمة موعد في نفس اليوم لاجتماع عاصف بين براوخيتش وهتلر . وكان القائد العام ، يرافقه هولدر ، قـد قام بزيارة القيادات الكبرى للجيش في الغرب في الثاني والثالث من تشرين الثاني ، وتسلح مع رفيقه بالآراء السلبية التي قدمها قادة الميدان . وأسرّ هولدر ليومياته قائلاً : « ليس ثمـة من قيادة عليا في الميدان تعتقد بوجود أية فرصة لنجاح الهجوم » . وهكذا تسلـح القائد العام للجيش الألماني تسلحاً وفيراً بالحجج التي اوردها القادة العسكريون في الجبهة الغربية ، والحجج التي توصل اليها هو وكل من هولدر وتوماس ، والتي ضمّت في مذكرة اطلق عليها هولدر لسبب معقول اسم « المذكرة المضادة » ، لأنها ترد على مذكرة هتلر بتاريخ التاسع من تشرين الأول ، ومضى بسيارته في الخامس من تشرين الثاني الى دار المستشارية في برلين ، وقد حزم أمره على اقناع الفوهرر بالعدول عن الهجوم في الغرب . وفهم المتآمرون انـــه في حالة فشل براوخيتش في مهمته ، فانـــه سينضم الى المؤامرة للاطاحة بالطاغية . وكان المتآمرون في حالة الهياج والتفاؤل . وشرع غويردلر ، على حد رأي غيزيفيوس في اعداد قائمة بأسماء الوزراء في اول حكومة مؤقتة مناهضة للنازية ، ولم يوقفه عن عمله هذا إلا بيك الأكثر اتزاناً وعقلاً وكان شاخت الشخص الوحيد بـين المتآمرين المتشائم من نتائجها . وقال لرفاقه ... « عليكم ان تتريثوا ، وسترون ان هتلر قد شمّ رائحة المؤامرة ، وامتنع عن اتخاذ القرار في الغد » .

وكانوا ، كما هو دأبهم ، جميعاً على خطأ .

ولم يتمكن براوخيتش من تحقيق أي نجاح كما كان متوقعاً ، لا بالمذكرة التي يحملها ولا بالتقارير التي نقلها من قادة الجبهة ، ولا بالحجج التي اوردها. وعندما راح القائد العام يؤكد رداءة الطقس في الغرب في هذا الفصل من السنة ، رد هتلر بأن هذا الطقس السيىء يعمل ضد العدو ايضاً كما يعمل ضد الألمان، يضاف الى ذلك انـه لا يتوقع حدوث اي تحسن فيه في الربيع . وأحس قائد الجيش الخائر القوى باليأس من اقناع الفوهرر، فشرع في غمرة يأسه يبلغه اخيراً ، ان الحالة المعنوية بين الجنودفي الغرب مشابهة لما كانت عليه في عام ١٩١٧-١٩١٨، عندما كانت الانهزامية وروح التمرد وحتى العصيان منتشرة في الجيش الألماني.

ويقول هولدر الذي تعتبر يومياته المصدر الرئيسي لهذه الجلسة السرية للغاية، ان هتلر عندما سمع هذه الأقوال من قائده العام ، انفجر في ثورة عارمة من الغضب . وراح يطلب الى الفريق ان يحـــدد له الوحدات التي ظهرت فيها حالات من الافتقار للانضباط وصرخ قائلاً : « قل لي ، ماذا حدث ؟ واين ؟ » واضاف انه سيطير الى المكان الذي يحدده القائد العام غـداً وأسقط في يد براوخيتش المسكين ، فلقد روى هولدر انه بالغ في حديثه « رغبة منه في منع هتلر من الهجوم » ، ولكنه بات الآن متعرضاً لثورة الزعيم العاصفة . وعاد الفوهرر يصرخ قائلاً .. « وما هي الاجراءات التي اتخذتها قيادة الجيش ؟ وكم عدد الافراد الذين نفذ فيهم حكم الاعدام». ومضى يقول بصوت كهزيم الرعد... « ان الحقيقة ... هي ان الجيش لا يريد ان يحارب » .

وقال براوخيتش لمحكمة نورمبرغ وهو يستذكر هذه التجربة السيئة التي مر بها ... « ووجدت ان النقاش بات مستحيلاً . فغادرت دار المستشارية». وتذكر آخرون بأنه عـاد وهو يترنح الى مقر قيادته في زوسّين التي تبعد ثمانية عشر ميلاً ، وقد اصيب بنوع من الانهيار ، الى الحد الذي تعذر عليه فيه ان يروي قصة مفهومة ومترابطة عن حقيقة ما وقع .

وكانت هذه نهاية « مؤامرة زوسين » وقـــد منيت بفشل معيب ، نظير سابقتها المسماة « بمؤامرة هولدر » في ايام ميونيخ. وكانت الاوضاع التي يشترط

المتآمرون وجودها ، تتحقـــق في كل مرة ، ومع ذلك كانوا يتقاعسون ويتخاذلون . فلقد تمسك هتلر هذه المرة بقراره في ان يهجم في الثاني عشر من تشرين الثاني ولم يكد براوخيتش المنهار يغادر حضرته حتى راح هتلر يؤكد قراره هاتفياً الى مركز القيادة العامة في زوسّين . وعندما طلب هولدر ان يصل اليه القرار خطياً ، سارع الفوهرر الى تلبية طلبه . وهكذا أمســك المتآمرون في ايديهم بالدليل الملموس ، الذي سبق لهم ان اعلنوا احتياجهم له ، ليطيحوا بهتلر ، وهو الأمر بالهجوم الذي يعتقدون بأنــه سيحمل الكارثة الى المانيا . ولكنهم لم يفعلوا شيئاً آخر ، سوى ان الفزع قـــد سادهم . وأسرع المتآمرون يحرقون الأوراق التي تحمل اية ادلة على جريمتهم كما راحوا يطمسون كل آثار هذه الادلة . ويبدو ان العقيد اوستر كان الوحيد الذي ظـل محتفظاً بهدوئه واتزانه . وبعث بانذار سري الى المفوضيتين البلجيكية والهولندية في برلين ، بأن تتوقعا هجوماً على بلديهما صباح الثاني عشر من تشرين الثاني .[1] ومضى الى الجبهة الغربية في مهمة غير مجدية محاولاً اقناع الفريق فون ويتزليبين بقتل هتلر . ولكن الفرقاء وبينهم ويتزليبين ، كانوا يعرفون الهزيمة عندما تحل بهم . وقد تمكن العريف السابق من الانتصار عليهم مرة ثانية بمنتهى السهولة . وبعد بضعة ايام استدعى رونشتادت قائـــدمجموعة الجيوش (أ) ، قادة فيالقه وفرقه ليبحث معهم تفاصيل الهجوم . وعلى الرغم من ان شكوكه في النجاح ما زالت قائمة إلا انه نصح « فرقاءه » بأن يدفنوا شكوكهم ومخاوفهم . وقال لهم ... « لقـــد تلقى الجيش الامر ، وعليه ان يطيعه وينفذ المهمة التي اوكلت اليه » .

* * *

وانهمك هتلر في اليوم الذي تلا شجاره مع براوخيتش، ذلك الشجار الذي عرض القائد العام لخطر الانهيار العصبي ، في اعداد نصوص البيانات التي ستذاع

---

١ - وثفيلز - (المعارضة الألمانية لهتلر) .

على شعبي هولندة وبلجيكا ، لتبرير الهجوم عليهما . ودوّن هولدر هذا المبرر في يومياته بأنه « توقعاً من هجوم فرنسي واقع على بلجيكا » .

ولكن هتلر ، أجّل في اليوم التالي السابع من تشرين الثاني موعد الهجوم ، وبعث تأجيله الارتياح في صدور القادة العسكريين ... وهذا نص القرار ..

سري للغاية

برلين في السابع من تشرين الثاني عام ١٩٣٩

« ... أمر الفوهرر والقائد الأعلى للقوات المسلحة بعد ان استمع الى التقارير المتعلقة بتكهنات الأحوال الجوية وأوضاع النقل في السكك الحديدية بما يلي :

« يؤجل يوم الانذار النهائي ثلاثة ايام . وسيصدر القرار التالي في الساعة السادسة من مساء التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ .

كايتل »

وكان هذا الأمر بالتأجيل الأول بين سلسلة من التأجيلات يبلغ عددها اربعة عشر طيلة الخريف والشتاء ، وقد عثر عليها جميعها في وثائق القيادة العامة للقوات المسلحة في نهاية الحرب .[١] وتظهر هذه الاوامر ان الفوهرر لم يتخل لحظة واحدة عن قراره بالهجوم في الغرب ، وان كل ما فعله هو تأجيل موعد هذا الهجوم من اسبوع الى آخر . ففي التاسع من تشرين الثاني تأجل الهجوم

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٨٩٣–٩٠٥ .

حتى التاسع عشر منه ، وفي الثالث عشر من تشرين الثاني تأجل حتى الثاني والعشرين ، وهكذا دواليك، مع وجود فترة انذار مسبقة لا تقل عن ستةايام، واعطاء حالة الطقس سبباً للتأجيل . ومن المحتمل ان تكون هذه التأجيلات قد وقعت استجابة لآراء الفرقاء العسكريين ، ومن المحتمل ايضاً ان يكون قد اقتنع بأن الجيش لم يكن مستعداً . وليس ثمة من شك في ان الخطط السوقية والتعبوية (الاستراتيجية والتكتيكية) لم تكن قد اعدت اعداداً كاملاً اذ انه ظل دائماً يتولى اصلاحها وترقيعها .

وقد تكون هناك اسباب اخرى لتأجيل هتلر الاول لهجومه . ففي السابع من تشرين الثاني ، وهو يوم القرار ، ارتبك الالمان ارتباكاً شديداً من جراء اعلان مشترك صدر عن ملك البلجيك وملكة هولندة ،يعرضان وساطتهما لعقد الصلح واعادة السلام ، « قبل ان تبدأ الحرب في اوروبا الغربية على نطـــاق عنيف للغاية » . ووجد هتلر ان من الصعب عليه ان يقنع أي انسان ، كما كان يحاول في الاعلان الذي كان يعده آنذاك ، بأن الجيش الالماني انما يزحف على الاراضي الواطئة ، لأنه عرف بأن الجيش الفرنسي يعتزم الزحف على بلجيكا .

ومن المحتمل ان يكون هتلر قد أحس بأن هجومه على دولة بلجيكا الصغيرة ، لن تكون له قوة المباغتة ، التي كان قد اعتمد عليها . وكان غويردلر قد سافر الى بروكسل في نهاية تشرين الاول ، حاملاً رسالة سرية من وايز ساكر يحث فيها السفير الالماني هناك ، بيولو - شوانتي ، ليحذر ملك بلجيكا بصورة شخصية من « خطورة الموقف القصوى » . وقد نفذ السفير المهمة ، وسرعان ما هرع الملك الى لاهاي ليتشاور مع ملكة هولندة في الوضع وليصدرا معاً ذلك الاعلان المشترك . وتلقى البلجيكيون معلومات اكثر دقة ، وقد جاء بعضها من اوستر كما رأينا قبل قليل وبعث بيولو - شوانتي في الثامن من تشرين الثاني ببرقية الى برلين ، يحذرها فيها من ان الملك ليوبولد قد ابلغ ملكة هولندة بأنه تلقى « معلومات دقيقة موثوقة » عن حشد الماني عسكري على حدود بلجيكا يشير الى

هجوم متوقع عبر بلجيكا « في غضون يومين او ثلاثة ايام » [١] .

ووقع حادثان غريبان كل الغرابة عشية الثامن من تشرين الثاني ، وبعد ظهر اليوم الذي تلاه ، أولهما انفجار قنبلة على مقربة من هتلر ، نجا منها بأعجوبة ، واختطاف الحرس النازي لرجلين من رجال المخابرات البريطانيـة في هولندة على مقربة من الحدود الالمانية . وقد صرف الحادثان في البداية اهتمام سيد الحرب النازي عن الخطط التي وضعها للهجوم على الغرب ، ولكنهما أديّا في النهاية الى تقوية مركزه في المانيا بينما اثارا فزع متآمري «زوسـّين» اللذين لم يكن لهما في الواقع أي ضلع في أي من الحادثين .

عملية خطف نازية وقنبلة في حانة الجعة

انفجرت قنبلة مساء الثامن من تشرين الثاني في حانة « بيورغيربروكلر » في ميونيخ بعد اثنتي عشرة دقيقة من انتهاء الفوهرر من القاء خطابه السنوي في الحانة المذكورة احتفاء بالذكرى السنوية لانقلاب حانة الجعة في عام ١٩٢٣ . وقد نجا الفوهرر من الموت بأعجوبة نظراً لقصر خطابه في ذلك العـام عن المألوف ، اذ كانت القنبلة المنفجرة من النوع الموقوت ، وقد وضعت في عمود يقف خلف منصة الخطابة مباشرة ، وأدى انفجارها الى مصرع سبعة اشخاص واصابة ثلاثة وستين آخرين بجراح . وعندما وقع الانفجار كان معظم القـــادة النازيين الكبار ، قد غادروا القاعـــة مع هتلر ، على الرغم من انهم ألفوا في السنوات الماضية البقاء بعد انتهاء الخطاب ، يحتسون الجعـة ، ويستعيدون مع رفاق الحزب القدامى ذكريات المحاولة الانقلابية الاولى .

وحملت صحيفة هتلر الخاصة وحدها - الفولكشاير بيوباختر - في الصباح

---

١ شهد بيولو شواني في محاكمات نورمبرغ حول رسالة غويردلر ، ومقابلته الخاصة الملك ليوبولد . (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣٨٤) . وتوجد برقية الى برلين في نفس المصدر في الصفحة ٣٨٦ .

التالي قصة المحاولة لاغتيال الفوهرر ، وحملت مسؤوليتهـــا « لعملاء المخابرات البريطانيـــة » ولتشمبرلين نفسه . ودوّنت في يومياتي في ذلك المساء أقول : « لا ريب في ان محاولة الاغتيال ستوحـّد الرأي العام الالماني وتجعله صفاً واحداً وراء هتلر ، وتستثير الكراهية لانكلترا .. ويرى الكثيرون منا ان المحاولة مصطنعة أشبه ما تكون بقصة حريق الرايشستاغ » .

ترى ما هي الصلة بين المخابرات البريطانية وبين هذا الحادث خارج نطـاق عقل هملر المحموم ؟ لقد حاول الألمان خلق هذه الصلة فوراً . اذ لم تمض ساعة او ساعتان على انفجار القنبلة في ميونيخ حتى كان هنريخ هملر ، رئيس الغستابو والحرس النازي ، يهتف الى واحد من مساعديه الناشئين في الحرس النـــازي ويدعى ولـــتر شيلينبرغ ، يقيم في دوسلدورف ، ويأمره تنفيذاً لتعليمات الفوهرر بعبور الحدود الى هولندة في اليوم التالي ، واختطاف عميلين من عملاء المخابرات البريطانية ، كان شيلينبرغ على اتصال بهما .

وادى أمر هملر الى حادث من اغرب حوادث الحرب كلها ، فلقـد كـان شيلينبرغ ، وهو كزميله الفريد نوجوكس من قطاع الطرق المثقفين من خريجي الجامعات ، يواصل الاجتماع منذ نحو من اكثر من شهر في هولندة الى ضابطين من ضباط المخابرات البريطانية هما الرئيس إس باين والرائد آر . إش . ستيفينز . وانتحل شيلينبرغ امامهما اسم « الرائد شيميل » وشخصية الضابـط المناوىء للنازية في مقر القيادة العليا للقوات المسلحة الالمانيـة (وكان هذا الاسم يحمله ضابط حقيقي في القيادة الالمانية) ، وراح يتلو على مسامعهما قصة مقنعة عن الطريقة التي اعتزم فيها بعض القادة العسكريين الالمان ، الاطاحة بهتلر . وقال لهما ان كل ما يطلبه هؤلاء القادة ، تأكيدات من حكومة لندن ، بأنها ستعامل العهد الجديد المناوىء للنازية معاملة تنطوي على الانصاف . ولما كانت الحكومة البريطانية قد سمعت ، كما رأينا من قبل ، عن وجود مؤامرة عسكرية المانية ، يريد المشتركون فيها مثل هذه التأكيدات ، فقـد اهتمت مراجع لندن بتنمية الاتصال مع هـــذا الرائد الالماني « شيميل » . وزوده بيست وستيفينز بجهاز

ارسال صغير وجهاز استقبال ، وجرت اتصالات لاحقة عدة عن طريق هذين الجهازين، كما عقدت اجتماعات اخرى في عدد من مختلف المدن الهولندية . وعندما اجتمع الجانبان في السابع من تشرين الثاني في بلدة فينلو الهولندية الصغيرة على الحدود الالمانية ، كان في وسع رجـــلي المخابرات البريطانية ان يقدما الى « شيميل » رسالة غامضة الى حد ما من لندن موجهة الى قادة حركة المقاومة الالمانية تضع في عبارات عامة ، اسس الصلح العادل مع العهد الجديد المناوىء للنازية . واتفق على ان يأتي « شيميل » في اليوم التالي بأحد هولاء القادة ،وهو ضابط برتبة فريق ، الى فينلو ، ليبدأ بمفاوضات محدودة ولكن هذا الاجتماع قد تأجل حتى التاسع من الشهر .

وكانت اهداف الجانبين حتى هذه اللحظة واضحة كل الوضوح. فالبريطانيون يحاولون اقامة اتصال مباشر مع « الانقلابيين » العسكريين الالمان ، رغبة منهم في تشجيعهم ومساعدتهم · وكان هملر يحاول التوصل عن طريق البريطانيين الى معرفة هويّات المتآمرين الالمان ، ومدى ما لهم من اتصال بالمخابرات البريطانية. وكان من الواضح ان هملر وهتلر ، كانا قد بدءا في الشك في بعـــض القادة العسكريين وفي اشخاص مـــن امثال العقيد اوستر والاميرال كاناريس من المخابرات الالمانية . أما الآن ، وعشية الثامن من تشرين الثاني ، فقد عثر هتلر وهملر على هدف جديد ، وهو خطف هذين البريطانيين لاتهام عملاء المخابرات البريطانية ورجالها ، بمحاولة اغتيال هتلر في حانة الجعة وتفجير القنبلة فيها .

وسرعان ما ظهر على المسرح ، ممثل معروف لدينا هو الفريد نوجوكس ، الذي كان قد اعد « الهجوم البولندي الزائف » على محطة الاذاعة الالمانية في غليويتز ومعه اثنا عشر رجلاً من رجـــال المكتب السري الخاص (S.D) ، لمساعدة شيلينبرغ في تنفيذ عملية الاختطاف . وتمـــت العملية بنجاح منقطع النظير . وكان شيلينبرغ يجلس في الساعة الرابعة من بعد ظهر التاسع مـــن تشرين الثاني على شرفة احد المقاهي في فينلو ، يحتسي قدحاً من « المشهيّات» ، منتظراً موعده مع بيست وستيفينز ، عندما وصل الضابطان البريطانيان في

سيارتهما « البيويك » ، فأوقفاها وراء المقهى ، وسرعان ما انهال عليهما سيل من الرصاص من سيارة الحرس النازي الواقفة لهما بالمرصاد وقد امتلأت بأوغاد نوجوكس . وسقط الملازم « كلوب » ، وهو ضابط مخابرات هولندي ، كان يرافق البريطانيين دائماً في محادثاتهما مع شولنبرغ . مصاباً بجراح قاتلة . وحُمِلَ البريطانيان الى السيارة الالمانية وكأنهما « حزمتين من القش » ، على حد وصف شولنبرغ فيما بعد ، وحمل معهما « كلوب » الجريح ، ومضت السيارة تنهب الارض عبر الحدود الى المانيا . [1]

وهكذا تمكن هملر ، من ان يعلن في الواحد والعشرين من تشرين الثاني الى الجميع ، بأن جميع الاسرار المتعلقة بمحاولة اغتيال الفوهرر في حانة الجعة قد تم اكتشافها . واضاف ان المحاولة قد جرت بتحريض جهاز المخابرات البريطانية ، الذي اعتقل اثنان من كبارر رجاله وهما ستيفينز وبيست « على مقربة من الحدود الالمانية - الهولندية » في اليوم الذي تلا المحاولة . أما المنفذ الفعلي فهو جورج ايلسر ، النجار الشيوعي الالماني ، المقيم في ميونيخ .

---

١ - تقول الرواية الهولندية الرسمية ، التي ظهرت الى النور بعد انتهاء الحرب ، ان الألمان قد سحبوا السيارة البريطانية وفي داخلها ستيفنز وبيست وكلوب ، عبر الحدود الى المانيا ، اذ لم تكن الحدود تبعد عن المكان اكثر من (١٢٥) قدماً . ووجهت الحكومة الهولندية ابتداء من العاشر من تشرين الثاني ، أي اليوم التالي لوقوع الحادث ، تسعة طلبات خطية في فترات متباعدة الى الحكومة الألمانية لاستعادة كلوب والسائق الهولندي ، كما طلبت التحقيق من جانب الألمان لهذا الخرق للحياد الهولندي . ولم يرد الألمان قط على هذه الطلبات المتكررة والمتلاحقة ، حتى العاشر من ايار عندما برر هتلر هجومه على هولندة ، الى حد ما على اساس قضية فينلو ، التي اقامت الدليل على تواطؤ الهولنديين مع جهاز المخابرات البريطانية . ومات كلوب متأثراً من جراحه بعد بضعة ايام . أما بيست وستيفنز فقد قضيا خمس سنوات في معسكرات الاعتقال النازية وخرجا منها حيين بعد انتهاء الحرب (راجع الروايات المختلفة عن حادث فينلو في كتاب . اس . بين . بيست . « حادث فينلو » وكتاب شيلينبرغ «مسالك الجن» وويلر - بنيت « نقمة السلطان » . وتوجد الرواية الهولندية الرسمية في وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣٩٥ - ٣٩٦ راجع ايضاً محاكمات مجرمي الحرب (١٢) ص ١٢٠٦ - ١٢٠٨ .

وبدت لي قصة هملر المستفيضة المسهبة ، عن الجريمة ، قصة « زائغة » منذ البداية كما دوّنت في يومياتي في ذلك النهار . ولكن غايته التي حققها كانت واقعية للغاية ورحت اقول ... « لقد كان هدف هملر وعصابته كما يبدو ، اقناع الشعب الألماني السريع التصديق ، بأن الحكومة البريطانية تحاول ان تكسب الحرب عن طريق اغتيال هتلر وكبار مساعديه » .

ولم يحسر النقاب قط عن سر واضع القنبلة بصورة كاملة وعلى الرغم من ان ايلسر ، لم يكن من طراز ذلك « النصف مجنون » مارينوس فان ديرلوبيه ، المتهم في قضية احراق الرايشستاغ ؛ إلا أنه كان على الرغم من صدقه ، انساناً ذا ذكاء محدود . ولم يكتف بأن يعترف بجريمته في صنع القنبلة واعدادها ، وانما تفاخر بذلك مزهواً ايضاً . وعلى الرغم من انه لم يكن قد اجتمع قط الى بيست وستيفينز قبل هذه المحاولة ، إلا انه تعرف على الأول منهما إبان السنوات الطويلة التي قضياها معاً في معسكر اعتقال ساشينهاوزن . وهناك وفي المعتقل راح يروي للانكليزي قصة طويلة ومعقدة ، ولا تنسجم مع المنطق دائماً ... وهذه هي القصة ...

كان ايلسر معتقلاً منذ اواسط الصيف في معتقل داخاو بوصفه من انصار الشيوعية ، وفي ذات يوم من ايام شهر تشرين الأول ، استدعاه قائد المعتقل الى مكتبه حيث قدمه الى شخصين اجنبيين . وقد اوضح له الرجلان ضرورة الخلاص من بعض اتباع الفوهرر « الخونة » عن طريق تفجير قنبلة في حانة الجعة ، فور انتهاء هتلر من القاء خطابه التقليدي المألوف عشية الثامن من تشرين الثاني ، ومغادرته القاعة . وذكرا ان القنبلة يجب ان توضع في عمود يقع وراء منصة الخطيب مباشرة . ولما كان ايلسر نجاراً فنياً ، وذا خبرة في شؤون الكهرباء ، والعمل « السمكري » ، فقد اقترحا عليه ان يتولى هذا العمل . واكدا له انه اذا قام بالعمل ، فسيرتبان أمر فراره الى سويسرا . ويدفعان له مبلغاً كبيراً من المال يمكنه من العيش في رغد ورخاء هناك . ووعداه للتدليل على جديتهما في الموضوع بمعاملة افضل في المعتقل في الفترة التي ستسبق التنفيذ ، كاعطائه غذاء افضل

وملابس مدنية عادية وكمية كبيرة من لفائف التبغ ،اذ أنه كان من المدخنين بنهم وافراط ، كما وعداه « بعدّة » نجارة كاملة . واعد ايلسر هناك قنبلة رغم عدم اتقانها ، كافية لتحقيق الغاية المتوخاة منها ، ومعها جهاز للتوقيت ، و« بدعة » تمكن صاحب القنبلة من ابطالها ، عن طريق محوّل كهربائي . واكد ايلسر ،ان الرجلين أخذاه ذات ليلة مبكرة من ليالي تشرين الأول ، الى الحانة ، حيث اودع القنبلة في العمود المقرر .

واضاف الرجل ان هذين الغريبين حملاه عشية الثامن من تشرين الثاني ، في الموعد الذي كان من المقرر فيه ان تنفجر القنبلة ، الى الحدود السويسرية، وقدما اليه مبلغاً من المال ، وصورة وهنا وجه الطرافة – بحجم بطاقة البريد ، للجزء الداخلي من حانة الجعة ، ظهر فيها العمود الذي وضع قنبلته فيه ، وقد اشير اليه بعلامة الصليب . ولكن بدلاً من ان يساعداه على اجتياز الحدود – وهذا هو الذي اثار حيرة الرجل القليل الذكاء تركاه ليقع في قبضة الغستابو ومعه تلك الصورة . وسرعان ما شرع رجال الغستابو في تلقينه ما سيعترف به لإلصاق التهمة ببيست وستيفينز ، عندما تنعقد المحكمة لمحاكمتهما ، حيث سيغدو مركز الاهتمام ومحوره .[1]

ولكن المحاكمة لم تجر مطلقاً . ونحن نعرف الآن ان هملر لأسباب يعرفها هو دون غيره ، لم يجرؤ على اجراء اية محاكمة . ونحن نعرف الآن ايضاً بأن ايلسر قد عاش في معتقل ساشينهاوزن ، ومن ثم في معتقل داخاو، وانه كان يلقى من

---

١ – وقد سرد ايلسر فيما بعد قصة مماثلة الى القس نيمولر ،الذي اعرب عن قناعته المطلقة ،بأن هتلر هو الذي وافق على حادثة القنبلة ليزيد من شعبيته الشخصية ، وليثير الحماس للحرب عند الشعب . وارى من الانصاف ان اضيف بأن غيزيفيوس ، عدو هتلر وهملر وشيلينبرغ الاكبر ، يعتقد كما شهد في نورمبرغ وفي كتابه بأن ايلسر حاول اغتيال هتلر فعلاً وانه لم يكن له شركاء من النازيين . أما شيلينبرغ ، الذي اعتبره أقل وثوقاً ، فيذكر انه كان يشك في البداية في هملر وهايدريش ، ولكنه ما لبث ان تأكد بعد استجواب النجار وبعد قراءة الاستجوابات التي جرت لإيلسر بعد تخديره أولاً وبعد تنويمه مغناطيسياً ، بأن القضية تعتبر محاولة اصيلة لاغتيال هتلر .

المعتقلين تلبيــة لأوامر الفوهرر الصريحة ، اعترافاً منه بما كسبه من تفجير القنبلة من نتائج ، معاملة انسانية في تلك الظروف . ولكن هملر ظل يراقبه طيلة المدة . ولم يكن من الخير ان يظل النجار حياً بعد انتهاء الحرب ليروي قصته . وهكذا قبيل انتهائها أي في السادس عشر من نيسان عام ١٩٤٥ ، اعلنت الغستابو ، ان جورج ايلسر قد قتل إبان غارة جوية شنتها طائرات الحلفاء في اليوم السابق . ونحن نعرف الآن ان الغستابو قد قتلت الرجل . (١)

حديث هتلر الى قادته العسكريين

ومضى هتلر قدماً بعد ان نجا من الاغتيال كما بدا في عيون الألمان ، وبعد ان اخمــد روح التحدي عند قادته العسكريين ، يضع خططه للهجوم العظيم الذي ينتظر شنه في الغرب . واصدر في العشرين من تشرين الثاني التوجيه رقم (٨) ، لإدارة دفة الحرب ، وقـــد أمر فيه قادته العسكريين بالمحافظة عـلى « حالة الاستنفار » ، وذلك « لاستغلال الاوضاع المناخية المواتية فوراً ». ووضع الخطط لتحطيم هولندة وبلجيكا . واستدعى رغبة منه في بعــث الشجاعة في الخائري العزيمة ، وايقاظهم لخطورة مهمتهم ، وايماناً منه بضرورة ذلـــك عشية خوض المعارك العظيمة الى دار المستشارية ظهر الثالث والعشرين من تشرين الثاني جميع القادة العسكريين في القيادات المختلفة وضباط هيئة اركان الحرب .

ولا ريب في ان هذه المقابلة السرية وما دار فيها من احاديث مع كبار قادته العسكريين كانت من امتع ما وقع في الحرب . ويرجع الفضل في اكتشاف ما دار فيها الى بعض الملاحظات التي دونها قائد مجهول شهد الاجتماع ، وعثر عليها

---

١ – راجع للاطلاع على الروايات المختلفة عن حادث القنبلة كتاب بيست « حادث فينلو » ، وكتاب شيلينبرغ « مسالك الجن » وكتاب ويلور بنيت « نقمة السلطان » وكتاب ريتلينغر . « الحرس النازي – يوميات برلين » وكتاب غيزيفيوس نحو « النهاية المرة » وهناك بعض المراجع الأخرى من محاكمات نورمبرغ .

الحلفاء في ملاذات القيادة العامة للقوات الألمانية المسلحة في فليمنسبرغ[1] ...
وبدأ هتلر حديثه الى قادته العسكريين قائلاً :

« ان هدفي من هذا الاجتماع هو ان اقدم لكم فكرة عن العالم الذى تطوف فيه افكاري وهي الافكار التي تتحكم فيّ في مواجهة الاحداث المقبلة ، وان انقل اليكم قراراتي » .

كان عقله مليئاً بوقائع الماضي والحاضر والمستقبل ، وقد تحدث الى هذه الفئة المحدودة بشيء من الصراحة القاتلة والبلاغة مقدماً ملخصاً رائعاً لكل ما طاف بعقله الخصيب والملتوي ، ومتكهناً بدقة رائعة بشكل الاحداث المقبلة . ولكن يبدو من الصعب على المرء ان يتصوّر أن كل من استمع اليه في ذلك اليوم ، لا يمكن ان يظل في شك من ان هذا الرجل الذي يسيطر على مقدرات المانيا ، والذي بات يقبض بيده على مصير العالم ، قد بات حتماً شخصاً مصاباً بالعُظام (جنون العظمة) الى حد خطر ... فقد راح يشرح في البداية ، الكفاحات التي خاضها في البداية ، وقال :

« وكنت اتعرف تعرفاً جلياً على التيار المحتمل للأحداث التاريخية ، كما كانت لدي الارادة الثابتة الحازمة والقادرة على اتخاذ اقسى القرارات...وفي وسعي ان اصف نفسي كعامل اخير وبكل تواضع ، بأني الانسان الذي لا يمكن ان يوجد له بديل . وليس في وسع أي رجل سواء أكان عسكرياً أو مدنياً ان يحتل محلي . وقد تتكرر محاولات الاغتيال . ولكنني واثق من طاقاتي الفكرية ومن قدرتي على اتخاذ القرارات .. ولم يستطع أي انسان ان يحقق ما حققته انا . فلقد قدت الشعب الألماني الى أعلى الذرى حتى ولو كان العالم يكرهنا اليوم .. ويعتمد مصير الرايخ علي وعلى وجودي وسأقوم بممارسة اعمالي على ضوء ذلك » .

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٥٧٢ - ٥٨٠ . ومن وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٤٣٦ - ٤٤٦ .

وراح يؤنب القادة العسكريين على الشكوك التي ساورتهم عندما أتخذ قراراته الصارمة كقرار الخروج من عصبة الأمم ، وقرار التجنيد ، واحتلال منطقة الراين وتحصينها والاستيلاء على النمسا ثم قال « وكان عدد الذين يؤمنون بي آنذاك صغيراً للغاية »

وراح يصف فتوحاته بشيء من « الكلبية » التي كان من سوء حظ العالم ان المستر تشرشل لم يسمع بها قط ، وقال « كانت خطوتنا التاليـة احتلال بوهيميا ومورافيا وبولندة » ثم مضى يقول :

« وكان من الواضح لي منذ الوهلة الاولى ، ان ليس في استطاعتي ان اقنع بأراضي السوديت الألمان. وكان هذا الحل جزئياً. واتخذت قراري بالزحف على بوهيميا . وتبع ذلك ، قرار آخر ، وهو اقامة محمية بوهيميا ومورافيا ، وتم بذلك وضع الأسس لاحتلال بولندة . ولكنني لم أكن واثقاً آنذاك هل ابدأ اولاً بالشرق ثم انتقـل الى الغرب ، أو ان أنفذ العكس تماماً. وأدى ضغط الأحداث الى توجيه الحرب نحو بولندة اولاً . وقد يتهمني المرء بأنني مولع بالحرب. واني لأرى مصـير جميع المخلوقـات مرتبـط بالصراع . وليس في وسع المرء ، اذا لم يكن يقبل بالهبوط والتدهور إلا ان يحـارب ويصارع .

« ويتطلب تزايد عدد الألمان مجالاً حيويـاً ارسع . وكان هدفي ان اخلق صلة معقولة بين عدد السكان والمجال المتوافر لهم للعيش . وهكذا بدأ الصراع من هذا المنطلق . فليس في وسع أي بلد ان يهمل حل هذه المشكلة ، وإلا فان الاستسلام يغدو مصير هذا البلد ، ويؤدي به الاستسلام الى التدهور . وليس للذكاء والحساب أي ثمرة هنا ، فالحل يجب ان يتم بالسيف وعلى الشعب الذي لا يستطيع ان ينتج القوة على الصراع ، ان ينسحب ويستخذي »

وقال هتلر ان الخطأ في القادة الألمان في الماضي وبينهم بسمارك ومولتكيه ،

هو افتقارهم الى « الصلابة الكافية » . ولا يمكن ايجاد الحل إلا « بالهجوم على أية بلاد في الوقت المناسب » . وقد أدى الفشل في ادراك هذه الحقيقة الى وقوع حرب عام ١٩١٤ « في جبهات عدة . ولم يؤد هذا التطور الى أي حل لأية مشكلة » . ومضى يقول :

« ويجري الآن وضع الفصل الثاني في هذه المسرحية فلأول مرة منذ سبعة وستين عاماً، لا نجد انفسنا مرغمين على القتال في جبهتين . . ولكن ، ليس في وسع أي انسان ان يعرف مدة بقاء الوضع على هذا النحو . وانا لم اقم بتنظيم قواتنا المسلحة ، لكي اتقاعس عن كيل الضربات لأعدائنا . فقرار الضرب يعيش معي دائماً » .

وأوصلته افكاره عن نعمة القتال في جبهة واحدة ، الى موضوع روسيا فقال :

« ولا تمثل روسيا في الوقت الحاضر أية خطورة . فهناك أوضاع داخلية عديدة في هذه البلاد تؤدي الى ضعفها . لكن المعاهدات ، لا تحترم على أي حال ، إلا اذا كانت تخدم هدفاً . وليس ثمة من شك في ان روسيا ستحترم معاهدتها معنا طالما تعتقد ان احترامها لها هو في صالحها . وما زالت هناك اهداف بعيدة أمام روسيا ، ولعل أهمها تقوية مركزها في بحر البلطيق . ولن يكون في وسعنا ان نقاوم روسيا إلا اذا كنا مطلقي الأيدي في الغرب .

أما بالنسبة الى ايطاليا فكل شيء يتوقف على موسوليني « الذي يؤدي موته الى تغيير كل شيء . وكما ان موت ستالين يؤدي الى الاضرار بنا فان موت الدوتشي يعرضنا الى الخطر . وقد خبرت مؤخراً مدى السهولة التي يمكن ان يقع فيها موت رجل الدولة او السياسي » . وكان هتلر لا يزال يرى ان لا خطورة هناك في موقف الولايات المتحدة وذلك « بسبب قوانين الحياد فيها » ، كما ان مساعدتها للحلفاء لم تصبح كبيرة حتى ذلك الوقت . لكن الوقت حليف للعدو . « وما زالت اللحظة مواتية اليوم ، ولكنها قد لا تظل كذلك بعد ستة

اشهر » . ولهذا

« فان قراري ثابت لا يتبدل . فسأهاجم فرنسا وانكلترا في اقرب فرصة ممكنة واكثرهـــا صلاحاً وانا لا اعتبر خرق حياد بلجيكا وهولندة شيئاً هاماً ولن يسألنا احد عن ذلك عندمـــا ننتصر وان نحاول تبرير خرقنا للحيـاد على النحو الأحمق الذي برروا به هذا الخرق في عام ١٩١٤ »

وقال هتلر لقادته العسكريين ان الهجوم في الغرب يعني « نهـــاية الحرب العالمية ، لا مجرد عمـــل فردي . فهي لا تتصل بمجرد قضيةواحدة، وانما تتصل بوجود البلاد أو لا وجودها » . وعاد يتدفق في خطابه كعادته فقال :

« ويجب ان تشد روح العظماء في تاريخنا من عزائمنـا نحن . ولا يتطلب القدر منا اكثر مما تطلبه من عظماء الرجال في التاريخ الألماني ولن تتسلط علي في حياتي كلها إلا فكرة واحدة وهي انتصار شعبنا. ولن أهن أو اضعف امام أي شيء ، وسأقضي على كل من يجرؤ على معارضتي . . ان ما اريده هو ان اقضي على اعدائنا » .

كان الخطاب جلياً لا يحتاج الى أي ايضـاح ، ولم يجرؤ أي قائد عسكري ، كما نعرف الآن على ان يرفع صوته إما معبراً عن الشكوك في امكان نجاح الهجوم في هذا الوقت ، وهي الشكوك التي كانت تساور جميع قـادة الجيش ، او مثيراً موضوع اللااخلاقية في مهاجمة بلجيكا وهولندة اللتين ضمنت الحكومة الألمانيـة حياد حدودهما ضمانة قاطعة . وروى بعض « الفرقاء » الذين شهدوا الاجتماع ان ملاحظات هتلر على افتقار كبار دهاقنة الجيش وهيئة اركان الحرب الى الروحية الصامدة كانت أقسى من النحو الذي اوردناه في هذا التلخيص للخطاب.

واستدعى سيد الحرب النازي في ساعة لاحقة من ذلك اليوم أي في السادسة مساء ، كلاً من براوخيتش وهولدر مرة ثانية ، وراح يلقي على مسامع القـائد العام محاضرة في موضوع « روحية زوسين » ، بينما ترك رئيس هيئة اركان الحرب ينتظر في خارج مكتبه وكأنه ولد عاق . وقال هتلر ان القيادة العليا للجيش

مصابة «بالانهزامية» ، بينما يقف اركان حرب هولدر موقف « المشاكسة ممـــا يعرضهم الى الخلاف مع الفوهرر » . وعرض براوخيتش الذي اصيب في كرامته، كما روى هو نفسه فيما بعد على منصة الشهادة في نورمبرغ، استقالته فوراً، ولكن هتلر رفضها ، مذكراً اياه بواجبه كقائد عـــام للجيش « وان عليه أداء هذا الواجب وما يترتب عليه من التزامات كأي جندي آخر » . ودوّن هولدر في يومياتـه لذلك اليوم ملاحظة بطريق الاختزال .. تمثلت في كلمتين « يوم عصيب »[1] .

ومثل الثالث والعشرون من تشرين الثاني من نواح عدة ، علامة فارقة في التاريخ الألماني الحديث ، فقد رمز الى انتصار هتلر الحاسم والاخير على الجيش بعد ان كان هذا الجيش نفسه قد نحّى في الحرب الكونية الأولى ، الامبراطور غليوم الثاني جانباً ، قابضاً بنفسه على زمام السلطان السياسي والعسكري في المانيا . وشرع ذلك العريف النمسوي السابق منذ ذلك اليوم ، في اعتبـــار احكامه العسكرية بالاضافة الى احكامـــه السياسية متفوقة على احكام قادته العسكريين ، ورفض الاستماع الى نصائحهم او السماح بانتقاداتهم ، مما ادى الى نتائج مفجعة للجميع .

وقـال براوخيتش في محكمة نورمبرغ يصف مـــا وقع في ذلك اليوم من احداث.. «لقد وقعت القطيعة التي ما لبثت ان اختفت، ولكنها لم تصلح اصلاحاً كاملاً ابداً ... »

واخفت خطاب هتلر الى قادته العسكريين في ذلك اليوم من ايام الخريف، أية افكار ، تراود اذهان هولدر وبراوخيتش وغيرهما في الاطاحة بالديكتاتور النازي مهما كانت تلك الافكار ضعيفة في طبيعتها. فلقد انذرهم بأنه «سيقضي» على كل من يحاول الوقوف في طريقه ، وذكر هولدر ان هتلر اضاف« مخصصاً » بأنه سيسحق بالقوة أية معارضة قد تبديها هيئة اركان الحرب لقراراته. ولم يكن

---

١ – محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٥٧٥ .

هولدر ، في ذلك الوقت على الأقل ، بالرجل الذي يستطيع الصمود امـام هذا الوعيد المخيف . وروى هولدر نفسه فيما بعد ، ان الفريق توماس قام بزيارته بعد اربعة ايام أي في السابع والعشرين من تشرين الثاني ، مدفوعـــاً من شاخت وبوبيتز لحثه على مواصلة الضغط على براوخيتش للقيام بعمل ضد الفوهرر، وانه - أي هولدر ذكّر زائره « بالعقبـــات الكأداء » في طريقهم لا سيما وانه لم يكن واثقاً من ان براوخيتش « سيشترك اشتراكاً فعليـــاً في اي انقلاب عسكري »[1].

وشرح هولدر بعد بضعة ايام لغويردلر ، الأسباب المضحكة التي تحول بينـه وبين المضي في خططه للخلاص من الديكتاتور . وسجل هاسّيل هذه الأسباب في يومياته . فبالاضافة الى ان « المرء لا يثور عادة عندما يواجه عدواً » ، راح هولدر يعدد النقاط التالية « علينا ان نتيح لهتلر فرصته الأخيرة لإنقاذ الشعب الألماني من عبودية الرأسمالية الانكليزية .. وليس ثمة من رجـــل عظيم آخر متوافر لنا الآن . ولم تنضج المعارضة بعد نضوجاً كافياً .. ولا يمكن للمرء ان يثق بصغار الضباط » . وراح هاسّيل نفسه يناشد امير البحر كاناريس وهو من المتآمرين الأصليين ان يمضي قدماً في تحقيق الخطة ، ولكنه لم يصل معه الى أية نتيجة وأسرّ السفير السابق ليومياته بتاريخ الثلاثين من تشرين الثاني . « لقد يئس كاناريس من مقاومـة القادة العسكريـين ، وهو يرى ان من غير المجدي القيام بأية محاولة اخرى في هذه الطريق » . ودوّن هاسّيل بعد ايام اخرى في يومياته .. « لم يعد براوخيتش وهولدر اكثر من تابعين صغيرين لهتلر »[2].

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان - الملحق (ب) ص ١٥٦٩ - ١٥٧٠ ومقـــال توماس « التفكير والتطورات » ايضاً .

٢ - يوميات هاسيل ص ٩٣ و ص ٩٤ و ص ١٧٢ .

الإرهاب النازي في بولندة

المرحلة الأولى

لم تمض ايام عدة على هجوم الألمان على بولندة ، حتى أخذت يوميـاتي تمتلىء بأنباء الارهاب النازي في البلاد المحتلة . وقد علمت فيما بعد ان يوميات شخص آخر أخذت تحتشد بهذه الانباء ايضـــاً فقد روى هاسّيل في يوميته بتاريخ التاسع عشر من تشرين الاول، انه سمع « بالأعمال الوحشية التي يرتكبها الحرس النازي في بولندة ولا سيما ضد اليهود » وراح بعد بضعة ايام يسرّ الى يومياته بقصة سمعها من احد اصحاب الاملاك الألمان في مقاطعة بوزن ..

« وكان آخر ما رآه ، الزعيم الاقليمي النـــازي الثمل ، الذي أمر بفتح ابواب السجن ، حيث قتل خمساً من العاهرات وحاول الاعتـــداء على اثنتين اخريين » . [1]

ودوّن هولدر في الثامن عشر من تشرين الأول في يومياته النقاط الرئيسية للحديث الذي دار في ذلك اليوم بين هتلر وبين الفريق ادوارد واغنر مـدير تموينات الجيش عن مستقبل بولندة . وكان هذا المستقبل قاتماً فقد قال هتلر ..

« اننا لا نعتزم مطلقاً اعادة بناء بولندة .. ولن تكون دولة نموذجية على المقاييس الألمانية . ومن الواجب الحيلولة بين الفئات البولندية المثقفة وبين توطيد اقدامها كطبقة حاكمة . وعلينا ان نحافظ على مستويات الحياة الخفيضة فيها ليكون اهلها عبيـداً لا يكلفون كثيراً .

« وعلينا ان نخلق انحلالاً كاملاً في البلاد . وستتيح حكومـة الرايخ للحاكم العـام في بولندة جميع السبل لتحقيق هـذه الخطة

---

١ – يوميات هاسيل ص ٧٩ و ص ٩٤ .

الشيطانية » .

وقد اتاحت له ذلك فعلاً . وفي وسعنا الآن ان نورد وصفاً ملخصاً لبداية عهد الإرهاب النازي في بولندة ، كما تحسر عنها النقاب ، الوثائق الألمانية المصادرة ، والأدلة التي ظهرت في مختلف محاكمات نورمبرغ . ولم تكن الاعمال التي اجترمت هناك إلا تمهيداً للفظائع السوداء التي ارقعها الالمان فيما بعد في جميع الشعوب المحتلة . ولكن هذه الفظائع كانت من البداية حتى النهاية اسوأ في بولندة منها في اية بلاد أخرى . فقد بلغت الوحشية النازية في هذه البلاد حداً لا يكاد يصدق مطلقاً .

وكان هتلر ، قد ابلغ قادته العسكريين قبيل بدء الهجوم على بولندة ، عندما اجتمع اليهم في اوبر سالزبرغ في الثاني والعشرين من آب ان « الامور قد تسير على نحو لا يرضي اذواق الفرقاء الألمان » ، وحذرهم « من التدخل في مثل هذه القضايا ، وان يحصروا اهتمامهم بواجباتهم العسكرية » . وكان هتلر يعرف بالطبع ما يقوله . اذ لم يمض طويل وقت حتى كانت الانباء تنهال على مؤلف هذا الكتاب سواء في برلين أو عند زيارته لبولندة ، عن المذابح النازية . وقد انهالت هذه الأنباء نفسها على القادة العسكريين . فقد دوّن هولدر في العاشر من ايلول ، وكانت الحملة البولندية لا تزال في عنفوانها ، حادثاً يعتبر مثالاً بارزاً لما وصل الى برلين من انباء . وذكر القائد ان بعض غلاظ القلوب من فوج مدفعي من جيش الحرس النازي ، حملوا اكثر من خمسين يهودياً على العمل نهاراً بكامله في اصلاح احد الجسور ثم قادوهم الى كنيس يهودي حيث تولوا ذبحهم فيه . ورفض الفريق فون كويشلر قائد الجيش الثالث ، الذي أصيب فيما بعد بنوبات حادة من تبكيت الضمير ، التوقيع على حكم ليّن اصدرته المحكمة العسكرية على الذين قاموا بهذا العمل ، وهو يقضي بسجنهم سنة واحدة ، قائلاً ان هذا الحكم مغرق في اللين . ولكن براوخيتش القائد العام ما لبث ان ابطل حتى هذه الأحكام اللينة ، بعد ان تدخل هملر ، محتجاً بأن قانون « العفو العام » ينطبق على المجرمين المذكورين

ورأى القادة العسكريون الألمـــان ، وهم يعتبرون انفسهم من المسيحيين الصادقين ان الوضع بات من النوع الذي لا يطـــاق ، والذي يعرضهم للحيرة والضيق . وعقد اجتماع في الثاني عشر من ايلول في قطار الفوهرر الخاص بين كايتل واميرالبحر كاناريس ، وقد احتج هذا على ما يقع من مظالم وفظائع في بولندة . ورد رئيس القيادة العامة للقوات المسلحة ، المستكين رداً مقتضباً فقال ان « الفوهرر قد اتخذ قراره في هذا الموضوع وليس ثمة مجال للبحث فيه » . واذا كان الجيش لا يرغب « في الاشتراك في هذه الوقائع ، فان عليه ان يقبل باعتبار الحرس النازي والغستابو ندين له » أي أن تقبل كل وحدة عسكرية من وحدات الجيش بمفوضين من الحرس النازي في صفوفها يتولون « تنفيذ عمليات الإبادة » . ودوّن اميرالبحر كاناريس في يومياته التي ظهرت في نورمبرغ ما يلي . . .

« وبيّنت للفريق كايتل انني واثق من ان ثمة مخططات للقيام بعمليات ابادة على نطاق واسع في بولندة ، وان هـذه المخططات تهدف الى ابادة النبلاء ورجال الدين . وقلت له ان العالم سيعتبر القوات الألمانية المسلحة مسؤولة حتماً عن هذه الاعمال » [1] .

وكان هملر اشد ذكاء من ان يسمح للقادة العسكريين بالخلاص من المسؤولية . وقام مساعد هملر الأول في التاسع عشر من ايلول بزيارة القيادة العامة للجيش وابلغ الفريق واغنر ، بخطط الحرس النازي الهادفة الى عمليات « تطهير بولندة داخلياً من اليهود والمثقفين ورجال الدين والنبلاء » ودوّن هولدر رد فعـــله تجاه هذه الخطط في يومياته بعد ان نقل اليه واغنر انباءها فقال . . .

« يصر الجيش على ان لا تبدأ عمليات التطهير إلا بعد انسحاب الجيش ، وتحوّل الحكم في البلاد الى الادارة المدنية وذلك في مطلع كانون الأول » .

وتفسّر هذه اليومية المختصرة التي دونها رئيس هيئة اركان الجيش لنا موقف

---

١ ـ يوميات الاميرال كاناريس ـ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٧٦٩ .

القادة العسكريين الألمان من الناحية الأخلاقية لعمليات التطهير . فهم لا يعتزمون معارضة عمليات التطهير التي تعني ابادة اليهود والمثقفين ورجال الدين والنبلاء معارضة جدية . وكل ما يريدونه هو « تأجيل » هذه العمليات الى ان يتم خروج « الجيش » من بولندة ، ليتجنَّب قادته المسؤولية . وكانوا يلحفون بالطبع على وجوب أخذ الرأي العام العالمي في محـــل الاعتبار والاهتمام . وهذا ما دوّنه هولدر فعلاً في يوميته في اليوم التالي ، وبعد اجتماع طويل مع براوخيتش ، تركز البحث فيه على عمليات التطهير في بولندة . . . اذ قال :

« علينا ان لا نسمح بحدوث ما يمكن له تزويد البلاد الاجنبية بالفرصة لشن اي نوع من الحملات الدعائية المعادية التي لا تستند الى مثل هذه الحوادث . والمساس برجال الدين الكاثوليك أمر غـير عملي في هذا الوقت » .

وقدم هايدريش في الواحد والعشرين من ايلول الى قيادة الجيش العليا ، صورة من خططه الأولى لعمليات التطهير . وتنص هذه الخطط كخطوة اولى على « تجميع » اليهود في المدن حيث يكون من السهل الامساك بهم عندما يقع التطهير . واعلن قائلاً « ويتطلب تنفيذ الحـل الاخير » ، بعض الوقت ، ومن الواجب الحفاظ على سريته الكاملة وليس ثمـــة من شك في ان أي قائد عسكري قرأ هـــذه المذكرة ، قد ادرك فوراً ان « الحــــل الاخير » يعني « الابادة » . [1] وعندما حان وقت التنفيذ بعد نحو من سنتين اصبحت هـذه العبارة التي تنطلق على الألسنة ، ترمز الى افظع مـــا ارتكبه النازيون من جرائم في الحرب .

واصدر الفوهرر في الثاني عشر من تشرين الأول ، مرسوماً يقضي بقيـام حكومة بولندة العامـــة في الاراضي التي بقيت بعد ان ضم الروس حصتهم في الشرق ، وضمت المانيا الامارات السابقة التي كانت جزءاً منها قبل الحرب الأولى ،

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٧ - ١٠١ .

الى الرايخ، وعيّن هانز فرانك حاكماً عاماً، وسايس – انيكورات «الكويزلنغ» النمسوي نائباً له. وكان هانز فرانك نموذجاً رائعاً، لقاطع الطرق النازي المثقف. فقد انضم الى الحزب في عام ١٩٢٧ فور تخرجه من كلية الحقوق، وسرعان ما شيّد لنفسه شهرة كالمفكر القانوني للحركة وتميّز هذا الرجل بالذكاء والفراهة والنشاط والثقافة الواسعة التي تتعدى حدود القراءات القانونية الى الآداب العالمية، والميل الى الفنون ولا سيما الموسيقى. وبات بعد وصول النازيين الى الحكم قوة لها وزنها في المنظمات الحقوقية، اذ عمل اولاً كوزير للعدل في بافاريا، ثم غدا وزيراً للدولة بلا وزارة في حكومة الرايخ، ورئيساً للمجمع القانوني ونقيباً للمحامين الألمان. وتمكنت ثقافة هذا الرجل الاسمر الوجه، النشيط الحركة، الكثير الحيوية، ووالد اطفال خمسة من التغلب على تعصّبه الفطري، وجعلت منه حتى ذلك الوقت اقرب الرجال الذين يحيطون بهتلر الى القلب. ولكن كانت شخصية «القاتل المتعمّد» تختفي في هذا الرجل وراء هذا القناع من المدنية والثقافة. فلقد كشفت اليوميات التي دوّنها في اثنين واربعين مجلداً عن حياته واعماله والتي ظهرت الى الاضواء في محاكمات نورمبرغ عن وثائق لا مثيل لها فيما توحي به من رعب، وعرضت مؤلفها في صورته الحقيقية كرجل متعطش للدماء، متحجّر العواطف، قاس لا يرحم ومغال في نشاطه وكفاياته. ويبدو انها لم تنس أي قول من اقواله البربرية.[١]

واعلن في اليوم التالي لتوليه منصبه الجديد. «سيكون البولنديون عبيد الرايخ الألماني» وقال لأحد الصحفيين النازيين عندما سمع ان نوراث «حامي» بوهيميا، قد «علّق» اعلانات عن اعدام سبعة من الطلاب الجامعيين التشيكيين.. «لو اردت ان آمر بتعليق اعلان واحد، عن كل سبعة من البولنديين الذين اعدموا، لما كانت هناك غابات كافية في بولندة لصناعة الورق اللازم لهذه

١ – عثر الملازم وولتر شتاين من الجيش الامريكي السابع على هذه اليوميات في ايار عام ١٩٤٥ في جناح فرانك في فندق بيرغهوف على مقربة من نيوهاوس في بافاريا.

الاعلانات » .[1]

وعهد هتلر الى كل من هملر وهايدريش بإبادة اليهود . وكانت مهمة فرانك بالاضافة الى ابتزاز المواد الغذائية والمؤن والعمل الالزامي من بولندة ، تصفيـة المثقفين وابادتهم . وقد وضع النازيون اسماً رمزياً جميلاً لهذه العمليـة اذ اطلقوا عليها اسم « عملية التهدئة الخارقة للعادة » أو عمليـة (ا ب) كما اصبحت تسمى واستغرق الاعداد لها وقتـاً طويلاً من فرانك ، ولم يشرع في تحقيق بعض النتائج منها إلا في الربيع التالي عندما انشغل العالم بأسره بقضية الهجوم الالماني الكبير في الغرب ، وانصرف بانتباهه عن بولندة . وتظهر يومياته نفسها انه كان في وسعه في الثلاثين من ايار ان يفاخر في حديث « مكتوم » الى مساعديه من قادة الشرطة باحراز بعض التقدم وبأن ارواح «بضعة آلاف » من المثقفين البولنديين قد ازهقت أو على وشك ان تزهق .

وراح يقول لرجاله .. « واني لأرجوكم يا سادة ان تتخذوا من الاجراءات افساها واكثرها حزماً لمساعدتنا في مهمتنـا هذه » . واضاف يسر لهم ان هذه هي « اوامر الفوهرر » لأنه قد اصدرها على النحو التالي :

« يجب تصفية جميع الرجال القادرين على تولي الادوار القيادية في بولندة . ومن الواجب ابادة الاشخاص الآخرين الذين يتبعونهم ويسيرون في ركابهم ، كل منهم بدوره ، وليس ثمـة من حاجة الى تحميل الرايخ اعباء وجودهم ... كما لا حاجـة الى الزج بهـم في معسكرات الاعتقال في الرايخ » .

واضاف ان من الواجب التخلص منهم هناك على ارض بولندة نفسها [2] .
ودوّن فرانك في يوميته عن ذلك الاجتماع ان رئيس شرطة الأمن قـدم اليه تقريراً عن سير العمل . فقد قبض على نحو من الفي رجل وعدة مئات من

---

١ - محاكمات كبار مجرمي الحرب (١) ص ٢٩٧ .
٢ - محاكمات كبار مجرمي الحرب (٧)ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

النساء ، في « مستهل عملية التهدئة الخارقة للعادة » . وقد تم « اعدام معظمهم بالجملة » وهو اصطلاح نازي يطلق على عمليات الابادة . واضاف التقرير ان مجموعة اخرى من المثقفين يجري اعتقالها الآن لعملية « الاعدام بالجملة » . وهكذا فان نحواً من (٣٥٠٠) من اشد العناصر البولندية المثقفة خطورة سيتم الاهتمام بها .. [١]

ولم يوّفر فرانك اليهود ابداً ، حتى ولو كانت الغستابو قد انتزعت مهمة ابادتهم منه . وتحتشد يومياته بما ساوره من افكار في هذا الموضوع وما حققه من اعمال . وتتضمن هذه اليوميات خطاباً القاه في جمعية نازية في بولندة في السابع من تشرين الاول عام ١٩٤٠ ، لخص فيه ما قام به من اعمال في غضون العام الاول من حكمه في بولندة وقال :

« ايها الرفاق الاعزاء ... لم يكن في وسعي ان اقضي على كل ما في البلاد من قمل ويهود في عام واحد فقط . (ودوّن ان الجمهور المستمع اليه قد طرب لهذه العبارة) . ولكننا سنتمكن من تحقيق هذا الهدف اذا ساعدتموني مع مرور الزمن » [٢] .

وانهى فرانك جلسة عقدها مجلس وزرائه في كراكاو التي جعل منها عاصمته ، قبل اسبوعين من عيد الميلاد في السنة التالية (١٩٤١) بقوله :

« ارد ان اقول لكم بصراحة تامة ، ان من الواجب التخلص من جميع اليهود بطريق أو بآخر ... واريد ان اطلب منكم ايها السادة ان تتخلصوا من كل مشاعر الرحمة . فعلينا ان نبيد اليهود تماماً » .

واعترف ان من الصعوبة بمكان « ان نقضي على ثلاثة ملايين ونصف المليون من اليهود المقيمين في اراضي « الحكومة البولندية العامة » ، بالقتل أو السم ،

---

١ – محاكمات كبار مجرمي الحرب ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .
٢ المؤامرة النازية والمدوان (٤) ص ٨٩١ .

ولكننا سنتمكن من القيام باجراءات ستؤدي الى حدٍ ما الى ابادتهم ». وكانت هذه النبوءة دقيقة الى حد ما .[1]

وبـدأت عملية ترحيل اليهود والبولنديين مـن الديار الـتي عاشوا فيها هم وعائلاتهم اجيالاً طويلة فور انتهاء القتال في بولندة . وعين هتلر في السابع من تشرين الاول ، أي في اليوم الذي تلا « خطابه السلمي » المشهور ، هملر ليكون رئيساً لمنظمة جديدة هي « قوميسارية الرايخ لتقوية القومية الألمانية » أو مـا اطلق عليها الاسم المختصر (R.K.F.D.V) تسهيلاً . وكانت مهمة هذه المنظمة نقل البولنديين واليهود اولاً من المقاطعات البولندية ، التي ضمت الى المانيا مباشرة، والإستعاضة عنهم بالألمان الاصليين أو من الذين يمتون الى الاصل الألماني والذين كانوا يعيشون في اطراف بولندة البعيدة أو في دويلات البلطيق وأخذوا يتدفقون على المانيا الآن فراراً من الخطر الذي بات يهدد هذه البلاد من الشرق. وكان هولدر قد سمع بهذه الخطة قبل اسبوعين من تنفيذها ، ودوّن في يومياته ان « شخصين سيطردان من بولندة مقابل كل الماني يرتحل الى هذه المقاطعات».

واصدر هملر في التاسع من تشرين الاول اي بعد يومين من توليه منصبه الجديد قراراً بترحيل (٥٥٠) الفاً من مجموع (٦٥٠) الف يهودي يعيشون في المقاطعات البولندية التي ضمت الى الرايخ مباشرة ، ومعهم جميع البولنديين الذي لا يصلحون «للاندماج» مع الألمان الى اراضي « الحكومة البولندية العامة » الى الشرق من نهر الفستولا . وتم في غضون يوم واحد ترحيل مليون ومائتي الف بولندي وثلاثمائة الف يهودي ، من اماكنهم وابعدوا الى الشرق ، ليحل محلهم (٤٩٧) الفاً من الألمان فقط . وكانت النسبة تفوق والحالة هذه ما قدره هولدر اذ ابعد ثلاثة من البولنديين واليهود مقابل كل مهاجر الماني .

وتميز شتاء عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠ بالقسوة كما يتذكر المؤلف الآن ، وسقطت فيه « ثلوج » كثيرة ، وتم ترحيل البولنديين واليهود في هذا الجو القارص الذي

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٨٩١ - ٨٩٢ .

تهبط فيه درجة الحرارة عن الصفر ، ووسط زوابع ثلجية ، مما أدى الى خسائر في الارواح تفوق عدد الذين ذهبوا ضحية مشانق النـازيين ورصاصهم . وفي وسعنا ان نعتمد على اقوال هملر نفسه ، فقد القى خطاباً في جماعات من الحرس النازي في الصيف التالي ، أي بعد سقوط فرنسا ، رسم فيه مقارنة بين عمليات « الترحيل » التي شرع رجاله في تنفيذها في الغرب ، وتلك التي قاموا بها في الشرق وقال :

« حدثت هذه العمليات في بولندة في طقس قارص تهبط فيـه الحرارة أربعين درجة عن الصفر ، حيث تحتم علينا أن نغير اتجاه الألوف بل وعشراتها ومئاتها ، من ناحية الى ناحية ، وكان لزاماً علينا ان نتحلى بالقسوة التي اود ان تسمعوا بها وان تنسوا ما سمعتوه فوراً ، لقتل الالوف من البولنديين البارزين ... وليس ثمة من شك في ان من الأسهل ايهـــا السادة في كثير من الاحوال ان يصطرع الانسان مع جماعة عسكرية ، على ان يخمد جمهوراً متمرداً يتميز بالمستوى الثقافي الخفيض او ان ينفذ عمليات إعدام ، أو يغير اتجاه جماعات من النساء اللائي يبكين بـــكاء هستيرياً أو يجليهن عن مكان ما »[1]

وكان الزعيم الأول ريشارد غليكس ، من كبار قادة جيش الحرس النازي ورئيس دائرة تفتيش المعتقلات ، قد ابلغ هملر في الواحد والعشرين من شباط عام ١٩٤٠ بعد ان طاف بالمنطقة المحيطة بكراكاو ، انه عثر على « موقـــع مناسب » لإقامة « معسكر جديد للحجز » في اوشويتز ، وهي بلدة صغيرة مهجورة ، وفي منطقة تغص بالمستنقعات تضم نحواً من اثني عشر الف انسان ، وفيها بالاضافة الى بعض المصانع ، ثكنة نمسوية قديمة للخيالة . وبدأ العمل في اعداد المعسكر فوراً . وتم في الرابع عشر من حزيران افتتاح معتقل اوشويتز

---

(١) المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

للمسجونين السياسيين البولنديين الذين اراد الألمان ان يعاملوهم معاملة تنطوي على الكثير من القسوة . وسرعان ما تحول هذا المكان الى معتقل من اكثر المعتقلات شراً وفظائع . وكان مديرو مؤسسة « فاربين » لاحتكار الصناعات الكيمائية الألمانية قد اكتشفوا في غضون ذلك ان « اوشويتز » موقع ممتاز لصناعة المطاط الكيمائي وزيت الفحم الصناعي . وتطلبت اقامة الأبنية الجديدة اللازمة لهذه المصانع ، وادارة العمل فيها ، المزيد من اليد العاملة الرقيقة والرخيصة .

ووصلت الى اوشويتز في ربيع عام ١٩٤٠ زمرة من اغلظ رجال الحرس النازي قلباً بقيادة جوزيف كرامر ، الذي اشتهر امره فيما بعد عند الجماهير البريطانية وعرف باسم « وحش بيلزين » وذلك لتولي ادارة المعسكر وتأمين العمل الدقيق لمصانع فاربين . وكان يساعده رودولف فرانز هويس ، المجرم المدان بتهمة القتل والذي قضى خمس سنوات في السجن ليصبح فيما بعد سجاناً ، والذي تفاخر فيما بعد في نورمبرغ ، في عام ١٩٤٦ وكان قد بلغ السادسة والاربعين من عمره ، بأنه اشرف في اوشويتز على إبادة مليون من المعتقلين ، يضاف اليهم نصف مليون آخر ، ماتوا جوعاً .

وقد قدر لأوشويتز ان يغدو اكثر معتقلات الإبادة شهرة ، ومن الواجب تمييزه عن معسكرات الاعتقال التي ظل بعض نزلائها احياء حتى انتهاء الحرب . ولا ريب في ان من المهم كل الأهمية لتفهم الألمان ، حتى من اكثرهم جدارة بالاحترام في عهد هتلر ، ان يقال ان مثل هذه الشركة — شركة فاربين — ذات المكانة البارزة والشهرة الدولية ، والتي كان مديروها يكرّمون على انهم من ابرز رجال الاعمال في المانيا واكثرهم نجاحاً ، ويبدون بمظهر الذين يخافون الله ، قد آثرت ان تجعل من معسكر الموت هذا مكاناً مناسباً لتجارتها المربحة .

الاحتكاك بين الجماعيين

تميّز محور برلين - رومة بكثرة ما دار فيه من صراخ في ذلك الخريف الأول من الحرب .

وتبودلت الخلافات الحادة على مختلف المستويات بين البلدين متناولة عدداً من المشاكل أهمها فشل الألمان في تنفيذ جلاء المواطنين من أصل الماني من التيرول الجنوبي الايطالي تنفيذاً لاتفاق سابق في حزيران الماضي ، وفشل الألمان ايضاً في تزويد ايطاليا بمليون طن من الفحم في كل شهر ، وتقاعس الايطاليين عن تجاهل الحصار البريطاني وتزويد المانيا بالمواد الأولية التي تحتاجها والتي تستورد عن طريق ايطاليا ، وازدهار اتجار ايطاليا مع بريطانيا وفرنسا وتزويدها لهما ببعض المواد الحربية ، وتزايد مشاعر شيانو المناوئة للألمان .

وكان موسوليني ، كدأبه دائماً ،يترنح بين الحدة والبرود ، وقد دوّن شيانو مراحل هذا التقلب في يومياته . ولقي الدوتشي مشقة بالغة في التاسع من تشرين الثاني ، في اعداد برقية الى هتلر يهنؤه فيها بنجاته من محاولة الاغتيال. وقد دوّن شيانو في يومياته يقول :

« اراد ان تكون برقيته دافئة عاطفية ،على ان لا تكون مغالية في دفئها ، اذ انه في تقديره ، لم يكن يرى ان هناك ايطالياً واحداً يحس احساساً شديداً بالفرح ،لأن هتلر قد نجا من الموت ، والدوتشي في مقدمتهم ..

« ٢٠ تشرين الثاني .. لا يستطيع موسوليني احتمال فكرة قيام هتلر بشن الحرب ، او بكسبها وهو الأسوأ » .

واعرب الدوتشي في اليوم الذي تلا عيد الميلاد عن« رغبته في هزيمة المانيا» ، وراح يوعز الى شيانو ، بأن يبلغ سراً كلا من بلجيكا وهولندة بأنهما تتعرضان لهجوم قريب . [1] ولكن لم يحل مطلع العام الجديد ، حتى كان يتحدث ثانية عن الدخول في الحرب الى جانب هتلر .

---

١ – نقل شيانو التحذير الى السفير البلجيكي في رومة في الثاني من كانون الثاني ودون عمله هذا في يومياته . ويقول وايز ساكر ان الألمان التقطوا برقيتين رمزيتين بعث بهما السفير البلجيكي الى بروكسل ، ينقل فيهما تحذير الوزير الايطالي وتولوا حلها (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٦٨٣) .

وكانت سياسة الألمان المؤيدة للروس هي السبب الرئيسي في الاحتكاك بين دولتي المحور. فلقد قام الجيش السوفياتي الأحمر في الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ بمهاجمة فنلندة، ووجد هتلر نفسه في وضع حرج للغاية عرضه للإذلال والمهانة. فلقد طرد الألمان من البلطيق ثمناً لميثاقهم الذي عقدوه مع ستالين، ووجد هتلر نفسه مجبراً على اجلاء الأسر الألمانية التي عاشت في تلك البلاد قروناً طويلة، بسرعة فائقة، وتحتم عليه الآن ان يعلن رسمياً تسامحه تجاه قيام الروس بهجوم غير مستفز على بلاد صغيرة تشدها الى المانيا اوثق الوشائج منذ عهد طويل، وكان للجنود الالمان النظاميين في عام ١٩١٨، الفضل الاكبر في تحقيق استقلالها وخروجها على النطاق الشيوعي بعد قيام الحكم السوفياتي في روسيا.[1] وكانت «البرشامة» مرة كل المرارة على مذاق هتلر، ولكنه وجد نفسه مرغماً على ابتلاعها، وقد ابتلعها. وصدرت تعليمات حازمة الى البعثات الدبلوماسية الألمانية في الخارج، والى الصحف والاذاعات الالمانية لتأييد عدوان روسيا وتجنب التعبير عن أي عطف على الفنلنديين.

ويبدو ان هذا كان الخيط الاخير بالنسبة الى موسوليني الذي تحتم عليه ان يواجه المظاهرات المعادية للألمان في طول ايطاليا وعرضها. وراح الدوتشي بعيد مطلع العام الجديد، وفي الثالث من كانون الثاني على وجه التحديد ينفس عما يحس به من ضيق في رسالة مطولة بعث بها الى الفوهرر. ولم يكن الدوتشي قط لا من قبل ولا من بعد، بمثل هذه الصراحة التي بدت في رسالته المذكورة، عندما كان على استعداد لتقديم مثل هذه النصائح الحادة والقاسية لزميله هتلر.

وقال الدوتشي في رسالته انه «واثق ثقة مطلقة» من ان المانيا لن تستطيع حتى ولو ساعدتها ايطاليا، ارغام بريطانيا وفرنسا على الركوع والاستسلام أو

---

١ – انتخب البرلمان الفنلندي في التاسع من تشرين الأول عام ١٩١٨ – وهذه طرفة مضحكة من طرف التاريخ المجهولة – الأمير فريدريك كارل أوف هيسي ليكون ملكاً لفنلندة بأغلبية ٧٥ صوتاً مقابل ٢٥ وذلك اعتقاداً من النواب بأن المانيا هي التي ستكسب الحرب. ولكن انتصار الحلفاء بعد نحو من شهر وضع نهاية لهذه القصة المضحكة.

حتى التفريق بينهما . وحمل مثل هذا الأمل مجرد حلم خادع، فلن تسمح الولايات المتحدة بهزيمة الدولتين الديموقراطيتين هزيمة كاملة » . ولذا فليس من الضروري بعد ان أحس هتلر الآن بالاطمئنان على حدوده الشرقية ان « يجازف بكل شيء حتى بالعهد النازي نفسه ، ويضحي بزهرة الاجيال الألمانيـة » في محاولة لهزم هاتين الدولتين . وقال موسوليني انه يرى السلام ممكناً اذا سمحت المانيا بوجود دولة بولندية متواضعة وغير مسلحة شريطة ان تكون بولندية تمامـاً . واضاف قائلاً : « وما لم تكن تعتزم المضي في الحرب حتى النهاية ، فإني اعتقد ان خلق دولة بولندية .. قد يكون عنصراً نافعاً في تقرير الحرب ، واقامـة وضع صالح لخلق السلام » .

ولكن صفقة المانيا مع الروس هي التي تقض على الديكتاتور الايطالي مضجعه اكثر من أي شيء آخر ، اذ مضى يقول :

« وقد افادت روسيا من الحرب دون ان تطلق رصاصة واحدة فائدة كبيرة تتمثل في ما استولت عليه في بولندة ودول البلطيق. ولكن في وسعي ، وقد ولدت انساناً ثورياً ، ان اقول لك، ان ليس بامكانك الاستمرار في التضحيـــة بمبادىء ثورتك في سبيل المقتضيات التكتيكية للظروف الناتجة عن فترة سياسية معينة .. وأرى من واجبي ان أضيف بأن قيامك بأية خطوة جديدة في طريق علاقـــاتك مع موسكو سيؤدي الى نتـائج مفجعـــة في ايطاليا » (١)

ولم تكن رسالة موسوليني التحذيرية الى هتلر، مجرد انذار عن تدهور العلاقات الايطالية – الالمانية فحسب ، وانما اصابت ايضاً هدفاً سهل المنال في الصميم ، وهو شهر العسل الذي يقضيه الفوهرر مع روسيا السوفياتية ، اذ ان ما يقع فيه من خلافات قد بدأ في التأثير على اعصاب العروسين . حقـــاً لقد مكنه هذا

---

١ – نص الرسالة – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٦٠٤ - ٦٠٩ .

الزواج من شن حربه على بولندة وتدميرها ، كما اتاح له ايضاً فوائد اخرى . فقد كشفت الاوراق الالمانية المصادرة عن سر يعتبر من أدق اسرار الحرب ، وهو تأمين الاتحاد السوفياتي الموانىء على المحيط المتجمد الشمالي والبحر الأسود والمحيط الهادىء ، لتستورد المانيا عن طريقها ما هي في حاجة اليه من مواد حربية ، كان الحصار البريطاني يحول دون وصولها اليها .

ووافق مولوتوف في العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ ايضاً على ان يقوم الاتحاد السوفياتي كذلك بدفع اجور نقـــل هذه السلع على السكك الحديدية الروسية . [١] وتعهدت روسيا ايضاً بتأمين الوقود وخدمـات الاصلاح للسفن والغواصات الالمانية في ميناء تيريبيركا الواقعـة على المحيط المتجمد الشمالي الى الشرق من مورمانسك ، فقد ظن مولوتوف ان الميـنـاء الاخير أي مورمانسك لا يؤمن « السرية المطلوبة » بينما يعتبر تيريبيركا « اكثر صلاحاً لبعده عن الخطوط الملاحية ، ولعدم وصول السفن الاجنبية اليه » . [٢]

وظلت المانيا وروسيا السوفياتية تتفاوضان طيلة خريف عام ١٩٣٩ وشتائه ، لزيادة الاتجار بينهما . ولم تحل نهاية كانون الاول حتى كانت شحنات الروس من المواد الأولية ولا سيما من الحنطة والزيت الى المانيا قد بلغت حداً كبيراً ولكن الالمان ظلوا يطلبون المزيد . وبدأوا يتعلمون ايضاً ان الروس لا يقلون مهارة وصلابة في مساوماتهم الاقتصادية عن مهارتهم وصلابتهم في المفاوضات السياسية . واحتج المشير غورنغ وامير البحر الاكبر ريدر والفريق كايتـــل في الاول من تشرين الثاني ، « فرادى الى وزارة الخارجية » طبقاً لما دوّنه وايز ساكر ، على مبالغة الروس في طلب المعدات الحربية من المانيا . وعاد كايتل الى الاحتجاج ثانية الى وايز ساكر ، بأن طلبات الروس من المنتجات الالمانية ولا سيما الآلات اللازمة لصناعـة الذخيرة « اخذت تزداد شراهة وبعداً عن العقـــل والمنطق

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٣٩٤ .

٢ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٢١٣ .

شيئاً فشيئاً » [1].

ولكن لما كانت المانيا بحاجة الى الغذاء والزيت من روسيا . فقد كان لزاماً عليها ان تدفع الى موسكو السلع التي تحتاجها وتريدها . وكانت حاجة الرايخ « المحصور » الى هذه المواد الضرورية من روسيا كبيرة الى الحد الذي حمل هتلر على ان يصدر في الثلاثين من آذار عام ١٩٤٠ ، وفي لحظة من اكثر اللحظات حراجة، امره بأن تعطى الأولوية لتسليم المعدات الحربية الى روسيا حتى بالنسبة الى ما تحتاجه القوات الألمانية المسلحة نفسها [2] . ودفع الألمان في وقت من الاوقات الطراد الثقيل « لويتزاو » الذي لم يكن قد تم بناؤه بعد ، كجزء من مدفوعاتهم الى موسكو . وكان امير البحر ريدر قد اقترح في الخامس عشر من كانون الأول ان يبيع الألمان الى موسكو ، تصميات البارجة « بسمارك » ذات حمولة (٤٥) الف طن والتي تعتبر اضخم بارجة في العالم ، وهي تحت البناء اذا دفع الروس « ثمناً غالياً جداً لها » [3]

واشترك ستالين شخصياً في نهاية عام ١٩٣٩ في المفاوضات التي تدور في موسكو مع الوفد التجاري الألماني . ووجد الاقتصاديون الألمان فيه مساوماً من الدرجة الأولى . وهناك في وثائق الويلهلمشتراسة المصادرة مذكرة طويلة مسهبة عن ثلاثة اجتماعات لا تنسى عقدها الوفد الالماني مع ستالين الذي بعث المهابة في نفوسهم ، والذي ادهشهم بما يعرفه من كثرة التفاصيل . وقد وجدوا ان ليس من السهل خداع ستالين أو « بلفه » ، وانه يواصل الالحاف والمطالبة بقسوة وشراسة ، حتى انه كان في بعض الأحايين ، على حد رواية الدكتور

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٤٩٠ .

٢ – ابلغ غورنغ الفريق توماس (المستشار الاقتصادي للقيادة العامة للقوات المسلحة) بعد احتلال فرنسا والاراضي المنخفضة ان « الفوهرر يرغب في تسليم الروس ما يطلبونه في المواعيد المقررة حتى ربيع عام ١٩٤١ فقط » ثم مضى يقول ... « أما بعد ذلك التاريخ فلن تكون لنا مصلحة في ارضاء المطالب الروسية وتلبيتها » . (المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص١٠٨٢).

٣ – وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٥٣٧ .

شنوري ، احد المفاوضين النازيين ، في تقريره الذي بعث به الى برلين ، « ثائراً الى حد كبير » . وراح ستالين يذكّر المفاوضين الألمان بأن الاتحاد السوفياتي « قدم خدمات عظمى لألمانيا ، واكتسب اعـداء له بسبب هذه الخدمات » . وهو يتوقع شيئاً من الاحترام من برلين مقابل هذه الخدمات ... وفي اجـتماع عقد في الكرملين عشية رأس سنة ١٩٤٠ ...

« وصف ستالين الثمن الاجمالي للطائرات بأنه مسئلة خارجة عن الموضوع تماماً . اذ ان هذا الثمن يمثل اضعاف الثمن الحقيقي . وهو يود ان تصارحه المانيا اذا كانت عزوفة عن تسليم هذه الطائرات اليه » .

وفي جلسة عقدت عنـــد منتصف ليلة الثامن مـــن شباط في الكرملين ...«طلب ستالين من الألمان ان يقترحوا اسعاراًمعقولة، وان لا يبالغوا في وصفها على النحو الذي وقع سابقاً . وأورد على سبيل المثال ، ما طلبه الألمان من ثمن للطائرات بلغ ثلاثمائة مليون مارك . وما طلبوه ثمناً للطراد « لوتيزاو » بلغ حدود ١٥٠ مليوناً من الماركات . واضاف ان على الألمـان ان لا يستغلوا طيبة الاتحاد السوفياتي وحسن نواياه » [١] .

وتم التوقيع في موسكو اخيراً في الحادي عشر من شباط عام ١٩٤٠ على اتفاق تجاري معقد ، ينص على تبادل السلع بين الدولتين في غضون الثمانية عشر شهراً التالية في حدود (٦٤٠) مليوناً مـن الماركات كحد ادنى . ويضاف هذا المبلغ ، الى ما اتفق عليه فى الاتفاق التجاري الذي عقـــد في شهر آب الماضي والذي ينص على تبادل في السلع يبلغ (١٥٠) مليوناً من الماركات في العامتقريباً. ونص الاتفاق الجديد ايضاً على ان تحصل روسيا بالاضافة الى الطراد « لوتيزاو » وتصميات البارجة « بسمارك » ، على عدد من المدافع البحرية الثقيلة وغيرها من

---

١ — وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٥٩١ و ٧٥٣ .

المعدات ، وعلى ثلاثين من احدث الطائرات الألمانــية المحاربة بينها طائرات مقاتلة مــن طراز « مسرشميت ١٠٩ » و (١١٠) وطائرات « يونكرز ٨٨ » المنقضة . وتقرر ايضاً ان يتسلم الروس الآلات لصناعاتهم الكهربائية والنفطية، والقاطرات والمحركات الدوارة (توربينات) ، والمولدات ، وقاطرات الديزل والبواخر وقطع الآلات ونماذج من مدافع الالمان ودباباتهم ومتفجراتهم ومعداتهم للحرب الكيمائية وما اشبه ذلك من آلات .[١]

وسجلت وثائق القيادة العليا للقوات المسلحة ما حصل عليه الالمان في السنة الاولى من الروس ، وتضمنت القائمة مليون طن من الحبوب ونصف مليون من القمح وتسعمائة الف طن من الزيت ومائة الف طن من القطن وخمسمائة الــف طن من الفوسفات وكميات كبيرة مــن المواد الاولية المهمة الاخرى ، ونقل مليون طن من « حبوب الصويا » من منشوريا .[٢]

واعد الدكتور شنوري الخبير الاقتصادي في وزارةالخارجية الالمانيةوالموجه للوفد التجاري في موسكو ، عند عودته الى برلــين مذكرة مطوّلة ، ضمنها المكاسب التي حققها للرايخ في مفاوضاته . وقد جاء في هذه المذكرة ان ستالين بالاضافة الى ما قدمه من مواد اولية تحتاجها المانيا أمس الحاجة عرض «مساعدة سخيّة » وهي ان تتولى روسيا دور « المشتري للمعادن والمواد الاولية بالنيابة عن المانيا في بلاد اخرى » ، وانهى مذكرته قائلاً :

« ويعني هذا الاتفاق ، فتح الباب على مصراعيه لنا باتجــاه الشرق ... وليس ثمة من شك في انــه سيضعف الحصار البريطاني المفروض علينا الى حد كبير » .[٣]

---

١ ــ نص الاتفاق التجاري المعقود في ١١ شباط عام ١٩٤٠ والارقام الــتي تحدد الشحنات المتبادلة في « وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٧٦٢ – ٧٦٤ .

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ١٠٨١ – ١٠٨٢ .

٣ ـ مذكرة شنوري بتاريخ ٢٦ شباط عام ١٩٤٠ موجودة في « وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨١٤ ـ ٧١٨ .

ولعل هذه المساعدة الاقتصادية كانت من اهم الاسباب التي حملت هتلر على ابتلاع ما اصاب كبرياءه من اذلال ، وعلى مساعدة روسيا في عدوانها على فنلندة ، وهو عدوان لم يلق قط تأييداً من الشعب الالماني ، وعلى قبول التهديد الموجه ضد المانيا وحدها دون غيرها ، من اقامة الجنود والطيارين الروس في القواعد الجديدة التي حصل عليها ستالين في دول البلطيق الثلاث . فلقد ساعده ستالين على التغلب على الحصار البريطاني ، وما زال يتيح له الفرصة – ولعل هذا هو المهم كل الأهمية - للقتال في جبهة واحدة ليس إلا ، ولتركيز قوته العسكرية الهائلة في الغرب ، ليوجه بها الضربة القاضية، ضد فرنسا وبريطانيا، ويجتاح بها بلجيكا وهولندة ، ليتمكن بعد ذلك كله من تنفيذ المخطط الذي وضعه ، والذي سبق له ان نقله الى قادته العسكريين .

وكان في السابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٣٩ ، وبعد انتهاء الحملة البولندية قد ذكر " كايتل بأن الاراضي البولندية ...

« مهمة لنا من وجهة نظر عسكرية . كنقطة قفز امامية ، ولحشد سوقي لقواتنا الحربية . ومن الواجب تحقيقاً لهذه الغاية الحفاظ على ما في بولندة من طرق حديدية وطرق برية ووسائل اخرى للمواصلات ، سليمة من كل اذى » [١] .

وادرك هتلر مع اقتراب عام ١٩٣٩ الجليل الشأن من نهايته ، كما سبق له ان قال لقادته العسكريين في مذكرته بتاريخ التاسع من تشرين الاول ، انه لا يمكن الركون الى حياد السوفيات الى الابد . واضاف ان الاوضاع قد تتبدل في غضون ثمانية اشهر او سنة . وعاد يؤكد في خطابه الذي القاه على هؤلاء القادة في الثالث والعشرين من تشرين الثاني « ان ليس في وسعنا ان نقاوم روسيا إلا عندما نتحرر من الغرب » . وظلت هذه الفكرة مسيطرة على عقله

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٦٢٠ .

القلق امداً طويلاً .

واختفت السنة القدرية في ضباب التاريـــخ في جو غريب وعجيب . فعلى الرغم من وجود حرب عالمية ، لم يكن هناك قتال في البر ، ولم تكن القاذفات الضخمة تحمل في الجو إلا منشورات دعائية من اسوأ ما كتب من دعايات . واقتصرت الحرب الفعلية على البحر . اذ واصلت الغواصات الألمانية فرض جزيتها على البواخر البريطانية وحتى المحايدة في مياه شمال الاطلسي القاسية والباردة .

وخرجت « غراف شبي » وهي احدى بوارج الجيب الألمانية الثلاث من مركز انتظارها الى جنوب الاطلسي وتمكنت في غضون ثلاثة اشهر من اغراق تسع بواخر نقل بريطانية حمولتها خمسون الف طن وفي الرابع عشر من كانون الأول عام ١٩٣٩ ، وقبل ايام من اول عيد ميلاد يقضيه العالم في الحرب ، تكهربت جماهير الألمان من الانباء التي نشرت تحت عناوين لاهبـــة ، والتي اذيعت على شكل خاطف سريع على موجات الأثير ، تنقل اليها نبأ انتصار عظيم في البحر . فلقد قيل في البيانات ان البارجة الألمانية اشتبكت مع ثلاثة طرادات بريطانية في اليوم السابق على بعد اربعمائة ميل من ميناء مونتفيديو في امريكا الجنوبية وعطلتها عن العمل . ولكن سرعان ما تحول المرح الى دهشة . فلقد اذاعت الصحف الألمانية بعد ثلاثة ايام فقط ان البارجة قد اغرقت نفسها عند مصب نهر لابلاتا على مقربة من عاصمة اورغواي . ترى أي نصر هذا ؟ واعلنت القيادة البحرية العليا في الواحد والعشرين من كانون الأول ان قائد « غراف شبي » القبطان هانز لانغسدورف قد « حذا حذو سفينته ، فمات منتحراً ، قائماً بواجبه كمحارب وبطل ، ومحققاً الآمال التي كان يعلقها عليه الفوهرر والشعب الألماني والاسطول » .

ولم يعرف الرأي العام الألماني قط ان « غراف شبي » قد اصيبت بأضرار بالغة من الطرادات الثلاثة التي قيل انها عطلتها ، والتي كانت تقل عن البارجة

في قوة مدافعها [1]، وانها اضطرت الى اللجوء الى مونتفيديو طلباً لإصلاحها ، وان حكومة اورغواي ، لم تسمح لها طبقاً للقانون الدولي إلا بالبقاء مدة اثنتين وسبعين ساعة ، وهي مدة لا تكفي لإصلاحها وان القبطان « البطل » لانغسدورف ، آثر على المجازفة بمعركة اخرى يخوضها مع الوحدات البريطانية ببارجته المعطلة ، ان يغرقها ، وانه بدلاً من ان يمضي معها الى اعماق البحار ، انتحر بعد يومين باطلاق النار على نفسه في غرفة في احد فنادق بيونس ايرس . ولم يعرف الشعب الالماني ايضاً ، ان الفوهرر كما روى الفريق يودل في يوميته بتاريخ الثامن عشر من كانون الأول ، « غضب أشد الغضب لإغراق البارجة غراف شبي دون معركة » ، وبعث في طلب امير البحر ريدر الذي تلقى منه اعنف التوبيخ .[2]

واصدر هتلر في الثاني عشر من كانون الاول توجيهاً آخر ، « سرياً للغاية » أجل فيه الهجوم في الغرب ، وحدد ان أي قرار جديد لن يتخذ قبل السابع والعشرين من الشهر ، وان اقرب تاريخ للغزو ، سيكون في الاول من كانون الثاني عام ١٩٤٠ . ونصح تبعاً لذلك بمنح اجازات عيد الميلاد للعسكريين . وأرى في يومياتي التي دونتها عن تلك الايام ، ان برلين احتفلت بعيد الميلاد في ذلك العام - وهو من اكثر اعيادها في العادة مرحاً وصخباً - بشكل كئيب قاتم ، ولم تقدم فيه الهدايا كالعادة ، وتميّز الغذاء الذي قدم فيه بالتقتير والشح ، بينما كان معظم الرجال غائبين عن بيوتهم والشوارع يسودها الظلام ، ونوافذ الدور معتمة اسدلت عليها سحب وستائر ثقيلة ، وكل من في العاصمة يتمتم متذمراً من الحرب واوضاع الغذاء وشدة البرد القارص

---

١ - اوعز غوبلز في اليوم الذي سبق غرق البارجة الى الصحف الالمانية بنشر برقية مزورة صادرة عن مونتفيديو تقول ان « غراف شبي » لم تصب إلا « بأضرار طفيفة ، وان الانباء البريطانية عن اصابتها بأضرار تشلها عن الحركة ليست إلا اكاذيب صارخة .

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٣٩ . ص ٦٢) - نص رسالة لانغسدورف المؤثرة وفي نفس المصدر المواد الاخرى المتعلقة بالمعركة وما وقع بعدها (ص ٦٠ - ٦٢) .

وتبودلت برقيات التهنئة بالعيد بين هتلر وستالين ، اذا ابرق هتلر قائلاً : « ابعث اليك بأحسن التمنيات لسعادة شخصك الكريم ، ولرخاء شعوب الاتحاد السوفياتي الصديقة ومستقبلها الطيب » .

ورد ستالين قائلاً ... « هناك كل ما يبرر خلود الصداقة القائمة بين شعبي المانيا والاتحاد السوفياتي التي وثقتها المشاركة في الدم ، وان يحفظها على اسس راسخة » .

واغتنم السفير السابق فون هاسّيل في برلين فرصة العيد للتحدث الى رفاقه المتآمرين من امثال بوبيتز وغويردلر والفريق بيك ، ودوّن في يومياته بتاريخ الثلاثين من كانون الثاني الخطة الاخيرة التي توصل اليها ... وكانت على النحو التالي :

« تقف عدد من الفرق الحربية في برلين ، وهي في طريق نقلها من « الغرب الى الشرق » . ويظهر ويتزليبين في برلين ويأمر بحل جيش الحرس النازي . ويمضي بيك على هذا الأساس الى زوسين حيث يتولى القيادة العامة من براوخيتش . ويقوم احد الأطباء باعلان عجز هتلر عن البقاء في الحكم ، ويحمل بعد ذلك الى الاعتقال التحرزي . ويصدر نداء بعد ذلك الى الشعب يتضمن النقاط التالية : الحيلولة دون أية فظائع يقوم بها الحرس النازي ، اعادة الأخلاق المسيحية والشرف والنزاهة ، المضي في الحرب مع الاستعداد لعقد الصلح على اسس معقولة ... » .

ولكن هذه الخطة لم تكن اكثر من مجرد سفسطة وكلام لا طائل تحته ، اذ انها كانت بعيدة عن الواقع . ويبدو ان « المتآمرين » كانوا على اختلاف في آرائهم حتى ان هاسّيل خصّص جزءاً كبيراً من يومياته لدراسة ما اذا كان من الضروري الاحتفاظ بغورنغ او الاطاحة به ايضاً .

واستغل غورنغ نفسه بالاضافة الى هتلر وهملر وغوبلز ولي وغيرهم من زعماء الحزب ، فرصة العام الجديد لإصدار بيانات تنطوي على العظمة والفخامة .

وقال لي في بيانه ... « ان الفوهرر على حق دائماً ... فأطيعوه». وقال الفوهرر نفسه ، انه لم يكن « هو الذي اشعل الحرب وانما اشعلها دعاتها من اليهود والرأسماليين » ثم مضى يقول ...

« وها نحن نقف على عتبة هذا العام الحاسم في التاريخ الالماني ونحن متحدون في بلادنا ، اقوياء في اقتصادنا ، ومسلّحون الى اقصى التسلح في جهازنا الحربي ... واننا لنأمل في ان تكون سنة ١٩٤٠ سنة القرار الحاسم . وستتميز مهما وقع فيها بالنصر الذي سنحققه » .

وكان هتلر في السابع والعشرين من كانون الاول قد عاد الى تأجيل الهجوم في الغرب مدة « اسبوعين على الأقل » . وحدد في العاشر من كانون الثاني موعد الهجوم بصورة حاسمة في الساعة الثامنة والدقيقة السادسة عشرة من صباح السابع عشر من كانون الثاني أي « قبيل شروق الشمس بربع ساعة » . وأمر بأن يشرع السلاح الجوي في هجومه في الرابع عشر من كانون الثاني، أي قبل الموعد المحدد بثلاثة ايام ، جاعلاً مهمته تدمير مطارات العدو في فرنسا دون المساس ببلجيكا وهولندة. وحزم أمره على ان يترك الدولتين المحايدتين الصغيرتين في حيرة من مصيرهما حتى اللحظة الاخيرة .

ولكن سيد الحرب النازي عاد فجأة الى تأجيل الهجوم ثانية في الثالث عشر من كانون الثاني « لسبب الأوضاع الجوية » . وظل ملف القيادة العليا للقوات المسلحة عن يوم الغزو في الغرب صامتاً حتى السابع من ايار . ومن المحتمل ان يكون الطقس قد لعب دوراً في تأجيل الهجوم في الثالث عشر من كانون الثاني . ولكننا نعرف الآن ان هناك حادثين آخرين كانا مسؤولين عن هذا التأجيل الى حد كبير وأولهما هبوط طائرة عسكرية المانية بصورة اضطرارية في بلجيكا في العاشر من كانون الثاني ، وثانيهما ظهور فرصة جديدة الآن في الشمال .

ففي العاشر من كانون الثاني وهو اليوم الذي أمر فيه هتلر بأن يبدأ الهجوم في

السابع عشر عبر بلجيكا وهولندة ، اضطرت طائرة حربية المانية كانت تطير من مونيستر الى كولون الى الهبوط في بلجيكا بعد ان ضلت طريقها بسبب السحب الكثيفة وذلك على مقربة من بلدة ميشيلان الواقعة على نهر الموز. وكانت هذه الطائرة تقل الرائد هيلموت راينبرغر ، وهو من ضباط الأركان المهمين في قيادة السلاح الجوي الألماني ، وقد حمل في حقيبة يده الخطط الألمانية الكاملة للهجوم في الغرب مع خرائطها التفسيرية اللازمة . وعندما بدأ الجنود البلجيكيون في الاقتراب من الطائرة الهابطة ، مضى الرائد الى اجمة قريبة واشعل النار بالحقيبة التي يحملها ، ولفت عمله هذا اهتمام الجنود البلجيكيين ، فهرعوا الى النار يطفئونها ، وينقذون مـا ظل فيها من محتويات . وعندما نقل راينبرغر الى مقر قيادة بلجيكية قريبة ، راح الضابط الألماني يقفز بحركة يائسة ويمسك بالاوراق التي كانت النار قد التهمت جزءاً منها ، والتي كان الضابط البلجيكي قد وضعها على مكتبه ، ويقذف بها في موقد تشتعل فيه النيران ، ولكن الضابط البلجيكي تمكن من انقاذها بسرعة خارقة .

ونقل راينبرغر الى مقر قيادة سلاحه الجوي في برلين عن طريـق السفارة الألمانية في بروكسل ، نجاحه في احراق الأوراق التي لم تبـق منها إلا اجزاء صغيرة في « حجم راحة اليد » . لكن القلق سيطر عـلى الدوائر العليا في برلين . وراح يودل ينقل الى هتلر آراءه فيما « يحتمل ان يكون العدو قـد عرفه أو لم يعرفه » . ولكنه لم يكن في الواقع على ثقة مما يقول . وراح يدوّن في يوميته بتاريخ الثاني عشر من كانون الثاني بعد مقابلته للفوهرر ... ما يلي ... اذا تمكن العدو من حيازة الملفات ، فان الوضع يغدو مفجعاً بل وقريباً من الكارثة » . وبعث ريبنتروب في تلك الليلة برقية « عاجلة للغاية » الى السفارة الالمانيـة في بروكسل يطلب اليها فيهـا ان تبعث فوراً بتقرير عن « اتلاف ما كان يحمله الرسول » . وتكشف يوميـة يودل في الثالث عشر من كانون الثاني ان غورنغ عقد اجتماعاً في صباح ذلك اليوم مع ملحقه الجوي في بروكسل الذي طـار الى برلين على جناح السرعة وان كبار قادة الطيران قد شهدوا هذا الاجتماع . ومضى

يودل يدوّن قائلاً : « كانت نتيجة الأجتماع ان المحفظة قد احرقت بكل تأكيد » .

وتمضي يوميات يودل فتقول ان هذه النتيجة لم تكن اكثر من مجرد تخبيط أعشى في ظلمة الليل . ثم تذكر ان الأمر قد صدر في الساعة الواحدة بعد الظهر الى الفريق هولدر هاتفياً « بوقف كل حركات عسكرية » .

ونقل السفير الألماني في بروكسل الى حكومته في نفس اليوم الثالث عشر ، من كانون الثاني انباء حركات عسكرية بلجيكية واسعة النطاق « نتيجة انباء مفزعة تلقتها هيئة اركان الحرب البلجيكية » . وبعث السفير في اليوم التالي برسالة عاجلة اخرى الى برلين يقول فيها ان البلجيكيين قد أصدروا الأمر بتطبيق « الحالة د » التي تعتبر قبل الأخيرة في موضوع التعبئة العامة ، وانهم استدعوا طبقتين اخريين من القوات الاحتياطية . وهو يعتقد ان السبب الذي حدا بهم الى اتخاذ هذه الخطوات هو ما حملته اليهم « الأنباء من تحركات عسكرية المانية على الحدود البلجيكية والهولندية ، وكذلك محتويات ما كان يحمله الرسول العسكري من بريد احترق بعضه وعثر على بعضه الآخر مع الضابط الألماني الطيار » .

ولم يحل مساء الخامس عشر من كانون الثاني حتى كانت الشكوك قد ساورت عقول كبار العسكريين المسؤولين في برلين ، في صحة رواية الرائد راينبرغر عن احراقه الوثائق التي تدين المانيا . ودوّن يودل بعد ان شهد اجتماعاً آخر حول الموضوع . . « يبدو ان هذه الوثائق قد احرقت في الظاهر ليس إلا » . ولكن بول هنري - سباك وزير خارجية بلجيكا استدعى السفير الألماني في بروكسل ، وابلغه بصراحة ، كما روى السفير في البرقية التي بعث بها الى برلين بعد انتهاء المقابلة . .

« بأن الطائرة التي اضطرت الى الهبوط في العاشر من كانون الثاني قد وضعت في ايدي البلجيكيين وثيقة من اكثر الوثائق أهمية وخطورة ، اذ ضمت أدلة واضحة على وجود النية في الهجوم . ولم تكن هذه الوثيقة مجرد مخطط لعملية حربية ، وانما هي أمر

بالهجوم ارفق بجميع التفاصيل المتعلقة به ولا ينقصه إلا تحديد موعد الهجوم الذي كان لا بد وان يوضع في المكان المخصص له والذي ترك خالياً . »

ولم يتأكد الألمان قط ، مما اذا لم يكن سباك يخدعهم « ويبلغهم » بهـذه الأقوال . وسلـّمت نسخ من هـذه الاوراق الالمانية الى هيئتي اركان الحرب البريطانية والفرنسية . وكان الميل سائداً هاتين الهيئتين بأن الاوراق الألمانية كانت تستهدف « الخدعة » ليس إلا . ويقول تشرشل انه اعترض بشدة على هـذا التفسير ، وأعول لأن احداً لم يهتم بتحذيره الخطير . وكل ما نعرفه الآن معرفة أكيدة ان هتلر قد أجل في الثالث عشر من كانون الثاني عندما عرف بما حدث ، موعد الهجوم ، وانه عندما حان الوقت اخيراً لاتخاذ القرار النهائي في الربيع كانت الخطة السوقية كلها للعملية قد تغيّرت تغيراً جوهرياً . [1]

ولكن الهبوط الاضطراري في بلجيكا ورداءة الطقس لم يكونا العـاملين الوحيدين في تأجيـل الهجوم . فقد بدأت بالنضوج في برلين إبان ذلك خطط اخرى لهجوم المـاني جريء على دولتين محايدتين اخريين في الشمال ، واحتلت الآن مكان الأولوية . وهكذا مع مجيء الربيع كانت الحرب « الزائفة » تقترب من نهايتها بالنسبة الى الألمان .

---

١ – اعتمدت في قصة الهبوط الاضطراري على بعض المصادر الألمانية الرئيسية . أما مصادر التقارير التي بعث بها السفير الألماني والملحق الجوي في بروكسل الى برلين فواردة في وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) وفي يوميات يودل . ويظهر نص الخطة الألمانية للهجوم في الغرب عـلى النحو الذي تمكن الألمان من تنفيذه في (المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٤٢٣ – ٤٢٨) وقد اورد كارل بارتز وصفاً للحادث في كتابه « لما احترقت السماء » . أما ملاحظات تشرشل عن الموضوع فـترد في مذكراته ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧ ، وهو يورد تاريخاً خاطئاً لموعـد الهبوط الاضطراري .

٢٠

احتلال الدّانمارك والنرُوج

استخدم الألمان عبارة « تمرين ويسـّر » الرمزية البريئة ، لتعني الخطة الأخيرة للعدوان الألماني . وكانت جذور هذه الخطة وتطورها من النوع الفريد الذي لا يشبه بأي حال من الاحوال ذلك الطراز من الهجوم غير المستفز الذي احتشدت به صفحات هذا الكتاب ولم تكن وليدة عقل هتلر كما كانت الاخرى ، وانما كانت ثمرة تفكير امير بحر طموح وانسان نازي مبتذل دائم السكر مشوّش الفكر . وكان هذا العمل ، هو العدوان العسكري الألماني الوحيد الذي لعب فيه الاسطول الألماني الدور الحاسم . وكان ايضاً الحركة الوحيدة التي وضعت القيادة العليا للقوات المسلحة خطتها وترتيبات التنسيق فيها بين الفروع الثلاثة للقوات المسلحة . وفي وسعنا القول بأن القيادة العليا للجيش وهيئة اركان حربه لم تستشارا في هذه الخطة مجرد استشارة ، مما اثار انزعاجهما وسخطهما ، كما ان غورنغ لم يطلع عليها ويلعب دوره على مسرحها إلا في اللحظة الاخيرة ، وهو تجاهل احس الرئيس البدين للسلاح الجوي بشعور من المهانة تجاهه .

كانت عيون البحرية النازية تتطلع منذ امد طويل نحو الشمال . فليس لألمانيا اي منفذ مباشر نحو المحيطات الواسعة ، وهي حقيقة جغرافية انطبعت في عقول ضباط البحرية الألمانية منذ ايام الحرب الكونية الأولى . فلقد اقام

البريطانيون شبكة محكمة النطاق عبر بحر الشمال من جزر « شيتـــلاند » الى الساحل النروجي ، يعززهــا سياج من الألغــام ، ودوريات دائمة من البوارج الحربية . وقد حصرت هــذه الشبكة الأسطول الأمبراطوري الألماني القوي ، ومنعت الغواصات من النفاذ الى شمال الأطلسي ، وحالت بين السفن التجارية الألمانية وبين الوصول الى البحار الواسعة . وتمكن الحصار البحري البريطاني من خنق المانيا الامبراطورية في الحرب الاولى . وراح ضباط البحرية الالمان الذين يعدون على الاصابع في فترة بين الحربين ويتولون قيادة الاسطول المتواضع الحجم يفكرون بهذه التجربة التي مرت بها بلادهم وبتلك الحقيقة الجغرافية ويصلون الى النتيجة القائلة وهي ان على المانيا ان تحاول الحصول على قواعد بحرية في النروج في اية حرب مقبلة مع بريطانيا . وثبت لهم ان هذه القواعد تحطم خط الحصــار البريطاني عبر بحر الشمال ، وتفتح المحيط واسعــاً امام سفن المانيا الحربية وغواصاتها ، وتتيح الفرصة للرايخ ليقلب الاوضاع ويفرض بدوره حصاراً فعالاً على الجزر البريطانية .

وليس من الغريب والحالة هذه عندما نشبت حرب عام ١٩٣٩ ، اذا ماراح امير البحر رولف كارلز ، وهو الرجل الثـــالث بين قادة الاسطول الالماني ، وصاحب الشخصية القوية ، يطر امير البحر ريدر كما دوّن هذا في يومياته ، وكما شهد امام محكمة نورمبرغ بالرسائل التي يقترح فيها « اهمية احتلال المانيا للساحل النروجي »[١]. ولم يكن ريدر بحاجة الى الكثير من الحث ، وراح في الثالث من تشرين الاول وبعد انتهاء الحملة على بولندة ، يبعث بسؤال « مكتوم » الى هيئة أركان حرب البحرية يطلب اليها فيها التثبت من « احتمال الحصول على قواعد في النروج ، في ظل الضغط المشترك لروسيا والمانيا». واستشير ريبنتروب في هذا الموضوع وفي موقف موسكو فرد بأن في « الامكان الاعتماد على تأييد واسع من تلك الناحية » . وقال ريدر لأركان حربه ، بأن من الواجب اطلاع

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) – ص ١٠٤ و (٦) ص ٨٩١ – ٨٩٢ .

هتلر على هذه « الاحتمالات » في اسرع وقت ممكن [١]

وراح ريدر يقترح على الفوهرر في تقرير مطوّل بعث به اليه في العاشر من تشرين الأول عن سير العمليات البحرية ، أهمية الحصول على قواعد بحرية في النروج بمساعدة روسيا اذا اقتضى الأمر . وتظهر الوثائق المصادرة ان هذه هي المرة الأولى التي لفتت البحرية الألمانية اهتمام هتلر الى هذا الموضوع . ويقول ريدر ان الزعيم « ادرك على الفور اهمية المشكلة النروجية » . وطلب الى قائده البحري ، ان يترك له كل ما لديه من ملاحظات حول هذه القضية واعداً بإيلائها ما تستحقه من درس وعناية . ولكن سيد الحرب النازي كان في غضون ذلك غارقاً في موضوع الهجوم على الغرب ، وفي التغلب على ما يبديه قادته العسكريون من تردد . [٢] ويبدو ان النروج قد بعدت عن تفكيره بعض الوقت . [٣]

ولكن هذه الفكرة ما لبثت ان عادت الى عقل هتلر بعد شهرين لأسباب ثلاثة .

كان اول هذه الاسباب حلول الشتاء . وكان وجود المانيا كله يعتمد على استيراد معدن الحديد من السويد . وكان الالمان يعتمدون لمخططهم للسنة الأولى من الحرب على أحد عشر مليوناً من الاطنان من السويد من مجموع خمسة عشر مليوناً هي الاستهلاك الكلي لألمانيا في العام . وكان نقل هذه المادة التي لا غنى لألمانيا عنها يجري في اشهر الدفء من شمال السويد الى خليج بوثنيا ومن ثم عبر بحر البلطيق الى المانيا ، دون ان يسبب هذا النقل اية مشكلة حتى في ايام الحرب نظراً لتمكن الألمان من حماية هذا البحر حماية فعالة من غواصات البريطانيين وسفنهم الحربية . ولكن هذا الطريق البحري يتوقف عن العمل في الشتاء بسبب

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٢٨ و ٩٧٨ .

٢ – كان هتلر قد استدعى في العاشر من تشرين الأول قادته العسكريين وتلا على مسامعهم مذكرة مطولة عن ضرورة القيام بهجوم فوري في الغرب ، وسلمهم توجيهه السادس الذي يأمر باتخاذ الاستعدادات لشن الهجوم عبر هولندة وبلجيكا .

٣ – المؤامرة النازية والعدوان (٦)ص ٨٩٢ ومؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٣٩) ص ٢٧ .

كثافة الثلج وتجمد البحر . وكان من الضروري ان ينقل الحديد في اشهر الشتاء بطريق السكة الحديدية الى ميناء نارفيك النروجي في الشمال ، وان تحمله البواخر على طول السواحل النروجية الى المانيا . وكان في وسع البواخر الألمانية الحاملة للحديد ان تبحر طيلة الطريق ضمن المياه النروجية الاقليمية وان تكون في مأمن من تدمير السفن البحرية والطائرات البريطانية .

وهكذا كانت للنروج المحايدة في بادىء الامر فائدتها لألمانيا على حد تعبير هتلر لقادته العسكريين ، اذ انها مكنتها من الحصول على شريان حياتها من الحديد دون تدخل بريطانيا .

وقد ادرك تشرشل وزير بحرية بريطانيا هذه الحقيقة منذ البداية ، وفي الاسابيع الاولى من الحرب ، وحاول اقناع الحكومة التي هو عضو فيها بالسماح له بزرع الألغام في مياه النروج الاقليمية لوقف نقل الحديد الى المانيا. ولكن تشمبرلين وهاليفاكس ترددا كثيراً في خرق حياد النروج ، وتقرر تأجيل النظر في اقتراح تشرشل مؤقتاً . [١]

وبدّل هجوم روسيا على فنلندة في الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ تبديلاً جذرياً في الدول الأسكندنافية اذ ضاعف من اهميتها السوقية (الاستراتيجية) بالنسبة الى الحلفاء الغربيين والى المانيا . وشرعت بريطانيا وفرنسا في تنظيم حملة مشتركة في اسكوتلندة لايفادها الى فنلندة لمساعدة اهلها البواسل الذين تحدوا جميع التكهنات فصمدوا بعناد واصرار في وجه هجمات الجيش الاحمر الساحقة . ولكن هذه الحملة لا تستطيع الوصول الى فنلندة إلا عبر اراضي السويد والنروج وادرك الألمان لفورهم ان قوات الحلفاء اذا ما سمح لها بالعبور من الجزء الشمالي للدولتين الأسكندينافيتين أو اذا ما قامت باحتلاله لهذه الغاية ، فانها ستبقى فيه قوات كافية بحجة المحافظة على طرق المواصلات لقطع طريق تموين المانيا

---

١ - مذكرات تشرشل الجزء الثاني - ص ٥٣١ - ٥٣٧ .

بالحديد السويدي.[1] يضاف الى هذا ان الدولتين الغربيتين ستطوقان جناح المانيا من الناحية الشمالية. ولم يتقاعس امير البحر ريدر عن تذكير الفوهرر بجميع هذه الأخطار.

ووجدت البحرية الألمانية الآن حليفاً، مهماً لها في النروج يعمل لتحقيق خططها، في شخص الرائد فيدكون ابراهام لورتيز كويزلنغ الذي سرعان ما بات اسمه مرادفاً لكلمة « الخائن » في كل لغة من اللغات.

ظهور فيدكون كويزلنغ

بدأ كويزلنغ حياته بداية شريفة. ولد في عام ١٨٨٧ من اسرة من الفلاحين وتخرج اولاً من الكلية العسكرية النروجية، وعندما بلغ العشرين من عمره، اوفد ملحقاً عسكرياً الى بيتروغراد. وانعمت عليه الحكومة البريطانية تقديراً للخدمات التي بذلها للعناية بالمصالح البريطانية بعد قطع العلاقات بين بريطانيا والحكومة البلشفية بوسام الامبراطورية البريطانية من درجة قائد. وكان في هذه الآونة من الميالين الى بريطانيا والى البلاشفة في وقت واحد. وظل في روسيا السوفياتية بعض الوقت كمساعد لفريدتجوف نانسين المكتشف السوفياتي المشهور والعالم الانساني، يعينه في اعمال الاغاثة للروس.

وقد تأثر الضابط النروجي الشاب كل التأثر بنجاح الشيوعيين في روسيا، حتى انه عندما عاد الى اوسلو عرض خدماته على حزب العمال الذي كان في تلك الآونة عضواً في الدولية الشيوعية (الكومنترن). واقترح تأليف « حرس احمر »، ولكن حزب العمال، شك فيه كثيراً وفي مشروعه ثم ابعده. وسرعان ما تحول الى الجانب الآخر المتطرف. وقام بعد أن شغل منصب وزارة الدفاع

---

١ – كان هذا الافتراض صحيحاً كل الصحة. فقد عرف الآن ان مجلس الحلفاء الحربي الأعلى الذي اجتمع في باريس في الخامس من شباط عام ١٩٤٠ قرر ان تقوم القوات المشتركة التي سترسل كحملة الى فنلندة باحتلال مناجم الحديد السويدي، بعد نزولها في ميناء نارفيك النروجي الذي لا يبعد كثيراً عن هذه المناجم (راجع كتاب المؤلف ... تحدي اسكنديناقيا ص ١١٥ - ١١٦). ويقول تشرشل في مذكراته انه تقرر عرضاً اثناء الاجتماع «السيطرة على مناجم الحديد في غوليفار» (مذكرات تشرشل الجزء الثاني صفحة ٥٦٠).

الوطني مدة عامين بين عام ١٩٣١ و١٩٣٣ ، بانشاء حزب « الاتحـاد الوطني » مقتبساً من النازية عقائدها واساليبها ، بعد ان كانت قد وصلت الى الحـكم في المانيا . ولكن لم يقدر للنازية أن تنجح في تربة النروج الديموقراطية الخصبة ولم يتمكن كويزلنغ حتى من النجاح في الانتخابات والوصول الى عضوية البرلمان. وهكذا استدار ناحية المانيا بعد ان هزمه شعبه عند صناديق الاقتراع .

واتصل في المانيـــا بالسكـتير الفرد روزنبرغ الفيلسوف الرسمي للحركة النازية وكان بين مهامه، ادارة مكتب الحزب للشؤون الخارجية . وخيل لهذا الأحمق البلطيقي ، الذي كان من أقدم اعوان هتلر واخدانه انه يرى في هـذا الضابط النروجي امكانات ضخمة، اذ كان من خيالات روزنبرغ المحبوبة ، اقامة امبراطورية « نوردية » ، يحرم منها اليهود وغيرهم من العناصر « غير النقـيّة » ، وتتولى السيطرة على العالم تحت زعامة المانيا النازية . ولذا فقد ظل منذ عام ١٩٣٣ على اتصال بكويزلنغ ، يشبعه بفلسفته غير المعقولة ودعايته .

وعندما كانت نذر الحرب تتجمع في سماء أوروبا في حزيران عام ١٩٣٩ اغتنم كويزلنغ فرصة حضوره مؤتمراً للجمعية النوردية في لوبك ليطلب الى روزنبرغ ان يقدم اليه شيئاً آخر اكثر من الدعم العقائدي . وتقول تقارير روزنبرغ السرية التي ظهرت في نورمبرغ ،ان كويزلنغ حذر روزنبرغ من خطر سيطرة بريطانيا على النروج في حالة نشوب الحرب ، وبيّن له ما تحصل عليه المانيا من مزايا في حالة احتلال المانيا لها ، وطلب مساعدة جوهرية لحزبـه وصحافته . وراح روزنبرغ وقد عرف عنه ولعه بكتابة المذكرات ، يبعث بثلاث منها الى هتلر وغورنغ وريبنتروب ، ولكن يبدو ان «الكبار الثلاثة » قد تجاهلوها ، اذ لم يكن هناك في المانيا من يحمل « الفيلسوف الرسمي » على محمل الجد . وتمكن روزنبرغ على أي حال من اعداد العدة لتدريب خمسة وعشرين من رجال جيش العاصفة الذي اسسه روزنبرغ لمدة اسبوعين في المانيا في شهر آب .

ولم يقع اي اتصال في غضون الأشهر الأولى من الحرب بين امير البحر ريدر،

كما شهد في نورمبرغ فيما بعد ، وبين روزنبرغ ، الذي لم يكن يعرفه إلا لماحاً ، كما لم يتصل بكويزلنغ الذي لم يكن قد سمع عنه شيئاً . ولكن ما كاد الروس يهاجمون فنلندة ، حتى شرع ريـــدر في تلقي التقارير من ملحقه البحري في اوسلو ، الرئيس ريشارد شرايبر ، عن توقع نزول الحلفاء في وقت قريب في النروج . وقد تحدث امير البحر عن هذه التقارير الى هتلر في الثامن من كانون الاول ،ونصحه بصراحة قائلاً : « من المهم ان نحتل النروج » [1]

وبعث روزنبرغ بعد أمد قصير ، بمذكرة غير مؤرخة الى امير البحر ريدر ، حول « زيارة عضو المجلس الخاص كويزلنغ » . وكان المتآمر النروجي قد وصل الى برلين ، ووجد روزنبرغ ان من الخير ان يعرف ريدر عنه شيئاً وان يعرف ماذا جاء يفعل . وقال ان لكويزلنغ عدداً من المؤيدين بين كبار ضباط الجيش النروجي ، واطلعه ، كدليل على ما يقول ، على رسالة اخيرة من العقيد كونراد سوندلو ، قائد منطقة نارفيك النروجي وصف فيها رئيس وزراء بلاده بالانسان « البليد» وأحد كبـــار وزرائه « بالعجوز الثمل » ، ومعرباً عن استعداده « للمجازفة بنفسه في سبيل البعث القومي » . ولكن العقيد سوندلو لم يغامر فيما بعد بنفسه للدفاع عن بلاده ضد العدوان .

ولقد ابلغ روزنبرغ ريدر بالفعل بأن كويزلنغ يضع خطة للقيام بانقلاب عسكري . ولا بد ان يكون هذا النبأ قد لقي آذاناً صاغية في برلين ، اذ أن مثل هذا الانقلاب لا بد وان يكون صورة مقتبسة من اتحادالنمسا (الانشلوس). وسيجري تدريب عدد من جنود العاصفة الكويزلنغيين بسرعة في المانيـــا على ايدي « الاشتراكيين الوطنيين المدربين ، والكثيري الفعالية ، والخبيرين بمثل هذه العمليات » . وعندما يعود هؤلاء الطـــلاب الى النروج ، فسيحاولون السيطرة على بعض النقاط ذات الأهمية السوقية (الاستراتيجية) في اوسلو ... « ويتحتم على الاسطول الألماني في الوقت نفسه معززاً بوحدات

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٣٩ ص ٥١ .

من الجيش الألماني الظهور في خليج يختار لهذه الغاية خارج اوسلو ، تلبية لنداء خاص من الحكومة النروجية الجديدة » .

انه عين الأسلوب الذي اتبع في ضم النمسا (الانشلوس) يعود الى الظهور من جديد ، مع قيام كويزلنغ بتمثيل الدور الذي مثله سايس انيكوارت . . واضاف روزنبرغ قائلاً ...

« ولا يساور الشك نفس كويزلنغ في ان مثل هذا الانقلاب ... سيلقى تأييداً من فئات الجيش التي اقام الآن ارتباطات بها ... وهو يعتقد ان الملك سيقبل ايضاً بمثل هذا الامر الواقع ...

« وتتفق تقديرات كويزلنغ عن عدد القوات الألمانية التي يحتاج اليها في هذه العملية مع التقديرات الألمانية نفسها » [١]

واجتمع امير البحر ريدر الى كويزلنغ في الحادي عشر من كانون الاول ، وقد رتب روزنبرغ هذه المقابلة عن طريق احد رجال الأعمال النروجيين ويدعى فيلجام هاغيلين الذي كانت اعماله تتطلب بقاءه اغلب الوقت في المانيا ، والذي كان يتولى القيام بدور ضابط الارتباط لكويزلنغ فيها . وقد تحدث هاغيلين وكويزلنغ الى ريدر في الكثير من الامور ودوّن ريدر ما استمع اليه منها في مذكرة احتفظ بها في الوثائق الألمانية السرية..

قال كويزلنغ ... ان البريطانيين يعدون العدة لا نزال قواتهم في ضواحي ستافانغر ومن المعقول ان تصبح كريستيا نساند قاعدة بريطانية محتملة . ويسيطر اليهودي المشهور كارل هامبرو ، رئيس مجلس الشيوخ النروجي والصديق الحميم للوزير البريطاني هور بليشا على الحكومة النروجية الحاضرة ، وعلى برلمان البلاد وسياساتها الخارجية ... وشرح كويزلنغ بالتفصيل الأخطار التي

---

١ - مذكرة روزنبرغ (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٨٨٥ - ٨٨٧ ومؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٣٩ ص ٥٣ - ٥٥).

تتعرض لها المانيا من احتلال بريطانيا للنروج ...

واقترح كويزلنغ تحسباً من اية حركة بريطانيــة ان يضع تحت تصرف القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية ، القواعد النروجية اللازمة . وقــد تم شراء الرجال الذين يحتلون مراكز مهمة في السكك الحديدية والبريدوالمواصلات في جميع المناطق الساحلية لتحقيق هذا الهدف » . وقد جاء هو وهاغليين الى برلين لاقامة « علاقات واضحة مع المانيا بالنسبة الى المستقبل...ولهذا فهويرغب في عقد اجتماعات للبحث في العمليات المشتركة ونقل القوات الى اوسلو ومـا شابه ذلك من مواضيع .[1]

وشهد ريدر في نورمبرغ فيما بعد انه تأثر بهذه الاقتراحات ، وقال لزائريه بأنه سيتحدث الى الفوهرر . ثم يبلغهما بنتائج هذا الحديث . وقد اجتمع الى هتلر فعلاً في اليوم التالي ، وحضر المقابلة كايتل ويودل ايضاً . وقد ابلغ القـائد العام للأسطول الذي عثر على تقريره عن هذا الاجتماع بين الوثائق المصادرة ، هتلر ، بأن كويزلنغ قد ترك في نفسه « انطباعاً يوحي بالثقة » . وراح بعد ذلك يلخص للفوهور النقاط التي ذكرها النروجي مؤكداً علاقات كويزلنغ الطيبة مع ضباط الجيش النروجي « واستعداده للاستيلاء على الحكومـة عن طريق انقلاب سياسي يقوم بعده بطلب العون من المانيا » . واتفق جميع الحاضرين على انه ليس في وسع المانيا مقاومة قيام البريطانيين باحتلال النروج، ولكن سرعان ما تحول امير البحر ريدر الى الحذر والحيطة ، فأعلن ان « احتــلال الألمان للنروج ، يستثير بريطانيا على القيام باجراءات مضادة » واضاف ان « الاسطول الألماني ليس على استعداد بعد لمواجهة هذه الاجراءات مدة طويلة ، وان هذه الحقيقة يجب ان تحمل على انها نقطة ضعف في حالة الاحتــلال ، لاسيا وان المنطقة نفسها تصبح معرضة لأي هجوم » . واقترح امير البحر من الناحيـة الاخري ان تقوم القيادة العامة للقوات المسلحة ...

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٣٩) ص ٥٥ - ٥٧ .

« باعداد الخطط اللازمة مع كويزلنغ وتنفيذ الاحتلال باحدى طريقتين ...

« أ – الوسائل السلمية أي أن تتولى النروج دعوة القوات الألمانية المسلحة .

« ب – القوة والعنف » .

ولم يكن هتلر على استعداد بعد للمضي بعيداً الى هذا الحد في الوقت الحاضر ورد بأنه يود ان يتحدث الى كويز لنغ شخصياً قبل كل شيء « ليتمكن من تكوين فكرة عن الرجل » . [1]

وفعلا اجتمع هتلر في اليوم التالي أي الرابـــع عشر من كانون الثاني الى كويزلنغ ، وقد تولى ريدر شخصياً مصاحبـــة الخائنين النروجيين الى دار المستشارية. وعلى الرغم من عدم عثورنا على أي سجل لهذا الاجتماع إلا ان كويزلنغ قد أثر كما يبدو على الديكتاتور الألماني [2] كما اثر سابقاً على قائد الأسطول ، اذ ان هتلر أمر في نفس الليلة القيادة العامة للقوات المسلحة ، باعداد مشروع خطة بالتشاور مع كويزلنغ . وقد سمع هولدر بأن هذه الخطة ستشمل ايضاً القيام بعمل عسكري ضد الدانمارك. [3]

وعاد هتلر الى الاجتماع بكويزلنغ مرتين في السادس عشر والثامن عشر من كانون الاول على الرغم من انهماكه في الأنبـــاء السيئة التي توالت عليه عن « غراف شبي » . ولا ريب في ان النكسة البحرية التي مني بها ، قد ضاعفت من

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٣٩) ص ٥٧ – ٥٨ .

٢ – ولكنه لم يؤثر ابداً على الوزير الألماني المفوض في اوسلو ، الدكتور كورت بروينر ، اذ انه حذر برلين مرتين في شهر كانون الأول من « حمل كويزلنغ على محمل الجد ، ذلك لأن نفوذه وآماله ليسا كبيرين » (وثائق وزارة الخارجية الألمانـــية (٨) ص ٥١٥ و ص ٥٤٦ و ٥٤٧) . وقد كلف هذا الموقف من الصراحة والرغبة في عـــدم تحقيق مشيئة هتلر ، الوزير ثمناً باهظاً في وقت قريب .

٣ – يوميات يودل بتاريخ ١٢ و ١٣ و ١٤ كانون الأول عام ١٩٣٩ .

اهتمامه بموضوع الحملة الاسكندينافية ، التي يتوقف كل شيء فيها على الاسطول. وروى روزنبرغ ان الفوهرر قد اكد لزائره بأن « الحياد التام هو خير موقف يمكن للنروج ان تقفه » لكن اذا كان البريطانيون يستعدون حقاً لاحتلال النروج، فان على المانيا ان تسبقهم الى ذلك . واضاف انه سيزود كويز لنــغ في غضون ذلك بالأموال اللازمة لمكافحة الدعاية البريطانية، ودعم حركته الموالية لألمانيا. وتقرر تخصيص مبلغ مائتي الف مارك ذهبي لهذه الغــاية في شهر كانون الثــاني المقبل مع الوعد بأن يدفع له في كل شهر مبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني لمــدة ثلاثة اشهر اعتباراً من الخامس عشر من آذار »[1]

واوفد روزنبرغ قبل عيد الميلاد عميلاً خاصاً الى النروج يدعى هانز ويلهلم شايدت ، للعمل مع كويزلنغ ، وشرع عدد من ضبــاط القيــادة العليــا للقوات المسلحة في غضون ذلك في اعداد الخطة التي اطلق عليها اسم «دراسة الشمال» . وانقسمت الآراء في الأسطول الألماني ، اذ كان ريدر مقتنعاً كل الاقتناع من ان بريطانيا تعتزم احتلال النروج في المستقبل القريب . لكن قسم العمليات في هيئة اركان حرب البحرية كان يخالفه رأيه هذا ، وقد اوضح هذا الخلاف في اليوميات الحربية السرية بتــاريخ الثالث عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٠ ، عـلى النحو التالي :[2]

« لا يعتقد قسم العمليات البحرية باحتمال وقوع احتلال بريطاني سريع للنروج . وهو يعتبر ان قيام المانيا باحتلال النروج اذا لم يكن هناك خطر عمل بريطاني مشروع خطر كل الخطورة » .

وتوصل اركان حرب الأسطول الى النتيجة القائلة بأن « بقاء الوضع الراهن هو حتماً السبيل الأمثل » ، وأكدوا ان هذا الاستمرار سيسمح بدوام استخدام المياه الاقليمية النروجية في حركة نقل الحديد الى المانيا « بسلام وأمان » .

---

١ ـ مذكرة روزنبرغ (المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٢٢ ـ ٢٥) .

٢ ـ وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٦٦٣ ـ ٦٦٦ .

ولم يرض هتلر عن تردد البحرية ولا عن النتائج التي توصلت اليهـا « دراسة الشمال » والتي قدمتها اليه القيادة العامة للقوات المسلحة في منتصف كانون الثاني. وأوعز الى كايتل في السابع والعشرين من كانون الثاني باصدار توجيه سري للغاية يقول ان العمل في موضوع « دراسة الشمال » سيستمر تحت اشراف « الفوهرر الشخصي ومراقبته الفورية » ، وان الاوامر قد صدرت الى كايتل بأن يتولى كافة الاعدادات اللازمة . وقرر الفوهرر ايضاً قيام لجنة صغيرة عاملة من اركان الحرب ، تضم ممثلا واحداً عن كل من الفروع الثلاثة للقوات المسلحة، وذلك في مقر القيادة العامة ، وان يطلق على هذه العملية منذ هـذه اللحظة اسم « تمرين ويسّر » الرمزي .[1]

ويبدو ان هذه الخطوة قد رمزت الى انتهاء أي تردد عند الفوهرر في موضوع احتلال النروج . ولا ريب في ان الحادث الذي وقع في المياه النروجية بتاريخ السابع عشر من شباط ، قد وضع حداً لأية شكوك يمكن ان تكون قد ساورته حتى تلك اللحظة .

كانت باخرة التموين الاضافية « التمارك » التي عملت مع البـارجة « غراف شبي » قد تمكنت من التسلل عبر النطاق البحري البريطاني، واكتشفتها طائرة استكشاف بريطانية في الرابع عشر من شباط وهي تمضي مسرعة نحو الجنوب باتجاه المانيا عبر مياه النروج الاقليمية . وكانت الحكومة البريطانيـة تعرف ان هذه الباخرة تحمل على ظهرها ثلاثمائة من البحارة البريطانيين الاسرى من البواخر البريطانية التي اغرقتها « غراف شبي » ، وهم ينقلون الآن الى المانيـا ليحتجزوا في معتقلاتها . وكان الضباط البحريون النروجيون قد قاموا بعمليـــة تفتيش سطحي على ظهر الباخرة ، فلم يجدوا فيها اسرى بريطانيين ، كما قرروا انها غير مسلحة ولذا فقد سمحوا لها بالمضي نحو المانيا . ولكن تشرشل الذي كان واثقاً من النقيض ، اصدر اوامره الشخصية الى عمارة من المدمرات البريطانية بالمضي

---

١ ـ المؤامرة النازية والمدوان (٦) ص ٨٨٣ .

الى المياه النروجية ، وطلب ان يصعد بعض رجالها على الباخرة الالمانية لتحرير الأسرى البريطانيين منها .

وتولت المدمرة البريطانية « قوزاق » التي يقودها القبطان فيليب فيان هذه المهمة ، ليلة السادس عشر - السابع عشر من شباط في خليج جوسينغ النروجي ، حيث كانت الباخرة التمارك قد لجأت ناشدة الأمان وبعد معركة قتل فيها اربعة من الألمان وجرح خمسة آخرون تمكن الفريق البريطاني الذي صعد الى ظهر الباخرة التمارك من تحرير (٢٩٩) بحاراً بريطانياً كانوا محتجزين في عنابر الباخرة وفي « قسطل » خال من قساطل الزيت ، لمنع النروجيين من رؤيتهم .

وقدمت الحكومة النروجية احتجاجاً عنيفاً الى بريطانيا على هذا الخرق لحرمة مياههـــا الاقليمية ، ورد تشمبرلين في مجلس العموم بأن النروج هي التي خرقت حرمة القانون الدولي بسماحها للألمان بنقل الاسرى البريطانيين عبر مياهها الاقليمة الى معسكرات الاسرى في المانيا .

وكان هذا الحادث « القشة » الاخيرة التي تمسك بها هتلر . وقد اقنعه بأن النروجيين لن يعترضوا اعتراضاً جدياً على أي عرض بريطاني للقوة في مياههم الاقليمية . وقد اشتدت ثورته ايضاً كما دوّن يودل في يومياته ، لأن بحارة غراف شبي الذين كانوا يستقلون الباخرة التمارك لم يبدوا مقاومة اعنف للبريطانيين ... اذ لم يكن ثمة مقاومة او خسائر بريطانية ، وتحسر يوميات يودل في التاسع عشر من شباط النقاب عن ان الفوهرر « ضغط بشدة » لاستكمال الخطط اللازمـة « لتمرين ويسر » وراح يقول ليودل ... « جهزوا البواخر ، واعدوا مختلف القطعات » . لكن هذه العمليات كانت لا تزال مفتقـرة الى القـائد الذي يتولى قيادة المغامرة ، وراح يودل يـذكر هتلر بأن الوقت قد حان لتعيين قائد برتبة فريق مع هيئة اركان حربه لهذه الغاية .

واقترح كايتل ضابطاً كان قد اشترك في القتال في فنلندة في نهـاية الحرب الكونية الاولى ، في فرقة الفريق فون دي غولتز ، ويدعى الفريق نيكولاوس فون فاكلنهورست . وكان يتولى في هذه الآونة قيادة فيلق الماني في الجبهـة

الغربية . وسرعان ما راح هتلر الذي كان قد اهمل هذه المسئلة الصغيرة ، يدعو هذا القائد لمقابلته . وعلى الرغم من ان هـذا القائد يمت الى اسرة عسكرية سيليزية عريقة تدعى « جاستر زيمبسكي » وكان هو قد استبدل اسمهـــا بالاسم الالماني « فاكلنهورست » الذي يعني « عش النسر » ، إلا ان هتلر ، لم يكن قد عرفه معرفة شخصية من قبل .

وقد روى فاكلنهورست فيما بعد لمحكمة نورمبرغ ، اثناء استجوابه ، كيف وقع اجتماعه الأول مع هتلر في دار المستشارية في صباح الواحد والعشرين من شباط . وتضمنت روايته بعض النواحي الطريفة . ولم يكن القائد قد سمع قط بعملية الشمال ، وكانت هذه هي المقابلة الاولى لسيد الحرب النازي، الذي لم يبعث الرهبة كما يبدو في فؤاد الفريق كما كان يفعل مع غيره من القادة العسكريين ... قال فاكلينهورست ..

« طلب الي هتلر ان اجلس . ورحت اروي له دقائق العمليات في فنلندة عام ١٩١٨ ... وقال الفوهرر ... « اجلس وابلغني كيف سارت تلك العمليات » ، ونفذت بالطبع رغبته ...

« وسرعان ما نهضنا من مقاعدنا ، وقادني الى منضدة كانت الخرائط تغطيها . ثم قال ... « تلقت حكومة الرايـخ معلومات تؤكد اعتزام البريطانيين النزول في اراضي النروج . »

وقال فالكنهورست في رسالته ، انه حمل انطباعاً من مقابلته لهتلر بأن حادث الباخرة التارك هو الذي اثر على الزعيم اكثر من غيره واستفزه « على تنفيذ الخطة الآن » ، وسرعان ما دهش الفريق من انه وجد نفسه في تلك اللحظـة وفي ذلك الاجتماع قد عـين قائداً عاماً . واضاف هتلر ان الجيش سيضع خمس فرق تحت تصرفه . وتتلخص الخطة في وجوب احتـــلال الموانىء النروجية الرئيسية .

وصرف الفوهرر فالكنهورست من حضرته عند الظهر ، وطلب اليه ان يعود الى الاجتماع به في الساعة الخامسة مساء ، على ان يحمل معه جميع الخطط

لاحتلال النروج ... وذكر فالكنهورست في شهادته في نورمبرغ :

«.. وخرجت لأبتاع دليلاً للسائحين لأعرف اولاً ما هي النروج وما هي اوضاعها ، اذ لم تكن لدي اية فكرة عنها .. .. وانتقلت بعد ذلك الى غرفتي في الفندق ، واخذت ادرس هذا الدليل، وعندما حلت الساعة الخامسة مساء ، كنت اعود من جـــديد لمقابلة الفوهرر ». [1]

وكانت الخطط التي وضعها الفريق على ضوء دراسته للدليل . اذ لم يطلعه احد قط على الخطط التي وضعتها القيادة العامة للقوات المسلحة ، مرتجـلة وعلى شكل مخططات سريعة ، ولكنها نالت كما يبدو اعجاب هتلر . وقد نصت على تخصيص فرقة واحدة لكل من موانيء النروج الخمس وهي اوسلو وستافانغر وبيرغين وتروندهايم ونارفيك وقال فالكنهورست فـيما بعد « ... ولم يكن بوسعي ان افعل اكثر من ذلك ، فهذه هي الموانيء الرئيسية في البلاد » . وبعد ان اقسم لهتلر على الكتمان والسرية ، صرفه هذا من حضرته بعد ان حثـه على السرعة في العمل ، وراح يتخذ اهبته .

وظل براوخيتش وهولدر ، على جهل بكل ما وقع ، اذ كانا منهمكين في اعداد الخطط للهجوم في الغرب ، الى ان جاء فالكنهورست لزيارة رئيس هيئة اركان حرب الجيش في السادس والعشرين من شباط، ليطلب اليه بعض القوات ولا سيما من الوحدات الجبلية لتنفيذ عمليته. ولم يبد هولدر أية رغبة في التعاون، بل كان على النقيض من ذلك ساخطاً ، وطلب المزيد من المعلومات عما كان يجري اعداده ، وعما يحتاجه هذا الاعداد من قوات وقال هولدر في يومياته .. « لم يجر تبادل اية كلمة في هذا الصدد بين الفوهرر وبراوخيتش . ومن الواجب تسجيل هذه الحقيقة حرصاً على تاريخ الحرب » .

---

١ - استجواب فالكنهورست في نورمبرغ (المؤامرة النازية والعدوان الملحق(ب)ص ١٥٣٤-١٥٤٧)

لكن هتلر الذي كان شديد الزراية بالقادة العسكريين من رجال العهد القديم ولا سيما برئيس اركان حربـــه ،ما كان ليتراجع او يعود عن قراره . وصدق في التاسع والعشرين من شباط وهو شديد الحماس على خطط فالكنهورست . وأمر باعداد فرقتين جبليتين واعلن ان تنفيذ الخطة يتطلب المزيد من القوات لأنه يرى الحاجة ماسة الى وجود « قوة كبيرة في كوبنهاغن » . وكان الفوهرر قد اضاف الدانمارك الى قائمة ضحاياه، اذ ان السلاح الجوي كان يتطلع الى قواعد فيها لاستخدامها ضد بريطانيا .

واصدر هتلر في اليوم الأول من آذار توجيهه الرسمي لتموين ويسر وهذا نصه :

سري للغايـــة

سري جداً

« تطلب تطور الوضع في اسكندينافيا اتخاذ كافة الاعدادات لاحتلال الدانمارك والنروج . وستحول هذه العمليـــة بين بريطانيا وبين التسلل الى اسكندينافيا والبلطيق . يضاف الى هذا انهـــا ستضمن الحفاظ على القاعدة التي نستمد منها الحـديد في السويد وتتيح لاسطولنا وقوتنا الجوية مجالاً اوسع للعمليات ضد بريطانيا.

«وبالنظر الى ما نتمتع به من سلطان سياسي وعسكري بالنسبة الى الدول الاسكندينافية ، فان القوة التي سنستخدمها في « تمرين ويسر » ستظل اصغر ما يمكن . وسنستعيض عن الضعف العددي بالأعمال الجريئة والتنفيذ المباغت .

« وسنبذل كل جهودنا لاضفاء صفة الاحتلال السلمي من ناحية المبدأ على العملية ، وان يكون هدف هذا الاحتلال تأمين الحفاظ

عسكرياً على حياد الدول الاسكندينافية . وسنتقدم بطلبات مماثلة الى حكومات هذه الدول في بداية عمليات الاحتلال . وسيؤمن الاسطول والسلاح الجوي التأكيد اللازم لعرض هذه الاهداف اذا تطلب الأمر . واذا ما ظهرت مقاومة على الرغم من كل هذه المظاهر فسنلجأ الى الوسائل العسكرية لتحطيمها ... ومن الواجب ان يقع اجتياز الحدود الدانماركية والهبوط في النروج في وقت واحد ..

« ومن المهم جداً ان تفاجأ الدول الاسكندينافية والخصوم الغربيون بعملياتنا هذه ... ومن الواجب عدم اطلاع القوات على حقيقة اهدافنا إلا بعد ان تنزل هذه القوات الى البحر.. » [1]

وعم « السخط » القيادة العليا للجيش في ذلك المساء ، أي الأول من آذار — على حد تعبير يودل - بسبب ما طلبه هتلر من قوات لتنفيذ «عملية الشمال» . وثار حنق « غورنغ » على كايتل ومضى الى هتلر يشكوه . وكان هذا الحنق ناجماً عن أن المشير البدين ظل جاهلاً للسر هذه المدة الطويلة ، كما غضب لوضع السلاح الجوي « اللوفتوان » تحت امرة فالكنهورست . وأحس هتلر بالخطر من وقوع خلاف خطير على « الاختصاصات » . فاستدعى قادة الفروع الثلاثة للقوات المسلحة الى اجتماع عقد في دار المستشارية في الخامس من آذار ، لتهدئة الاوضاع ، ولكنه وجد صعوبة في تذليل المشاكل ، على حد قول يودل في يومياته :

« واطلق المشير سخيمة حقده ، لأنه لم يستشر بالعملية منذ البداية . وسيطر الرجل البدين على النقاش، وحاول ان يقيم الدليل على ان جميع الاعدادات السابقة ، لا تصلح لشيء » .

---

١ – نص التوجيه (المؤامرة النازية والعدوان(٦)ص ١٠٠٣ - ١٠٠٥ ووثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨٣١ - ٨٣٣)

وهدأ الفوهرر من ثائرته بمنحه بعض الامتيازات، ومضت الخطط في طريقها تغذ السير . وكان هولدر ، كما ذكر في يومياته ، قد حمل الانطباع منذ الواحد والعشرين من شباط بأن الهجوم على الدنمارك والنروج لن يبدأ إلا بعد ان يكون الهجوم الكبير في الغرب قد شن ووصل « الى حد ما » وكان هتلر نفسه متردداً في تقرير العملية التي يجب ان يشرع فيها اولاً، واثار الموضوع مع يودل في السادس والعشرين من شباط . ونصح يودل بالابقاء على العمليتين منفصلتين عن بعضهما ، ووافق هتلر على هذه النصيحة « اذا كان تنفيذها ممكناً » .

وقرر في الثالث من آذار ان يسبق « تمرين ويسر » في توقيته « العملية الصفراء »، وهو الإسم الرمزي الذي يطلق على الهجوم الكبير في الغرب. واعرب ليودل « بصراحة وبحزم عن ضرورة القيام بعمل حازم وقوي في النروج». وكان الجيش الفنلندي الباسل ، نتيجة ما يواجهه من تفوق معاد وطاغ في الرجال والمدفعية ، قد تعرض الى الكارثة من الهجوم الروسي الساحق ، وكانت الانباء تترى عن ان الحملة الانكليزية - الفرنسية المشتركة تعتزم الحركة قريباً من قواعدها في اسكوتلندة باتجاه النروج، للزحف عبر مناطقها الشمالية وعبر اراضي السويد الى فنلندة لانقاذ جيشها ومساعدته [1] . ولا ريب في ان هذا الخطر ، كان السبب الرئيسي في عجلة هتلر .

---

١ ـ ابلغ الفريق ايرونسايد ، رئيس هيئة اركان حرب القوات البريطانية في السابع من آذار المشير الفنلندي مانرهايم ، بأن حملة بريطانية فرنسية قوامها سبعة وخمسون الف جندي ، باتت على استعداد للذهاب الى فنلندة لمساعدتها في حربها وان الفرقة الأولى التي تمد خمسة عشر الف جندي تستطيع الوصول الى فنلندة في نهاية آذار اذا سمحت لها السويد والنروج بعبور اراضيها وكان مانرهايم قد عرف بأن حكومتي السويد والنروج ، رفضتا في الثاني من آذار ، طلب فرنسا وبريطانيا منحهم الحق في مرور قواتها عبر اراضي الدولتين المذكورتين . ولم يحل هذا دون تقريع الرئيس ديلاديه في الثامن من آذار للفنلنديين على عدم توجيه طلب رسمي لقوات الحلفاء بمساعدتهم ، ودون الاشارة بأن قوات الحلفاء سترسل الى فنلندة دون الاكتراث باحتجاجات السويد والنروج .لكن الخديعة لا تجوز على مانرهايم ، اذ نصح حكومته بأن تطلب الصلح ، والجيش الفنلندي ما زال متماسكاً وغير مهزوم ووافق على ارسال وفد للصلح الى موسكو في

وانتهت الحرب الروسية الفلندية فجأة في الثامن عشر من آذار بعد ان قبلت فنلندة شروط روسيا القاسية لعقد الصلح . وعلى الرغم من ترحيب برلين بصورة عامة بهذا التطور ، لأنه انقذ المانيا من الظهور بمظهر المدافع البغيض عن عدوان الروس على الفنلنديين ، ولأنه وضع حداً مؤقتاً للزحف السوفياتي باتجاه البلطيق ، إلا انه اربك هتلر من الناحية الاخرى ، بالنسبة الى مغامرته الاسكندينافية المقبلة . وذكر يودل في يومياته ان هذا الصلح قد زاد من صعوبة الحصول على « دافع » لاحتلال النروج والدانيمارك . ودوّن في يوميته بتاريخ الثاني عشر من آذار ان « عقد الصلح بين فنلندة وروسيا ، قد حرم انكلترا كما حرمنا نحن من الدافع السياسي لاحتلال النروج » .

وجهد هتلر في الواقع في البحث عن مبرر ودوّن يودل الصادق في يوميته بتاريخ الثالث عشر من آذار ان الفوهرر كان لا يزال يجد في « البحث عن اي مبرر » . ودوّن في اليوم التالي ... « ان الفوهرر لم يكن قد اتخذ قراره بعد بصدد ايجاد المبرر « لتمرين ويسّر » » ومضى قائلاً .. « ويبدو ان الفوهرر كان يشك فيما اذا كان من المهم ان يتستر وراء الحرب الوقائية (?) في النروج »[1] .

وتردد هتلر بعض الوقت ، فقد ظهرت في غضون ذلك مشكلتان جديدتان ، اولاهما كيفية التصرف مع سمنر ويلز وكيل وزارة الخارجية الامريكية الذي كان قد وصل الى برلين في الأول من آذار ، موفداً من الرئيس روزفلت للبحث فيما اذا كان ثمة أي احتمال في انهاء الحرب قبل وقوع المجزرة في الغرب وثانيتهما

═ الثامن من آذار . ويبدو ان القائد الفنلندي العام كان يشك في ان الجيش الفرنسي الذي لا يبدي حماساً للحرب في بلاده سيبدي حماساً للحرب في فنلندة (راجع مذكرات المشير مانرهايم) .

وفي وسع الانسان ان يتخيل ما كان سيحدث من اضطراب بين المتحاربين لو ان الحملة البريطانية الفرنسية قد وصلت الى فنلندة واشتركت في الحرب ضد الروس ، اذ لم يمض اكثر من عام تقريباً حتى كانت المانيا قد باتت في حرب مع روسيا واصبح اعداء هذه الغربيون ، حلفاء لها في الشرق .

١ - يوميات يودل من ١٠ الى ١٤ آذار عام ١٩٤٠ .

طريقة تهدئة ايطاليا الحليفة التي احست بالألم مـن اهمالها وتجاهلها ولم يكن هتلر قد كلف نفسه بعـــد عناء الرد على خطاب موسوليني المشحون بالتحدي والمؤرخ في الثالث من كانون الثاني ، وكانت العلاقات بين برلين وروما قد فترت فتوراً ملحوظاً واعتقد الألمان ان المهمة الحقيقية لسمنر ويلز ، من رحلته الى اوروبا – وكان لهم بعض الحق في هذا الاعتقاد – هي محاولة اخراج ايطاليا من المحور المتصدع . واقناعها على اي حال بعدم الدخول في الحرب الى جانب المانيا في حالة استمرار الصراع . وكانت برلين قد تلقت سيلاً مـــن النذر من روما تؤكد ان الوقت حان للقيام بعمل يضمن الحفـــاظ على الدوتشي المتبرم في صف المانيا .

اجتماع هتلر بسمنر ويلز وموسوليني

كان هتلر يجهل الولايات المتحدة واوضاعها جهلاً فاضحاً يشاركه فيه كل من غورنغ وريبنتروب [1]. وعلى الرغم من ان سياستهم في هذه الآونة كانت تتجه

---

١ – بينت في فصول سابقة أمثلة على نظرة هتلر الغريبة وآرائه في امريكا ، ولكن تضم الوثائق الألمانية المصادرة ، وثيقة للخارجية الالمانية تلقي ضوءاً على حالة هتلر العقلية في هذه الآونة . فلقد دار في الثاني عشر من آذار حديث طويل بين هتلر وبين كولين روس « الخبير » الالماني في شؤون الولايات المتحدة ، وكان قد عاد مؤخراً من رحلة في امريكا القى فيها محاضرات عدة ، اسهم فيها بنشر ما تتضمنه الدعاية الالمانية من « عفونة » . وعندما ذكر روس لهتلر ان هناك « اتجاهـــاً استعمارياً » يسيطر على الولايات المتحدة ، سأله هذا (طبقاً لما دونه الدكتور شميدت من ملاحظات عن هذا الاجتماع) ، عما اذا « كان هـــذا الميل الاستعماري لم يقوِ من الرغبة في ضم كندا الى الولايات المتحدة ، خالقاً « موقفاً معادياً لانكلترا » .

واري لزاماً علي ان اعترف بأن مستشاري هتلر في الشؤون الامريكية لم يكونوا عوناً له في تبصيره بالحقائق المتعلقة بموضوع امريكا . ففي هذه المقابلة التي جرت بين هتلر وروس ، افضى هذا بالردود التالية ، بالاضافة الى نقاط اخرى ، محاولاً عن طريقها الاجابة على سؤال هتلر عن الاسباب التي تحمل الولايات المتحدة على الوقوف هذا الموقف المناوىء لألمانيا :

«... تؤلف قوة اليهود الهائلة في امريكا ، عاملاً مساعداً في الكراهية التي يحملها

الى ابقاء امريكا خارج الحرب. إلا انهم كأسلافهم في برلين في حرب عام ١٩١٤، لم يكونوا ينظرون الى بـلاد « اليانكي » (الولايات المتحدة) ، نظرة جدية او يعتبرونها قوة عسكرية كبيرة . وكان الفريق فريدريك فون بويتيشر ، الملحق العسكري الألماني في سفارة واشنطن قـد نصح القيادة العامة للقوات الألمانية المسلحة في برلين في الأول من تشرين الأول عام ١٩٣٩ ، بأن لا تقلق مطلقاً من فكرة ارسال حملة امريكية الى اوروبا ، اذ ان هذا الاحتمال غير قائم مطلقاً . وراح في الأول من كانون الأول ، يبلغ رؤساءه العسكريين في برلين بأن التسلح الامريكي غير كاف للقيام « بأية سياسة حربية عدوانية » واضاف ان هيئة اركان الحرب في واشنطن ، مـا زالت تحمل على النقيض من سياسة وزارة الخارجية الامريكية القائمة على كره المانيا وعدائها ، وفي سياسة روزفلت الاستفزازية القائمة على مغالاة في تقدير قوة امريكا العسكرية ، الكثير مـن التفهم لألمانيا وطريقة سيرها بالحرب القائمة . وكان بويتيشر قد اكـد في برقيته الاولى ان « ليندبرغ والطيار المشهور ريكينبيكر » يدعوان الى الابقاء عـلى امريكا خارج نطاق الحرب لكنه في برقيته الثانية بتاريخ الأول من كانون الأول ، قد حذر القيادة الألمانية العليا من « ان الولايات المتحدة قد تدخل الحرب ، اذا كانت ترى ان

الامريكيون لألمانيا. فاليهود هم الذين يوجهون بذكاء خارق حقاً، وببراعة في التنظيم، النضال ضد كل ما هو الماني واشتراكي وطني .. »

وتحدث كولين روس بعد ذلك عن روزفلت الذي يعتقد بأنه عدو لدود للفوهرر ، بسبب ما يحس به من حسد شخصي له ، وما يتطلع اليه من شهوة في السلطان ... فلقد وصل الى الحكم في الولايات المتحدة في نفس السنة التي جاء فيها هتلر الى الحكم، ووجد نفسه ملزماً بمراقبة هتلر وهو يحقق مشاريعه العظيمة بينما لم يستطع هو - أي روزفلت - ان يصل الى اهدافه . وهو يحمل كذلك بعض الآراء الديكتاتورية التي تشبه الى حد ما افكار الاشتراكية الوطنية . ومع ذلك فان ادراكه بأن الفوهرر قد حقق اهدافه ، بينما لا يزال هو بعيداً عن تحقيق مراميه ، اضفى على طموحه السقيم الرغبة في ان يمثل على مسرح التاريخ العالمي دور المنافس لهتلر .. »

وقد علق هتلر بعد خروج الهر كولين روس من حضرته ، بأن هذا الرجل مفرط في الذكاء ويحمل آراء طيبة كثيرة ووافرة . (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٩١٠- ٩١٣) .

النصف الغربي مهدد من المانيا » وذلك على الرغم من استهانته بالقوة العسكرية الامريكية . [1]

وحاول هانز تومسون القائم بالأعمال الألماني في واشنطن جهده ، ان ينقل بعض الحقائق عن موقف الولايات المتحدة الى وزير خارجيته الجاهل. وفي الثامن عشر من ايلول ، وكانت الحملة البولندية تقترب من نهايتها ، راح يحذر الويلهلمشتراسة ، من ان « عواطف الأغلبية الغالبة من الشعب الامريكي مع اعدائنا ، وان امريكا مقتنعة كل الاقتناع من جريمة المانيا في شن الحرب». وابرز في برقيته هذه النتائج السيئة التي قد تثيرها أية محاولة تقوم بها المانيا للتخريب في امريكا ، وطلب ان لا تقوم حكومته بأي عمل تخريبي « من أي نوع » [2]

ويبدو ان برلين لم تكترث بطلبه هذا ، اكتراثاً جدياً اذ راح تومسون يبرق الى برلين في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٤٠ قائلاً :

« علمت ان امريكياً من أصل الماني يدعى فون هوسبرغر، وان المانياً يقيم في نيويورك ايضاً ويدعى وولتر ، يضعان الخطط للقيام بأعمال تخريبية في مصانع الاسلحة الامريكية ، بايعاز من المخابرات الالمانية . ويعتقد ان فون هوسبرغر يحتفظ ببعض المتفجرات في منزله بنيويورك » .

وطلب تومسون من برلين ان تمتنع عن هذه الأعمال وقال :

« ليس ثمة من طريقة اكثر ضمانة في حمل امريكا على خوض الحرب ، من اللجوء ثانية الى طراز من العمل، يشبه ذاك الذي دفع بأمريكا الى صفوف اعدائنا في الحرب الكونية السابقة ، على الرغم من انه لم يؤثر قط على الصناعة الحربية في الولايات المتحدة » .

واضاف القائم بالأعمال ان الرجلين لا يصلحان كذلك بأي حال من الأحوال

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ١٧٩ - ١٨١ و ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٨٩ - ٩١ .

للعمل كوكلاء للمخابرات الألمانية .[1]

ولم يكن التمثيل بين المانيا والولايات المتحدة منذ قيام روزفلت باستدعاء سفيره من برلين في تشرين الثاني عام ١٩٣٨ ، كاحتجاج على الاعمال التي ارتكبها النازيون بصورة رسمية ضد اليهود ، قد عاد الى وضعه الطبيعي ، بوجود سفير لكل منهما في عاصمة الدولة الاخرى . وكانت التجارة بين البلدين قد هبطت الى حدود الصفر تقريباً بسبب المقاطعة الامريكية ، ثم ما لبثت ان انقطعت نهائياً نتيجة الحصار البريطاني على المانيا . وقرر مجلسا الشيوخ والنواب الامريكيان في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ ، رفع الحظر المفروض على السلاح ، فمهد هذا القرار السبيل امام الولايات المتحدة لتزويد الحليفتين الغربيتين بالأسلحة الامريكية . وعلى هذا الاساس من التدهور السريع في العلاقات بين البلدين وصل سمنر ويلز الى برلين في اليوم الأول من آذار عام ١٩٤٠ .

وكان هتلر قد اصدر في اليوم السابق ، اي التاسع والعشرين من شباط اذ كانت السنة كبيسة - توجيهاً سرياً عن « المحادثات مع المستر سمنر ويلز».[2] ودعا التوجيه الجانب الالماني الى « التحفظ » ونصح بأن « يترك المجال امام

---

١ - رد وايز ساكر على هذه البرقية بأن كاناريس نفسه قد أكد له بأن أياً من هذين الرجلين اللذين ذكرهما تومسون ، لم يكن من عملاء المخابرات الألمانية . ولكن المفهوم ان دوائر المخابرات في أي بلد من بلاد العالم لا تعترف بهوية من يعملون معها . وتحمر وثيقة اخرى في وزارة الخارجية الألمانية النقاب عن ان عميلاً آخر من عملاء المخابرات قد غادر بيونيس آيرس في الرابع والعشرين من كانون الثاني يحمل تعليمات للاتصال بفريتز فون هوسبرغر في ويهوكين في نيوجرسي « ليتلقى منه تعلياته في مهمته الخاصة » .وأوفد عميل آخر من بيونيس ايرس ايضاً الى نيويورك في كانون الأول لجمع المعلومات عن مصانع الطائرات الامريكية وعن شحنات الاسلحة الامريكية الى الحلفاء . وروى تومسون نفسه في برقية بتاريخ العشرين من شباط ، وصول البارون قسطنطين فون ميديل ، المواطن الاستوني من اصل الماني الى واشنطن وإعلامه السفارة الالمانية فيها بأنه موفد في مهمة « تخريبية » من المخابرات الالمانية .

٢ - نص توجيه هتلر (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨١٧-٨١٩) .

المستر ويلز ليتولى هو معظم الحديث على قدر الامكان » . ووضع التوجيه بعد ذلك نقاطاً خمساً ، لارشاد كبار الموظفين الذين سيجتمعون الى المبعوث الامريكي. وكانت الحجة الالمانية الاساسية هي ان المانيا لم تكن هي التي اعلنت الحرب على بريطانيا وفرنسا ، وان هاتين الدولتين هما اللتان اعلنتا الحرب عليها ، وان الفوهرر قــد عرض عليهما الصلح في تشرين الأول ولكنهما رفضتا عرضه ، وان المانيا قبلت التحدي ، كما تضمنت ان اهــداف بريطانيا وفرنسا من الحرب « تحطيم الدولة الألمانـية » ، وان المانيا والحالة هذه لا تجد مفراً من المضي في الحرب ومواصلتها . وتوصل هتلر في نهاية توجيهه الى ما يلي :

« من الواجب تجنب البحث في اية قضية سياسية محدودة كقضية الدولة البولندية المستقبلة بقدر الامكان . واذا اثار ويلز مثل هذه المواضيع ، فمن الواجب ابلاغه بأنني انا الذي اقرر وحدي في هذه القضايا . ومن البديهي ، انه يجب عدم الخوض مطلقاً في اي بحث يتعلق بالنمسا او محمية بوهيميا ومورافيا . . .

« ويجب تجنب كل بيانات قد تفسر على ان المانيا مهتمة في الوقت الحاضر ببحث اية احتمالات للسلام . وانني لأطلب ان لا يترك أي مجال للشك عند سمنر ويلز بأن المانيا ستنهي هذه الحرب نهاية ظافرة . »

وقد تمسك كل من ريبنتروب وغورنغ وهتلر نفسه ، بنص هذا التوجيه تمسكاً حرفياً عندما اجتمع كل منهم الى ويلز على انفراد في الأول والثاني والثالث من آذار . واذا ما حكمنا على الأمور من التقارير المسهبة الــتي وضعها الدكتور شميدت عن وقائع هذه الاجتماعات والتي عثر عليها بين الوثائق المصادرة تبين لنا ان الدبلوماتي الامريكي وهو رجــل كثير الشكوك من ناحيته ، ومعروف بالصمت ، قد كوّن لنفسه انطباعاً بأنه ينزل في مستشفى للمجاذيب ، هذا اذا اعار كل ما سمعه شيئاً مــن اهتمامه فلقد آثر كل من النازيين الكبار الثلاثة ، اغراق ويلز ، بأعظم المغالطات التاريخية التي تقلب فيها الحقائق بشكل لا يكاد

يصدق ، كما تفقد ابسط الكلمات كل معنى لها . [١] وقد استقبل هتلر ، الذي اصدر توجيهه في الأول من آذار « لتمرين ويستر » ، المبعوث الامريكي في الثاني من الشهر نفسه ، واصر اثناء المقابلة على ان هدف الحلفاء من الحرب « الافناء والابادة » بينما لا تهدف المانيا إلا الى السلام . وراح يلقي محاضرة على زائره تناول فيها كل ما فعله للحفاظ على السلام مع بريطانيا وفرنسا . ومضى تقرير شميدت يقول :

« وكان السفير البريطاني قد جلس قبيل اندلاع نيران الحرب في نفس المقعد الذي جلس اليه سمنر ويلز الآن ، وكان الفوهرر قد قدم اليه اسخى ما صدر عنه من عروض حتى الآن » .

واضاف هتلر ان بريطانيا قد رفضت جميع العروض التي قدمها اليها ، وها هي الآن ماضية في طريقها تحاول تحطيم المانيا . ولهذا فهو يعتقد ان « من الواجب خوض الصراع حتى النهاية » ... « وليس ثمة من حل آخر ، إلا هذا الكفاح في سبيل الموت او الحياة » .

وليس من المستغرب ان يكون ويلز قد أسرّ لوايز ساكر ، كما ردد لغورنغ عند اجتماعه اليه في اليوم التالي ، انه لا يرى مجالاً للبحث اذا كانت المانيا مصممة على ان تكسب نصراً عسكرياً في الغرب ، وانه لا يرى والحالة هذه اي طائل لرحلته الى اوروبا . [٢]

---

١ - هتف غورنغ بسمنر ويلز قائلاً .. « استطيع ان اقسم امام الله والعالم ان المانيا لم تكن راغبة في الحرب مطلقاً ، وان هذه الحرب قد فرضت عليها فرضاً .. ولكن ما عسى ان يكون بوسع المانيا ان تفعله وهي ترى ان الآخرين يحاولون تحطيمها ؟ »

٢ - شهدت برلين في نفس الوقت وسيطاً امريكياً آخر ، يعمل بصفة لا رسمية لاحلال السلام وهو جيمس دي موني ، نائب رئيس شركة « جنرال موتورز » . فلقد كان هذا الرجل في برلين كما اذكر ، قبيل نشوب الحرب أو بعد نشوبها بقليل ، وكان يحاول كزميله الهاوي السويدي الآخر ، داهليروس ، وان كان يقل عنه شأناً في اتصالاته على انقاذ السلام في العالم وقد استقبل هتلر في اليوم الذي تلا رحيل سمنر ويلز عن برلين ، أي في الرابع من آذار عام ١٩٤٠ ، المستر موني الذي ابلغه كما روت الوثائق الألمانية المصادرة عن الاجتماع ، ان الرئيس روزفلت « ا كثر

وعلى الرغم من ان ويلز قد اكد في محادثاته مع الألمان ، انه سينقل ما يسمعه من ساسة اوروبا إبان رحلته هـذه الى الرئيس روزفلت ليس إلا ، فانه وجد ان من الحكمة ان يتجنب « الكتمان » بعض التجنب ، وان ينقل الى هتلر وغورنغ نبأ « الاجـتماع الطويل والبنّاء والمفيد » الذي عقده مع موسوليني وان يذكر لهما ان الدوتشي لا يزال « يرى احتمالاً ضخماً في الوصول الى سلام دائم وثابت في اوروبا » . وادرك الألمان ان الوقت قد حان لتصحيح هـذه الآراء التي يحملها الديكتاتور الايطالي . اذا صح ما رواه لهم المبعوث الامريكي فهم يريدون السلام ولكن بعد ان يحققوا نصراً المانياً ضخماً في الغرب .

وكان تأخر هتلر في الرد على رسالة موسوليني التي بعث بها اليه في الثالث من كانون الثاني . قد اثار القلق المتزايد في نفس الدوتشي . وواصـل السفير

= وداً وعطفاً على الألمان ، مما هو سائد على التفكير في برلين » وان الرئيس على استعداد للقيام بدور « الملطف » للتقريب بين الدول المتحاربة . واكتفى هتلر بأن يكرر عـلى مسامعه ما سبق له ان قاله المستر ويلز قبل يومين .

وبعث تومسون في الحادي عشر من آذار بمذكرة سرية الى برلـين اعدها مخبر امريكي لم يذكرا اسمه ، يقول فيها ان موني ، « من مؤيدي المانيا عـلى أي حال » . ومن الثابت ان الألمان كانوا قد اجتذبوا هذا المدير في شركة « جنرال موتورز » . وتقول مذكرة تومسون ان موني قد ابلغ روزفلت على اساس حديث سبق له ان اجراه مع هتلر ، بأن الفوهرر « راغب في السلام وانه يريد ان يحول دون سفك الدماء في حملة الربيـع » . وقد اجتمع هانز ديكهوف ، السفير الألماني المسحوب من واشنطن ، والذي كان يقتل ايامـه في برلين ، الى موني فور مقابلته الاخيرة للفوهرر ، ورفع تقريراً الى وزارة الخارجية الألمانية ذكر فيه ان رجل الأعمال الامريكي لا يعدو ان يكون « ثرثاراً » وانه ـ اي السفير « لا يستطيـع ان يصدق ، ان حركة موني تنطوي على اية اهمية كبيرة » . « توجد وقائع اجتماعات سمنر ويلز مع هتلر وغورنغ وريبنتروب كما دونها شميدت في وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨). كما توجد مذكرة وايز ساكر عن احاديثه مع ويلز في نفس المصدر . وقـد قابـل المبعوث الامريكي ايضاً شاخت ، الذي كان الفوهرر قـد استدعاه رغم اقصائه ليوجهه في الخط الذي يجب ان يتبعه في حديثه مع ويلز . راجع ايضاً يوميات هاسيل . ص ١٢١ . وروى ويلز قصته عن احاديثه في برلين في كتابه « حـان الوقت للقرار » (راجع وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨٦٥ – ٨٦٦ لرؤية تقرير ديكهوف ايضاً).

اتوليكو الاستعلام من ريبنتروب طيلة الشهر عن الموعد الذي يستطيع فيه ان يتوقع تسلم هذا الرد، ملمحاً اليه ان علاقات ايطاليا بفرنسا وبريطانيا وتجارتها معهما على الأخص تسير في طريق التحسن .

وكان هذا الاتجار الذي اشتمل على قيام ايطاليا ببيع المواد الحربية الى الحليفتين الغربيتين ، قد اثار سخط الألمان ، الذين واصلوا باستمرار الاحتجاج الى رومة بأنها تساعد هاتين الدولتين مساعدة لا ضرورة لها . وظل السفير فون ماكنزن ينقل الى صديقه وايز ساكر « قلقه العميق » من الوضع ، وساورت المخاوف هذا – اي وايزساكر – من ان يؤدي الاستمرار في تجاهل رسالة موسوليني التي لم يبعث الفوهرر برد عليها ، الى اتاحة المجال للدوتشي ليكون « حراً في عمله » ، وان يؤدي ايضاً الى ضياع ايطاليا بصورة نهائية من صف المانيا .[١]

ولكن هتلر ما لبث ان تلقى فرصة يتنفس فيها الصعداء . فقد اعلن البريطانيون في الأول من آذار انهم قرروا منع شحن الفحم الألماني من ميناء روتردام الهولندي بحراً الى ايطاليا . وكان هذا القرار ضربة قاصمة وشديدة للاقتصاد الايطالي ، مما اثار ثائرة الدوتشي ضد البريطانيين ، وجدد ميوله نحو الألمان الذين وعدوه بالعثور على الوسائل لنقل فحمهم بطريق السكة الحديدية الى ايطاليا . واغتنم هتلر فرصة هذا الوضع فبعث برسالة مطولة الى موسوليني في الثامن من آذار ، تولى ريبنتروب تسليمها شخصياً الى الدوتشي في رومة بعد يومين [٢] وهذا ما جاء فيها . . .

« لو قمت بسحب القوات الألمانية من اراضي حكومة بولندة العامة ، لما ادى ذلك الى تهدئة الاوضاع في بولندة ، وانما الى قيام فوضى مخيفة ، لا تتمكن الكنيسة فيها من أداء واجباتها في تقديم فروض الشكر لله ، وانما يتعرض فيها القسس الى قطع رقابهم . . . »

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٦٥٢ - ٦٥٦ ، و ٦٨٣ ٦٨٤ .

٢ – نص رسالة هتلر الى موسوليني في الثامن من آذار عام ١٩٤٠ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨٧١ - ٨٨٠ .

ومضى هتلر يقول ... أما « بالنسبة الى زيارة سمنر ويلز فإنها لم تحقق شيئاً ».
اما هو فما زال مصمماً على الهجوم في الغرب . وهو واثـق من ان المعركة القادمة لن تكون مجرد نزهـة عسكرية ، وانما ستكون من اقسى المعارك في التاريخ الألماني ... انها معركة الحياة او الموت.

وهنا عرض هتلر اول اشارة منه الى موسوليني لدخول الحرب فقال :

« واني لواثق يا دوتشي ، ان نتيجة هذه الحرب ستقرر ايضاً مستقبل ايطاليا ... وستواجه ذات يوم نفس الخصوم الذين يقاتلون المانيا اليوم ... واني لأرى ايضاً بأن مصير بلدينا وشعبينا وثورتينا وعهدينا واحد ، ولا فصم فيه » .

« واود ان اؤكد لك اخيراً ، بأنني اعتقد رغم كل شيء ، بأن القدر سيرغمنا ان عاجلاً وان آجلاً في يوم ما على ان نقاتل جنباً الى جنب ، أي انك لن تنجو ايضاً من هذا التقارع في السلام ، مهما كان الشكل الذي ستتطور فيـه كل ناحية مـن نواحي الاوضاع الراهنة ، وسيكون مكانك الى جانبنا اكثر من أي يوم مضى ، كما سيكون مكاننا الى جانبك » .

واستفزت الرسالة غرور موسوليني فوراً فراح يؤكد لريبنتروب انه يتفق مع هتلر على ان مكانه الى جانب الفوهرر « في خط القتال » ولم يضع وزير الخارجية النازي فرصته في اغراء مضيفه فراح يقول ان الفوهرر « قـد غضب للاجراءات البريطانية الاخيرة الرامية الى منع نقل شحنات الفحم الألماني الى ايطاليا بطريق البحر » . وراح يسأله عن كمية الفحم التي تحتاجها ايطاليا ، فرد موسوليني بأنها تتراوح بين الخمسمائة والسبعمائة طن في الشهر الواحد . وقـال ريبنتروب بطلاقة لسان ان المانيا على استعداد الآن لتزويد ايطاليا بمليون طن في الشهر . وانها ستؤمن القسم الأكبر من العربات اللازمة لنقلها .

وعقد اجتماعان مطولان بين الرجلين ، شهدهما شيانو وذلك في الحادي عشر من آذار والثاني عشر منه . وتروي الملاحظات التي دوّنها الدكتور شميدت عن

الاجتماعين ان ريبنتروب كان في أحسن حالاته .[1] وعلى الرغم من وجود عدد ضخم من المواضيع التي يتناولانها بالبحث راح يعرض بعض الوثائق الدبلوماتية البولندية المصادرة والتي تشمل برقيات واردة من العواصم الغربية عارضة « الجريمة المرعبة التي ارتكبتها الولايات المتحدة في اشعال الحرب» .

« واوضح وزير الخارجية ان هذه الوثائق قد اظهرت بصورة خاصة الدور الشرير الذي لعبه سفراء امريكا وهم بوليت في باريس وكنيدي في لندن ودريكسيل بيدل في وارشو وهي توضح الاساليب التي تتبعها الزمرة اليهودية -البلوتوقراطية التي كان نفوذها يمتد عن طريق مورغان وروكفلر الى جميع الدوائر حتى يصل الى روزفلت نفسه » .

وظل وزير الخارجية النازي يهرف عدة ساعات ، عارضاً جهله المألوف بالشؤون العالمية، ومؤكداً المصير المشترك للدولتين الفاشيتين ومؤكداً ان هتلر سيهجم في الغرب فوراً « ليهزم الجيش الفرنسي في غضون الصيف » وليطرد البريطانيين من القارة قبل « حلول الخريف » . وظل موسوليني يصغي طيلة الوقت ، قاطعاً حديث ضيفه بين الآونة والأخرى بملاحظة تنطوي على الهزء والسخرية ، دون ان يتمكن الوزير النازي من فهمها او تمييزها . فعندما اعلن ريبنتروب مثلاً بشيء من الزهو والاعتداد « بأن ستالين قد تخلى عن فكرة السيطرة العالمية » ، رد الدوتشي ، كما روى شميدت في ملاحظاته ، قائلاً : « اتصدق حقاً هذا القول ؟ » وعندما قال ريبنتروب « ان ليس ثمة من جندي الماني فرد ، لا يعتقد بأن النصر سيكون حليف المانيا هذا العام » قاطعه موسوليني قائلاً : « حقاً انها ملاحظة مسلية » . ودوّن شيانو في يومياته تلك

---

١ - ملاحظات شميدت عن الاجتماع (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٨) ص ٨٨٢ - ٨٩٣ وص ٨٩٨ - ٩٠٩) . اوراق شيانو الدبلوماتية ص ٣٣٩ - ٣٥٩ . شميدت - ترجمان هتلر ص ١٧٠ - ١٧١ ويوميات شيانو .

الليلة يقول :

« وعندما ظللت وحدي مع موسوليني بعد المقـابلة ، قال انه لا يصدق بأن الألمان سيهجمون ، كما لا يصدق بأنهم سيحوزون نصراً كاملاً » .

وكان الدوتشي قد وعد بأن يفضي بآرائه في جلسة الغد، وكان ريبنتروب قلقاً تنتابه الهواجس من طبيعة هذه الآراء،فراح يبرق لهتلر قائلاً بأنه لم يستطع ان يتميز « أية اشارة توضح افكار الدوتشي » .

وقد اثبتت الحوادث ان قلقه كان بلا داع ،اذ كان موسوليني في اليوم التالي رجلاً مختلفاً كل الاختلاف . فقد تحول فجأة كما دوّن شميدت في يومياته « الى تأييد الحرب كل التأييد » . وراح يقول لزائره ، ان القضية لا تتعلق بمـا إذا كانت ايطاليا ستدخل الحرب الى جانب المانيا ،وانما تتعلق بموعد دخولها هذا. واضاف ان قضية التوقيت« دقيقة للغاية »، اذ انه لا يشعربضرورة التدخل قبل ان تستكمل استعداداته كلها . تحاشياً من ان يصبح عبئاً على شريكه » ومضت ملاحظات شميدت تقول :

« وهو يشعر على اي حال بضرورة الايضاح في هذا الوقت بكل صراحة ، بأن ايطاليا ليست في وضع مالي يمكنها من تحمل اعباء حرب طويلة . فهو لا يستطيع ان ينفق بليون ليرة ايطالية في كل يوم ، كما تفعل انكلترا وفرنسا مثلاً » .

ويبدو ان هذه الملاحظة قد فاجأت ريبنتروب بعض الوقت ، ولذا فقـد حاول ان يحمل الدوتشي على تحديد موعد لدخول ايطاليا الحرب . ولكن هذا كان احرص من ان يلزم نفسه بشيء ، وقال : « سيحين الوقت ، عندما تحدد ايطاليا علاقاتها بفرنسا وانكلترا أي عندما تقع القطيعة مع هاتين الدولتين » . واضاف ان من السهل عليه ان يستفز مثل هذه القطيعة وان كان يصر على عدم تحديد موعد قاطع لريبنتروب.وهو يرى انمن الواجب تدخل هتلرشخصياً في هذه القضية . ولذا فقد اقترح وزير الخارجية النازي عقد اجتماع في برينّر بين

الرجلين في النصف الثاني من شهر آذار أي بعد التاسع عشر منه، ووافق موسوليني بارتياح على هذا الاقتراح ولم ينبس ريبنتروب، طبعاً، ببنت شفه عن خطط هتلر لاحتلال الدانيمارك والنروج. وكانت هناك بعض الأسرار التي لا يذكرها المرء لحليفه حتى ولو كان يضغط على هذا الحليف لحمله على الاشتراك معه في الحرب.

وعلى الرغم من اخفاق هتلر في حمل موسوليني على الموافقة على تحديد موعد دخوله الحرب، إلا انه تمكن من غوايته الى الحد الذي حمله على التعهد بالاشتراك فيها. وراح شيانو ينتحب مدوّناً في يومياته..«واذا كان يهدف الى تعزيز المحور فلا ريب في انه قد افلح في تحقيق هدفه هذا». وعندما عاد سمنر ويلز الى رومه في السادس عشر من آذار للاجتماع ثانية بموسوليني بعد ان طاف ببرلين وباريس ولندن، وجد ان الديكتاتور الايطالي قد غدا رجلاً آخر، ودوّن الدبلوماتي الاميركي فيما بعد قائلاً:

« يبدو انه قد فقد الكثير من وزنه. وكثيراً ما خيل الي انه في غضون الأسبوعين اللذين انقضيا بعد زيارتي الاخيرة له في رومه، قد حزم امره على عبور نهر الروبيكون (اشارة الى قرار لا رجوع عنه)، كما خيل الي ان ريبنتروب قد نجح إبان زيارته في ارغام ايطاليا على دخول الحرب »[1]

* * *

ولم يكن ويلز بحاجة الى الكثير من الخيالات والاستغراب.

اذ ما كاد ريبنتروب يغادر رومه في قطاره الخاص عائداً الى برلين، حتى وجد الديكتاتور الايطالي الحزين نفسه فريسة افكار اخرى. ودوّن شيانو في يومياته بتاريخ الثاني عشر من آذار يقول. « انه يخشى بأن يكون قد مضى بعيداً في تعهده بالحرب ضد الحلفاء. وهو يود الآن ان يقنع هتلر بالعدول عن

---

١ - ويلز - حان الوقت للقرار ص ١٣٨.

هجومه ، وهو يأمـل في ان يحقق ذلك في الاجتماع الذي سيقع في ممر برينر » .
ولكن شيانو ، على الرغم من تفاهته ، كان يعرف اكثر من غيره . فقد اضاف في يومياته يقول : « وليس ثمة من ينكر بأن الدوتشي شديد الاعجاب بهتلر ، وهو اعجاب يمت الى اعمق الاعماق في تكوينه . وليس ثمة من ريب في ان الفوهرر سيحصل من الدوتشي على اكثر مما حصل عليه ريبنتروب منه » . وقد صدقت نبوءة شيانو مع بعض التحفظات ، كما سيظهر لنا عما قريب .

ولم يكد ريبنتروب يصل الى برلين حتى راح يهتف الى شيانو في الثالث عشر من آذار طالباً اليه تقديم موعد اجتماع برينر بين الديكتاتورين ، عن الموعـــد السابق ، وان يكون في الثامن عشر من آذار . وتفجّر موسوليني قائلاً : « ان الالمان لا يطاقون . فهم لا يفسحون المجـال للانسان للتنفس او حتى للتفكير . ومع ذلك وافق على الموعد الجديد ودوّن شيانو في يومياته في ذلك اليوم يقول:

« كان الدوتشي عصبي المزاج اليوم . فلقد كان حتى هذه اللحظة يعيش في وهم امكان تجنب الحرب الحقيقية . وقد اخذت فكرة وقوع تصادم حقيقي قـــد يظل هو خارجه ، تؤرق عليـــه ليله ، بل انها تذله ، اذا آثرنا استعمال عباراته نفسها » [1]

وكان الثلج يتساقط ، عندما اقترب قطار الديكتاتورين في الساعات المبكرة من صباح الثامن عشر من آذار عام ١٩٤٠ من المحطة الصغيرة الواقعـــة على الحدود عند ممر برينر ، والتي تقبع في ظـــل جبال الألب السامقة التي تغطيها الثلوج . ودارت المقابلة كترضية لموسوليني في عربته الخاصة في القطار ، ولكن هتلر ، تولى دفة الحديث معظم الوقت . وقد لخص شيـــانو مؤتمر ذلك اليوم في يوميته التي دوّنها في المساء فقال :

« كان المؤتمر اشبه ما يكون بالمأكلة (المونولوج) ... فهتلر هو الذي يتولى زمام الحديث طيلة الوقت .. اما موسوليني فيصغي اليه

---

١ — يوميات شيانو ص ٢٢٠ .

بكل ما لديه من انتباه ، مشغوفاً بحديثه ومهتماً به . وهو لا يقول إلا القليل مؤكداً عزمه على التحرك مع المانيا ولكنه يحتفظ لنفسه فقط بالحق في اختيار اللحظة المواتية » .

وقال موسوليني عندما اتيح له المجال للتكلم اخيراً ، بأنه يدرك بأن « من المحال بقاءه على الحياد حتى نهاية الحرب » . فهو يرى ان التعاون مع انكلترا وفرنسا « شيء لا يمكن تصوره ، لأنه يكرههما . ولهذا فدخول ايطاليا الحرب شيء حتمي » . وقضى هتلر نحواً من ساعة محاولاً اقناعه بذلك، هذا اذا ارادت ايطاليا ، ان لا تبقى وحيدة مهملة ، أو ارادت ان لا تغدو على حد تعبيره دولة من « دول الدرجة الثانية » .[٢] ولكن بعد ان رد على سؤال هتلر الأساسي مرضياً اياه برده ، انقلب فوراً يحاول اتقاء الخطر فقال :

« ان التاريخ يؤلف المشكلة الاساسية على أي حال .. فهناك شرط يتعلق بهذا الموضوع ويجب تحقيقه . فمن الواجب ان تكون ايطاليا « مستعدة كل الاستعداد » ... ووضعها المالي لا يسمح لها بخوض حرب طويلة .

« وهو يسأل الفوهرر اذا كان ثمة من خطر على المانيا في حالة تأجيل الهجوم . وهو لا يرى وجوداً لهذا الخطر مطلقاً ... فهو سيكمل استعداداته العسكرية في غضون ثلاثة اشهر او اربعة، ولن يكون في وضع محرج ، بحيث يرى زميله يقاتل فعلاً ، بينما يقتصر عمله هو على مجرد التظاهر .. فهو يريد ان يعمل اكثر من التظاهر ، ولكن وضعه حتى الآن لا يسمح له بأكثر من ذلك » .

ولكن سيد الحرب النازي لا يعتزم تأجيل هجومه في الغرب ، وقد اعلن عزمه هذا الى حليفه . ولكن هناك « بعض الافكار النظرية تساوره » ، وقد

---

٢ - ملاحظات الدكتور شميدت عن الاجتماع (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ١ - ١٦) .

ثعمل على مساعدة موسوليني في حل متاعبه بتجنب الهجوم الجبهي عن الاقسام الجبلية في جنوب فرنسا لأن هذا الهجوم سيكلف ايطاليا كما يرى « الكثير من الدماء المسفوكة » واقترح الفوهرر ان تقوم ايطاليا بتجهيز قوة عسكرية قوية تزحف جنباً الى جنب مع القوات الالمانية على طول الحدود السويسرية باتجاه نهر الراين « للالتفاف حول جبهة الألب الفرنسية - الايطالية من مؤخرتها ». وستكون الجيوش الألمانية قبل هذه الحركة قد اكتسحت الجيوش الفرنسية والبريطانية في الشمال. ويبدو ان هتلر كان يتوخى تسهيل الأمر على الايطاليين.. ومضى هتلر يقول :

« وعندما يتم تحطيم العدو في شمال فرنسا، سيحين الوقت لايطاليا للتدخل عملياً، لا في نقاط الألب الصعبة الوعرة، بل في اماكن اخرى ..

« وسيقرر مصير الحرب في فرنسا، واذا ما تم التخلص منها، فان ايطاليا ستغدو سيدة البحر الابيض المتوسط، ويتحتم على بريطانيا آنذاك ان تطلب الصلح » .

وأرى لزاماً علينا ان نقول ان موسوليني كان سريع التمسك بهذا الأمل المشرق ليجني اكبر الفوائد بعد ان يكون الألمان قد تحملوا جميع متاعب القتال الشاق ..

« ورد الدوتشي بأنه سيدخل الحرب فور تمكن الألمان من احراز تقدم منتصر . وأكد انه لن يضيع وقتاً، اذ عندما يكون الهجوم الألماني قد هز الحلفاء هزاً، لا تكون الحاجة ماسة إلا لضربة ثانية لارغامهم على الركوع على ركبهم . »

ولكن الدوتشي ظل متحفظاً، فقال انه يؤثر الانتظار في حالة البطء في الهجوم الألماني .

ويبدو ان هذه المساومة الخوّارة الغريبة قد ازعجت هتلر كل الازعاج، واذا صحّ ما قاله شيانو من ان موسوليني كان شديد الاعجاب شخصياً بهتلر، لسبب يمت

الى اعمق الاعماق في تكوينه ، فإن في وسعنا ان نقول ، بأن هذا الاعجاب كان متبادلاً ، وان هتلر كان معجباً بموسوليني لنفس الاسباب الخفيّة . وعلى الرغم من ان هتلر لم يكن وفياً لبعض اخدانه المقربين ، اذ قتل عدداً منهم ، كروهم وشتراسر مثلاً ، إلا انه ظل على وفائه الغريب وغير المألوف لشريكه الايطالي المضحك ، وقد ظل هذا الوفاء قوياً لم يصبه وهن او ضعف ، بل تعزز وتقوى ، عندما حل الشقاء ووقعت الكارثة بالقيصر الروماني المترنح ، والواقع في الرغام .

وهكذا وعدت ايطاليا اخيراً بدخول الحرب وعداً قاطعاً ، على الرغم من تفاهة ما لها من قيمة ، كان الألمان باستثناء هتلر نفسه، يقرون بها ، وبينهم عدد من القادة العسكريين . وكان في وسع سيد الحرب النازي ان يتجه بأفكاره بعد الآن الى فتوحات قريبة وجديدة . ولكنه لم يفه بكلمة واحدة لصديقه وحليفه ، عن هذه الفتوحات التي كان من المقرر وقوعها قريباً جداً في الشمال .

خيبة امل المتآمرين من جديد

قام المتآمرون المناهضون للنازية من جديد باقناع القادة العسكريين بخلع الفوهرر، وذلك قبل ان يشن عدوانه الجديد هذه المرة في الشمال . وهو العدوان الذي كانت انباؤه قد وصلت الى مسامعهم . وكان كل ما اراده المتآمرون المدنيون هذه المرة ، الحصول على تأكيد من الحكومة البريطانية بأنها ستعقد صلحاً مع العهد المناوىء للنازية في المانيا ، وكانوا يصرون مع ما هم عليه من موقف ، بأن تسمح اية تسوية جديدة مع حكومة الرايخ المقبلة ، لهذه الحكومة بالاحتفاظ بمعظم المكاسب الاقليمية التي حققها هتلر ، وهي النمسا واراضي السوديت وحدود عام ١٩١٤ مع بولندة ، على الرغم من ان هذا الكسب الاخير لم يتحقق في الماضي إلا بازالة الشعب البولندي من الوجود .

وقد غامر هاسّيل ، متدرعاً بشجاعته الشخصية الفائقـة ، بالسفر الى بلدة اروزا في سويسرا في الواحد والعشرين من شباط عام ١٩٤٠ ، حاملاً مثل هذا الاقتراح ، وهادفاً الى البحث فيه مع شخص بريطاني اطلق عليه اسم « السيد س » في يومياته ، وان كنا قد عرفنا حقاً انه جي لونسديل برايانز . وقـد اجتمع الرجلان اربعة اجتماعات في الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شباط ، واحيطت اجتماعاتهما بمنتهى السرية ولم يكن برايانز هذا ، على الرغم من مكانته الدبلوماتية في رومة إلا صورة اخرى من صور هؤلاء المفاوضـين الهواة الذين يعينون انفسهم ، لاجراء محادثات تتعلق بالسلام ، والذين روينا قصص عدد منهم في سياق هذا الكتاب . وكانت للرجل اتصالات في داوننغ ستريت ، وقد اثر على فون هاسّيل فور اجتماعه به تأثيراً قوياً . ولقـد طرأ على البريطانيين بعض التشكك في قصة المتآمرين كلها ، بعد القصة الهزلية التي لابست المحاولات التي جرت لاتصال الرائد ستيفينز والرئيس بيست في هولندة معهم ، ولذا فقـد اصر برايانز على ان يعرف من هاسّيل بعض المعلومات الموثوقة ، عن هوية الاشخاص الذين يتحدث باسمهم ، واستشاط المبعوث الالماني غضباً وقال : « لست في وضع اتمكن فيه من تسمية الرجال الذين يقفون خلفي . ولكـن في وسعي ان اؤكد لك ان بياناً يصدر عن هاليفاكس يصيب كبد الحقيقة ، ويقـع في ايدي الصالحين من الناس . »[1]

وراح هاسيل يرسم بعد ذلك آراء « المعارضة » الألمانـية . فهي ترى ان هتلر يجب ان ينتهي قبل « البدء بعمليات عسكرية ضخمة في الغرب » ، وان عملية الاطاحة به « يجب ان تكون المانية مجردة » ، وان من الضروري « صدور بيان انكليزي من مصدر عال » عن الطريقة التي سيعامل بها « العهد المناوىء للنازية في برلين » ، واضاف هاسّيل ان المعارضة الألمانية ترى ان العقبة الاساسية في تبدل العهد تقوم في قصة عام ١٩١٨ ، « اذ ان الألمـان يخشون ان تتطور

---

١ - فون هاسيل - يوميات ص ١١٦ - ١١٨ .

الأمور كما تطورت آنذاك بعد ان ضحوا بالقيصر » واكد هاسيل انه يريد مع رفاقه ضمانات بأن تعامل المانيا بعد التخلص من هتلر ، معاملة اكرم من تلك التي عوملت بها بعد ان تخلص الألمان من غليوم الثاني .

وقام بعد ذلك بتسليم برايانز مذكرة كان هو نفسه قد اعدها باللغة الانكليزية. وعلى الرغم من غموض المذكرة ، إلا انها كانت تنطوي على الكثير من العواطف الطيبة عن عالم الغد . الذي يقوم « على مبادىء الاخلاق المسيحية والعدل والقانون والرفاه الاجتماعي وحرية الفكر والضمير » . واضاف هاسّيل ان الخطر الاكبر من استمرار هذه الحرب المجنونة يقوم في بلشفة اوروبا . وهو خطر يراه اكبر من استمرار النازية وهو يضع شرطاً اساسيا واحداً للسلام وهو ان يترك لألمانيا كل ما قام به هتلر من فتوحات راح يعددها . وقال انه لا يرى احتمالاً للبحث في استيلاء المانيا على النمسا واراضي السوديت في أي صلح مقترح ، وان من حق المانيا ان تعيد حدودها مع بولندة الى ما كانت عليه في عام ١٩١٤ ، وهو يعني بذلك تلميحاً لا تصريحاً حدودها السابقة مع روسيا اذ ان بولندة لم تكن في حيّز الوجود في عام ١٩١٤ .

ووافقه برايانز على وجوب السرعة في العمل بالنظر الى توقع الهجوم الالماني الكبير في الغرب في كل لحظة ، ووعد بنقل مذكرة فون هاسّيل الى اللورد هاليفاكس . وعاد هاسّيل الى برلين ليطلع شركاءه على الحركة الاخيرة التي قام بها . وعلى الرغم من الآمال التي علقوها على السيد (س) ، صديق هاسّيل ، إلا نهم كانوا اكثر اهتماماً في تلك اللحظة « بتقرير س» على حد تعبيرهم ، وهو التقرير الذي وضعه هانز فون دوهنانيا، احد اعضاء الجماعة ومن رجال المخابرات على اساس الاتصال الذي جرى بين الدكتور مويلر وبين البريطانيين في الفاتيكان وقد جاء في هذا التقرير ان البابا على استعداد للتدخل مع بريطانيا لعقد صلح معقول ، مع الحكومة الجديدة المناهضة للنازية ،ولا ريب في ان احد الشروط التي وضعوها ، والتي تعتبر مقياساً لآرائهم هو الزعم بأن قداسة البابا يؤيد « تسوية المسئلة الشرقية في صالح المانيا » . وقد تمكن الديكتاتور النازي المجنون

من الحصول على تسوية في الشرق «في صالح المانيا» عن طريق العدوان المسلح ، وكان المتآمرون النازيون الطيبون يريدون عين هذه التسوية ، على ان يسلمها البريطانيون اليهم مصحوبة ببركات البابا .

وظل تقرير «س» مسيطراً على افكار المتآمرين طيلة شتاء ذلك العام ١٩٣٩ - ١٩٤٠ . وتولى الفريق توماس اطلاع براوخيتش على هذا التقرير في نهاية شهر تشرين الاول ، هادفاً من وراء ذلك الى اشراك القائد العام للجيش في محاولاته اقناع هتلر بعدم شن الهجوم الكبير في الغرب في ذلك الخريف . ولكن براوخيتش لم يقدر هذا التشجيع حق قدره ، وراح يهدد الفريق توماس بالإعتقال ، ان عاد الى اثارة الموضوع من جديد ، صارخاً به ان هذا العمل « خيانة كبرى وواضحة »

وحمل توماس التقرير بعد ان بات العدوان النازي الجديد وشيك الوقوع الى الفريق هولدر مؤملاً ان يقوم هذا بالعمل على ضوئه . ولكن آماله كلها ذهبت ادراج الرياح فلقد اعلن رئيس هيئة اركان الحرب الى غويردلر الذي كان ايضاً من اشد المتآمرين نشاطاً وحماساً ، والذي كان قد ابتهل اليه ليتولى دور القيادة طالما ان براوخيتش الجبان ، يتردد في توليه ، بأنه لا يستطيع ان يبرر في هذه اللحظة نكثه بالقسم الذي اداه لهتلر ، كجندي الماني . ومضى يقول :

« يضاف الى هذا ، ان انكلترا وفرنسا هما اللتان اعلنتا الحرب ضدنا وان على الجندي الالماني إن يخوضها حتى النهاية . وكل صلح يقوم على الحلول الوسطى ، لا معنى له ولا قيمة . ولا يمكن المرء ان يقوم بالعمل الذي يريده غويردلر إلا في حالات الضرورة القصوى » .

وهتف هاسّيل وهو يدوّن في يوميته بتاريخ السادس من نيسان عام ١٩٤٠ صورة الحالة العقلية التي يرى فيها هولدر ، كما شرحها له غويردلر ... « يا له من كلب رعديد » . . . واضاف هاسّيل يقول : « لا ريب في ان هولدر الذي شرع بالبكاء إبان مناقشة مسؤوليته ، يوحي بالانطباع بأنه رجل ضعيف ذو اعصاب

محطمة » .

ومن حقنا ان نشك في صحة هذا الانطباع . فعندما يقرأ المرء اليوميات التي دوّنها هولدر في الاسبوع الأول من شهر نيسان ، والتي تعج بمئات الشروح والتفاصيل عن الاستعدادات التي كان يساعد هو في اتخاذها تأهباً للهجوم الضخم الجبار في الغرب ، لا يشك مطلقاً ، كما لم يشك مؤلف هـذا الكتاب ، في ان رئيس اركان الحرب كان يمر في حالة مزاجية نضالية محاربة ، وقـد تجلت في المناقشات التي كان يجريها مع قادة الميدان والتي كان يدقق في غضونها في الخطط الاخيرة لأعظم عملية عسكرية واكثرها جرأة في التاريخ الالماني . وليست هناك اية اشارة في يومياته الى وجود افـكار خائنة تراوده أو تعاوده ، ولا الى اي حالة اصطراع مع ضميره . وعلى الرغم من انه لا يخفي في يومياته هذه شكوكه في الهجوم على الدانيمارك والنروج ، إلا ان هذه الشكوك تقوم على اسس عسكرية مجردة ، وليس في ما دوّنه أية كلمة ، ولو واحدة عن القلق الاخلاقي تجاه العدوان النازي على الدول الاربع المحايدة الصغيرة ، التي كانت المانيا قد ضمنت حدودها ، والتي كان هولدر يعرف ان المانيا اصبحت على وشك مهاجمتها . لا سيما وانه قد تولى بنفسه دوراً قيادياً في وضع الخطط للهجوم على اثنتين منها وهما هولندة وبلجيكا

وهكذا انتهت المحاولة الاخيرة « للألمان الطيبين » للاطاحة بهتلر قبل ان يفوت الأوان . وكانت هذه هي فرصتهم الاخيرة في الحصول على صلح سخي كريم . ولم يكن القـادة العسكريون ، كما ذكر براوخيتش وهولدر بوضوح ، مهتمين بعقد صلح على اساس التفاوض . وكل ما كانوا يفكرون به الآن ، هو ما يفكر به الفوهرر نفسه ، من فرض الصلح ، بعد ان تحقق المانيا انتصارها . ولم يعد هؤلاء القادة عودة جدية الى افكارهم « الخيانية » القديمـة ، التي كانت قوية في ايام ميونيخ وزوسّين للاطاحة بديكتاتورهم المجنون ، إلا بعد ان خبت تلك الآمال في النصر الذي علقوا الكثير عليه . وعلينـا ان نذكر هذه الحالة العقلية ، وهذه الطبيعة ، بالنسبة الى ما سيقع من احداث تالية ، والى ما سيحاك

الاستيلاء على الدانيمارك والنروج

وصف بعض الكتاب والمؤرخين استعدادات هتـــلر لاجتياح الدانيمارك والنروج ، بأنها من اعظم الاحداث التي حوفظ في الحرب على سريتها . ولكن مؤلف هذا الكتاب يخالفهم رأيهم هذا، اذ انه يرى ان الدولتين الاسكندينافيتين وبريطانيا لم تباغت بما وقع ، لأنهـا لم تتلق التحذيرات في الوقت المناسب بما هو واقع لأنها لم تصدق هذه التحذيرات في الوقت المناسب ، وقبل ان يفوت الأوان.

فلقد قام العقيد اوستر ، وهو احد المتآمرين ومن رجال المخابرات الالمانية قبل وقوع الكارثة بعشرة ايام بتحذير العقيد . جي جي . ساس ، صديقه الحميم والملحق العسكري الهولندي في برلين من الخطط التي تضعها المانيا، « لتمرين ويسر » ، وتولى هذا نقلها بدوره ، وفوراً الى الملحق البحري الدانيماركي في برلين ، الرئيس كجولسين .(١) ولكن الحكومة الدانيماركية المتراخية لم تشأ ان تصدق ملحقها البحري ، وعندما اوفد الوزير الدانيماركي في برلين ملحقه البحري الى كوبنهاغن على جناح السرعة في الرابع من نيسان ، ليكرر الانذار شخصياً على مسامع المسؤولين ، لم يحمل هؤلاء معلوماته على محمل الجد وهناك ما هو ادهى من هذا وأمر . ففي مساء الثامن من نيسان ، أي عشية يوم الكارثة . وكانت الانباء قد تناقلت نسف باخرة نقل المانية ملأى بالجنود على مقربة من ساحل النروج الجنوبي ، الى الشمال قليلاً من الدانيمارك ، وكان الدانيماركيون قد رأوا بأم اعينهم اسطولاً المانياً ضخماً يبحر باتجاه الشمال بين جزرهم نفسها ، ابتسم ملك الدانيمارك ساخراً ، عندما قيل له ، وهو يتناول العشاء ان بلاده معرضة للخطر.

وروى احد ضباط الحرس الملكي فيما بعد ، وكان يحضر العشاء ان الملك لم يصدق ما قيل له ، بل مضى فعلاً وبعد انتهاء العشاء الى المسرح الملكي ، وقد سيطرت عليه حالة عقلية من الثقة والسعادة . (٢)

(١) آلين دالاس - الحركة السرية في المانيا ص ٥٩ .

(٢) شيرر - تحدي اسكندينافيا ص ٢٢٣ - ٢٢٥

وكانت الحكومة النروجية قـــد تلقت في مستهل شهر آذار تحذيرات من مفوضيتها في برلين ، ومن السويديين عن وجود تحشدات المانيـــة للقوات العسكرية والسفن الحربية في بحر الشمال ومـــوانىء البلطيق ، ووصلت في الخامس من نيسان الى اوسلو انباء موثوقة من برلين عن نزول الماني متوقع فوراً في السواحل الجنوبية من النروج ولكن وزارة النروج المتخاذلة الكسول ، ظلت متشككة في هذه الحقائق . ولم تر هذه الوزارة المتراخية ضرورة حتى في السابع من نيسان ، عندما شوهدت بواخر المانية حربية تقترب من الساحل النروجي، وعندما وصلت انباء تقول بأن الطائرات البريطانية شاهدت اسطولاً المانيا حربياً في مدخل مضيق سكا جيراك . لأن تتخذ خطوات دفاعية واضحة كتعبئة الجيش ، ووضع الحاميات القوية في القلاع التي تحمي الموانىء وتعزيز وسائل المقاومة في المطارات واغلاقها وزرع الألغام في المداخل المائية الضيقة للعاصمة والمدن الكبرى رغم سهولة الدفاع عنها . وظل هذا التراخي قائماً حتى في الثامن من نيسان عندما تولت الاميرالية البريطانية ابلاغ مفوضية النروج في لندن بأن وحداتها اكتشفت قوات بحرية المانية ضخمة تقترب من ميناء نارفيك، وراحت الصحف في اوسلو ، تنقل انباء انقاذ الجنود الالمان من باخرة النقـــل ريودي جانيرو التي نسفتها غواصة بولندية في ذلـــك اليوم على مقربـة من الساحل النروجي عنـــد ليليساند ، واعلن الناجون من الجنود انهم كانوا في طريقهم الى بيرغين للمساعدة في الدفاع عنها ضد البريطانيين . ولو فعلت الحكومة النروجية غير ما فعلته من استرخاء واستخذاء ونفذت التدابير التي اشرت اليها، لكان من المحتمل ان يتخذ التاريخ اتجاها مغايراً لما حدث .

وبدأت النذر تتوارد الى لندن ، على حد رواية تشرشل منذ الاول مـــن نيسان ، وقامت وزارة الحرب المصغرة في الثالث من نيسان بدراســـة آخر الاخبار ، الوارد معظمها من استوكهولم ، والتي تحدثت عن قيام الالمان بجمع قوات عسكرية ضخمة في موانىء البلاد الشمالية مستهدفـة التحرك باتجـــاه اسكندينافيا . ولكن يبدو ان الحكومة لم تحمل هذه الانباء على محمل الجد .

وفي الخامس من نيسان أي بعد يومين ، وكانت الدفعة الأولى من سفن التموين الألمانية قد مضت ماخرة في البحر ، راح رئيس الوزراء تشمبرلين يعلن في خطاب القاه ، ان هتلر ، بعد ان فشل في القيام بهجوم في الغرب عندما لم يكن البريطانيون والفرنسيون على استعداد لمقابلته ، قد « فاته الباص » وهو تعبير سرعان ما ثبت بطلانه .[1]

وكانت الحكومة البريطانية ميالة في هذا الوقت على حد قول تشرشل الى الاعتقاد بأن هذه الحشود الألمانية في بحر الشمال والبلطيق انما تهدف الى تمكين هتلر من توجيه ضربة مقابلة في حالة قيام البريطانيين بزرع الالغام في المياه النروجية ، لقطع تموينات الحديد من نارفيك الى المانيا ، واحتلال ذلك الميناء وبعض الموانىء الاخرى الى الجنوب .

وكانت الحكومة البريطانية تفكر في الحقيقة في مشروع احتلال كهذا . وكان تشرشل ، وزير البحرية قد نجح بعد سبعة اشهر طويلة من خيبة الأمل في الحصول على موافقة وزارة الحرب ومجلس الحلفاء الاعلى ، على زرع الالغام في الطريق البحرية النروجية في الثامن من نيسان في عملية اطلق عليها البريطانيون اسم « ويلفريد » الرمزي . ولما كان من المتوقع ان يرد الألمان رداً عنيفاً على هذه الضربة المميتة التي تقضي بحرمانهم من شحنات الحديد من نارفيك بعد اغلاق الطريق المؤدية اليها ، فقد تقرر ايفاد قوة انكليزية – فرنسية مشتركة الى نارفيك على ان تتقدم هذه القوة باتجاه الحدود السويدية . وتقرر انزال وحدات اخرى في تروندهايم وبيرغين وستافانغر ، الى الجنوب ، « لحرمان العدو من هذه القواعد » على حد تعبير تشرشل . وقد اطلق على هذه العملية اسم « الخطة س – ٤ » .[2]

---

(١) ابحرت البواخر الألمانية الثلاث الأولى من بواخر التموين الى نارفيك في الساعة الثانية من صباح الثالث من نيسان . وغادرت اضخم ناقلة المانية للزيت من مورمانسك باتجاه نارفيك في السادس من نيسان ، بتواطؤ مع الروس الذين زودوها من مينائهم هذا بحمولة ضخمة من الزيت .

(٢) مذكرات تشرشل الجزء الاول ص ٥٧٩ . وورد النص الرسمي للخطط البريطانية في كتاب ديري « الحملة في النروج » .

وهكذا بينا كانت القوات الألمانية تحمّل في مختلف السفن الحربيــة في غضون الاسبوع الأول من نيسان ، لتعبر الى النروج ، كانت القوات البريطانية تحمّل ، وان كانت في اعداد اقل من القوات الألمانية ، فيسفن النقل في كلايد وفي الطرادات في فورت ، متجهة الى نفس الهدف .

* * *

واصدر هتلر بعد ظهر الثاني من نيسان ، وبعد اجتماع طويل مـــع غورنغ وريدر وفالكنهورست توجيهاً رسمياً أمر فيه بأن تبدأ عملية « تمرين ويسر »في الساعة الخامسة والربع من صباح التاسع من نيسان . واصدر هتلر في نفس الوقت توجيهاً آخر ينص على« وجوب منع ملكي الدانيمارك والنروج من الفرار من بلاديهما اثناء الاحتلال بمختلف السبل والوسائل » .[١] وراحت القيادة العليا للقوات المسلحة تطلع وزارة الخارجية في نفس اليوم على السر . وصدر توجيه مطول آخر الى ريبنتروب يوعز له ، باعداد الاجراءات الدبلوماتية اللازمــة لاقناع الدانيمارك والنروج بالاستسلام دون حرب ، حالما تهبط القوات المسلحة الألمانية فى اراضيهما و«طبخ» نوع من التبرير لعدوان هتلر الاخير .[٢]

ولم تكن الخديعة محصورة في وزارة الخارجية اذ تقرر ان يلجأ الاسطول الألماني الى استخدامها ايضاً . وراح يودل في الثالث من نيسان ، أي في موعد ابحار البواخر الألمانية الأولى يفكر وهو يدوّن يومياته ، بمشكلة الطريقة التي يجب ان تتبع في خداع النروجيين في حالة تبادر الشكوك الى اذهانهــم من جراء وجود مثل هذا العدد الكبير من السفن الحربية الالمانيــة في جوارهم . وكانت البحرية الألمانية قد اعدت بالفعل الخطة لهذه العملية ، فـأوعزت الى سفنها الحربية وبواخر نقلها ، بأن تحاول الظهور بمظهر السفن البريطانية وان ترفع اذا اقتضى الأمر العلم البريطاني . ووضعت القيادات البحرية الألمانية السرية

(١) نص التوجيه في وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٦٦ ٦٨ .

(٢) وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٦٨ ٧٣ .

الاوامر المفصلة لخداع النروج وتضليلها في موضوع الغزو الألماني .[١]

سري للغاية

سلوك القوات عند دخولها الى الموانىء

« يجب تعتيم كافة السفن ... ومن الواجب الحفاظ على التنكر في شكل سفن بريطانية اطول وقت ممكن . ويجب ان يرد باللغة الانكليزية على جميع الاشارات اللاسلكية التي تصدر عن السفن النروجية برموز « المورس » طالبة معرفة هويات البواخر الألمانية بالجواب التالي « نعتزم زيارة برغين فترة قصيرة .. وليس لدينا أي هدف معاد » .

« واذا ما سألت السفن النروجية عن اسماء هذه السفن يرد على سؤالها بالنحو التالي :

« كويلن – تتستر باسم الباخرة البريطانية « القاهرة » .

« كوينغزبرغ -تتستر باسم الباخرة البريطانية «كلكوتا».. الخ.

« يجب اتخاذ الترتيبات لإضاءة الاعلام الحربية البريطانية...

« على السفن المتجهة الى برغين ... ان تسير وفق المبدأ الموجه التالي في حالة اضطرارها الى الرد على استفسارات من سفن عابرة..

« يعطى اسم « القاهرة » للباخرة كويلين ...

« في حالة صدور ايعاز من السفن النروجية لبواخرنا بالوقوف، يرد عليها (اولاً) نرجو اعادة الاشارة و (ثانياً) لا نستطيع ان نفهم الاشارة .

« وفي حالة اطلاق قذيفة انذارية نروجية .. يكون الرد

---

(١) المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩١٤ - ٩١٥ .

« اوقفوا النار . نحن بواخر بريطانية . اننا بواخر صديقة .

« وفي حالة الاستفهام عن الاتجاه والهدف يرد بالعبارة التالية :
نحن متجهون الى برغين ، مطاردين بعض البواخر الألمانية »[١] .

* * *

وهكذا في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين من صباح التاسع من نيسان عام ١٩٤٠ (أي الساعة الرابعة والدقيقة العشرين من وقت الدانيمارك) ، وقبل ساعة من طلوع الفجر ايقظ المبعوثان الدبلوماتيان في كل من كوبنهاغن واوسلو وزيري خارجية هاتين الدولتين من رقادهما قبل عشرين دقيقة من وصول القوات الألمانية ، تنفيذاً لتعليمات ريبنتروب الدقيقة ، وسلما اليهما انذاراً رسمياً من الحكومة الألمانية الى حكومتيهما ، بوجوب قبول «حماية الرايخ» فوراً ودون مقاومة . وكان هذا الانذار اوقح ما وضعه هتلر وريبنتروب من وثائق ، اذ كان هذان الرجلان قد اتقنا الآن ، الخداع الدبلوماتي بعد تجاربهما السابقة .[٢]

وبعد ان اعلن الانذار ان قوات الرايخ قد جاءت لمساعدة الدانيمارك والنروج ، في حماية نفسيهما من الاحتلال الانكليزي ـ الفرنسي ، مضى قائلاً :

« ولهذا فان القوات الألمانية لا تطأ اقدامها الأرض النروجية ، كقوات معادية . ولا تعتزم القيادة العليا الألمانية الافادة من النقاط التي تحتلها قواتها ، كقواعد للعمليات الحربية ضد انكلترا ، طالما انها غير مضطرة الى مثل ذلك ...

« ولا تهدف العمليات الألمانية العسكرية على النقيض من ذلك إلا لحماية الشمال من الاحتلال البريطاني المتوقع للقواعد النروجية

---

١ ـ حاول امير البحر الاكبر ريدر في محاكمات نورمبرغ تبرير هذه الاساليب على اساس انها اساليب مشروعة و « خدع حربية مقبولة ، لا تقبل من الناحية القانونية أي اعتراض عليها » (محاكمات كبار مجرمي الحرب الألمان (١٤) ص ٩٩ و ١٩٤ .

٢ ـ نص الانذار في المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٤١٠ ـ ٤١٤ . وكذلك في وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٨٨ ـ ٩٩ .

بواسطة القوات الانكليزية – الفرنسية ..

« وتعلن حكومة الرايخ على ضوء العلاقات الطيبة القائمة بين المانيا والنروج حتى هذا اليوم ، الى الحكومة الملكية النروجية ، ان المانيا لا تعتزم المساس عن طريق اجراءاتها بسلامة مملكة النروج الاقليمية واستقلالها السياسي ، لا في الحال ولا في الاستقبال .

« وتتوقع حكومة الرايخ والحالة هذه ان لا تتعرض لأية مقاومة من حكومة النروج أو شعبها . اذ ان أية مقاومة ستحطم بجميع السبل والوسائل ، ولن تؤدي والحالة هذه إلا الى سفك دماء لا ضرورة له ولا جدوى منه مطلقاً ... »

وكانت توقعات الالمان صحيحة بالنسبة الى الدانيمارك لا الى النروج واتضحت هذه الحقيقة لدوائر الويلهلمشتراسة بعد تلقيها اولى الرسائل العاجلة من وزيريها المفوضين في هاتين البلدين . فقد ابرق المبعوث الالماني في كوبنهاغن الى ريبنتروب في الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة والثلاثين صباحاً يقول ان الدانيماركيين قد قبلوا « جميع طلباتنا على الرغم من تسجيلهم احتجاجاً عليها » . اما كورت بروير ، الوزير المفوض في اوسلو فقد بعث برواية مخالفة . اذ بعث في الساعة الخامسة والدقيقة الثانية والخمسين صباحاً أي بعد اثنتين وثلاثين دقيقة من تسليمه الانذار الالماني ، ببرقية الى برلين تحمل الرد العاجل للحكومة النروجية على النحو التالي .. « لن نستسلم طواعية . وقد بدأنا النضال » . [1]

واحتد ريبنتروب المغرور من هذا الرد [2] . وعاد يبعث الى كورت بروير

---

١ – برقية ريشفينك من كوبنهاغن (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ١٠٢ - ١٠٣ وبرقية بروير من اوسلو (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ١٠٢).

٢ – لم ير مؤلف هذا الكتاب ريبنتروب قط في حالة لا تطاق كما رآه في ذلك الصباح فلقد هرع داخلاً الى مؤتمر صحفي طارىء عقده في ذلك الصباح في وزارة الخارجية ، وقد ارتدى بزة عسكرية براقة وفاتحة ،وهو يبدو كما دونت في يومياتي وكأنه (يملك العالم بأسره). وراح يندفع ==

في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين ببرقية عاجلة للغاية قال فيها : « عليك ان تقنع الحكومة هناك بأن ليس ثمة من منطق او معنى لأية مقاومة نروجية » .

ولم يكن في وسع المبعوث الألماني التعس ان ينفذ لوزير خارجيته رغبته . فلقد كان ملك النروج وحكومته واعضاء البرلمان قد فروا جميعاً في هذا الوقت من العاصمة الى الجبال في الشمال . وقد صمموا جميعاً على المقاومة ، على الرغم من عدم التكافؤ في القوى . وكانت المقاومة قد بدأت في الواقع في بعض الأماكن وان لم يكن في كلها ، مع وصول البواخر الالمانية في تلك الليلة .

وكان الدانيماركيون في وضع اكثر قنوطاً ويأساً وكانت بلادهم الجميلة المؤلفة من الجزر ، اعجز عن الدفاع من جارتها . فهي اكثر استواء ، واصغر مساحة من النروج ، وكانت جتلند ، التي تؤلف الجزء الاكبر من البلاد ، مفتوحة براً أمام جحافل هتلر المدرعة . ولم تكن هناك جبال يستطيع ملكها وحكومته الفرار اليها ، كما لم يكن باستطاعتها ان تأمل في اي عون يأتيها من بريطانيا . ولقد قيل ان الدانيماركيين كانوا اكثر حضارة من ان يحاربوا في مثل هذه الظروف ، وبالفعل فانهم لم يحاربوا مطلقاً . وطلب الفريق و . و . بريور ، القائد العام للجيش ، المقاومة ، ولكن رئيس الوزراء ثورفالد ستونينغ خالفه الرأي وابطل قراره . وايد الملك ووزير الخارجية ادوار مونك رئيس

= بكلامه قائلاً ... «لقد اصدر الفوهرر رده ... ان المانيا تحتل التربة الدانيماركية والنروجية لحماية هاتين البلدين من الحلفاء ، وستدافع عن حيادها الصحيح حتى نهاية الحرب . وهكذا تمكنا من انقاذ جزء كريم من اوروبا من الإنهيار الأكيد» .

ووجدت صحف برلين ما تقوله ايضاً في ذلك اليوم ، فلقد كتبت « البورصن زايتونغ تقول »: « تدوس انكلترا باقدامها عامدة متعمدة اجساد الشعوب الصغيرة بعد قتلها . وتتولى المانيا حماية الدول الضعيفة من قطاع الطرق الانكليز .. وعلى النروج ان ترى عدالة العمل الألماني الذي استهدف ضمان حرية الشعب النروجي » . وطلعت صحيفة هتلر « الفولكشاير بيوباختر » تحمل العنوان الضخم التالي: « المانيا تنقذ اسكندينافيا » .

الوزراء في قراره ، وكان الملك قد رفض نداء القائد العام باعلان التعبئة العامة، عندما وصلت اولى الانباء السيئة في الثامن من نيسان . ولم يستطع مؤلف هذا الكتاب ، على الرغم من التحقيق الذي اجراه في كوبنهاغن ، معرفة الاسباب التي ظلت غامضة بالنسبة اليه ، والتي ادت الى امتناع الاسطول الدانياركي عن اطلاق طلقة واحدة ، لا من سفنه الحربية ، ولا من بطارياته الساحلية ، حتى في اللحظة التي مرت بها السفن الألمانية الناقلة للجنود ، في مرمى هذه المدافع ، التي كان في وسعها ان تصليها ناراً حامية ، وان تمزقها شذر مذر . أما الجيش فقد اشتبك في بعض المناوشات القليلة في جوتلند ، كما اطلق الحرس الملكي بعض الطلقات النارية حول القصر الملكي في العاصمة ، واصيب بعض افراده بالجراح . وانتهى كل شيء في الدانيارك ، في اللحظة التي كان الدانياركيون فيها قد اتموا فطورهم الصباحي . واستسلم الملك تلبية لنصيحة حكومته وخلافاً لرأي الفريق بريور ، وأمر بوقف كل ما بدا من مقاومة ضعيفة .

وتظهر الوثائق الألمانية المصادرة ، ان الخطط التي وضعت للاستيلاء على الدانيارك بالمباغتة والخداع ، قد اعدت بعناية فائقة . وكان الفريق كورت هايمر ، رئيس اركان القوات التي عهد اليها باحتلال الدانيارك قد وصل الى كوبنهاغن في السابع من نيسان بالملابس المدنية ، ليستكشف اوضاع العاصمة ويقوم بالترتيبات اللازمة لاختيار رصيف مناسب ، ترسو اليه السفينة هانسيستادت دانزيغ ، الناقلة للجنود ، وانتقاء سيارة شاحنة لنقل بعض المؤن وجهاز للارسال . وكان قائد الفوج الألماني الذي وجدت القيادة انه كافٍ لاحتلال هذه العاصمة الكبيرة ، قد زار كوبنهاغن ايضاً في الملابس المدنية ، قبل يومين ، ليحمل صورة عنها .

ولم يكن من الغريب والحالة هذه ان تنفذ الخطط التي وضعها القائد هايمر وقائد الفوج ، دون وقوع اي خطأ فيها . ووصلت الباخرة الناقلة للجنود الى كوبنهاغن قبيل الفجر ، ومرّت دون ان تتعرض لاطلاق النار من مدافع القلعة التي تحمي الميناء ولا من السفن الدورية الدانياركية ، ورست بهدوء وامان على

رصيف « لانغيليني » في قلب المدينة وعلى مرمى حجر من القلعة ، التي يتخذها الجيش الدانيماركي مقراً لقيادته العليا ، وعلى بعد قريب للغـــاية مـن قصر « أمالينبورغ » حيث يقيم الملك . واستولى الفوج الألماني الصغير بسرعة كبيرة على القصر والقلعة دون أية مقاومة تستحق الذكر .

وعقد الملك في قصره ، وبين هذه الطلقات النارية المتفرقة اجتماعاً للتشاور مع وزرائه . وأيد الجميع قرار اللامقاومة . وكان الفريق بريور الوحيد الذي طلب السماح له بالمقاومة . ورجا الملك ان يغادر القصر الى اقرب معسكر حربي في هوفيلتي ، للنجاة من الأسر . لكن الملك وافق وزراءه على رأيهم في عدم المقاومة . ويقول شاهد عيان ان الملك سأل قائد جيشه « اذا كان الجنود قد خبروا القتال طويلاً » فكان رد الفريق انهم لم يقاتلوا [١] .

وسيطر القلق على الفريق هايمر من الابطـــاء في التسليم ، فهتف الى مقر القيادة العامة التي اقيمت في همبورغ ، وكانت السلطات الدانيماركية قد اهملت قطع خطوط الهاتف مع المانيا ، وروى هو بنفسه [٢] ، انه طلب من القيادة ايفاد بعض قاذفات القنابل للتحليق فوق كوبنهاغن « لارغام الدانيماركيين على القبول والتسليم » . ودار الحديث بصورة رمزية ، وفهمت القيادة العامة للسلاح الجوي ان هايمر يطلب من الطائرات القيام بقصف حقيقي للمدينة ، ووعدت بتنفيذ طلبه فوراً ، وهو خطأ تم اصلاحه في الوقت المناسب ، وقبل ان يقـع الخطأ . ويقول هايمر ان الطائرات « هدرت بأصواتها فوق العاصمة الدانيماركيـة ، ونجحت في تحقيق الغاية منها ، اذ قبلت الحكومة مطالب المانيا » .

---

١ – بلغ مجموع خسائر الدانيماركيين في طول المملكة وعرضها ثلاثة عشر قتيلاً وثلاثة وعشرين جريحاً . وبلغت خسائر الألمان نحواً من عشرين رجلاً . استندت في الرواية الدانيماركية عـــن الاحتلال الألماني على كتابي « تحدي اسكنديتافيا » وعلى كتاب « الدانيمارك في عهد الاحتلال » اعداد بورج اوتزي . وافدت ايضاً من المساعدة التي قدمها لي المقدم ثولاد ، وهـــو من ضباط الحرس الملكي .

٢ – من وثائق الجيش الالماني السرية (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٢٩٩ – ٣٠٨).

وكانت هناك صعوبة في ايجاد وسيلة لاذاعة نبأ استسلام القوات الدانيماركية على الشعب ، اذ ان محطات الاذاعة المحلية ، لم تكن قد بدأت ارسالها بعد في هذه الساعة المبكرة. وحلت المشكلة عن طريق اذاعة النبأ على الموجة الدانيماركية بواسطة جهاز الارسال الذي حمله الفوج الألماني الفاتح معه . والذي كان الفريق هايمر قد نقله على ظهر شاحنة ، مفكراً بمثل هذا الاحتمال الى القلعة

وقام الفريق هايمر يرافقه سيسيل فون رينتة - فينك وزير المانيا المفوض بزيارة ملك الدانيمارك ، الذي لم يعد صاحب السيادة في بلاده ، وإن جهل هذه الحقيقة في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . وخلف لنا هايمر صورة خطية للاجتماع في وثائق الجيش السرية ، وهذا ما جاء فيها :

« بدا الملك الذي يبلغ السبعين من عمره ، وقد تحطم في نفسيته ، على الرغم من احتفاظه بالمظاهر الخارجية ، وتمسكه بكرامته المطلقة إبان الاجتماع . ورأيته يرتجف من قمة رأسه الى أخمص قدميه . واعلن انه سيحاول مع حكومته القيام بكل وسيلة ممكنة للحفاظ على السلام والنظام في البلاد ، وازالة أي احتكاك يجري بين بلاده وبين القوات الألمانية . واعرب عن رغبته في ان يجنب بلاده اية تعاسة او شقاء.

« ورد الفريق هايمر ، بأنه يأسف شخصياً اشد الأسف لمجيئه الى الملك في مثل هذه البعثة ، ولكنه يقوم بواجبه كجندي. ولقد اتينا هنا كأصدقاء .. وعندما سأله الملك ، اذا كان في وسعه ان يحتفظ بحرسه الخاص ، رد الفريق هايمر ، بأنه لا يشك مطلقاً في ان الفوهرر سيسمح له بالاحتفاظ به . انه واثق كل الثقة من ذلك.

« وأحس الملك ببعض الارتياح من ذلك ، وبدا هذا الارتياح على وجهه . وازداد هذا الارتياح إبان المقابلة ، وراح يقول للفريق الالماني عند انتهائها ... « اسمع يا جنرال ، هل يمكنني كجندي قديم ان اقول لك شيئاً ، وان احدثك كما يحدث الجندي زميله ؟

لقد قمتم ايها الألمان بشيء لا يكاد يصدق ثانية . واری لزاماً علي ان اعترف بأن عملكم كان رائعاً » .

* * *

ولم يثر الملك وشعبه ، وهو الشعب السليم النية والطوية ، الكثير الحضارة والذي يعرف التمتع بعيشه . أية مشاكل للألمان طيلة السنوات الاربع التالية ، الى ان كان مد الألمان الحربي قد تحول الى جزر واتاح المحتلون للملك وحكومته ومحاكمه وحتى برلمانه وصحافته ، في البداية الكثير من الحرية ، مما يثير الدهشة. وظل حتى اليهود الذين يعدون سبعة آلاف في البـــلاد ، يعيشون حياة الأمن والطمأنينة ردحاً من الزمن . ولكن الدانيماركيين ادركوا اخيراً ، وبعد غيرهم من الشعوب المحتلة ان المضي في سياسة « التعاون المخلص » كما اسموها ، مـــع طغاتهم التيوتونيك ، الذين تضاعفت وحشيتهم مع مضي السنين ومع تردي الاوضاع الحربية ، بات مستحيلاً اذا شاءوا الاحتفاظ بشيء مهما ضؤل من احترام النفس والكرامة . وشرعوا يرون ايضاً بأن المانيا قد لا تربح الحرب على أي حال ، وان الحكم على الدانيمارك الصغيرة بأن تعيش كما خشي الكثيرون في البداية عيشة الدولة التابعة في نظام هتلر الجديد ، لم يكن مبرماً . وآنذاك بدأت المقاومة في البلاد .

مقاومة النروجيين

بدأت المقاومة في النروج منذ اللحظـة الأولى ، وان لم تكن تشمل البلاد كلها . ففي نارفيك ، الميناء الواقع في الشمال ، ونهاية الخـــط الحديدي الناقل للحديد من السويد ، استسلم العقيد كونراد سوندلو ، آمر الحامية المحلية والتابع المتعصب لكويزلنغ ، كما رأينا من قبل ، دون ان يطلق عياراً نارياً واحداً .أما القائد البحري في الميناء ، فكان من طراز آخر . فعندما اقتربت عشر مدمرات المانية من مدخل الخليج الطويل ، راحت المدرعة القديمة « آيدز فولد » الراسية

في الميناء ، تطلق قذيفة انذار ، مصحوبة بالاشارة الى المدمرات للكشف عن هويتها . ورد الرير اميرال فريتز بونتي قائـد مجموعة المدمرات الألمانية ، بايفاد ضابط من رجاله في زورق بخاري الى المدرعة النروجية ليطلب اليها التسليم . وهنا لجأ الألمان الى الخديعة ، وقد حاول الضباط البحريون فيما بعد الدفاع عن انفسهم محتجين بأن الغاية تبرر الواسطة ، وان ضرورات الحرب لا تعرف قانوناً. وعندما رد الضابـــط الذي يستقل الزورق ، على امير البحر الألماني ، بأن النروجيين اعلنوا المقاومة ، انتظر بونتي الى ان ابتعد الزورق مـن الطريق ، ونسف المدرعة النروجية بطوربيداته . واطلقت المدرعـــة الثانية « نورج » نيرانها آنذاك ، ولكنها سرعان ما اغرقت ، وقضي على نحو ثلاثمائة بحار نروجي ، كانوا يؤلفون قوة المدرعتين الغريقتين . ولم تحل الساعة الثامنة صباحاً حتى كانت نارفيك قد سقطت في ايدي الألمان بعد ان احتلتها المدمرات العشر التي تسللت بعيدة عن انظار الاسطول البريطاني القوي . وتألفت القوات المحتلة من فوجين من القوات النازية ، تحت قيادة العميد (البريغادير) ادوار دايتل ، خدن هتلر البافاري القديم منذ ايام انقلاب حانة الجعة ، والرجل الذي برهن على شجاعة ونبوغ عسكري ، عندما التحم في معارك ضارية في نارفيك ،بدأت بطلوع اليوم التالي .

واحتل الألمان تروندهايم الواقعة الى الجنوب من نارفيك وفي وسط الساحل النروجي بسهولة فائقة ايضاً . ولم تطلق البطاريات الساحلية النروجية اية طلقة على السفن الحربية الألمانية التي يقودها الطراد الثقيل هيبر ، وهي تدخل الخليج الطويل . ونزل الجنود من ذلك الطراد ومن اربع مدمرات ترافقه الى الساحل بسلام وامان ، ودون أية مقاومة . وصمدت بعض القلاع القريبة بضع ساعات ، كما صمد مطار فيرنيس (Vaernes) المجاور مدة يومين ، ولكن هذه المقاومة لم تؤثر على احتلال هذا الميناء الرائع الصالح لاستعمال اضـــخم السفن الحربية والغواصات والذي يقع في نهاية خط حديدي يعـبر الشمال الاوسط من النروج الى السويد ، ويأمل الألمـان في استخدامه للحصول على المؤن في حالة تمكن

البريطانيين من قطع طريق البحر عنهم .

وصمدت برغين بعض الوقت وهي الميناء الثاني في النروج ، واهم مدنها بعد اوسلو . وتقع على بعد ثلاثمائة ميل الى الجنوب مـــن تروندهايم وترتبط مع اوسلو العاصمة بخـــط حديدي . واصابت البطاريات التي تحرس الميناء الطراد كوينغزبرغ وسفينة المانية اضافية اخرى ببعض الاضرار ،ولكن القوات تمكنت من النزول بأمان من بواخر أخرى واحتلت المدينة قبل حلول الظهيرة . وقد وصل اول عون بريطاني مباشر الى النروجيين المذهولين ، الى برغين هذه . فقد تمكنت خمس عشرة طائرة بحرية بريطانية من طائرات الانقضاض مـن اغراق الطراد كوينغزبرغ في ساعات بعد الظهيرة ، فكانت أول سفينة حربية من هذا الحجم تغرق نتيجة الغارات الجوية . وكان هناك خارج الميناء اسطول بريطاني ضخم يضم اربعة طرادات وسبع مدمرات ؛ وكان في وسعه ان يقضي على القوة الألمانية البحرية الصغيرة . واوشك هذا الاسطول على دخول الميناء عندما تلقى الأوامر من الاميرالية البريطانية بالغـــاء الهجوم خشية تعرضه لخطر الالغام والقذف الجوي ، وهو قرار سرعان ما أسف تشرشل الذي اشترك في اتخاذه ، لصدوره . وكان هذا القرار أول دليل عـلى الحذر والاجراءات الناقصة التي كلفت البريطانيين غالياً في الايام الحرجة التالية .

واستولت قوات المظليين الألمان على مطار سولا القريب من ميناء ستافانغر على الساحل الجنوبي الشرقي . بعد ان تمكنت من اسكات مراكز المدافع الرشاشة النروجية ، اذ لم تكن فيه وقاية حقيقية من الغارات الجوية ، وكان هذا اكبر مطارات النروج ، وله اهمية سوقية ضخمة بالنسبة الى السلاح الجوي الألماني ، إذ كان في مكنة قاذفات القنابل فيه لا أن تهاجم الاسطول البريطاني على طول الساحل النروجي فحسب بل وان تهاجم القواعد البحرية البريطانية الرئيسية في شمال بريطانيا ايضاً . وقد اتاح الاستيلاء عليه للألمان التفوق الجوي المباشر في النروج ، وقضى على اية محاولة قد يقوم بهـــا البريطانيون للهبوط بقوات ضخمة على الساحل .

وقاومت كريستيانساند الواقعة على الساحل الجنوبي ، الألمان مقاومة فعالة، وتمكنت بطارياتها الساحلية من اقصاء اسطول الماني مرتين، كان الطراد الخفيف كارلسرو يتولى قيادته ولكن السلاح الجوي الألماني تمكن من اخفات هذه القلاع بسرعة ، وتمكن الاسطول من احتلال الميناء بعد الظهر . ولكن عندما كان الطراد كارلسرو يغادر الميناء في ذلك المساء ، نسفته غواصـــة بريطانية بطوربيداتها واصابته باضرار جسيمة بحيث اضطر بحارته الى اغراقه .

وهكذا لم تحل الظهيرة ذلك اليوم أو بعدها بقليل حتى كانت المدن النروجية الرئيسية الخمس وموانئها والمطار الكبير الوحيد عـلى طول السواحل الغربية والجنوبية التي تمتد مسافة الف وخمسمائة ميل من سكاجيراك الى المحيط المتجمد الشمالي ، قد غدت كلها في ايدي الألمان . وقد تمكنت حفنة من الجنود نَقَلَها اسطول يقل حجماً وشأناً عن الاسطول البريطاني من الاستيلاء عليها وهكذا تمكنت الجرأة والخديعـــة والمباغتة من ان تضمن لهتلر نصراً ضخماً بثمن ضئيل للغاية .

أما في اوسلو . وهي الصيد الثمين، فقد لاقت قواته العسكرية ودبلوماتيته متاعب غير منتظرة .

ففي ليلة الثامن ـ التاسع من نيسان الباردة كالثلج كانت هناك فئة مرحة من رجال المفوضية الألمانية يقودها الرئيس شرايبر ، الملحق البحري ، وينضم بـــين الفينة والفينة الوزير « المنهمك » بالعمـل ، الدكتور بروير ، تقف على الرصيف في ميناء اوسلو تنتظر وصول الاسطول الالماني والبواخر من ناقلات الجنود . وكان هناك ملحق بحري الماني صغير ، يقفز في الخليج بزورقه البخاري ينتظر ان يمثل دور المرشد للاسطول ، وقد سارت في مقدمته بارجـــة الجيب لوتزاو (وكان اسمها دويتشلاند ، ولكن هتلر بدل اسمها لأنه لم يرغب في ان يجازف بغرق بارجة تحمل هذا الاسم) ، والطراد الثقيل الجديد « بلوخر » ، الذي يرفع راية اميرال الاسطول .

وانتظر هذا الفريق عبثاً . فالسفن الضخمة لم تصل ، اذ قاومتها في مدخل

الخليج الذي يمتد مسافة خمسين ميلاً ، زرّاعة الالغام النروجية « اولاف تريجفرسون » التي تمكنت من اغراق زورق طوربيد الماني واصابة الطراد الخفيف ايمدن ببعض الاضرار . وتمكن الاسطول الألماني بعد ان انزل قوة صغيرة من الجنود لإسكات البطاريات الساحلية ، من مواصلة سيره صاعداً في الخليج وعندما وصل الى نقطة تبعد خمسة عشر ميلاً الى الجنوب من اوسلو ، حيث يضيق الماء الى عرض خمسة عشر ميلاً ، تعرض الاسطول لمشاكل جديدة. ففي هذه النقطة ، تقوم قلعة اوسكار سبورغ القديمة ، التي كان حماتها اكثر وعياً وانتباهاً ، مما تصور الالمان . وراحت مدافع كروب ذات عيار (٢٨) سنتمتراً تطلق نيرانها قبيل الفجر على البارجة لوتزاو والطراد بلوخر ، كما اطلقت الطوربيدات من الشواطىء على الاسطول المهاجم . واشتعلت النيران بالطراد بلوخر ذي حمولة عشرة آلاف طن ، وسرعان ما تمزق شذر مذر ، من جراء تفجر الذخائر فيه ، ومضى الى قعر البحر ، يحمل معه الى الموت والفناء الفاً وستمائة انسان بينهم عدد من رجال الغستابو ، والموظفين الاداريين ، وكل ما لديهم من اوراق ، وكان من المتوقع ان يعتقلوا الملك وحكومته ، وان يتولوا شؤون الادارة في العاصمة . واصيبت لوتزاو ايضاً باضرار ، ولكنها لم تتعطل بصورة نهائية . وتمكن الرير اميرال اوسكار كوميتز ، قائد السرب البحري ، والفريق ايروين اينغلبرت ، الذي قاد فرقة المشاة المائة والثلاث والستين وكانا على ظهر بلوخر ، من السباحة الى الشاطىء ، حيث اسرهما النروجيون . وعاد الاسطول الالماني الذي اصيب بالعجز ادراجه مؤقتاً ، ليمسح الجراح التي اصيب بها . وقد فشل هذا الاسطول في مهمته وهي الاستيلاء على الهدف الالماني الرئيسي ، المتمثل في عاصمة النروج . ولم يتمكن من الوصول الى هذا الهدف إلا في اليوم التالي .

وقد سقطت اوسلو في الحقيقة في يدي قوة المانية رمزية هبطت من الجو في المطار المحلي الذي لم يدافع عنه . وأدت الأنباء المفجعة التي وصلت من الموانىء الاخرى ، والهدير الداوي من المدافع على بعد خمسة عشر ميلاً ، من العاصمة الى

الجنوب في خليج اوسلو ، الى قيام الأسرة المالكة النروجية والحكومة واعضاء البرلمان ، بركوب قطار خاص حملهم جميعاً من العاصمة في الساعة التاسعة والنصف صباحاً ، الى هامار على بعد ثمانين ميلاً الى الشمال وغادرت العاصمة ايضاً في نفس الوقت خمس عشرة سيارة شاحنة ملأى بذهب بنك النروج، وثلاث اخرى تحمل الاوراق السرية لوزارة الخارجية . وهكذا احبطت المقاومة الباسلة التي ابدتها حامية اوسكار سبورغ خطط هتلر ، في اعتقال ملك النروج واعضاء حكومته ، وذهبها .

ولكن اوسلو ظلت في حالة من الارتباك والذهول الكاملين . وكان ثمة بعض الجنود النروجيين فيها ، ولكنهم لم يكونوا قد وضعوا في حالة استعداد للدفاع. يضاف الى هذا ، ان أي اجراء لم يتخذ لاغلاق مطار فورنيبو القريب ، مع ان هذا كان امراً سهلاً للغاية ، ولا يحتاج تنفيذه الى اكثر من بضع سيارات قديمة توضع في مدرج المطار وحوله . وكان الرئيس سبيلر الملحق الجوي الالماني في اوسلو قد اقام في المطار في الليلة السابقة للترحيب بالجنود الألمان الذين كان من المقرر هبوطهم من الجو بعد ان يكون الاسطول قد وصل الى المدينة . وعندما فشلت السفن الحربية في الوصول في الوقت المعين، بعثت المفوضية برسالة لاسلكية محمومة الى برلين تبلغها فيها بالتطور المزعج وغير المتوقع. وكان رد برلين فورياً. وسرعان ما أخذت قوات المظليين والجنود الذين تحملهم الطائرات تهبط في مطار فورنيبو . واحتشدت في المطار عند الظهيرة نحو من خمس سرايا وكان في مكنة القوات النروجية الموجودة في العاصمة ان تقضي عليها بسهولة ، وبالنظر الى الاسلحة الخفيفة التي كان يحملها افرادها . ولكن لأسباب ما زلنا نجهلها ، اذ ان الفوضى كانت قد ضربت اطنابها في اوسلو ، لم تجمّع هذه القوات ، ولم توزع في الوقت نفسه توزيعاً صحيحاً ، وزحفت القوة الألمانية الرمزية الى العاصمة ، وراء فرقة موسيقية تعزف ألحانها العسكرية. وهكذا سقطت آخر مدينة في النروج، ولكن النروج نفسها ظلت صامدة .

وعقد البرلمان النروجي جلسة في هامار بعد ظهر التاسع من نيسان، شهدها

جميع اعضائه المائتين باستثناء خمسة فقط ، ولكن الجلسة ما لبثت ان أجلت في الساعة السابعة والنصف مساء ، عندما وردت الانباء عن اقتراب القوات الالمانية من البلدة ، وارتحل اعضاء البرلمان الى ايلفيروم التي تقع على بعد بضعة اميال نحو الشرق باتجاه الحدود السويدية . وكان الدكتور بروير ، بالحاف من ريبنتروب ، يطلب مقابلة فورية مع الملك . ووافق رئيس الوزراء على هذه المقابلة شريطة ان تنسحب القوات الألمانية الى مسافة بعيدة باتجاه الجنوب . ولكن الوزير الألماني المفوض لم يوافق على هذا الطلب .

وكان الألمان يعدون في هذه الآونة خدعة جديدة. فقد غادر الرئيس سبيلر، الملحق الألماني الجوي ، مطار فورنيبو يرافقه فصيلان من المظليين الألمان باتجاه هامار لاعتقال الملك المتردد واعضاء حكومته . وخيـل اليهم ان تراجع الملك وحكومته لا يعدو ان يكون لهواً ولعباً . ولما كانت القوات النروجية لم تطلق عياراً واحداً لتحول دون دخول الألمان الى اوسلو، فقد توقع سبيلر ان لا يجد أية مقاومة في هامار . واستقل العقيدان الألمانيان سيارتي «باص» ومضيا في طريقهما يتطلعان الى المناظر الرائعة التي تحيط بها . ولم يحسبا حساب ضابط في الجيش النروجي سلك سلوكاً مغايراً للآخرين ، وهو العقيد روج المفتش العام للمشاة ، الذي كان قد رافق الملك في اتجاهه شمالاً ، وأصر على تأمين نوع من الحمـــاية للحكومة الهاربة ، ولذا أقام حاجزاً على الطريق على مقربة من هامار يعززه فوجان من المشاة كان هذا الضابط الباسل قد جمعهما بسرعة . وأوقف النروجيون السيارتين الألمانيتين ، وتبعت ذلك مناوشة اصيب فيها سبيلر بجراح قاتلة. ومني الألمان باصابات اخرى واضطروا الى العودة الى اوسلو .

وراح الدكتور بروير يغادر اوسلو وحيداً في اليوم التالي باتجاه هامار لمقابلة الملك . وبالطبع لم يكن هذا الدبلوماتي الممتهن من رجال المدرسة القديمة ميالاً الى اداء هذه المهمة الشاقة ، ولكن ريبنتروب ظل يحثه باصرار على التحدث الى الملك وحكومته ليطلب اليهما الاستسلام. وأدى وقوع بعض الاحداث السياسية في اوسلو الى الزيادة في تعقيد مهمة الالماني . ففي الليلة السابقة ، تحرك كويزلنغ

اخيراً ، بعد ان أحس بثبات مركز الالمان في اوسلو ، واقتحم دار الاذاعـة ، حيث ألقى بياناً على الشعب النروجي ، اعلن فيه نفسه رئيساً للحكومة الجديدة وطلب الى جميع النروجيين وقف كل مقاومة للألمان فوراً . وعلى الرغم من عدم تفهم بروير لهذه الحقيقة ، وعلى الرغم من عدم تفهم الالمان لها ، حتى بعد عهد طويل ، فان هذا العمل الخياني ، قضى بالفشل على كل محاولات الالمان لاقناع النروج بالاستسلام . وفي وسعنا القول على سبيـل المناقضة ، ان خيانة كويزلنغ على الرغم من تمثيلها لحظة من لحظات العار القومي بالنسبة الى الشعب النروجي ، إلا انها حشدت جميع النروجيين الذين أذهلتهم المفاجأة وراء حركة المقاومة التي غدت قوية وبطولية .

واجتمع الدكتور بروير ، الى الملك هاكون السابع ، وهو الملك الوحيد في القرن العشرين الذي انتخبه الشعب لارتقاء العرش ، كما كان الملك الاول في النروج ، من أصل نروجي ، منذ خمسة قرون ، وقد دارت المقابلة في بلدة صغيرة تدعى ايلفيروم في الساعة الثالثة من بعد ظهر العاشر من نيسان .[1] وفي وسعنـا ان نقدم وصفاً لما دار في هذا الاجتماع على ضوء الحديث الذي دار بين المؤلف فيما بعد وبين الملك هاكون ، وعلى ضوء دراسة الوثائق النروجية ، والتقرير السري الذي وضعه الدكتور بروير والذي عثرت عليه بين الوثائق الالمانية المصادرة . ولقـد رضي الملك بعد تردد طويـل ، بالاجتماع الى المبعوث الالماني بحضور الدكتور هالفدان كوهت وزير الخارجية . وعندمـا أصر بروير على مقابلة انفرادية مع الملك ، رضي هذا اخيراً ، بعد موافقة وزير خارجيته .

وحاول الوزير الالماني المفوض ، تنفيذاً للتعليمات التي تلقاها من حكومته ،

---

١ — ظلت النروج جزءاً من الدانيارك مدة اربعة قرون ، ثم اصبحت جزءاً من السويد مدة قرن آخر ، ولم تستعد استقلالها الكامل إلا في عام ١٩٠٥ ، عندما انفصلت عن اتحادها مع السويد ، وانتخب شعبها الأمير كارل الدانياركي ملكاً للنروج ، حاملاً اسم الملك هاكون السابع . وكان هاكون السادس قد توفي في عام ١٣٨٠ . وكان الملك هاكون السابع شقيقاً للملك كريستيان العاشر الدانياركي ، الذي استسلم الى الالمان صباح التاسع من نيسان عام ١٩٤٠ .

التملق الى الملك من ناحيــة ، وارهابه من الناحية الاخرى . فألمانيا تريد - كما قال - الحفاظ على الأسرة المالكة . وكل ما تريد من هاكون ان يعمله ، هو ان يحذو حذو اخيه ملك الدانيمارك . واضاف ان من الجنون والحمق، مقاومة الجيش الالماني « الفير ماخت » ، اذ ان النتيجة الوحيدة لهذه المقاومة، مذابح لا طائل تحتها ، ولا فائدة منها . وطلب المبعوث من الملك ان يقر قيام حكومة كويزلنغ وان يعود الى عاصمته. وراح هاكون وهو الرجل الديموقراطي بطبعه، والمتمسك أشد التمسك حتى في هذه اللحظات المفجعة في تاريخ بلاده بالاجراءات الدستورية، يحـاول ان يوضح للدبلوماتي الألمـــاني ، ان الملك في النروج ، لا يقرر المسائل السياسية ، وان مثل هذا التقرير من صلاحية الحكومة ليس إلا، ولذا فهو يرى ضرورة مشاورتها . وانضم وزير الخارجية في هذه اللحظة الى الملك في محادثاته، واتفق على ان ينقل رد الحكومة هاتفيـــاً الى بروير ، وهو في طريق العودة الى اوسلو .

ولم يكن ثمة إلا رد واحد عند هاكون للألمان ، رغم عدم اتخاذه القرارات السياسية ، وذلك نتيجة قدرته على التأثير عليها . وكان هذا الرد هو التراجع الى نزل متواضع من قرية نيبرغساند القريبة من ايلفيروم ، مخافة ان يحـــاول الألمان اعتقاله بهجوم مباغت آخر بعد عودة الوزير الالماني . واستدعى الى هذا النزل جميع اعضاء حكومته ليؤلفوا مجلساً أعلى للدولة ، وراح يقول لهم :

« لا استطيع من ناحيتي ان اقبل بالمطالب الالمانية ، اذ ان هذا القبول يتعارض مع كل ما اعتبرته واجباً كملك للنروج ، منذ ان جئت الى هذه البلاد قبل نحو من خمسة وثلاثين عاماً . وانا لا أود ان اؤثر ببيـاني هذا على القرار الذي تتخذه الحكومة ... فليس في وسعي ان أعين كويزلنغ رئيساً للوزراء ، وهو الرجـــل الذي اعرف تمـام المعرفة ان شعبنـا وممثليه في البرلمـان لا يثقون به مطلقاً .

« ولهذا فاذا اختارت الحكومة قبول المطالب الالمانيـة ، وانا

أدرك الاسباب التي قد تحملهـا على هذا القبول ، بالنظر الى خطر الحرب التي يتحتم على الكثيرين من النروجيين الشبان التضحيـة بأرواحهم فيها ، فان السبيل الوحيد الذي يظل ماثلاً امامي ، هو النزول عن العرش »[1] .

وعلى الرغم من وجود بعض المترددين والمتشككين من الاعضاء ، حتى هذه اللحظة ، إلا ان الحكومة وجدت نفسها عاجزة عن ان تكون أقل شجاعة من الملك وسرعان ما التفت حوله وأيدت موقفه. وتلقى الوزير الالماني عندما وصل الى ايدزفولد الواقعة في منتصف الطريق الى اوسلو ، رد الحكومة النروجية ، وقد نقله اليه الدكتور كوهت وزير الخارجية عن طريق الهاتف وراح بروير يهتف به فوراً الى مفوضيته في اوسلو، التي تولت بدورها نقله الى برلين على جناح السرعة .. وهذا هو الرد :

« قرر الملك تلبية للمشورة الجماعية من حكومته، ان لا يعين حكومة يرئسها كويزلنغ .. أما بالنسبة الى السؤال المحدد الموجّه الي ، فان المقاومة ستستمر اطول وقت ممكن »[2] .

والقت الحكومة النروجية في ذلك المساء من محطة اذاعة ريفية صغيرة وقريبة ، هي كل ما تبقى من سبيل للاتصال مع العالم الخارجي ، بقفاز التحدي في وجه الرايخ الثالث القوي . وقد اعلنت قرارها بعدم قبول المطالب الألمانية ، وناشدت شعبها الذي يعد ثلاثة ملايين ليس إلا ، مقاومة الغزاة . وقد اشترك الملك ايضاً في اصدار هذا النداء .

ولكن الفاتحين النازيين لم يستطيعوا حمل انفسهم على الاعتقاد بصحة مـا يقوله النروجيون . وجرت محاولتان اخريان لإقناع الملك . فقد اوفد كويزلنغ في الحادي عشر من نيسان رسولاً هو الرئيس ايرغينس ، ليستحث الملك عـلى

---

١ – من وثائق الدولة النروجية . مقتبس من كتاب المؤلف (تحـدي اسكنديناڤيا) ص ٣٨ .

(٢) وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ١٢٤ .

العودة الى العاصمة. وقد وعده بأن يقوم كويزلنغ بخدمته بولاء واخلاص. ولكن الملك رفض عرضه باحتقار صامت.

ووصلت بعد الظهر رسالة عاجلة من بروير يطلب فيها مقابلة اخرى مع الملك لتقديم « اقتراحات معينة اخرى ». وكان الوزير الألماني الواقع تحت الضغط والالحاف قد تلقى تعليمات من ريبنتروب، بأن ينقل الى الملك « رغبته في ان يتيح للشعب النروجي، الفرصة الاخيرة، لعقد اتفاق معقول »[1]. وتلقى الوزير الألماني هذه المرة بعد التشاور مع الملك، رد وزير الخارجية، بأن في وسعه ان ينقل هذه « الاقتراحات المعنية » الى الوزير اذا اراد.

وكان رد الالمان على هذه الصدمة من دولة صغيرة، لا حول لها لا طول كالنروج فورياً ومتفقاً مع طبيعة النازيين. فلقد فشلوا اولاً في وضع ايديهم على الملك وعلى اعضاء حكومته، وهاهم يفشلون في حملهم الآن على الاستسلام. ولم يبق امامهم إلا ان يقتلوهم. واوفدوا بعد ظهر الحادي عشر من نيسان طائرات سلاحهم الجوي، لتعطي لقرية « نيبرغساند »، الدرس الذي تستحقه. وقام الطيارون النازيون بتدمير القرية كلها بالقنابل المتفجرة والمحرقة، كما أصلت بنيران مدافعها الرشاشة أولئك الذين حاولوا النجاة من الخرائب المحرقة. ويبدوا ان الالمان اعتقدوا بادىء ذي بدء انهم قد افلحوا في ذبح الملك واعضاء حكومته. فقد تضمنت يومية طيار الماني عثر عليها فيما بعد في شمال النروج الفقرة التالية بتاريخ الحادي عشر من نيسان: « حكومة اوسلو. تم مسحها

---

(١) هناك اشارة مشؤومة عن خديعة المانية اخرى في تعليمات ريبنتروب السرية. فقد امر بروير بأن يرتب المقابلة في نقطة تقع بين «اوسلو وبين المكان الحالي الذي يقيم فيه الملك. وقد طلب منه ايضاً لأسباب واضحة، ان يبحث هذه الحركة بحثاً مستفيضاً مع الفريق فون فالكنهورست، وان يبلغ الاخير عن المكان الذي اتفق على عقد الاجتماع فيه ». وذكر غاوس الذي هتف لبروير بتعليمات ريبنتروب في تقريره ان « الهر بروير قد فهم بوضوح معنى هذه التعليمات. وفي وسع المرء ان يتصور بأن الملك لو ذهب الى هذه المقابلة، لوضعت قوات فالكنهورست يدها عليه (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٧) ص ١٢٩).

من الوجود » .

اجل لقد مسحت القرية من الوجود ولكن الحكومـة والملك ظلا في حيّز الوجود . وقد احتمى الملك واعضاء حكومته عند مجيء القاذفات النازية في غابة مجاورة . ووقفوا جميعاً في الثلج حتى ركبهم وشاهدوا الطائرات الالمانية وهي تحيل القرية الصغيرة الى انقاض . وتحتم عليهم ان يختاروا بين احد امرين، إما الانتقال الى الحدود السويدية القريبة، والعثور على الملجأ في السويدالمحايدة، أو الاندفاع شمالاً في جبالهم ، التي ما زالت تغطيها ثلوج الربيع . وقررا اخيراً الصعود مع وادي غودبراندز ، الذي يمر بهامار وليليهامار وعـبر الجبال الى اندالسنس على الساحل الشمالي الغربي على بعد مائة ميل الى الجنوب الغربي من تروندهايم . وتصورت الحكومة ان في وسعها في الطريق تنظيم مـا تبقى من قوات متفرقة ، ما زالت تعلوها الدهشة ، لابداء مقاومة اخرى . وكان ثمة بعض الأمل في ان تصل قوات بريطانية في النهاية لتقديم العون لهم .

معارك النروج

وكان الاسطول البريطاني قد رد رداً قوياً على الاحتلال الالماني المفاجىء في اقصى الشمال . وقد اعترف تشرشل ، الذي كان مسؤولاً عن الاسطول في هذا الحين ، بأن الالمان تفوقوا عليه في المكر والدهاء . اذ لما كانت المنطقة في أقصى الشمال ، بعيدة على الأقل عن مرمى القاذفات الالمانية التي تستند الى القواعد الارضية ، فقد تحول الاسطول البريطاني فيها الى الهجوم . ففي صباح العاشر من نيسان ، أي بعد اربع وعشرين ساعة من استيلاء المدمرات الالمانيـة على نارفيك وانزالها قوات دايتل فيها، دخلت قوة مؤلفة من خمس مدمرات بريطانية الى ميناء نارفيك واغرقت مدمرتين من المدمرات الالمانية الخمس ، الموجودة في الميناء ، وعطلت الثلاث الباقية واغرقت جميع بواخر الشحن الالمانيـة باستثناء واحدة منها . وقد قتل القائد البحري الالماني الرير اميرال بونتي في هذهالعملية

ولكن ما كادت المدمرات البريطانية تخرج من الميناء حتى اصطدمت بالمدمرات الألمانية الخمس الباقية ، وقد طلعت لها من الخلجان المجاورة . وتمكنت الوحدات الألمانية بمدافعها المتفوقة من اغراق مدمرة بريطانية واحدة ، وارغام اخرى على الجنوح الى الشاطىء ، واصابة ثالثة بأضرار بالغة . وقد اصيب القائد البريطاني القبطان واربورتون ـ بي وكان على ظهر المدمرة الثانية بجراح قاتلة وتمكنت ثلاث من المدمرات البريطانية من النجاة الى البحر ، حيث اغرقت عند انسحابها سفينة نقل المانية ضخمة ، ملأى بالذخائر ، كانت في طريقها الى الميناء .

وعاد الاسطول البريطاني ظهر الثالث عشر من نيسان ، تتقدمه هذه المرة البارجة « وورسبايت » ، وهي من البوارج التي نجت من معركة جتلاند البحرية في الحرب الكونية الأولى ، ومعها عمارة من المدمرات ، الى نارفيك فأزالت من الوجود ما تبقى من السفن الحربية الألمانية في الميناء . وراح نائب الاميرال و . جي . ويتوورث قائد الاسطول المهاجم يبعث ببرقية لاسلكية الى الاميرالية يتحدث فيها عما قام به من اعمال ، ويحثها فيها على وجوب قيام القوات البريطانية الاساسية باحتلال نارفيك ، بعد ان اصيبت القوات الألمانية الموجودة على الساحل بالذهول وتفرقت ايدي سبا ، بينما كان دايتل قد انسحب في الحقيقة مع رجاله الألمان الى الجبال المحيطة بالميناء . وكان امير اللواء . بي . جى ماكيسي ، القائد البريطاني ، لسوء حظ الحلفاء من النوع الشديد الحذر والحيطة ، فلما وصل في اليوم التالي بقوة طليعية تتألف من ثلاثة افواج مشاة ، قرر ان لا يغامر بالنزول في نارفيك ، وان يهبط بقواته في هارستاد ، التي تبعد خمسة وثلاثين ميلاً الى الشمال ، والتي كانت لا تزال في ايدي النروجيين . وكانت غلطة كلفت الحلفاء غالياً .

واذا ما عرفنا الحقيقة الواقعة وهي ان البريطانيين كانوا قد اعدوا حملة صغيرة للنروج من قبل ، تبين لنا انهم كانوا جد مبطئين في ايفاد قواتهم الى الميدان . فبعد ظهر الثامن من نيسان ، وكانت الانباء قد وصلت عن تحرك وحدات الاسطول الألماني باتجاه الساحل النروجي ، راح الاسطول البريطاني ينزل بسرعة

القوات التي كانت قد استقلت بواخره ووحداته استعداداً لاحتــلال ستافانغر وبرغين وتروندهايم ونارفيك ، على أساس الاعتقاد بأنه سيحتاج الى كل باخرة من بواخره للعمليات البحرية . وعندما عادت الاميرالية الى ارجاع هذه القوات الى البواخر ، كانت جميع هذه المدن النروجية قد باتت في ايدي الألمان . وعندما وصلت هذه القوات الى اواسط النروج كان مصيرها قد تقرر ، كما تقرر مصير السفن الحربية البريطانية التي عهد اليها بحماية القوات البرية بفضل سيطرة السلاح الجوي الألماني على سماء المعركة .

وهبط الى البر في العشرين من نيسان لواء بريطاني تعززه ثلاثة افواج مـن الرماة الألبيين الفرنسيين ، وذلك في موقع نامسوس الميناء الصغير الذي يقع على بعد ثمانين ميلاً الى الشمال الشرقي من تروندهايم ، كما هبط لواء بريطاني ثانٍ في ندالسنس التي تقع على بعد مائة ميل الى الجنوب الغربي من تروندهايم ، وكانت الخطة ترمي الى مهاجمة المدينة من الشمال والجنوب . لكن هاتين القوتين نظراً لافتقارهما الى مدفعية الميدان ، والمدافع المضادة للطائرات ، والدعم الجوي ، لم تستطيعا تهديد تروندهايم تهديداً جدياً ، وذلك لتعرض قواعدهما الى القصف الجوي المتواصل ليلاً ونهاراً من القاذفات الألمانية التي حالت كذلك دون انزال أية مؤن جديدة أو تعزيزات للقوات الهابطة . وحوّل اللواء البريطاني الذي هبط في اندالسنس اتجاهه بعد ان التقى بقوة نروجية في دومباس ، مركز التقــاء الخطوط الحديدية الواقع على بعد ستين ميلاً الى الشرق ، فتخلى عن فكرة الهجوم شمالاً نحو تروندهايم ، وراح يدفع الى الجنوب الشرقي مـــع وادي غود براند سدال ، هادفاً الى مساعدة القوات النروجية الرئيسية ، التي كانت تعمل تحت قيادة العقيد روج النشيطة في ابطاء الزحف الألماني الرئيسي المتقدم مع الوادي من مدينة اوسلو .

ووقع أول اشتباك في الحرب بين القوات البريطانية والألمانيـــة في بـــلدة ليليهامار الواقعة الى الشمال من هامار . في الواحد والعشرين من نيسان ، لكن كفة القوى لم تكن متوازنة ابداً . فلقــد غرقت الباخرة التي كانت تنقل للواء

البريطاني مدفعيته ، وتحتم على الجنود البريطانيين والحالة هذه ان يحاربوا بالبنادق والمدافع الرشاشة قوات المانية تفوقهم عدداً ، وتعززها المدفعية والدبابات الخفيفة . يضاف الى هذا ان قوات المشاة البريطانيين ، وهي تفتقر الى العون الجوي ، تعرضت باستمرار الى قصف عنيف من طائرات السلاح الجوي الالماني العاملة من مطارات النروج القريبة . وسقطت ليليهامار في يد الألمان بعد معركة دامت اربعاً وعشرين ساعة ، وشرعت القوات البريطانية والنروجية في عملية تراجع مسافة مائة واربعين ميلاً مع الوادي وبمحاذاة السكة الحديدية الى اندالسنس ، متوقفة هنا وهناك لخوض معركة تعويقية ، اخرت الزحف الألماني ولكنها لم توقفه مطلقاً . وتم اجلاء القوات البريطانية من اندالسنس في الثلاثين من نيسان والأول من ايار ، وسحبت الوحدات البريطانية والفرنسية من نامسوس في الثاني من ايار ، وهي عمليات جلاء رائعة في حد ذاتها اذ ان المينائين كانا قد باتا شعلة من النيران من جراء القصف الجوي الالماني . وقام الطراد البريطاني « غلاسجو » في التاسع والعشرين من نيسان بنقل ملك النروج واعضاء حكومته من « مولديه » الواقعة على خليج « رومسدال » على مقربة من اندالسنس التي غدت في حد ذاتها حطاماً من الرماد من غارات الطائرات الالمانية ونقلتهم الى ترومسو الواقعة في الدائرة القطبية الى الشمال من نارفيك ، حيث اقيمت الحكومة النروجية المؤقتة في الأول من ايار .

وكان القسم الجنوبي من النروج في هذه الفترة بكل ما فيه من مدن وبلدان مهمة ، قد وقع تحت سيطرة الألمان ولكن بدا ان القسم الشمالي من البلاد سيظل حراً من سيطرتهم . وقد تمكنت قوة للحلفاء قوامها خمسة وعشرون الف رجل بينهم لواءان من النروجيين ولواء من البولنديين وفوجان من الفرقة الاجنبية الفرنسية ، باخراج الالمان من نارفيك نتيجة تفوق الحلفاء العددي الهائل ولم يبد ثمة أي سبب يدعو الى الشك في ان هتلر سيحرم من حاجاته الى الحديد ، وسيمنع من احتلال جميع اجزاء النروج ، وارغام الحكومة النروجية على الاستسلام . ولكن كانت القوات الالمانية المسلحة في هذه الآونة قد وجهت

ضربتها بقوات مذهلة في الجبهة الغربية ، وكان الحلفاء في حاجة الى كل جندي من جنودهم لسد الثغرة . واضطروا الى الجلاء عن نارفيك . وأعيد الجنود الى البواخر بسرعة، وعاد الفريق دايتل الالماني الذي كان قد صمد بقواته في المنطقة الجبلية الوعرة القريبة من الحدود السويدية ، الى احتلال الميناء في الثامن من حزيران ، فاستسلم اليه بعد اربعة ايام القائد النروجي الباسل والشجاع العقيد روج ومن تبقى معه من قوات غلب عليها الغضب والدهشة من جراء ما أحسوا به من تخلي البريطانيين عنهم ونقل الملك هاكون وحكومته على ظهر الطراد البريطاني « ديفونشاير » من ترومسو في السابع من حزيران ليقلهم الى لندن ليقضوا فيها خمس سنوات من النفي المؤلم .[1] ورفعت برلين دايتل الى رتبة

---

١ – لم يدم حكم كويزلنغ في محاولته الاولى للسيطرة على النروج طويلاً . فبعد ستة ايام من اعلان نفسه رئيساً للوزراء ، قام الألمان بطرده في الخامس عشر من نيسان وعينوا مجلساً ادارياً مؤلفاً من ستة اشخاص من كبار النروجيين ، وبينهم المطران ايفيند بيرغراف ، رئيس الكنيسة اللوثرية في النروج وبآل بيرغ رئيس المحكمة العليا . وكان هذا التطور نتيجة جهود بيرغ المشرع البارز والعنيد الذي بات فيا بعد رئيس حركة المقاومة السرية النروجية . واختار هتلر في الرابع والعشرين من نيسان جوزيف تيربوفن ، احد الشبان النازيين البارزين ليصبح مفوض الرايخ في النروج ، فبات بالفعل حاكم البلاد الحقيقي ، الذي تزايدت شراسته ووحشيته يوماً بعد آخر خلال فترة الاحتلال . واستدعت برلين في السابع عشر من نيسان وزيرها المفوض بروير، الذي عارض كويزلنغ منذ البداية ، وأحالته الى الاستيداع من السلك الدبلوماتي ، ثم بعثت به فيا بعد كجندي الى الجبهة الغربية . وعاد الالمان فنصبوا كويزلنغ رئيساً للوزراء في عام ١٩٤٢ ، وعلى الرغم من ان الشعب النروجي ظل على كراهيته الشديدة له ، إلا ان سادته الالمان لم يمنحوه السلطة مطلقاً على الرغم من مساعيه الكبيرة لارضائهم وخدمتهم .

وقد حوكم كويزلنغ في نهاية الحرب بتهمة الخيانة العظمى ، وأدين بعد محاكمة طويلة ومجهدة ، وقضي عليه بالاعدام الذي نفذ فيه في الرابع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٤٥ . وآثر تيربوفين الموت على ان يقع اسيراً في أيدي الحلفاء . وحوكم نوت هامسون الكاتب القصصي النروجي العظيم بتهمة الخيانة العظمى لتعاونه الصريح مع الالمان والاشادة بهم وكيل المديح لهم ، ولكن القضاء برأ ساحته نظراً لشيخوخته وما اصابه من خرف . ولكنه حوكم بتهمة (استغلال العهد النازي) وأدين وقضت عليه المحكمة بدفع غرامة قدرها (٦٥) الف دولار . وقد توفي في التاسع عشر من شباط عام ١٩٥٢ وهو في الثالثة والتسعين من عمره . وحوكم الفريق فون فاكنهورست كمجرم حرب

الفريق الكاملة ، ومنحته ارفع الأوسمة ، ونعته هتلر بلقب « بطل نارفيك » .

★ ★ ★

ولقد واجه الفوهرر على الرغم من انتصاراته المدهشة لحظات عصيبة إبان الحملة النروجية . وتحتشد يوميات يودل ، بفقرات رائعة في صياغتها تتحدث عن السلسلة المتعاقبة من الازمات العصبية التي مرّ بها سيد الحرب . فقد دوّن في الرابع عشر من نيسان يقول ان الفوهرر اصيب « بنوبة عصبية فظيعة » لدى تلقيه الانباء بازالة القوات البحرية الألمانية في نارفيك من الوجود . وطلب ان تُجلى قوات الفريق دايتل من منطقة نارفيك بطريق الجو ، وهو أمر مستحيل . ودوّن يودل في يوميته لذلك اليوم ايضاً « ان كل مجموعة من الانباء السيئة تؤدي الى اسوأ المخاوف في نفس الفوهرر » . وعاد بعد يومين يقول : « تجددت الازمة . فشلت الاجراءات السياسية . استدعي الوزير بروير . ويقول الفوهرر ان القوة يجب ان تستخدم ... »[1] واحتد النقاش في الاجتماعات التي عقدت في دار المستشارية في برلين في ذلك اليوم التاسع عشر من نيسان ، وأخذ رؤساء الفروع الثلاثة للقوات المسلحة يتبادلون التهم في موضوع الابطاء في العمليات العسكرية الى الحد الذي اضطر معه كايتل الجبان الى الخروج من الغرفة . واضاف في يوميته بتاريخ الثاني والعشرين من نيسان يقول : « يشعر الفوهرر بقلق متزايد من النزول البريطاني في النروج » .

وادى البطء في تقدم القوات الألمانية المتجهة من اوسلو الى الشمال نحو

امام محكمة عسكرية بريطانية - نروجية مختلطة ، بتهمة تسليم بعض فدائيي الحلفاء الذين وقعوا في أسره الى الحرس النازي لاعدامهم . وقد حكم عليه بالاعدام في الثاني من آب عام ١٩٤٦ ولكن الحكم ما لبث ان خفف الى السجن مدى الحياة .

١ - قام الفريق فون فاكنهورست في الثالث عشر من نيسان ، تلبية لأمر من هتلر حتماً ، الذي كان في أوج غضبه بسبب المقاومة النروجية بتوقيع أمر يقضي باعتقال عشرين من كبار رجال النروج البارزين كرهائن ، بينهم المطران بيرغراف وبآل بيرغ . وكان من المحتم ، على حد تعبير الوزير الالماني المفوض بروير (اعدام هؤلاء في حالة استمرار المقاومة او محاولة القيام بأي عمل من اعمال التدمير) . (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ١٨٦) .

تروندهايم واندالسنس ، الى ازدياد موجة «الحماس والهياج» في الثالث والعشرين من نيسان ، على حد تعبير يودل ، ولكن عادت الانباء فتحسنت في اليوم التالي، ثم تابعت اشراقها اعتباراً من ذلك اليوم . وكان سيد الحرب قد بات في السادس والعشرين من نيسان في وضع مرح رائع ، حتى انه في الساعة الثالثة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وبعد جلسة استمرت طيلة الليل مع مستشاريه العسكريين ، راح يعلن لهم انه يعتزم البدء بالعملية « الصفراء » بين الأول من من ايار والسابع منه . وكان هذا الاسم الرمزي قد اطلق على الهجوم الكبير في الغرب عبر هولندة وبلجيكا . وعلى الرغم من ان القلق على تروندهايم قد عاود هتلر في التاسع والعشرين من نيسان إلا انه ما لبث في اليوم التالي ان « غمره الفرح » بعد ان وصلته الانباء بأن جماعة مقاتلة من أوسلو قد وصلت الى المدينة . وبات في وسعه الآن ان يركز جميع اهتمامه في الجبهة الغربية . واصدر في الأول من ايار امره بأن تكون الاستعدادات كاملة قبل الخامس من ايار للهجوم في الغرب .

وقد ذاق قادة القوات الألمانية المسلحة من امثال غورنغ وبراوخيتش وهولدر وكايتل ويودل وريدر والبقية، لأول مرة وإبان الحملة النروجية ما يصيب زعيمهم المجنون من انهيار ، لدى وقوع اية نكسات مهما كانت ضئيلة في المعركة. وكان هذا ضعفاً في الزعيم ما لبث ان نما معه ، عندما تحول تيار الحرب بعد سلسلة من الانتصارات العسكرية المذهلة ، وكان عاملاً مهماً اسهم اسهاماً قوياً في التصدع النهائي الذي اصاب الرايخ الثالث

ولكن مهما كان الشكل الذي يرى فيه المرء هذه الصورة ، فان السرعة التي تم فيها احتلال الدانيمارك والنروج كان نصراً مهماً لهتلر ، وهزيمة مثبطة للعزائم بالنسبة الى البريطانيين . فقد أمن هذا النصر لهتلر طريق الحديد في الشتاء ، وضمن حماية اضافية لمداخل بحر البلطيق ، وسمح للاسطول الألماني الجريء ، باختراق الحصار الى شمال الاطلسي ، وسمح للألمان بموانىء ممتازة تستخدمها الغواصات والسفن الحربية الاخرى في حربها البحرية ضد بريطانيا . وزود هذا

النصر هتلر بقواعد جوية تقربه مئات الاميال من العدو بالنسبة الى قواعده الاصلية . ولعل اهم نتيجة لهذا النصر أنه ضاعف من سمعة الرايخ الثالث العسكرية . واضعف بالتالي سمعة الحلفاء الغربيين . وبدت المانيا النازية في عيون الناس وكأنها الدولة التي لا تقهر . فقد اذعنت النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندة ، والدانيمارك والنروج بسهولة لسيطرة هتلر، أو لتهديده باستعمال قوته ، وبدت مساعدة الدولتين الغربيتين الكبيرتين ، كما وقع في النروج مثلاً ، وكأنها ليست كبيرة النفع أو ذات جدوى. وبدا ان موجة المستقبل ، كما كتبت سيدة امريكية بارزة ، ملك لهتلر والنازية .

وكان فتح هتلر الاخير بالنسبة الى ما تبقى من الدول المحايدة عبرة مرعبة . وبدا من الواضح ان الحياد لا يؤمن الحماية للدول الديموقراطية الصغيرة التي تحاول البقاء في عالم تسيطر عليه الانظمة الجماعية . وقد اكتشفت فنلندة هذه الحقيقة ، وجاء الآن دور النروج والدانيمارك . وكان على هذه الدول ان تلوم نفسها لأنها كانت عمياء البصيرة ، ولأنها رفضت ان تقبل في الوقت المناسب وقبل ان يقع العدوان الفعلي العون من الدول الكبيرة الصديقة .

ولقد سمعنا تشرشل يقول في مجلس العموم في الحادي عشر من نيسان :

« واني لواثق من ان الدول الاخرى ستفكر تفكيراً عميقاً في هذه الحقيقة ، اذ انها قد تتعرض غداً أو بعد اسبوع أو بعد شهر ، الى ان تغدو فريسة لخطة مدروسة درساً كاملاً وضعتها هيئة اركان حرب متقنة ، لتدميرها واستعبادها »[1] .

ومن الواضح ان تشرشل كان يفكر في كل من هولندة وبلجيكا عندما قال قوله هذا ، على الرغم من ان المانيا شاءت ان تفسح لهاتين الدولتين نعمة الراحة لمدة شهر آخر ، ولكنهما لم تكونا مطلقاً تفكران هذا التفكير .[2]

---

١ – تشرشل – مذكرات – الجزء الأول – ص ٦٠١ .

٢ – وجد السويديون أنفسهم بين روسيا في فنلندة ودول البلطيق، وبين المانيا التي تسيطر على جارتيهم النروج والدانيمارك، ففكروا طويلاً وقرروا ان لا مناص لهم من التمسك بحيادهم الغريب.

وكانت هناك دروس عسكرية يجب تعلمها من فتح هتلر الخـــاطف للدولتين الاسكنديناافيتين . ولعل ابرز هذه الدروس ، أهمية السيطرة الجوية وتفوقها على القوات البحرية عندما تكون القواعد البرية للقاذفات والمقاتلات قريبة من ميادين القتال . ولعل الدرس الثاني الذي لا يقل أهمية عن سابقه هو الدرس القديم القائل بأن النصر يكون دائماً حليف الجريء ، والواسع الخيـــال . وكان الاسطول والسلاح الجوي الالمانيان يتميزان بهاتين الصفتين معاً ، كما ابدى دايتل في نارفيك ما يتميز به الجيش الألماني من دهـاء وسعة حيلة تفتقر اليهما جيوش الحلفـــاء كل الافتقار .

وكانت ثمة ثمرة عسكرية للمغامرة النروجية لم يكن في الامكان تقدير قيمتها

= وان يموتوا وهم يقاتلون اذا تعرضوا للهجوم . وكانوا قد ارضوا الاتحاد السوفياتي بعدم السماح لقوات الحلفاء بعبور فنلندة ، وها هم يحاولون الآن ترضية المانيا بعد ان تعرضوا لضغطها الشديد . وعلى الرغم من ان السويد كانت قد بعثت بكميات كبيرة من السلاح الى فنلندة إلا انها رفضت ان تبيع السلاح أو حتى الوقود للنروج عندما هوجمت . وظل الالمان طيلة شهر نيسان يطلبون من السويد السماح لهم بنقل قواتهم الى نارفيك لنجدة الفريق دايتل ، ولكنها رفضت السماح لهم بذلك حتى انتهاء العمليات الحربية ، على الرغم من سماحها لقطار يقل بعثة طبية وبعض المواد بالعبور في اراضيها . واذعنت السويد في التاسع عشر من حزيران لضغط هتلر مخافة تعرضها لهجومه المباشر ، ووافقت على السماح بنقل القوات النازية والمعدات الحربية الى النروج على خطوطها الحديدية، شريطة ان يكون عدد القوات المرسلة الى النروج موازياً للقوات التي تنقل في طريق العودة الى المانيا ، وذلك لتضمن عدم تعزيز الحاميات الألمانية في النروج عن طريق هذا الترتيب .

وكان هذا العون كبيراً لألمانيا . فقد وفر سماح السويد لهتلر بنقل القوات الجديدة والمعدات الحربية بطريق البر الى النروج ، عليه تعريض هذه القوات والمعدات لخطار الغرق عـــلى ايدي البريطانيين . وتم في الستة اشهر الأولى من هـــذا الاتفاق تبادل نحو من (١٤٠) الف جندي الماني في النروج ، كما تم تعزيز هذه القوات بكميات كبيرة من المؤن والمعدات. وقبيل بدء الهجوم الألماني الكاسح على روسيا ، سمحت السويد للقيادة العليا الألمانية بنقل فرقة عسكرية كاملة من النروج عبر اراضيها الى فنلندة لاستخدامها في الهجوم على الاتحاد السوفياتي . وهكذا سمحت لألمانيا الآن بما ضنت به على الحلفاء في السنة السابقة . وفي وسع القارىء للحصول على تفاصيل الضغط الألماني على السويد ونصوص الرسائل المتبادلة بين الملك غوستاف وبين هتلر ، ان يراجع كتاب « وثائق عن السياسة الخارجية الألمانية (٩) » . وقد بحث المؤلف في هـــذا الموضوع بحثاً وافياً في كتابه « تحدي اسكندينافيا » .

فوراً ، وذلك بسبب عدم التمكن من النظر بعيداً الى المستقبل. وكانت خسائر الفريقين في النروج ضئيلة للغاية . فقد خسر الألمان ١٫٣١٧ قتيلاً و٢٣٧٥ مفقوداً و ١٦٠٤ من الجرحى ، وبلغ بذلك مجموع الخسائر (٥٢٩٦) ، بينما بلغت خسائر النروجيين والفرنسيين والبريطانيين أقل من خمسة آلاف . وخسر البريطانيون حاملة طائرات وطراداً وسبع مدمرات كما خسر كل من البولنديين والفرنسيين مدمرة واحدة. اما خسائر الألمان البحرية فكانت اضخم نسبياً ، اذ فقدوا عشر مدمرات من مجموع عشرين يملكونها، وثلاثة طرادات من مجموع ثماني ، كما اصيبت البارجتان – الطرادان شارنهورست وغفيزنار وبارجة الجيب لوتيزاو باضرار ثقيلة للغـــاية حتى انها ظلت عاطلة عن العمل عدة أشهر . ولم يكن لدى هتلر اسطول يستحق الذكر بالنسبة الى احداث الصيف المقبلة . وعندما حان الوقت لغزو بريطانيا ، وهو ما وقع فعلاً بعد وقت قصير ، ثبت ان هذه الحقيقة تؤلف عقبة لا يمكن تذليلها .

ولم تخطر ببال هتلر قط في بداية شهر أيار النتائج المحتملة لهذا الشلل العنيف الذي اصاب الاسطول الالماني . فقد اضاف الدانيمارك والنروج الى قائمة فتوحاته الطويلة ، وأخذ يعمل مع قادته العسكريين المتلهفين ، بعد ان تخلوا الآن عن كل ما كان لديهم من شكوك في الخريف المنصرم ، في اعداد آخر الاستعدادات للفتح الذي كانوا على ثقة من انه سيكون اضخم فتوحاتهم واعظمها كلها .

٢١

النصر في الغرب

استدعي سفير بلجيكا في برلين ووزير هولندة المفوض فيها بعد فجر العاشر من ايار عام ١٩٤٠، وكان يوماً من ايام الربيع المشرقة الى وزارة الخارجية الألمانية الويلهلمشتراسة ، حيث ابلغهما ريبنتروب ان الجيوش الألمانية بدأت تدخل بلاديهما لضمان حيادهما تجاه هجوم متوقع من الجيوش الانكليزية - الفرنسية وكان هذا المبرر الزائف هو عين المبرر الذي اعتمد عليه هتلر قبل نحو من شهر لغزو الدانيمارك والنروج . وطلب الانذار الألماني الرسمي الذي وجه اليهما من حكومتيهما ، ان تضمنا عدم ابداء اية مقاومة . واضاف انه في حالة وقوع أية مقاومة ، فستسحق بكل الوسائل ، وستقع مسؤولية سفك الدماء بصورة كاملة على الحكومتين الملكيتين البلجكية والهولندية .

وشق المبعوثان الألمانيان في بروكسل ولاهاي ، كما فعل زميلاهما في كوبنهاغن واوسلو قبل نحو من شهر ، طريقهما الى وزارتي خارجية البلدين يحملان رسالتين مماثلتين . ولعل من سخرية الاقدار ان حامل الانذار من لاهاي، كان الكونت جوليوس فون زيخ - بير كسرودا الوزير الألماني المفوض، وهو صهر بيثمان - هولويغ ، مستشار القيصر غليوم الذي اعلن في عام ١٩١٤، ان ضمانة المانيا لحياد بلجيكا الذي خرقته حكومة الهوهنزولرن آنذاك ، لم

يكن اكثر من مجرد «قصاصة من الورق»

وبينما كانت القاذفات الألمانية تهدر بدويها في السماء فوق بروكسل، وكان صوت انفجار القنابل التي تقـذف بها على المطارات القريبة يهز النوافذ هزاً، شرع سفير المانيا في بروكسل بيولو - شوانتي، يخرج من جيبه مغلفاً في وزارة الخارجية البلجيكية، ليقدمه الى وزيرها، واذا بالوزير بول هنري سباك يوقفه قائلاً ... «استميحك العذر يا سيدي السفير، فأنا اريد الكلام اولاً». ومضى الوزير البلجيكي يقول وهو لا يحاول اخفاء مشاعر الغضب المسيطرة عليه :

> «لقد بدأ الجيش الألماني بمهاجمة بلادنا. وهذه هي المرة الثانية في غضون خمسة وعشرين عاماً، تقترف فيها المانيا عدواناً اجرامياً على بلجيكا المحايدة والمخلصة لحيادها. ولعل ما حدث الآن يفوق ما حدث في عام ١٩١٤ فلم تتسلم الحكومة النروجية حتى هذه اللحظة أي انذار أو مذكرة او احتجاج من أي نوع. ولم تعرف بلجيكا، بأن المانيا قد نقضت العهود التي قطعتها على نفسهـا إلا عن طريق الهجوم الذي وقع فعلاً ... وسيحكم التاريخ على ان الرايخ الألماني هو المسؤول اولاً واخيراً. أما بلجيكا، فانها عازمة على الدفاع عن نفسها.»

وشرع الدبلوماتي الالمـاني الذي وجد نفسه اثر ذلك في موقف حرج يتلو الانذار الالماني الرسمي، فقاطعه سباك قائلاً ... «سلمني الوثيقة ... انني ارد ان اوفر عليك هذه المهمة الشاقة». [١]

وكان الرايخ الثالث قد قدم الى هـاتين «الدولتين المنخفضتين» ضمانات لا عد لها ولا حصر لحيادهما فلقد كانت الدول الاوروبية الكبرى الخمس، قـد قدمت في عام ١٨٣٩ ضمانة «دائمة» لاستقلال بلجيكا وحيادها، وظل هـذا الميثاق محترماً وقائماً حتى عام ١٩١٤ عندما خرقته المانيا في عـام ١٩١٤.

---

١ - بلجيكا - الوصف الرسمي لما حدث ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ص ٢٧ - ٢٩.

وتعهدت جمهورية ويمار الالمانية بأن لا تحمل السلاح قط ضد بلجيكا ، وقد عاد هتلر بعد وصوله الى الحكم الى تأكيد هذه السياسة باستمرار ، وقدم ضمـــانات مماثلة إلى هولندة وسبق للمستشار النازي ان اعلن في الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٣٧ ، وبعد إلغائه ميثاق لوكارنو ما يلي :

« ولقد قدمت الحكومة الالمانية تأكيداتها الى بلجيكا وهولندة، بأنها على استعداد للاعتراف بحيادهما وحصانتهما من الانتهـاك ، وضمان هذا الحياد وتلك الحصانة » .

وأحست بلجيكا بخوف من عودة الرايخ الثالث الى التسلح ، واستعادة منطقة الراين في ربيع عام ١٩٣٦ ، فتخلت عن السياسة التي اتبعتها بحكمة بعد عام ١٩١٨ ، وهي السياسة البعيدة عن الحيـــاد ، وعادت الى التمسك به من جديد طمعاً منها بأن يحميها . وقامت بريطانيا وفرنسا في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٣٧ ، بتحريرها من التزاماتها بموجب ميثاق لوكارنو ، وعـادت المانيا في الثالث عشر من تشرين الاول من العام نفسه الى التأكيـــد بصورة رسمية ...

« بأنها تعتزم عزماً قاطعاً واكيداً ، على عدم المساس ، مهـــما كانت الظروف بسلامة بلجيكا وكيانها وحصانتها على الانتهاك ، وبأنها ستحترم في جميع الاوقات الاراضي البلجيكية ، وستساعدها في حالة تعرضها لأي هجوم » ..

ولكن بدأ منذ ذلك اليوم التناقض في فكرة هتلر تجاه حياد هـــاتين الدولتين - بلجيكا وهولندة يظهر بشكـل ملحوظ في تأكيداتـه لهـما وفي احاديثه الخاصة مع قادته العسكريين . ففي الرابع والعشرين من آب عام ١٩٣٧ ، تحدث عندما قدمت اليه بعض الاوراق المتعلقة بالعملية الخضراء ،وهي العملية التي تتناول الهجوم على تشيكوسلوفاكيا ، عن المزايا العظيمة التي يمكن لألمانيا الحصول عليها اذا ما احتلت بلجيكا وهولندة ، وراح يسأل الجيش عن رأيه في الاوضاع التي يمكن ان يتم فيها احتلال هذه المنطقة وعن الزمن الذي

تستغرقه عملية الاحتلال ، ولكنه في الثامن والعشرين من نيسان عام ١٩٣٩ ، عاد يؤكد لروزفلت في رده عليه « البيانات الملزمة » التي سبق له ان قدمها الى الى هولندة وبلجيكا وغيرهما من الدول . ولم يمض شهر واحد على هذا التأكيد، حتى كان يقول لقادته العسكريين في الثالث والعشرين من ايار ، كما روينا من قبل، ان «من الواجب احتلال القواعد الجوية الهولندية والبلجيكية بالقوات المسلحة ، بسرعة البرق الخاطف ، وان من الواجب تجاهل بيانات الحياد » .

ولم يكن قد شرع في حربه هذه ، حتى كانت خططه العسكرية قد باتت جاهزة . وكان في الثاني والعشرين من آب ، أي قبل اسبوع واحد من شنه الحرب بالهجوم على بولندة قد تشاور مع قادته العسكريين في موضوع « احتمال» خرق حياد بلجيكا وهولندة . واضاف قائلاً : « لن تقوم انكلترا وفرنسا بخرق حياد هاتين الدولتين » وأصدر بعد اربعة ايام أي في السادس والعشرين من آب أوامره الى مبعوثيه في بروكسل ولاهاي بابلاغ حكومتيهما بأن المانيا « لن تمس بأي حال من الاحوال اذا ما نشبت الحرب، حصانة هولندة وبلجيكا على الانتهاك » . وعاد يكرر هذا التأكيد بصورة علنية في السادس من تشرين الاول بعد انتهاء الحملة البولندية . واصدر الفريق فون براوخيتش في اليوم التالي أي في السابع من تشرين الاول اوامره الى قادة مجموعات الجيوش بإيعاز من هتلر طبعاً . . .

« بأن يقوموا بجميع الاعدادات اللازمة للقيام بهجوم فوري على الاراضي الهولندية والبلجيكية ، اذا تطلبت الاوضاع السياسية هذا الهجوم »[1] .

واصدر هتلر بعد يومين ، في توجيهه السادس بتاريخ التاسع من تشرين اوامره . . .

« باتخاذ الأهبة الكاملة لعملية هجومية عبر اللوكسمبورج

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ١٠٣٧ .

وهولندة وبلجيكا . ويجب تنفيذ هذا الهجوم في اسرع وقت ممكن، وبأقصى ما يمكن من قوة ... وهدف هـذا الهجوم الحصول على منطقة واسعة من اراضي هولندة وبلجيكا وفرنسا الشمالية »[1] .

وبالطبع لم يكن البلجيكيون والهولنديون على علم بأوامر هتلر السرية ، ومع ذلك فقد تلقوا تحذيرات عما تخبؤه الاقدار لهم وسبق لنا ان بينا عدداً من هذه التحذيرات ، وقلنا ان العقيد اوستر ، وهو من كبار المتآمرين ضـد النازية انذر الملحقين العسكريين البلجيكي والهولندي في برلـين في الخامس من تشرين الثاني ، بأن يتوقعا هجوماً المانياً في الثاني عشر من الشهر نفسه وهو الموعد المقرر للهجوم . ومضى غويردلر في نهاية تشرين الأول – وهو احـد المتآمرين ايضاً – الى بروكسل بتحريض من وايز ساكر ، لتحذير البلجيكيين من الهجوم المتوقع في كل لحظة . وسبق لنا ان قلنا ايضاً ان الخطة الألمانية الكاملة للهجوم في الغرب ، قد وقعت في العاشر من كانون الثاني عام ١٩٤٠ في ايدي البلجيكيين ، عندما اضطر ضابط الماني كان يحملها الى الـنزول بطائرته في الاراضي البلجيكية .

وكانت هيئتا اركان الحرب في هولندة وبلجيكا قد عرفتا من مخابراتهما على الحدود بأن الالمان يحشدون نحواً من خمسين فرقة على حدود بلاديهما . واتيح لهما الانتفاع من مصدر ممتاز للمعلومات في العاصمة الالمانية . وهو العقيد جي . جي ساس الملحق العسكري الهولندي في برلين . وكان هذا الرجل صـديقاً حميماً للعقيد اوستر وكثيراً ما تناول معه العشاء في منزل الاخير في ضاحيـة زيهليندورف المنعزلة الهادئة . وكان من السهل بعد نشوب الحرب عند مثل هذه الاجتماعات بسبب « التعتيم » الذي مكن الكثيرين من الاشخاص في ذلك الحين في برلين ، من المان واجانب ، من القيام بمختلف الاعمال « الهدامة والمناوئة للعهد » دون الخوف من اكتشاف امرهم وكان اوستر قد ابلغ ساس هذا في

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٨٨٠ .

مطلع شهر تشرين الثاني بنبأ الهجوم الالماني المقرر في الثاني عشر من تشرين الثاني . ثم عاد الى تحذيره من جديد في مطلع شهر كانون الثاني . ولا ريب في ان عدم وقوع الهجوم في كل من التاريخين اللذين حددهما ساس ، قد اضعفا الثقة باقواله في لاهاي وبروكسل ، لا سيا وان العاصمتين كانتا تجهلان الحقيقة الواقعة وهي ان هتلر قد حدد بالفعل هذين التاريخين لهجومه ثم عاد فأجله لأسباب مختلفة . لكن التحذير الذي تلقاه ساس من اوستر قبل عشرة ايام ، عن غزو النروج والدانيمارك ، وتحديده الموعد الدقيق لهذا الهجوم ، قد اعاد الملحق الهولندي المكانة التي كانت له في بلاده .

ونقل اوستر في الثالث من أيار بصراحة الى ساس ان الهجوم الالماني في الغرب سيقع في العاشر منه عبر هولندة وبلجيكا ، وقام هذا بدوره بنقل النبأ الى حكومته فوراً . وتلقت لاهاي تأييداً لهذا النبأ في اليوم التالي من الفاتيكان. وتولى الهولنديون نقل المعلومات بدورهم فوراً الى البلجيكيين. وكان الخامس من ايار من ايام الآحاد ، وعندما بدأ الاسبوع الجديد ، اتضح وضوحاً جلياً لكل من كان في برلين ان الضربة في الغرب ، ستقع في غضون بضعة ايام . واشتد التوتر في العاصمة . ولم يكد يحل الثامن من ايار ، حتى كنت ابرق الى مكتبنا في نيويورك ، بأن يوقف احد مراسلينا في امستردام ، بدلاً من ايفاده بحراً الى النروج ، حيث كانت الحرب قد انتهت على أي حال ، وسمح لي المراقبون العسكريون في تلك الليلة بأن أشير في اذاعتي الى اقتراب موعد الهجوم في الغرب ، وبأن هذا الهجوم سيشمل هولندة وبلجيكا .

وتناول اوستر وساس عشية التاسع من ايار العشاء لآخر مرة . واكد الضابط الألماني لصديقه ان الأمر الاخير بالهجوم في الغرب ، قد صدر وانه سيقع في فجر اليوم التالي ، وان القيادة العليا للقوات المسلحة في الوهلمشتراسه قد ايدت له ذلك ، عندما مر بها اليوم للتثبت من عدم وجود أي تغيير في الخطة العسكرية وتوقيتها وقال اوستر لضيفه ساس : « لقد تحول الخنزير الى الجبهة الغربية » ، وهو يقصد « هتلر » بالخنزير طبعاً . وتولى ساس نقل النبأ الى

الملحق العسكري البلجيكي ، ثم مضى الى مفوضيته حيث سجل طلباً هاتفياً الى لاهاي . وكان الملحق قد اعد رموزاً خاصة لمثل هـــذه المناسبة ، وراح يقول لقيادته في لاهاي عبارات لا ضـــير فيها تتضمن الرسالة التالية : « غداً عند الفجر . استعدوا »[1] .

ومن الغريب كل الغرابة ، ان الدولتين الكبيرتين في الغرب ، أي بريطانيا وفرنسا ، قد بوغتتا بالهجوم وهما نائمتان تغطان في سبات عميق . ولم تكترث هيئتا اركان الحرب فيهما بالتقارير العسكرية الواردة مـن بروكسل ولاهاي . وانشغلت لندن نفسها في ذلك الوقت بأزمة وزارية استغرقت ثلاثـــة ايام ثم حلت عشية العاشر من ايار ، بحلول تشرشل محل تشمبرلين في رئاسة الوزارة . وكان أول ما سمعه مقر قيادتي القوات الفرنسية والبريطانية عن الهجوم الألماني ، هو هدير القاذفات الألمانية وهي تقطع هـدوء الساعات التي سبقت فجر ذلك اليوم من ايام الربيع . وعويل طائرات الانقضاض مـن طراز شتوكا . وهي تظهر في السماء ، ليعقبها بعد انبلاج الفجر ، سيل من النداءات المحمومـــة من هولنـــدة وبلجيكا تطلب المساعدة ، بعد ان كانت قد ابقت قوات الحلفاء على بعد ذراع منها مدة ثمانية اشهر دون ان تكلف نفسها عناء تنسيق خطط الدفاع المشترك معها .

ومضت رغم ذلك ، خطة الحلفاء في مواجهة الهجوم الالماني فيبلجيكا في اليومين الأولين بدقة ونظام دونأي تبدل أو صعوبة،فلقد سارع جيش انكليزي - فرنسي ضخم باتجاه الشمال الغربي من الحدود الفرنسية - البلجيكية ، لتعزيز خط الدفـــاع البلجيكي الرئيسي على طول نهري دايل والموز الى الشرق من بروكسل . وكان هذا هو ما تريده القيادة العليا الألمانية تماماً كما ثبت ذلك فيما بعد ، اذ ان هذه الحركة الضخمة التي قام بها الحلفاء قد اتفقت مع خطة القيادة

---

١ - آلين دالاس - الحركة السرية في المانيـــا ص ٥٨ - ٦١ . ويقول دالاس ان العقيد ساس قد اكد له هذه الرواية شخصياً بعد انتهاء الحرب .

الألمانية تمام الاتفاق . وهكذا سارعت الجيوش الانكليزية الفرنسية الى الوقوع في الشرك الذي وضعته لها القيادة الالمانية ، وعندما اطبق هذا الشرك ، كان مفجعاً في نتائجه كل الفجيعة .

الخطط المتقابلة

وقع تبدل جذري في الخطة الالمانية الأصلية للهجوم في الغرب، بعد وقوعها في ايدي البلجيكيين كما سبق لنا ان رأينا ، وفي ايدي الفرنسيين والبريطانيين كما توقع الألمان في شهر كانون الثاني . وكانت القيادة العليا للجيش الالماني قد أعدت بأمر من هتلر وتحت ضغطه وإلحافه خطة الهجوم في الغرب على ان يقع في اواسط تشرين الثاني بسرعة فائقة في خريف عام ١٩٣٩ ، وهي الخطة التي اطلق عليها اسم « الحالة الصفراء » . وهناك خلاف في الرأي بين المؤرخين العسكريين وبين « الجنرالات » الألمان انفسهم ، حول ما اذا كانت هذه الخطة الأولى ، صورة معدلة لخطة شلايفن القديمة او لا . وكان من رأي هولدر وغودريان انها صورة معدّلة للخطة الأولى . وكانت تقضي بوقوع الزحف الألماني الأصلي من الجناح الأيمن عبر بلجيكا وشمال فرنسا ، وتهدف الى احتلال موانىء بحر المانش . وكانت هذه الخطة تقلّ بعض الشيء عن خطة شلايفن المشهورة ، التي فاتها النجاح بصورة غريبة في عام ١٩١٤ ، والتي لم تهدف فقط الى احتلال موانىء القناة الانكليزية وحدها ، بل هدفت ايضاً الى المضي في الحركة الالتفافية الضخمة ، التي تحمل الجناح الأيمن للزحف الألماني عبر بلجيكا وشمال فرنسا ، وعبر نهر السين ، لتتجه شرقاً بعد ذلك الى الجنوب من باريس مطوقة ما تبقى من القوات الفرنسية ومحطّمة اياها . وكان الهدف منها ايضاً وضع نهاية سريعة للمقاومة الفرنسية المسلّحة ، لتتمكن المانيا في نفس العام - أي عام ١٩١٤ من الاستدارة نحو روسيا بكل ما لديها من قوة عسكرية جبارة .

لكن هتلر لم يكن بحاجة في عام ١٩٣٩ - ١٩٤٠ الى القلق من وجود جبهة

روسية . فلقد كان هدفه على أي حال اكثر تحديداً . ولقد وضع خطته هذه المرة للمرحلة الأولى من الحملة ، على اساس دفع الجيش الفرنسي الى الوراء بدلاً من توجيه ضربة قاضية اليه ، واحتلال ساحل المانش ، ليعزل بذلك بريطانيا عن حليفتها ، وليضمن لنفسه في عين الوقت قواعد جوية وبحرية يستطيع ان يفرض عن طريقها الحصار على الجزر البريطانية وان يكيل لها الضربات القاتلة . وقد اتضح من احاديثه العديدة الى قادته العسكريين في هذا الوقت انه كان يعتقد بأن بريطانيا وفرنسا ستميلان بعد هذه الهزيمة الى عقد الصلح، والى السماح له بتوجيه اهتمامه من جديد الى الجبهة الشرقية .

وكانت القيادة العليا للحلفاء قد توقعت حتى قبل وقوع الخطة الأصلية « للعملية الصفراء » في ايدي الحلفاء ، مثل هذه الخطة من جانب الألمان وكان مجلس الحلفاء الحربي الأعلى قد اتخذ في السابع عشر من تشرين الثاني عند انعقاده في باريس « الخطة د » التي تقضي في حالة هجوم الألمان عبر بلجيكا ، باندفاع الجيشين الفرنسيين الأول والتاسع والحملة البريطانية في فرنسا الى الأمام الى خط الدفاع البلجيكي الرئيسي على نهري دايل والموز ، من انتويرب عبر لوفان ونامور وجيفيت الى ميزيير . وكانت هيئتا اركان الحرب البريطانية والفرنسية بعد عدة اجتماعات سرية عقدتاها مع القيادة العليا البلجيكية قد تلقتا منذ بضعة ايام تأكيدات قاطعة من البلجيكيين بأن يعززوا خطوطهم الدفاعية هناك وان يصمدوا فيها صمودهم الرئيسي . ولكن البلجيكيين وكانوا لا يزالون يتعلقون بأوهام الحياد وخيالاته ، وهي الأوهام التي عززت أملهم في اجتناب التورط في الحرب ، لم يكونوا راغبين في المضي الى أبعد من ذلك . وكان من رأي رؤساء اركان الحرب البريطانيين ، ان المجال لن يتسع امامهم لنشر قوات الحلفاء على هذه المسافة البعيدة في حالة هجوم الألمان ، ولكنهم اضطروا الى السير وفق الخطة « د » تحت ضغط الفريق غاملان وإلحافه .

واضاف الحلفاء في نهاية تشرين الثاني خطة تقضي بدفع الجيش الفرنسي السابع الذي يقوده الجنرال هنري جيرو الى ساحل القناة، لمساعدة الهولنديين الى الشمال

من انتويرب في حالة تعرض هولندة الى الهجوم ايضاً وهكذا اصبح من المحتم ان تواجه أية محاولة المانية لاجتياح بلجيكا – وهولندة على سبيل الاحتمال ايضاً – وللالتفاف حول خط ماجينو ، في مراحلها الأولى، قوات الحملة البريطانية كلها، وغالبية الجيش الفرنسي واثنتين وعشرين فرقة بلجيكية وعشر فرق هولندية ، وبذلك تكون جيوش الحلفاء مكافئة من ناحية عددها لقوات الالمان

واقترح الفريق فون مانشتاين (اسمه الأصلي لوينسكي) ، رئيس اركان حرب مجموعة الجيوش (P) التي يقودها رونشتادت في الجبهة الغربية لتجنب هذا الصدام العنيف ولاقامة شرك للجيوش البريطانية والفرنسية التي ستسرع في زحفها ، تعديلاً جذرياً في « العملية الصفراء » وكان مانشتاين هذا ضابط ركن موهوب وواسع الأفق والخيال ، وقد أفلح رغم صغر رتبته بالنسبة الى القـادة الآخرين في ايصال فكرته الجريئة الى هتلر إبان الشتاء ، على الرغم من معارضة براوخيتش وهولدر وعدد من كبار « الفرقاء » العسكريين الأوليـة . ويقضي اقتراح مانشتاين بأن يشن الهجوم الألماني الرئيسي في الوسط عبر الاردين بحشد هائل من القوات المدرعة التي يمكنها آنذاك ان تعبر نهر الموز الى الشمال من سيدان وان تخترق جبهة الحلفاء ، ولتنفذ الى الأرض العراء لتغذ السير مسرعة الى القناة عند مدينة ابيفيل .

واهتم هتلر الذي تستهويه المشاريع الجريئة وحتى المغامرة، بخطة مانشتاين. وواصل رونشتاد الإلحاف لقبول هذه الفكرة لا لمجرد ايمانه بهـا فحسب ، بل ولأنها ستتيح لمجموعة الجيوش التي يتولى قيادتها ، ان تلعب الدور الحـــاسم في الهجوم وعلى الرغم من كراهية هولدر الشخصية لمانشتاين، ومن وجود نوازع الحسد المهني عند بعض القادة العسكريين الذين يعلون هذا القائد رتبة ، ممـا أدى الى نقله من مركزه في رئاسة اركان حرب جيش الشمال الى قيـــادة فيلق للمشاة في نهاية كانون الثاني ، إلا انه تمكن من الافصاح عن آرائه المتطرفة والتي تخالف القواعـــد العسكرية الى هتلر شخصياً في حفلة عشاء اقيمت في برلين في السابع عشر من شباط تكريماً لعدد من قادة الفيالق . وقال ان توجيه ضربة

من السلاح المدرع عبر الاردين سيصيب الحلفاء في أضعف نقطة لهم، لا يتوقعون مجيء الضربة فيها ، اذ ان « فرقاءهم » العسكريين يعتبرون كمعظم القادة الألمان هذه المنطقة الجبلية التي تغطيها الغابات ، غير صالحة لحرب الدبابات . واضاف ان تظاهر الجناح الأيمن من قوات الألمان بالهجوم ، سيحمل الجيوش البريطانية والفرنسية على الاندفاع بسرعة نحو بلجيكا . وآنذاك يوجه الألمان ضربتهم في سيدان ، فيحطمون الفرنسيين ويتجهون غرباً على طول الضفة الشمالية لنهر السوم حتى يصلوا الى القناة ، وبذلك يوقعون القوات الانكليزية - الفرنسية والجيش البلجيكي بأسره في الفخ الذي نصبوه .

وكانت الخطة جريئة ولكن لها مخاطرها ، كما أكد عدد من الفرقاء وبينهم يودل نفسه . ولكن هتلر وكان قد شرع يعتبر نفسه عبقرياً في فنون الحرب ، اعتقد عملياً ان هذه الفكرة فكرته ، ولذا فقد ازداد حماسه لها . وبدأ هولدر نفسه الذي كان قد اعتبرها في بداية الأمر ، فكرة انسان مجنون ، يتبناها ايضاً ، وأضاف عليها بعض التحسينات مستعيناً بعدد من ضباط اركان حربه . وهكذا أقرت هذه الخطة رسمياً في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٤٠ وصدر بها توجيه جديد من القيادة العامة للقوات المسلحة، وصدر الأمر للقادة العسكريين بأن يعيدوا توزيع قواتهم ونشرها طبقاً لها اعتباراً من السابع من آذار، وكانت خطة احتلال هولندة ، التي كانت قد اسقطت من العملية الصفراء عرضاً عند اعادة النظر فيها في التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٣٩ ، قد اعيدت الى الخطة نفسها في الرابع عشر من تشرين الثاني بطلب من السلاح الجوي الالماني ، الذي اراد ان يستخدم المطارات الهولندية ضد بريطانيا ، ولذا فقد قدّم عدداً ضخماً من القوات التي تحملها الطائرات للاشتراك في هذه العملية الصغيرة والمعقدة في وقت واحد. وهكذا تقرر مصائر الشعوب الصغيرة احياناً على اساس مثل هذه الاعتبارات .[١]

---

١ - هناك مصادر عدة عن تطور الخطط الالمانية للهجوم في الغرب وقد افدت من المصادر=

وهكذا عندما اقتربت حملة النروج من نهايتها الظافرة ، وعندما بدأت اخيراً اول ايام شهر ايار الدافئة ، وقف الجيش الألماني ، الذي كان اقوى مـــا عرفه العالم من جيوش حتى ذلـــك الوقت ، على استعداد ليوجه ضربته الهائلة في الغرب . وكانت القوتان من الناحية العددية متكافئتين ، فهناك (١٣٦) فرقة المانية تواجه (١٣٥ فرقة فرنسية وبريطانية وبلجيكية وهولندية . وكان المدافعون يتمتعون بمزية التحصينات الدفاعية ، المؤلفة من خط ماجينو الذي لا يمكن اختراقه في الجنوب ، والخط الهائل من القلاع البلجيكية في الوسط ، والخطوط المائية المنيعة الهولندية في الشمال . وكان عـــدد دبابات الحلفاء يضاهي ايضاً عدد دبابات الألمان ، ولكنهم لم يكونوا قـــد حشدوهم بصورة مركزة كالألمان . وادى انحراف الهولنديين والبلجيكيين في اتجاه الحياد ، الى عدم قيام مشاورات بين اركان الحرب ، لتجميع خطـــط المدافعين وتنسيقها ، وحشد مواردهم لضمان اكـــبر فائدة ممكنة . وكانت للألمان قيادة واحدة ، وكانوا يتميزون بأفضلية المهاجم ، كما لا يحسون بأي نـــدم أو شكوك تجاه العدوان ، وعندهم الثقة المطلقة بأنفسهم وبخطتهم الجريئة . وقد خبروا الحرب وجربوها في بولندة . وهناك فحصوا اساليبهم واسلحتهم القتالية الجديـــدة ووضعوها في محك التجربة . وقد عرفوا قيمة طائرات الانقضاض وعرفوا ما يحققه استخدام الدبابات جماعياً من نتائج . وقد عرفوا ، ما سبق لهتلر ان اكده ، ان الفرنسيين

= التالية : يوميات هولدر ويودل ، وكتاب هولدر « هتلر كقائد ميدان » . ويوميات القيادة العامة الحربية كما نشرت في « المؤامرة النازية والعدوان » و « محاكمات كبار مجرمي الحرب . وتوجيهات هتلر والقيادة العامة المتعددة كما وردت في الجزئين الثامن والتاسع من وثائق وزارة الخارجيـــة الالمانية . وكتاب مانشتاين « نصر ضائع » وكتاب غويرليتز « تاريخ هيئة اركان الحرب الالمانية » وكتابه « الحرب العالمية الثانية » وكتاب جاكوبسين « وثائق عن الحوادث التمهيدية للهجوم في الغرب » ، وكتاب غودريان « قائد فرق الصاعقة » وكتـــاب بلومينتريت « فون رونشتادت » وكتاب ليدل هارت « الفرقاء الالمان يتكلمون » وكتاب « مذكرات تشرشل » وايليس « الحرب في فرنسا والفلاندرز » ، وكتاب فولر « الحرب العالمية الثانية » وكتاب دريبر « حرب الاسابيـــع الستة » وكتاب تيلفوردتيلور « زحف الفتح » .

على الرغم من دفاعهم عن تربيتهم يفتقرون الى العزيمة للقتـــال ومواجهة ما يخبؤه الغد لهم .

ولقد اظهرت الوثائق السرية المصادرة ان القيادة الألمانية العليا على الرغم من ثقتها وتصميمها ، عانت من بعض لحظات الهلع عندما اقتربت ساعة الصفر ، وان هتلر القائد الأعلى نفسه قد احس بالكثير من القلق . وقـد دون الفريق يودل جميع هذه اللحظات في يوميته . وقام هتلر بعدة تأجيلات في اللحظـــة الاخيرة لموعد القفز الذي كان قد حدده في الأول من ايار ليكون في الخامس منه . ففي الثالث من ايار أمر هتلر بتأجيل الهجوم حتى السادس منه بسبب حالة الطقس ، وقد يكون سبب هذا التأجيل ان وزارة الخارجية وجدت ان مبرره المقترح لخرق حياد بلجيكا وهولندة ليس بالأمر الكافي أو المجدي وعاد في اليوم التالي فأجله حتى السابع من آذار ، ثم كرر تأجيله مـن جديد حتى يوم الاربعاء في الثامن منه . ودوّن يودل في يومياته يقول : « لقد اتم الفوهرر العثور على المبررات اللازمة للعملية الصفراء » . وتوصل هتلر الى الاستنتاج بأن من الواجب توجيه التهمة الى بلجيكا وهولندة بسلوك مسلك مخالـف للحياد . ومضى يودل يدوّن في يومياته :

« ٧ أيار – من المقرر ان يغادر قطار الفوهرر فينكنكروغ في الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والثلاثـــين بعد الظهر . ولكن الطقس ما زال عـلى حاله ولهذا فإن أمر الهجوم سيؤجل . . . ويبدو الفوهرر مضطرباً اشـد الاضطراب من التأجيل الجديد اذ ان ثمة خطراً بقيام خديعة وخيانة ، يوحي الحديث الذي دار بين مبعوث بلجيكا الى الفاتيكان وبين بروكسل بالاستنتاج بأن خيانة قد اقترفت ، وان القائم بها شخصية المانية غادرت برلين الى رومه في التاسع والعشرين من نيسان . . .

« ٨ أيار وصلت انباء مفزعة من هولندة . . . الغيت هناك الاجازات العسكرية وبدأت عمليات اجـــلاء المدنيين ، واقيمت

الحواجز في الطـرق ، ونفذت اجراءات التعبئة ... ان الفوهرر لا يريـــد ان ينتظر مدة اطول ، بينما يريد غورنغ التأجيل حتى العاشر على الاقل ... يبدو الفوهرر شديد الهياج ، ولكنه وافق على التأجيل حتى العاشر من ايار ، على الرغم من قوله بأن هذا التأجيل يخالف إلهامه ولكنه لن يوافق على التأجيل يوماً آخر..

« ٩ ايار – قرر الفوهرر قراراً لا رجوع عنه ان يبدأ الهجوم في العاشر من ايار ، سنسافر مـــع الفوهرر في قطاره في الساعة الخامسة مساء من فينكنكروغ، ستعطى الاشارة الرمزية «دانزيغ» في الساعة التاسعة مساء بعد تلقي تقرير الاحوال الجوية،بأن الطقس سيكون مواتياً للحركة

ووصل هتلر يرافقه كايتل ويودل وغيرهما من رجال اركان حرب القيادة العليا للقوات المسلحة، الى مقر القيادة العامةالتي اطلق عليها اسم «فيلسينست» أو « ايري » على مقربة من مونيسترايفيل ، عند فجر العاشر من ايار . وكانت القوات الألمانية قد اجتازت الحدود البلجيكية على بعد خمسة وعشرين ميلاً الى الغرب من مقر القيادة واندفعت القوات النازية على جبهة طولها (١٧٥)ميلاً، تمتد من بحر الشمال الى خط ماجينو ، تجتاز حدود ثلاث دول محايدة صغيرة هي هولندة وبلجيكا ولكسمبورغ ، ناقضة بذلك العهود التي قطعتها المانيا ، والتي كررتها اكثر من مرة وبصورة قاطعة جازمة .

حرب الاسابيـع الستة

من ١٠ ايار حتى ٢٥ حزيران ١٩٤٥

لم تستغرق الحرب مع هولندة اكثر من خمسة ايام ، وقد تقرر في هذه الفترة القصيرة ايضاً ، مصير بلجيكا وفرنسا وقوات الحملة البريطانية . ومضى كل شيء

بالنسبة الى الألمان وفق الخطة المرسومة ، أو حتى بصورة تفضل هذه الخطة ، وذلك بالنسبة الى السوقية العسكرية (الاستراتيجية) والى الاساليب التعبوية (التاكتيك) . وقد فاق نجاح هذه الخطط كل ما كان يساور هتلر من آمال . وذهل حتى « الفرقاء » من قادته العسكريين من سرعة الانتصارات الخاطفة التي حققوها ومن سعة مداها . أما بالنسبة الى قادة الحلفاء ، فقد اصيبوا بالشلل السريع من جراء التطورات التي وقعت والتي لم يكونوا يتوقعونها مطلقاً ، كما لم يستطيعوا فهمها في خضم ما تلاها من فوضى واضطرابات .

واصيب ونستون تشرشل نفسه الذي تولى رئاسة الوزراء في اول يوم من ايام المعركة بالوجوم مما حدث . فقد استيقظ في الساعة السابعة والنصف من صباح الخامس عشر من ايار على جرس الهاتف يرن لينقل اليه صوت بول رينو رئيس الوزارة الفرنسية وهو يقول له بصوت يغلبه التأثر : « لقد هزمنا . لقد غلبنا على امرنا » . ورفض تشرشل تصديق ما سمعه . هل يمكن للجيش الفرنسي العظيم ان يقهر في اسبوع واحد . ان هذا مستحيل . وعاد يكتب فيما بعد : « لم استطع ان افهم عنف الثورة التي طرأت على اساليب الحرب منذ الصراع العالمي السابق ، بادخال السلاح المدرع السريع الحركة على شكل جماعي ضخم . »[1]

انها الدبابات . سبع فرق منها ركّزت في نقطة واحدة، هي اضعف النقاط في الخطوط الدفاعية الغربية ، لتقتحم الجبهة . فحققت هذه النتيجة . تضاف اليها طائرات الانقضاض « الشتوكا » ، وقوات المظليين ، والقوات التي تنقل بالطائرات لتهبط وراء خطوط الحلفاء ، أو فوق القلاع التي كانت تبدو منيعة لا تقهر ، لتحدث فيها الفوضى والاضطراب .

ولكننا نحن الذين كنا في برلين ، استغربنا اشد الاستغراب ، لماذا فاجأت هذه الاساليب التعبوية الألمانية قادة الحلفاء مثل تلك المفاجأة او لم تظهر

١ - تشرشل - مذكرات الجزء الثاني - ص ٤٢ - ٤٣ .

قوات هتلر كفايتها وفعّاليتها في الحملة البولندية ؟ فقـد تحقق الاختراق العظيم هناك ، والذي ادى الى تطويق الجيوش البولندية او تدميرها في غضون اسبوع عن طريق تركيز السلاح المدرع بعـــد ان كانت طائرات الانقضاض قد تولت اضعاف كل مقاومة واخمادها وقد فشلت قوات المظليين والقوات الهابطة من الجو ، في بولندة في اداء مهماتها حتى عـلى النطاق الضيق الذي استعملت فيه ، وخابت في الاستيلاء على الجسور الرئيسية سليمة دون ان يلحق بها اذى ولكنها نجحت نجاحاً بارزاً في النروج قبل شهر واحـــد من بدء الهجوم في الغرب ، فاحتلت اوسلو وجميع المطارات ، واستعملت في تعزيز الفئات الصغيرة مـــن الجنود التي هبطت من البحر في ستافانغر وبرغين وتروندهايم ونارفيك ممكنة اياها من الصمود . أو لم يقم قادة الحلفاء العسكريون بدراسة هـذه الحملات ليتعلموا الدرس منها ؟

احتلال هولندة

لم يكن في وسع النازيـين الاستغناء عن اكثر من فرقة مدرعة واحـدة لاحتلال هولندة ، الذي تم في غضون خمسة ايام عن طريق المظليين والقوات الهابطة من الطائرات وراء الخطوط المائية العظيمة التي اعتقد الكثيرون في برلين انها ستصمد امام الالمان عدة اسابيع . وقدر للهولنديين الذاهلين ان يمروا بتجربة التعرض لأول هجوم محمول بالجو على نطاق واسع، يشهده تاريخ الحرب. واذا ما أخذنا بعين الاعتبار افتقارهم الى الاستعداد لمثل هذه المحنة ، والمباغتة الكاملة التي تعرضوا لها ، تبين لنا ، الآن ، انهم ابلوا بلاء حسناً يفوق ماتصوره الناس آنذاك .

وكان هدف الألمان الاول ، انزال قوة كبيرة من الجو في المطارات القريبة من لاهاي ، لاحتلال العاصمة فوراً ، ولوضع يدهم على الملكة وحكومتها ، تماماً كما حاولوا قبل نحو من شهر مع النروجيين . ولكن خطتهم فشلت في لاهاي ،

كما سبق لهـا ان فشلت في اوسلو ، وان كان الفشل يعزى الى ظروف وعوامل مختلفة . اذ تمكن المشاة الهولنديون تعززهم المدفعية ، بعـــد ان استفاقوا من ذهولهم الأولي الذي خلط حابلهم بنابلهم ، من اخراج الألمان الذين يعدون كتيبتين كاملتين من المطارات الثلاثة التي تحيط بالعاصمة ، مساء العاشر من ايار . وحقق هذا النجاح الأولي انقاذ العاصمة والحكومة مؤقتاً ، وان كان قـد حرم الهولنديين من الافادة من قواتهم الاحتياطية التي كانوا في حاجة ماسّة و يائسة لها في اماكن اخرى

وكان الاستيلاء على الجسور الواقعـة الى الجنوب من روتردام ، على نهري النيووي الموز والى الجنوب الشرقي على فرعي الموز الكبيرين في دورد رخت ومويردجيك بواسطة القوات التي تحملها الطائرات ، وهو مفتاح الخطة الألمانية كلها . فلقد أمل الفريق جورج فون كويشلر ، ان يعـــبر بجيشه الثامن عشر الزاحف من الحدود الألمانية على بعد مائة ميل ، على هـذه الجسور ليصل الى قلب هولندة الخصب . وليس ثمة من سبيل آخر الى احتلال هذا المكان المنيع الذي يقبع خلـف حواجز مائية هائلة ، والذي يضم مدن لاهاي وامستردام واوترخت وروتردام وليدن ، بسرعة وسهولة .

وتم الاستيلاء على هذه الجسور في صباح العاشر من ايار على ايدي وحدات هابطة من الجو ،وكانت بينها سرية هبطت في طائرات بحرية قديمة على النهر عند روتردام قبل ان يصحو الحراس الهولنديون من ذهولهم لينسفوا الجسر . وبذل الهولنديون الذين تعززت قواهم جهوداً بائسة لاخراج الألمان من هذه الجسور ، وكادت جميع محاولاتهم تمنى بالنجاح ،ولكن الألمان صمدوا صموداً عجيباً حتى صباح الثاني عشر من ايار ، عندما وصلت اليهم فرقة مدرعة من فرق كويشلر ، بعد ان شقت طريقها عبر خط غريب بيل ، الذي يؤلف جبهة محصنة الى الشرق تعززها عدد من الحواجز المائية التي كان الهولنديون يركزون آمالهم عليها في الصمود بضعة ايام أمام الألمان .

وكان ثمة امل في وقف الألمان قبل الوصول الى جسور مويردجيك بواسطة

الجيش الفرنسي السابع الذي يقوده الفريق جيرو ، الذي غذ سيره مسرعاً من القناة ووصل الى تيلبورغ بعـــد ظهر الحادي عشر من ايار . ولكن الفرنسيين شأنهم في ذلك شأن الهولنديين المجهدين ، كانوا يفتقرون الى الغطاء الجوي والى المدرعات والمدافع المضادة للطائرات والدبابات ، ولذا سرعان ما ردهم الألمان الى بريدا . وفتح هذا التطور الطريق أمام الفرقة الألمانية المدرعة التاسعة لعبور الجسور في مويردجيك ودورد رخت ، لتصل بعد ظهر الثاني عشر من ايار الى الضفة الجنوبية من نهري نيووي - الموز ، امام روتردام ، حيث كانت القوات الألمانية الهابطة من الجو لا تزال تحتفظ بالجسور التي احتلتها أول ايام الهجوم .

ولم يكن في وسع الدبابات ان تعبر جسور روتردام ، اذ كان الهولنديون قد اغلقوها فيغضون ذلك من اطرافها الشمالية . وهكذا كان الوضع في صباح الرابع عشر من ايار بالنسبة للهولنديين يائساً ، وان كان الأمل لم ينقطع تماماً . فالقلعة الهولندية لم تتهشم بعد . وقد تم أسر القوات الألمانية القوية الهابطة من الجو على مقربة من لاهاي أو تشتيتها في القرى المجاورة . وما زالت روتردام صامدة . ولم تكن القيادة الألمانية العليا راضية عن الوضع نظراً لتلهفها على سحب الفرقة المدرعة العاملة هناك ، وما يعززها من قوات مناصرة ، ودفعها في مكان آخر للافادة من فرصـــة جديدة فتحت امامها في الجنوب من فرنسا . واصدر هتلر صباح الرابع عشر من ايار التوجيه الحادي عشر الذي قال فيه : « لقد برهنت قوة مقاومة الجيش الهولندي على انها اصلب مما كنا نتوقع . وتتطلب الاعتبارات السياسية والعسكرية تحطيم هـذه المقاومة في أسرع وقت ممكن » . ولكن كيف ? انه يأمر بأن تسحب وحدات من القوات الجوية العاملة في جبهة الجيش السادس في بلجيكا « لتسهيل احتلال القلعة الهولندية بالسرعة الكاملة » [١] .

واصدر هتلر وغورنغ امرهما بضرب روتردام ضرباً عنيفاً من الجو وسيحمل الهولنديون على الاقتناع بوجوب التسليم عن طريق جرعة من الارهاب النازي ،

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

تماماً كما جرى في الخريف السابق مع وارشو المحاصرة .

وعبر ضابط ركن الماني من الفيلق التاسع والثلاثين صباح الرابع عشر من ايار ، الجسر عند روتردام ، وهو يحمل علماً ابيض ليطلب استسلام المدينة . وانذر بأنه في حالة رفضها التسليم فسيجري قصفها قصفاً عنيفاً من الجو . وبينما كانت مفاوضات التسليم سائرة في طريقها المعتاد ، اذ وصل ضابط هولندي الى مقر القيادة الألمانية قرب الجسر لبحث الشروط ، وكان في طريق عودته الى المدينة حاملاً مطالب الألمان . ظهرت القاذفات الألمانية وازالت قلب المدينة العظيمة من الوجود . وقتل نحو من ثمانمائة شخص معظمهم من المدنيين كما اصيب عدة آلاف بجراح ، وبات (٧٨) الفاً بلا مأوى [١] . ولن ينس الهولنديون قط هذه الخدعة ، ولا هذه القسوة المتعمدة ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي ان كلاً من غورنغ وكيسلرنغ (من سلاح اللوفتوافه) قد دافعا عن نفسيهما في محاكات نورمبرغ بالادعاء بأن روتردام لم تكن مدينة مكشوفة ، وانما كانت مدينة يدافع عنها الهولنديون بضراوة . وقد انكر الرجلان انهما كانا يعرفان بوجود مفاوضات للاستسلام ، عندما بعثا بالقاذفات ،على الرغم من وجود دليل قوي في الوثائق الألمانية العسكرية على انهما كانا يعرفان بوجود المفاوضات [٢] . ومهما كان الموقف ، فان القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية لم تحاول العثور على مبرر في ذلك الوقت . فقد استمعت بنفسي عشية الرابع عشر من ايار الى بلاغ لهذه القيادة تذيعه محطة برلين جاء فيه :

---

١ ـ قيل في بادىء الأمر . وصدق الناس هذا القول طويلاً ، بأن ما يتراوح عدده بين الخمسة والعشرين الفاً والثلاثين الفاً من الهولنديين قد قتلوا ، وكان هذا هو الرقم الذي ذكرته « دائرة المعارف البريطانية (انسايكلوبيديا بريتانيكا) في عددها لعام ١٩٥٣» لكن الحكومة الهولندية قدمت الرقم (٨١٤) من القتلى الى محاكات نورمبرغ . (محاكات كبار مجرمي الحرب (٩) ص ١٧٥ - ١٧٧ ، ٢١٣ - ٢١٨ ، ٣٣٨ - ٣٤٠) .

٢ ـ لم تصدر اية قرارات بالتجريم في نورمبرغ بالنسبة الى قصف روتردام . (محاكات كبار مجرمي الحرب (٣٦) ص ٦٥٦) .

« أستسلمت مدينة روتردام تحت تأثير الضغط الهائل لطائرات الانقضاض الألمانية والفزع من الهجوم المتوقع في كل لحظة للدبابات الألمانية ، وانقذت نفسها باستسلامها من الدمار » .

وهكذا استسلمت روتردام اولاً ، ثم ما لبثت ان استسلمت القوات الهولندية المسلحة . وفرّت الملكة ولهلمينا واعضاء حكومتها الى لندن على ظهر مدمرتين بريطانيتين . واصدر الفريق اش.جي وينكلمان ، القائد العام للقوات الهولندية ، عندما حل غسق اليوم الرابع عشر من ايار أوامره الى الجيش الهولندي بالقاء سلاحه ، ووقع في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي وثيقة الاستسلام الرسمية . وهكذا انتهى كل شيء في غضون خمسة ايام أجل لقد انتهى القتال ، وجثم على صدر هذه الدولة الصغيرة المتحضرة والمعتدى عليها ليل من الارهاب الألماني المتوحش قدر له ان يطول خمس سنوات .

سقوط بلجيكا

ووقوع الجيوش الانكليزية ـ الفرنسية في الفخ

ما كاد الهولنديون يستسلمون ، حتى جاء دور بلجيكا وفرنسا والحملة البريطانية . وكان الرابع عشر من ايار على الرغم من انه هو اليوم الخامس من الهجوم يوم القدر بالنسبة الى الحملة كلها . ففي الليلة السابقة تمكن السلاح الالماني المدرّع من اقامة اربعة رؤوس جسور على نهر الموز المنخفض الضفة والذي تغطي الغابات الكثيفة جانبيه ، وذلك بين دينانت وسيدان ، كما احتل المدينة الاخيرة التي كانت مسرح استسلام الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث للقائد الألماني مولتيكيه في عـــام ١٨٧٠ ، والتي سجلت نهاية الامبراطورية الثالثة ، ثم هددت قلب خطوط الحلفاء تهديداً خطيراً ، اذ كانت المحور الذي التفت حوله زهرة الجيوش البريطانيـــة والفرنسية بسرعة لتقذف بنفسها في خضم بلجيكا

وانفجر التيهور الهائل في اليوم التـالي ، الرابع عشر من ايار . فقد اندفع جيش من الدبابات لم يسبق له مثيل في تاريخ الحروب في حجمه وتركيزه وحركته وقوته الضاربة عبر غابات الاردين مبتدئاً من الحدود الالمانية في العاشر من ايار ، وممتداً في ثلاثة ارتال الى مسافة مائة ميل وراء الراين ، شاقاً طريقه عبر الجيشين الفرنسيين التاسع والثاني ، غاذاً السير بسرعة هائلة ليصل الى القناة الانكليزية ، قاطعاً طريق الرجعة على قوات الحلفاء العاملة في بلجيكا . وكان هـــذا الجيش بمثابة الاله الهندي « يغرنوط » الذي يبحث عن سيادة العالم لنفسه ، باعثاً الرعب والمهابة . وكانت موجات طائرات الانقضاض من طراز « شتوكا » التي تتولى تليين المواقع الدفاعيـة الفرنسية وتخنيثهـــا ، والطائرات التي تلقي بالمهندسين العسكريين ، يقذفون على الفور زوارقهم المطاطية في الانهر ، ويقيمون جسور القوارب المتحركة عليها لعبور القنوات والانهار ، تتقدم كل فرقة من فرق العاصفة المدرعة هذه ، التي تملك الواحدة منها بالاضافة الى اسلحتها العـــادية ، المدافع الذاتية الحركة ، وكتيبة من المشاة الآلية ، لتشق طريقها الى الامـــام تتبعها الفيالق المدرعة ، التي تسير وراءها فرق المشاة الآلية لتثبيت اقدامها في المواقع التي استولت عليها الدبابات . ولم يكن في وسع المدافعين الذاهلين ، بكل ما لديهم من وسائل وقف هذه الجحافل من الفولاذ والنار ، أو منعها من التقدم واضطر الفرنسيون على جانبي دينانت الواقعة على الموز ، الى فسح الطريق امـام الفريق هيرمان هوث الذي يقود الفيلق الالماني الخامس عشر المدرّع المؤلف من فرقتين للدبابات يقود احداهما الزعيم الجريء الشاب ايروين روميل . وكان نفس الترتيب يجري تنفيذه الى الجنوب على طول النهر عند مونتيرمن ، على يدي الفريق جورج هانز راينهاردت الذي يقود الفيلق المدرع الحادي والاربعين المؤلف من فرقتين من فرق الدبابات .

لكن اعظم الضربات حلت بالفرنسيين عند سيدان ، ذات الذكريات المفجعة بالنسبة الى الفرنسيين ففي هذه الجبهة اندفعت فرقتا الدبابات اللتان يقودهمـا الفريق هاينز غودريان قائد الفيلق المدرع التاسع عشر في صباح الرابع عشر من

ايار عبر جسر من القوارب اقيم بسرعة خلال الليل فوق نهر الموز ، واتجهت نحو الغرب [١] . وعلى الرغم من المحاولات اليائسة التي قام بها السلاح الفرنسي المدرع والقاذفات البريطانية لتدمير هذا الجسر ، مما كلفها ثمناً باهظاً ، اذ خسرا اربعين طائرة بريطانية من مجموع سبعين اسقطت في غـــارة واحدة بالقذائف المضادة للطائرات ، وسبعين دبابة فرنسية ، فان الجسر ظل قائماً . ولم يحل المساء ، حتى كان رأس الجسر الالماني عند سيدان ، قد امتد ثلاثين ميلاً عرضاً وخمسة عشر ميلاً عمقاً ، بينما تمزقت القوات الفرنسية العاملة في القلب الحيوي لخطوط الحلفاء . وتحولت هذه القوات التي كانت تؤلف جيشاً منظماً في يوم ما ، الى جماعات تم تطويق بعضها ، وأسر بعضها الآخر ، بينما تراجع البعض الثالث بصورة تفتقر الى النظام . وغدت الجيوش الفرنسية والبريطانية في الشمال بالاضافة الى اثنتين وعشرين فرقة بلجيكية معرضة لخطر التطويق والعزلة عن مواصلاتها .

وكان قد خيّل الى الحلفاء بأن اليومين الأولين من المعركة الجبـــارة ، قد انتهت الى صالحهم . وخيل لتشرشل نفسه الذي اندفع بحماس منقطع النظير يتولى مسؤولياته الجديدة كرئيس للوزراء ، انه « لم يكن هناك حتى ليلة الثاني عشر من ايار » ، كما دوّن فيما بعد « أي مبرر للافتراض بأن العمليـــات لا تسير سيراً حسناً » .[٢] وكان غاملان القائد الأعلى لقوات الحلفـــاء مرتاحاً من الوضع كل الإرتياح . فلقد كانت الجيوش الفرنسية الأول والسابع والتاسع ، وهي احسن القوات الفرنسية واضخمها ، قد انضمت مع قوات الحملة البريطانية المؤلفة من تسع فرق بقيادة اللورد غورت ، في ذلك المساء الى القوات البلجيكية حسب الخطة المرسومة ، لتحمي خطاً دفاعياً منيعاً يمتد على نهر دايل من انتويرب عبر لوفان الى وامز ومنهـــا عبر ثغرة غيمبلو الى نامور وانتويرب البلجيكيتين المنيعتين في

---

١ – الف الفيلقان المدرعان اللذان يقودهما راينهاردت وغودريان ، مجموعة قوات العاصفـــة المدرعة التي يقودهـــا الفريق ايوولد فون كلايست والتي تضم خمس فرق الدبابات وثلاث فرق مشاة مدرعة .

٢ – تشرشل مذكرات الجزء الثاني ص ٤٠ .

جبهة تمتـد ستين ميلاً فقط ، قوات تفوق في عددهـا المهاجمين الألمـــان ، اذ كانت لهم ست وثلاثون فرقة مقابل عشرين فرقة يؤلفها جيش رايختاو السادس.

وعلى الرغم من ان البلجيكيين قد قاتلوا ببسالة على اطراف حدودهم الشمالية، إلا انهم لم يصمدوا فيها طويلاً كما كان يتوقع منهم ، أو كما سبق لهم ان صمدوا في عام ١٩١٤ . وكان السبب في ذلك بسيطاً، فقد عجزوا شأنهم كشأن الهولنديين الى الشمال منهم عن مواجهة الاساليب التعبوية الثورية الجديدة التي لجأت اليها القوات الالمانية المسلحة . وقد استولى الألمان هنا كما في هولندة على الجسور المهمة باستخدام مجموعة من الجنود المدربين خصيصاً لهذه الغاية، وانزالهم بجرأة عجيبة عند الفجر من طائرات عديمة الصوت . وتمكن هؤلاء الالمـان من التغلب على الحراس البلجيكيين عنـد جسرين من الجسور الثلاثة فوق قنـاة البرت وراء « ماستريخت » قبل ان يتمكن المدافعون من نسفها .

وأحرز الألمان نصراً كبيراً في الاستيلاء على قلعة « ايبين ايمايل » التي تسيطر على نقطـة التلاقي بين نهر الموز وقناة البرت . وكان الحلفـاء والالمان على حـد سواء يعتبرون هذه القلعة العصرية ذات المركز الاستراتيجي الهام، اعظم تحصين منيع في اوروبا ، يفوق في مناعته أي شيء تمكن الفرنسيون من بنائه في خط ماجينو أو الالمان من اقامته في الجدار الغربي . وقـــد اقيمت هذه التحصينات على شكل سلسلة من الاروقة المشادة من الفولاذ والاسمنت المسلح ، تمتد عميقاً تحت الارض . وقد حميت ابراج مدافعها بالدروع الثقيلة يقوم وراءها الف ومائتا جندي . وكان من المنتظر ان تصمد هذه القلعة الجبارة أمام اشـــد القنابل والقذائف المدفعية الضخمة. ولكنها سقطت بعد ثلاثين ساعة في يد ثمانين جندياً المانياً يقودهم عريف ، هبطوا على سطحها في تسع طائرات لا محركات لها . ولم تزد خسائرهم الإجمالية على ستة قتلى وتسعة عشر جريحاً . وانني لأذكر ، وانا في برلين آنذاك ، ان القيادة العليا للقوات المسلحة قد اضفت شيئاً من الغموض والسرية على المشروع ، اذ أعلنت في بلاغ خاص صـدر عشية الحادي عشر من ايار ان القوات الالمانية قد استولت على قلعة « ايبين ايمايل » بوسيلة جديدة من

وسائل الهجوم . وادى هذا البيان الى انتشار الشائعات ،التي شعر غوبلز بالفرح الزائد ، من توسعها ، بأن الألمان يستعملون « سلاحاً سرياً » جديداً ومميتاً ، قد يكون من غازات الاعصاب التي تشل المدافعين مؤقتاً وتفقدهم كل قدرة على الحركة .

لكن الحقيقة كانت أقل شعرية من ذلك كله فلقد اقام الألمان بما عرف عنهم من ميل الى الاهتمام بجميع الدقائق في كافة اعداداتهم ، في شتاء عام ١٩٣٩ — ١٩٤٠ في موقع هيلدشايم، صورة اصطناعية للقلعة وللجسور عبر قناة البرت، ودربوا نحواً من اربعمائة جندي من الذين تحملهم الطائرات التي لا محركات لها ، على احتلالها . وتقرر ان يعهد الى ثلاث مجموعات باحتلال الجسور الثلاثة وان يعهد الى المجموعة الرابعة باحتلال القلعة . وقد هبطت هذه المجموعة المؤلفة من ثمانين رجلاً على سطح القلعة ، ووضعت في ابراج المدافع المدرعة متفجرات « مجوفة » اعدت خصيصاً لهذه الغاية تمكنت من تعطيل هذه المدافع ونشرت ألسنة اللهيب والغازات في الغرف القائمة في الداخل .واستخدمت قاذفات تحمل اللهيب ايضاً في فوهات المدافع وفتحات المراقبة . وقد تمكن الألمان في غضون ساعة من الوصول الى الاروقة العليا ، وابطلوا مفعول المدافع الخفيفة والثقيلة الموجودة في القلعة الفظيعة ، كما حالوا دون تمكن مراكز المراقبة من اداء واجبها . وحاول المشاة البلجيكيون المتركزون وراء القلعة ، عبثاً ان يخرجوا الفئة الصغيرة المهاجمة من مراكزها ولكن طائرات «شتوكا» المنقضة والتعزيزات التي تلقاها المهاجمون من المظليين قد حالت بينهم وبين تحقيق غايتهم . ولم يحل صباح الحادي عشر من ايار حتى كانت الوحدات المدرعة الأمامية التي راحت تنهب الأرض فوق الجسرين السليمين القائمين في الشمال ، قد وصلت الى القلعة واحاطت بها ، وبعد قصف آخر من طائرات شتوكا ،وقتال بالسلاح الابيض في الأنفاق الواقعة تحت الارض ، رفع المدافعون عند الظهر علم التسليم الابيض ،

وخرج ألف ومائتا جندي بلجيكي، غلبتهم الحيرة والدهشة يسلمون انفسهم[١].

وادى هذا العمل الحربي الرائع، مع ما رافقه من احتلال الجسور وعنف الهجوم الذي قام به جيش الفريق فون رايخناو السادس يعززه الفيلق المدرع السادس عشر المؤلف من فرقتي دبابات وفرقة مشاة آلية بقيادة الفريق هوبنر، الى اقتناع القيادة العليا للحلفاء، بأن الجناح الايمن، هو الذي يحتمل كما احتمل في عام ١٩١٤، اعباء الثقل الرئيسي في الهجوم الألماني العام، وانها، اي هذه القيادة مقتنعة من الوسائل الصالحة التي اتخذتها لوقفه. وبالفعل ظلت القوات البلجيكية والبريطانية والفرنسية حتى عشية الخامس عشر من ايار صامدة بقوة على خط دايل من انتويرب الى نامور.

وكان هذا ما تريده قيادة الألمان العليا. واصبح من الممكن بالنسبة اليها الآن ان تسارع الى تنفيذ خطة مانشتاين، وان توجه ضربتها الهائلة في الوسط. وتمكن الفريق هولدر، رئيس هيئة اركان حرب الجيش الألماني من تفهم الوضع وما فيه من فرص، بوضوح عشية الثالث عشر من ايار... ولذا دوّن في يومياته يقول:

«في وسعنا ان نعتمد الى الشمال من نامور على تركيز كامل لنحو من (٢٤) فرقة بريطانية وفرنسية و (١٥) فرقة بلجيكية. ونحن نملك مقابل هذه القوى جيشنا السادس الذي يضم نحواً من خمس عشرة فرقة في الجبهة وست فرق في الاحتياط... ونحن قادرون هناك على احباط أي هجوم قد يقوم به العدو. ولسنا في حاجة

---

١ – للوصول الى معلومات اكثر تفصيلا، راجع كتاب وولتر – ميلتزر «قناة البرت وقلعة ايبين – ايمايل» وكتاب رودولف ويتزيغ (احتلال حصن ايبين ايمايل) (كان الملازم ويتزيغ هو المنتدوب لقيادة العملية ولكن خللاً طرأ على طائرته التي لا محرك لها أخره عن الوصول الا بعد ان كان رجاله بقياد العريف وينزيل قد حققت رسالتها) وكتاب الفريق فان اوفرستريتن (من البرت الأول الى ليوبولد الثالث - بلجيكا الرواية الرسمية لما حدث). وكتاب تيلفورد تيلور «زحف الفتح» ص ٢١٠ - ٢١٤.

الى المجيء بأية قوات جديدة . أما الى الجنوب من نامور فنحن نواجه عدداً اضعف ، اذ لا تبلغ قوته نصف ما لدينا من قوات هناك . وستقرر نتيجة الهجوم في الموز مصير المعركة كلها ، إذا عرفنا كيف ومتى يجوز لنا استغلال تفوقنا . ولا يملك العدو وراء هذه الجبهة اية قوات تستحق الذكر .

أجل لم تكن هناك قوات تستحق الذكر وراء هذه الجبهة ، التي تحطمت في اليوم التالي .

وطار رئيس الوزراء تشرشل في السادس عشر من ايار الى باريس ليرى بنفسه ماذا حدث . وعندما كان يقطع شوارع باريس بسيارته بعد ظهر ذلك اليوم متجهاً الى «الكي دورسيه» لمقابلة رينو ، رئيس الوزراء الفرنسية والفريق غاملان ، كانت رؤوس رماح الارتال الألمانية المدرعة قد غدت على بعد ستين ميلاً الى الغرب من سيدان ، وهي تتوغل في الارض العراء التي لا دفاع فيها . ولم يكن هناك ما يحول بينها وبين الوصول الى باريس أو الى بحر المانش ولكن تشرشل لم يكن يعرف هذه الحقيقة . وراح يسأل غاملان قائلاً : « واين القوات الاحتياطية الاستراتيجية ؟ » ثم تحوّل الى القوات الفرنسية قائلاً « واين قوات المناورة » . وراح القائد العام لقوات الحلفاء يلتفت اليه وهو يهز رأسه قائلاً ويحرك كتفيه : « ليست لدينا قوات احتياطية أو قوات المناورة » [1] .

وقال تشرشل في مذكراته : « ووجمت ولم استطع ان انبس ببنت شفة » . فلم يسبق لانسان ان سمع بأن جيشاً عظيماً كالجيش الفرنسي لا يحتفظ بقوات احتياطية ليواجه بها أي هجوم يتعرض له . وعاد تشرشل يقول : واني لأعترف بأن هذه المفاجئة كانت من اعظم ما مررت به من مفاجئات

---

١ ـ روى غاملان بعد انتهاء الحرب ان رده كان « لم يعد لدينا قوات احتياطية أو المناورة » (عدد ٢١ تشرين الثاني عام ١٩٤٩ من صحيفة اورور الفرنسية) .

في حياتي » . [١]

ولم تكن هذه المفاجئة أقل غرابة للقيادة العليا الألمانية او لهتلر ولفرقاء القيادة العليا للقوات المسلحة على الأقل ان لم تكن لهولدر . فلقد تردد الفوهرر الذي أدار بنفسه الحملة في الغرب ، مرتين في هذه الحملة . وكانت المرة الأولى في السابع عشر من ايار عندما واجهته ازمة عصبية حادة . فقد تلقى غودريان الذي كان قد قطع ثلث الطريق نحو المانش ، بفيلقه المدرع أمراً بالتوقف في موضعه ، اذ كان السلاح الجوي الألماني قد نقل معلومات الى القيادة العامة بأن الفرنسيين يعدون هجوماً مضاداً ضخماً لقطع « الشقين » المدرعين الألمانيين النحيلين اللذين امتدا الى الغرب من سيدان . وتشاور هتلر بسرعة مع قائد جيشه براوختش ومع رئيس اركان حربه هولدر وكان على يقين من تزايد تهديد فرنسي خطير من ناحية الجنوب . وأيده في رأيه هذا رونشتادت قائد مجموعة الجيوش (ا) وهي القوة الرئيسية التي احدثت « الاختراق » عند نهر الموز ، عندما اشترك في المشاورات في ساعة متأخرة من ذلك اليوم . وقال انه يتوقع « هجوماً مضاداً مباغتاً وعظيماً تقوم به قوات فرنسية ضخمة من منطقتي فردان وشالون على نهر المارن » . وبدت امام عقل هتلر المحموم صورة معركة اخرى كمعركة « المارن » في الحرب الاولى . وراح يكتب الى موسوليني في اليوم التالي : « انني حريص كل الحرص ، على ان لا تعود معجزة المارن الى الظهور من جديد [٢] .

ودوّن هولدر في يومياته مساء السابع عشر من ايار يقول :

« كان يوماً مزعجاً . فالفوهرر متوتر الاعصاب للغاية . فهو قلق على نجاحه ، لا يريد ان يغامر بشيء ويصر على كبح جماحنا . وهو

---

١ - تشرشل - مذكرات الجزء الثاني ص ٤٦ - ٤٧ .

٢ - من هتلر الى موسوليني في ١٨ ايار ١٩٤٠ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٩) ص ٣٧٤ - ٣٧٥).

يتذرع بأن كل ما يقلقه ناجم عن وضع الجنـــاح الأيسر . وهو لم يأت لنا بشيء جديد الا الحيرة والشكوك » .

ولم يظهر أي تحسن في مزاج سيد الحرب النازي في اليوم التالي ، على الرغم من الانباء الهائلة التي وصلت عن انهيار فرنسا . وسجل هولدر الأزمة في يوميته للثامن عشر من ايار قائلاً :

« ان الفوهرر يحس بقلق لا يكاد يوصف حول وضع الجنـــاح الجنوبي . فهو يصرخ ويثور قائلاً بأننا نوشك على اتلاف العملية كلها وبأننا نتجاهل ما للهزيمـــة من أخطار . انه لا يريد ان يشترك في مواصلة الزحف غرباً فكيف بالزحف الى الجنوب الغربي ، ويصر على فكرة الاندفاع نحو الشمال الغربي. ولعل هذا الموضوع هو الذي يخلق مناقشات وخلافات مزعجة بين الفوهرر من ناحيـــة وبين براوختش وبيني من الناحية الثانية » .

وسجل الفريق يودل من رجال القيادة العليـا للقوات المسلحة ، وهو الرجل الذي يؤمن بأن الفوهرر لا يخطىء ابداً ، هذا الخلاف بين الكبـــار في يوميته بتاريخ الثامن عشر من ايار قائلاً :

« اشتد التوتر اليوم ، لم يقم براوختش القائد العام بتنفيذ عزمه في اقامة موضع التفافي جديد بأسرع وقت ممكن باتجاه الجنوب.. وقد استدعى الفوهرر براوختش وهولدر فوراً وأمرهما بحزم باتخاذ الاجراءات اللازمة فوراً » .

ولكن هولدر كان مصيبـــاً في رأيـه ، اذ لم يكن لدى الفرنسيين قوات يستطيعون بها ان يشنوا هجوماً مضاداً من الجنوب . وعلى الرغم من ان الفرق المدرعة ، وهي التي تحترق غيظاً وكمداً ، قد تلقت اوامر ، بأن لا تفعل شيئاً سوى التقدم « بقوات استطلاعيـة » ، الا ان هذه القوات كانت كافية وحدهـــا للضغط باتجاه القناة الانكليزية . ولم يحل صباح التاسع عشر من ايار حتى كانت سبع فرق مدرعة ، قد احدثت فجوة كبيرة في صفوف الحلفاء ، ومضت مسرعة

الى الغرب ، في شمال نهر السوم ، عابرة بمسارح المعارك الكبرى التي دارت في الحرب الكونية الأولى ، والتي رويت القصص الكثيرة عنهـــا وغدت على بعد خمسين ميلاً من القناة. وفوجىء مقر قيادة هتلر عشية العشرين من ايار، بوصول الفرق المدرعة الثانية الى مدينة ابيفيل عنـــد مصب السوم . وهكذا سقطت القوات البلجيكية والحملة البريطانية كلها وثلاثة جيوش فرنسية في الفخ وراح يودل يدوّن في يومياته في تلك الليلة :

« يكاد الفوهرر يطير من الفرح . انه يتحدث معرباً عن تقديره العظيم للجيش الالماني وقيادته . انه يعد الآن معاهدة الصلح ، التي تنطوي على الانغام التي طالما رددها عن عودة الأراضي التي سرقت من الشعب الألماني منذ اربعمائة عام ، كما تنطوي ايضـاً على الفوائد الكثيرة ...

« وتوجد مذكرة خـاصة في الملفات تحتوي على العبارات التي تخنقها العواطف، والصادرة عن الفوهرر ،عندما تلقى النبأ الهاتفي من القائد العام للجيش عن احتلال بلدة ابيفيل» .

وكان الأمل الوحيد للحلفاء للخلاص من هذا الطوق الذي يهددهم بالكارثة هو ان تتجه الجيوش الموجودة في بلجيكا فوراً نحو الجنوب ، متخلية عن القتال الذي كانت تشتبك فيه مع الجيش الألماني السادس الذي يهاجمها هناك ، وان تحاول شق طريقها عبر الفجوة الألمانية المدرعـــة التي تمتد في شمال فرنسا نحو الساحل ، لتصل الى القوات الفرنسية الجديدة التي اخذت في الاندفاع شمالاً من السوم .وكانت هذه الخطة هي ما تضمنها الأمر الذي اصدره الفريق غاملان فعلاً في صباح التاسع عشر من ايار ، ولكنه نحي عن منصبه في المساء ، ليخلفه فيـه الفريق مكسيم ويغان الذي الغى ذلك الأمر فوراً . وأراد ويغان الذي كان يتمتع بشهرة عسكرية ضخمة حققها في الحرب الكونية الأولى، ان يتشاور اولاً مع قادة الحلفاء في بلجيكا قبل ان يصل الى القرار الذي سيتخذه بصدد ما يفعله. وأدى هذا الوضع الى ضياع ثلاثة ايام قبل ان يصل ويغان الى عين الخطة التي سبق

لسلفه غاملان ان قررها . وكان هذا التأخير باهظ الثمن والتكاليف. فلقد كانت هناك اربعون فرقة فرنسية وبريطانية وبلجيكية تمرست على الحرب في الشمال، ولو وجهت هذه القوة الضخمة ضربتها باتجاه الجنوب عبر الخط الألماني «الرقيق» في التاسع عشر من ايار كما أمر غاملان ؛ لكان نجاحها في اختراق الطوق كبير الاحتمال ولكن عندما شرعت هذه الجيوش في العمل بعد فترة التأخر، كانت المواصلات بين القيادات المختلفة من فرنسية وبريطانية وبلجيكية، قد غدت في حالة من الفوضى، وكانت جيوش الحلفاء المتعددة التي اشتد الضغط عليها قد بدأت تعمل في اهداف متعارضة . ولكن خطة ويغان ظلت فكرة في عقل القائد، اذ لم تكن هناك قوات فرنسية تستطيع الاندفاع شمالاً من السوم

وكانت القيادة العليا الألمانية قد قذفت في غضون ذلك بكل ما توافر لديها من قوات المشاة لتعزيز « الثغرة » المدرعة وتوسيعها. ولم يحل الرابع والعشرون من ايار حتى كانت دبابات غودريان الزاحفة من ابيفيل مع ساحل القناة الانكليزية قد استولت على بولون وحاصرت كاليه وهما الميناءان الرئيسيان . ثم وصلت الى « غريغلاين » التي تبعد نحو عشرين ميلاً على الساحل من دنكرك . وكانت الجبهة في بلجيكا قد تحركت نحو الجنوب الغربي نتيجة محاولة الحلفاء الخلاص من الطوق هناك. وهكذا لم يحل الرابع والعشرون من ايار حتى كانت الجيوش البريطانية والفرنسية والبلجيكين في الشمال قد حصرت في مثلث صغير نسبياً، قاعدته على ساحل القناة الانكليزية تمتد في « غريغلاين » الى «تيرنوزين» ورأسه عند فالينيين التي تقع على بعد سبعين ميلاً الى الداخل . ولم يعد ثمة امل في النجاة من الطوق، وبات الأمل الوحيد، رغم ضآلته هو الجلاء بحراً من دنكرك .

وفي هذه اللحظة الحرجة، في الرابع والعشرين من ايار، تلقى السلاح الألماني المدرع، الذي بات الآن على مرأى من دنكرك، وقد وقف على طول قناة « أ آ » بين « غريغلاين » وسنت اومير على استعداد لتوجيه الضربة القاضية الأخيرة، أمراً غريباً، لم يستطع الجنود في الميدان فهمه او تفسيره . يقضي

بالتوقف عن الزحف وكان هذا الأمر اول خطأ رئيسي ارتكبته القيادة العليا الألمانية في الحرب الكونية الثانية وغدا موضع الجدل العنيف لا بين القادة الألمان وحدهم ، بل بين المؤرخين العسكريين الذين راحوا يستقصون المسؤول عن اصداره والسبب في صدوره . وسنعود الى هذا الموضوع بعد لحظة على ضوء ما لدينا من معلومات متوافرة الآن ومهما كانت الاسباب التي ادت الى هذا الأمر بالوقوف ، فقد اتاح للحلفاء فرصة هي اشبه ما تكون بالمعجزة لم تنقذ البلجيكيين ابداً .

استسلام الملك ليوبولد

استسلم ليوبولد الثالث ملك البلجيك في الساعات المبكرة من صباح الثامن والعشرين من ايار . فهذا الملك الشاب ، الصعب المراس ، الذي اخرج بلاده من حظيرة التحالف مع فرنسا وبريطانيا مؤثراً عليه الحياد الاحمق ، والذي رفض ان يعيد هذا التحالف حتى في الاشهر التي كان يعرف فيها خير معرفة ان الألمان يعدرن العدة لهجوم ضخم عبر حدوده ، والذي استنجد في اللحظة الاخيرة ، وبعد ان وجه هتلر ضربته اليه . بالبريطانيين والفرنسيين طالباً مساعدتهم التي تلقاها فعلاً ، راح الآن يتخلى عنهم في ساعة محنتهم ، ويفتح الطريق امام الفرق الألمانية لتنصب على جناح القوات الانكليزية - الفرنسية المتعرضة للضغط الشديد . ومع ذلك ، فقد قام بهذا العمل كما ذكر تشرشل لمجلس العموم في الرابع من حزيران دون أية مشورة سابقة معنا ، ودون مهلة انذار كافية . ودون نصيحة من وزرائه وانما بحافز شخصي منه » .

وليس ثمة من شك في انه قام بهذا العمل ضد رغبة حكومته الجماعية التي كان قد اقسم يميناً دستورياً على اتباعها ولقد عقدت في الساعة الخامسة من صباح اليوم الخامس والعشرين من ايار جلسة عاصفة في مقر قيادة الملك ،

شهدها بالاضافة اليه ثلاثة من اعضاء حكومته وبينهم رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وقد حثوه لآخر مرة ، على عدم الاستسلام شخصياً لئلا يصبح اسيراً عند الالمان ، اذ لو فعل ذلك لانحطت منزلته الى منزلة «الدكتور هاشا» في براغ . وقد ذكروه ايضاً بأنه رئيس دولة وقائد عام للجيش وبأنه اذا ساءت الأمور الى الحد الأقصى فإن في وسعه ان يمارس صلاحياته في المنفى ، كما تمارسها ملكة هولندة وملك النروج ، الى ان يتحقق النصر النهائي للحلفاء .

ورد ليوبولد قائلاً : « لقد قررت البقاء . فقضية الحلفاء خاسرة » [1]

وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر السابع والعشرين من ايار ، اوفد الملك الفريق ديروسو نائب رئيس هيئة الأركان العامة ليطلب الهدنة من الألمان. وعاد الفريق في الساعة العاشرة يحمل شروط الألمان وهي تنص على « ان الفوهرر يطلب القاء السلاح دون قيد او شرط » . وقبل الملك بالاستسلام غير المشروط في الساعة الحادية عشرة مساء واقترح ان يتوقف القتال في الرابعة صباحاً . وهذا ما تم بالفعل .

واستنكر رينو رئيس وزراء فرنسا استسلام ليوبولد استنكاراً غاضباً في خطاب عنيف ألقاه من الاذاعة ، واذاع بييرلو رئيس وزراء بلجيكا رسالة مماثلة من باريس ولكن في عبارات اكثر تهذيباً ، وابلغ الشعب البلجيكي بأن الملك قد اتخذ قراره ضد نصيحة حكومته الجماعية ، وانه قد قطع صلاته بشعبه ، ولم يعد في وضع يمكنه من الحكم ، وان الحكومة البلجيكية في المنفى ستواصل القتال. وتحفظ تشرشل عندما القى خطابه في مجلس العموم في الثامن والعشرين من ايار في حكمه على عمل الملك ليوبولد ، ولكنه عاد فاشترك في حملة الانتقاد العامة في خطابه في الرابع من حزيران

---

(١) رواية الملك ورئيس وزرائه عن الاجتماع في التقرير الرسمي للحكومة البلجيكية (الملاحق . ص٦٩ — ٧٥) وقد نقلها بول رينو رئيس وزراء فرنسا . كتابه (حمأة المعركة) ص ٤٢٠ - ٤٢٥ .

واستمر الجدال حول هذا الموضوع طويلاً بعد ان انتهت الحرب . وكان هناك الكثيرون داخل بلجيكا وخارجها من الناس الذين دافعوا عن ليوبولد ، واعتقدوا بأنه قد فعل الشيء الصحيح والكريم والشريف ، في اشتراكه مع شعبه في مصيره ومصير جنوده وقد طبلوا كثيراً وزمروا ، للزعم القائل بأن الملك لم يقم بعمله هذا في الاستسلام كرئيس دولة ، وانما كقائد عام للجيش.

وليس ثمة من خلاف في ان القوات البلجيكية المحطمة كانت في وضع يائس في السابع والعشرين من ايار . وكانت هذه القوات قد وافقت شهامة منها وبسالة على توسيع جبهتها رغبة منها في تحرير البريطانيين والفرنسيين لتمكينهم من شق طريقهم جنوباً . ولكن هذه الجبهة . المتوسعة كانت تنهار بسرعة على الرغم من قتال البلجيكيين قتالاً حروناً عنيداً. ولم يكن ليوبولد قد ابلغ كذلك بأن اللورد غورت قد تلقى في السادس والعشرين من ايار – أوامر من لندن ، للانسحاب من دنكرك ، وانقاذ ما يمكن انقاذه من قوات الحملة البريطانية . وهذا جانب واحد من المناقشة ولكن هناك جانباً آخر لها . فالجيش البلجيكي كان تابعاً لقيادة الحلفاء المشتركة ، وقد قام ليوبولد بعقد هذا الصلح المنفرد دون استشارة هذه القيادة. ويقول المدافعون عنه انه ابرق في السابع والعشرين من ايار وفي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر الى اللورد غورت يقول له انه سيجد نفسه مضطراً عما قريب « للاستسلام لتجنب الانهيار » . ولكن القائد البريطاني المنهمك في انسحابه والدائم الحركة في تلك الآونة لم يتلق هذه البرقية . وقد شهد فيما بعد انه سمع لأول مرة بالاستسلام بعيد الساعة الحادية عشرة من مساء السابع والعشرين من ايار ووجد نفسه « فجأة يواجه ثغرة اتساعها عشرين ميلاً بين ايبرس والبحر ، يستطيع العدو النفاذ منها للوصول بقواته المدرعة الى الشاطىء »[1] . ووصلت الانباء الى الفريق ويغان ، وهو القائد الاعلى عسكرياً للملك بوصفه قائد الحلفاء الاعلى ، من ضابط الارتباط الفرنسي في مقر القيادة البلجيكية بعد الساعة السادسة مساء وقد اصابته على

---

١ – رسائل اللورد غورت ملحق الجريدة الرسمية البريطانية – لندن عام ١٩٤١ .

حد قوله فيما بعد « كالصاعقة الهابطة من السماء ، اذ لم يكن قد تلقى انـذاراً مسبقاً عنها من قبل .. » [1]

واخيراً، كان من الواجب على ليوبولد حتى بوصفه قائداً اعلى للقوات المسلحة، ان يقبل بنصيحة حكومته وذلك طبقاً للاعراف الدستورية في بلجيكا كبلد ديموقراطي ولم يكن بوسعه لا في هذه الصفة ولا بوصفه رئيساً للدولة ، ان يستسلم بقرار منه وحده . وقد اصدر الشعب البلجيكي ، وهذا حق من حقوقه، الحكم على ملكه . اذ لم يستدع للعودة الى العرش من سويسرة التي لجأ اليها بعد انتهاء الحرب ، إلا بعد مرور خمس سنوات من اقامته فيهـــا . وعندما جاءته الدعوة في العشرين من تموز عـام ١٩٥٠ ، اثر اقتراع (٥٧) في المائة من مجموع المقترعين في الاستفتاء العام الى جانب دعوته ، اثار رجوعه الى البلاد رد فعل عنيف بين السكان الى الحد الذي هدد بنشوب حرب اهلية، مما ارغمه على التنازل عن العرش لمصلحة ولده .

ومهما قيل عن سلوك ليوبولد ، فليس ثمة من خلاف ، مع وجود بعضه فعلاً، في الطريقة الرائعة التي حارب بها جيشه [2] . وكنت قد لحقت بجيش رايخناو السادس بضعة ايام من شهر ايار عـبر الاراضي البلجيكية ورأيت العناد الذي ابداه البلجيكيون في قتالهم ضد قوات تفوقهم عدداً بشكل هائـل . ولم تنهر مقاومتهم مرة واحدة أمام هذا القصف الجوي الذي تعرضوا له دون ان تتهيأ لهم سبل مقاومته على الرغم من وحشيته، ولا امام السلاح الألماني المدرع عندما حاول اختراق صفوفهم . ولا يمكن ان يقال هذا القول بالنسبة الى قوات معينة أخرى من قوات الحلفاء في تلك الحملة . فلقد صمد البلجيكيون ثمانية عشر يوماً، وكان من الممكن ان يصمدوا مدة اطول ، لولا انهم كقوات الحمـلة البريطانية

---

١ – ويغان – « دعي الى الخدمة العسكرية » ص ١٢٥ - ١٢٦ .

٢ من بين الذين خالفوا هـذا الرأي الفريق السير الان بروك الذي كان يتولى قيادة الفيلق الثاني في الحملة والذي اصبح المشير اللورد الان بروك ، رئيس هيئة اركان حرب الامبراطورية . راجع كتاب السير ارثر برابانت (تحول التيار) المستند الى يوميات الان بروك .

وجيوش فرنسا الشمالية ، قـــد وقعوا في فخ لم يكونوا هم المسؤولون عن السماح بوجوده .

المعجزة في دنكرك

شرعت الامبرالية البريطانية بايعاز شخصي من تشرشل ، منذ العشرين من ايار عندما شقت دبابات غودريان طريقهـا الى ابيفيل عـلى البحر ، في تجميع البواخر اللازمة للقيام بجلاء محتمل لقوات الحملة البريطانية وغيرها من القوات الحليفة الاخرى من موانىء القناة وبدأ نقل الموظفين غير المحاربين وغيرهم من اصحاب « الافواه التي تأكل » والذين لا ضرورة لوجودهم عبر البحر الضيق الى بريطانيا فوراً .وعندما حل الرابع والعشرون من ايار ، كانت الجبهة البلجيكية في الشمال ، كما ذكرنا آنفاً على وشك الانهيار ، وكان السلاح الألماني المدرع في الجنوب والمتجه مع الساحل من ابيفيل ، قد وصل بعد الاستيلاء على بولون وتطويق كاليه الى قناة (أ آ) التي تبعد عشرين ميلاً فقط عن دنكرك . وقد حاصر الألمان في هذا الطوق الذي ضربوه الجيش البلجيكي بكامله ، وتسع فرق من الحملة البريطانية وعشر فرق من الجيش الفرنسي الأول ، وعـلى الرغم من وعورة الارض في الطرف الجنوبي من هذا « الجيب » ، وعدم صلاحها للدبابات بالنظر الى تشابك القنوات فيها ووفرة الاخاديد والمناطق التي تغمرها المياه ، الا ان فيالق غودريان ورينهارد المدرعة تمكنت من اقامة خمسة « رؤوس جسور » عبر العائق الرئيسي وهو قناة (أ آ) بين « غريفلاين على البحر وسنت أومير » وكانت تستعد لتوجيه الضربة القاضية التي تحصر جيوش الحلفاء بين مطرقتها وبين سندان الجيشين الألمانيين السادس والثامن عشر المندفعين جنوباً من ناحية الشمال الشرقي ، وللقضاء عليها قضاء مبرماً .

وفجأة وفي مساء الرابع والعشرين من ايار صدر الأمر الفجائي من القيادة العليا باصرار من هتلر الذي ايده كل من رونشتادت وغورنغ ،ورغم اعتراضات

براوختش وهولدر العنيفة ، بوقف قوات الدبابات على خط القناة ، وعدم القيام بأية محاولة للتقدم . وقد اتاح هذا التوقف للورد غورت فرصة جوهرية لم يكن يتوقعها . وسرعان ما استغلها الاسطول والسلاح الجوي البريطانيان اكبر استغلال ، وغدت على حد تعبير رونشتادت فيما بعد ، اثر انبلاج الحقيقة امامه « احدى نقاط التحول العظيمة في الحرب »

فكيف صدر هذا الأمر بالتوقف عندما كان الألمان على عتبة ما كان يبدو كشيء مؤكد ، اكبر نصر تحرزه المانيا في هذه الحملة ؟ وما هي الأسباب التي أدت الى صدوره يا ترى ؟ ومن المسؤول عن صدوره ؟ انها اسئلة اثارت اعظم المناقشات المتعلقة بالحرب بين القادة الألمان من ذوي العلاقة ، وبين المؤرخين ايضاً . لقد انحى القادة العسكريون يقودهم رونشتادت وهولدر باللوم على هتلر كلية . وصب تشرشل الزيت على النار التي اشعلها هذا الجدال في المجلد الثاني من مذكراته عن الحرب ، عندما ذكر ان المبادرة الى هذا الأمر صدرت عن رونشتادت نفسه لا عن هتلر ، مستنداً في قوله هذا على الأدلة التي استخلصهامن يوميات الحرب في مقر قيادة رونشتادت . وكان من الصعب علي في خضم هذه الأقوال المتباينة والمتضاربة ، أن أصل الى الحقائق أو أتثبت منها . ورأيت وانا أعد هذا الفصل ان اكتب الى الفريق هولدر اطلب اليه ايضاحات اخرى عن الموضوع وقد تلقيت منه رداً كريماً ومسهباً . وعلى ضوء هذه الرسالة،وعلى ضوء الأدلة الأخرى التي اصبحت متوافرة الآن ، بات في مكنتي ان أصل الى استنتاجات معينة قد تضع حداً لهذا الجدل ، ان لم يكن نهائياً ، فقادراً على الاقناع على الأقل .

وليس ثمة من شك في ان رونشتادت على الرغم من تأكيداته اللاحقة بعدم وجود أية مسؤولية عليه في اصدار هذا الأمر الشهير ، يتحمل على النقيض قسطاً منها مع هتلر نفسه . فلقد قام الفوهرر في صباح الرابع والعشرين من ايار بزيارة مقر القيادة العامة لمجموعة الجيوش (ا) التي يتولى رونشتادت قيادتها ، وذلك في مدينة شارليفيل . وقد اقترح رونشتادت عليه وقف الفرق المدرعة عند خط

القناة (أ آ) ، ترقباً لوصول قوات جديدة من المشاة لتعزيزها [١]. وقد وافق هتلر على هـذا الاقتراح مشيراً الى وجوب الاحتفاظ بالسلاح المدرع للعمليـات المقبلة ضد الفرنسيين الى الجنوب من نهر السوم. واعلن ايضاً بأنه في حالة تضييق مساحة الفخ الذي وقع فيه الحلفاء الى حد كبير للغاية فان هذا الضيق يؤدي الى عرقلة ما يبذله السلاح الجوي الألماني من نشاط ومن المحتمل ان يكون رونشتادت قد اصدر هذا الأمر بالتوقف بعد موافقة الفوهرر ، وذلك لأن تشرشل يروي ان الحملة البريطانية التقطت رسالة لاسلكية ألمانية تتضمن هذا الأمر في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانيـة والاربعين من ذلك الصبـاح [٢] . وكان هتلر

---

١ – لم تمنع هذه الحقيقة المستقاة من سجلات قيادة رونشتادت بين هذا القائد وبين اصدار عدة بيانات بعد الحرب يلقي اللوم فيها كلية على هتلر . فقد ذكر للرائد ميلتون شولمان ضابط المخابرات الكندي قائلاً : « لو كنت حراً فيما اعمل ، لما تمكن الانكليز من الخلاص بمثل تلك السهولة من دنكرك . ولكن اوامر هتلر نفسه كانت تقيد يدي. فبينما كان الانكليز يصعدون الى البواخر من الشطئان الرملية ، كنت مجبراً على الوقوف في خارج الميناء ، دون ان اقوم بأي عمل، وغير قادر على الحركة .. وظللت خارج المدينة ارقب الانكليز وهم يفرون ، بينما كانت الأوامر تمنع دباباتي ومشاتي من الحركة . ولا ريب في ان هذا الخطأ الذي لا يكاد يصدق ، ناجم من فكرة هتلر الشخصية عن القيادة (شولمان – الهزيمة في الغرب . ص ٤٢ - ٤٣) .

واضاف رونشتادت في وثيقة خطية قدمها الى لجنة تابعة للمحكمة العسكرية الدولية في نورمبرغ في العشرين من حزيران عام ١٩٤٦ ، يقول : حقاً لقد كان خطأ كبيراً من القائد ...وليس في وسع أي انســان ان يصف في ذلك الوقت مدى ما كنا نحس به من غضب » . وقد افضى رونشتادت ببيانات مماثلة الى ليدل هارت « الفرقاء الألمان يتكلمون ص ١١٢ - ١١٣ » ، والى محكمة نورمبرغ العسكرية في القضية التي رفعتها الولايات المتحدة ضد ليب (ص ٣٣٥٠ – ٣٣٥٣ و ص ٣٩٣١ - ٣٩٣٢) .

وقد حلل تيلفوردتيلور في كتابه « زحف الفتح » والرائد .ال.اف. ايليس في كتابه(الحرب في فرنسا والفلاندرز) ما ذكرته السجلات الألمانية عن الحادث وتوصلا الى استنتاجات مختلفة الى حد ما . ويعتبر كتاب ايليس النص البريطاني الرسمي للحملة ، ولكنه يضم وثائق المانية ايضـاً. ويعتبر تيلور الذي قضى اربع سنوات ممثلاً للنيابة العامة الامريكية في محاكمات نورمبرغ حجة في الوثائق الالمانية .

٢ - تشرشل - مذكرات - ص ٧٦ .

وروندشتادت يعقدان اجتماعاً في تلك اللحظة

على كل حال ، اصدر هتلر في تلك الليلة ، الأمر الرسمي من القيادة العليا للقوات المسلحة ، وقد دوّنه كل من هولدر ويودل في يومياتهما . وكان هولدر ، رئيس اركان الحرب يعرب عن سخطه في يومياته على هذا الأمر عندما قال :

« وهكذا تحتم على جناحنا الايسر المؤلف من السلاح المدرع والقوات الآلية ، ان يقف جامداً عـن الحركة في نصف الطريق بأمر مباشر من الفوهرر ! وعهد الى القوة الجوية بتصفية ما تبقى من قوات العدو المطوّقة ! » .

وتشير اشارة التعجب هذه التي وردت في ذيل الفقرة ، الى ان غورنغ قد تدخل مع هتلر في هذا الموضوع ، وها نحن نعرف الآن انه تدخل فعلاً . فلقد عرض على الفوهرر ان يصفّي بقواته الجوية مـا تبقى من قوات العدو ! وقد شرح هولدر في رسالته المؤرخة في التاسع عشر من تموز عـام ١٩٥٧ للمؤلف الاسباب التي حملته على هذا الاقتراح المشبع بالطموح والغرور اذ قال :

« اتضح لنا في الايام التي تلت الرابع والعشرين مـن ايار ان غورنغ كان صاحب التأثير الاكبر على هتلر في اصدار امره هذا . فلقد اعتبر الديكتاتور بسبب افتقاره الى الثقافة العسكرية ، الحركة السريعة التي قام بها الجيش والتي لم يستطع هو فهم ما تنطوي عليه من احتمالات ونجاح ، شيئاً مشؤوماً ... فلقد كان يعيش دوماً تحت سيطرة كابوس من الوهم والقلق ، بأن الانتكاس قد يحل في كل لحظة ...

« وقد استغل غورنغ الذي كان اعرف الناس بزعيمه هـذا القلق . ولذا عرض عليه ان يخوض مـا تبقى من معركة التطويق العظيمة وحيداً بقواته الجوية ، مزيلاً بذلك أي خطر قد ينجم من استخدام التشكيلات المدرعة الثمينة ... وقد عرض اقتراحه هذا لأسباب تتفق كل الاتفاق مع شخصية غورنغ الطموحة .. فلقد

اراد ان يضمن لقوته الجوية بعد تلك العمليات الرائعة التي قام بها الجيش حتى ذلك الوقت العمل الحاسم الأخير في تلك المعركة العظمى ، ليكسب امجاد النصر لنفسه امام العالم بأسره »

وراح الفريق هولدر يتحدث في رسالته بعد ذلك ، عن الرواية التي سمعها من براوختش بعد الحديث الذي دار بين الاخير وبين قائدي الطيران الفريقين ميلش وكيسلرنغ ، في سجن نورمبرغ في كانون الثاني عام ١٩٤٦ ، إذ أعلن له القائدان الطياران ...

« ان غورنغ اكد لهتلر في ذلك الوقت ايار عام ١٩٤٠ -بأن سمعته في الوطن الألماني ستتحطم الى حدٍ بعيد يصعب اصلاحه ، اذا كانت الانتصارات العظيمة التي كانت تسير سيرها الطبيعي في الجبهة ، ستعزى الى قادة الجيش الألماني وحده . ولا يمكن الحيلولة دون ذلك إلا اذا قام سلاح الطيران لا الجيش بانهاء المعركة الفاصلة».

ويتضح من هذا الى حد كبير ، ان فكرة هتلر ، التي ايدها كل من غورنغ ورونشتادت ، وعارضها كل من براوختش وهولدر معارضة عنيفة كانت تتلخص في ان يسمح للقوة الجوية ولمجموعة الجيوش (ب) التي يقودها بوك ، والتي لا تضم اية قوات مدرعة تستحق الذكر ، وان كانت تواصل دفع البلجيكيين والبريطانيين امامها ببطء نحو القناة الانكليزية ، بتصفية ما تبقى من قوات العدو في « الجيب » . ولذا تقرر ان يعهد الى مجموعة الجيوش (أ) التي يقودها رونشتادت والتي تضم سبع فرق من فرق الدبابات بالتوقف عند الخطوط المائية الى الغرب والجنوب من دانكرك ، وان تحافظ على النطاق الذي تفرضه على العدو المحصور . ولكن السلاح الجوي الألماني ومجموعة جيوش بوك ، لم يكونوا قادرين على تحقيق هذا الهدف كما ثبت فعلاً . وراح هولدر ينفث غضبه في يومياته التي كتبها في صباح السادس والعشرين من ايار قائلاً .. « ليس لهذه الاوامر الصادرة من علُ أي معنى ... ان دباباتنا تقف وكأنها مشلولة عن الحركة » .

وعاد هتلر اخيراً في مساء السادس والعشرين من ايار فألغى امر التوقف ، ووافق بالنظر الى الزحف البطيء الذي تقوم به قوات بوك في بلجيكا ، والى وصول سفن النقل البريطانية الى الشاطىء ، على ان تستأنف القوات المدرعة تقدمها نحو دنكرك . ولكن الفرصة كانت قد ضاعت ، وفات اوانها . فقد اتيح للعدو الوقت الكافي لتعزيز خطوطه الدفاعية ، وشرع ينسل في حماية هذه الخطوط نحو البحر .

ونحن نعرف الآن ان هناك اسباباً سياسية اخرى ، حدت بهتلر الى اتخاذ قراره الخطير هذا . فلقد دوّن هولدر في يومياته بتاريخ الخامس والعشرين من ايار ، وهو اليوم الذي بدأ كما قال « بواحدة من تلك المشاحنات المؤلمة التي تكررت في تلك الآونة بين براوختش والفوهرر عن الخطوات المقبلة في معركة التطويق » .. ما نصه :

« لقد كوّنت القيادة السياسية الآن الفكرة الثابتة بأن المعركة الفاصلة يجب ان لا تقع على الارض البلجيكية وانما في شمال فرنسا » .

وقد ادهشتني هذه الفقرة ، وحرت في امرها ، وكتبت الى رئيس اركان الحرب السابق ، اسأله ، اذا كان باستطاعته ان يذكر الاسباب السياسية التي حدت بهتلر الى الرغبة في انهاء المعركة في شمال فرنسا لا في بلجيكا . وقد تذكر هولدر هذه الاسباب تمام التذكر ، ورد عليّ قائلاً : « ما زالت ذاكرتي الحيّة المنتعشة تعي ان هتلر في محادثاته معنا في ذلك الوقت ، عزز الاسباب التي دعته الى اصدار أمر التوقف بخطّين فكريين أوردهما . وكان اول هذين الخطّين متعلقاً بالاسباب العسكرية ، أي بالطبيعة الجغرافية والأرضية غير الصالحة للدبابات ، مما يؤدي الى إلحاق الخسائر الكبيرة بها ، ويضعف من قوة جيشنا وطاقته في الهجوم المتوقع على ما بقي من فرنسا ... الخ ... » ويمضي هولدر فيكتب في يومياته .. قائلاً :

« وذكر الفوهرر سبباً ثانياً ، كان يعرف بأننا كجنود لا نستطيع

ان نناقشه أو نعارضه فيه لطبيعته السياسية لا العسكرية..

« فلقد قال انه لأسباب سياسية يرى ان هناك سبباً ثانياً لهذا التوقف . وهو انه لا يريد وقوع المعركة الاخيرة الحاسمة ، التي ستلحق حتماً أعظم الاضرار بالسكان في ارض يسكنها الشعب الفلمنكي (قسم من الشعب البلجيكي) . واضاف انه عازم على ان يقيم دولة اشتراكية وطنية مستقلة في الارض التي يسكنها الفلمنكيون من أصل الماني ، ليشدهم الى المانيا شداً وثيقاً . وكان مؤيدوه في الارض الفلمنكية ناشطين في هذا الاتجاه منذ أمد بعيد، وقد وعدهم بالحفاظ على اراضيهم في نجوة من ويلات الحرب واضرارها. واذا لم يحافظ على وعوده لهم ، فإن ثقتهم به ستصاب بأضرار قاسية . ولا ريب في ان مثل هذا الوضع يعتبر خسارة سياسية لألمانيا التي يتحتم عليه بوصفه الزعيم السياسي المسؤول ان يتجنبه » .

ما اغرب هذه الأقوال ؟ واذا كنا نرى في هذه الأقوال بعض الانحرافات الفكرية المفاجئة التي عرفت عن هتلر ، واذا لم تكن قد اقنعت براوختش وهولدر على حد قول الأخير ، فقد كانت هناك اعتبارات سياسية اخرى أسرّ بها الى غيرهما من الفرقاء وكانت اكثر تعقلاً وأهمية. فقد وصف الفريق غونتر بلومنتريت مدير العمليات الحربية في قيادة رونشتادت ، لليدل هارت الكاتب العسكري البريطاني ، بعد انتهاء الحرب ، المقابلة التي جرت بين هتلر ورونشتادت في الرابع والعشرين من ايار .. بقوله :

« كان هتلر في حالة مزاجية رائعة ... وذكر لنا انه يرى ان الحرب ستنتهي في ستة اسابيع واضاف انه يريد بعد ذلك ان يصل الى صلح معقول مع فرنسا وتصبح الطريق آنذاك ممهدة لعقد اتفاق مع بريطانيا ..

« وأذهلنا بعد ذلك اذ راح يتحدث باعجاب عن الامبراطورية البريطانية ، وعن ضرورة وجودها ، وعن الحضارة التي حملتها

بريطانيا الى العالم .. وقال ان كل ما يريده من بريطانيـــا هو أن تعترف بوضع المانيا في القارة الأوروبية . واضاف ان المانيا ترغب حتماً في استرجاع مستعمراتها ، ولكنها لا تعتبر هذه العودة شيئاً لا بد منه .. وانتهى من ذلك الى القول بأن هدفه هو ان يعقد صلحاً مع بريطانيـا على ان يكون من النوع الذي لا ترى فيـــه مساساً بكرامتها » [1].

وقد أفضى هتلر بمثل هذه الآراء مرات عدة في غضون الاسابيع القليلة القادمة الى قادته العسكريين والى شيانو وموسوليني ، ومن ثم علناً الى الشعب في النهاية. وأعرب شيانو عن دهشته بعد شهر ، عندما وجد الديكتاتور النازي ، وهو في أوج قوته ونجاحه ، يعزف على وتر أهمية الحفاظ على الامبراطورية البريطانيـة « كعامل اساسي في التوازن العالمي » [2] . ودوّن هولدر في الثالث عشر من تموز في يومياته ، ما رآه من حيرة الفوهرر الناطقة بالألم من جراء رفض بريطانيا قبول الصلح . وقد قال لقادته العسكريين في ذلك اليوم نفسه : « ان ارغـام انكلترا على الركوع على ركبتيها بالقوة لن يفيد المانيا ، وانما سيفيد اليـــابان والولايات المتحدة وغيرهما » .

وقد يقال على ضوء هذا الخط الفكري البادي عند هتلر ، على الرغم من تشكك البعض فيما يقال، بأن هتلر أوقف قواته المدرعة امام دنكرك ليوفر على بريطانيا اذلالاً مؤلماً ، وليسهّل عليها قبول تسوية صلحية . ولقد قال هتلر ، ان مثل هذا الصلح يجب ان يكون من النوع الذي يضمن من بريطانيا السماح للالتفات ثانية جهة الشرق ، أي ناحية روسيا في هذه المرة. وعلى لندن ان تعترف كما قال ايضاً بسيطرة الرايخ الثالث على القارة . وظل هتلر طيلة الشهرين التاليين على ثقة من ان مثل هذا الصلح في متناول يده . وكان هتلر الآن اكثر من أي وقت مضى في السنوات السالفة قد تفهم طبيعة الشعب البريطاني، أو طراز العالم الذي

---

١ – ليدل هارت ـ الفرقاء الألمان يتكلمون - ص ١١٤ ـ ١١٥ .

٢ – يوميات شيانو ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

قرر مع زعمائه ، المضي في القتال حتى النهاية .

ولم يكن هو أو قادته العسكريون ، جهلاً منهم بالبحر ، يحلمون بأن في مكنة هذا الشعب البريطاني ذي التفكير البحري ، ان يجلي نحواً من ثلث مليون انسان من ميناء صغير يتعرض لقصف متواصل ومن شطئان عارية مكشوفة تقع مبسطة امام اعينهم .

وفي الساعة السادسة والدقيقة السابعة والخمسين من مساء السادس والعشرين من ايار ، أي بعد صدور الأمر الجديد بالغاء أمر هتلر السابق بوقف السلاح المدرع ، بعثت الاميرالية البريطانية باشارة لاسلكية موعزة ببدء «عملية دينامو» وهو الاسم الرمزي الذي اطلق على عملية الجلاء عن دنكرك . واستأنف السلاح الالماني المدرع تلك الليلة هجومه على الميناء من الجنوب والغرب ، لكن هذه الفرق المدرعة لم تجد المهمة سهلة الآن . فقد اتيح للورد غورت في فترة التوقف ، ان يحشد ضدها ثلاث فرق المشاة تدعمها المدفعية القوية . ولم تحرز الدبابات الا تقدماً طفيفاً . وشرعت القوات البريطانية بالجلاء في غضون ذلك . فقد احتشدت في دنكرك قوة بحرية جبارة تضم (٨٥٠) باخرة من مختلف الاحجام والاشكال واساليب الدفع والسير ، بينها الطرادات والمدمرات والزوارق الشراعية الصغيرة والقوارب الهولندية ، وقد قام على إعدادها متطوعون مدنيون من مختلف المدن الساحلية البريطانية . وقد حملت هذه السفن في اليوم الأول أي السابع والعشرين من ايار نحواً من (٧,٦٦٩) جندياً ، ثم (١٧,٨٠٤) في اليوم الثاني و(٤٧,٣١٠) في اليوم الثالث و (٥٣,٨٢٣) في اليوم الرابع فبلغ بذلك المجموع الكلي في الايام الاربعة الاولى (١٢٦,٦٠٦) من الاشخاص . وعندما بدأت العملية ، كان المشرفون عليها يتوقعون اجلاء (٤٥) الف رجل فقط في اليومين الأولين ، اذ لم يكونوا يتصورون ان المجال سيتاح لهم لمدة اطول .

ولم تستفق القيادة العليا الألمانية لما هو واقع إلا في هذا اليوم الرابع من بدء « عملية دينامو » ، أي في الثلاثين من ايار . وكانت بلاغات هذه القيادة تؤكد طيلة هذه الايام الاربعة ، بأن مصير الجيوش المطوّقة بات محتوماً . وذكر بلاغ

صدر في التاسع والعشرين من ايار ودوّنته في يومياتي بالحرف الواحد ما يلي :
« لقد تقرر مصير الجيش الفرنسي في ارتوا . . . أما الجيش البريطاني الذي ضغط ضغطاً شديداً في المنطقة المحيطة بدنكرك فيسير ايضاً نحو دماره النهائي امام هجماتنا المركزة » .

لكنه لم يكن يسير نحو هذا الدمار في الحقيقة ، وانما كان يمضي الى البحر . ومن الحق ان يقال ، انه كان يتخلى عن اسلحته الثقيلة ومعداته ، ولكنه كان يمضي بكل تأكيد بالرجال ، الذين يستطيعون ان يعيشوا ليخوضوا الحرب في يوم آخر .

وأسرّ هولدر الى يومياته في صباح الثلاثين من ايار بأن تفسخ العدو الذي اتممنا تطويقه يستمر » . واعترف بأن بعض البريطانيين « يقاتلون بأسنانهم وأظافرهم » بينما يفرّ البعض الآخر الى الساحل محاولاً عبور القناة الى انكلترا بكل ما يتوفر له من اشياء تعوم . انها . . كارثة وانحلال « مشيراً بذلك الى رواية اميل زولا المشهورة عن انهيار فرنسا في الحرب الفرنسية - البروسية » .

وقد استفاق رئيس هيئة اركان الحرب ، بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد اجتماع مع براوختش الى اهمية هذه الاسراب من القوارب الصغيرة الحقيرة التي يستخدمها البريطانيون في فرارهم فكتب يقول :

« ان براوختش غاضب . . . كان في امكاننا ان نغلق هذا الجيب من ناحية البحر لو ان سلاحنا المدرع لم يتوقف . وقد حالت رداءة الطقس دون قيام طائراتنا بواجبها ، وعلينا ان نقف الآن وان نشهد الوف الاعداء وهم ينجون الى انكلترا تحت سمعنا وبصرنا » .

حقاً هذا ما وقع . اذ على الرغم من الضغط المتزايد الذي فرضه الألمان فوراً على جميع اطراف الجيب ، فقد صمدت الخطوط البريطانية ، وتمكنت القيادة المعادية من اجلاء عدد آخر من القوات . وكان اليوم التالي الواحد والثلاثون من ايار اضخم هذه الايام بما تحقق فيه من نتائج . فقد تم نقل (٦٨) الف بريطاني فيه الى انكلترا ثلثهم من الشطآن الرملية والثلثان الباقيان من ميناء دنكرك .

وهكذا تم اجلاء (٦٢٠ و ١٩٤) رجلاً من دنكرك ، أي ما يعادل اربعة اضعاف التقديرات الأولية .

واين كان سلاح المانيا الجوي ذو الشهرة الكبيرة ؟ لقد حال الطقس السيىء بينه وبين العمل بعض الوقت كما دوّن هولدر في يومياته . أما في الاوقات الباقية فقد واجه مقاومة لم يكن يتوقعها من السلاح الجوي الملكي البريطاني . الذي تمكن من الوقوف امامه موقف التحدي من قواعده عبر القناة لأول مرة . [1] وقد اقامت طائرات « باصقات النار - Spitfires » البريطانية الجديدة الدليل على انها تستطيع ان تقف اكثر من موقف الند من طائرات « مسرشميت » الألمانية ، وتولت اسقاط القاذفات الألمانية المزعجة . وتمكنت طائرات غورنغ في بعض الاحيان من الوصول الى سماء دنكرك في الفترات التي انقضت بين عودة سرب من الطائرات الى قواعده ، ووصول سرب آخر ، واحدثت اضراراً بالغة في الميناء ، بحيث عطلته عن العمل ، واجبرت الجنود على استخدام الشواطىء في الانتقال الى البواخر . ووجّه السلاح الجوي الألماني ايضاً هجماته العنيفة الى البواخر البريطانية وتمكن من اغراق (٢٤٣) من مجموع (٨٦١) قطعة . ولكن هذا السلاح فشل في ان ينفّذ لهتلر ما وعده به غورنغ وهو إبادة الحملة البريطانية بكاملها . وفي الأول من حزيران ، عندما قام السلاح الجوي بأعنف هجوم له ، كلفه ابلغ الخسائر ، اذ خسر كل من الجانبين الالماني والبريطاني ثلاثين طائرة ، تمكن من اغراق ثلاث مدمرات بريطانية وعدد من سفن النقل

---

١ - لم يشعر الكثيرون من الجنود البريطانيين المجهدين ، وهم على الشطئان بهذه الحقيقة نظراً لتعرضهم المستمر للقصف العنيف ، اذ ان المعارك الجوية كانت تدور دائماً فوق السحب أو على مسافات بعيدة من مدى النظر . وكل ما كانوا يعرفونه ان الطائرات الألمانية كانت تواصل قذفهم بقنابلها ، واصلائهم بنيرانها الحامية طيلة الطريق التي مروا فيها من بلجيكا الشرقية الى دنكرك وكانوا يحسون بأن قواتهم الجوية قد تخلت عنهم . وعندما وصل هؤلاء الى موانىء الوطن كان بعضهم يوجه اهاناته الى الجنود الذين يرتدون بزة الطيران . وقد حزن تشرشل لهذا حزناً شديداً ، وخرج عن طوره ليضع الامور في نصابها الصحيح عندما خطب في مجلس العموم في الرابع من حزيران . وقد قال إن « عملية الخلاص من دنكرك قد تمت بفضل السلاح الجوي » .

الصغيرة . ولكن البريطانيين تمكنوا من انقاذ (٤٢٩ و ٦٤) رجلاً وعندما حل فجر اليوم التالي لم يكن هناك في القطاع إلا نحو من اربعة آلاف بريطاني ، يتولى حمايتهم نحو من مائة الف فرنسي ،هم الذين يقومون على صيانة الخطوط الدفاعية.

واصبحت المدفعية الألمانية المتوسطة في غضون ذلك على مرمى القطاع ، وتحتم على القيادة البريطانية وقف عمليات الجلاء في وضح النهار . ولم يكن السلاح الجوي الألماني يعمل آنذاك في ظلام الليل ، ولذا فقد تمكنت هذه القيادة ليلتي الثاني والثالث من حزيران من اجلاء من تبقى من رجال الحماة البريطانية وستين الف فرنسي بنجاح بارز . أما دنكرك التي ظل نحو من اربعين الف جندي فرنسي يدافعون عنها باصرار وعناد فقد صمدت حتى صباح الرابع من حزيران . وكان نحو من (٢٢٦ ، ٣٣٨) جندياً بريطانياً وفرنسياً قد نجوا حتى ذلك اليوم من براثن الالمان . ولم يكن هؤلاء بعد نجاتهم يؤلفون جيشاً بمعنى الكلمة ، اذ كان معظمهم ، كما هو منتظر ، قد بات في حالة محزنة للغاية . ولكنهم كانوا قد خبروا الحرب والقتال ، وادركوا انهم اذا احسن تسليحهم ، وضمنوا الغطاء الجوي المناسب ، فإن في وسعهم ان يصمدوا للألمان . وقد برهن معظمهم على هذه الحقيقة عندما تحقق التوازن في السلاح ، وفي شواطىء على القناة لا تبعد كثيراً عن الشواطىء التي تم انقاذهم منها .

حقاً لقد كانت دنكرك تمثل الانقاذ للبريطانيين . ولكن تشرشل راح يذكرهم في الخطاب الذي القاه في مجلس العموم في الرابع من حزيران ان « الحروب لا تربح بعمليات الجلاء » . وكانت التكهنات بالنسبة الى بريطانيا العظمى اكثر قتاماً وظلاماً ، واشد خطورة مما كانت عليه في اي وقت مضى منذ ايام الفتح النورماني قبل نحو من الف عام . فليس لدى بريطانيا الجيش الذي يستطيع الدفاع عن جزرها . وقد منيت القوة الجوية البريطانية بخسائر بالغة في فرنسا اضعفتها . ولم يبق لها الا اسطولها ، وقد اثبتت الحملة النروجية ، ضعف البواخر الحربية الكبيرة امام الطائرات التي تعمل من قواعد ارضية . وقد باتت القاذفات الألمانية الآن على بعد خمس دقائق او عشر من القناة الانكليزية الضيقة . وما

زالت فرنسا صامدة وراء السوم والآين . ولكن خيرة جنودها وسلاحها ، قد ضاع في بلجيكا وشمالي فرنسا ، كما دمرت قوتها الجوية الصغيرة وغير الملحوظة تدميراً يكاد يكون كاملاً ، وبدأ قائداها الشهيران المشير بتان والفريق ويغان ، يسيطران الآن على حكومتها الضعيفة المترجرجة ، وهما لم يعودا راغبين في القتال ضد عدو متفوق .

وكانت جميع هذه الحقائق المرعبة ماثلة امام ونستون وتشرشل عندما نهض في مجلس العموم في الرابع من حزيران عام ١٩٤٠ ، بينما كانت آخر قوافل النقل تنزل من حملتهم من دنكرك ، وقد صمم ، كما كتب فيما بعد ، على ان يظهر لا لشعبه فحسب بل وللعالم كله ايضاً ولا سيما للولايات المتحدة الامريكية « ان اصرارنا على القتال يقوم على اسس جدية » . وكانت هذه هي المناسبة التي فاه فيها بخطابه الشهير ، الذي سيخلد التاريخ ، والذي سيظل واحداً من اشهر الخطب التي عرفها التاريخ في مختلف العصور اذ قال :

« وعلى الرغم من ان مساحات شاسعة من اوروبا ، وعلى الرغم من ان دولاً كثيرة عريقة ومشهورة ، قد سقطت ، او قد تسقط في قبضة الغستابو ، وتحت وطأة جهاز الحكم النازي الرهيب ، فإننا لن نهن ولن نستسلم ، بل سنمضي الى النهاية . وسنحارب في فرنسا وفي البحار والمحيطات ، وسنقاتل بثقة تتزايد ، وقوة تنمو في الهواء ، وسندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن غالياً . اجل سنقاتل على الشطآن ، وفي المطارات ، واماكن الهبوط . وسنحارب في الشوارع والحقول ، وفي التلال والوهاد ، ولن نستسلم . واذا قدّر ، وهذا ما لا اتصوره لحظة واحدة ، لهذه الجزيرة او لقسم كبير منها ان يسقط في يد العدو ، وتموت جوعاً . فإن امبراطوريتنا وراء البحار ، يعززها ، ويحرسها الاسطول البريطاني ، ستحمل راية النضال ، الى ان تحين ارادة الله . فيسارع العالم الجديد ، بكل ما لديه من عزم وقوة الى انقاذ العالم القديم وتحريره » .

انهيار فرنســـا

يبدو ان اصرار البريطانيين على القتال ، لم يزعج افكار هتلر قيد شعرة واحدة . وكان على ثقة من انهم سيروا صبح الحقيقة ، بعد ان ينتهي من فرنسا التي شرع الآن في إنهائها . وقد شرع الألمان في صباح اليوم الذي تـلا سقوط دنكرك ، أي في الخامس من حزيران بهجوم واسع وضخم على السوم ، وسرعان ما امتد هذا الهجوم القوي الطاغي ليشمل جبهة تمتد اربعمائة ميل عبر فرنسا كلها من ابيفيل حتى اعالي نهر الراين . وتقرر مصير الفرنسيين . ولم يكن في وسعهم ان يحشدوا امام القوات الألمانية المهاجمة التي تعد (١٤٣) فرقـة بينها عشر من الفرق المدرعة ، الا خمساً وستين فرقة معظمها من فرق الدرجة الثانية. بعد ان ضاع احسن الفرق ومعظم السلاح المدرع في بلجيكا . ولم يبـق لدى الفرنسيين الا قوة جوية لا تكاد تذكر . ولم يكن في وسع البريطانيين ان يقدموا اكثر من فرقة مشاة واحدة ، كانت ترابط في السار ، وبعض فئات من فرقة مدرعة . ولم يكن في وسع السلاح الجوي الملكي البريطاني ان يستغني إلا عن عدد ضئيل من الطائرات للاشتراك في هذه المعركة ، إلا اذا كانت بريطانيا ستترك جزرها دون وقاية جوية كافية . واصبحت القيادة العليا الفرنسية ايضاً بعد ان سيطر عليها بتان وويغان . تحت كابوس من الانهزامية . ومع ذلك فقد قاتلت بعض الوحدات الفرنسية بشيء كثير من البسالة والعناد ، متمكنة من وقف السلاح الألماني المدرع وقفاً مؤقتاً هنا وهناك ، وصامدة بإصرار امام القصف الجوي العنيف من الطيران الألماني .

لكن القتال لم يكن متكافئاً . واندفعت القوات الألمانـية تجتاح فرنسا في « فوضى النصر » على حد تعبير تيلفورد تيلور الرائع ، وكأنها موجة من موجات المد ، وقد نجمت الفوضى عن وجود اعداد كبيرة من هذه القوات ، وعـــن

سرعة حركتها ، واضطرار بعضها احياناً الى عرقلة زحف البعض الآخر .[1]
وهجرت الحكومة الفرنسية في العاشر من حزيران وبسرعة هائلة مدينة باريس، وتمكن جيش الفريق فون كويشلر في الرابع عشر من حزيران من احتلال تلك المدينة العظيمة ، التي تتمثل فيها امجاد فرنسا ، والتي تركت دون دفاع عنها . وسرعان ما راح علم « الصليب المعقوف » يرفرف على برج ايفل . واستقالت حكومة الرئيس رينو في السادس عشر من حزيران ، وكانت قد فرت الى بوردو ، وحلت محلها حكومة اخرى برئاسة بتان ، الذي راح يطلب من الألمان في اليوم التالي وعن طريق السفير الاسباني عقد الهدنة .[2] ورد هتلر في

---

١ - تيلفورد تيلور - زحف الفتح - ص ٢٩٧ .

٢ - بعث القيصر غليوم من منفاه في دورن في هولنده المحتلة في هذا اليوم السابع عشر من حزيران عام ١٩٤٠ ببرقية تهنئة الى هتلر ، بعد ان ظل امداً طويلاً يزدريه ، معتبراً اياه انساناً عادياً « حديث النعمة » . وقد عثر على هذه البرقية في الوثائق النازية المصادرة . وهذا نصها :

« متأثراً تأثراً عميقاً باستسلام فرنسا ، اغتنم الفرصة لتهنئتك وتهنئة القوات الألمانية المسلحة كلها بهذا النصر الجبار الذي شاء الله ان يمنحنا إياه ،مقتبساً عبارات الامبراطور ويلهام الاكبر في عام ١٨٧٠ عندما قال : « يا له من تحول في الاحداث جاءت به الارادة الالهية » .

« وتتردد اليوم في افئدة الألمان جميعاً اصداء ترنيمة لوثين (*) ، التي انشدها منتصرو معركة لوثين من جنود الملك العظيم عندما قالوا « لنتوجه جميعاً الى الله بالشكر » .

ولما كان هتلر يعتقد ان الفضل في هذا النصر الجبار يعود اليه لا الى الله ،اعد رداً متحفظاً على هذه البرقية التي لا يعرف احد ما اذا كانت قد ارسلت الى غليوم او لا اذ لم يظهر ذلك في الوثائق الألمانية (نص البرقية والرد في وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩)) .

وكان الفوهرر قد استشاط غضباً قبل وقت قصير ، عندما عرف بأن الوحدة الألمانية التي استولت على دورن ، وضعت حرس شرف على قصر الامبراطور المبعد عن البلاد . وسرعان ما اصدر هتلر امره برفع حرس الشرف واعلان البلدة محظورة على العسكريين الألمان . وقد توفي غليوم فيها في الرابع من حزيران عام ١٩٤١ ودفن فيها . ودون هاسيل في الصفحة (٢٠٠) من يومياته ، ان وفاته مضت دون ان يحس بها انسان في المانيا .

(*) لوثين اسمقرية في سيليزيا البولندية اشتهر امرها بالمعركة الظافرة التي انتصر فيها فريدريك الكبير على النمسويين في عام ١٧٥٧ . - المعرب -

نفس اليوم ، بأنه يجد نفسه مضطراً اولاً الى استشارة حليفه موسوليني . اذ كان هذا المحارب المزهو بنفسه ، قد سارع يقفز كابن آوى الى الحرب في العاشر من حزيران ، بعد ان تأكد من هزيمة الجيوش الفرنسية التي لا مفر منها ، ليحصل على شيء من الاسلاب .

الدوتشي يغمد خنجره الصغير

في ظهر فرنسا

وجد هتلر ، رغم انشغاله الكلي ، بمعركة الغرب التي خاضها ، الوقت الكافي لكي يكتب الى موسوليني في فترات متقاربة بشكل يثير الدهشة ، ليطلعه على سير الانتصارات الألمانية المتعاقبة .

فبعد الرسالة الأولى التي وجهها في السابع من ايار الى موسوليني ، مبلغاً اياه بأنه على وشـــك مهاجمة بلجيكا وهولندة « اضمان حيادهما » ، وبأنه سيواصل اطلاعه أولاً بأول عـــلى سير الأمور حتى يمكن الدوتشي من اتخاذ قراره في الوقت المناسب ، وجّه اليه رسائل اخرى في الثالث عشر من ايار والثامن عشر منه والخامس والعشرين وكانت كل رسالة منها اكثر تفصيلاً وحماساً من الرسالة السابقة لها . [١] وعلى الرغم من ان القادة العسكريين لم يكونوا ليكترثوا قيد شعرة ، كما تظهر يوميات هولدر ، بما ستفعله ايطاليا ، وهل ستدخل الحرب او لا ، كان الفوهرر لسبب ما يعلق اهمية كبرى على تدخل ايطاليا . وما كادت هولندة وبلجيكا تستسلمان ، والجيوش الانكليزية - الفرنسية في الشمال تتحطم وما تبقى مـن القوات البريطانية يسرع الى الزوارق في دنكرك ناجياً بجلده ، حتى كان موسوليني يقرر التسلل الى الحرب . وراح يبلغ هتلر في رسالة بعث

---

١ - نصوص الرسائل المتبادلة بين موسوليني وهتلر بين شهري ايار وحزيران عام ١٩٤٠ في وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) .

بها اليه بتاريخ الثلاثين من ايار أن موعد دخوله الحرب قد تقرر في الخامس من حزيران . وقد رد هتلر فوراً بأنه « تأثر اشد التأثر بهذا القرار » . وراح يقول في رده الذي بعث به اليه في الواحد والثلاثين من ايار ما يلي :

« اذا كان لا يزال ثمة ما يقوّي ايماني الذي لا يتزعزع بالنتيجة الظافرة في هذه الحرب ، فإن بيانك الذي بعثت به إلي ، هو هذا الشيء... وليس ثمة من ريب في ان الحقيقة المجردة المتعلقة بدخولك الحرب تؤلف عنصراً يؤدي الى اصابة جبهة اعدائنا بضربة تحملها على الترنح » .

لكن الفوهرر راح يطلب الى حليفه على أي حال ، أن يؤجل الوعد ثلاثة ايام اخرى لأنه يود ان يقضي اولاً على القوة الجوية الفرنسية . وقد استجاب له موسوليني فأجل الموعد خمسة ايام اخرى أي الى العاشر من حزيران ، واضاف ان العمليات الحربية ستبدأ في اليوم التالي .

ولكن عمليات الدوتشي الحربية لم تكن كبيرة ابداً . ففي الثامن عشر من حزيران ، عندما استدعى هتلر شريكه الصغير الى ميونيخ للبحث في الهدنة مع فرنسا ، لم تكن الفرق الايطالية الاثنتان والثلاثون قد تمكنت بعد اسبوع من القتال من تحريك قوة فرنسية صغيرة لا تعدو الفرق الست من مواضعها على جبهة الالب ، والى الجنوب على ساحل الريفييرا ، على الرغم من ان المدافعين كانوا يتعرضون آنذاك للهجوم على مؤخرتهم من القوات الألمانية المكتسحة كل ما أمامها والزاحفة مع مجرى نهر الرون [1] . ودوّن شيانو في يوميته بتاريخ

---

١ – منعت القيادة الفرنسية العليا الانهزامية ، القيام بأي عمل هجومي ضد ايطاليا . وقامت مجموعة فرنسية بحرية في الرابع عشر من حزيران بضرب المصانع ومستودعات الزيت ومعامل التكرير الايطالية القريبة من جنوة ، ولكن امير البحر دارلان حرم القيام بأي عمل آخر من هذا النوع . وعندما حاول السلاح الجوي البريطاني ان يبعث بقاذفاته من المطارات القريبة من مرسيليا لقصف ميلان وتورين ، قذف الفرنسيون بعدد من سيارات الشحن الى المطارات للحيلولة دون طيران الطائرات منها .

الواحد والعشرين من حزيران ما يلي :

« يحس موسوليني بالكثير من الذلة لأن قواتنا لم تخط خطوة واحدة الى الأمام . ولم تفلح حتى في هذا اليوم في احراز أي تقدم ، وقد توقفت امام التحصينات الفرنسية الأولى التي ابدت بعض المقاومة . »[1]

وقد تكشف ما في قوة موسوليني العسكرية التي كثيراً ما تبجح بها من خواء منذ البداية ، وقد أحال هذا مزاج الديكتاتور الايطالي القميء الى التجهم والعبوس ،عندما استقل مع وزير خارجيته شيانو القطار مساء السابع عشر من حزيران الى ميونيخ ليتشاور مع هتلر في موضوع الهدنة مع فرنسا .

وكتب شيانو في يومياته يقول :

« يبدو موسوليني ساخطاً ، فهذا الهجوم المفاجىء يثير في نفسه القلق . وقد تحدثنا اثناء الرحلة مطولاً ، لايضاح الاوضاع التي يمكن فيها منح الهدنة الى الفرنسيين . ويرغب الدوتشي في المضي بعيداً الى حد احتلال الارض الفرنسية كلها ، وتسليم الاسطول الفرنسي . ولكنه يدرك ان ليس لرأيه اكثر من قيمة استشارية . فلقد ربح هتلر الحرب دون أي اسهام عسكري فعلي من جانب ايطاليا ، ولذ فلا ريب ان الكلمة الاخيرة هي لهتلر . ويزعج هذا الوضع بدهياً موسوليني ويبعث في نفسه الاسى » .

وكان لين « كلمة الفوهرر الأخيرة » بمثابة هزة واضحة نزلت بالايطاليين عندما تشاورا مع سيد الحرب النازي في دارة الفوهرر في ميونيخ حيث كان تشيمبراين وديلادييه قد اظهرا منتهى التساهل مع الديكتاتورين في موضوع تشيكوسلوفاكيا قبل اقل من عامين . وتوضح المذكرة السرية الألمانية التي أعدت عن الاجتماع[2] . ان هتلر كان عازماً قبل كل شيء على عدم السماح

---

١ - يوميات شيانو ص ٢٦٧ .

٢ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٦٠٨ - ٦١١ .

للاسطول الفرنسي بالوقوع في ايدي البريطانيين . وكان يشعر بالقلق ايضاً من جراء احتمال فرار الحكومة الفرنسية الى افريقيا الشمالية أو لندن، حيث تواصل الحرب . ولهذا قرر ان تكون شروط الهدنة ليس إلا معتدلة ، اذ ان شروط الصلح النهائي قد تكون شيئاً آخر ، وتهدف الى السماح « لحكومة فرنسية بالعمل على الارض الفرنسية » كما تضمن ايضاً « تجميد الاسطول الفرنسي » . ورفض رفضاً حازماً الاستجابة الى مطالب ايطاليا باحتلال حوض الرون بما في ضمنه مدينة طولون . القاعدة الفرنسية البحرية الكبيرة على البحر المتوسط حيث يوجد القسم الاكبر من الاسطول ، ومدينة مرسيليا ، وبتجريد كل من كورسيكا وتونس وجيبوتي من السلاح . وتقول المذكرة الألمانية ان شيانو ذكر المدينة الأخيرة بصوت منخفض . مع انها مفتاح الحبشة التي تحتلها ايطاليا .

ووجد شيانو ايضاً ان ريبنتروب المتزمت والمتصلت ، كان « ميالاً اشد الميل الى الاعتدال والهدوء ومؤيداً للسلام » . ولاحظ ايضاً ان موسوليني المحارب أحس بارتباك شديد . .

> « فهو يحس بأن دوره عديم الاهمية...ويخشى الدوتشي بصورة خاصة ، ان تكون ساعة السلام قد قربت ، وان حلم حياته الذي لم يتحقق ، باحراز الامجاد في ميادين القتال قد شرع في الاختفاء والذبول »[1] .

ولم يستطع موسوليني ايضاً ان يقنع هتلر بالموافقة على مفاوضات هدنة مشتركة مع الفرنسيين . ولم يكن الفوهرر راغباً في ان يشرك معه بنصره في هذه اللحظة التاريخية ، « جوني – الذي جاء متأخراً » ، وان لم يكن قد أفصح عن نيته هذه لصديقه المتخلف . ولكنه وعد الدوتشي بأن لا يوضع اتفاق الهدنة الذي سيعقده مع فرنسا موضع التنفيذ إلا بعد ان يكون الفرنسيون قد وقعوا الهدنة مع ايطاليا .

---

١ - يوميات شيانو ص ٢٦٦ .

وغادر موسوليني ميونيخ بخيبة الأمل والألم ، ولكن شيانو تأثر تأثراً طيباً من ناحية جديدة في هتلر .أوضحها في يومياته ، لم يكن قد رآها من قبل أو تصور وجودها . فقد قال في يومياته بعد عودته الى رومه :

« يتضح من كل ما قاله هتلر ، انه يود الاسراع في العمل لانهاء كل شيء . فهتلر اشبه ما يكون بالمغامر الذي فاز بضربة عظيمة من ضربات الحظ ، وبات راغباً في مغادرة المائدة الخضراء ، دون ان يقامر بأي شيء آخر . فهو يتحدث اليوم بشيء من التحفظ والاتزان اللذين يبدوان غريبين كل الغرابة بعد هذا النصر العظيم . ولا يمكن لانسان ان يتهمني بالافراط في الميل اليه ، ولكنني اقول اليوم انني اعجبت به حقاً »[1] .

الهدنة الثانية في كومبيين

لحقت بالجيش الالماني الى باريس في حزيران ، وهو اجمل شهور السنة في تلك العاصمة الجليلة ، التي اصابها الويل والإذلال، وفهمت في التاسع عشر من حزيران ما سيضعه هتلر من شروط للهدنة التي طلبها بتان قبل يومين . وقد تقرر ان توقع الهدنة في نفس المكان الذي استسلمت فيه الامبراطورية الالمانية في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ لفرنسا وحلفائها ، أي في نفس الفجوة الصغيرة الموجودة بين غابات كومبيين . فسيثأر الفوهرر لألمانيا بذلك، وستضيف روعة المكان الى ما يحس به من عذوبة النصر . وكانت الفكرة قد لاحت له في العشرين من ايار أي بعد عشرة ايام فقط من بدء الهجوم العظيم في الغرب، وفي نفس اليوم الذي وصلت دباباته فيه الى ابيفيل . فلقد دوّن يودل في يوميته لذلك اليوم يقول : « يعمل الفوهرر الآن في اعداد معاهدة الصلح ... انه

---

١ - يوميات شيانو ص ٢٦٦ .

يريد ان تدور المفاوضات الأولى في غابة كومبيين . » ورحت في ساعة متأخرة من بعد ظهر التاسع عشر من حزيران الى المكان ووجدت المهندسين العسكرين الألمان ينسفون جدران المتحف الذي اقيم هناك للحفاظ على عربة النـوم التي كان يستقلها المشير فوش والتي وقعت فيها هدنة عام ١٩١٨ . وعندما تركت المكان كان المهندسون الألمان وهم يعملون بمناقب هوائية ، قد تمكنـوا من « تهبيط » الجدار وشرعوا يسحبون العربة الى الخط في منتصف الفجوة ، أي في عين المكان الذي كانت فيه كما قالوا في الساعة الخامسة من صباح الحـادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ عندما شرع فوش يأمر المبعوثين الألمان بوضع تواقيعهم على اتفاق الهدنة .

وهكذا عندما وقفت بعد ظهر ذلك اليوم الحادي والعشرين من حزيران عند طرف غابة كومبيين لأشهد آخر انتصارات هتلر واعظمها ، بعد ان شهدت في سني عملي الكثير منها في تلك السنوات المضطربة . لقد كان ذلك اليوم من اجمل ايام الصيف التي اذكر اني قضيتها في فرنسا . وكانت شمس حزيران الدافئة تنعكس على الاشجار العالية الرائعة من بلوط وسنديان وصفصاف وصنوبر ، ملقية بظلالها الجميلة على الممرات الصغيرة بين الاشجار المؤدية الى الفسحة الدائرية الصغيرة . وفي الساعة الثالثة والربع مساء على وجه التقريب وصـــل هتلر بسيارته المرسيدس الفارهة ، يصحبه غورنغ وبراوختش وكايتـــل وريدر وريبنتروب وهس ، وجميعهم في بزاتهم العسكرية المختلفة ، بينما وقف غورنغ وهو المشير الوحيد في الرايخ يلهو بعصا الماريشالية التي يحملها في يده . وقـد هبطوا من سياراتهم على بعد مائتي ميل ، أمام تمثال الالزاس واللورين الذي غطته الرايات الحربية الألمـانية ، حتى لا يرى الفوهرر السيف الضخم الذي اذكر اني رأيته في زيارات سابقة في ايام الخير والسعادة . وهو سيف الحلفـاء المنتصرين في عـام ١٩١٨ ، مخترقاً جسد نسر جريح ، يمثـــل امبراطورية الهوهنزولرن الألمانية . وتطلع هتلر بطرف عينـه الى التمثال ، ثم مضى في طريقه ، ودوّنت في يومياتي لذلك اليوم اقول :

« لاحظت وجهه . كان عابساً متجهماً تعلوه سيماء الجد وإن اشرقت في عينيه علائم الفرح للثأر . ورأيت في هذه النظرات كما في خطواته الواثبة ، صورة الفاتح المنتصر ، ومتحدي العالم . وكان ثمة شيء آخر ... انه نوع من الفرح الذاتي الباطني الذي يشير الى الزراية بكل شيء ، لأنه يشهد هذا الانعكاس العظيم للقدر ، الانعكاس الذي خلقه هو بنفسه »

وعندما وصل الى تلك الفسحة القائمة في وسط الغابة ، واضحى شخصه هو في مركزها ، اجتذبت انتباهه كتلة ضخمة من الغرانيت تقف على ارتفاع ثلاثة اقدام من الارض... ودوّنت قائلاً :

« وسار الآخرون وراء هتلر ، ومشى هو نحو هذه الكتلة . ثم صعد درجها ، وقرأ ما عليها من كتابة بالفرنسية ، دوّنت بالاحرف الضخمة :

« هنا وفي الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ استسلمت كبرياء الامبراطورية الألمانية الاجرامية – بعد ان قهرتها الشعوب الحرة التي حاولت استعبادها » .

« وقرأها هتلر ، ثم تبعه غورنغ وسرعان ما قرأها الجميع ، وقد وقفوا واجمين تحت نيران شمس حزيران الحارقة . وتطلعت الى وجه هتلر اقرأ ما فيه من تعبيرات . وانا لا ابعد عنه اكثر من خمسين ياردة ، واراه في نظارتي وكأنه امامي مباشرة وكنت قد رأيت هذا الوجه عدة مرات في اللحظات التي مر بها في حياته . أما اليوم ! فقد اتقد هذا الوجه بتعابير الاحتقار والغضب والكراهية والثأر والانتصار

« واجتاز النصب ، وقد نجح في ان يبدي ايماءة تعتبر قطعة فنيّة من الامتهان . وعاد يلتفت اليه ، وتعابير الزراية والغضب ما زالت ماثلة في محياه . انه غضب تكاد تلمسه لأنه لا يستطيع ان

يمحو تلك الكلمات المثيرة والمرعبة بحركة واحدة من حذائه البروسي [1] . ويعود فيتطلع حوله داخل الفرجة بين الاشجار ، وعندما التقت عيناه بعيوننا ، كان في وسعنا ان نحس بعمق ما فيهما من كراهية . ولكن فيهما ايضاً لمحات من الانتصار ، انه الكره المنتقم المنتصر . وفجأة ، وكأن محياه لا يعكس التعابير الكاملة لعواطفه ، نراه يقوم بحركات عضوية تتناسق مع مزاجه . وبسرعة يضع راحتيه في خصره ، ويعلو بكتفيه ، ويبعد بين قدميه . انه التعبير الرائع عن التحدي وعن الامتهان اللاهب لهذا المكان في في هذه اللحظة ، ولكل ما مثله في الاثنتين والعشرين سنة الماضية منذ ان شهد اذلال الامبراطورية الألمانية » .

ودخل هتلر وصحبه عربة القطار التي شهدت الهدنة الماضية وجلس الفوهرر في المقعد الذي احتله فوش في عام ١٩١٨ . ووصل الوفد الفرنسي بعد خمس دقائق يرئسه الفريق شال هوتزنجر ، قائد الجيش الثاني في سيدان ، ويضم احد امراء البحر ، « وفريقاً » من السلاح الجوي ، وأحد المدنيين وهو ليون نويل السفير الفرنسي السابق في بولندة ، الذي قدر له ان يشهد الآن « الانهيار » الثاني الذي احدثته الاسلحة الألمانية . وبدا الفرنسيون محطمين وان كانوا قد احتفظوا بشيء من الكبرياء المفجعة. ولم يكن احد قد ذكر لهم ، انهم سيقادون الى هذا النصب الفرنسي المتكبّر ، ليمروا بلحظات لا مثيل لها من الاذلال ، ولذا فان الهزّة التي اصابتهم كانت من النوع الذي توقعه هتلر ودوّن هولدر في يومياته في تلك الليلة، بعد ان روى له براوختش ما شهده في ذلك اليوم ما يلي:

« لم يتلق الفرنسيون أي اشعار بأن الألمان سيسلمونهم شروط الهدنة في نفس المكان الذي شهد مفاوضات عام ١٩١٨ . ويبدو ان هذا الترتيب هزهم هزّة عنيفة ، وقد مالوا في البداية الى التجهّم والتبرم » .

---

١ - لقد نسف ذلك النصب بعد ثلاثة ايام ، حسب اوامر الفوهرر .

ومن المحتمل ان يكون طبيعياً بالنسبة الى الماني مثقف كهولدر أو براوختش ان يخلط بين الكبرياء المتجهمة وبين التبرّم. فلقد كان في وسع كل من شهد ذلك المنظر ان يرى موجة من الدهشة التي تقرب من الشمول ، قد سيطرت حقاً على الفرنسيين . ولقد حاولوا ، خلافاً لما انتشر من اقوال آنذاك ، ان يلطّفوا بعض الاجزاء القاسية من شروط هتلر ، وان يبعدوا تلك التي رأوا فيها ما يمس بكرامة بلادهم وشرفها . لكن محاولاتهم هذه التي قامت الادلة على وجودها في الوثائق السرية النازية المصادرة ، ذهبت ادراج الرياح [1] .

وغادر هتلر وحاشيته عربة الهدنة بعد ان انتهى الفريق كايتل من تلاوة مقدمة شروط الهدنة على مسامع الفرنسيين تاركاً ، أمر المفاوضات الى رئيس قيادته العليا للقوات المسلحة ، دون ان يسمح له ، بالابتعاد ولو شعرة واحدة عن الشروط التي وضعها هو بنفسه .

وراح هوتز نجر يعلن للألمان بعد استماعه الى الشروط ، انها « قاسية وخالية من الرحمة » ، وانها اسوأ من تلك التي سلمتها فرنسا الى المانيا في عام ١٩١٨ . واضاف قائلاً ان « فرنسا لن تذعن اذا قامت دولة اخرى تقع وراء الألب ، ولم

---

١ - على الرغم من ان سجلات الوقائع ، التي عثر عليها في المحفوظات الألمانية غير موقعة ، إلا ان الدكتور شميدت شهد امام محكمة نورمبرغ ، بأنه هو الذي تولى وضعها . ولما كان هو الذي قام بدور المترجم في الاجتماع ، فلقد كان خير من يستطيع تقديم وصف لما دار فيه . وتوجد هذه الوقائع في « محاكمات كبار مجرمي الحرب (٩) على النحو التالي : مفاوضات الواحد والعشرين من حزيران ص ٦٤٣ - ٦٥٢ ، تسجيل المحادثة الهاتفية بين الفريق هوتز نجر والفريق ويغان (في بوردو) مساء الواحد والعشرين من حزيران ، كما دونها شميدت الذي أمر بالاصغاء اليها ص ٦٥٢ - ٦٥٤) ، تسجيل المحادثة الهاتفية بين هوتزنجر والعقيد بورجيه مرافق ويغان في الساعة العاشرة من صباح ٢٢ حزيران ص ٦٦٤ - ٦٧١ ، نص اتفاق الهدنة ص ٦٧١ - ٦٧٦ ، مذكرة عن المواضيع التي اثارها الفرنسيون في مفاوضات كومبيين ورد الالمان عليها ص ٦٧٦ - ٦٧٩ ، وقد اصدر هتلر تعليماته باعتبار هذه الوثيقة على الرغم من انها ليست جزءاً من الاتفاق ملزمة للجانب الالماني . وقد سجل الألمان باجهزة سرية كل ما دار من حديث في عربة القطار . وقد سمعت بنفسي جزءاً من هذه التسجيلات . ولا اعلم ان هذه التسجيلات قد نشرت ، كما لا اعلم عن العثور عليها . وكانت ملاحظاتي التي دونتها جزئية إلا بالنسبة الى الجلسة الدراماتية الختامية .

ثنتصر على فرنسا (يقصد ايطاليا التي لم يذكرها صراحة اشارة الى ازدرائه لها) ، بتقديم شروط مماثلة ، مهما كانت النتائج . وستقاتل حتى النهاية المرة .. ولهذا فهو يشعر باستحالة وضع توقيعه على الشروط الألمانية » ..

ولم يتوقع الفريق يودل ، وهو الضابط الثاني في رئاسة القيادة العليا للقوات المسلحة ، وكان يتولى مؤقتاً رئاسة الجلسة ، مثل هذه العبارات التي تنطوي على التحدي من عدو مهزوم يائس ، ورد بأنه على الرغم من اضطراره الى التعبير عن « تفهمه » لما قاله هوتزنجر عن الايطاليين ، إلا انه لا يملك الصلاحية لتبديل شروط الفوهرر . واضاف ان كل ما يستطيع ان يفعلهو « ان يقدم الايضاحات ويشرح بعض النقاط الغامضة » . وعلى الفرنسيين اما قبول وثيقة الهدنة كما هي او رفضها .

وكان الألمان قد تضايقوا من وصول الوفد الفرنسي دون ان تكون لديه الصلاحيات لعقد اتفاق الهدنة دون الموافقة الصريحة من حكومة بوردو . وكانوا قد افلحوا بمعجزة هندسية رافقها بعض الحظ الحسن ، من اقامة خط اتصال هاتفي من عربة النوم القديمة ، عبر خطوط المعركة حيث كان القتال لا يزال دائراً على اشده ، الى مدينة بوردو . وقد سمح للمفاوضين الفرنسيين باستخدام هذا الخط لنقل نصوص الهدنة وشروطها ، ولبحثها مع حكومتهم وصدر الأمر الى الدكتور شميدت الذي يعمل ترجماناً ، بالاستماع من عربة مجاورة الى المحادثات الهاتفية ، بعد ان اخفى الألمان هذه العربة وراء مجموعة من الاشجار . وقد تمكنت في اليوم التالي من الاستماع الى جزء مما سجله الالمان عن هذه المحادثات بين الفريقين هوتزنجر زويغان .

وأرى لزاماً علينا ان نذكر حسنة لويغان الذي يتحمل المسؤولية الكبرى في الانهزامية الفرنسية وفي الاستسلام النهائي لبلاده وقطيعتها مع بريطانيا العظمى ، وهي انه حاول جاهداً على الاقل ، الاعتراض على الكثير من مطالب الالمان . وكان من اغرب هذه المطالب ، ارغام الفرنسيين على ان يسلموا الى الرايخ جميع اللاجئين السياسيين الالمان من اعداء النازية في فرنسا وفي ممتلكاتها .

ووصف ويغان هذا الشرط بأنه امتهان لكرامة فرنسا ومناقض لتقاليدها العريقة في منح اللجوء السياسي، ولكن عندما عاد المتفاوضون الى بحث هذه النقطة في اليوم التالي ، رفض كايتل المتعنّت طلب الفرنسيين حذفها . وقال بصوت عال يكاد يكون صراخاً : « لقد كان المهاجرون الالمان اعظم دعاة الحرب والمحرضين عليها . ولقد خانوا شعبهم ولذا يجب تسليمهم مهما كان الثمن » . ولم يعترض الفرنسيون على بند في الاتفاق يقول بصراحة ان جميع الفرنسيين الذين يلقى القبض عليهم وهم يحاربون في صفوف دولة ثالثة ضد المانيا ، يعتبرون « ارهابيين » يجوز اعدامهم فوراً . وكان هذا البند يستهدف ديغول الذي كان قد شرع في محاولاته لتنظيم قوة من الفرنسيين الاحرار في بريطانيا . لكن كايتل وويغان ، لم يكونا يجهلان ان هذا البند يعتبر خرقاً فاضحاً لقواعد الحرب الاساسية . ولم يناقش الفرنسيون كذلك بنداً ينص على بقاء جميع اسرى الحرب في اسرهم الى ان يتم التوصل الى الصلح النهائي . ويبدو ان ويغان كان على ثقة من أن الألمان سيحتلون بريطانيا في غضون ثلاثة اسابيع وان اسرى الحرب الفرنسيين سيطلق سراحهم بعد هذه الفترة القصيرة . وهكذا قضي على مليون ونصف مليون من اسرى الحرب الفرنسيين بأن يظلوا رهن الاعتقال مدة خمس سنوات .

وكانت مشكلة التصرف بالاسطول الفرنسي هي النقطة الاساسية في اتفاق الهدنة . وكان تشرشل ، قد عرض على فرنسا عندما بدأت تترنح ، ان يحررها من التزاماتها بعدم عقد صلح منفرد ، شريطة ان تصدر الأوامر الى الاسطول الفرنسي بالابحار الى الموانىء البريطانية . ولكن هتلر كان عازماً على ان لا يقع هذا . فلقد كان يدرك تمام الادراك ، كما ذكر لموسوليني في رسالته اليه في الثامن عشر من حزيران ، ان وقوع الاسطول الفرنسي في يد بريطانيا سيعزز قوتها العسكرية الى حد كبير ولما كان يحس بضخامة الخطر من هذا الاسطول ، فقد تحتم عليه ، ان يتساهل مع العدو المهزوم ، أو ان يعده بشيء على الأقل . فقد نص اتفاق الهدنة على وجوب تجميد سفن الاسطول الفرنسي ونزع سلاحها .

ووقفها عن الحركة في موانىء الوطن ... وقد تعهدت الحكومة الألمانية مقابل ذلك ... تعهداً جازماً للحكومة الفرنسية :

« بأنها لا تعتزم ان تستخدم مطلقاً لأهدافها الحربية ، الاسطول الفرنسي الذي يقبع في الموانىء الفرنسية تحت اشراف الألمان . وهي تعلن ايضاً بصراحة ووضوح انها لا تعتزم مطلقاً المطالبة بالاسطول الفرنسي عندما تعقد معاهدة الصلح » .

ولكن هذا الوعد سرعان ما نقض كغيره من وعود هتلر .

ووافق هتلر اخيراً على ان يترك للحكومة الفرنسية منطقة غير محتلة في الجنوب والجنوب الشرقي ، حيث تكون حرة في الظاهر في الحكم كما تهوى وتشاء . وكانت هذه الحركة في منتهى الفطنة والذكاء . فهي لن تؤدي فقط الى تجزئة فرنسا جغرافياً واداريا ، بل وستجعل من المتعذر بل المستحيل اقامة اية حكومة فرنسية في المنفى ، كما تحبط الخطط التي يفكر فيها بعض الساسة في بوردو لنقل عاصمة الحكومة الفرنسية الى افريقيا الشمالية ، وهو مشروع كاد يلقى النجاح ، لو لم يفشل لا بتأثير الألمان بل بتأثير الانهزاميين الفرنسيين من امثال بيتان وويغان ولافال واعوانهم . وعرف هتلر فوق ذلك ان الرجال الذين تسلموا الآن زمام الحكم في حكومة بوردو هم من اعداء الديمقراطية الفرنسية ، وقد توقع منهم شيئاً من التعاون لمساعدته في اقامة النظام النازي الجديد في اوروبا .

ومع ذلك تمسك المندوبون الفرنسيون في مفاوضات الهدنة في كومبيين في اليوم التالي بموقف المنافرة والتسويف . وكان من اسباب التأجيل اصرار هوتزنجر ، على ان يكتفي ويغان بمنحه صلاحية التوقيع على اتفاق الهدنة ، بل يصدر له الأمر بتوقيعها، اذ لم يكن هناك في فرنسا من يرغب في تحمل المسؤولية . واخيراً وجه كايتل انذاراً نهائياً الى الفرنسيين في الساعة السادسة والنصف مساء . ونص الانذار على وجوب قبول الشروط الألمانية او رفضها في غضون ساعة واحدة . واستسلمت فرنسا في غضون هذه الساعة . وفي الساعة السادسة

والدقيقة الخمسين من بعد ظهر الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٤٠ وقـــع هوتزنجر وكايتل اتفاق الهدنة .[١]

واستمعت الى المناقشات الأخيرة من مكبرات الصوت الخفيــة الموضوعة في عربة القطار . وقبل التوقيع بلحظات ، اعلن القائـــد الفرنسي بصوت تخنقه الرعشة انه يود ان يفضي ببيان شخصي . ودوّنت هـــذا البيان وهو يتلوه بالفرنسية ... قال هوتزنجر :

« انـــي اعلن هنا ان الحكومة الفرنسية قد امرتني بتوقيع شروط الهدنة هذه . وعلى اثر اضطرار فرنسا بحكم السلاح الى وقف القتال الذي كنا نشتبك فيه الى جانب الحلفاء ، تجد فرنسا نفسها مرغمة على توقيع هـذه الشروط القاسية للغاية . ومن حق فرنسا ان تتوقع من المانيا في المفاوضات المقبلة روحية تسمح لهاتين البلادين العظيمتين المتجاورتين بالعيش والعمل معاً بسلام » .

ولم يقدر لهذه المفاوضات لعقد الصلح ان تقع مطلقاً ، ولكن الروحية التي اظهرها الرايخ الثالث فيما بعد ، أخذت تتضح مع اتجاه الاحتلال نحو الخشونة ، ومع تزايد الضغط على عهد بتان الذليل . فقد قضي على فرنسا ان تغدو تابعة لألمانيا ، وهو ما آمن به في الظاهر كل من بتان وويغان ولافال ، وقبلوا به .

وبدأ رذاذ من المطر يتساقط عندما غادر المندوبون عربة القطار وشرعوا يعودون بسياراتهم الى اماكنهم . وكان في وسع المرء ان يرى خطاً طويلاً غير متقطع من اللاجئين يغذون السير على ارجـــل مجهدة تعبة ، أو على دراجاتهم وعرباتهم ، أو في الشاحنات القديمة اذا ساعدهم حظهم عـــلى الوصول اليها . ومضيت الى الفجوة القائمة بين الاشجار ،ورأيت جماعة من المهندسين العسكريين الألمان ، يصرخون بحماس ، وهم يجرون عربة القطار القديمة الـــتي وقعت فيها الهدنة ...

---

١ – نصت شروط الاتفاق على ان يوضع موضع التنفيذ في اللحظة التي يتم التوقيـع فيها على الهدنة الفرنسية الايطالية كما نصت على توقف العمليات الحربية بعدست ساعات من ذلك التوقيـع .

وقلت اسألهم ... الى اين تنقلون هذه العربة ؟ ..

فردوا . . الى برلين [1] .

* * *

ووقعت الهدنة بين فرنسا وايطاليا بعد يومين اثنين في مدينة رومه ولم يتمكن موسوليني من احتلال إلا ما استولت عليه قواته فعلاً ، وهو لا يزيد على بضع مئات من الياردات من الاراضي الفرنسية ، وان يفرض قيام منطقة عمقها خمسون ميلاً منزوعة السلاح مقابل الاراضي الايطالية في فرنسا وتونس . وتم التوقيع على الاتفاق في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعد ظهر الرابع والعشرين من حزيران وبعد ست ساعات سكت هدير المدافع ودويها في فرنسا .

وهكذا خرجت فرنسا من الحرب بعد ستة اسابيع من بدء الهجوم ، بينما كانت قد تمكنت من الصمود في الحرب الأولى اربع سنوات دون ان تقهر . ووقفت القوات الألمانية موقف الحراسة في معظم انحاء اوروبا من رأس الشمال فوق الدائرة القطبية حتى بوردو في الجنوب ،ومن القناة الانكليزية غرباً حتى نهر بوغ في بولندة الشرقية . وقد وصل ادولف هتلر الى اوجه . وبات الأفاق النمسوي السابق ، الذي كان اول من استطاع توحيد الألمان في دولة قومية صحيحة ، وهذا الرجل الذي عرفته الحرب الكونية الأولى عريفاً ، اعظم الفاتحين الذين عرفتهم المانيا . ولم يقف في وجه السيطرة الألمانية الكاملة التي ارادها على اوروبا في ظل نظامه الديكتاتوري ، إلا شخص انكليزي واحد ، لا يعرف الهزيمة ، يدعى ونستون تشرشل ، ووراءه شعب حزم أمره على ان لا يعترف بالهزيمة التي واجهته ، بعد ان بات وحيداً ، يفتقر الى حد كبير الى السلاح ، وقد طوقت الجزر التي يعيش فيها من قبل اعظم جهاز عسكري عرفه العالم طيلة تاريخه الطويل .

---

١ – وصلت العربة الى برلين في الثامن من تموز . ولعل من سخرية الاقدار ان قنابل طائرات الحلفاء قد حطمتها في العاصمة الالمانية في وقت لاحق من الحرب .

هتلر يتطلع للسلام

ذكرنا آنفاً ان الفريق يودل دوّن في يومياته بعد عشرة ايام من بدء الهجوم الألماني الكاسح في الغرب ، وعشية وصول الدبابات الألمانية الى ابيفيل ، ان الفوهرر « يعيش تحت سيطرة فرح طاغ » ، واضاف انه « شرع يعمل في اعداد معاهدة الصلح ... وفي وسع بريطانيا ان تحصل على صلح منفرد في اي وقت بعد حل مشكلة المستعمرات » . وكان هذا في العشرين من ايار . ويبدو ان هتلر ظل عدة اسابيع لا يشك مطلقاً في ان بريطانيا ستكون بعد اخراج فرنسا من الحرب تواقة الى عقد الصلح . وكانت شروطه من وجهة النظر الالمانية ولا سيا بعدما تلقاه البريطانيون مـن ضرب عنيف في النروج وفرنسا ، سخية كل السخاء . وكان قد اعلن هذه الشروط الى الفريق فون رونشتادت في حديثه اليه في الرابع والعشرين من ايار معرباً عن اعجابه بالامبراطورية البريطانية ومؤكداً « ضرورة » بقائها . واضاف ان كل مـا يريده من لندن هو ان تسمح له بحرية العمل في القارّة الأوروبية .

وكانت هذه الثقة متأصلة في نفسه في ان بريطانيا ستوافق على ذلك ، الى الحد الذي حمله بعد انهيار فرنسا عـلى اهمال اعداد الخطط اللازمة للمضي في الحرب ضد بريطانيا . ولم تـكلف هيئة اركان الحرب الكثيرة التعاظم والتفاخر نفسها عناء تزويده بأية خطة مع العلم بأنها عرفت بدقتها « البروسية » المتناهية في اتخاذ الأهبة مسبقاً لكل احتمال ولم يشر هولدر رئيس هيئة اركان الحرب في يومياته المسهبة الى هذا الموضوع في هـذا الوقت بالذات مطلقاً . وكان اكثر قلقاً مـن جراء التهديد الروسي في البلقان والبلطيق منه ، بالنسبة الى بريطانيا .

وقد يتساءل المرء حقاً ، ما هي العوامل التي دفعت بريطانيـا العظمى الى المضي فريدة في حربها ضد قوات هائلة تجعل وضعها يائساً ؟ ولماذا تواصل هذه

الحرب مع ان في استطاعتها الحصول على صلح يضمن بقاءها ، خلافاً لفرنسا وبولندة وغيرها من الدول المهزومة ، سليمة وحرة لا تمس ؟ وكانت هذه الاسئلة توجه في كل مكان إلا في دواننغ ستريت حيث لم يفكر انسان، كما كشف تشرشل النقاب فيما بعد ، حتى بالبحث فيها ، لأن الردود عليها بدهية لا تحتاج الى سؤال [1] . ولكن الديكتاتور النازي ، لم يكن على علم بما يجري هناك . ولم يصدق هتلر اذنيه عندما سمع تشرشل يعلن بأن بريطانيا ماضية في حربها، وخيل اليه ان تشرشل يهزل ولا يجد في قوله هذا . وظل هذا التشكك قائماً في نفس هتلر ، حتى بعد ان استمع الى رئيس وزراء بريطانيا وهو يخطب في مجلس العموم في الرابع من حزيران بعد الانسحاب من دنكرك، ويقول بعباراته البليغة ان بلاده ستحارب في الجبال والوهاد وعلى الشواطىء . ولم يسمح كذلك لنفسه بأن يصدق تشرشل وهو يؤكد في مجلس العموم في الثامن عشر من حزيران بعد ان طلب بتان الهدنة ، « تصميم بريطانيا الذي لا يلحق به وهن على المضي في القتال » . وكذّب اذنيه كذلك عندما استمع الى تشرشل يقول في احدى خطبه البليغة الخالدة وهو ينهي كلامه :

« علينا اذن ، ان نكرّس انفسنا لواجباتنا ، وان نتحمل وان نصبر ، حتى اذا قدر للامبراطورية البريطانية ولجامعة شعوبها (الكومونولث) ان تعيش الف عام اخرى.. هتف ابناؤهما قائلين : حقاً كانت هذه اعظم ساعة في امجادنا » .

وخيل لهتلر، وهو الخطيب الذرب اللسان، الفصيح الكلام، ان هذه العبارات ليست إلا مجرد « عبارات بليغة » تصدر عن خطيب موهوب . ولا ريب في انه لقي التشجيع الكافي لهذه الافكار من محاولات جس النبض التي جرت في العواصم المحايدة ، ومن النداءات التي صدرت عن هذه العواصم لانهاء الحرب . فقد تلقى في الثامن والعشرين من حزيران رسالة «مكتومة» من البابا ، الذي وجه رسالتين

---

١ – تشرشل – مذكرات – الجزء الثاني ص ١٧٧ .

مماثلتين الى موسوليني وتشرشل ، عارضاً وساطته ، للوصول الى « صلح عادل وشريف » ، ومعلناً انه يود قبل القيام بهذه الخطوة في سبيل احلال السلام ، التأكد بصورة مكتومة من الطريقة التي ستقابل بهـا خطوته في هذه العواصم الثلاث [١] . ونشط ملك السويد ايضاً نشاطاً ملحوظاً في عرض الصلح على كل من لندن وبرلين .

وكانت السفارة الالمانية في واشنطن ، بادارة هانز تومسون القائم بالأعمال ، تنفق كل دولار تستطيع الوصول اليه ، لدعم دعاة العزلة في الولايات المتحدة ، لابقاء امريكا خارج الحرب، وبذلك تضمن تثبيط عزيمة بريطانيا على المضي فيها. وتحتشد وثائق وزارة الخارجية الألمانية بالرسائل التي بعث بها تومسون يروي فيها جهود سفارته في اقناع الرأي العام الامريكي بتأييد هتلر . وكان حزبا امريكا الكبيران يعدان العدة لعقد مؤتمريهما في صيف ذلك العام ، ولم يتوان تومسون عن بذل كل جهد ممكن للتأثير على مخططات السياسة الخارجية للحزبين المذكورين ولا سيما للحزب الجمهوري .

ولقد ابرق تومسون الى برلين بالرموز مثلاً في الثاني عشر من حزيران، برقية « عاجلة للغاية وفي منتهى السرية » يقول فيها ان « احد الاعضاء البـارزين في الحزب الجمهوري في الكونغرس » ، وهو يعمل متعاوناً تعاوناً وثيقاً مع السفارة الالمانية قد عرض مقابل ثلاثة آلاف دولار، ان يدعو خمسين عضواً انعزالياً من اعضاء الكونغرس الى مؤتمر الحزب الجمهوري « لكي يضمن تأثيرهم على بقيـة الوفود لتأييد سياسة خارجية انعزالية » . وروى تومسون في برقية ثانية ان هذا الشخص عينه طلب ثلاثين الف دولار ، ليدفعهـا لنشر اعلانات صفحات كاملة في الصحف الامريكية تحت عنوان « ابعدوا امريكا عن الحرب ! » [٢] .

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الألمانية (١٠) ص ٤٩ - ٥٠ .

٢ – وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٥٥٠ - ٥٥١ - ولقد ظهر مثل هذا الاعلان في عدد الخامس والعشرين من حزيران عام ١٩٤٠ من صحيفة النيويورك تايمز .

وابرق تومسون في اليوم التالي الى برلين يقول ان هناك مشروعاً جديداً يتفاوض بشأنه عن طريق احد الناشرين الامريكيين لحمل خمسة من كتاب امريكا المشهورين على وضع كتب ينتظر منها « نتائج عظيمة » . وهو يطلب لتحقيق هذا المشروع مبلغ عشرين الف دولار ، أمر ريبنتروب بصرفها بعد بضعة ايام »[1] .

وقد اذاع هتلر ، اول حديث عام له عن آماله في السلام مع بريطانيا ، في مقابلة صحفية اجراها مع كارل فون ويغاند ، مراسل صحف هيرست الامريكية ، ونشرت في عدد الرابع عشر من حزيران من صحيفة « نيويورك جورنال — امريكان » . وابلغ تومسون وزارة الخارجية الألمانية بعد اسبوعين انه أوعز بطبع مائة الف نسخة اضافية من الصحيفة التي نشرت الحديث . ثم قال :

« وقد تمكنت ايضاً عن طريق عميل أثق به ، من اقناع عضو الكونغرس الانعزالي ثوركيلسون (نائب ديموقراطي عن ولاية مونتانا) ، بطبع حديث الفوهرر في سجل الكونغرس بتاريخ

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٥٥٨ - ٥٥٩ و ص ٥٨٥ - وعندما حل الخامس من تموز عام ١٩٤٠ ، كان تومسون خائفاً أشد الخوف من مدفوعاته ، حتى انه ابرق الى برلين يطلب اذنها في احراق كل ما لديه من وصولات وحسابات فقال :

« يجري الدفع دائماً الى المتسلمين عن طريق وسطاء موثوقين ، ولكن بالنسبة الى الظروف الراهنة ، لا يمكن الحصول على وصول بالاستلام .. فمثل هذه الوصول او أية وثائق مماثلة قد تقع في ايدي الشرطة الامريكية السرية ، إذا قامت السلطات الامريكية فجأة باقتحام السفارة والاستيلاء عليها . وعلى الرغم من جميع وسائل التعمية والتغطية التي نتبعها ، فان مجرد وجود هذه الوصولات ستعني الدمار السياسي لاصدقائنا مما يترك آثاراً خطيرة ، لا سيما وان اعداءنا يعرفون هؤلاء الاصدقاء ... ولهذا فاني اطلب تخويل السفارة الحق في احراق كل وصولات وحسابات في حوزتها ، وان تتوقف عن تسجيل أية حسابات المدفوعات الجديدة » . وقد احرق هذا التقرير نفسه بين وثائق السفارة .

(وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ١٢٥-١٢٦) .

الثاني والعشرين من حزيران . ويضمن هذا للحديث الصحفي مجالاً جديداً من النشر والتوزيع »[1].

وكانت السفارة النازية في واشنطن تتمسك بكل « قشة » تقع في يدها وفي ذات يوم من ايام ذلك الصيف ، قدم ملحقها الصحفي اقتراحاً قال انه تلقاه من فولتون لويس (الصغير) ، المعلق الاذاعي المعروف الذي وصفه بأنـــه من « المعجبين بألمانيا والفوهرر ومن الصحفيين الامريكيين المحترمين جداً» ..وهذا نص رسالة الملحق :

« يجب على الفوهرر ان يبعث ببرقيات الى روزفلت .. يضمنها العبارات التقريبية التالية : « لقد وجهت الي يا مستر روزفلت ، مراراً وتكراراً نداءات تعرب فيها عن رغبتك في تجنّب حرب دموية . لم اكن انا الذي اعلنت الحرب على انكلترا ، وانما كنت دائماً على النقيض من ذلك ، اؤكد عدم وجود أية رغبة لدي في تحطيم الامبراطورية البريطانية . ولقد رفض تشرشل بعناد واصرار طلباتي المتكررة التي وجهتها اليه بأن يكون « متعقلاً » وان يعمل على الوصول الى صلح شريف معنا . واني لأعرف ان انكلترا ستعاني أشد الويلات عندما آمر بشن حرب جماعية على الجزر البريطانية . واني لأسألك تبعاً لذلك ، ان تتصل بتشرشل من ناحيتك وان تضغط عليه للتخلي عن عناده الذي لا معنى له ولا طعم ».واضاف لويس ان روزفلت سيبعث بالطبع برد قاس ينطوي على الامتهان ، ولكن رده هذا لا يغير من واقع الأمر شيئاً . اذ ان مثـــل هذه الرسالة من جانب هتلر ستترك اثراً عميقـــاً على شعوب امريكا الشمالية ، وعلى شعوب امريكا الجنوبية بصورة خاصة .. »[2]

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٣٩ – ٤٠ .

٢ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٢٩٨ .

ولم يكترث ادولف هتلر بنصيحة المستر لويس ذات المرامي البعيدة، ولكن وزارة الخارجية الالمانية ابرقت الى سفارتها تسألها عن المكانة التي يحتلها المعلق الاذاعي في امريكا. وقد رد تومسون بأن لويس قد « حقق نجاحاً بارزاً مؤخراً.. ولكنه من الناحية الاخرى اذا ما قورن ببعض المعلقين الامريكيين البارزين فانه لا يتمتع بأهمية سياسية كبيرة »[1].

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٤٢٤ و ص ٤٣٥. تؤلف الاعمال التي قامت بها السفارة الالمانية في واشنطن في هذه الفترة، كما اوضحتها برقياتها المنشورة في « وثائق وزارة الخارجية الالمانية »، مادة رائعة لكتاب مدهش. ولعل اكثر ما يلفت نظر القارىء هو ما يجده من ميل لدى الدبلوماتيين الالمان لينقلوا الى الديكتاتور النازي، ما يود هو ان يسمعه، وهذا اجراء مألوف لدى الممثلين الدبلوماتيين للدول الجماعية. وقد صرح لي ضابطان من رجال القيادة العليا للقوات المسلحة في برلين، ان قيادتها، أو هيئة اركان الحرب على الأقل، كانت تشك اكبر الشك في موضوعية التقارير التي تبعث بها سفارة واشنطن، وانها لذلك اقامت لنفسها جهاز مخابراتها العسكري في الولايات المتحدة.

واذا ما حكم المرء على ضوء التقارير التي بعث بهـا الفريق فريدريش فون بويتشر الملحق العسكري الالماني في واشنطن، والموجودة في وثائق وزارة الخارجية الالمانية تبين له ان هذا القائد ايضاً لم يكن صادقاً في خدمته للقيادة العامة. فلم يكل هذا القائد قط او يمل من التأكيد للقيادة العامة للقوات المسلحة، ولهيئتي اركان حرب الجيش والسلاح الجوي، وهي الجهات التي كان يوجه اليها برقياته، بأن اليهود والماسونيين هم الذين يحكمون امريكا، وهذا ما كان يقوله هتلر دائماً. ويبدو ان بويتشر قد غالى ايضاً في تقدير نفوذ الانعزاليين في السياسات الامريكية، ولا سيا نفوذ العقيد شارل ليندبرغ، الذي يبدو في رسائل الملحق، بطلاً عظيماً. واري ان اقتطف بعض المقتطفات من رسائله لأوضح اتجاهها، واعطي صورة عنها:

« ٢٠ تموز عام ١٩٤٠ ... يود روزفلت بوصفه واقعاً تحت تأثير اليهود الذين يسيطرون عن طريق الحركة الماسونية على الجماهير الامريكية، ان تواصل انكلترا، القتال وان يؤدي ذلك الى اطالة الحرب. وقد اتضح هذا التطور للحلقة التي تحيط بليندنبرغ، وهي تحاول الآن على الأقل، عرقلة سيطرة اليهود سيطرة مفجعة على السياسة الامريكية. وقد بعثت اليكم مراراً وتكراراً عن الحملات الشريرة والحقيرة التي تشن على ليندنبرغ لان اليهود يرون فيه اقوى خصومهم واشدهم (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٢٥٤ - ٢٥٥). « ٦ آب عام ١٩٤٠ - معلومات عامة عن ظهور ليندبرغ علناً وعن الحملات التي تشن عليه..

« يحتل العنصر اليهودي الآن مراكز هامة للغاية في القوات الامريكية المسلحة ، بعد ان اشغل اليهود في الاسابيع الاخيرة مناصب ، وزير الحربية ، ووكيل وزارة الحرب ، ووزير البحرية ، بأفراد هدامين ، كما عينوا يهودياً من اصحـــاب النفوذ والشخصية البارزة هو « العقيد » جوليوس أوخس – ادلر ، سكرتيراً لوزير الحربية .

« وقد اوضحت في تقاريري السابقة القوى التي تقاوم العنصر اليهودي ، وسياسة الولايات المتحدة الراهنة ، مركزاً الأهمية على هيئة اركان الحرب . وليس ثمة من ريب في ان ليندبرغ الموهوب حقاً ، والذي تصل علاقاته الى آفاق واسعة ، هو أهم شخصية في هذه القوى . ويخشى العنصر اليهودي ، كما يخشى روزفلت نفسه ما لهذا الرجل من تفوق روحي واخلاقي ، وما يتصف به من طهر .

« وقد وجه ليندبرغ يوم الاحد الرابع من آب ضربة لا بد وان تلحق باليهود افدح الأذى . فلقد أكد ان على امريكا ان تبذل جهدها لتحقيق التعاون المخلص مع المانيا هادفة الى اقرار السلام والحفاظ على الثقافة الغربية . ولم تمض بضعة ساعات حتى كان الفريق بيرشينغ العجوز الذي يمثل منذ عهد طويل الألعوبـــة في يدي روزفلت وبالتالي بين يدي اليهود ، يذيع بياناً من الاذاعة ، فرضه عليه « جاذبو الخيوط » من ارباب النفوذ ، قال فيه ان امريكا ستتعرض للخطر من جراء هزيمة انكلترا .

« ولا ريب في ان ما تحاوله جوقة العناصر اليهودية من القاء الشكوك حول ليندبرغ في الصحافة ، والحملة عليه من لوكاس عضو مجلس الشيوخ ، الذي هاجمه علناً يوم الاثنين الماضي بحث من روزفلت على موجات الأثير متهماً اياه بأنه من رجـــال « الطابور الخامس » ، وملصقاً به وصمة الخيانة ، انما يشير كله الى ما تحس به اليهودية من خوف من السلطان الروحي لهذا الرجل ، الذي تحدثت اليكم في تقاريري السابقة منذ بداية الحرب عن سير تقدمه ، والذي اعتقد بأهميته البالغة بالنسبة الى العلاقات الامريكية الألمانية المقبلة . (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (١٠) ص ٤١٣ - ٤١٥).

وروى تومسون في تقرير آخر بعث به في الثامن عشر من ايلول ، وصفـــاً مسهباً لمحادثة سرية دارت بين ليندبرغ وبين عدد من ضباط الاركان الامريكيين . وذكر في هذا التقرير ان ليندبرغ اعرب عن رأيه بأن انكلترا سرعان ما ستنهار امام الهجمات الجوية الألمانية . ولكن ضبـــاط الاركان أصروا على رأيهم بأن القوة الجوية لا يمكن ان تنجح في اتخاذ قرار فصل (وثائق وزارة الخارجية الألمانية (١٠) ص ٤١٣ - ٤١٥) .

وكان هتلر قد منح ليندبرغ في التاسع عشر من تشرين الاول عـــام ١٩٣٨ ، أي بعد ثلاثة اسابيع من استسلام ميونيخ ، « وسام صليب النسر الألماني مع النجم المرصع »، واعتقد ان هذا الوسام يعتبر ثاني وسام الماني رفيع ويمنح عادة الى الاجانب البارزين الذين « يستحقون المكافأة من الرايخ » .

وقد أحس تشرشل نفسه كما روى فيما بعد في مذكراته ببعض الضيق والحرج من محاولات السلام المنبعثة عن السويد والولايات المتحـــدة والفاتيكان وبات مقتنعاً من ان هتلر يحاول استغلال هذه المحاولات استغلالاً كلياً لمصلحته ، مما حتم عليه اتخاذ اجراءات حازمة تجاهها . وعندمـا علم تشرشل ان تومسون ، القائم بأعمال السفارة الالمانيـة في واشنطن ، قد حاول ان يتحدث الى السفير البريطاني فيها ، ابرق الى اللورد لوثيان يأمره بأن لا يرد على رسالة القائم بالاعمال الالماني بأية حالة من الأحوال [1].

وأعد رئيس الوزراء الحازم ، رداً قوياً على رسالة ملك السويد التي حث فيها بريطانيا العظمى على قبول الصلح مع المانيا وهذا نصها :

« من الواجب قبل البحث في هذه المطالب والاقتراحـات ، تقديم الضمانات الفعالة ، بالأعمال لا بالاقوال من جانب المانيا بحيث تؤكد اعادة الحياة الحرة المستقلة الى كل من تشيكوسلوفاكيا وبولندة والنروج والدانمارك وهولندة وبلجيكا ، وفرنسا قبـــل كل شيء ... » [2]

كانت هذه هي عقدة قضية تشرشل . ويبدو انه لم يكن هناك في لندن من حلم قط بحل هذه العقدة عن طريق الوصول الى صلح قد يضمن الحفاظ لبريطانيا ولكنه يستعبد البلاد التي استولى هتلر عليها بصورة دائمة . ولكن برلين لا تفهم هذا الواقع ، حيث كان كل انسان كما اذكر في تلـك الايام من ايام الصيف ، ولا

---

١ – تشرشل – مذكرات – الجزء الثاني ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

٢ – مذكرات تشرشل – الجزء الثاني ص ٢٦١ – ٢٦٢ . هناك عدة برقيـــات في مجلدات وثائق وزارة الخارجية الألمانية ، واردة الى الوزارة عن اتصالات مزعومة مع مختلف الشخصيات البريطانية والدبلوماتيين الانكليز ، بعضهـــا مباشر وبعضها عن طريق بعض المحايدين من امثال اسباني فرانكو . ونقل الامير ماكس فون هوهينلوهي ، الألماني السوديتي المشايع لانكلترا ، الى برلين ما دار من حديث له مع الوزير البريطاني المفوض في سويسرة السير ديفيد كيلي ، ومع آغا خان . وزعم ان الاخير قد طلب اليه نقل الرسالة التالية الى الفوهرر :

سيما من رجال الويلهلمشتراسه والبندلشتراسه ، واثقاً من ان الحرب قد اقتربت من نهايتها .

وظل هتلر طيلة الاسبوعين الاخيرين من حزيران والايام الأولى من تموز ، ينتظر كلمة من لندن بأن الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف بالهزيمة وعقد الصلح . وقد ذكر لدينو الفييري [١] سفير ايطاليا الجديد في الأول من تموز بأنه « لا يستطيع ان يتصور أحداً في انكلترا لا يزال يعتقد بالنصر » .[٢] ولهذا لم تقم القيادة العليا بأي اجراء لمواصلة الحرب ضد بريطانيا .

واصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة في اليوم التالي الثاني من تموز اول توجيه لها في الموضوع . وكان هذا الامر الذي صدر اخيراً ينطوي على التردد ..

« قرر الفوهرر والقائد الاعلى ما يلي :

« ان النزول الى انكلترا شيء ممكن شريطة الحصول على التفوق الجوي وتحقيق بعض الاوضاع الضرورية الاخرى . لم يتقرر موعد البدء بالحركة . من الواجب الشروع في كافة الاستعدادات فوراً » .

■ « لقد اتفق خديوي مصر الموجود هنا معي ، على انه في اللحظة التي يصل فيها الفوهرر ، الى قصر وندسور لقضاء ليلة فيه ، سنشرب معاً زجاجة من الشمبانيا نخب هذا القصر .. وقال اغا خان انه سيضع نفسه تحت تصرفنا في حالة تفكير المانيا وايطاليا بالاستيلاء على الهند .. والصراع مع انكلترا لا يمكن ان يكون صراعاً مع الشعب الانكليزي وانما مع اليهود . فتشرشل عميل مأجور لهم منذ سنوات طويلة ، والملك أضعف وأقل ادراكاً من ان يقاوم .. وقال انه اذا ذهب الى انكلترا بهذه الآراء ، فان تشرشل سيودعه السجن (وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٢٩٤ - ٢٩٥) .

وعلى المرء ان يذكر ان هذه التقارير المانية وقد لا تكون صادقة ابداً، ولكنها تصور المادة التي كان هتلر يطلع عليها . وسنورد فيا بعد الخطة النازية للاستعانة بالدوق وندسور بعد خطفه ومحاولة استغلاله كما جاءت في الاوراق السرية لوزارة الخارجية .

١ - استبدلت ايطاليا بايار من ريبنتروب سفيرها اتوليكو بالسفير الفييري وذلك في شهر ايار .

٢ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٨٢ .

وينعكس شعور هتلر المتخاذل تجاه العملية ، واعتقاده بأن لا ضرورة لها ، في الجزء الاخير من التوجيه اذ يقول :

« يجب اتخاذ كافة الاعدادات على اساس ان الغزو ما زال خطة أو مشروعاً ولم يتخذ القرار النهائي بصدده »[1]

وعندما اجتمع شيانو الى الفوهرر في برلين في السابع من تموز ، تكوّن لديه الانطباع الذي دوّنه في يومياته ، بـأن سيد الحرب النازي يتعرض لمشاغل فكرية تقض عليه مضجعه ... وقال في هذه اليوميات :

« انه يميل الى الاستمرار في الصراع ، والى اطلاق زوبعة عاصفة من الغضب والفولاذ على الانكليز . لكنه لم يصل بعـد الى القرار النهائي . ولهذا السبب وحده يؤجل الفوهرر خطابه الذي يريد كما قال هو ، ان يزن كل كلمة من كلماته »[2] .

وشرع هتلر في الحادي عشر من تموز يجمع كبار قادتـه العسكريين في اوبرسالزبرغ ، ليرى مدى شعورهم تجاه الموضوع . وقد دار حديث طويل بين الفوهرر في ذلك اليوم وبين امير البحر ريدر الذي تحـتم على اسطوله ان يتولى نقل الجيش النازي عبر القناة الانكليزية . ويبدو ان كلا الرجلين لم يرغـب في معالجة المشكلة ، وانما قضيا معظم الوقت معاً في مناقشة مشكلة تطوير القاعدتين البحريتين في تروندهايم ونارفيك في النروج .

واذا ما استند الى تقرير ريدر السري عن الاجتماع[3] ، تبيّن لنا ان القائد الاعلى كان في وضع مستكين . وراح يسأل امير البحر ، ما اذا كان يرى بأن خطابه الى الرايشستاغ « سيكون مؤثراً وفعّالاً » . ورد ريدر بأنـه سيكون كذلك ولا سـيما اذا سبقه قصف « مركز » على بريطانيا . وذكّر امير البحر قائده الاعلى بأن السلاح الجوي الملكي البريطاني يوالي « هجـماته المؤذية » على

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ٦١ - ٦٢ .
٢ – يوميات شيانو ص ٢٧٤ .
٣ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ٦٢ - ٦٦

القواعد البحرية الألمانية الرئيسية في ويلهلمستهافن وهمبورغ وكييل ، وان من واجب السلاح الجوي الألماني ان يشرع في العمل فوراً ضد بريطانيا . ولكن القائد العام للاسطول ، كان فاتراً فتوراً واضحاً في موضوع غزو بريطانيا . وقد نصح زعيمه بأن لا يقوم بهـذه المحاولة « إلا كآخر ملجأ لارغام بريطانيا على طلب الصلح » . ويقول التقرير :

« يعتقد ريدر ان في الامكان ارغام بريطانيا على طلب الصلح ، عن طريق قطع شريان تجارتها الخارجية بواسطة حرب الغواصات والهجمات الجوية على القوافل، والغارات الجوية الثقيلة على مراكزها الرئيسية ...

« ولهذا لا يستطيع القائد العام للاسطول ان يوصي من ناحيته بغزو بريطانيا كما فعل في موضوع النروج » .

ويبدو ان امير البحر شرع يوضح ايضاحاً طويلاً ومسهباً جميع الصعوبات التي ينطوي عليها مثل هذا الغزو . ولا ريب في ان إيضاحاته هذه كانت مثبطة لعزائم هتلر . لكنها كانت مقنعة في نفس الوقت ايضاً . اذ ان تقرير ريدر يشير الى « ان الفوهرر يرى كذلك ان الغزو هو الملجأ الاخير » .

ووصل القادة العسكريون بعد يومين أي في الثالث عشر من تموز الى « عش النسر » في برختسغادن ، للتشاور مع القائد الأعلى . وقد وجدوه ما زال ذاهلاً من موقف بريطانيا . فلقد دوّن هولدر في يومياته في تلك الليلة ، ان « الفوهرر يعيش تحت سيطرة كابوس مخيف ، هو التساؤل عن الاسباب التي تحمل بريطانيا على عدم الرغبة في اتخاذ طريق الصلح » . ولكن يبدو ان أحد هذه الاسباب، قد بدأ يتجلى لأول مرة امام الفوهرر ، فقد دوّن هولدر ما يلي :

« انه يرى كما نرى نحن ان الرد على هذا السؤال يقوم في الحقيقة الواقعة وهي ان انكلترا ما تزال تركز اماها على روسيا . وهو يتوقع كذلك ، ان تجد انكلترا نفسها مضطرة تحت تأثير القوة الى عقد الصلح . لكنه عزوف عن استعمال هذه القوة على أي حال .

ولعزوفه هذا اسباب عدة ، منها انه يرى اننا اذا حطمنا انكلترا عسكرياً ، فإن الامبراطورية البريطانية ستصاب بالتفسّخ والتحلل. لكن المانيا لن تستفيد بأي حال من الاحوال من مثل هـــذا التطور وسيستخدم الدم الالماني في تحقيق امر تفيد منه اليابان وامريكا وغيرهما من الدول » .

وبعث هتلر في نفس اليوم الثالث عشر من تموز برد الى موسوليني يعتذر فيه اعتذاراً مصحوباً بالشكر عن قبول عرض الدوتشي تقـديم القوات والطائرات الايطالية للاشتراك في عملية غزو بريطانيا. ويتضح من هذه الرسالة ان هتلر قد شرع في النهاية يحزم امره. فالبريطانيون الغربيون في اطوارهم لن يصغوا لصوت العقل والمنطق ...

« لقد كتب الفوهرر يقول : قدمت لبريطانيا عـــدة عروض للاتفاق وللتعاون ايضاً ، ولكنها عاملتني معاملة تنطوي عـلى الازدراء ، بحيث بت مقتنعاً الآن ، بأن أي نداء أوجهه اليها للتعقل والتمسك بالمنطق ، سيقابل بعين الرفض . فالحـكم الذي يقوم في تلك البلاد في الآونة الحاضرة ، لا يمكن ان يعتبر حـــكم المنطق » . [1]

وتوصل سيد الحرب النازي بعد ثلاثة ايام ، أي في السادس عشر من تموز الى قرار فاصل . واصدر توجيهه رقم ١٦ عن « الاستعدادات التي يجب القيام بها لضمان نجاح عملية الانزال في بريطانيا » [2]

---

١ – رسالة هتلر الى موسوليني في ١٣ تموز ١٩٤٠ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٢٠٩ - ٢١١ .

٢ – نص التوجيه رقم ١٦ في المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٣٩٩ - ٤٠٣ ، وفي وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

مقر قيادة الفوهرر

في ١٦ تموز - ١٩٤٠

« لما كانت انكلترا على الرغم من وضعها العسكري اليائس ، لا تبدي اية اشارة أو استعداد للرغبة في التفاهم ، فقد قررت اعداد عملية انزال ضد بريطانيا ، وتنفيذ هذه العملية اذا اقتضى الامر .

« والغاية من هذه العملية ، هو ازالة خطر استخدام الوطن الانكليزي قاعدة لمواصلة الحرب ضد المانيا ، واحتلالها احتلالاً تاماً اذا تطلب الامر ذلك » .

وقد اطلق على العملية الاسم الرمزي « اسد البحر » . وطلب الفوهرر إتمام الاستعدادات اللازمة لها قبل منتصف شهر آب .

انه ما زال متردداً كما تظهر عبارات التوجيه ، فهو على الرغم من تزايد شعوره بضرورة هذه العملية إلا انه ما زال يقول : « اذا اقتضى الأمر » . وكانت « اذا » الشرطية هذه ما زالت ماثلة امام ناظريه ، عندما نهض في الرايشستاغ عشية التاسع عشر من تموز ، ليلقي عرضه الأخير للصلح مع بريطانيا وكان هذا الخطاب آخر خطبه العظيمة في الرايشستاغ ، وآخر ، ما استمع اليه المؤلف من خطب القيت في هذا المكان لعدة سنوات اخرى . وليس ثمة من شك ايضاً في ان هذا الخطاب كان من اعظم خطبه . وقد سجلت في تلك الليلة انطباعاتي عنه ... بقولي :

« كان هتلر الذي رأيناه في الرايشستاغ هذه الليلة هو الفاتح القاهر ، الذي يحس بما حققه من فتوحات . ولكنه كان في الوقت نفسه ممثلاً رائعاً ، وقد تجلى نبوغه في معالجة العقل الألماني ، اذ كان

يمزج مزجاً رائعاً بين ثقة الفاتح المطلقة وبين التواضع الذي يؤثر على الجماهير اشد التأثير لا سيما اذا عرفت ان صاحبه يقف في القمة . وكان صوته اكثر انخفاضاً من المعتاد ولم اسمعه يصرخ كما تعودنا ان نسمعه . ولم اره يتفجّر مرة واحدة بعواطف هستيرية ، كما سبق لي ان رأيته كثيراً من فوق هذا المنبر » .

وليس ثمة من ريب في ان خطابه الطويل كان غاصاً بالمغالطات التاريخية ، وتنتشر فيه هنا وهناك ، اهانات شخصية لتشرشل ولكن هذا الخطاب كان على أي حال معتدلاً في لهجته ، هذا هذا اخذنا بعين الاعتبار الظروف المشرقة المتألقة التي القاه فيها . وكانت غايته الماكرة من هـذا الخطاب ان لا يكسب تأييد شعبه فحسب، بل وتأييد الشعوب المحايدة ، وان يقدم للجماهير في انكلترة مادة تحملها على التفكير الطويل ... قال في خطابه :

« انني لا اسمع اليوم من انكلترة الا صوتاً واحداً ، انه صوت الساسة لا صوت الشعب، وهو ينادي بأن الحرب يجب ان تستمر ! ولست ادري اذا كـان هؤلاء الساسة يحملون فكرة صحيحة عن الشكل الذي سيبدو فيه استمرار هذه الحرب . وهم يعلنون، وهذا حق وصدق ، انهم سيواصلون الحرب ، وانهـم سيواصلونها من كندا ، اذا قدر لبريطانيا العظمى ان تمحّي من الوجود وتزول . ولا استطيع ان اصدق مطلقاً انهم يعنون بذلك ان عـلى شعب بريطانيا ان يرتحل الى كندا . ويبدو ان هؤلاء السادة الذين يهمهم ان تستمر الحرب ، هم الذين سيذهبون الى هناك . أمـا الشعب ، فعليه ان يبقى في بريطانيا ... وسينظر الى الحرب حتمـاً بعيون تختلف عن تلك التي ينظر فيها اليها اولئك الزعماء المزعومون ، وهم قابعون في كندا .

« صدقوني ايها السادة ، ان قلت لكم ، بأن نفسي لتتقزز تقززاً عميقاً من هذا الطراز من الساسة الذين يودون خراب بلاد بأسرها.

واني لاشعر بالألم عندما افكر بأن القدر قد اختارني لتوجيه الضربة النهائية القاضية الى هذا الكيان الذي زلزل هؤلاء السادة قواعده واركانه ... وليس لدي من شك في ان المستر تشرشل سيمضي الى كندا ، التي بعث اليها اولئك الذين يهمهم ان تستمر الحرب ، بأطفالهم وما يملكون من أموال . أما بالنسبة الى الملايين من الناس الآخرين ، فانهم سيعانون اشد الآلام التي سيتعرضون لها فوراً . واود ان اقول ان على المستر تشرشل ، ان يصدقني ولو مرة واحدة عندما اقول له ان امبراطورية عظيمة ستتحطم ، وهي الامبراطورية التي لم اكن افكر قط في تحطيمها او إلحاق الاذى بها ... »

وهكذا بعد ان انهال هتلر على رئيس الوزراء الراسخ القدم بالضربات يكيلها اليه ، محاولاً ان يفرّق بينه وبين الشعب البريطاني ، وصل اخيراً الى النقطة الرئيسية التي استهدفها من خطابه الطويل ... فقال :

« واني لاشعر من واجبي في هذه الساعة ، امام ضميري ، ان اناشد بريطانيا العظمى من جديد ، التعقل والمنطق ، كما اناشدهما في أي مكان آخر . واني لاعتبر نفسي في وضع يمكنني من توجيه هذا النداء ، لا سيما وانني لست المهزوم الذي يطلب الاحسان والصدقة ، وانما المنتصر الذي يتحدث نيابة عن العقل والمنطق .

« انني لا ارى سبباً يدعو الى استمرار هذه الحرب »[1] .

---

١ – وقع منظر رائع ، لا مثيل له في التاريخ الالماني ، عندما توقف هتلر فجأة عن الخطابة في منتصف حديثه ليمنح عصا الماريشالية الى اثني عشر فريقاً المانياً ، وليمنح رتبة ضخمة لغورنغ ، اذ منحه الرتبة الجديدة التي خلقها وهي ماريشال الرايخ الالماني الأعظم فجعله بها ، فرق غيره من الماريشالات . وقد منحه ايضاً الصليب الأعظم من وسام الصليب الحديدي ، وهو وسام لم ينله غيره طيلة الحرب كلها . وقد تخطت هذه الترقيات الى رتبة «المشير» ، هولدر ، الذي رفع فقط الى رتبة الفريق الكامل . وقد أدت هذه المكافآت السخية ، بتقديم رتبة « المشير » الى هذا العدد الضخم ، الى خنق أية معارضة محتملة لهتلر بين قادته العسكريين لا سيا بعد ان حاول بعضهم الاطاحة به ثلاث مرات في الماضي . ويجدر بنا ان نذكر هنا ان القيصر لم يمنح هذه الرتبة طيلة الحرب =

ولم يوضح ما يريد قوله ، بأكثر من هذا . اذ لم يذكر اية اقتراحات محددة عن شروط الصلح الذي يطلبه ، ولم يشر بقليل أو بكثير الى المائة مليون من البشر الذين يرزحون تحت الحكم النازي في البلاد المحتلة . ولكن لم يكن بين اعضاء الرايشستاغ في تلك الليلة إلا عدد ضئيل ، إن وجد هذا العدد ايضاً ، يودون لو راح يفصل في هذه المرحلة ما يريده . ورحت اختلط بأكبر عـــدد من الضباط والموظفين عند نهاية الاجتماع ، ولم يكن لدى اي منهم ، شك ، كما قالوا ، في ان البريطانيين سيقبلون مـــا خالوه هم عرضاً سخياً وشهماً من الفوهرر . ولكن لم يقدر لهم ان يظلوا مخدوعين طويلاً .

ورحت امضي بسيارتي فوراً الى « روندفونك » لأبث تقريراً اذاعياً عـــن الخطاب الى الولايات المتحدة . ولم اكد اصل الى دار الاذاعة ، حتى كنت التقط اذاعة من لندن موجهة باللغة الالمانـــية ، وكانت تعطي الى الألمان رد بريطانيا على عرض هتلر . ولم يكن هذا الرد إلا عبارة « لا » ، مصحوبة بكل عزم وتصميم .[1]

ورأيت عدداً من صغار الضباط من القيادة العامة ومن الموظفين من مختلف الوزارات يجلسون في القاعة ، وهم يصغون الى ما تنقله الاذاعـــة لهم بمنتهى الاهتمام . ورأيت الوجوم يعلو وجوههم . انهم لا يكادون يصدقون ما سمعوه . وهتف أحدهم لي قائلاً : « هل تستطيع ان تفسر لنا هذا ؟ » كانت الحيرة تبدو

= الكونية الاولى الا الى خمسة ضباط ،لم يكن بينهم لودندورف نفسه. وليس ثمة من شك في ان هتلر ، في امتهانه لهذه الرتبة التي تعتبر أعلى رتبة عسكرية في الجيش الالماني ، بترقيته هذا العـــدد الضخم اليها ، قد سلك سلوكاً ينطوي على الدهاء لتشديد قبضته على الجنرالات . وقد رفع تسعة من الفرقاء الى رتبة المشير وهم براوختش وكايتل، وروندشتادت ، وبوك ، وليب وليست وكلوغه وويتزليبين ورايخناو ، وثلاثة من الفرقاء (الجنرالات) الجويين وهم ميلش وكيسلرنغ وسبيرل .

١ - اعلن تشرشل فيما بعد ان هذا الرفض الفوري الصارم لعرض هتلر للصلح قد « صدر عن دار الاذاعة البريطانية نفسها دون أي حث من حكومة صاحبـــة الجلالة ، فور ان استمع المسؤولون عنها الى خطاب هتلر من الاذاعة الالمانية » (مذكرات تشرشل - الجزء الثاني ص ٢٦٠) .

واضحة عليه . ومضى يهتف بصوت عال : « هـــل في وسعك ان تفهم هؤلاء المجانين البريطانيين ؟ » ... ثم قال : « هل يرفضون الصلح الآن ؟ حقاً انهم مجانين » .

واستمع شيانو [1] في ساعة متأخرة من ذلك المساء الى رد فعـل برلين على المجانين الانكليز ، على مستوى اعلى بكثير من المستوى الذي استمعت فيه انا .. ودوّن في يومياته يقول : « « انتشر بين الألمان في ساعة متأخرة تلـــك الليلة عندما وصلت اولى ردود الفعل من انكلترا على الخطاب، موجة من خيبة الأمل التي لم يحسنوا اخفاءها ». وكان التأثير على موسوليني على النقيض تماماً من ذلك .

« فهو يصف الخطاب بـــأنه « فعال للغاية في مكره » . وهو يخشى ان يجد فيه الانكليز ، ذريعة للبدء في المفاوضات . ان مثل هذا الاحتمال يحزن موسوليني اشد الحزن ، وذلك لأنـه اشد رغبة اليوم في الحرب منه في أي وقت مضى » [2] .

ولاحظ تشرشل فيما بعد ، انه « كان مـــن واجب الدوتشي ان لا يثور ويكبت ثورته في نفسه . فسيتاح له ان يذوق الكثير مـــن طعم الحرب التي ارادها » [3] .

ودوّنت في يوميتي في تلك الليلة اقول : « لا ريب في ان خطاب هتلر كان قطعة رائعة من البيان ، كمناورة يقصد منها حشد الشعب الألماني للحرب ضـد بريطانيا . فسيقول الشعب الألماني الآن بعد ان استمع الى هذا الخطاب ان هتلر قد عرض الصلح على انكلترة ، ولكنها لم تستجب له . ولقد قال الفوهرر انه

---

١ – سلك وزير خارجية ايطاليا مسلك المهرج إبان جلسة الرايشستاغ ، واثباً تارة وهابطاً تارة اخرى . كدمية الأطفال ، ليحيي التحية الفاشية في كل مرة يلتقط فيها هتلر انفاسه . ورأيت كذلك كويزلنغ ، الرجل القميء ذا العين التي تشبه عين الخنزير ، قابعاً في مقعد يقع في الزاوية في الشرفة الأولى . لقد جاء الى برلين ليرجو الفوهرر ، اعادته الى الحكم في اوسلو .

٢ – يوميات شيانو ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

٣ – مذكرات تشرشل – الجزء الثاني ص ٢٦١ .

لا يرى سبباً لاستمرار هذه الحرب . أما اذا استمرت ، فـإن الخطأ هو خطأ انـكلترا » .

أولم يكن هذا هو السبب الرئيسي في تقديمه لهذا العرض بعد ثلاثة ايام من اصداره التوجيه السادس عشر ، لإعداد العدة لغزو بريطانيا ؟ وقـــد اعترف بهذا ، كما حدث من قبل الى اثنين من الايطاليين المقربين وهما الفييري وشيانو . فلقد صرح في الأول من تموز للسفير قائلاً :

« ... لا ريب في ان اظهار العدو بمظهر المسؤول عـــن السير المقبل للأحداث ، امام الرأي العـام ، هو اسلوب طيب ونافع . فمثل هذا الاجراء ، يشدد مـــن معنوية المرء ويضعف من عزائم عدوه . ولا ريب في ان العملية التي كانت المانيا تعمل على إعدادها كانت دموية للغاية ... وعلى المرء والحالة هذه ان يقنع الرأي العام بأن كل شيء قد تم اعداده لتجنّب هذا الهول ...

« ولقد كان في خطـــابه في السادس من تشرين الأول الذي عرض فيه الصلح على الغرب عند انتهاء الحملة البولنـــدية يتلقى الايحاء من الفكرة القائلة بتحميل الـــلوم الجانب الآخر في جميع التطورات اللاحقة . وهكذا فقد كسب الحرب حقاً قبل ان تبدأ بداية فعلية . ولهذا فهـــو يعتزم لأسباب نفسية ان يدعم الروح المعنوية ، لينتقل الى مرحلة العمل التي ينوي القيام بها » [1]

وأسر هتلر بعد نحو من اسبوع أي في الثامن من تموز الى شيانو بأنه : « سيعرض تمثيلية اخرى ، حتى اذا ما قـــدر للحرب ان تستمر وهو الاحتمال الواقعي الوحيد الذي يعتقـد بأنه سيصبح موضوع الحديث ، فستترك هذه التمثيلية اثراً نفسياً لدى الشعب الانكليزي ... وقد يكون من الممكن عن طريق نداء ينطوي

---

١ ـ وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ٧٩ ـ ٨٠ .

على الدهاء ، ويوجه الى الشعب الانكليزي ، عزل الحكومة الانكليزية الى مدى أبعد في بلادها » . [1]

ولكن الحوادث لم تبرهن على امكان تحقيق هذا الهدف . فلقد ترك خطاب التاسع عشر من تموز اثره لدى الشعب الألماني لا الشعب البريطاني . واصدر اللورد هاليفاكس في الثاني والعشرين من تموز اذاعة خاصة رفض بريطانيا الرسمي لعرض هتلر السلمي . وعلى الرغم من ان برلين كانت تتوقع هذا الرفض ، إلا انه ادهش وزارة الخارجية الألمانية ، حيث قابلت عدداً من الوجوه الساخطة بعد ظهر ذلك اليوم . وقال لنا الناطق الرسمي باسم الحكومة : « لقد رفض اللورد هاليفاكس عرض الفوهرر للصلح . اذن فستكون حرباً ضروساً ايها السادة » .

وكان القول بالطبع اسهل من العمل . ولم يكن هتلر على وجه التأكيد ولا قيادته العليا او اركان حرب جيشه واسطوله وقوته الجوية قد درسوا دراسة جدية الطريقة التي يمكن بها خوض الحرب مع بريطانيا العظمى وكسبها . أما وقد حل منتصف صيف عام ١٩٤٠ فلم يكونوا قد عرفوا بعد ما يمكن عمله بانتصاراتهم اللامعة المشرقة ، ولم يكونوا قد وضعوا الخطط اللازمة او تحلوا بالارادة الصادقة لاستغلال هذه الانتصارات العسكرية التي تعتبر اعظم ماحصل عليه شعبهم المحارب طيلة تاريخه . وكان هذا من اضخم المتناقضات والغرائب في الرايخ الثالث . ففي اللحظة التي وقف فيها هتلر في اوج قوته وعظمته العسكرية ، اذ باتت معظم أجزاء القارة الأوروبية طريحة تحت قدميه ، وامتدت جيوشه الظافرة من جبال البيرانيز حتى الدائرة القطبية ، ومن الاطلنطي الى ما وراء نهر الفستولا ، تقف على قدم الاهبة والاستعداد ، للقيام بأي هجوم جديد ، نجد ان هذا المنتصر ، لا يكون اية فكرة عن الطريقة التي سيمضي فيها للوصول بالحرب الى نهاية ظافرة ، ويصدق هذا القول ايضاً على « فرقائه »

---

٢ ـ وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) ص ١٤٨ .

العسكريين الذين ارتقى اثنا عشر منهم الى رتبة المشير .

وكان ثمة سبب لكل هذا التراخي ، وان كان لم يصل الى علمنا ، ولم يتضح لنا في ذلك الوقت . فالألمان على الرغم من مواهبهم العسكرية الضخمة يفتقرون الى المفاهيم السوقية (الاستراتيجية) الدقيقة . فآفاقهم محدودة ، وكانوا دائماً محصوري الفهم في الحروب البرية ، ضد الدول المجاورة لهم في القارة الأوروبية. وكان هتلر نفسه شديد الهلع دائماً من البحر [1] ، كما كان كبار مساعديه يجهلونها جهلاً تاماً . فسعة ادراكهم تقتصر على البر ، ولا تمتد الى البحر وعلى الرغم من ان جيوشهم كانت قادرة على سحق القوات البريطانية الضعيفة الموجودة في جزرها ، لو اتيح لها ان تشتبك معها في غضون اسبوع ، إلا ان هذه المياه الضيقة في مضائق دوفر التي تفصل بينهم وبين اعدائهم ، كانت دائماً تتراءى امامهم ، مع اقتراب الصيف من نهايته ، عائماً لا يعرفون طريقة التغلب عليه ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي ان في وسع المرء اذا وقف على الشاطىء الفرنسي ان يرى الناس الذين يواجهونه على الشاطىء المقابل .

وكان هناك بالطبع مجال آخر ، مفتوح أمام الألمان . ففي وسعهم ان يرغموا بريطانيا على الركوع ، عن طريق توجيه الضربة اليها عبر البحر الابيض المتوسط مع حليفتهم ايطاليا باحتلال جبل طارق الواقع عند مدخله الغربي ؛ وبالزحف في الشرق ، من القواعد الايطالية في افريقيا الشمالية ، عبر مصر وقناة السويس الى ايران لقطع طريق يعتبر من شريانات الحياة الرئيسية للامبراطورية . ولكن هذه الخطة تتطلب عمليات وراء البحار تبعد كثيراً عن قواعد الوطن وكانت تبدو في عام ١٩٤٠ وراء مجالات الخيال الألماني .

وهكذا تردد هتلر ومساعدوه ، وهم في سمت نجاحهم المذهل . فلم يكونوا قد فكروا بعد بالخطوة المقبلة . ولا بطريقة تنفيذها وقد قدر لهذا الاهمال

---

١ ـ قال هتلر ذات يوم لرونشتادت .. « انا بطل في البر ولكنني جبان في البحر » (شولمان ـ الهزيمة في الغرب . ص ٥٠) .

القدري ، ان يبرهن على انه من أهم نقاط التحول في الحرب ، وفي التاريخ القصير لحياة الرايخ الثالث وفي سير ادولف هتلر الذي يشبه سير الشهب الثاقبة في سرعته . وقدر للفشل ان يبدأ الآن بعد هذه الانتصارات المذهلة . ولكن لم يكن في وسع انسان ان يتكهن بهذا وهو يرى بريطانيا المحاصرة ، تصمد الآن لوحدها . تتأهب بما لديها من ممكنات ضعيفة للغزو الألماني الكاسح في نهاية الصيف .

٢٢

عملية "أسد البحر"

غزو بريطانيا الفاشل قبل بدايته

كتب الفريق يودل رئيس دائرة العمليات الحربية في القيادة العليا للقوات المسلحة في يومياته بتاريخ الثلاثين من حزيران عام ١٩٤٠ يقول : « لم يعد الانتصار الألماني النهائي على انكلترا الآن إلا قضية وقت ليس إلا . وليس في مكنة العدو بعد الآن ان يقوم بأية عمليات هجومية على نطاق واسع » .

وكان واضع الخطط السوقية المقرب الى هتلر ، في حالة مزاجية ترمز الى الثقة وهدوء النفس . فلقد استسلمت فرنسا في الاسبوع الماضي ، تاركة بريطانيا وحدها في وضع يائس كما يبدو . وكان هتلر قد ابلغ قادته العسكريين في الخامس عشر من حزيران انه يريد تسريح جيشه تسريحاً جزئياً ،وخفض قوامه من (١٦٠) فرقة الى (١٢٠) . ودوّن هولدر في يومياته في ذلك اليوم يقول : « والافتراض القائم وراء هذا القرار ، ان مهمة الجيش قد انتهت ، وان مهمة مواصلة الحرب ضد انكلترة ، سيعهد بها الى القوة الجوية والاسطول وحدهما ».

ومن الحق ان يقال . ان الجيش لم يبدِ كبير اهتمام بمواصلة الحرب . ولم يكن الفوهرر نفسه كثير القلق والاهتمام بها. فلقد نقل العقيد وولتر ووروليمونت

نائب يودل الى قيادة الاسطول في السابع عشر من حزيران ، ان « الفوهرر لم يعرب بعد عن عزمه على النزول في بريطانيا ... ولهذا لم يجر اعداد أي عمل تحضيري من أي نوع حتى هذه اللحظة في القيادة العليا للقوات المسلحة »[١] .
وقيل لقيادة الاسطول بعد اربعة ايام أي في الواحد والعشرين من حزيران ،في نفس اللحظة التي كان هتلر يدخل فيها عربة الهدنـــة في كومبيين ، لإذلال الفرنسيين ان « هيئة اركان حرب الجيش لن تشغل نفسها في موضوع انكلترا، فهي ترى ان تنفيذ الغزو مستحيل . وهي لا تعرف الطريقـــة التي يمكن ان تجري فيها العملية من البحار الجنوبية ... ان هيئة اركان الحرب ترفـــض العملية »[٢] .

ولم يدر أي من المخططين الموهوبين في القوات الألمانية المسلحة الثلاث الطريقة التي يمكن ان يتم فيها غزو بريطانيا ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي ان الاسطول ، كان اول هذه القوات الثلاث الذي اولى الموضوع بعض التفكير . وكان ريدر في الخامس عشر من تشرين الثاني عـــام ١٩٣٩ ، عندما كان هتلر يحفز قادته العسكريين عبثاً عـلى الشروع في الهجوم في الغرب ، قد اوعز الى اركان حربه البحريين « دراسة الامكانيات لزيارة انكلترا ، وهو احتمال قـــد ينشأ في حالة تحقيق بعض الاوضاع،من جرّاء الاستمرار في الحرب .»[٣] وكانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يطلب فيها الى ضباط اركان مـن الألمان

١ - يوميات اركان حرب الاسطول الحربية . في ١٨ حزيران عام ١٩٤٠ .اقتبست من كتاب رونالد ويتلي « عملية اسد البحر » ص ١٦ . وقد اتيح للمؤلف وهو عضو في فريق بريطاني يضع تاريخاً رسمياً للحرب ، ان يصل دون أية قيود الى الوثائق الالمانية المصادرة من حربيـــة وبحرية وجوية ودبلوماتية ، وهو امتياز لم يمنح حتى وضع هذا الكتاب ، الى أي مؤلف امريكي لا من السلطات الامريكية ولا البريطانية وهما اللتان تشرفان بالاشتراك على هذه الوثائق . ولهذا فان كتاب ويتلي يعتبر دليلاً نافعاً عن المصادر الالمانية المحدودة عن عملية اسد البحر .

٢ - سجلات القيادة العليا البحرية - ويتلي . ص ٢٦ .

٣ - يوميات اركان حرب الاسطول الحربية في ١٥ تشرين الثاني عـــام ١٩٣٩ - (ويتلي ص ٤ - ٧) .

دراسة مثل هذا العمل . ويبدو أن ريدر قد قام بهذه الخطوة لانه اراد ان يتوقع أي انحراف مفاجيء من جانب زعيمه غير الموزون . وليس ثمة من وثيقة تثبت استشارة هتلر في هذه القضية أو معرفته بها. وكان اقصى ما وصلت اليه افكاره في هذا الحين ، الحصول على المطارات والقواعد البحرية في هولندة وبلجيكا وفرنسا ، لتضييق الحصار على الجزر البريطانية

ولم يحل كانون الأول عام ١٩٣٩ ، حتى كانت قيادتا الجيش والسلاح الجوي قد شرعتا في ايلاء هذه القضية بعض تفكيرهما . وقد تبودلت بعض الافكار الغامضة بين هذه الفروع الثلاثة ، ولكنها لم تمض بعيداً . ورفض الاسطول والسلاح الجوي في كانون الثاني عام ١٩٤٠ خطة وضعها الجيش على اعتبار انها مفتقرة الى الواقعية . ورأى الاسطول فيها تجاهلها القوة البحرية البريطانية كما رأى فيها السلاح الجوي انها اهملت قوة بريطانيا في الجو . وعلقت هيئة اركان القوة الجوية في ردها على هيئة اركان الجيش قائلة : « وفي الختام فإن عملية مشتركة تهدف الى الانزال في انكلترا يجب ان ترفض رفضاً قاطعاً »[١] . وسنرى فيما بعد ، كيف تحتم على غورنغ ومساعديه ، ان يتبنوا وجهة نظر مغايرة لهذه تمام المغايرة .

وقد ورد اول ذكر في الوثائق الألمانية بأن هتلر يواجه احتمال غزو بريطانيا في الواحد والعشرين من ايار ، أي في اليوم الذي تلا وصول القوات المسلحة الى البحر عند ابيفيل . وبحث هتلر « بصورة خاصة » مع الفوهرر « في احتمال القيام بنزول لاحق في انكلترا » . وكان ريدر نفسه هو مصدر المعلومات[٢]، اذ لم يكن اسطوله قد اشترك في امجاد الانتصارات المذهلة التي حققها الجيش والاسطول الجوي في الغرب ، وكان يود لو عثر على بعض الوسائل التي تمكنه من اظهار خدماته في الصورة. ولكن افكار هتلر تركزت في معركة

---

١ - ويتلي - ص ٧ - ١٣ .

٢ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٥١ . ويوميات اركان حرب الاسطول الحربية بتاريخ ٢١ ايار ١٩٤٠ ويتلي ص ١٥ .

التطويق الجارية في الشمال ، وفي جبهة اليوم التي كانت . قيـد التكوين في الجنوب . ولم يكن يود ان يشغـل قادتـــه العسكريين بأمور تتعدى حدود هذه المهام .

لكن ضباط البحرية ، واصلوا على أي حال ، نظراً لضآلة مـــا يعملونه ، دراسة مشكلة الغزو ،وفي السابع والعشرين من ايار ، طلـع الرير اميرال كورت فريك ، رئيس دائرة العمليات البحرية بخطة جديدة اطلق عليها اسم « دراسة انكلترا » .وقد شرع ايضاً في اعداد الاعمال التمهيدية لجميع البواخر ، والاكثار من السفن اللازمة للانزال ، وهي القطع التي كان الاسطول الالماني يفتقر اليها كل الافتقار . وكان الدكتور غوتفريد فيدر الخبير الصنـّاع في الشؤون الاقتصادية ، الذي سبق له ان أعان هتلر في وضع برنامج الحزب في ايام ميونيخ الاولى ، والذي غدا الآن وزير دولة في وزارة الاقتصاد ، حيث كانت آراؤه الفارهة تلقى قبولاً سريعاً ، قد انتج الآن تصاميم لما اسماه « تمساح الحرب » .ولم يكن هذا الابتكار إلا قارباً ذاتي الانطلاق ، مصنوعاً من الأسمنت المسلح ، يستطيع ان يحمل جماعة يبلغ تعدادها مائتي رجل ، ومعهم معداتهم الكاملة ، او يحمل عدداً من الدبابات او المدافع ؛ وفي استطاعته ان يندفع الى أي ساحل ، وان يؤمن الغطاء الناري للقوات والعربات الهابطة . وقد حملت القيادة البحرية هذا الاختراع على محمل الجد ، واشترك في ذلك هولدر ايضاً ، الذي اشار اليه في يومياته . كما بحث فيه مفصلاً هتلر وريدر اثناء اجتماعهما في العشرين من حزيران . لكن هذا الاختراع لم يسفر في النهاية عن أي شيء عملي .

ولم ير امراء البحر عندما اقترب شهر حزيران من نهايته ان هناك أي أمل في نجاح غزو الجزر البريطانية . فبعد ان انتهى هتلر ، من الفصل المسرحي الذي مثله في كومبيين في الواحد والعشرين من حزيران ، مضى مع بعض اخوانـــه القدامى الى باريس لرؤيتها [1] ، ولزيارة بعض ميادين القتال ، في معارك الحرب

---

١ - اراد هتلر ان يشاهد قبر نابليون في ضريح « الانفاليد » . ولقـــد صرح الى مصوره الامين ، هنريخ هوفمان ، بأن هذه اللحظة كانت من اعظم واروع ما شهده من لحظات في حياته .

الأولى حيث كان يعمل كجندي مراسلة. وقد رافقه في هذه الزيارة الرجل الذي كان يعمل عريفاً في كتيبته في الحرب الأولى ، والذي امتاز بالصرامة والشدة ، وبات الآن الناشر النازي المليونير وهو ماكس امان ويبدو انه لم يفكر قيد أنملة بسير الحرب المقبل ضد بريطانيا ، اذ انه كان يعتقد كما يبدو ، بأن هذه القضية قد سوّيت وان البريطانيين سيستجيبون الآن الى صوت العقل والمنطق، وسيقبلون على الصلح .

ولم يعد هتلر الى مقر قيادته الجديد ، تاننبرغ، الى الغرب من فرويد نستادت في الغابة السوداء ، إلا في التاسع والعشرين من حزيران . وعندما هبط ثانية الى الارض في اليوم التالي من الخيالات والأوهام التي عاشها بعد انتصاره على فرنسا، شرع يتبصّر في المذكرة التي أعدها يودل عن الخطوة المقبلة . وكان عنوان هذه المذكرة « مواصلة الحرب ضد بريطانيا » [1] . وعلى الرغم من ان يودل لم يكن يقل ايماناً عن كايتل في عبقرية الفوهرر إلا انه كان بين رجال القيادة العليا للقوات المسلحة العالم المتبصّر لسوقية الحرب . ولكنه كان يشترك في هذه الآونة مع غيره من رجال القيادة العليا ، في الرأي بأن بلاده قد فازت بالحرب ، وانها قد وصلت الى نهايتها . وكان يرى ، انه اذا لم تكن بريطانيا قد ادركت هذه الحقيقة ، فإن من الواجب اللجوء الى بعض القوة لحملها على هذا الادراك . واقترحت مذكرته ثلاث خطوات لفرض « الحصار » على انكلترا ، وهي الاسراف في الحرب الجوية والبحرية الألمانية ضد الملاحة البريطانيـــة وضد مستودعات التخزين والمصانع والسلاح الجوي البريطاني ، وشن «هجمات ارهابية» على المراكز الآهلة بالسكان ، وانزال القوات التي تهدف الى احتلال انكلترا .

وادرك يودل ان الحرب ضد السلاح الجوي البريطاني « يجب ان يحتل مكان الصدارة » ، ولكنه رأى ان هذه الخطوة مع الصور الآخرى من الهجوم، يمكن

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب الألمان (٢٨) ص ٣٠١ . ـ المؤامرة النـــازية والمدوان (ا) ص ٤٠٤-٤٠٦ .

ان تقع دون أي عناء أو متاعب .. اذ قال في مذكرته :

« وليس ثمة من ريب في ان هذه الخطوة مع الهجمات الارهابية التي تقع من آونة الى اخرى، والتي تصوّر على انها عمليات انتقامية، ستعمل على اضعاف قواعد التموين البريطانية بصورة متزايدة، وتشل من ارادة الشعب على المقاومة وتضعفها، مما يرغم الحكومة على الاستسلام » ..

ومضت المذكرة تتحدث عن الانزال فقالت :

« لا يمكن التفكير بأية عملية من هذا النوع إلا بعد ان تحقق المانيا السيطرة في الجو، ولهذا فإن الانزال يجب ان لا يهدف الى احتلال انكلترا عسكرياً، اذ يمكن ان يعهد بهذه المهمة الى السلاح الجوي والأسطول. ومن الضروري ان يكون الهدف توجيه الضربة القاضية الى انكلترا التي باتت مشلولة اقتصادياً وعاجزة عن القتال في الجو اذا كان هذا العجز ما زال ضرورياً »[1]

ومع ذلك يرى يودل ان جميع هذه الأمور قد لا تكون ضرورية ...

« لما كانت انكلترا قد باتت عاجزة عن القتال في سبيل النصر، وانما تقاتل من اجل الحفاظ على ممتلكاتها، وعلى سمعتها الدولية، فإن عليها طبقاً لجميع الاحتمالات ان تكون ميّالة الى عقد الصلح، عندما تدرك ان في وسعها الآن ان تحصل عليه بثمن ضئيل نسبياً ».

وكان هذا يماثل تفكير هتلر نفسه، وقد شرع يعمل في هذا الاتجاه بخطابه السلمي الذي القاه في الرايشستاغ . ولكنه أمر في غضون ذلك، كما سبق لنا ان رأينا من قبل، أي في الثاني من تموز، بوضع الخطط التمهيدية للقيام بعملية انزال الى البحر، وعندما حل السادس عشر من تموز، ولم تكن أية عبارة

---

١ - اقترح يودل ايضاً احتمال « توسيع الحرب الى ميادين أخرى » أي مهاجمة الامبراطورية البريطانية بمساعدة ايطاليا واليابان واسبانيا وروسيا .

« معقولة » قد وردت من لندن ، راح يصدر توجيهه السادس عشر بأعداد عملية « اسد البحر » . وهكذا بعد ستة اسابيع من التردد تقرر اخيراً غزو بريطانيا « اذا اقتضى الأمر » . ولقد كانت هذه الخطـة ، كما ادرك هتلر « وفرقاؤه » اخيراً ، عملية عسكرية رئيسية ، لا تفتقر الى المجازفة والاخطار ، وتعتمد في نجاحها على ما اذا كان السلاح الجوي والاسطول ، يستطيعان ان يمهدا الطريق للقوات للنزول امام اسطول بريطاني متفوق تمام التفوق، وامام سلاح جوي معادٍ لا يمكن ان يعتبر بأي حال من الأحوال تافهاً او مهملاً .

ولكن هل كانت خطة اسد البحر عملية جدية ؟ وهل كان القصد منهـــا تنفيذها فعلاً ؟

ما زال الكثيرون حتى اليوم يشكون في جديتها ، وقد عزز شكـوكهم هذه ما صدر عن « جوقة » الفرقاء الألمان من اقاويل بعد انتهاء الحرب . فلقد ذكر رونشتادت الذي اسندت اليه قيادة الغزو ، لمحققي الحلفاء في عام ١٩٤٥ ما يلي :

« كان الغزو المقترح لانكلترا ، مجرد سخافة لا طائـل تحتها ، اذ ان البواخر اللازمة للغزو لم تكن متوافرة ... وكنا ننظر الى الامر كله على انه مجرد لعبة ليس الا ، اذ كان من الواضح ان الغزو لن يكون ممكناً في الوقت الذي لا يكون فيـه اسطولنا قادراً على تغطية عبور القناة اونقل الامدادات . ولم يكـــن السلاح الجوي الالماني ايضاً قادراً على المضي في هذه الواجبات اذا عجز الاسطول عن القيام بها .. وكانت الشكوك تراودني دائماً تجاه القضية كلها... واني لاشعر بأن الفوهرر لم يرغب قط رغبة صادقـــة في غزو انكلترا ... اذ كان يفتقر الى الشجاعة ... وكل ما كان يأمل فيه ان الانكليز سينشدون الصلح ... »[1]

---

١ ـ مجلة المخابرات العسكرية البريطانية (عدد تشرين الثاني ١٩٤٥) ـ نقلها شولمان ـ الهزيمة في الغرب ص ٤٩ ـ ٥٠ .

واعرب بلومينتريت مدير دائرة العمليات الحربية في قيادة رونشتادت عن آراء مماثلة الى ليدل هارت بعد انتهاء الحرب ، زاعماً انهم « كانوا يتحدثون عن عملية اسد البحر ، كمجرد بلفة ليس الا » [1]

ولقد قضيت بضعة ايام في اواسط شهر آب في مدن ساحل القناة ، متنقلاً من انتويرب الى بولون بحثاً عن جيش الغزو ، ورأينا في الخامس عشر من آب بين كاليه ورأس الانف الرمادي (Cap Gris - Nez) جماعات من القاذفات والمقاتلات الألمانية تعبر القناة باتجاه انكلترا ، في الغارة التي كانت اول هجوم جوي مركز عليها . وبينما كان من الواضح ان السلاح الجوي الألماني كان جاداً في هجومه . إلا ان ما رأيته من افتقار الى البواخر ولا سيما الى زوارق الغزو في الموانىء والقنوات والانهار قد خلق لدي الانطباع بأن الألمان كانوا هازلين لا جادين . فلقد كانوا كما رأيت يفتقرون الى الوسائل التي تمكن قواتهم من عبور القناة الانكليزية .

ولكن المراسل الصحفي لا يستطيع الا رؤية القليل عن الشؤون المتعلقة بالحرب ، ونحن نعرف الآن ، ان الألمان لم يشرعوا في تجميع أسطول الغزو إلا في الأول من أيلول . بالنسبة الى الفرقاء ، فكل من يقرأ افاداتهم الى المحققين في محاكمات نورمبرغ ، أو يصغي الى اجاباتهم ، على الاسئلة ، يدرك ان شهاداتهم بعد الحرب ، لم تكن تساوي في عين الحقيقة شيئاً . [2] والذاكرة تخدع المرء كثيراً ، ولم يكن الفرقاء الألمان استثناء لهذه القاعدة . وكانوا يهدفون الى اشياء كثيرة ، لعل في طليعتها الحط من قيادة هتلر العسكرية وشأنها . وكانت غايتهم الاساسية التي تظهر باسهاب ووضوح في مذكراتهم وفي شهاداتهم ، وافاداتهم اثناء التحقيقات في نورمبرغ ، ان يوضحوا انهم لو تركوا أحراراً في اتخاذ قراراتهم فإن

---

١ ـ ليدل هارت ـ الفرقاء الالمان يتكلمون ص ١٢٩ .

٢ ـ وقد اهمل حتى ليدل هارت نفسه وهو الناقد العسكري الكبير ان يفعل ذلك دائماً ، ولا ريب في ان اهماله هذا هو الذي يشوه كتابه « الفرقاء الالمان يتكلمون » . وقد تكلموا ، ولكن ذاكراتهم لم تكن دائماً طيبة . ولم يكن قولهم هو الصدق دائماً .

هتلر ما كان ليستطيع قيادة الرايخ الثالث الى الهزيمة .

ولكن من سوء حظهم هم ومن حسن حظ الاجيال القادمة . والحقيقة ، لا تترك اكوام الملفات العسكرية الألمانية السرية أي شك في ان خطة هتلر لغزو بريطانيا في مطلع خريف عام ١٩٤٠ ، كانت جدية تمام الجدية ، وأنها على الرغم مما رافقها من كبير تردد ، فإن الديكتاتور الذي كان يعتزم عزماً اكيداً ، تنفيذها ، لو كانت هناك اية احتمالات معقولة في النجاح . ولم يكن الافتقار الى التصميم أو المجهود هو الذي قرر مصيرها ، وانما قررته سعود الحرب ونحوسها ، اذ اخذت تتحول الآن والمرة الأولى ضده .

* * *

وفي السابع عشر من تموز أي بعد يوم واحد فقط من صدور التوجيه السادس عشر ، باعداد خطط الغزو وقبل يومين من خطاب الفوهرر السلمي في الرايشستاغ ، خصصت القيادة العامة للجيش القوات اللازمة لعملية اسد البحر ، وأمرت باعداد ثلاث عشرة فرقة ، لنقاط القفز على ساحل القناة ، لتؤلف الموجة الأولى من القوات الغازية . واتمت قيادة الجيش في نفس اليوم وضع الخطة المفصلة للنزول على جبهة واسعة على الساحل الجنوبي من انكلترا .

وقد تقرر ان يعهد الى المشيرفون رونشتادت الذي عيّن في التاسع عشر من تموز قائد مجموعة الجيوش (ا) ، بالقيام بالهجوم الرئيسي ، وهو عين الدور الذي مثله في معركة فرنسا . وتقرر ان تنزل ست فرق للمشاة من قوات جيش الفريق ايرنست بوش السادس عشر من منطقة خليج كاليه على الشواطىء بين رامسغيت وبيكسهيل . وتقرر ان تعبر اربع فرق من جيش الفريق ادولف شتراوس التاسع ، القناة الانكليزية من منطقة الهافر ، وان تهبط بين برايتون وجزيرة وايت . وعهد الى ثلاث فرق من جيش المشيرفون رايخناو السادس التابعة لمجموعة الجيوش (ب) التي يتولى المشيرفون بوك قيادتها ، بأن تتحرك من شبه جزيرة شربورغ في الغرب ، وان تهبط في خليج (لايم) بين ويماوث و « لايم ريجز » وهكذا تتألف الموجة الأولى من تسعين الف جندي ، وقضت

خطة القيادة العليا بأن يهبط الى الساحل عند نهاية اليوم الثالث من الغزو (٢٦٠) الف جندي . وستتولى القوات المحمولة من الجو والتي ستنزلها الطائرات في خليج « لايم » وفي مناطق أخرى تعزيز هذه العملية . وستهبط مع الموجة الثانية قوة لا يقل تعدادها عن ست فرق من فرق العاصفة وثلاث فرق آلية ، وبهذا يتم في بضعة الايام الأولى انزال قوة مؤلفة من تسع وثلاثين فرقة بالاضافة الى فرقتين اخريين ، تحملهما الطائرات .

وكانت المهمة التي رسمت لهذه القوات على النحو التالي . بعد تأمين رؤوس الجسور ، تندفع قوات مجموعة الجيوش (أ) من الجنوب الشرقي نحو هدفها الأول وهو خط يصل بين « غريفسند » وساوثهامبتن . ويتقدم جيش رايخناو السادس الى بريستول ، عازلاً ديفون وكورنول . ويكون الهدف الثاني خطاً يمتد بين مالدون على الساحل الشرقي الى الشمال من مصب نهر التيمس حتى نهر سيفيرن ، عازلاً مقاطعة ويلز . وكان من المتوقع ان تدور « معارك عنيفة مع قوات بريطانية ضخمة » ، في نفس الوقت الذي يصل فيه الالمان الى هدفهم الأول . ولكن النصر سيتحقق بسرعة في هذه المعارك ، ويتم تطويق لندن ويستأنف الزحف شمالاً .[1] وقد ابلغ براوختش ريدر في السابع عشر من تموز ان العملية كلها ستتم في غضون شهر واحد وستكون في منتهى السهولة .[2]

---

١ - من اوراق القيادة العامة للجيش الألماني - نقلها ويتلي ص ٤٠ وص ١٥٢ - ١٥٥ ، وص ١٥٨ . وظلت الخطة عرضة للتبديل طيلة الاسابيع الستة التالية .

٢ - يوميات اركان حرب الاسطول الحربية - ويتلي - ص٤٠ - غالت المخابرات الألمانية في تقدير قوة بريطانيا البرية طيلة اشهر تموز وآب وايلول ، بنحو من ثماني فرق . وقدرت اركان حرب القيادة الألمانية في مطلع تموز القوة البريطانية بما يتروح عدده بين خمس عشرة وعشرين فرقة من « فرق الميدان » . وكانت هناك في الحقيقة تسع وعشرون فرقة في انكلترا في ذلك الوقت لا تزيد عدد فرق الميدان فيها على النصف اذ انها تفتقر عملياً الى المدافع والمدرعات . ولكن خلافاً للاعتقاد الذي كان سائداً في ذلك الحين والذي ظل قائماً حتى يومنا هذا ، كان الجيش البريطاني قد بات في اواسط ايلول معادلاً للفرق الألمانية المعدة لموجة الغزو الاولى . فقد ....

لكن ريدر وقيادته البحرية ، ظلا يشكان في احتمال النجاح . اذ لم يكن في وسع الاسطول الألماني، ان ينقل القوات اللازمة لهذه العملية وان يتولى حمايتها ، لا سيما وان العملية تحتاج الى قوات ضخمة وتمتد على جبهة واسعة تنتشر على مسافة مائتي ميل من رامسغيت الى خليج « لايم » . وقد تولى ريدر ابلاغ قيادة الجيش رأيه هذا بعد يومين ، وعاد الى اثارته في الواحد والعشرين من تموز عندما استدعاه هتلر مع براوختتش والفريق هانز جيشونيك رئيس هيئة اركان القوة الجوية ، لمقابلته في برلين . وكان الفوهرر لا يزال حائراً « فيما يقع فعلاً في انكلترا » . وقد اعرب عن تفهمه للمتاعب التي يحس بها الاسطول ، ولكنه اكد اهمية انهاء الحرب في اقصر وقت ممكن . وقال ان الغزو يحتاج الى اربعين فرقة ، وان « العملية الرئيسية » يجب ان تتم في الخامس عشر من ايلول . وكان سيد الحرب في الحقيقة في وضع متفائل على الرغم من رفض تشرشل في تلك اللحظة الاكتراث بندائه السلمي . ودوّن هولدر في يومياته يقول :

« قال هتلر ان وضع انكلترا غدا يائساً . فلقد كسبنا نحن الحرب . ولا يمكن لأحوالها ان تنعكس مطلقاً »[1] .

* * *

لكن قيادة الاسطول ، لم تكن على نحو ثقته ، وهي تواجه هذه المهمة الهائلة

= بات لديه في ذلك الوقت ست عشرة فرقة مدربة خير تدريب بينها ثلاث مدرعة ، متركزة في الساحل الجنوبي لمواجهة الغزو تضاف اليها اربع فرق اخرى مع لواء مدرع لحماية الساحل الشرقي في نهر « التيمز » حتى « ووش » . ولا ريب في ان هذه القوة تمثل نقاهة بارزة بعد كارثة دنكرك ، التي تركت بريطانيا عزلاء في البرطيلة شهر حزيران .

وكانت المخابرات البريطانية عن خطط الألمان مخطئة كل الخطأ ، وظلت طيلة الاشهر الثلاثة الاولى من خطر الغزو على خطأ كامل . وقد ظل تشرشل ومستشاروه العسكريون طيلة الصيف يعتقدون ان الالمان سينزلون قواتهم الرئيسية على الساحل الشرقي ، وظلت قوات بريطانيا الرئيسية البرية متمركزة في هذه الناحية حتى شهر ايلول .

١ - يوميات هولدر في ٢٢ تموز ومؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٧١ - ٧٣ .

في نقل جيش ضخم عبر القناة الانكليزية الشاطرة للبرين الانكليزي والفرنسي أمام اسطول بريطاني يفوقها الى حد هائل في القوة ، وأمـام قوة جوية معادية تبدو نشيطة وفعّالة . وقدّمت هيئة اركان البحرية في التاسع والعشرين من تموز مذكرة تنصح فيها « بعدم القيام بهذه العملية في هذه السنة » وتقترح « التفكير فيها في ايار عام ١٩٤١ أو بعد هذا التاريخ . »[1]

ولكن هتلر اصرّ عـلى دراستها في الواحد والثلاثين مـن تموز عام ١٩٤٠ عندما استدعى قادته العسكريين من جديد ، الى دارته في اوبرسالزبرغ هـذه المرة . وقد حضر الاجتماع بالاضافة الى ريدر كل مـن كايتل ويودل من القيادة العامة للقوات المسلحة وبراوختش وهولدر مـن القيادة العامة للجيش . وقـد تولى الاميرال هذه المرة كما في المرات السابقة ، معظم الحديث ، اذ انه لم يكن في وضع يدعو الى التفاؤل مطلقاً .

قال ريدر ان الخامس عشر من ايلول ، هو الموعد المبكر الذي يمكن لعملية اسد البحر ان تبدأ فيه ، هذا اذا لم تكن هناك « ظروف غير منظورة بسبب عوامل الطقس أو استعدادات العدو » . وعندما استعلم منه هتلر عن مشاكل الطقس راح ريدر يلقي محاضرة عن الموضوع بدت في غاية البلاغة وداعية الى التشاؤم حقاً . وقال ان الطقس يكون « سيئاً بصورة عامة في القناة وفي بحر الشمال باستثناء الاسبوعين الأولـين من تشرين الأول ، اذ ان الضباب الخفيف يحل في منتصف ذلك الشهر ليعقبه ضباب شديـد في نهايته . ولكن هذا لم يكن إلا ناحية واحدة من نواحي مشكلة الطقس . اذ اعلن ان « العملية لا يمكن القيام بهـا الا اذا كان البحر هادئاً » . اذ تغرق الزوارق اذا كان البحر عالياً ، وتصبح السفن الكبيرة ايضاً عاجزة ومشلولة ، اذ انها لا تستطيع ان تفرغ محمولها من المؤن . وقد غدا الاميرال ، اكثر تشاؤماً مـع كل دقيقة فكر فيها بما يقوم أمامه من أهوال . ومضى يقول :

---

١ - يوميات اركان حرب الاسطول الحربية - ٣٠ تموز - ويتلي ص ٤٥ - ٤٦ .

« وحتى لو تمكنت الموجة الأولى من عبور القناة بنجاح ، في اوضاع طقس مواتية ، فليس ثمة من ضمانات على ان هذا الطقس المواتي نفسه سيظل مستمراً اثناء نقل الموجتين الثانية والثالثة ... وعلينا ان ندرك كأمر واقع ، بأنه قد تمضي بضعة ايام دون ان نتمكن من نقل قوات تستحق الذكر ، الى ان نكون قد اتممنا الافادة من بعض الموانىء »

وكان حرياً بهذا الوضع ان يترك الجيش في مأزق حرج ، وان يدعه في حالة من الضيق على الشواطىء مفتقراً الى المؤن والنجدات . ووصل ريدر الآن الى النقطة الرئيسية في الخلافات بين الجيش والاسطول . فالجيش يريد جبهة واسعة تمتد من مضائق دوفر الى خليج لايم . ولكن الاسطول لا يستطيع ان يؤمن البواخر اللازمة لعملية كهذه ضد رد فعل قوي ومتوقع من الاسطول والسلاح الجوي البريطانيين . ولهذا كان من رأي ريدر تقصير الجبهة وان تحصر بين مضائق دوفر وايستبورن وأجّل امير البحر قوله الفصل حتى النهاية ... ثم فاجأ به الآخرين قائلاً :

« وهكذا على ضوء جميع الاعتبارات تبين لنا ان الوقت الامثل للبدء بالعملية سيكون في ايار عام ١٩٤١ » .

ولكن هتلر لا يريد ان ينتظر هذه المدة الطويلة . وقد أقرّ بأن من « الطبيعي » تعذر عمل شيء ضد الطقس . وعلى الموجودين ان يدرسوا النتائج المحتملة لإضاعة الوقت . فالاسطول الألماني لن يكون في الربيع القادم أفضل بالنسبة الى الاسطول البريطاني من وضعه الحالي . والجيش البريطاني الآن في اسوأ حالاته . فاذا ما اتيحت له فسحة من الوقت تتراوح بين الثمانية أشهر والعشرة ، فستصبح لديه فرق تتراوح بين الثلاثين والخمسة والثلاثين وهي قوة كافية للدفاع في منطقة محدودة كالمنطقة التي يقترح وقوع الغزو فيها . ولهذا فقد كان قراره ، كما ورد في الملاحظات السرية التي دوّنها كل من ريدر

وهولدر [1] على النحو التالي :

« من الواجب دراسة احتمال تحويل اهتمام العدو الى افريقيا . لكن النتيجة الحاسمة لا يمكن تجنبها إلا بهجوم على انكلترا نفسها. ولهذا يجب اعداد محاولة لتهيئة العملية في الخامس عشر من ايلول عام ١٩٤٠ ... وسيتخذ القرار الذي يقضي إما بوقوع العملية في ايلول ، أو تأجيلها حتى ايار عام ١٩٤١ ، بعد ان تكون القوة الجوية ، قد قامت بهجمات مركزة على انكلترا الجنوبية لمدة اسبوع. واذا كان تأثير الهجمات من النوع الذي يضمن اصابة قوة العدو الجوية ، وقواه البحرية وموانئه اصابات شديدة ، فإن عملية اسد البحر ستنفذ آنذاك في عام ١٩٤٠ . وإلا فان العملية ستؤجل حتى شهر ايار عام ١٩٤١ » .

وهكذا بات كل شيء متوقفاً على السلاح الجوي .

واصدر هتلر في اليوم التالي ، الأول من آب نتيجة لذلك توجيهين من القيادة العليا للقوات المسلحة ، وقع هو احدهما ، ووقع كايتل التوجيه الثاني ..

مقر قيادة الفوهرر

في اول آب ١٩٤٠

سري للغاية

التوجيه رقم ١٧ لادارة الحرب الجوية والبحرية
ضد انكلترا

.. رغبة في اقامة الاوضاع اللازمة لاحتلال انكلترة نهائياً ،

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١ آب ١٩٤٠ - هذا هو تقرير ريدر السري عن الاجتماع وقد قدم هولدر تقريره في برقية طويلة في الواحد والثلاثين من تموز.

اود ان تستمر الحرب الجويـة والبحرية ضـد الوطن الانكليزي بصورة اكثر عنفاً من السابق .

« وتحقيقاً لهذه الغاية اصدر الأوامر التالية :

« ١ – على القوة الجوية الألمانية ان تتغلب عـلى القوة الجوية البريطانية بجميع السبل المتوافرة تحت تصرفها وفي اسرع وقت ممكن .

« ٢ – بعد الحصول على التفوّق الجوي المحلي أو الوقتي يجب ان تستمر الحرب ضد الموانىء ولا سيما ضد المؤسسات المتعلقة بالمواد الغذائية ... ويجب ان تقع الهجمات على موانىء الساحل الجنوبي الشرقي عـلى اضيق نطاق ممكن ، وذلـك بالنسبة الى عملياتنا المقصودة ...

« ٣ – على السلاح الجوي الألماني ان يقف على قـدم الاهبة للاشتراك في عملية اسد البحر .

« ٤ – احتفظ لنفسي بحق القرار بالنسبة الى الهجمات الارهابية التي يقصد منها الثأر أو الانتقام .

« ٥ – يجب ان تبدأ الحرب الجوية المتضخمة في السادس من شهر آب أو حواليه . والاسطول البحري مخوّل بأن يبدأ الحرب البحرية العنيفة والخطط لها ، في نفس الوقت ايضاً .

أدولف هتلر . [١]

وانقل الآن بعض ما جاء في التوجيه الثاني الذي اصدره كايتـل نيابة عن هتلر في نفس اليوم ..

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠)ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

عملية اسد البحر

« لما كان القائد العام للأسطول،قد نقل الى الفوهرر في الواحد والثلاثين من تموز ان الاستعدادات الضرورية لعملية أسد البحر لا يمكن استكمالها قبل الخامس عشر من ايلول ، فقد اصدر الفوهرر أمره بما يلي :

« يجب مواصلة الاستعدادات اللازمة لعملية أسد البحر على ان يستكملها الجيش والسلاح الجوي قبل الخامس عشر من ايلول .

« سيقرر الفوهرر ، بعد مدة تتراوح بين الثمانية ايام والاربعة عشر يوماً من شن الهجوم الجوي على بريطانيا ، المخطط له ان يبدأ في الخامس من آب ، ما اذا كان الغزو سيقع في هذا العام او لا ، وسيعتمد القرار الى حدٍ كبير على نتيجة الهجوم الجوي..

« وعلى الرغم من تحذير الاسطول ، بأن في وسعه ان يضمن فقط الدفاع عن شقة ضيقة من الساحل لا تتجاوز في بعدها غرباً، ايستبورن ، يجب اتخاذ الاستعدادات اللازمة للقيام بالهجوم على اساس واسع كما كان مقرراً في البداية .. » [١]

ولم تؤد الفقرة الاخيرة إلا الى اشعال الخلاف بين الجيش والاسطول في موضوع وقوع الغزو على جبهة طويلة أو قصيرة . وكانت هيئة اركان حرب البحرية قد قدّرت قبل اسبوعين ان تحقيق مطالب الجيش في انزال مائة الف رجل مع معداتهم ومؤنهم في الموجة الاولى على جبهة تمتد مائتي ميل من رامسغيت

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية في ١ آب عام ١٩٤٠ . ص ٨١ - ٨٢ .

الى خليج لايم ، يتطلب جمع نحو من ١٧٢٢ زورقاً و١١٦١ قارباً بخارياً و ٤٧١ من زوارق الجذب البخارية و١٥٥ سفينة نقل. وقد نقل ريدر لهتلر في الخامس والعشرين من تموز ان مثل هذا الاجراء سيحطم الاقتصاد الالماني اذ ان حشد مثل هذا العدد الكبير من القوارب وزوارق الجذب ، سيدمّر جميع نظام النقل الالماني في القنوات المائية ، الذي تعتمد عليه حياة البلاد الاقتصادية الى حدٍ كبير [١] . وقد أوضح ريدر على أي حال ، بأن حماية مثل هذا الاسطول الضخم وهو يحاول تزويد جبهة عريضة كهذه بالمؤن والذخيرة ، من غارات اسطول بريطانيا وسلاحها الجوي ، تفوق طاقة القوات البحرية الالمانية وقدرتها . وقد حذر اركان حرب الاسطول ، قيادة الجيش في وقت ما من ان اصرارها على هذه الجبهة الواسعة قد يعرض الاسطول الى خسارة جميع ما لديه من سفن حربية .

ولكن الجيش أصر على رأيه . فقد أدت المبالغة في تقدير قوة البريطانيين ، الى الاعتقاد بأن النزول في جبهة ضيقة سيؤدي الى مواجهة المهاجمين ، قوة بريطانية برّية تفوقهم « عدداً » . وحدثت مشادة بين القيادتين عندما اجتمع هولدر في السابع من آب بقرينه في القيادة البحرية وهو أمير البحر شنايويند رئيس هيئة اركان حرب البحرية . وكان الصدام بين الرجلين حاداً واشبه ما يكون بالتمثيل المسرحي .

وهدر رئيس هيئة اركان حرب الجيش ، وهو الرجل الهادىء عادة يقول في ثورة غاضبة : « انني أرفض اقتراح البحرية . وانني اعتبره من وجهة نظر الجيش ، اشبه ما يكون بالانتحار الكامل . وانني اوثر ان اضع القوات التي تنزل في آلة لصنع « السجق » من ان اعرضها لمثل هذه المجزرة » .

ويقول سجل هيئة اركان حرب البحرية عن الاجتماع [٢] أن الاميرال شنايويند ، رد بأن محاولة نقل الجنود الى مثل الجبهة الواسعة التي يقترحها الجيش

---

١ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ض ٧٣ ـ ٧٥ .

٢ ـ لم يسجل هولدر في اليومية التي كتبها في ذلك التاريخ ، هذه الأقوال التي اوردناها ، ولكنه ....

« لا تقل في نتائجها الانتحارية بالنظر الى تفوق بريطانيا البحري » .

حقاً لقد كانت معضلة فظيعة . فالقيام بفتح جبهة واسعة ، ونقل هذا العدد الضخم من الجنود لها يعرض الحملة الألمانية كلها الى خطر قيام الاسطول البريطاني بإغراقها . ولو تبنى الجيش فكرة الجبهة القصيرة التي تعززها قوات أقل ، فإن في امكان الجيش البريطاني صد الغزاة والقذف بهم الى البحر. وراح براوختش القائد العام للجيش يبلغ القيادة العليا للقوات المسلحة في العاشر من شهر آب انه لا يستطيع قبول فكرة النزول بين فولكستون وايستبورن . لكنه كان على استعداد على أي حال ، برماً متذمراً ، للتخلي عن فكرة النزول في خليج لايم لتقصير الجبهة ومقاتلة الاسطول في منتصف الطريق .

ولكن تساهل براختش لم يكن كافياً لامراء البحر العنيدين ، وقد بدأ ما يتصفون به من حذر وعناد يترك اثراً في القيادة العليا للقوات المسلحة . وأعد يودل في الثالث عشر من آب « تقديراً للوضع » حدد فيه خمسة شروط لنجاح عملية اسد البحر، وهي شروط لا بد وان تكون قد ظهرت بمظهر «الافتراضات المضحكة للغاية » لو لم تكن معضلتهم التي يواجهونها من النوع الجديد للغاية . فلقد اشترط أولاً محو الاسطول البريطاني من الساحل الجنوبي ، كما اشترط ثانياً محو السلاح الجوي البريطاني من الاجواء البريطانية ،وتناولت الشروط الاخرى انزال القوات بأعداد ضخمة وبسرعة تفوق ما لدى الاسطول من امكانيات . وقال : انه ما لم تتحقق هذه الشروط . فإن الانزال سيكون « عملا » يائساً لا يمكن تنفيذه الا في وضع يائس ، والذي لا حق لنا في تنفيذه في الوقت الحاضر » [1]

... أعلن على اي حال ، ان الحديث ادى الى « وجود هوة في الخلاف في الرأي لا يمكن اجتيازها » ولقد قال ان الاسطول الالماني « يخشى اسطول بريطانيا في المحيطات البعيدة » واكد ان درء هذا الخطر عن طريق السلاح الجوي الالماني امر مستحيل . ويبدو ان قيادة الاسطول الألماني ، ان لم تكن قيادة الجيش . لم تكن مخدوعة في هذه المرحلة بالقوة الضاربة لسلاح غورنغ الجوي .

١ ـ من يوميات يودل واوراق القيادة العامة للقوات المسلحة – ويتلى ص ٦٨ .

واذا كانت مخاوف البحرية قد انتقلت عدواها الى يودل ، فإن تردد رئيس العمليات الحربية في القيادة العليا للقوات المسلحة ، اخذ يؤثر على هتلر ولقد ظل الفوهرر طيلة الحرب اكثر اعتماداً على يودل منه عـلى رئيس القيادة العليا كايتل ، الرجل المتبلد الذهن الخائر العزيمة . وليس من الغريب والحالة هذه ، ان نرى هتلر بوصفه القائد الاعلى يميل في الثالث عشر مـن آب عندما قابله ريدر في برلين ليطلب اليه اتخاذ قراره في موضوع الخيار بين الجبهتين الواسعة والضيقة ، الى الاتفاق مع الاسطول في رأيه المنادي بالعملية الصغيرة . ووعد بأن يصدر قراراً محدوداً في اليوم التالي بعد ان يكون قـد اجتمع الى القائد العام للجيش . [١] وهكذا بعد ان استمع الى آراء براوختش في الرابع عشر من آب ، حزم هتلر أمره اخيراً ، وراح التوجيه الصادر في السادس عشر من آب عن القيادة العليا للقوات المسلحة والموقع من كايتل يعلن بأن الفوهرر قد قرر التخلي عن النزول في خليج لايم الذي كان من المقرر ان يقوم بـه جيش رايخناو السادس . وتقرر ان تستمر الترتيبات للنزول في الجبهة الاكثر ضيقاً في الخامس عشر من ايلول، ولكن شكوك الفوهرر الخاصة تسللت الآن وللمرة الأولى الى توجيهه السري . واضاف التوجيه ان « الاوامر النهائية لن تصدر الى ان يتضح الوضع تماماً . »لكن الأمر الجديد كان على أي حال بمثابة حل وسط . اذ ان توجيهاً آخر صدر في ذلك اليوم قضى بتوسيع الجبهة الضيقة :

« يجب ان يكون العبور الرئيسي في جبهة ضيقة . ومن الواجب ان يتم نزول ما يتراوح عدده بين اربعة الاف وخمسة الاف من الجنود في برايتون من الزوارق ومثل هذا العدد تقريباً من الطائرات في ديل – رامسغيت . وعلى السلاح الجوي ان يقوم بهجوم عنيف في اليوم الذي يسبق الغزو على مدينة لندن ، مما قد يدفع الاهلين الى الهرب من المدينة واغلاق الطرق المؤدية اليها » [٢]

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٨٢ - ٨٣ .

٢ - مؤامرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٨١ - ٨٢ .

وعلى الرغم من أن هولدر كان يدوّن في الثالث والعشرين من آب ملاحظة بطريقة الاختزال في يومياته قال فيها : « ان أي هجوم لا يقدر له النجاح في هذا العام على هذا الاساس » ، صدر توجيه من كايتل في السابع والعشرين من آب ، حدد الخطط النهائية للنزول في أربع مناطق رئيسية على الساحل الجنوبي بين فولكستون « وسيلسي بيل » الواقعة الى الشرق من بورتسماوث ، على ان يكون الهدف الأول ، كما كان من قبل خطاً « يمتد بين بورتسماوث ونهر التيمز » الى الشرق من لندن عند « غريفسند » وان تصل القوات الى هذا الخط ، فور ايجاد الاتصال بين رؤوس الجسور هذه ، وفور تنظيم هذا الاتصال ، لتتمكن القوات من الزحف شمالاً . وصدرت في نفس الوقت الأوامر بالاستعداد لتنفيذ بعض مناورات التضليل التي تؤلف عملية « رحلة الخريف » المناورة الرئيسية فيها . ونصت هذه المناورة على توجيه هجوم ضخم زائف باتجاه ساحل بريطانيا الشرقي ، حيث كان تشرشل ومستشاروه العسكريون لا يزالون يتوقعون ان توجه الضربة الرئيسية اليه . وتقرر لهذه الغاية ان تغادر اربع بواخر المانية ضخمة من بواخر الركاب بينها الباخرتان الكبريان « يوروبا » و « بريمن » ، وعشر من السفن الأخرى الاصغر حجماً ، تحرسها كلها أربعة طرادات، موانىء الساحل النروجي الجنوبي ، وشبه جزيرة هليغولند ، قبل يومين من موعدالغزو، وان تتجه الى الساحل الانكليزي بين ابردين ونيوكاسل . وكان من المقرر ان تكون جميع البواخر خالية من الجنود، وان تعود الحملة بأسرها الى الموانىء التي غادرتها عندما يخيم الظلام مكررة المناورة كلها في اليوم التالي . [1]

واصدر براوختش في الثلاثين من آب أمراً مطولاً ضمنه التعليمات المتعلقة بالنزول ، وليس ثمة من شك في ان القادة العسكريين الذين تسلموا هذا الأمر قد استغربوا ما يفتقر اليه من حماس للمشروع . وقد اطلق على الأمر الاسم التالي :

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٨٥ - ٨٦ وويتلي ص ١٦١ - ١٦٢ الذي يعطي تفصيلات وافية عن رحلة الخريف من الوثائق العسكرية الألمانية .

« تعليمات لاعداد عملية اسد البحر » ، ولا ريب في ان هذا العنوان يعني بعض التأخر في الاشتراك في اصدار الأمر بالاعداد ، اذ لا يعقـــل ان يكون أمر الاعداد قبل خمسة عشر يوماً فقط من موعد التنفيذ الذي حدده هتلر في الخامس عشر من أيلول واضاف ان امر التنفيذ « يعتمد عـــلى الوضع السياسي » ، وهو لا بد وان يكون قد ادهش القـادة العسكريـين الذين لا شأن لهم في السياسة . [١]

وبدأ ابحار البواخر من الموانىء الالمانية الواقعة على بحر الشمال ، نحـــو موانىء التحرّك على ساحل القناة الانكليزية في الأول من ايلول ، وصدر عن القيادة العليا للقوات المسلحة توجيه آخر بعد يومين أي في الثالـث من ايلول هذا نصه :

« تقرر تعيين اقرب موعد للابحار في عملية الغزو في العشرين من ايلول على ان يكون النزول في الواحد والعشرين منه .

« وسيصدر الأمر ببدء الهجوم قبل عشرة ايام من يوم الغزو ، أي في الحادي عشر من ايلول على وجه التقريب .

« أما الاوامر الاخيرة فستصدر ظهر اليوم الثالث قبل موعـد الغزو .

« يجب ان تظل جميع الاستعدادات قابلة للالغاء قبل اربـــع وعشرين ساعة من ساعة الصفر .

كايتل [٢] .

وبدا أن القيادة كانت جادة هذه المرة . لكن هذا الجد كان خادعاً . فلقد اجتمع ريدر الى هتلر مرة ثانية في السادس من ايلول . وسجل امير البحر في يوميات الحرب لاركان حرب البحرية في تلك الليـــلة يقول : « لم يتخذ قرار

---

١ ـ نص تعليات براوختش من ملفات القيادة العليا للجيش ـ ويتلي ص ١٧٤ ـ ١٨٢ .

٢ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٨٨ .

الفوهرر بالنزول في انكلترا شكلاً قاطعاً بعد ، اذ أنه واثق كل الثقة من ان هزيمة بريطانيا يمكن ان تتحقق دون اللجوء الى النزول فيها » ويظهر تسجيل ريدر المطوّل عن الحديث في الواقع ان الفوهرر تحدث باسهاب عن كل موضوع الا موضوع عملية اسد البحر ، فقد تحدث عن النروج وجبل طارق والسويس و « مشكلة الولايات المتحدة » ومعاملة المستعمرات الفرنسية ، وعن آرائه المضحكة في اقامة « اتحاد جرماني شمالي » [1]

ولو كان تشرشل وقادته العسكريون قد احسوا بما وقع في هذا المؤتمر البارز فإن عبارة « كروموبل » الرمزية ، ما كانت لتنطلق في انكلترا في مساء اليوم التالي ، السابع من ايلول مشيرة الى ان الغزو بات « وشيك الوقوع في كل لحظة » ، ولما ادى اطلاقها الى ما لا حصر له من الاضطراب والى قرع اجراس الكنائس على ايدي رجال الحرس الوطني ونسف المهندسين الملكيين لعدد من الجسور ، والى وقوع عدد لا حد له من الاصابات التي لا ضرورة لها والتي وقعت من جراء تعثر الناس بالألغام التي زرعت بسرعة هائلة . [2]

وبدأ الألمان بعدظهر السبت السابع من ايلول ، أولى غاراتهم الجوية الضخمة على مدينة لندن ، وقد اشتركت فيها (٦٢٥) طائرة قاذفة تحرسها (٦٤٨) طائرة محاربة . وكانت هذه الغارة اعظم ما وقع من هجمات مدمّرة من الجو حتى تلك اللحظة على أية مدينة من المدن ، اذ ان الغارات التي وقعت على

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٩١ - ٩٧ .

٢ – يقول تشرشل ، انه لم يكن على علم هو أو قادته العسكريون بأن كلمة «كروموبل» الرمزية قد انطلقت في انكلترا . وقد صدرت الاشارة من القيادة العامة لقوات الوطن (مذكرات تشرشل - الجزء الثاني ص ٣١٢) . ولكن رئيس الوزراء ما لبث بعد ايام أي في الحادي عشر من ايلول ، ان اذاع تحذيراً الى الشعب البريطاني ذكر فيه ان الغزو إن وقع ، فلن يتأخر حدوثه طويلاً . واضاف ان « علينا تبعاً لذلك ، ان نعتبر الاسبوع القادم تقريباً فترة مهمة للغاية في تاريخنا . أنها تقف على قدم المساواة مع تلك الايام التي كان فيها اسطول اسبانيا « الارمادة » يقترب من القناة ، والتي كان فيها دريك ينهي لعبته بالكرات ، أو كان نيلسون يقف بيننا وبين جيش نابوليون الأعظم في بولون » .

وارشو وروتردام لم تكن شيئاً يذكر الى جانب هذه الغارة ، ولم تحل الساعات المبكرة من المساء ، حتى كانت منطقة الارصفة في المدينة العظيمة كتلة ساعرة من اللهب ، كما توقف السير على جميع الخطوط الحديـدية الممتدة الى الجنوب ، وهي خطوط متناهية في الاهمية، بالنسبة الى اغراض الدفاع ضد الغزو. واعتقد الكثيرون في لندن ، في مثل هذه الظروف ان هذا القصف القاتل ، لم يكن الا مقدمة للنزول الألماني المتوقع في كل لحظة ، ولهـذا السبب ، انطلقت الاشارة التحذيرية بأن الغزو بات وشيك الوقوع في كل لحظة . وليس ثمة مـن شك ، كما سنرى عمّا قريب في ان هذا القصف المتوحش للندن في السابع من ايلول ، قد سجل نقطة تحول حاسمة في معركة بريطانيا ، على الرغم من توجيهه تحذيراً عن الغزو قبل الاوان ، وعلى الرغم مما ألحقه من اضرار بالغة . فقـد اشار الى ان اعظم صراع حاسم شهده العالم في الهواء ، بات يقترب بسرعة من أوجه .

واقترب كذلك موعد وصول هتلر الى قراره القدري ببـــدء الغزو أو تأجيله . فقد تقرر ان يصل هتلر الى النتيجة التي يريدها كما نص التوجيه الصادر في الثالث من ايلول في الحادي عشر من الشهر نفسه ، معطياً القوات المسلحة فرصة عشرة ايام ليس إلا لتنفيذ الخطوات التمهيدية . ولكن هتلر ما عتم في العاشر من ايلول أن قرر تأجيل كلمته الفاصلة حتى الرابع عشر منه . ويبدو انه كان هناك سببان على الاقل لهذا التأجيل، أولهما الاعتقاد الذي ساد القيادة العليا للقوات المسلحة ، بأن قصف لندن قد أحدث من الدمـار بالنسبة الى الممتلكات والى المعنويات البريطانية الى الحد الذي لم يعد فيه القيام بالغزو ضرورة ماسة .[1]

---

١ – تأثر الألمان اشد التأثر من التقارير الواردة من سفارتهم في واشنطن ، وهي التقارير التي نقلت بعض المعلومات الواردة من لندن بعد ان اضفت عليها الكثير من التزويق . وقد قيل في هذه التقارير ان هيئة اركان الحرب الامريكية باتت تعتقد بأن بريطانيا لم يعد في وسعها ان تصمد مدة اطول . ويقول المقدم فون لوسبرغ في الصفحة الواحدة والتسعين من كتابه « في اركان قيادة الجيش الالماني » ان هتلر كان ينتظر جدياً نشوب ثورة في بريطانيا . وكان لوسبرغ يمثل الجيش في القيادة العليا للقوات المسلحة .

ونجم السبب الثاني من المتاعب التي شرع الاسطول الألماني في معاناتها من جرّاء حشده ما لديه من بواخر . فبالاضافة الى متاعب الطقس ، الذي ذكرت السلطات البحرية عنه في العاشر من ايلول ، انه بات « شاذاً كل الشذوذ وغير مستقر » ، أخذ السلاح الجوي الملكي الذي وعد غورنغ بتحطيمه ، والاسطول البريطاني يتدخلان تدخلاً متزايداً مع حشد اسطول الغزو وتجميعه . ولقد حذّر اركان حرب البحرية في ذلك اليوم من خطر الهجمات الجوية والبحرية البريطانية على حركة النقل الألمانية ، وهي الهجمات التي وصفها التحذير بأنها كانت « ناجحة كل النجاح » . وبعثت قيادة المجموعة البحرية الغربية بعد يومين أي في الثاني عشر من ايلول ، ببرقية حاشدة بالتشاؤم الى برلين جاء فيها :

« بدا التدخل الناجم عن قوات العدو الجوية ومدافعه البعيدة المدى ، وقواته البحرية الخفيفة في شكل متناهٍ في الاهمية للمرة الأولى . ولم يعد في الامكان استخدام موانىء اوستند ودنكرك وكاليه وبولون ، كمراسٍ ليلية للبواخر ، لسبب ما تتعرض له من قصف مدفعي وجوي انكليزي. وبات في امكان وحدات الاسطول البريطاني ان تعمل حرة طليقة في القناة الانكليزية . وبات من المنتظر نتيجة هذه المتاعب ، وقوع تأجيل جديد في تجميع اسطول الغزو » .

وزادت الأمور سوءاً في اليوم التالي . فقد قامت القوات البحرية البريطانية الخفيفة باطلاق نيران مدافعها على موانىء الغزو الرئيسية في القناة،وهي اوستند وكاليه وبولون وشربورغ . بينما تولى السلاح الجوي الملكي اغراق ثمانين زورقاً في ميناء اوستند . وتشاور هتلر في ذلك اليوم في برلين مع رؤساء قواته المسلحة الثلاث . وكان من رأيه ان الحرب الجوية تسير على خير ما يرام ، واعلن انه لا يعتزم والحالة هذه المجازفة بغزو انكلترا . [١] وتكوّن لدى يودل الانطباع من

---

١ – يوميات هولدر ـ كتاب اسمان « سنوات المصير الالماني » ص ١٨٩ ـ ١٩٠ وويتلي ص ٨٢ .

ملاحظات الفوهرر بأنه « اعتزم التخلي كلية عن عملية اسد البحر » وكان هذا الانطباع صحيحاً بالنسبة الى ذلك اليوم فعلاً اذ اكده هتلر في اليوم التالي عندما عاد الى تبديل فكره .

وخلّف كل من ريدر وهولدر ملاحظات سرية عن اجتماع الفوهرر بقادته العامين في برلين بتاريخ الرابع عشر من ايلول .[1] وتمكن امير البحر من ان يعطي لهتلر مذكرة قبل الاجتماع ضمنها رأي البحرية في ان :

« الوضع الجوي لا يؤمن الشروط اللازمة للقيام بعملية اسد البحر ، إذ ان خطر المجازفة ما زال كبيراً » .

وقد اظهر سيد الحرب النازي في بداية الاجتماع حالة سلبية الى حدٍ ما ، واختلطت في افكاره المتناقضات المختلطة . فهو لن يصدر أمره ببدء الغزو ، ولكنه لن يصدر في الوقت نفسه أمراً بابطال الغزو والغائه ، وهو ما كان ريدر قد دوّنه في يومية الاسطول البحرية على انه كان « قد انتواه في الثالث عشر من ايلول » .

« ترى ما هي الاسباب لهذا التبدّل الجديد في فكره ؟ قال الفوهرر :

« ان النجاح في الغزو اذا اعقبه الاحتلال ، سيضع نهاية للحرب في اقصر وقت ممكن . وستجوع انكلترا . وليس من الضروري ان يقع النزول في وقت معين ... لكن الحرب الطويلة أمر غير مرغوب فيه . فلقد حققنا حتى الآن كل ما نحن في حاجة اليه . »

ولم تتحقق لبريطانيا الآمال التي علقتها على إشراك روسيا وامريكا في الحرب. فروسيا لا تريد ان تسفك دماء ابنائها في سبيل بريطانيا . ولن تصبح برامج التسلح الامريكي فعّالة كل الفعل إلا في عام ١٩٤٥ . أما في هذه اللحظة فإن

---

١ – تقرير ريدر - موتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٩٨ - ١٠١ ويوميات هولدر في ١٤ ايلول .

« الحل الأشد سرعة يتمثل في النزول في انكلترا. ولقد حقق الاسطول الشروط اللازمة . وباتت عمليات السلاح الجوي الألماني فوق كل تقدير وثناء . وستأتي اربعة ايام أو خمسة من الطقس الحسن بخير النتائج الحاسمة ... ولدينا فرصة رائعة في ارغام انكلترا على الجثو على ركبتيها » .

« اذن اين يقوم الخطأ يا ترى ? ولماذا التردد مدة اطول في بدء الغزو ? وقد اقرّ هتلر بأن المشكلة تقوم :

« في ان العدو يشفى من حالته المضنية المرة تلو المرة ... ولم تمح طائرات العدو المقاتلة من الوجود تماماً حتى الآن . ولا تقدم تقاريرنا عن انتصاراتنا صورة صحيحة تماماً عن الوضع ، على الرغم من ان اضراراً شديدة لحقت بالعدو » .

ومضى هتلر يعلن بعد ذلك ، انه « على الرغم من جميع ما حققناه من نجاح فإن الشروط الاولية لنجاح عملية اسد البحر ، لم تتحقق بعد » .

ولخص هتلر انعكاساته الفكرية على النحو التالي :

« ١ - ان النجاح في النزول يعني النصر ، ولكن تحقيق هذا يتطلب السيطرة الجوية المطلقة .

« ٢ - لقد حالت رداءة الطقس حتى الآن بيننا وبين الحصول على هذه السيطرة .

« ٣ - ما زالت العوامل الأخرى في وضعها الصحيح .

« ولهذا فالقرار يقضي بعدم العدول عن العملية حتى الآن » .

أما وقد وصل الى ذلك الاستنتاج السلبي ، فإن هتلر قد فسح المجال للآمال المشرقة بأن السلاح الجوي البريطاني ما زال قادراً على تحقيق النصر ، وهي الآمال التي ظلت تعذّبه وتفر من بين يديه كلما شعر بدنوه من تحقيقها . وقال : « ان الهجمات الجوية قد تركت اثراً هائلاً حتى الآن ، وان كان اثرها ما زال محصوراً في الاعصاب . ولو تمكنا من تحقيق النصر في الهواء في عشرة ايام أو اثني عشر يوماً ، فإن الانكليز ، قد يقعون تحت سيطرة هستيريا جماعية » .

ورجا جيشونيك ، لتحقيق هذه الغاية ، ان يسمح له بقصف المناطق الآهلة بالسكان في لندن طالما ان توفير هذه المناطق ، لم يؤد الى ظهور « هلع جماعي » في العاصمة البريطانية. وايد امير البحر ريدر بحماس اللجوء الى القصف الارهابي. لكن هتلر ظل على رأيه في ان التركيز على الاهداف العسكرية اكثر اهمية. واضاف « ان القصف الذي يهدف الى احداث الهلع الجماعي يجب ان يترك حتى النهاية » .

ويبدو ان حماس امير البحر ريدر للقصف الارهابي نجم بصورة رئيسية عن افتقاره الى الحماس لعمليات الانزال . وتدخـل في الحديث من جديد ليؤكد ثانية « الاخطار العظمى » التي تنطوي عليها هـــذه العمليات . واشار الى ان الوضع في الحرب الجويـــة لا يمكن ان يتحسن قبل المواعيد المقررة بين الرابع والعشرين والسابع والعشرين من ايلول للنزول ، ولهذا فمن الواجب التخلي عن الانزال حتى الفترة الواقعة بين الثامن والرابع والعشرين من تشرين الأول . »

ولم يكن هذا القول يعني سوى الغاء الغزو كلية ، وهو ما ادركه هتلر عندما اصدر أمره بأنه سيؤجل قراره النهائي في موضوع النزول الى البر حتى السابع عشر من ايلول أي بعد ثلاثة ايام ، بحيث يترك المجال قائماً لتحقيق العملية في السابع والعشرين من ايلول . واذا كان النزول متعذراً في الموعـد الجديد ، فسيفكر بعد ذلك في مواعيد شهر تشرين الأول المقترحة . وصدر عـلى الأثر توجيه من القيادة العليا هذا نصه :

برلين - ١٤ ايلول ١٩٤٠

سري للغاية

« قرر الفوهرر ما يلي :

« يؤجل البدء بعملية اســد البحر مرة ثانية . وسيصدر أمر جديد بعد السابع عشر من ايلول . يجــب المضي في كافـــة

الاستعدادات .

« يجب المضي في الهجمات الجوية على لندن كما يجب توسيع منطقة الهدف لتشمل المؤسسات العسكرية وغيرها كمحطات السكة الحديدية .

« ويحتفظ بالهجمات الارهابية ضد مناطق السكن المجردة للاستعمال كوسيلة نهائية للضغط »[1] .

وهكذا على الرغم من ان هتلر قرر تأجيل اتخاذ القرار في موضوع الغزو ثلاثة ايام أخرى إلا أنه لم يعدل عنه نهائياً . فهو يريد ان يمنح السلاح الجوي الألماني فرصة بضعة ايام اخرى للقضاء على السلاح الجوي البريطاني ولاضعاف مدينة لندن ، حتى يتمكن من تحقيق حركة الانزال التي ستضمن له النصر النهائي . وهكذا بات كل شيء يعتمد من جديد على قوة غورنغ الجوية التي كثر التباهي بها . وستقوم بأعظم جهدٍ لها في اليوم التالي .

وأخذ رأي الاسطول في السلاح الجوي يسوء ساعة بعد اخرى فقد روت هيئة اركان حرب الاسطول الالماني عشية الاجتماع الخطير الذي عقد في برلين ان غارات عنيفة قام بها السلاح الجوي الملكي على موانىء الغزو الممتدة من انتويرب الى بولون . ومضت الرواية تقول :

« وقعت خسائر كبيرة في انتويرب في سفن النقل ، اذ أصيبت خمس منها كانت راسية في الميناء بأضرار بالغة ، واغرق احد الزوارق ، واغرقت سفينتان رافعتان ، ونسف قطار للذخيرة ، واشتعلت النيران في عدد من الاكواخ » .

وكان الوضع في الليلة التالية أشد سوءاً ، فقد روت البحرية « وقوع غارات جوية معادية قوية على جميع ارجاء المنطقة الساحلية الممتدة من الهافر الى انتويرب » . وبعث البحارة باشارة استغاثة يطلبون المزيد من الحماية لموانىء الغزو من

---

١ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

الطائرات المعادية . وروت هيئة اركان حرب البحرية في السابع عشر من ايلول ما يلي :

« لم يهزم السلاح الجوي الملكي بعد . بل على النقيض يبدي هذا السلاح المزيد من النشاط في غاراته على موانىء القناة ، ومن عرقلته لحركات تجمعنا »[1]

وكان القمر بدراً في تلك الليلة واستغلت القاذفات البريطانية هذا الوضع اكبر استغلال . وروت هيئة اركان حرب الاسطول وقوع « خسائر بالغة » في البواخر ، التي اكتظت بها موانىء الغزو الآن . وأغرق او دمّر اربعة وثمانون قارباً في دنكرك ، ونقل الاسطول وقوع اضرار بالغة على طول الساحل الممتد من شربورغ الى « دين هولدر » اشتملت على نسف مخزن للذخيرة سعته خمسمائة طن ، والتهاب النيران في مستودع للمؤن ، واحراق أو اغراق عدد من البواخر وزوارق الطوربيد ووقوع اصابات كثيرة بين عدد ضخم من الناس. واضاف اركان حرب البحرية ان هذا القصف الجوي العنيف بالاضافة الى الضرب الشديد من المدافع القائمة عبر القناة الانكليزية قد حتما ضرورة تشتيت شمل السفن الحربية وبواخر النقل المحتشدة على القناة ووقف أية حركة جديدة باتجاه موانىء الغزو.

---

١ – يوميات اركان حرب الاسطول الحربية - ويتلي - ص ٨٨ . ويقول مصدر الماني ان القاذفات البريطانية فاجأت في السادس عشر من ايلول ، جماعة ألمانية ضخمة يجري تدريبها على اعمال الغزو ، وأوقعت فيها خسائر بالغة في الرجال وفي مراكب الانزال . وادت هذه الانباء الى انتشار القول في المانيا وفي اماكن اخرى من القارة الأوروبية بأن الالمان قد حاولوا الانزال فعلاً وان البريطانيين قد صدوهم (جورج فويشتر « الغارات الجوية » ص ١٧٦) وسمعت مثل هذه الرواية في جنيف في السادس عشر من ايلول ، حيث كنت اقضي اجازة بضعة ايام في ربوع سويسرا . ورأيت في الثامن عشر من ايلول وفي اليوم الذي تلاه قطاري اسعاف طويلين يفرغان محمولهما من الجنود الجرحى في ضواحي برلين . وتبينت من طريقة اربطة الجرحى ، ان معظم جراحهم كانت نتيجة الحرق . ولم يكن هناك اي قتال فعلي على البر منذ ثلاثة اشهر .

وسجلت اوراق البحرية الالمانية السرية بتاريخ الواحدوالعشرين من ايلول ان احدىوعشرين باخرة نقل وان (٢١٤) زورقاً اي ما يعادل (١٢) في المائة من مجموع القوات التي تم جمعها للغزو قد فقدت او اصيبت بأضرار (مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ١٠٢) .

ومضوا يقولون :

« واذا لم نقم بذلك ، فإن أي عمل ينطوي على الحيوية والفعالية سيؤدي الى وقوع اصابات تجعل من المتعذر القيام بتنفيذ العملية على النطاق الذي سبق تحديده وتصوره » [1]

ولكن هذا التعذر اصبح حقيقة واقعة . فهناك اشارة موجزة في يوميات الحرب البحرية الالمانية بتاريخ السابع عشر من ايلول تقول :

« لم يهزم سلاح العدو الجوي حتى الآن بأي حال من الأحوال. انه يظهر على النقيض من ذلك المزيد من النشاط . ولا تسمح لنا احوال الطقس بتوقع فترة من الهدوء . ولهذا فقد قرر الفوهرر تأجيل عملية أسد البحر الى أجل غير مسمى » [2]

وهكذا مني هتلر بالفشل لأول مرة بعد هذه السنوات الطويلة من النجاح المنقطع النظير . وظل الادعاء قائماً لمدة شهر آخر ، بأن الغزو قد يقع في ذلك الخريف ، ولكن هذا الادعاء كان اشبه ما يكون بأحلام النهار . وأصدر الفوهرر أمره رسمياً في التاسع عشر من ايلول، بوقف أي تجمع جديد لاسطول الغزو ، وبتفريق البواخر المحتشدة في موانىء الغزو « لتقليل الخسارة الناجمة في الحمولة الملاحية من جراء غارات العدو الجوية الى ادنى حد ممكن » .

وكان من المستحيل حتى الحفاظ على اسطول ضخم موزع وعلى جميع القوات والمدافع والدبابات والمؤن التي تم تجميعها لعبور القناة للقيام بغزو اتخذ القرار بتأجيله الى أمد غير مسمى . وقال هولدر في يومياته بتاريخ الثامن والعشرين من ايلول « ان التسويف المستمر في وجود عملية أسد البحر اصبح امراً لا يطاق » . ولاحظ شيانو في يومياته التي كتبها بعد ان اجتمع موسوليني الى الفوهرر في ممر برينر في الرابع من تشرين الأول ، انه « لم يعد هناك حديث عن غزو الجزر

---

١ – يوميات اركان حرب الاسطول الحربية ١٨ ايلول - ويتلي .
٢ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص١٠١

البريطانيـــة » . وأدت النكسة التي مني بها هتلر ، الى اشراق مزاج شريكه موسوليني ، وانشراحه بشكل لم يعرفه منذ مدة طويلة . ومضى شيانو يقول في يومياته : « لم يسبق لي ان رأيت الدوتشي في مثل هذا المزاج المرح.. الذي رأيته فيه اليوم في اجتماع برينر »[1]

وكان الاسطول والجيش يلحفان في غضون ذلك على الفوهرر بوجوب اتخاذ القرار الفصل في الغاء عملية أسد البحر الغاءً كاملاً . وبيّنت له هيئة اركان حرب الجيش ان الاحتفاظ بهذه القوات على سواحل القناة « يؤدي نتيجة تعرضها للغارات الجوية البريطانية الدائمة الى اصابات مستمرة » .

واعترف سيد الحرب النــازي اخيراً في الثاني عشر من تشرين الأول بفشله بصورة رسمية ، وأمر بتأجيل الغزو حتى الربيع التالي اذا تقرر آنذاك القيام به . وصدر التوجيه الرسمي بذلك على النحو التالي :

مقر قيادة الفوهرر

في ١٢ تشرين الاول عام ١٩٤٠

سري للغــــاية

« قرر الفوهرر استمرار التأهب منذ اليوم حتى الربيع القادم «لعملية اسد البحر» بقصد الحفاظ على الضغط العسكري والسياسي الموجه الى انكلترا ليس إلا .

« واذا تقررت اعـادة النظر في الغزو في الربيع أو في مطلع صيف عام ١٩٤١ ، فستصدر الأوامر بتجديد التأهب العملي لذلك فيما بعد ... »

---

١ – يوميات شيانو ص ٢٩٨ .

وصدر الأمر الى الجيش بتسريح تشكيلاته المعدة « لأسد البحر للقيام بواجبات أخرى أو لتوزيعها على جبهات ثانية ». وصدرت التعليمات الى الاسطول، باتخاذ جميع الاجراءات لتسريح الرجال والسفن » . ولكنه اشترط على فرعي القوات المسلحة ان تقوما بتنفيذ هذه التعليمات سراً وتحت ستار من التغطية . واضاف هتلر في اشتراطه « وعلى البريطانيين ان يواصلوا الاعتقاد بأننا نعد العدة لهجوم على جبهة واسعة » [1].

ترى ما الذي حدث حتى اضطر ادولف هتلر الى التسليم اخيراً ؟

لقد حدث أمران ، أولاهما سير المعركة القدرية في سماء بريطانيا ، وثانيهما انتقال افكاره من جديد باتجاه الشرق الى روسيا .

معركة بريطانيا

وجه غورنغ هجومه الجوي العظيم على بريطانيا في عملية « النسر » ابتداء من الخامس عشر من شهر آب ، وقد هدف من هجومه هذا الى اخراج القوة الجوية البريطانية من الأجواء وتحقيق الشرط الوحيد الذي يتوقف عليه الغزو. ولم يكن مشير الرايخ البدين يشك مطلقاً في النصر. وكان في منتصف شهر تموز على ثقة من ان في وسعه ان يحطم خطوط بريطانيا الدفاعية في الجو في جنوب انكلترا في غضون اربعة ايام عن طريق هجوم شامل ، ممهداً الطريق بذلك الى غزوها . وقال غورنغ لقيادة الجيش العامة ان تحطيم السلاح الجوي الملكي كلية يتطلب وقتاً أطول يتراوح بين الأسبوعين والاربعة اسابيع [2] واعتقد قائد القوة الجوية الالمانية الذي تملأ الأوسمة صدره ، ان السلاح الجوي الالماني وحده،

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٤٠ . ص ١٠٣ .

٢ – المقدم فون هيسلر – كتاب « دراسات عن الحرب الجوية – الجزء الثاني – الحرب الجوية ضد بريطانيا » اقتبس منه ويتلي في ص ٥٩ .

قادر على اجبار بريطانيا على الجثو امام المانيا، وان من المحتمل ان لا تحتاج هذه الى غزو تلك بقواتها البرية .

وكانت لدى غورنغ لتحقيق هذا الهدف ثلاثة اساطيل جوية أولها الأسطول رقم (٢) بقيادة المشير كيسلرنغ ويعمل من قواعده في البلاد المنخفضة وشمال فرنسا والاسطول رقم (٣) بقيادة المشير سبيرل ويعمل من قواعده في فرنسا والاسطول رقم (٥) بقيادة الفريق شتومبف ويعمل من قواعده في النروج والدانيمارك وكان الأسطولان الأولان يملكان (٩٢٩) طائرة محاربة و (٨٧٥) طائرة قاذفة و(٣١٦) طائرة منقضّة ، بينما كان الاسطول الاخير أصغر حجماً ويشمل (١٢٣) قاذفة و (٣٤) طائرة محاربة من ذات المحركين من طراز مسرشميت (١١٠) وتواجه هذه القوة الجبارة السلاح الجوي الملكي ، الذي كان يملك للدفاع عن البلاد كلها في مستهل شهر آب طائرات يتراوح عددها بين السبعمائة والثمانمائة طائرة محاربة .

وقضى السلاح الجوي الالماني طيلة شهر تموز يزيد تدريجياً في غاراته على الملاحة البريطانية في القناة وعلى موانىء بريطانيا الجنوبية وكانت هذه العملية مجرد محاولة لجس النبض ، وعلى الرغم من ضرورة تطهير المياه الضيقة من البواخر البريطانية قبل ان يبدأ الغزو ، إلا ان الهدف الأساسي من هذه الهجمات الجوية الأولية ، كان اجتذاب الطائرات البريطانية المقاتلة الى المعركة واغرائها بالقتال. وقد فشل الالمان في تحقيق هذا الهدف . ورفضت قيادة السلاح الجوي الملكي ، دهاء منها ومكراً ، ان تدفع الى المعركة بأكثر من جزء صغير من مقاتلاتها ، وكانت النتيجة الحاق افدح الاضرار بالملاحة وببعض الموانىء . واغرق الالمان اربع مدمرات وثماني عشرة باخرة تجارية ، ولكن هذه المعارك التمهيدية كلفت السلاح الجوي الالماني ٢٩٦ طائرة حطمت و ١٣٥ اخرى اصيبت بأضرار . ولم يفقد السلاح الملكي اكثر من ١٤٨ طائرة مقاتلة .

واصدر غورنغ في الثاني عشر من آب أمره بشن عملية « النسر » في اليوم التالي . واستهل السلاح الجوي الالماني هذه العملية في نفس اليوم بغارات عنيفة على محطات الرادار البريطانية فأصاب خمساً منها بأضرار وأطار واحدة اخرى

من الوجود ، ولكن الالمان لم يكونوا قد ادركوا في هذه الوقت الأهمية الحيوية للرادار في الدفاع البريطاني ، ولذا لم يتابعوا هجومهم على هذه المحطات . وزج الالمان في الثالث عشر والرابع عشر بألف وخمسمائة طائرة في القتال، ركزت هجومها على مطارات الطائرات البريطانية المقاتلة ، وعلى الرغم من انهم ادعوا تدمير خمس منها تدميراً كاملاً ، إلا ان الاضرار كانت فى الحقيقة طفيفة ولا تستحق الذكر ، وخسر سلاحهم الجوي سبعاً واربعين طائرة مقابل ثلاث عشرة طائرة بريطانية [1].

وشهد الخامس عشر من آب أولى المعارك العظيمة في الجو . فقد قذف الالمان بالقسم الأكبر من طائرات اساطيلهم الثلاث وبلغ عدد الطائرات التي قذفوا بها في المعركة (٨٠١) طائرة قاذفة و (١١٤٩) طائرة محاربة . وواجه الاسطول الخامس العامل من القواعد الاسكندينافية ، الكارثة . وكان الالمان بعد ان زجوا بثمانمئة طائرة في الهجوم الضخم على الساحل الجنوبي الشرقي لانكلترا ، قد تصوروا ان السواحل الشمالية الشرقية قد خلت من أية طائرات دفاعية . وراحوا يبعثون بمائة قاذفة تحرسها اربع وثلاثون محاربة من ذوات المحركين من طائرات مسرشميت (١١٠) لمهاجمة ساحل « التاينسايد » ، ففوجئت بسبعة أسراب من طائرات « الهاريكين » و « السبيتفاير » تخرج لملاقاتها لتحطمها . وخسر الألمان نحواً من ثلاثين طائرة معظمها من القاذفات دون ان يخسر المدافعون طائرة واحدة . وسجل هذا الانتصار نهاية اشتراك الاسطول الخامس في معركة بريطانيا ، اذ لم يعد الى الهجوم ابداً بعد هذه الكارثة .

وكان الألمان احسن حظاً واكثر نجاحاً في ذلك اليوم في جنوب انكلترا . وقد شنوا أربع هجمات كثيفة تمكنت أحداها من التوغل والنفاذ الى سماء لندن

---

١ - ادعى الألمان انهم حطموا ١٣٤ طائرة بريطانية مقابل (٣٤) طائرة خسروها . وشرع الفريقان منذ هذا التاريخ يبالغان مبالغة كبيرة في تقدير ما ينزله الواحد منهما بالآخر .

تقريباً . وتمكنوا من اصابة أربع مصانع للطائرات في كرويدن وتدمير خمسة مطارات للطائرات المحاربة . وخسر الالمان في المعركة كلها خمساً وسبعين طائرة مقابل أربع وثلاثين خسرها السلاح الملكي .[1] وعلى الرغم من تفوق الالمان العددي فإن هذه النسبة في هذه الخسائر كانت كافية لاحباط خطة المانيا في اخراج السلاح الجوي البريطاني من أجواء المعركة .

وهنا اقترف غورنغ أول خطأ من خطئيه التعبويين (التكتيكيين) الكبيرين. فقد استندت قيادة الطائرات البريطانية المقاتلة ، في الزج بطائراتها في المعركة ضد قوات تفوقها عدداً ، على براعتها في استخدام الرادار . فمنذ اللحظة التي كانت الطائرات الألمانية تغادر قواعدها في أوروبا الغربيــة ، كانت تظهر على شاشات الرادار البريطانية ، وكانت قيادة الطائرات المقاتلة البريطانية تتابع بدقة سيرها ، وتقرر المكان الذي يجب ان تهاجمها فيه والزمن الذي يجب ان يقع فيه الهجوم . وكان « الرادار » شيئاً جديداً في الحرب ، وقد أدهش الألمان الذين كانوا متخلفين كثيراً عن البريطانيين في تطوير هذا الاختراع الالكتروني. وقد شهد أدولف غالاند ، الطيار الألماني المشهور ، أمام محكمة نورمبرغ فيما بعد قائلاً :

« وأدركنا ان ثمة طريقة لتوجيه أسراب الطائرات البريطانية المقاتلة من الارض ، وان هذه الطريقة جديدة علينا ، اذ كنا نسمع الأوامر الصادرة بوضوح وهي توجـه طـائرات السبيتفاير ، و « الهاريكين » توجيهاً بارعاً ودقيقاً نحو التشكيلات الالمانية... وكان هذا الرادار وتوجيه المقاتلات مفاجأة وأي مفاجأة مؤلمة لنا»[2].

---

١ ـ ذكر البلاغ الرسمي الذي صدر في لندن في ذلك المساء ان (١٨٢) طائرة المانية قـد اسقطت وان (٤٣) اخرى يعتقد انها دمرت . وقد ادى هذا البلاغ الى الرفع مـن معنويات الشعب البريطاني عامة ومعنويات طياري المقاتلات المجهدين بصورة خاصة .

٢ ـ ادولف غالاند ـ الاول والاخير ص ٢٦ . وكذلك من استجواب غالاند الذي اقتبسه ويلموت في الصفحة ٤٤ من كتاب « معركة اوروبا »

ومع ذلك ، لم يواصل الالمان هجومهم على محطات الرادار البريطانية ،وهو الهجوم الذي دمر الكثير في الثاني عشر من آب ، وسرعان ما اصدر غورنغ في الخامس عشر منه أمره بوقف هذا الهجوم كلية بعد ان مني بنكسته الرئيسية الأولى قائلاً : « انني اشك كل الشك فيما اذا كان ثمة فائدة من استمرار هذه الهجمات على محطات الرادار ، لا سيما وان اياً من هذه المحطات التي هوجمت لم تتوقف عن العمل » .

وكان ثمة مفتاح آخر لنجاح الدفاع عن اجواء جنوب انكلترا، وهو وجود محطات « قطاعية » . وكانت هذه المحطات العصب الحساس الذي يوجه طائرات الهاريكين والسبيتفاير بواسطة الهواتف اللاسلكية ، الى المعركة على اساس آخر الانباء التي تلقاها من اجهزة الرادار، ومن محطات المراقبة الارضية والطيارين في الهواء . ويقول غالاند ، انه كان في وسع الطيارين الألمان ان يسمعوا هذه التمتمة المستمرة على امواج الاثير بين المحطات القطاعية ، وبدأوا يفهمون اخيراً اهمية هذه المراكز الارضية للمراقبة. وحوّلوا خططهم في الرابع والعشرين من آب الى تدمير هذه المحطات، التي كان سبع منها يقوم في المطارات التي تحيط بلندن وهي مهمة كل الاهمية لحماية العاصمة نفسها وجنوب انكلترا بكامله . وكان هذا التحول ضربة وجهت الى الاجزاء الحيوية في دفاع بريطانيا الجوي .

وكان سير المعركة حتى ذلك اليوم ، يبدو ضد مصلحة السلاح الجوي الألماني . ففى السابع عشر من آب خسر الألمان احدى وسبعين طائرة مقابل سبع وعشرين طائرة بريطانية . وبرهنت طائرة الانقضاض البطيئة من طراز « شتوكا » التي ساعدت كثيراً في تمهيد الطريق امام انتصارات الجيش الألماني في بولندة والجبهة الغربية على انها فريسة سهلة للمقاتلات البريطانية ، فأمر غورنغ في ذلك اليوم ، أي السابع عشر من آب بسحبها من المعركة ، مما أدى الى هبوط قوة القاذفات بنسبة الثلث تقريباً . وحدثت فترة هدوء في الجو بين التاسع عشر والثالث والعشرين من آب بسبب رداءة الطقس . وأعاد غورنغ

درسه للوضع في مقره الريفي « كارينهول » القريب من برلين ، في التاسع عشر من آب فأصدر أمره بتركيز الهجوم فور تحسن الطقس على السلاح الجوي الملكي.
وراح يعلن قائلاً : « لقد وصلنا الفترة الحاسمة في الحرب الجوية ضد انكلترا ومهمتنا الحيوية هي هزم قوة العـــدو الجوية . وسيكون هدفنا الأول تحطيم طائرات العدو المحاربة »[1] .

وبعث الألمان بين الرابع والعشرين من آب والسادس من ايـلول بنحو من الف طائرة في كل يوم لتحقيق هذه الغاية . وكان مشير الرايـــخ مصيباً للمرة الاولى في حياته . أجل لقد دخلت بريطانيا مرحلتها الحاسمـة . اذ على الرغم من القتال الباسل الذي خاضه طيارو السلاح الملكي ، الذين أجهدتهم كـــثرة الطيران مدة شهر كامل ، إلا ان تفوق الالمان الهائل في العدد ، بدأ يترك أثره . فقد تمكن الالمان منتدمير خمسة من مطارات الطائرات المقاتلة في جنوب انـكلترا تدميراً كاملاً ، ولعل ما هو اسوأ من ذلك، انهم قذفوا بقنابلهم ستاً من المحطات القطاعية السبع قذفاً عنيفاً ، وبدا أن جهاز المواصلات كله على وشك الانهيار. وكان مثل هذا الاحتمال يهدد بريطانيا بكارثة عنيفة .

ولعل ما هو اسوأ من هذا ، ان النتائج بدأت تؤثر على القوة الدفاعية المقاتلة للسلاح الجوي الملكي . ففي فترة الاسبوعين الحرجين بين الثـالث والعشرين من آب وبين السادس من ايلول خسر البريطانيون ٤٦٦ طائرة مقاتلة اما تحطمت أو دمّرت أسوأ تدمير ، وكانت خسائر السلاح الجوي الألماني أقـل من ذلك ، وان لم يعرف البريطانيون بها ، اذ بلغت ٣٨٥ طائرة منها (٢١٤) طائرة مقاتلة و (١٣٨) قاذفة . يضاف الى هذا ان السلاح الجوي البريطاني خسر (١٠٣) من الطيارين قتلوا و (١٢٨) اصيبوا بجراح خطيرة . ويمثل هذا الرقم ربع ما لدى البريطانيين من طيارين .
وكتب تشرشل فيما بعد يقول : « وبدأت كفة الميزان تتجه ضد قيـــادة

---

١ ـ سجلات سلاح الجو الألماني ـ ويتلي ص ٧٣ .

الطائرات البريطانية المقاتلة ... وأخذنا نحس بقلق زائد » . ولو استمر الوضع على هذا النحو عدة اسابيع اخرى ، فإن بريطانيا كانت ستصبح حتماً دون أي دفاع منظم عن اجوائها . وكان من المحتوم نجاح الغزو للجزر البريطانية .

وهنا وقع غورنغ في خطئه التعبوي الثاني ، وبصورة مفاجئة . وكان هذا الخطأ مماثلاً في نتائجه الوخيمة للخطأ الذي وقع فيه هتلر عندما أوقف هجومه المدرع على دنكرك في الرابع والعشرين من ايار . وأدى الى انقاذ السلاح الجوي الملكي الذي بدأ في الترنح واصبح على وشك الانهيار، ومثل نقطة تحول رئيسية في تاريخ أولى المعارك الجوية العظيمة .

فبعد ان تحمل سلاح بريطانيا في الطائرات المقاتلة الدفاعيــة هذه الخسائر الضخمة في الجو وعلى الارض ، والتي لم يكن في وسعه احتمالها أمداً طويلاً ، تحول السلاح الجوي الالماني في السابع من ايلول الى القصف الليلي الشامل لمدينة لندن. وهكذا نجت مقاتلات السلاح الجوي الملكي من خطر أكيد .

ترى ما الذي حدث في المعسكر الالماني، مما أدى الى هذا التحول في الاساليب التعبوية ، وهو التحول الذي قدر له ان يكون مفجعــاً بالنسبة لمطامح هتلر وغورنغ ؟ ان الرد على هذا السؤال مشحون بالسخرية والهزء .

ولنبدأ الرد فنقول، انه وقع خطأ ملاحي طفيف من نحو عشر من القاذفات الالمانية ليلة الثالث والعشرين من آب . فقد عهد الى هذه الطائرات بالقاء محمولها من القنابل على مصانع الطائرات ومستودعات الزيت في ضواحي لندن، ولكنها ضلت طريقها وألقت قنابلها في وسط العاصمة ، ناسفة عدداً من البيوت ، وقاتلة عدداً من المدنيين . وخيل الى البريطانيين ان الغارة على هذا النحو كانت مقصودة فسارعوا الى الثأر من برلين في الليلة التالية .

ولم تكن الغارة ناجحة . فقد غطت سحابة كثيفة من الضباب سماء برلين في تلك الليلة ، ولم تتمكن إلا نصف الطائرات البريطانية الإحدى والثمانين التي عهد اليها بالقيام بهذه الغارة من الوصول الى هدفها . وهكذا كان الضرر الذي لحق بالعاصمة الالمانية طفيفاً ، ولكن اثر الغارة على معنويات الالمـان كان هائلاً . اذ

كانت هذه هي المرة الأولى التي تسقط فيها القنابل على برلين . ودوّنت في يومياتي في اليوم التالي ، السادس والعشرين من آب أقول :

« أصيب البرلينيون بشيء من الذهول . ولم يكونوا يتصورون ان شيئاً من هذا قد يحدث فعندما بدأت الحرب، أكد لهم غورنغ ان شيئاً من هذا لن يقع مطلقاً . . وقد صدقوه حتماً. ولا ريب في ان خيبة أملهم اكبر مما يتصور المرء .وكان على المرء ان يرى وجوههم ليقدر هول ما أصابهم » .

وكان الدفاع عن برلين قوياً،اذ تحرسها حلقتان من المدافع المضادة للطائرات، وبينما كانت القاذفات الزائرة تحلق فوقها اكثر من ثلاث ساعات،وأزيرها يسمع من وراء السحب التي حالت بين مئات الأضواء الكشافة وبين تمييز الطائرات المغيرة ، كان صوت القنابل المضادة للطائرات من أشد ما سمعت في حياتي. ولكن لم تتمكن اجهزة الدفاع من اسقاط طائرة واحدة . وقذف الطيارون البريطان بعدد من المنشورات التي تقول بأن « الحرب التي بدأها هتلر ستستمر، وستطول ما طالت حياة هتلر » . وكانت هذه الدعاية ناجحة طبعاً ولكن صوت انفجار القنابل كان اكثر نجاحاً .

ووصلت طائرات السلاح الجوي الملكي باعداد اكبر ليلة الثامن والعشرين - التاسع والعشرين من آب . وقد دوّنت في يومياتي « ان هذه الطائرات قتلت الالمان لأول مرة في عاصمة الرايخ » . وكان عدد الضحايا الذي ذكرته المصادر الرسمية عشرة من القتلى وتسعة وعشرين جريحاً . وثار العظماء النازيون وهاجوا وماجوا . وراح غوبلز الذي كان قد اصدر أوامره الى الصحافة بألاّ تنشر الا بضعة اسطر عن الغارة الأولى ، يأمرها الآن بأن تصرخ بأعلى صوتها حاملة على « وحشية » الطيارين البريطانيين الذين يهاجمون السكان العزّل من نساء برلين واطفالها . وحملت معظم صحف العاصمة نفس العناوين الضخمة : « الهجوم البريطاني الجبان » وعادت الصحف بعد ليلتين عندما وقعت الغارة الثالثة تحمل العنوان التالي « قراصنة الجو البريطانيون فوق برلين » . ودوّنت في يومياتي

بتاريخ الأول من ايلول أقول :

« كان الأثر الرئيسي بعد اسبوع من الغارات الليلية البريطانية المستمرة ، نشر خيبة الأمل بين أفراد الشعب ، وبذر الشكوك في نفوسهم ... وليس ثمة من ريب في ان القصف الجوي ، لم يكن في الحقيقة قتالاً » .

وكان الأول من ايلول ، موعد الذكرى الأولى لنشوب الحرب . ولاحظت حالة الناس ، وأوضاعهم المزاجية ، بالاضافة الى اعصابهم المرهقـــة من جرّاء حرمانهم من النوم وتعرضهم للأرهاب من الغارات المفاجئة ، وأزيز القنـابل المضادة المرعب ، ودوّنت في يومياتي أقول :

« وقد تمكن السلاح الالماني في هذه السنة من تحقيق انتصارات لا مثيل لها حتى في التاريخ العسكري الرائع لهذا الشعب المحارب والمعتدي . ومع ذلك لم تنته الحرب ، ولم يكن الانتصار نتيجتها . وعلى هذه الناحية تتركز عقول الناس اليوم . انهم يتوقون الى السلام . وهم يريدون ان يحصلوا عليه قبل حلول الشتاء » .

وأحس هتلر بأن من الضروري ان يخطبهم في الرابع من ايلول بمناسبة افتتاح حملة الشتاء في الميدان الرياضي . وقد احتفظ بسرية حضوره هناك حتى اللحظة الأخيرة ، مخافة ان تنتهز طائرات العدو فرصة وجود الغيوم وتفرّق الاجتماع بغاراتها على الرغم من انه وقع في ساعات بعد الظهيرة المتأخرة ، قبيل الغسق .

ولم يسبق لي ان رأيت الديكتاتور النازي في مثل هذا المزاج الساخر ، أو ما يسميه الألمان بالميل الى النكتة ، الا نادراً ، مع العلم بأن هتلر كان في العادة رجلاً لا يعرف الا الجد . وقد اطلق على تشرشل اسم « المراسل الحربي البارز » . وعندما اشار الى دف كوبر قال ان « ليست ثمة كلمة في اللغة الألمانية المعروفة يمكن اطلاقها عليه . ولكن لدى البافاريين كلمة يصح اطلاقها على هذا الطراز من الرجال وهي كلمة « Krampfhenne » التي يمكن ترجمتها « بالدجاجة العجوز الشديدة العصبية » . ثم مضى يقول :

« ولا يعني هذر المستر تشرشل أو المستر ايدن ، ويمنعني الحياء من الشيخوخة ان اذكر المستر تشمبرلين معهما ، أي شيء للشعب الألماني . ولعل خير ما يمكن قوله : هو ان هذا الهذر يضحكنا » .

ومضى هتلر بعد ذلك يثير ضحك سامعيه ومعظمهم من الممرضات وموظفي الخدمات الاجتماعية ، لينطلقوا بعد ذلك مصفقين هازجين بشيء من الهستيرية .

وقد واجه مشكلة الرد على سؤالين يحتلان افكار الشعب الألماني واولهما متى يقع غزو بريطانيا وماذا ستعمل الحكومة بصدد القصف الليلي لبرلين وغيرها من المدن الالمانية ، فتحدث عن السؤال الأول قائلاً :

« ان الفضول يجتاح الشعب الانكليزي الذي يواصل السؤال . . ترى لماذا لا يقع ؟ » . اهدأوا . اهدأوا ، ان الغزو واقع . ان الغزو واقع ! »

وقد وجد سامعوه هذا التعبير مضحكاً ، ولكنهم اعتقدوا على اية حال بأن هذا العهد باتٌ قاطعٌ . واشار الى القصف البريطاني لبرلين ، فبدأ حديثه بشيء من المغالطة وانتهى الى شيء من التهديد العنيف ثم قال :

« ان المستر تشرشل يعرض الآن الطفل الجديد الذي ابتكرته افكاره وهو الغارات الجوية الليلة . ويقوم المستر تشرشل بتنفيذ هذه الغارات لا لأنها تأتي له بنتائج فعالة ، بل لأن السلاح الجوي البريطاني لا يستطيع ان يطير في سماء المانيا في وضح النهار . . . بينما تحلق الطائرات الألمانية فوق الارض الانكليزية في كل يوم . . . وعندما يجد الطيار الانكليزي ضوءاً يقذف بقنبلته . . . . لا يهمه أنى تقع . . هل تقع على المناطق الآهلة بالسكان أو المزارع أو القرى » .

وانتقل بعد ذلك الى التهديد فقال :

« وظللت ثلاثة اشهر لا ارد على هذه الغارات ، اذ انني كنت اعتقد ان مثل هذا الجنون سيتوقف . وقد اعتبر المستر تشرشل سكوتي علامة ضعف وها نحن نرد الآن ليلة مقابل ليلة .

« وعندما يلقي السلاح الجوي البريطاني ، الفين أو ثلاثة آلاف أو اربعة آلاف من الكيلوغرامات من القنابل ، فسنلقي نحن (١٥٠) الفاً أو (٢٣٠) أو (٣٠٠) أو (٤٠٠) الف كيلو غرام .

وتقول يوميتي التي دوّنتها ، ان هتلر اضطر الى التوقف عند هذا الحد ، نتيجة الدوي الصاخب من تصفيق النساء الالمانيات المستمعات اليه وهتافهن .

ومضى هتلر يقول : « وعندما يقولون انهم سيضاعفون غاراتهم على مدننا ، فسنرد على ذلك باحالة مدنهم الى انقاض » . ودوّنت هنا ان المستمعات الشابات، خرجن على اطوارهن واخذن يصفقن بجنون وخبال . وعندما توقف دوي الهتاف والتصفيق اضاف قائلاً : أجل سنقطع ايدي قراصنة الجو ، فليساعدنا الله ويكون في عوننا » .

ودوّنت في ملاحظاتي أقول : « وعندما استمعت النساء الألمانيات الى ذلك ، قفزن على اقدامهن ، واخذت صدورهن تعلو وتهبط ، وهن يصرخن معلنات عن تأييدهن وموافقتهن » .

وانهى هتلر خطابه قائلاً : « وسيحين الوقت عندما ينهار أحد الجانبين ، وأود ان اؤكد لكم ان هذا الجانب لن يكون المانيا الاشتراكية الوطنية » . ودوّنت اخيراً ان « الفتيات الثملات بالحماس ، رحن يصرخن صرخات الفرح وهن يرددن بصوت واحد : « ابداً . ابداً . ابداً » .

وعندما استمع شيانو في رومه الى تسجيل اذاعي للخطاب بعد بضع ساعات اعترف بحيرته ودوّن قائلاً : « لا ريب في ان اعصاب هتلر متوترة » [١] .

وكان هذا التوتر في اعصابه عاملاً في اتخاذ القرار القدري بتحويل غارات السلاح الجوي الألماني الظافرة في النهار على مراكز السلاح الجوي الملكي ، الى غارات ليلية ضخمة على لندن . وكان هذا القرار سياسياً بقدر ما هو عسكري، وقد اتخذ الى حد ما للثأر من غارات البريطانيين على برلين وغيرها من المدن

---

١ - يوميات شيانو ص ٢٩٠ .

الالمانية وهي غارات « تافهة » اذا ما قورنت بما كان السلاح الجوي الالماني يحدثه في المدن البريطانية ، كما هـــدف ايضاً الى تحطيم عزيمة البريطانيين على المقاومة باحالة عاصمتهم الى انقاض . ولو تحقق هذا الهدف ، وكان هتلر وغوبلز على ثقة من تحقيقه ، فان الغزو لا يصبح امراً لازماً .

وهكذا بدأ الهجوم الجوي العظيم على لندن بعـد ظهر السابع من ايلول . وقذف الألمان في هذه الغارة بستمائة وخمس وعشرين طائرة قاذفة تحرسها(٦٤٨) طائرة مقاتلة . ففي الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ذاك ، انطلقت الموجة الأولى المؤلفة من (٣٢٠) قاذفة تحرسها جميع الطائرات الألمانية المقاتلة ، محلقة فوق نهر « التيمز » وبـــدأت تلقي قنابلها على « ترسانة » وولويتش ، وعلى محطات توليد الغاز والقوى الكهربائية والمستودعات وارصفة الميناء . وسرعان ما تحولت المنطقة الواسعة كلها الى كتلة من ألسنة اللهب . وقد احاطت النيران في منطقة « سيلفرتاون » بالاهلين مما اضطر السلطات الى نقلهم عن طريق النهر. ووصلت الموجة الثانية التي تضم (٢٥٠) طائرة قاذفة في الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة مساء بعد هبوط الظلام . واستأنفت الغارة التي استمرت في موجات متعاقبة حتى الساعة الرابعة والنصف من صباح الاحد . واستؤنف الهجوم في الساعة السابعة والنصف من مساء الليلة التالية ، وقامت بها نحو من مائتي قاذفة قنابل واستمرت طيلة الليل . ويقول المؤرخ البريطاني الرسمي ان (٨٤٢)شخصاً قتلوا و (٢٤٤٧) جرحوا إبان هـاتين الليلتين الاوليين ، ولحقت اضرار واسعة بالمدينة المنبسطة .[1] ومضت الغارات متلاحقة ليلة إثر اخرى طيلة الاسبوع التالي[2] .

وركب الغرور رأس المسؤولين عن السلاح الجوي الألماني لنجاح هـــذه

---

١ – راجع كتاب . تي . إش . اوبريان « الدفاع المدني » وهو جزء من التاريخ البريطاني الرسمي للحرب كما نقحه الاستاذ . جي . آر . ام ، واصدره مكتب مطبوعات الحكومة .

٢ – لم تكن وسائل الدفاع الليلية قد اتقنت حتى ذلك الحين ولذا كانت خسائر الالمان تافهة .

الغارات ، أو ما خيل اليهم انه « نجاحها » ، فقرروا القيام بهجوم نهاري ضخم على العاصمة المحترقة المحطمة وادى هذا الهجوم الذي وقع يوم الاحد في الخامس عشر من ايلول الى احدى معارك الحرب الحاسمة .

فقد ظهرت في سماء القناة الانكليزية ظهر ذلك اليوم نحو من مائـتي قاذفة قنابل المانية يحرسها ثلاثة اضعاف هذا العدد من الطائرات المحاربة ، وهي تتجه الى لندن . وكانت قيادة المقاتلات البريطانية قد شهدت تجميع هذه الطائرات المهاجمة على شاشات الرادار ،واستعدت للمعركة . وسرعان ما انبرت الطائرات البريطانية لقطع طريق الطائرات الألمانية قبل ان تقترب من العاصمـــة ، وعلى الرغم من تمكن بعضها من الوصول الى سماء العاصمة ، إلا أن معظمها قـد بدد شمله أو اسقط قبل ان يتمكن من افراغ محموله من القنابـل . وعادت تشكيلة المانية اخرى اكثر قوة بعد نحو من ساعتين ولكنها منيت بالهزيمة ايضاً . وعلى الرغم من ان البريطانيين ادعوا اسقاط (١٨٥) طائرة المانـــية إلا أن الرقم الحقيقي كما عرف بعد الحرب من سجلات برلين كان اقل من ذلك بكثير ، اذ لم تعدُ الطائرات الـتي اسقطت ستاً وخمسين بينها اربع وثلاثون قاذفة . وخسر الطيران الملكي البريطاني ستاً وعشرين طائرة ليس إلا .

واظهرت هـذه المعركة ان السلاح الجوي الألماني بات عاجزاً على أي حال بعد ان اتاح لقيادة الطائرات المحاربة فترة راحة لمدة اسبوع ، عن القيام بغارات رئيسية نهارية ناجحة على بريطانيا . أما وقد تجلى هذا الوضع ، فقد بات احتمال القيام بحركة انزال فعّالة أمراً مستبعداً . وهكذا فقد مثل الخامس عشر من ايلول نقطة التحول في الحرب الجوية أو نقطة الذروة كما اسماها تشرشل فيما بعد في معركة بريطانيا . وعلى الرغم من ان غورنغ عندما أمر في اليوم التالي بتغيير اساليبه ، التي انطوت على استعمال القاذفات في وضح النهار لا لتقصف بقنابلها فحسب بل ولتكون احبولة يقصد منها خـداع الطائرات المحاربة البريطانية وجرها الى المعركة ، تبجح قائلاً بأن مقاتلات العدو « لا بد وان ينتهي امرها

في غضون اربعة او خمسة ايام »[1] . ولكن هتلر وقادة جيشه واسطوله كانوا اكثر فهماً للحقيقة ، ولم يمض يومان عـلى المعركة الجوية الحاسمة أي في السابع عشر من ايلول ، حتى كان الفوهرر كما ذكرنا قد اجل عملية « اسد البحر » الى امدٍ غير مسمى .

وعلى الرغم من ان القـدر شاء للندن ان تتعرض « لدك » فظيع مدة سبع وخمسين ليلة على التوالي ابتداء من السابع من ايلول الى الثالث من تشرين الثاني تقوم به نحو من مائتي قاذفة كل مرة ، مما حمل تشرشل على الاعتقاد كما قال فيما بعد ، ان المدينة ستتحول عما قريب الى ركام من الانقاض ، وعلى الرغم من ان معظم المدن البريطانية الاخرى ، وفي مقدمتها كوفنتري ، قد قضي عليها بأن تعاني ضرراً اعظم طيلة ذلك الخريف القاتم والشتاء الذي تلاه ، إلا أن المعنويات البريطانية لم تصب بالانهيار ، ولم تهبط نسبة الانتاج في السلاح كما توقع هتلر بشيء من الثقة واليقين . وقد حدث العكس تماماً . فقد انتجت مصانع الطائرات في انكلترا ، وهي الهدف الرئيسي للطائرات الألمانية من الطائرات في عام ١٩٤٠ عدداً فاق ما انتجته المصانع الألمانية اذ دفعت الى المعركة ٩٩٢٤ طائرة مقابل ٨٠٧٠ طائرة المانية . وكانت خسائر هتلر من القاذفات في سمـــاء بريطانيا ، كبيرة الى الحـد الذي استحال تعويضه ، وتشير السجلات الألمانية السرية الى ان الطيران الألماني ، لم يستفق قـــط من الضربة القاصمة التي تلقاها في اجواء بريطانيا في اواخر ذلك الصيف والخريف .

وكان الاسطول الألماني الذي شلته الخسائر التي مني بها في النروج في مطلع الربيع عاجزاً ، كما اعترف قادته ، طيلة الوقت عن تأمين القوة البحرية اللازمة لغزو بريطانيا . ولهذا كان الجيش الألماني ، مع افتقاره الى هـذه القوة البحرية والى التفوّق الجوي ، عاجزاً عن عبور مياه القناة الانكليزية الضيقة . وهكذا ظهرت عوامـــل اوقفت هتلر للمرة الأولى ، وعرضت خططه الجديدة للفتح

١ – سجلات المؤتمرات التي عقدها غورنغ مع قادة سلاحه الجوي – ويتلي – ص ٨٧ .

والاحتلال الى الفشل وذلك في نفس اللحظة التي كان فيها كما رأينا من قبل واثقاً من تحقيق النصر النهائي .

ولم يكن قد فكر أو فكر غيره حتى ذلك الوقت بأن المعركة الحاسمة قد تقرّر في الهواء . ولم يكن قد ادرك بعد عندما جثم الشتاء المظلم على اوروبا بكلكله ، بأن حفنة من الطيارين المحاربين الانكليز ، قد حافظوا باحباطهم خطته للغزو ، على انكلترا كقاعدة عظيمة لاعادة تحرير القارة الاوروبية من الغرب في تاريخ لاحق . وكانت افكاره قد بدأت في الاتجاه ناحية اخرى ، بل اتجهت فعلاً الى تلك الناحية .

وهكذا نجت بريطانيا . وكانت قد تمكنت طيلة الف عام بنجاح من الدفاع عن نفسها بقوتها البحرية . وكان بعض قادتها على الأقل ، على الرغم من كل ما ظهروا به من غباء امتلأت به صفحات هذا الكتاب ، قد ادركوا في السنوات الواقعة بين الحربين ان القوة الجوية باتت عاملاً حاسماً في اواسط القرن العشرين ، وان طائرة القتال الصغيرة وطيارها قد بات الدرع الرئيسي للدفاع عن البلاد ، ولا ريب في ان تشرشل كان صادقاً كل الصدق عندما قال لمجلس العموم ، في احدى خطبه الخالدة في العشرين من آب ، عندما كانت المعركة في الاجواء ما زالت مستعرة على اشدها ، وكانت نتيجتها لا تزال في كفة الاقدار : « لم يحدث قط في تاريخ أي صراع بشري ، ان أحسّ مثل هذا العدد الكبير من الناس ، بمثل هذا الدين الضخم ، لهذا العدد القليل من الناس ، مثل ما نشعر به جميعاً اليوم لطيارينا » .

لو نجح الغزو

لو احتل الألمان النازيون بريطانيا ، لما كان احتلالهم أمراً ينطوي على الدماثة واللطف . ولا تترك الوثائق الألمانية المصادرة أي شك في هذا . فلقد اصدر براوختش القائد العام للجيش توجيهاً في التاسع من ايلول ، ينص على

وجوب « اعتقال جميع الذكور الاصحاء ، من سكان بريطانيا من الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة عشرة والخامسة والاربعين ونقلهم الى القاره الاوروبية إلا اذ اقتضت الاوضاع المحلية استثناءات في الانظمة » . وقـــد صدرت الاوامر التنفيذية لهذا التوجيه من مدير ميرة الجيش في القيادة العامة الى قيادة الجيشين التاسع والسادس عشر اللذين كانا قد احتشدا استعداداً للقيام بالغزو . ولم يبدأ الألمان عملهم بمثل هذه الخطوة المتطرفة في عنفها ، في أي بلد محتل ، حتى ولا بولندة نفسها . وقد حملت تعليمات براوختش العنوان التالي : « أوامر عن تنظيم الحكم العسكري في انكلترا وضمان سيره » ، وتضمنت تفصيلات وافية مسهبة. ويبدو انها كانت تستهدف تأمين نهب الجزيرة البريطانية المنظم وارهاب سكانها، وقد ألفت هيئة اركان خـاصة في السابع والعشرين من تموز اطلق عليهـا اسم « الاركان الاقتصادية الحربية لانكلترا » لتحقيق هذا الهدف الأول . وكان من المقرر ان يصادر كل شيء فوراً الا المخزونات البيتية العادية . كما تقرر نقـــل الرهائن ونصت التعليمات بتعرض كل شخص يلصق اعلاناً لا يرضى عنه الألمان، الى عقوبة الاعدام الفوري ، كما فرضت عقوبة مماثلة على كل من يتوانى في تسليم ما لديه من اسلحة أو من اجهزة الراديو في غضون اربع وعشرين ساعة .

وعهد الى همبلر وحرسه النازي بمهمة فرض الارهاب الحقيقي . وعهـد الى جهاز « مكتب الرايخ للأمن المركزي » الرهيب بقيادة هايدريش بتولي هـذه المسؤولية . [١] وكان من المقرر ان يتولى هذه العمليات في لندن عقيد في الحرس النازي يدعى « البروفسور الدكتور فرانزسيكس » ، وهو واحد مـــن قطاع الطرق المثقفين المجيبين الذين استهواهم العهد النازي للعمل في شرطة هملر السرية. وكان الاستاذ سيكس قد تخلى عن منصبه كعميد لكلية الاقتصاد في جامعة برلين لينضم الى مكتب هايدريش الخاص ، حيث تخصص في « القضايا العلمية »، التي

---

١ - يطلق على هذا الجهاز اسم ، R.S.H.A (Reichssicherheitshauptamt) وقد تولى كما ذكرنا من قبل ، منذ عام ١٩٣٩ الاشراف على الغستابو وعلى الشرطة الجنائية ، ومكتب الأمن الخاص (S.D) .

ثلقي جوانبها الغريبة شيئاً من السحر على هنريخ هملر ذي النظارتين وعلى الأوغاد الذين يعملون تحت امرته. وفي وسع المرء ان يحكم على ماخسره الانكليز، من عدم مجيىء الدكتور سيكس الى بلادهم، من الأعمال التي قام بها فيما بعد في روسيا حيث نشط نشاطاً ملحوظاً في جماعات الحرس النازي (Ein satzgruppen) التي ابرزت نفسها في كثرة ما ارتكبته من مذابح جماعية في روسيا، حيث انحصر تخصص الاستاذ في اكتشاف المفوضين السياسيين السوفيات من بين الاسرى لإعدامهم. [1]

وتظهر وثائق « مكتب الرايخ للأمن المركزي » المصادرة ان غورنغ ابلغ هايدريش في الأول من آب، بأن يكون على استعداد للعمل. فقد تقرر ان تشرع شرطة امن الحرس النازي ورجال المكتب الخاص ...

« فوراً في العمل في نفس الوقت الذي يقع فيه الغزو العسكري، وذلك لاعتقال المنظمات المهمة العديدة ومكافحة الجمعيات الانكليزية المعادية لألمانيا ».

ولعل من سخرية الاقدار ان هايدريش قد عيّن في السابع عشر من ايلول الاستاذ سيكس بصورة رسمية لتولي منصبه الجديد في انكلترا، وهو عين التاريخ الذي اصدر هتلر أمره فيه بتأجيل الغزو الى امد غير محدود ... وقد وجّه اليه تعليماته على النحو التالي :

« تكون مهمتك مكافحة جميع المنظمات والمؤسسات المعادية لالمانيا بجميع الوسائل اللازمة، واعتقال جماعات المعارضة في انكلترا لتحول دون انتزاع التجهيزات الموجودة، وتركيزها وحمايتها لاستغلالها في المستقبل. وانني اقرر أن تتخذ من مدينة لندن مقراً لعملك... واخولك أن تقيم ادارات تابعة لك في الاجزاء

---

١ ـ أصدرت محكمة نورمبرغ في عام ١٩٤٨ الحكم على الدكتور سيكس كمجرم حرب بالسجن عشرين عاماً، ولكنه ما لبث ان اطلق سراحه في عام ١٩٥٢.

الأخرى من بريطانيا العظمى ، طبقاً لمقتضيات الاوضاع واملاءات الظروف » .

وكان هايدريش قد أعد فعلاً في شهر آب ست مجموعات من الحرس النازي للعمل في بريطانيا على ان تكون تابعة لقياداتهـا في لندن وبريستول وبرمنغهام وليفربول ومانشستر وادنبره أوغلاسجو ، اذا كان الانـكليز قـد نسفوا جسر فورت . وتقرر ان يعهد الى هذه المجموعات بنشر الارهاب النازي ، وأن تبدأ عملها باعتقال جميع الذين تتضمن القوائم الخاصة اسماءهم ، وهي القوائم التي كان قد أعدها بصورة مستعجلة تنطوي على الاهمال ، وولتر شيلنبرغ ، وهو شاب آخر من المثقفين الجامعيين الاذكياء الذين يعملون تحت أمرة هملر ،وكان قد ولاه رئاسة مكتب الشعبة الرابعة لمكافحة التجسس في « مكتب الرايخ للامـــن المركزي » . وقد أدّعى ذلك شيلنبرغ نفسه ، على الرغم من انشغاله في ذلك الوقت الى حد كبير في لشبونة عاصمة البرتغال في مهمة غريبـــة لخطف الدوق وندسور .

ولا ريب في ان هذه القوائم الخاصة ببريطانيا التي عثر عليها بين وثائق هملر، ممتعة للغاية ، وان لم يكن قصد هملر من الاحتفاظ بها ، ان يعثر عليها الحلفـاء فيما بعد . فقد تضمنت أسماء نحو من الفين وثلاثمائة من الشخصيات البارزة في بريطانيا العظمى ، وان لم يكونوا جميعاً من الانـكليز ، الذين اعتقد المسؤولون عن الغستابو ضرورة اعتقالهم فوراً . وكان اسم تشرشل طبعاً في رأس القائمـة مع جميع أعضاء وزارته ، والساسة البارزين الذين يمثلون مختلف الاحزاب . وتضمنت كذلك أسماء كبار الصحفيين مـــن رؤساء تحرير وأصحاب صحف ومراسلين وبينهم مراسلا « التايمز » السابقان في برلين نورمان ايبون ودوغلاس ريدر ، اذ كانت برقياتها قد أغضبت النازيين . ويحتل المؤلفون البريطانيون مكانة خاصة في هذه القائمة التي غاب منها اسم برناردشو مما دعا الى الاستغراب . لكنها تضمنت أسماء . اش . جي ويلز وفيرجينيا وولف ، واي . ام . فورستر ، والدوس هكسلي ، وجي . بي بريستلي ، وستيفين سبينـدر ، وسي . بي سنو ،

ونويل كوارد ، وريبيكاويست ، والسير فيليب غيبس ، ونورمان اينجل . ولم تستثن القائمة الاساتذة والعلماء ،اذ ضمت أسماء جيلبرت موري وبرتراند راسل وهارولد لاسكي وبياتريس ديب وجي بي . اس هولدين .

وهدفت الغستاتو ايضاً الى استغلال زيارتها لانكلترا لاعتقال المهاجرين اليها من المان واجانب . فقد تضمنت القوائم اسماء باديرويسكي فرويد [1] وحاييم وايزمن وبنيش رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا وجان مازاريك وزير خارجيته. وتضمنت قائمة المهاجرين الالمان اسماء عدة بينها صديقين سابقين لهتلر كانا قد انقلبا عليه هما هيرمان روشنينغ وبوتزي هانفستينغل . وقد أسيئت تهجئة عدد من الأسماء الانكليزية الى الحد الذي بات من الصعب على القارىء ان يعرف اصحابها، كما اضيفت احياناً الى بعض الأسماء تعاريف غريبة للغاية ، وقد ورد اسم الليدي بونهام كارتر ، على النحو التالي « الليدي كارتر - بونهام » واضيفت امامها العبارة التالية : « ولدت تحت اسم فيوليت اسكويت .. وهي سيدة تعمل في التطويق السياسي » وقد حدد امـــام كل اسم ، هوية القسم الخاص من « مكتب الرايخ للأمن الداخلي » الذي سيتولى أمره . وكان من المقرر ان يعهد بأمر تشرشل الى الشعبة السادسة « التجسس الخارجي » ، بينما تتولى الشعبة الرابعة « الغستابو » أمر معظم الأسماء .[2]

وتؤلف هذه القائمة الالمانية السوداء ملحقاً تكميلياً لكتاب سري أسود آخر اطلق عليه اسم « Informationsheft » ، ادعى شيلنبرغ ايضاً انه هو الذي وضعه ، وكانت الغاية منه كما يبدو مساعدة قوات الحلفاء على نهب بريطانيا وتمييز المنظمات المعادية لالمانيا فيها ولا ريب في ان هذا الكتاب اكثر طرافة من القائمة السوداء . فقد تضمن بين قائمة المؤسسات الخطرة التي عددها والتي اشتملت على

---

١ – توفي المحلل النفسي المشهور في لندن في عام ١٩٣٩ .

٢ – تضمنت قائمة الذين يجب اعتقالهم عدداً من الامريكيين بينهم برنارد باروخ وجون غونتر وبول روبيسون ولويس فيشر ودانييل دي لوس (مراسل الصحافة المشتركة في لندن) و م . دبليو فودور مراسل الشيكاغو ديلي نيوز المعروف بكتاباته الكثيرة المعادية للنازية .

كافة المحافل الماسونية والمنظمات اليهودية التي تستحق « عناية خاصة » من « مكتب الرايخ الأمن المركزي » ، « المدارس العامة » (وهي في انكلترا تمثل المدارس الخاصة) ، والكنيسة الانكليكانية (كنيسة انكلترا) التي وصفت بأنها « أداة قوية من أدوات السياسات الاستعمارية البريطانية »، ومنظمة الكشافة التي نعتت بأنها « مصدر ممتاز للمعلومات لجهاز المخابرات البريطانية » . وكان من المقرر ان يعتقل قائد الكشافة الأعلى ومؤسسها اللورد بادن باول فوراً .

ولو حاول الألمان الغزو ، لما استقبلهم البريطانيون بالترحاب واللطف. وقد اعترف تشرشل نفسه فيما بعد بأنه كان يسائل نفسه ترى ما كان سيحدث لو جرّب الالمان الغزو . ولكنه كان واثقاً من شيء واحد :

« كان حدوث المذابح أمراً واقعاً لا محالة فيه عند الفريقين ، وهي من النوع الكئيب والضخم ، وبالطبع ما كان من المحتمل ان تكون هناك رأفة او شفقة . فالألمان كانوا سيلجأون الى الارهاب ، وكنا على استعداد ايضاً لنمضي الى ابعد الحدود في حربهم »[1]

وهو لا يحدد بالضبط ما عناه بأبعد الحدود ، ولكن بيتر فليمنغ في كتابه عن « أسد البحر » يذكر شيئاً مما عناه . فهو يقول ان البريطانيين قرروا كملجأ اخير ، اذا فشلت جميع الأساليب التقليدية الاخرى، ان يهاجموا رؤوس الجسور الالمانية بغاز الخردل ، الذي تنشره طائرات تحلق على ارتفاع منخفض . وكان القرار مؤلماً ، وقد تطلب اتخاذه الكثير من الشجاعة الروحية على ارفع المستويات ، ويقول فليمنغ « انه أحيط آنذاك وحتى الآن بالكثير من السرية »[2] .

ولا ريب في ان هذا الطراز الخاص من المذابح التي تكهن بها تشرشل، والتي كانت تتوقف على اطلاق ذلك الارهاب الذي خططت له الغستابو من عقاله ، لم

---

١ – تشرشل ـ مذكرات ـ الجزء الثاني ٢٧٩ .

٢ – بيتر فليمنغ ـ عملية أسد البحر ص ٢٩٣ . كتاب رائع للغاية . ولكن لم يسمح المؤلف بالوصول الى الوثائق السرية .

يقع في هذا المكان في هذا الوقت لأسباب تولينا شرحها فيما سلف . ولكن قُدر لنا ان نشهد في أقل من عام واحد ، وفي مكان آخر من اوروبا ، الالمان يبعثون اهوالاً ومفازع على نطاق لم يسبق للعالم ان جرّبه من قبل .

وكان هتلر ، وحتى قبل العدول عن قراره بغزو بريطانيا ، قد توصل الى قرار آخر ، وهو ان يوجه اهتمامه الى روسيا في الربيع التالي .

ذيل ـ المؤامرة النازية

لخطف دوق ودوقة وندسور

لعل من اطرف ما وقع في ذلك الصيف المتميز بالفتوحات الألمانية العظيمة هي القصة التي تفوق طرافتها ما فيها من اهمية ، أي قصة المؤامرة النازية لاختطاف دوق ودوقة وندسور ، ومحاولة اقناع ملك انكلترا السابق بالعمل مع هتلر في سبيل تسوية سلمية مع بريطانيا العظمى . وتتحدث وثائق وزارة الخارجية الألمانية المصادرة باسهاب عن تطور هذه الخطة الخيالية الغريبة [١] ، كما يتحدث عنها وولتر شيلنبرغ القائد الشاب من قادة الحرس النازي والمكتب الخاص ، والذي انتدب للقيام بها ، في يومياته [٢] .

وقد ذكر ريبنتروب لشيلنبرغ ، ان هتلر هو صاحب الفكرة . وقد احتضنها وزير خارجية النازي بكل ما لديه من حماس يقوده اليه جهله المعيب في الأمور ، واضطرت وزارة خارجية الرايخ وممثلوها الدبلوماتيون في اسبانيا والبرتغال الى اضاعة الوقت الطويل في تنفيذها في غضون صيف عام ١٩٤٠ الذي بلغ الذروة .

---

١ ـ وثائق وزارة الخارجية الالمانية (١٠) .
٢ ـ شيلنبرغ ـ الكهف ـ الفصل الثاني .

وكان الدوق ، الذي اشغل منصب العضوية في البعثة العسكرية البريطانية لدى القيادة العامة الفرنسية ، قد شق طريقه بعد انهيار فرنسا في حزيران عام ١٩٤٠ ، مع الدوقة الى اسبانيا لتجنب الوقوع اسيراً في ايدي الألمان . وابرق ايبرهارد فون ستوهرر ،السفير الألماني في مدريد ، وهو من الدبلوماتيين العريقين في السلك السياسي الى برلين في الثالث والعشرين من حزيران يقول :

« يطلب وزير خارجية اسبانيا رأيكم بالمعاملة التي يجب ان يقابل بها دوق ودوقة وندسور ، اذ ينتظر وصولهما الى مدريد اليوم في طريقهما الى انكلترا على الغالب عبر لشبونه . ويرى الوزير الاسباني اننا قد نرغب في استبقاء الدوق هنا وفي اجراء اتصال معه . ارجو الابراق بتعليماتكم » .

وراح ريبنتروب يبرق بتعليماته في اليوم التالي . واقترح استبقاء « الدوق والدوقة في اسبانيا مدة اسبوعين » محذراً من ان « يبدو الاقتراح صادراً عن المانيا » . ورد ستوهرر في اليوم التالي الخامس والعشرين من حزيران : « وعد وزير خارجية اسبانيا بعمل كل ما يمكن لاستبقاء وندسور هنا بعض الوقت » . واجتمع الوزير الاسباني العقيد خوان بيغبيديريا اتيينزا الى الدوق ، ونقل ما دار بينهما من حديث الى السفير الألماني الذي راح يبلغ برلين في برقية « سرية للغاية » بتاريخ الثاني من تموز ان الدوق لن يعود الى انكلترا ، إلا اذ اعترف بزوجته كفرد من الاسرة المالكة ، وإلا اذا اعطي له منصب ذو أهمية . واضاف ان الدوق يؤثر ان لم تتحقق شروطه البقاء في اسبانيا في قصر وعدته به حكومة فرانكو . واضاف السفير « ان الدوق قد اعرب لوزير خارجية اسبانيا ولغيره من معارفه ، بأنه يخالف تشرشل ، ويعارض في الحرب . »

وانتقل الدوق والدوقة الى لشبونه في مطلع شهر تموز ، وراح الوزير الألماني في البرتغال ، يبلغ ريبنتروب في الحادي عشر من تموز ان الدوق قد عيِّن حاكما لجزر البهاما ولكنه « يعتزم تأجيل سفره اليها اطول مدة ممكنة ... أملا منه في تحوّل في الاحداث الى مصلحته ... ومضى الوزير الألماني يقول :

« والدوق على يقين من انه لو ظل ملكاً على انكلترا لكان في الامكان تجنب الحرب ، اذ انه يصف نفسه مؤيداً صادقاً للتسوية السلمية مع المانيا . ويعتقد الدوق اعتقاداً جازماً بأن استمرار القصف الجوي العنيف سيجعل انكلترا ميالة الى السلام » .

وقد حملت هذه المعلومات وزير خارجية المانيا الغر ، على أن يبرق من قطاره الخاص في « فوشل » برقية «عاجلة للغاية وسرية جد السرية » الى السفارة الألمانية في مدريد في ساعة متأخرة من نفس الليلة في الحادي عشر من تموز ، يطلب فيها منع الدوق من السفر الى جزر البهاما ، وإعادته الى اسبانيا، ويفضل ان تكون العودة عن طريق اصدقائه الاسبانيين . ومضى ريبنتروب يقول : « وعندما يعود الزوجان الى اسبانيا يجب اقناعهما أو ارغامهما اذا اقتضى الأمر بالبقاء في الارض الاسبانية » . وعلى اسبانيا اذا اقتضى الأمر ان تعتقله كضابط انكليزي ، وان تعامله « كلاجىء عسكري » . ومضى ريبنتروب يقول :

« ومن الواجب ابلاغ الدوق في فرصة مواتية ان المانيا تنشد السلام مع الشعب البريطاني ، وان عصابة تشرشل هي التي تقف حجر عثرة في سبيل هذا السلام ، وان من الافضل ان يتأهب الدوق لتطورات مختلفة اخرى . فالمانيا مصممة على ارغام انكلترا على الصلح ، بكل وسيلة تحت تصرفها ، وهي على استعداد في حالة حدوث ذلك ، الى تلبية كل رغبة يبديها الدوق ولا سيما اذا هدفت هذه الرغبة الى ارتقاء الدوق والدوقة عرش انكلترا . أما اذا لم يكن الدوق راغباً في العرش ، واظهر استعداداً للتعاون مع المانيا على اقامة علاقات طيبة بينها وبين انكلترا ، فإننا على اتم الاهبة ايضاً ، لنضمن له ولزوجته دخلاً محترماً يمكنهما من العيش اللائق بملك من الملوك » [1] .

---

١ ـ ذكر ريبنتروب لشيلنبرغ ان الحكومة الالمانية قد وضعت مبلغ خمسين مليون فرنك سويسري ، وان « الفوهرر على استعداد ايضاً لرفع هذا الرقم » .

وأضاف الوزير النازي الأحمق ، الذي لم يتعلم شيئاً إبان عمله كسفير لألمانيا في لندن عن طبائع الانكليز ، بأن لديـــه معلومات وثيقة تشير الى ان جهاز المخابرات البريطاني يعتزم « الخلاص » من الدوق حال وصوله الى جزر البهاما .

واجتمع السفير الألماني في مدريد في اليوم التالي ، الثاني عشر من تموز الى رامون سيرانو سونر وزير داخلية اسبانيا وصهر فرانكو ، الذي وعـده بحمل الجنرال الاكبر « فرانكو » على الاشتراك في المؤامرة وتنفيذ الخطـة التالية . ستوفد الحكومـة الاسبانية الى لشبونه صديقاً حميماً وقديماً للدوق هو ميغويل بريمودي ريفيرا ، زعيم « الفالانج » في اسبانيا ، ونجـــل الديكتاتور الاسباني السابق . وسيوجه ريفيرا الى الدوق الدعوة للقـدوم الى اسبانيا للاشتراك في رحلة صيد ولاجراء محادثات مع الحكومة الاسبانية عن العلاقات الانكليزية - الاسبانية . وسيتولى سونر ابلاغ الدوق عن مؤامرة المخابرات البريطانية لقتله . ومضى السفير الألماني يبلغ برلين قائلاً :

« وسيعرض الوزير على الدوق والدوقة بعد ذلك قبول ضيافة اسبانيا ومساعدتها المالية ايضاً. ومن المحتمل ان يحال بين الدوق وبين السفر ايضاً بطرق اخرى . وسنظل بعيدين عن الاضواء في جميع اجزاء هذه الخطة » .

وتقول الوثائق الألمانية ان ريفيرا عاد الى مدريد من زيارته الأولى للشبونه حيث اجتمع الى الدوق والدوقة في السادس عشر من تموز ، حاملاً رسالة الى وزير خارجية اسبانيا الذي نقلها الى السفير الألماني ، فتولى هذا الابراق بها الى برلين . وقد ذكرت الرسالة ان تشرشل عين الدوق حاكماً لجزر البهاما « برسالة فاترة ورسمية » ، يأمره فيها بـــأن يمضي الى مقر وظيفته فوراً . وقد هدد تشرشل الدوق في حالة تأخره عن الذهاب « بمحاكمته أمام محكمة عسكرية » . واضافت الرسالة ان الحكومة الاسبانية وافقت « على تحذير الدوق بسرعة من الذهاب الى جزر البهاما لتولي منصبه » .

وعاد ريفيرا الى مدريد مرة ثانية من لشبونه في الثاني والعشرين من تموز ،

وابرق السفير الألماني في مدريد الى ريبنتروب في اليوم التالي « برقية عاجلة وسرية للغاية » جاء فيها :

« تحدث ريفيرا مرتين الى الدوق في جلستين طويلتين شهدت الدوقة ثانيتهما . وقد افصح الدوق عن حقيقة آرائـه بصراحة وانطلاق ... فهو يحس بنفسه ينأى اكثر فأكثر من الناحية السياسية عن الملك والحكومة البريطانية الراهنة . ولا يحس الدوق والدوقة بكبير خشية مـن الملك الذي يعتبرانه رجلاً احمق ، ولكنهما يخشيان كثيراً من الملكة الداهية التي تدسّ بدهاء ومكر ضد الدوق وضد الدوقة بصورة خاصة .

« ويفكر الدوق في اصدار بيان علني عـام ... يستنكر فيه سياسة انكلترا الراهنة ويعلن خلافه مع اخيـه الملك ... وقد اعرب الدوق والدوقة عن رغبتهما الشديدة في العودة الى اسبانيا » .

وقد توصل السفير الألماني ، كما اضاف في برقيته ، الى ترتيب مع سونر ، على ايفاد رسول اسباني آخر الى البرتغال « لاقناع الدوق بمغادرة لشبونه وكأنه يعتزم القيام برحلة طويلة في السيارة ثم يعبر الحدود الى اسبانيا في نقطة يـتم الاتفاق عليها ، وتتولى الشرطة السرية الاسبانية تنظيم دخوله الحدود والحفاظ على سلامته » .

وراح السفير يبعث بعـد يومين ببرقية اخرى « عاجلة وسرية الغاية » الى ريبنتروب ضمنها بعض المعلومات الاضافية من ريفيرا ... قالت البرقية :

« عندما وجـه ريفيرا نصيحته الى الدوق بعدم الذهاب الى جزر البهاما ، والعودة الى اسبانيا ، طالما أن من المحتمل ان يطلب الى الدوق ان يلعب دوراً هاماً في السياسة الانكليزية، وقد يطلب اليه ان يرتقي العرش الانكليزي ، ظهرت علائم الدهشة على وجهي كل من الدوق والدوقة ... وقد رد كلاهما، بأن هذا الأمر مستحيل بموجب الدستور الانكليزي الذي يحظر عودة الملك الى العرش بعد

تنازله عنه . وعندما لاحظ المبعوث الاسباني بأن سير الحرب قد يـؤدي الى تبدلات في كل شيء حتى في الدستور الانـكليزي ، راحت الدوقة بصورة خاصة ، تغيب في تفكير عميق » .

وقد ذكر السفير الألماني في هـذه البرقية وزير خارجيته ، بأن ريفيرا نفسه لا يعرف « بوجود أية مصلحة لألمانيا في هذه القضية . ويبدو ان الاسباني الشاب يعتقد بأنه يعمل نيابة عن حكومته . »

ولم يحل الاسبوع الأخير من شهر تموز ، حتى كان النازيون قد اكملوا وضع خطتهم لاختطاف الدوق والدوقة . وقد انتدب هتلر شخصياً ، وولتر شيلنبرغ ليتولى تنفيذ هذه الخطة . وطار هذا من برلين الى مدريد حيث تشاور مـع السفير الألماني ثم مضى الى البرتغال ليشرع في تنفيذ الخطة . وراح السفير يبرق في السادس والعشرين من تموز برقية « مستعجلة جداً وسرية للغاية » الى ريبنتروب ضمنها مخطط العملية ... وهذا ما جاء فيها :

« في وسعنا افتراض وجود تصميم صادق عند الدوق والدوقة على العودة الى اسبانيا . ولتشديد هذه العزيمة ، أوفـد الرسول السري الثاني اليوم الى لشبونة يحمل رسالة الى الدوق تم اعدادها بمنتهى البراعة والذكاء ، وأرفق بها مخطط دقيـق لعملية عبور الحدود ...

« وتنص الخطة على ان يتظاهر الدوق وزوجته بالقيام رسمياً بإجازة صيفية الى منطقة جبلية لا تبعد كثيراً عن الحدود الاسبانية ، ليتمكنا من عبور الحدود اثناء رحلة صيد في وقت معـين ، وفي المكان المحدد . ولمـا كان الدوق لا يحمل أي جواز سفر ، فمن الواجب رشوة موظف الجوازات البرتغالي المسؤول في ذلك المكان.

« وتقضي الخطة ايضاً بأن يكون الرسول السري الأول «بريمو دي ريفيرا » على رأس بعض القوات الاسبانية في مكان مناسب داخل الحدود الاسبانية في الوقت المحدد لضمان سلامـة الدوق

وزوجته .

« ويقوم شيلنبرغ وجماعته بالعمل من لشبونه ، بالتعاون الوثيق مع الخطة لتنفيذ الهدف .

« ولهذه الغاية سيتم إعداد الرحلة الى مكان الاجازة الصيفية ، وتهيئة رحلة الصيد، بالتعاون مع أحد كبار قادة الشرطةالبرتغاليين الموثوقين ...

« وفي لحظة عبور الحدود كما هو متفق عليه ، تتولى جماعة شيلنبرغ مسؤولية ترتيبات الأمن على الطرف البرتغالي من الحدود، ثم تواصل نفس المسؤولية الى داخل اسبانيا كحرس مباشر ، على ان يجري تبديل الحراسة من وقت الى آخر دون أي عائق .

« وحرصاً على سرية الخطة كلها ، اختار وزير داخلية اسبانيا شخصاً آخر ، سيكون امرأة على الغالب ، تتولى الاتصال اذا اقتضى الأمر بالرسول السري الثاني وتستطيع نقل المعلومات عند الحاجة الى جماعة شيلنبرغ .

« وفي حالة وقوع أي طارىء نتيجة أي عمل من جانب المخابرات البريطانية تتخذ الترتيبات اللازمة لايصال الدوق والدوقة الى اسبانيا بالطائرة . وفي هذه الحالة ، كما في حالة تنفيذ الخطة الأولى ، يشترط قبل كل شيء الحصول على الرغبة في مغادرة البرتغال من الدوق عن طريق التأثير النفسي الصريح على عقليته الانكليزية المعروفة ، دون السماح باعطائه الانطباع بأنه يفر من البرتغال ، وعن طريق استغلال ما قد يحس به من قلق من المخابرات البريطانية، والايحاء له بحرية العمل السياسي في الارض الاسبانية .

« وبالاضافة الى ما يجب توفيره له من حماية في لشبونه، قد يوضع رأي آخر في موضع الاعتبار اذا اقتضى الأمر ، وهو يقضي باقناعه بترك البلاد مختاراً ، عن طريق تخويفه بمناورة مناسبة يمكن ان

تعزى مسؤوليتها الى جهاز المخابرات البريطاني » .

هذه هي الخطة التي وضعها النازيون لاختطاف دوق وندسور ودوقتها . وهي تتميز بشيء من البلادة التي عرفت عن الألمان ، وقد تعذر تحقيقها بسبب ما عهد في الألمان من عجز عن فهم « عقلية الدوق الانكليزية » .

وقام شيلنبرغ بتنفيذ مناورة « التخويف » بدقة . فقد دبر ذات ليلة ، قذف نوافذ الدارة التي يعيش فيها الدوقان ببعض الحجارة ، ونشر الشائعات بين الخدم بأن هذا العمل صادر عن المخابرات البريطانية . وتمكن من ارسال باقة من الزهور الى الدوقة وهي تحمل بطاقة كتب عليها : « احذري مكائد المخابرات البريطانية . من صديق برتغالي ، يضع مصالحك في فؤاده فوق كل اعتبار » وراح يبلغ برلين في تقرير رسمي انه قرر حذف ما كان قد أعد من اطلاق بعض العيارات النارية غير المؤذية على زجاج النافذة في غرفة نوم الدوقة ، وذلك في ليلة الثلاثين من تموز ، خشية أن يترك هذا العمل اثراً نفسياً معاكساً عند الدوقة ، يضاعف من رغبتها في مغادرة البرتغال الى جزر البهاما » .

وكان الوقت يسبق المتآمرين . فقد نقل شيلنبرغ في الثلاثين من تموز الى برلين نبأ وصول السير وولتر مونكتون ، صديق الدوق القديم الى لشبونه ، ممثلاً الحكومة البريطانية التي يشغل منصباً هاماً فيها . وكانت المهمة التي جاء من اجلها ، كما هو واضح ، اقناع الدوقين على الاسراع في السفر الى البهاما . وابرق السفير الألماني في مدريد الى ريبنتروب في نفس اليوم برقية « سرية للغاية وعاجلة جداً » يبلغه فيها انه تلقى قبل لحظات نبأ من جاسوس الماني في لشبونه يقول ان الدوق والدوقة سيغادران لشبونه في الاول من آب ، أي بعد يومين . وراح يسأل ريبنتروب في برقيته انه بالنظر الى هذه الانباء « الا يحسن بنا الى حد ما التخلي عن تحفظنا » . ومضى السفير يقول : ان المعلومات الواردة اليه من مصادر المخابرات الالمانية ، تفيد بأن الدوق قد أعرب لمضيفه المالي البرتغالي ، ريكاردو دو اسبيريتو سانتو سيلفا عن رغبته « في الاتصال بالفوهرر » ثم قال : فلم لا نعد العدة لاجتماع بين الدوق والفوهرر ؟

وعاد السفير يبرق في اليوم التالي أي الواحد والثلاثين من تموز الى ريبنتروب برقية « عاجلة للغاية وسرية جداً » يبلغه فيها ان الموفد الاسباني الذي عاد قبل لحظات من لشبونه بعد الاجتماع الى الدوقين ، قد حمل الانباء بأنهما « على الرغم من تأثرهما أشد التأثر من انباء الدسائس الانكليزية ضدهما ، ومن قلقهما على سلامة شخصيهما » ، يعتزمان كما يبدو الابحار الى البهاما في الأول من آب ، وان كان الدوق يحاول « اخفاء الموعد الحقيقي » واضاف السفير « ان مدير داخلية اسبانيا يعتزم القيام بمحاولة اخيرة لمنع الدوق والدوقة من مغادرة البرتغال » .

وافزعت الانباء التي وردت الى ريبنتروب بأن الدوقين يعتزمان السفر بمثل هذه السرعة ، الوزير الالماني ، وبعث من قطاره الخاص في فوشل ببرقية « عاجلة جداً وسرية للغاية » الى الوزير الالماني المفوض في لشبونه في ساعة متأخرة من بعد ظهر نفس اليوم أي الواحد والثلاثين من تموز وقد طلب في برقيته ابلاغ الدوق عن طريق مضيفه البرتغالي الرسالة التالية :

« تريد المانيا من الناحية الاساسية السلام مع الشعب البريطاني ، ولكن عصابة تشرشل هي التي تقف حجر عثرة في سبيل هذا السلام . وقد باتت المانيا على أثر رفض نداء الفوهرر الاخير بالرجوع الى حكم العقل والمنطق ، مصممة على ارغام انكلترا على الصلح بكل وسيلة تحت تصرفها . وقد يكون من الافضل ان يكون الدوق متأهباً لاية تطورات جديدة . وستكون المانيا في مثل هذه الحالة على استعداد لتلبية كل رغبة يبديها الدوق ، أو الدوقة ، وللتعاون معه تعاوناً وثيقاً ... أما اذا رغب الدوق والدوقة في اشياء أخرى ، شريطة ان يظهرا استعداداً للتعاون مع المانيا على إقامة علاقات طيبة بينها وبين انكلترا ، فان المانيا على استعداد ايضاً للتعاون مع الدوق ، وان تهيىء للدوقين مستقبلاً يتفق مع رغباتهما . وعلى الصديق البرتغالي الذي يحل الدوق في ضيافته ان يبذل جهداً صادقاً للحيلولة دون رحيله غداً ، لا سيما وان لدينا

تقارير موثوقة تؤكد ان تشرشل يعتزم ان يفرض سيطرته على الدوق بعد وصوله الى البهاما ، ليستبقيه هناك بصورة دائمة ، وكذلك لان اقامة أي اتصال في اللحظة المواتية مع الدوق في جزر البهامـــا سيكون امراً عسير المنال علينا .. »

ووصلت برقية وزير خارجية المانيا العاجلة الى المفوضية في لشبونه ، قبيل منتصف الليل . واجتمع الوزير الالماني الى السنيور اسبيريتو سانتو سيلفـا في غضون الليل ، وحثه على نقل هذه الرسالة الى ضيفه الكبير . وقد نفـذ المالي البرتغالي المطلوب منه في صباح الاول من آب ، وتشير برقية بعثت بها المفوضية الالمانية الى برلين في نفس اليوم ، الى ان الدوق تأثر بالرسالة تأثراً بالغاً :

« اثنى الدوق على رغبة الفوهرر في السلام ، مما يتفق تمام الاتفاق مع وجهات نظره هو وأعرب الدوق عن قناعته المطلقة بأن الحرب ما كانت لتقع ابداً ، لو كان هو على عرش انكلترا . ووافق منشرحاً على النداء الموجه اليه للتعاون في اللحظة المواتية على اقامة السلام . لكنه يجد نفسه مضطراً على أي حال في هذه الآونة لاطاعة أوامر حكومته الرسمية . فالعصيان يكشف نواياه قبل الأوان ، ويخلق فضيحة عالمية ، ويقضي على ما له من مكانـة في انكلترا . وهو على يقين ايضاً بأن الظرف الحاضر ، لم يغد بعد مواتياً للظهور في هذه الصورة ، اذ لم تظهر حتى الآن أية ميول في انكلترا للتقارب من المانيا . ولكنه على أي حال على استعداد للعودة حالاً ، عندما يظهر أي تحوّل في التفكير البريطاني .. فهناك احتمال قريب الوقوع وهو ان تستدعيه انكلترا في لحظة حرجة ، كما ان ثمة احتمالاً آخر بأن تعرب له المانيا عن رغبتها في التفاوض معه . وهو على استعداد في كلتـــا الحالتين للتضحية الشخصية ، وسيضع نفسه دائماً رهن الأشارة دون ان يكون له أي مطمح شخصي .

« وسيظل على اتصال دائم بضيفه السابق ، ويتفق معـــه على

عبارة « رمزية » حتى اذا ما وصلت اليه من مضيفه ، طار فوراً عائداً الى لشبونه » .

وهكذا ابحر الدوق والدوقة على الرغم من أنف الألمـان عشية اليوم الأول من آب على ظهر الباخرة الامريكية « اكسكاليبر » . وبعث شيلنبرغ في اليوم التالي برقية شخصية الى وزير الخارجية (ريبنتروب) ضمنها تقريره الأخير عن فشل مهمته ، مؤكداً فيها وباسهاب ، انه فعل كل ما في وسعه حتى اللحظـــة الاخيرة للحيلولة دون رحيل الدوقين. وقد استغاث بالسفير الاسباني في لشبونه، وهو شقيق لفرانكو، ليقوم بآخر محاولة مع الدوقين مناشداً اياهما عدم الرحيل. وادعى شيلنبرغ تخريب السيارة التي تحمل متــاع الدوقين ، بحيث لم يصل الى الباخرة الا متأخراً . ونشر الألمان شائعــات عن وجود قنبلة موقوتة على ظهر الباخرة . وأخر الموظفون البرتغاليون ابحارها ، الى ان أتمّوا تفتيشها تفتيشـاً دقيقاً للتأكد من عدم وجود القنبلة .

ومع ذلك أبحر الدوقان في ذلك المساء، وفشلت المؤامرة النازية فشلاً ذريعاً. وانحى شيلنبرغ في تقريره الأخير بالملامة على تأثير مونكتون وانهيـار « الخطة الاسبانية » وعقلية الدوق .

وهناك ورقة أخيرة بين الوثائق الألمانية المصادرة تتعلق بالمؤامرة. فقد ابرق الوزير الالماني المفوض في لشبونه في الخامس عشر من آب الى برلين يقول : « ان الشخص الموثوق قد تلقى قبل لحظات برقية من الدوق من برمودا يطلب إليه فيها ان يبعث اليــه برسالة عاجلة حالما تصبح الفرصة مواتية للعمل . هـل نرد على هذه البرقية ؟ »

ولم نعثر بين اوراق وزارة الخارجية الالمانية على أي رد على هذه البرقيـة . كان هتلر قد حزم أمره في منتصف شهر آب على احتلال بريطانيا العظمى بقوة السلاح . ولم تعد ثمة حاجة الى العثور على ملك جديد لها . فستتولى برلين نفسها حكم الجزر البريطانيـة كما تحكم البـــلاد المحتلة الاخرى . وهذا مـا رآه هتلر على الأقـل .

هذه هي القصة الغريبة كما ترويها الوثائق الالمانية السرية ، وكما اضاف اليها شيلنبرغ في روايته . وعلى الرغم من عدم ثقتنا فيما يقوله ، الا ان من الصعب علينا ان نؤمن باختراعه للدور الذي نسبه الى نفسه ، لا سيما وقد أقر هو بأن هذا الدور كان مضحكاً من أوله الى آخره .

وقد وصف الدوق وندسور في بيان اصدره عن طريق وكلائه القانونيين في لندن في الأول من آب عام ١٩٥٧ ، بعد نشر الوثائق الالمانية السرية ، هذه المراسلات التي جرت بين ريبنتروب وبين السفير الالماني في اسبانيا والبرتغال بأنها « اختلاقات كاملة ، وقلب كلي للحقائق من الناحية الاخرى » . وأوضح الدوق، انه عندما كان في لشبونه في عام ١٩٤٠ ، ينتظر الابحار الى جزر البهاما، اتصل به « بعض الناس » الذين سرعان ما اكتشف انهم من مؤيدي النازية ، وبذلوا جهوداً محدودة لاقناعه بالعودة الى اسبانيا وعدم المضي الى البهاما، لتسلم مهام منصبه .

وقال: « ولقد حذرني بعضهم من انني والدوقة سنتعرض الى الخطر الشخصي في حالة ذهابنا الى البهاما .. ولكنني لم أفكر لحظة واحدة في الانسياق وراء هذه الاقتراحات ، التي عاملتها بكل ما تستحقه من زراية واحتقار » .

وأصدرت وزارة الخارجية البريطانية بياناً رسمياً اعلنت فيه ان ولاء الدوق لبريطانيا العظمى ايام الحرب ، لم يتزعزع قط أو يهن .[1]

---

١ – صحيفة « النيويورك تايمز » ، عدد الأول من آب عام ١٩٥٧ .

٢٣

عملية « بربروسة »
الاتجاه إلى روسيا

اغتنم ستالين فرصة انشغال هتلر في صيف عام ١٩٤٠ بتوجيه الفتوحات الالمانية في الغرب ، فشرع يزحف باتجاه دول البلطيق ويتقدم نحو دول البلقان.

وكانت مظاهر الصداقة تبدو قائمة بين الدولتين الديكتاتوريتين الكبيرتين. ولم يكن مولوتوف الذي يعمل بوحي ستالين ، يضيع فرصة واحدة في كيل المديح والاطراء للألمان والزلفى اليهم ، مهتبلاً كل سانحة من أي عمل عدواني جديد أو فتح آخر . وراح في التاسع من نيسان عام ١٩٤٠ عندما غزت المانيا النروج والدانيمارك ، يبلغ السفير الالماني في موسكو فون دير شولنبرغ ، ان « الحكومة السوفياتية تتفهم تام التفهم الاجراءات التي فرضت على المانيا فرضاً» واضاف قائلاً « واننا لنرجو لالمانيا النجاح الكامل في اجراءاتها الدفاعية »[1].

وعندما قام السفير الالماني بعد شهر بزيارة مولوتوف لابلاغه رسمياً قيام القوات الالمانية المسلحة بالهجوم في الغرب ، موضحاً طبقاً لتعليمات ريبنتروب ، ان هذا الهجوم « قد فرض على المانيا فرضاً، من جراء الاندفاع الذي كان يعده الانكليز

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ١٠٨ .

والفرنسيون نحو الروهر عن طريق بلجيكا وهولنده » ، عاد السياسي السوفياتي الى الاعراب عن سروره . وابرق شولنبرغ الى برلين يقول: « استقبل مولوتوف رسالتكم بروح من التفهّم ، وأضاف انه يدرك حق المانيـــا في حماية نفسها من الهجوم الانكليزي – الفرنسي . وأكد انه على ثقة مطلقة من نجاحنا »[1] .

واستدعى مولوتوف في السابع عشر من حزيران ، أي في اليوم الذي طلبت فيه فرنسا الهدنة ، السفير الالماني الى مكتبه « واعرب له عن تهـاني الحكومة السوفياتية الحارة على الانتصارات الرائعة التي حققتها القوات الالمانية المسلحة » .

وكان هناك شيء آخر اراد الوزير السوفيـاتي قوله ، ولم يبد هـــذا القول مستساغاً في آذان الالمان . فقد ابرق السفير الألماني الى برلين « رسالة عاجلة للغاية » قال فيها ان مولوتوف ابلغه « بما يعتزم السوفيات عمله في دول البلطيق » ، مضيفاً ، وفي عينيه وهج غريب : « انه بات من الضروري جداً وضع حد لجميع هذه الدسائس التي حاولت انكلترا وفرنسا نشرها لخلق جو من عدم الثقـــة والخلاف بين المانيا والاتحاد السوفياتي في دول البلطيق »[2] . واضاف مولوتوف ان الحكومة السوفياتية رغبة منها في وضع حد لهـذا « الخلاف » قد اوفدت « مبعوثين خاصين » الى دول البلطيق الثلاث . وكان هؤلاء الثلاثة في الواقع من خيرة اعوان ستالين ، فقد أوفد ديكانوزوف الى ليتوانيا وفيشينسكي الى لاتفيا وجدانوف الى استونيا .

وقد قام هؤلاء المبعوثون بالمهام التي أسندت اليهم بما عرف عنهم من دقة ، ولا سيما بالنسبة الى الاخيرين . وفي الرابع عشر من حزيران ، وهو اليوم الذي دخلت فيه القوات الالمانية باريس ، بعثت الحكومة السوفياتية بانذار لمدة تسع ساعات الى ليتوانيا طلبت فيه استقالة حكومتها ، واعتقـــال عدد من كبار موظفيها ، ومنح روسيا الحق في ايفاد أي عدد تشاؤه من قوات الجيش الأحمر

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٢٩٤ - ٣١٦ .

٢ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (٩) ص ٥٩٩ - ٦٠٠

الى بلادها . وعلى الرغم من ان الحكومة الليتوانية قد قبلت الانذار الروسي ، الا ان موسكو لم تعتبر قبولها « مرضياً » ، وقامت القوات السوفياتية في الخامس عشر من حزيران باحتلال البلاد . التي تقع وحدها دون دول البلطيق الاخرى محاذية لالمانيا . وبعثت موسكو في غضون اليومين التاليين بانذارين مماثلين الى لاتفيا واستونيا ، ثم قامت باجتياحهما على نحو مماثل ايضاً .

وكان في وسع ستالين ان لا يقل في مثل هذه الأمور صلافة وقسوة عن هتلر نفسه ، وكثيراً ما يكون اكثر تشككاً . فقد عطل حرية الصحافة في هذه البلاد فوراً واعتقل زعماءها السياسيين وحل احزابها باستثناء الحزب الشيوعي ، ثم حدد الرابع عشر من تموز موعداً « للانتخابات فيها » . وبعد ان اجتمعت برلماناتها التي انتخبت بهذه الطريقة ، وقررت ضم بلادها الى الاتحاد السوفياتي ، اعلن مجلس السوفيات الأعلى قبول ليتوانيا في الوطن الأب في الثالث من آب وقبول لاتفيا في الخامس منه واستونيا في السادس من الشهر نفسه .

وأحس ادولف هتلر بالمهانة ، ولكنه لم يستطع ان يعمل شيئاً ، اذ ان انشغاله باعداد العدة لغزو بريطانيا قد اعجزه عن ان يفعل شيئاً . وأمر ريبنتروب باعادة مذكرات الاحتجاج التي قدمها مبعوثو الدول البلطيقية الثلاث في برلين اليهم . واراد مولوتوف المزيد من اذلال الألمان فأمرهم بمنتهى الفظاظة في الحادي عشر من آب ، باغلاق مفوضياتهم في كوناس وريغا وتالين ، في غضون اسبوعين واقفال قنصلياتهم في جميع دول البلطيق قبل الأول من ايلول .

ولم يشبع الاستيلاء على دول البلطيق نهم ستالين . فقد حفزه انهيار الجيوش الانكليزية – الفرنسية السريع والذي يثير الدهشة على محاولة كسب ما يمكن له ان يكسبه طالما ان المجال فسيح أمامه الآن . ويبدو أنه اعتقد بأن الوقت اقصر من ان يضيعه ويفوّته . وعاد مولوتوف في الثالث والعشرين من حزيران أي بعد يوم واحد من استسلام فرنسا رسمياً وتوقيعها الهدنة في كومبيين ، فاستدعى السفير النازي في موسكو وابلغه ان « حل مشكلة بسارابيا لم يعد يحتمل تأجيلاً . وقد قررت الحكومة السوفياتية اللجوء الى القوة في حالة تقاعس

الحكومة الرومانية عن قبول تسوية سلمية للمشكلة » . واضاف ان حكومته تتوقع من المانيا « عدم معارضتها في عملها هذا بـــل ودعمه ايضاً » . وقال ان « مطالب السوفيات تمتد كذلك الى مقاطعة بوكوفينا [١] » . وكانت رومانيا قد انتزعت مقاطعة بسارابيا من روسيا في نهايـة الحرب الكونية الأولى ، أما بوكوفينا فلم تكن في يوم ما تابعة لروسيا ، وانما كانت جزءاً من النمسا الى ان استولت عليها رومانيا في عام ١٩١٩ . وكان ريبنتروب ، قـــد وافق اثناء المفاوضات التي جرت في موسكو في العـام الفائت لعقد الميثاق النازي - السوفياتي ، على منح بسارابيا لمنطقة النفوذ الروسي ، وقد اكـد موافقته هذه لهتلر الآن عندما سأله عنها . ولكنه لم يكن قـد وافق على اعطائها بوكوفينا ايضاً .

وانتشرت الآن موجة من الذعر في برلين امتدت الى القيادة العامة للجيش في الغرب. فالقوات الالمانية المسلحة محتاجة أمسّ الحاجة الى زيت رومانيا، إذ انها تعتمد عليه كلية ، كما ان المانيا في حاجة الى ما تنتجه هذه البـلاد من مواد غذائية وعلف للحيوانات . وستفقد المانيا هذا المورد حتماً اذا قام الجيش الأحمر باحتلال رومانيا . وكانت هيئة الاركان العامة الرومانية قد بعثت في الثـالث والعشرين من ايار ، عندما كانت معركة فرنسا في ذروتها ، اشارة استغـاثة الى القيادة الالمانية العليا ، تبلغها فيها ان القوات السوفياتية تحتشد على حدودها . ولخص يودل رد الفعل في مقر قيادة هتلر في يوميته التي دوّنها في اليوم التالي فقال : « بات الوضع في الشرق منذراً بالخطر من جراء حشد القوات الروسية على حدود بسارابيا » .

ووجهت روسيا ليلة السادس والعشرين من حزيران انذاراً الى رومانيـــا تطلب فيه تخليها لها عن بسارابيا وعن بوكوفينا الشمالية ، وتصر على وجوب تلقي الرد على طلبها في اليوم التالي . وراح ريبنتروب ، وهو يرتعد من الفزع ،

---

١ - وثائق وزارة الخارجية الألمانية (١٠) ص ٣ - ٤ .

يبعث بتعليمات عاجلة من قطاره الخاص الى وزيره المفوض في بوخارست يطلب اليه فيها ان ينصح الحكومة الرومانية بالاذعان لروسيا . وقد اذعنت رومانيا في السابع والعشرين من حزيران فعلاً . وزحفت القوات السوفياتيـة في اليوم التالي الى المناطق التي حصلت عليها وتنفسّت برلين الصعداء ، لا سيما وان مصادر الزيت والغذاء الوفيرة لم تقطع عنها ، لأن روسيا لم تقم باحتلال رومانيا كلـها .

ويتضح من اعمال ستالين ومن الوثائق الألمانية المصادرة نفسها، ان الديكتاتور الروسي ، على الرغم من حرصه على اقتناص كل مـا يستطيع اقتناصه في اوروبا الشرقية ، مغتنماً فرصة انشغال الألمان في الغرب ، إلا أنه لم يرغب ، ولم يتصور قط ، انه سيصل الى حد القطيعة مع هتلر .

وحاول تشرشل في نهاية شهر حزيران تحذير ستالين في رسالة شخصية وجهها اليه ، من خطر الفتوحات الألمانية على روسيا وعلى بريطانيا [١] . ولم يكترث الديكتاتور الروسي بالرسالة ، ولم يكلّف نفسه عنـاء الرد عليها ، ولعله كان يعتقد كما اعتقد كثيرون غيره ان بريطانيا قد انتهت . ولهذا فقد نقل الى الألمان ما اوصلته اليه الحكومة البريطانية . واستقبل ستالين في مطلع شهر تموز السير ستافورد كريبس الزعيم العمالي اليساري – الجناح ، الذي اوفده رئيس الوزراء بسرعة خارقة ، كسفير له في موسكو ، آملاً ان يحقق عن طريقه بعض التقارب مع البلاشفة ، وهو أمل اعترف تشرشل نفسه فـيما بعد بخيبته . وكانت هذه المقابلة على حد تعبير تشرشل نفسه « رسمية ومتسمة بالبرود » . وقـد سلم مولوتوف في الثالث عشر من تموز ، بأمر من ستالـين مذكرة خطية الى السفير الألماني ضمنها ما دار من حديث سري في هذه المقابلة .

وليس ثمة من شك في ان هذه الوثيقة طريفة غاية الطرافة. فهي تحسر النقاب اكثر من اية وثيقة اخرى عن الحدود الصارمة التي يضعها الديكتاتور السوفياتي

---

١ – تشرشل ـ مذكرات ـ الجزء الثاني ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

في حساباته الدقيقة في الشؤون الخارجية . وسارع شولنبرغ الى الابراق بها الى برلين ، كبرقية «عاجلة جداً وسرية» ، واعرب ريبنتروب عن امتنانه لمحتوياتها في رسالة وجهها الى الحكومة السوفياتية اكـد فيها « تقديره العظيم لهـذه المعلومات » . وتقول المذكرة ان السفير كريبس ألحف على ستالين ، مطالباً اياه بتبيان موقفه من عدة قضايا بينها القضية الرئيسية التالية :

« تجد الحكومة البريطانية نفسها مقتنعة كل الاقتناع بأن المانيا تجاهد لخلق نوع من السيادة لنفسها في اوروبا ... وليس ثمـة من شك في ان السيادة لا تقل خطراً على الاتحـاد السوفياتي منها على انكلترا نفسها . وعلى الدولتين والحالة هـذه ان تتفقا على سياسة مشتركة من الحماية الذاتية ضـد المانيا وان تحاولا اعادة التوازن الدولي في اوروبا الى وضعه السابق » .

واضافت المذكرة ان ردود ستالين كانت على النحو التالي :

« لا يرى ستالين أي خطر لقيام سيادة دولة واحدة في اوروبا ، وهو لا يرى كذلك أي خطر في ابتلاع المانيا للقارة الاوروبية فهو يراقب السياسة الألمانية ويفهمها ، كما يعرف عدداً من ابرز الساسة الألمـان . ولم يستطع أن يرى رغبة عند هؤلاء لابتلاع البـلاد الاوروبية . وهو لا يرى كذلـك ان انتصارات المانيا العسكرية تهدد الاتحاد السوفياتي ، أو تهدد علاقاته الودية بألمانيا »[1] .

وليس ثمة من شك في ان مثل هذه الخشونة المذهلة ، وهذا الجهل الفاضح ، يجعلان الانسان في حيرة من أمره . ومن الطبيعي أن لا يعرف الطاغية الروسي بما في عقل هتلر من أسرار ، ولكن سلوك الفوهرر الماضي ومطامحه المعروفة ، والسرعة غير المنتظرة في انتصاراته ، كلهـا دوافع كافية لتحذيره من الخطر البالغ الذي يتعرض له الاتحاد السوفياتي الآن . ولكن هذه العوامل كما يبدو ،

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الألمانية (١٠) ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

لم تكن كافية ، وهذا أمر لم نستطع فهمه مطلقاً .

ونحن نعرف الآن من الوثائق النازية المصادرة ومن شهادات بعض الشخصيات الألمانية البارزة التي لعبت دورها في تلـــك المسرحية العظيمة التي مثلت على مسرح اوروبا الغربية الفسيح في ذلك العام ، ان هتلر كان في هذه اللحظة التي ابدى فيها ستالين هذه الاستكانة البارزة ، يقلّب في عقله فكرة الالتفات نحو الاتحاد السوفياتي وتحطيمه .

وتعود الفكرة الاصلية الى أبعد من ذلك بكثير ، انها تعود الى خمس عشرة سنة على الأقل ... الى كتاب « كفاحي » عندما قال هتلر :

« وهكذا نستأنف نحن الاشتراكيين الوطنيين اليوم السير الذي توقف قبل نحو من ستمائة عام . وسنوقف الحركـة الألمانية التي لا تنتهي باتجاه جنوب اوروبا وغربهـــا ، لنعود بنظراتنا الى البلاد الواقعة شرقاً ... وعندما نتحدث اليوم عن الاراضي الجديدة في اوروبا ، علينا ان نفكر بصورة رئيسية بروسيا وبدول الحدود التابعة لهـــا ... ويبدو ان القدر يود ان يبسط لنا طريقنا هناك الآن ... فهذه الامبراطورية الضخمة الواقعة الى الشرق باتت ناضجة الآن للتحلل والتفسّخ ، وسترمز نهاية السيطرة اليهودية على روسيا الى نهاية روسيا نفسها كدولة » .[1]

وكانت هذه الفكرة تمثل القاعدة في تفكير هتلر ، ولم يؤد ميثاقه مع ستالين الى تغيير هذه القاعدة مطلقاً ، واذا كان قد أجل العمل بوحيها فإن هذا التأجيل لم يكن إلا لفترة قصيرة جداً . اذ لم يمض شهران عـلى توقيع الصفقة وعقدها . وعلى استغلالها في تحطيم بولندة ، حتى كان الفوهرر يصدر تعليماته الى جيشه ، بأن يعامل البلاد البولندية المحتلة على اعتبار انها « منطقة تجميع لعمليات المانية مقبلة » . وكان هذا في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩٣٩ ، وقـد دوّنه

---

١ - كفاحي - هتلر ص ٦٥٤ .

هولدر في يومياته .

وبعد خمسة اسابيع أي في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ، لم تكن روسيا غائبة عن افكاره مطلقاً وهو يخطب فرقاءه العسكريين المترددين ، متحدثاً اليهم عن الهجوم في الغرب . وراح يعلن لهم هذه الافكار قائلاً : « في وسعنا ان نقاوم روسيا عندما نكون طليقي اليدين في الغرب » . وكانت فكرة الحرب في جبهتين ، التي ظلت الكابوس المسيطر على القادة العسكريين الألمان اكثر من قرن كامل ، الغالبة على تفكير هتلر في ذلك اليوم ولذا فقد تحدث عنها باسهاب وتطويل في ذلك اليوم . فهو لا يريد ان يكرر الخطأ الذي وقع فيه الحكام الألمان السابقون ، وسيواصل التأكد من أن الجيش لن يحارب على اكثر من جبهة واحدة في وقت واحد .

ولذا كان من الطبيعي والحالة هذه ، بعد ان سقطت فرنسا ، وبعد ان طاردت جيوشه فلول الجيش البريطاني عبر القناة ، وبعد ان انتعشت آماله في انهيار بريطانيا المرتقب في كل لحظة ان يتجه باهتمامه وتفكيره ثانية الى روسيا . فلقد افترض نفسه الآن متحرراً في الغرب ، اذ خيل اليه انه حقق الشرط الذي كان قد وضعه ليغدو في مركز يسمح له « بمقاومة روسيا » . وقد استفزت السرعة التي اتم فيها ستالين استيلاءه على دول البلطيق وعلى المقاطعتين الرومانيتين في حزيران هتلر الى اتخاذ قرار عاجل .

وفي وسعنا الآن ان نتابع الطريق التي ادت به الى اللحظة التي اتخذ فيها قراره هذا . ويقول يودل ان « القرار الرئيسي الجوهري » قد اتخذ « في وقت مبكر إبان الحملة في الغرب »[1] . ويتذكر العقيد وولتر وورليمونت نائب يودل في القيادة العامة للقوات المسلحة ،ان يودل اعلن في التاسع والعشرين من تموز في اجتماع عقده مع ضباط اركان حرب العمليات ان « الفوهرر يعتزم

---

(١) ١ – خطاب يودل في ٧ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ - المؤامرة النازية والعدوان ص ٧٩٥ .

مهاجمة الاتحاد السوفياتي في خريف عام ١٩٤٠ » . وكان هذا اكثر مما يحتمل كايتل نفسه ، وقد ناقش هتلر في هذا الموضوع مناقشة حادة محاولاً اقناعه بأن صعوبة تحقيق الهجوم في الغرب لا تقوم بسبب رداءة الطقس فحسب بل وبسبب متاعب نقل القسم الأكبر من الجيش من الغرب الى الشرق . وعندما عقد هذا المؤتمر المشار اليه في التاسع والعشرين من تموز ، ذكر ووروليمونت « ان موعد الهجوم المقترح ضد روسيا كان قد تأجل الى ربيع عام ١٩٤١ »[١] .

ونحن نعرف الآن من يوميات هولدر [٢] ان الفوهرر كان لا يزال حتى قبل اسبوع واحد ، يرى إمكان القيام بالحملة على روسيا في الخريف ، اذا لم يقم بغزو بريطانيا في هذا الموعد . وطلب من براوختش في مؤتمر عسكري عقد في برلين في الواحد والعشرين من تموز بأن يشرع في الاعداد لهذه الحملة . ويبدو من رده على هتلر ان القائد العام للجيش واركان حربه كانوا قد أولوا هذه المشكلة بعض تفكيرهم وان لم يكن كل هذا التفكير . فقد أبلغ براوختش الزعيم بأن الحملة قد تستغرق « من اربعة الى ستة اسابيع » ، وان هدفها سيكون « هزم الجيش الروسي أو احتلال ما يكفي من الأرض الروسية لإبعاد خطر وصول القاذفات السوفياتية الى برلين ، أو منطقة سيليزيا الصناعية ، مع اتاحة الفرصة لطائرات السلاح الجوي الألماني للوصول الى جميع الاهداف المهمة في الاتحاد السوفياتي » . وكان براوختش يرى ان في امكان قوة يتراوح عددها بين الثمانين والمائة فرقة المانية ان تقوم بهذا العمل وقدّر قوة روسيا بما يتراوح بين « خمسين وخمسة وسبعين فرقة صالحة » . وتشير الملاحظات التي دوّنها هولدر عن حديث براوختش اليه عما دار في الاجتماع الى ان هتلر تألم اشد الألم من خطوات ستالين في الاستيلاء على بعض الاراضي في الشرق ، وانه ، أي هتلر ، يعتقد بأن الديكتاتور

---

١ – شهادة ووروليمونت المشفوعة باليمين في نورمبرغ في ٢١ تشرين الثاني عام ١٩٤٥ - المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٧٤١ . واستجوابه في ١٢ تشرين الاول - المؤامرة النازية والعدوان الملحق (ب) ص ١٦٣٥ - ١٦٣٧ .

٢ – يوميات هولدر - في ٢٢ تموز ١٩٤٠ .

السوفياتي « يغازل انكلترا » لتشجيعها على الصمود ، وان كان لا يرى اية دلالة على ان روسيا تعتزم الدخول في الحرب ضد المانيا .

ودفعت خيبة الأمل في القيام بغزو بريطانيا ، هتلر على ان يعلن لأول مرة لقادته العسكريين في المؤتمر الذي عقده معهم في « عش النسر » في اليوم الاخير من شهر تموز عام ١٩٤٠ ، قراره بالحملة على روسيا . وقد شهد هولدر شخصياً ، هذا الاجتماع ودوّن بنفسه وقائع ما دار فيه وملخص مـــا قاله سيد الحرب النازي [١] . وتحسر هذه الملاحظات النقاب عن ان هتلر كان قد اتخـذ قراراً واضحاً بمهاجمة روسيا في الربيع المقبل ، وانه حدد في ذهنه أيضـاً الاهداف السوقية الرئيسية ... فقد كتب هولدر :

« قال هتلر ان آمال بريطانيا متركزة في روسيا وامريـــكا . فإذا تمكنا من تحطيم آمالها في روسيا، فان آمالها في الثانية تتحطم تلقائياً إذ ان ازالة روسيا من الوجود تؤدي الى تقوية سيطرة اليابان في الشرق الاقصى الى حد كبير » .

وزاد اقتناعه بهذه الفكرة مع تكرار دراسته لها. فلقد رأى هتلر ان تصميم بريطانيا الحرون على مواصلة الحرب ناجم عن اعتمادها على الاتحاد السوفياتي...

« واوضح ان شيئاً غريباً يحدث في بريطانيا . فلقـد كسرت بريطانيا كسرة كاملة . ولكنها ما لبثت ان وقفت على قـدميها . (ووقع هنا جدل قطع عليه اقواله ثم عاد يقول :) وليس ثمة من شك في ان روسيا قد انزعجت انزعاجاً شديداً من جراء هـــذه التطورات السريعة في اوروبا الغربية » .

« ولا تحتاج روسيا الى اكثر من مجرد اشارة الى انـكلترا بأنها لا ترغب في ان ترى المانيا قوية اكثر من اللزوم ، فآنـذاك يسارع الانـكليز كالغريق الى استعادة الأمل بأن الوضع قد يتبدل تبـدلاً

---

١ – يوميات هولدر في ٣١ تموز – ١٩٤٠ .

كلياً في فترة تتراوح بين ستة وثمانية شهور .

« ولكن اذا تحطمت روسيا ، فإن آخر أمل لبريطانيا يتحطم أيضاً ، وتغدو المانيا آنذاك سيدة اوروبا والبلقان .

« القرار . . . وبالنظر الى جميع هـذه الاعتبارات ، يتوجب علينا ان نصفّي أمر روسيا في ربيع عام ١٩٤١ .

« وكلما اسرعنا في تحطيم روسيا ، كلما كان هذا اجدى وانفع»

* * *

وشرع سيد الحرب النازي بعد ذلك يوسّع في خططه الاستراتيجيـة التي كانت كما اتضح لقادته العسكريين قد شرعت تنضج في عقله منذ أمد ما ، على الرغم من كل ما كان يشغله من احداث في الجبهة الغربية . وقال ان هذه العملية تكون جديرة بالمجازفة اذا كان هدفها تحطيم الاتحاد السوفياتي بضربة ساحقـة واحدة . ولا يكفي مطلقاً احتلال شطر كبير من الارض الروسية . واكدهتلر ان هدفنا يجب ان يكون « تحطيم قدرة روسيا على الوجود » . وسيكون هناك زحفان اوليان ، أحدهما في الجنوب باتجاه كييف وحوض الدنيبر والثاني في الشمال عبر دول البلطيق ومن ثم باتجاه موسكو . وهناك يتلاقى الجيشان . وقد يتطلب الأمر بعد ذلك عملية خاصة اضمان زيت حقول النفط في باكو . وكان مجرد التفكير بهذه الفتوحات الجديدة يثير هتلر ، اذ كان قد أعد في فكره ما سيفعله فيها . وقال انه سيضم الى بلاده فوراً اوكرانيا وروسيا البيضاء ودول البلطيق ، ويوسع حدود فنلنده الى البحر الابيض الشمالي . وسيخصص لهـذه العملية كلها (١٢٠) فرقة محتفظاً بستين فرقة للدفاع عن الغربَ واسكندينافيا . واقترح ان يبدأ الهجوم في ايار عام ١٩٤١ ، ويستغرق خمسة اشهر للانتهـاء منه . وسينتهي الهجوم في الشتاء . واضاف انه كان يؤثر لو قـام بهذا الهجوم هذا العام ولكن ثبتت استحالة تنفيذ هذا الرأي .

ومضى هولدر في اليوم التالي أي الأول من آب ، يعمل مع اركان حربه في إعداد الخطط اللازمة . وعلى الرغم من زعمه فيما بعد ، بأنه عـارض فكرة

الهجوم على روسيا كل المعارضة واضعاً إياهاباالجنوب ، الا ان اليوميات التي دوّنها في تلك الآونة تحسر النقاب عن الحماس العظيم الذي اندفع فيه ينفذ المهمة الجديدة التي اوكلت اليه .

وراح التخطيط للحملة الجديدة يقطع أشواطاً بعيدة بدقة متناهية عرفت عن الالمان ، وذلك على ثلاثة صعدان ، أولها هيئة أركان حرب الجيش وثانيها صعيد أركان حرب العمليات الحربية بقيادة وورليمونت في القيادة العليا للقوات المسلحة وثالثها فرع التسلح والاقتصاد الذي يرئسه الفريق توماس في القيادة العليا للقوات المسلحة . وقد صدرت الاوامر الى الفريق توماس في الرابع عشر من آب من المشير غورنغ بأن الفوهرر يود ان يستمر تسليم السلع التي يطلبها الروس حتى ربيع عام ١٩٤١ ليس الا .[1] وعهد الى مكتب توماس أيضاً في اعداد دراسة مفصلة للصناعة والنقل ومراكز الزيت في الاتحاد السوفياتي على ان تصلح هذه الدراسة كدليل للاهداف العسكرية في الحرب ومن ثم كمرشد للادارة العسكرية في روسيا بعد انتهاء القتال .

وكان وورليمونت قد أصدر قبل بضعة أيام أي في التاسع من آب ، أول توجيه له لاعداد العدة لمناطق توزيع القوات العسكرية في الشرق ، استعداداً للقفز على الروس . وقد اطلق على هذه العملية الاسم الرمزي « البناء في الشرق » . وأمر هتلر في السادس والعشرين من آب عشر فرق للمشاة وفرقتين مدرعتين بأن تتجه كلها من الغرب الى بولنده . واشترط تركيز الوحدات المدرعة في الاقسام الجنوبية الشرقية من بولندة حتى تتمكن من التدخل عند الضرورة

---

١ - يؤكد توماس في تقريره عن هذا الموضوع ان الروس كانوا جد دقيقين في تسليم ما تطلبه المانيا من سلع في الاوقات المعينة . ويقول ان الروس ظلوا في الحقيقة « حتى بداية الهجوم على هذه الدقة » ، ويلاحظ مع شيء من السخرية ان « شحنات المطاط الهندي من الشرق الاقصى قد تم نقلها حتى في بضعة الايام الاخيرة على قطارات الشحن الروسية السريعة على سكة حديد سيبريا . » (المؤامرة النازية والمدوان (٤) ص ١٠٨٣ .

لحماية حقول الزيت في رومانيا .[1] ولم يكن من السهل نقل قوات ضخمة الى الشرق[2] دون إثارة مخاوف ستالين وشكوكه التي سرعان ما تثور اذا ما عرف بها ، وكان الألمان جد حريصين على ان لايعرف ستالين بهذه الاحتشادات. ولما كان من المحتوم ان تعرف روسيا ببعض هذه الحركات، فقد صدرت الأوامر الى الفريق ايرنست كويسترينغ ، الملحق العسكري الألماني في موسكو ، لابلاغ اركان الحرب السوفيات ، بأن القضية لا تعدو استبدال عدد من الجنود الكبار في السن بآخرين من الشبان للافادة من اولئك في الاعمال الصناعية . واصدر يودل في السادس من أيلول ، توجيهاً آخر ، يتضمن تفصيلات وافية عن الاساليب التي يجب اتباعها لخداع الروس والتعمية عليهم . وقال في توجيهه « ومن الواجب ان لا يخلق هذا التجميع للقوات أي انطباع لدى الروس بأننا نعد العدة للقيام بهجوم في الشرق »[3] .

ورغب هتلر في ان لا تحس القوات المسلحة بالتكاسل والاسترخاء بعدما حققته من انتصارات رائعة في الصيف توجت هاماتها بأكاليل الغار ، واصدر نتيجة لرغبته هذه توجيهاً شاملاً وسرياً للغاية في الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٠ ، حدد فيه المهام العسكرية الجديدة التي سيكلفها بها في اوروبا وخارجها. وسنعود بعد قليل الى بعض هذه المهام . أما ما يهمنا منها الآن فالجزء الخاص بالاتحاد السوفياتي اذ ورد فيه ما يلي :

« لقد شرعنا في محادثات سياسية نهدف من ورائها الى ايضاح

---

١ – يوميات الحرب لاركان حرب العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة بتاريخ ٢٦ آب عام ١٩٤٠ ، وقد اقتبست من « محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٥٤٩ – ٥٥٠) .

٢ – كان الألمان قد احتفظوا في بولندة بسبع فرق ليس إلا ، بينما فرقتان نقلتا الى الغرب اثناء حملة الربيع . وقال هولدر ان القوات هناك لم تكن كافية حتى للقيام بالاعمال الجمركية العادية . ولو قام ستالين بمهاجمة المانيا في حزيران عام ١٩٤٠ ، لكان في امكان الجيش الاحمر ان يصل برلين قبل ان تتمكن المانيا من اعداد اية مقاومة منظمة .

٣ – شهادتا وورليمونت (المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٧٤٠ – ٧٤١ . وتوجيه يودل (نفس المصدر (٣) ص ٨٤٩ – ٨٥٠) .

موقف روسيا في الوقت الحاضر. ومهما كانت نتيجة هذه المحادثات، من الواجب اتخاذ جميع الاستعدادات اللازمة للشرق، والتي أمرت بها شفوياً فيما سبق، والمضي في اتخاذها. وستصدر التعليمات المتعلقة بهذه الاستعدادات فيما بعد، حالما يقدم إليّ الجيش خطته العامة للعمليات لإقرارها »[1].

ووصل مولوتوف في نفس ذلك اليوم أي الثاني عشر من تشرين الثاني الى برلين ليواصل مع هتلر نفسه هذه المحادثات السياسية.

مولوتوف في برلين

ظلت العلاقات تسير من سيىء الى أسوأ بين برلين وموسكو عدة أشهر. وكان من حق هتلر وستالين ان يخدعا أي فريق ثالث، ولكن لم يكن من حقهما مطلقاً ان يخدع الواحد منهما الآخر. ولم يكن في وسع هتلر ان يحول بين الروس وبين الاستيلاء على دول البلطيق وعلى مقاطعتي بسارابيا وشمال بوكوفينا الرومانيتين، وقد أدى عجزه هذا الى المزيد من نقمته وغضبه. وكان لا بد من وقف الزحف الروسي نحو الغرب، ولا سيما في رومانيا، التي يؤلف زيتها مصدراً حيوياً لألمانيا، نظراً لأن الحصار البريطاني المفروض عليها يحول بينها وبين استيراد البترول بحراً.

وراحت المجر وبلغاريا رغبة في اضافة تعقيدات اخرى الى مشكلة هتلر، تطالبان ببعض الاراضي من رومانيا. وأعدت المجر في الحقيقة عدتها عندما اقترب صيف عام ١٩٤٠ من نهايته، للمضي الى الحرب لاستعادة ترانسلفانيا التي كانت رومانيا قد اقتطعتها منها بعد الحرب الكونية الاولى. وادرك هتلر ان

---

١ - توجيه ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٤٠. (المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤٠٣ - ٤٠٧.

مثل هذه الحرب ستعزل المانيا عن مصدرهـــا الرئيسي للزيت الخـام ، وقد تؤدي الى دخول الروس لاحتلال رومانيا كلهـا ، وحرمان الرايخ بصورة دائمة من الزيت الروماني .

وقد تردّى الوضع الى حد ينذر بالخطر في الثامن والعشرين من آب، مما دفع هتلر الى اصدار الأمر لخمس فرق مدرعة وثلاث فرق آلية بالاضافـة الى قوات المظليين والهابطين من الجو (قوات تنقلها الطائرات) بأن تكون كلها على قدم الاستعداد للاستيلاء على حقول الزيت الرومانية في الأول من ايلول.[1] وتشاور في نفس اليوم مع ريبنتروب وشيانو في « عش النسر » ثم أوفدهما الى فيينا حيث أمرهما بفرض القانون على وزيري خارجية المجر ورومانيا لقبول تحكيم المحور في نزاعهما . وقد تم انفاذ هذه المهمة دون كبير عناء ، بعد ان عنّف ريبنتروب كلاً من الفريقين المتنازعين تعنيفاً حاداً . وقبل المجريون والرومانيون في الثلاثين من آب وفي قصر « البيلفيدير » في فيينا التسوية التي وضعها المحور . وعندمـا رأى ميهاي مانويليسكو وزير خارجية رومانيا الخريطة التي تقضي باعادة نحو من نصف ترانسلفانيا الى المجر ، أغمي عليه ، وسقط فاقد الوعي على المنضدة التي كان التوقيع على الاتفاق يجري فوقها ، ولم يفق من غشيته الا بعد ان جـــاء الاطباء واستخدموا الكافور في انعاشه .[2] وتلقت رومانيـا نتيجة تعقلها في الظاهر ، ونتيجة الرغبة في اعطاء هتلر المبرر القانوني لتحقيق مشاريعه المقبلة في

---

١ - يوميات القيادة العليا للقوات المسلحة في ٢٨ آب (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٥٦٦ - ٥٦٧) .

٢ - يوميات شيانو ص ٢٨٩ . كلف هذا الحادث الملك كارول الرومـــاني عرشه . ففي السادس من ايلول اضطر الملك الى التنازل عن العرش ، لمصلحة ولده ميشيل البالـــغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، ثم فر مع عشيقته الحمراء الشعر ماجدا لوبيكو في قطار خاص يضم عشر عربات محملاً اياه ما يمكن وصفه « بمنهوبات » القصر الملكي عبر يوغوسلافيـــا الى سويسرا . واصبح الفريق ايوني انطونسكو ، زعيم « الحرس الحديدي » الفاشي وصديق هتلر ، ديكتاتوراً في البلاد .

الحقيقة ، الضمانات من المانيا وايطاليا ، لما تبقى من بلادها .[1]

وسرعان ما ألقى هتلر الضوء على هذه « المشاريع المقبلة » امام من يثق بهم ثلاثة اسابيع من توقيع الاتفاق فقد اصدر في العشرين من ايلول توجيهاً في منتهى السرية ، يأمر بموجبه بإيفاد « بعثات عسكرية » الى رومانيا ..

« ستكون مهمة هذه البعثات امام العالم، توجيه رومانيا الصديقة في إعادة تنظيم قواتها المسلحة وتدريبها .

« اما المهمة الحقيقية التي يجب ان لا يعرف بها الرومانيون ولا حتى قواتنا فهي :

« ١ – حماية منطقة ابار الزيت ..

« ٢ – اعداد العدة لتوزيع قواتنا من القواعد الرومانية مع القوات الرومانية نفسها في حالة اضطرارنا لمحاربة روسيا السوفياتية »[2] .

وكان هذا الاجراء كافياً لضمان الجناح الجنوبي للجبهة الجديدة التي بدأ هتلر يصورها في عقله .

واستاءت موسكو من عملية التوزيع في فيينا ولا سيما من الضمانة الالمانية لما تبقى من رومانيا ، وكان معظم استيائها منصباً على عدم استشارتها . وعندما قام شولنبرغ بزيارة مولوتوف في الأول من ايلول ، ليقدم اليه مذكرة عاجلة من ريبنتروب يحاول فيها ان يشرح وان يبرر ما وقع في فيينا ، روى السفير ان « الوزير السوفياتي كان متفحظاً بالنسبة الى ما ألفه في مقابلاته السابقة » ولكن هذا التحفظ لم يكن قوياً الى الحد الذي يحول بينه وبين الاحتجاج شفوياً بصورة عنيفة . فقد اتهم الحكومة الالمانية بنقض المادة الثالثة من الاتفاق النازي – السوفياتي ، التي تدعو الى التشاور بين الفريقين، وبمواجهة روسيا «بالأمر الواقع»

---

١ – شملت الضمانات جميع رومانيا باستثناء دبروجه الجنوبية التي ارغمت رومانيا على التنازل عنها لبلغاريا .

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٨٧٣ .

الذي يتعارض مع التأكيدات الالمانية المتعلقة «بالقضايا ذات المصالح المشتركة»[1]. وهكذا بدأ اللصوص كما هي العادة في مثل هذه الأحوال يتصارعون على اقتسام الغنائم .

وأخذ التفاهم يزداد حدة وعنفاً يوماً بعد آخر. فقد أبرق ريبنتروب في الثالث من ايلول ببرقية مطولة الى موسكو ينفي فيها ان المانيا قد نقضت ميثاق موسكو ، ويتهم روسيا بأنها هي التي فعلت ذلك باستيلائها على دول البلطيق وعلى المقاطعتين الرومانيتين دون مشاورة برلين. وكانت المذكرة الالمانية مصوغة في عبارات قاسية ولذا فقد رد عليها الروس في الواحد والعشرين من ايلول بمذكرة لا تقل عنها عنفاً وقسوة ، لا سيما وان الفريقين قد تحولا الآن الى عرض شكاواهما في وثائق خطية . وقد أكد الرد السوفياتي ان المانيا هي التي ناقضت الميثاق وحذر من ان روسيا ما زالت تحتفظ بمصالح لها في رومانيا ثم انتهى الى اقتراح ينطوي على الهزء والسخرية ، اذ يعلن ان الحكومة السوفياتية على استعداد لتعديل البند الخاص بالتشاور او حذفه من المعاهدة كلية ، اذا كانت حكومة الرايخ ترى في هذا البند أمراً يسبب لها « الضيق والعنت وتقييد اليدين»[2].

وقد ثارت شكوك الكرملين من هتلر بصورة متزايدة من جراء حادثين وقعا في شهر ايلول . فقد ابرق ريبنتروب الى شولنبرغ في السادس عشر من الشهر يطلب اليه ان يقوم بزيارة مولوتوف وان يبلغه عرضاً بأن المانيا تعتزم ارسال نجداتها الى شمال النروج عن طريق فنلنده . وبعث وزير خارجية النازي بعد بضعة ايام أي في الخامس والعشرين من ايلول ببرقية اخرى الى السفارة في موسكو وجهها هذه المرة الى القائم بالأعمال اذا كان شولنبرغ قد جاء برلين في اجازة . وقد نص بصراحة على هذه البرقية بأنها « سرية ومكتومة للغاية » ، كما ارفقت بتعليمات واضحة بأن لا تنفذ الا في اليوم التالي عندما يتلقى القائم

---

١ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ١٧٨ - ١٨١ .

٢ ـ العلاقات النازية السوفياتية ص ١٨١ — ١٨٣ و ص ١٩٠ — ١٩٤ .

بأعمال السفارة من برلين كلمة « السر » إما عن طريق الهاتف او البرق .[1]

وقد طلب الى الدبلوماتي الالماني ان يبلغ مولوتوف ان اليابان وايطاليا والمانيا ستوقع « في غضون بضعة الايام التالية » حلفاً عسكرياً في برلين . وسيتضمن الحلف نصاً خاصاً ، على انه غير موجه ضد روسيا .. وأوضح ريبنتروب في برقيته :

« ان هذا الحلف موجه ضد دعاة الحرب الامريكيين ليس الا. وبالطبع لن يكون هذا الهدف صريحاً في المعاهدة ، ولكن في وسع المرء ان يصل الى هذا الاستنتاج من قراءة بنوده دون شك .. والهدف الوحيد منه هو حمل تلك العناصر التي تشدد الضغط لادخال امريكا في الحرب ، على التعقل ، باتهامها بصراحة بأن دخول امريكا الصراع الحالي ، سيؤدي بصورة آلية رتيبة الى وقوفها موقف العداء الحربي من ثلاث دول عظيمة »[2] .

وثارت شكوك الوزير السوفياتي الشديد التحفظ ، عندما حمل اليه فيرنر فون تيبلسكيرش ، القائم بالاعمال الألماني هذه الأنباء عشية السادس والعشرين من ايلول ، لا سيما وان هذه الشكوك كانت قد بدأت تزدهر ، كما تزدهر الورود في حزيران . وراح يقول لزائره فوراً بذلك الاهتمام المتعالم بالتفاصيل الذي كثيراً ما ضايق كل من تفاوض معه من اعداء واصدقاء ، بأن المادة الرابعة من اتفاق موسكو تخوّل الحكومة السوفياتية ، الحق في الاطلاع على نص هذا الميثاق العسكري الثلاثي قبل توقيعه ، مضيفاً الى ذلك قوله « والاطلاع على اية ملاحق سرية فيه ايضاً » .

ورغب مولوتوف ايضاً في ان يعرف المزيد عن الاتفاق الألماني مع فلندة ، لنقل القوات الالمانية عبر تلك البلاد ، وهو الاتفاق الذي سمع عنه اكثر ما سمع

---

١ ـ العلاقات النازية السوفياتية ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

٢ ـ العلاقات النازية السوفياتية ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

من الصحف بما في ضمنها برقية نقلتها وكالة الصحافة المتحدة من برلين. واضاف مولوتوف ان موسكو قد تلقت في غضون الايام الثلاثة الاخيرة أنباء عن نزول القوات الألمانية في ثلاث موانىء فنلندية على الاقل «بدون ان تبلغها المانيا شيئاً عن ذلك. ثم مضى يقول:

«وتود الحكومة السوفياتية ان تتلقى نص الاتفاق الذي سمح بمرور تلك القوات عبر فنلندة، بكل ما فيه من اجزاء سرية ... وان تبلغ رسمياً الهدف من هذا الاتفاق، وضد من هو موجه، والاهداف التي يحققها»[1].

وأحس الجميع في برلين حتى ريبنتروب البليد نفسه، بالحاجة الى تهدئة الاتحاد السوفياتي، فراح يبرق في الثاني من تشرين الاول الى موسكو بنص ما دعاه بالاتفاق مع فنلنده. وعاد فأكد ان الميثاق الثلاثي الذي تم التوقيع عليه[2] في غضون ذلك ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفياتي، وأعلن بكل «إخلاص» ان ليس ثمة «اية ملاحق أو اتفاقات سرية لهذا الميثاق»[3]. وأصدر ريبنتروب ايضاً تعليماته الى تيبلسكيرش في السابع من تشرين الاول، لابلاغ مولوتوف «بصورة عرضية» ايضاً بأن المانيا تعتزم ايفاد «بعثة عسكرية»

---

١ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ١٩٧ - ١٩٩.

٢ - تم التوقيع على الميثاق الثلاثي في برلين في السابع والعشرين من ايلول ١٩٤٠، في حفلة كانت اشبه بالتمثيليات الساخرة، وقد وضعتها في مكان آخر (كتاب يوميات برلين المؤلف ص ٥٣٢ - ٥٣٧). وقد اعترفت اليابان في المادتين الأولى والثانية من الميثاق «بزعامة المانيا وايطاليا في اقامة النظام الجديد في اوروبا»، واعترفت الدولتان بزعامة اليابان في تحقيق نفس الغرض في آسيا الشرقية الكبرى. ونصت المادة الثالثة على المساعدة المتبادلة في حالة تعرض أي من الدول الثلاث الموقعة للهجوم من الولايات المتحدة وان لم ينص صراحة على اسمها، وانما اكتفي بتعريفها. وبدا لي من هذا الميثاق كما دونت في يومياتي في ذلك اليوم في برلين، ان ابرز ما فيه هو ما يرنو اليه من ان هتلر بات مقتنعاً من ان الحرب ستكون طويلة. وتوصل شيانو الذي وقع الميثاق نيابة عن ايطاليا الى نفس النتيجة (يوميات شيانو ص ٢٩٦). وعلى الرغم من كل ما صدر من نفي، فان الغاية من الميثاق كانت تهدف كذلك الى تحذير الاتحاد السوفياتي.

٣ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٢٠١ - ٢٠٣.

الى رومانيا . وعندما تلقى رد فعل مولوتوف المنطوي على التشكك بالنسبة الى هذه المعلومات الجديدة ، اذ استفهم الوزير السوفياتي عن عدد القوات التي تعتزم المانيا ارسالها الى رومانيا [1]، راح ريبنتروب يبعث في الثالث عشر من تشرين الاول برسالة مطولة الى ستالين محاولاً تهدئة ما يحس به السوفيات من قلق تجاه المانيا [2] .

وكانت هذه الرسالة كما يتوقع المرء ، اطروحة في البلاهة والغرور ، تحتشد بالسخف والاكاذيب وتشويه الحقائق. فهو ينحو باللوم على انكلترا لقيام الحرب، ويحملها مسؤولية كل ما وقع حتى الآن، ويعود فيؤكد شيئاً واحداً. وهو «اننا قد كسبنا الحرب . ولم تعد القضية الا مجرد وقت ومدى ما تستطيع فيه انكلترا ان تتحمل قبل ان تعترف بالانهيار» . وهو يصف الحركات الألمانية ضد روسيا في كل من فنلندة ورومانيا وكذلك في الميثاق الثلاثي على انها نِعَمٌ من المانيا لروسيا ويضيف ان الدبلوماتية البريطانية ووكلاء بريطانيا السريين يحاولان في غضون ذلك خلق الفتنة بين روسيا والمانيا . وراح يقترح على ستالين لاحباط هذه المحاولات ايفاد مولوتوف الى برلين «ليشرح له الفوهرر شخصياً آراءه في موضوع صياغة العلاقات المقبلة بين البلدين » .

وأشار ريبنتروب بطرف خفي الى ما قد تعنيه هذه الآراء ... انها لا تعني أقل من اقتسام العالم بين الدول الاربع الجماعية .. ثم مضى يقول :

« ويبدو ان رسالة هذه الدول الاربع، وهي الاتحاد السوفياتي وايطاليا واليابان والمانيا ، وضع سياسة طويلة المدى ، عن طريق تحديد مصالحها كلها على نطاق عالمي » .

وقد وقع بعض التأخير في السفارة الألمانية في موسكو في تسليم هذه الرسالة الى المصدر الموجهة اليه ، مما اثار غضب ريبنتروب الى حد الهياج ،

---

١ ــ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
٢ ــ العلاقات النازية السوفياتية ص ٢٠٧ - ٢١٣ .

وأوحى له بارسال برقية غاضبة الى شولنبرغ يطلب اليه فيها معرفة الاسباب التي حالت دون وصول رسالته حتى السابع عشر من الشهر ، ولماذا « على الرغم من معرفته بأهمية محتويات هذه الرسالة» ،لم يقم بتسليمها الى ستالين شخصياً وانما اكتفى بتسليمها الى مولوتوف . [1] ورد ستالين في الثاني والعشرين من تشرين الأول برسالة كانت ودية للغاية في لهجتها . وقد جاء في هذا الرد ما يلي : « يعترف مولوتوف انه مدين لك بزيارة لبرلين ، وعلى هذا فهو يقبل دعوتك لزيارتها » [2] . ويبدو ان هذا اللطف من جانب ستالين لم يكن اكثر من مجرد قناع . فقد ابرق شولنبرغ الى برلين بعد بضعة ايام يقول ان الروس قد احتجوا على ان المانيا ترفض تسليمهم المواد الحربية في الوقت الذي يبعثون فيه بالاسلحة الى فنلندة . وقال شولنبرغ في برقيته ايضاً،ان هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها الروس عن شحنات اسلحتنا الى فنلندة . » [3]

* * *

« انه يوم عبوس قاتم . وقد وصل مولوتوف وكان استقباله رسمياً ينطوي على الفتور والجمود. وبدا وهو يقطع شارع «اونتردن لندن » بسيارته متجهاً الى السفارة السوفياتية كمدير مدرسة ريفية كادح وعادي . ولكن ليس ثمة من شك في ان نجاحه في البقاء حياً في منافسات الكرملين على « قطع الرقاب » يوحي بأن في الرجل شيئاً ما . . ويتحدث الألمان صراحة عن رغبتهم في السماح لموسكو بتحقيق الحلم الروسي القديم بالسيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل ، في الوقت الذي يحتلون هم فيه ما تبقى من البلقان

---

١ ـ العلاقات النازية السوفياتية - نص برقية ريبنتروب الغاضبة ص ٢١٤ .

٢ ـ العلاقات النازية السوفياتية ـ نص رد ستالين ص ٢١٦ .

٣ ـ العلاقات النازية السوفياتية ص ٢١٧ .

كرومانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا .. »

بهذه العبارة استهليّت يوميتي في برلين بتاريخ الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٠ . ويبدو ان حديث الألمان الصريح كان صحيحاً الى حد كبير، بالنسبة الى ما حدث. فنحن نعرف اليوم عن هذا الاجتماع الغريب والقدري، كما حدث، اكثر مما كان باستطاعتنا ان نعرف ، ويرجع الفضل في ذلك الى الوثائق الألمانية الرسمية المصادرة التي يعثر المرء فيها على ما دوّنه الألمان من وقائع هذا الاجتماع الذي استغرق يومين على النحو الذي دوّنه فيه الدكتور شميدت الموجود في كل مكان . [1]

وكان ريبنتروب في الاجتماع الأول الذي دار بين وزيري الخارجية قبل ظهر الثاني عشر من تشرين الثاني ، في حالة مزاجية تعتبر من اكثر حالاته تفاهة وغروراً ، ولكن سرعان ما تمكن مولوتوف من سبر غوره ومعرفة حقيقة ما يجري الألمان وراءه . وقد بدأ ريبنتروب حديثه قائلاً : « لقد هزمت انكلترا، وغدا الموضوع قضية وقت ليس إلا ، عندما تعترف اخيراً بهزيمتها ... فلقد جاءت اخيراً بداية النهاية بالنسبة الى الامبراطورية البريطانية » . ومضى يقول ان البريطانيين ما يزالون يأملون في العون يأتيهم من امريكا ، ولكن « دخول الولايات المتحدة في الحرب لم يعد ذا شأن بالنسبة الى المانيا، اذ ان المانيا وايطاليا لن تسمحا لأي « انكلو - سكسوني » بأن يطأ القارة الأوروبية ثانية ... ولا يؤلف هذا التصميم أية مشكلة عسكرية .. ولا تدرس دولتا المحور الآن والحالة هذه الطريقة التي تستطيعان فيها كسب الحرب، بل الطريقة التي يمكن بواسطتها، انهاء هذه الحرب التي كسبها المحور بالسرعة الممكنة » .

---

١ - مذكرة عن اجتماعات مولوتوف بريبنتروب وهتلر في ١٢ - ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٤٠ . ص ٢١٧ - ٢٥٤ - عاد ستالين فأكد دقة هذه المذكرة ، وان لم يقصد هو تأييدها . ويقول تشرشل انه تلقى وصفاً من ستالين في آب عام ١٩٤٢ عن المحادثات التي اجراها مولوتوف في برلين ثم يمضي قائلاً : « وهي لا تختلف في جوهرها عن السجلات الالمانية على الرغم من انها اكثر قوة ودقة » (تشرشل - مذكرات - الجزء الثاني ص ٥٨٥ - ٥٨٦) .

وراح ريبنتروب ، يوضح ان الحالة وقد باتت على هذا النحو ، تتطلب الآن من الدول الاربع الكبرى وهي روسيا والمانيا وايطاليا واليابان ان تحدد « مناطق نفوذها » . وقد توصل الفوهرر الى الاستنتاج بأن الطبيعة تقضي بأن تتوسع الدول الاربع « باتجاه الجنوب » . وقد شرعت اليابان فعلاً بالاتجاه جنوباً ، كما فعلت ايطاليا نفس الشيء ايضاً، بينما ستجد المانيا بعد ان تقيم «النظام الجديد » في اوروبا الغربية ، المجال الحيوي الاضافي لها في « اواسط افريقيا » . وقال ريبنتروب «انه يتساءل» ما اذا كانت روسيا لن « تتجه ايضاً نحو الجنوب ، للوصول الى منفذها الطبيعي الى البحار الفسيحة ، وهو المنفذ الذي كان متناهياً في الأهمية بالنسبة لها » .

وقاطعه مولوتوف ببرود قائلاً : « أي بحر تقصد ؟ » .

وكان هذا السؤال غريباً بالاضافة الى ما فيه من حرج ، وهو ما تعلّمه الألمان في غضون الست والثلاثين ساعة المقبلة من احاديث لا تنتهي مع هذا البلشفي العنيد والدقيق والكثير الكلام . واسقط في يد ريبنتروب فترة من الوقت لم يستطع فيها ان يحير جواباً. وبدلاً من ان يرد مباشرة على هذا السؤال، راح يتحدث باسهاب عن « التبدّلات العظيمة التي ستقع في جميع اطراف العالم بعد الحرب » ، وقال هاذراً ان الشيء المهم هو « ان الفريقين الشريكين في الميثاق الروسي – الألماني قد افلحا في تحقيق بعض النتائج الطبيعية ، وان في وسعهما ان يستمرا في تحقيق مثل هذه النتائج » . وعندما أصرّ مولوتوف على الحصول على رد لسؤاله البسيط ، أجاب ريبنتروب اخيراً بأن « المنفذ الأنفع لروسيا على المدى الطويل للوصول الى البحر ، يقوم باتجاه الخليج الفارسي وبحر العرب » .

ويقول الدكتور شميدت الذي شهد الاجتماع ودوّن وقائعه ، ان مولوتوف كان يجلس دون « ان يستطيع المرء تمييز ما يفكر فيه من تعبيرات وجهه » [1]. ولم يتحدث إلا القليل ، واقتصر قوله في النهاية على ان « الدقة والحرص» أمران ضروريان في تحديد مناطق النفوذ « ولا سيما بين المانيا وروسيا » . ويبدو ان

---

١ – بول شميدت ترجمان هتلر – ص ٢١٢ .

المفاوض السوفياتي الداهية ظل يختزن ما لديه حتى يقابل هتلر الذي اجتمع اليه بعد الظهر . وقد تبيّن ان هذا الاجتماع كان بالنسبة الى سيد الحرب النـــازي الواسع الجبروت ، تجربة فذة في نوعها ، ومثيرة للدهشة ومحطمـــة للأعصاب ومخيبة للأمل .

وكان هتلر في مقابلته هذه لا يقل غموضاً عن وزير خارجيته ، ولربما كان اكثر منه استعلاء . وقد بدأ كلامه قائلاً ان المانيـا ستوجه « الضربة القاضية ضد انكلترا » فور تحسن الطقس . واضاف قائلاً : « ولكن هناك مشكلة امريكا بكل تأكيد » . ومع ذلك فلا تستطيع هذه ان « تهدد حرية الدول الاخرى قبل عام ١٩٧٠ أو عام ١٩٨٠ . فلا شأن لها لا في اوروبا ولا في افريقيا أو آسيا » ، وهو تأكيد سرعان ما قاطعه مولوتوف ليعلن موافقته عليه . ولكنه لم يتفق مع هتلر في الكثير مما قاله ايضاً . اذ عندما انتهى الزعيم النازي من عرضه المسهب لبعض التعليمات المفرحة ، مؤكداً عدم وجود خلافـات جوهرية بين البلدين في سعيهما لتحقيق ما يطمحان اليه في زحفهما المشترك « نحو منافذ المحيطات » ، رد مولوتوف بأن « بيانات الفوهرر لا تعدو ان تكون ذات طبيعة عامة » . واضاف انه يود الآن ان يعرض آراء ستالين الذي زوده عند مغادرته موسكو « بتعليمات دقيقة واضحة » . وسرعان ما كشف اوراقه امام الديكتاتور الالماني بشكل لم يكن هذا ، كما روت الوقائع التي دوّنها شميدت مستعداً له .

واستذكر شميدت فيما بعد هذا الاجتماع فقال : « لقد انهالت الاسئلة على هتلر ، بطريقة لم يسبق قط لأي زائر اجنبي ان تحدث بها في حضوري لهتلر . »[1]

كان مولوتوف راغباً في ان يعرف ماذا تريد المانيا من حركاتها في فنلندة . وما الذي تعنيه كلمة النظام الجديد في اوروبا وآسيا ، وما هو الدور الذي سيعطى للاتحاد السوفياتي في هذا النظام ؟ وما هي « أهمية » الميثاق الثلاثي ؟ ومضى يقول « يضاف الى هذا ان ثمة قضايا يجب ايضاحها بالنسبة الى مصالح روسيا في البلقان والبحر الأسود بالنسبة الى بلغاريا ورومانيا وتركيا . وانهى حديثـه

---

١ ـ بول شميدت ـ ترجمان هتلر ص ٢١٤

قائلاً بأنه يود ان يسمع من الفوهرر بعض الردود « والايضاحات » .

ويبدو ان هتلر قد فوجيء بهذه الأسئلة لأول مرة في حياته، فلم يستطع الرد عليها ، واقترح تأجيل الاجتماع « نظراً لاحتمال وقوع انذار بالغارة الجوية » مع الوعد بأن يدخل مع زائره في نقاش طويل في اليوم التالي .

وهكذا تأجل الشجار الى اليوم التالي ، ولم يستبعد ، وعندما استأنف هتلر ومولوتوف حديثهما في الصباح التالي ، كان الوزير الروسي عنيفاً لا يلين . وبدأ حديثه بفنلندة ، التي سرعان ما اشتبك الرجلان في شجار عنيف ومرير حولها. وطلب مولوتوف ان تسحب المانيا قواتها فوراً من فنلندة . ونفى هتلر « ان تكون الجيوش الألمانية محتلة لها . » ، وأكد انها تمضي من هناك الى النروج ، ولكنه يود ان يعرف « هل تعتزم روسيا ان تحارب فنلندة » . وتقول الوقائع الالمانية المدوّنة ان مولوتوف حاول التملص من الرد على هذا السؤال، وان هتلر اعتبر جوابه غير مرضٍ .

وراح هتلر يصرّ قائلاً : « يجب ان لا تقع حرب في البلطيق ، اذ ان مثل هذه الحرب ستعرض العلاقات الألمانية - الروسية للتوتر » . وعاد يضيف بعد لحظة واحدة ان هذا التوتر قد يؤدي الى « نتائج لا يتوقعها احد » . ثم راح يسأل زائره قائلاً : « على أي حال ماذا يطلب الاتحاد السوفياتي من فنلندة بعد كل ما أخذه منها » ? انه يود ان يعرف ، ورد الزائر بأن الاتحاد السوفياتي يود « تسوية معها على غرار ما وقع في بسارابيا » ، أي ضمها اليه . ويبدو ان رد فعل هتلر على هذا القول قد ازعج الزائر الروسي الجامد الذي لا يتأثر أبداً فسارع يسأل هتلر ابداء رأيه فيما قاله .

وحاول الديكتاتور بدوره ان يتملص من الرد الصريح فأجاب بأنه لايسعه إلا ان يكرر ما سبق له قوله من « ان الحرب يجب ان لا تقع مع فنلندة ، اذ ان مثل هذا النزاع قد يترك آثاراً بعيدة المدى ، لا تدرك الآن » .

ورد مولوتوف قائلاً : « يؤدي هذا الوضع والحالة هذه الى دخول عامل جديد في النقاش . . »

ويبدو ان الشجار قد احتد في هذه اللحظة ، حتى ان ريبنتروب ، أحس بالهلع فسارع الى التدخل ، قائلاً ، حسب الرواية الألمانية ، « بأن ليس ثمـة من داع في الحقيقة ابداً ، لخلق مثل هذه المشكلة حول موضوع فنلندة . ويبدو ان القضية لا تعدو ان تكون مجرد سوء تفاهم » .

واستغل هتلر هذا التدخل الذي جاء في وقتـــه المناسب ، ليحول دفـّة الحديث بسرعة الى موضوع آخر . وراح يفكر أو ليس في امكانه اغراء الروس بالمنهوبات التي لا حد لها ولا حصر ، والتي ستتوافر مـــع انهيار الامبراطورية البريطانية ؟ ثم قال : « دعنا نتحوّل الآن الى البحث في مواضيع اكثر اهمية . . ثم قال :

« بعد ان يتم احتلال انكلترا، ستصبح الامبراطورية البريطانية مجرد اقطاعية تضم اربعين مليون كيلو متر مربع من انحاء العـالم ، وفي حالة من الافلاس . وسيغدو في مكنة روسيا ان تعثر في هذه الاقطاعية المفلسة على المنفذ الذي تريده الى البحار المفتوحة والتي لا يلحق بها التجمد . . . فلقد كانت اقلية لا يعدو تعدادهـا خمسة واربعين مليوناً من السكان تتحكم حتى الآن في نحو من ستمائة مليون انسان يقيمون في الامبراطورية البريطانية . وهو على وشك تحطيم هذه الاقلية . . . وتنشأ في مثل هذه الظروف احتمالات واسعـــة تشمل العالم بأسره . . . وعلى جميع الدول التي يهمها أمر هـذه الاقطاعية المفلسة ان توقف كل ما بينها من خلافات ، وان تحصر اهتمامها في تجزئة الامبراطورية البريطانية . وينطبق هذا القول على كل من المانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا واليابان » .

ولكن الزائر الروسي البارد كالثلج ،والجامد العواطف لم يتأثر كما يبدو بهذه « الاحتمالات العالمية الواسعة » على الرغم مما فيها من إشراق ، كما لم يبد مقتنعاً كالألمان ، وهو ما عاد يؤكده بعد لحظات ، من ان الامبراطورية البريطانيـة ستكون جاهزة للاقتسام والتجزئة . وقال انـــه يود لو بحث في المشاكل

الأقرب الى أوروبا كتركيا مثلاً او بلغاريا أو رومانيا .

وقال : ان « الحكومة السوفياتية ترى ان الضمانة الألمانية لرومانيا انما تستهدف الإضرار بمصالح روسيا السوفياتية ، هذا اذا أراد المرء التعبير عن رأيه بصراحة » . وكان مولوتوف يواصل التعبير عمّا يريد قوله بصراحة طيلة اليوم ، مما ازعج مضيفيه ، وهاهو الآن يمضي في اصراره هذا وصراحته فيطالب المانيا « بالغاء » ضمانتها لرومانيا ولكن هتلر يرفض طلبه هذا .

ويقول مولوتوف : « حسناً » ... ولما كانت موسكو كثيرة الاهتمام بالمضائق ، فماذا تقول المانيا لو انها أي روسيا قدمت لبلغاريا ضمانات تشبه في شروطها ونصوصها الضمانات التي قدمتها المانيا وايطاليا لرومانيا ? » .

وكان في وسع كل من حضر الاجتماع ان يرى التجهّم واضحاً على اسارير هتلر . وراح يسأل ضيفه عما اذا كانت بلغاريا قد طلبت ضمانات ، كما فعلت رومانيا ? وتذكر الوقائع الألمانية عن الاجتماع ان الفوهرر قال لضيفه بأنه لا يعرف عن وجود طلب كهذا من بلغاريا . ولكنه على أي حال يود ان يشاور موسوليني قبل ان يعطي لروسيا رداً اكثر وضوحاً وتحديداً في هذا الموضوع . واضاف بشيء من التحذير قائلاً : « ولو ارادت المانيا البحث عن مصادر للاحتكاك مع روسيا لما احتاجت الى المضائق لخلق هذا الاحتكاك » .

وهنا أحس الفوهرر الذي عرف برغبته في كثرة الحديث دائماً ، بأنه لم يعد قادراً على الاستماع الى مثل هذا الروسي الصعب المراس .

وتقول الوقائع الألمانية المدوّنة .. « ان الفوهرر عندما وصل الحديث الى هذه النقطة ، لفت انتباه زائره الى ان الوقت بات متأخراً ، واضاف انه بالنظر الى احتمال وقوع غارات جوية بريطانية فإنه يرى من الافضل قطع الحديث في هذه المرحلة ، لا سيما وان البحث قد تناول معظم القضايا الرئيسية الى حد كاف » .

وأقام مولوتوف مأدبة عشاء ساهرة في تلك الليلة لمضيفيه في دار السفارة السوفياتية في « اونتر دين لندن » . ويبدو ان هتلر كان متعباً من الاجتماع

وكان لا يزال متأثراً من المحنة التي مر بها ، فتغيّب عن الحفلة .

ولم يتغيّب البريطانيون عنها ايضاً . وقد دهشت لأن قاذفات قنابلهم لم تظهر في سماء برلين في الليلة السابقة ، كما كان شأنها في كل ليلة سابقة ، لتذكر الوزير السوفياتي في الليلة الأولى التي قضاها في العاصمة الألمانية ، بأن بريطانيا ، مهما قال له الالمان عنها ، ما زالت في الحرب ، وان في وسعها ان تضرب . واني لأعترف ان البعض منا ظل ينتظر بأمل ورجاء وصول الطائرات البريطانية ولكنها لم تصل . وأحس موظفو الويلهلمشتراسة ، الذين كانوا في قلق ، بالكابوس يزاح عن صدورهم . ولكن هذا الشعور بالارتياح لم يدم طويلاً .

فلقد جاءت الطائرات البريطانية مساء الثالث عشر من تشرين الثاني في وقت مبكر للغاية .[1] وكان الظلام يخيّم على برلين في الساعة الرابعة مساء في هذا الوقت من السنة ، ولم تكد تحل الساعة التاسعة مساء حتى انطلقت صافرات الانذار بالغارة الجوية ، وبات في وسع المرء ان يستمع الى هدير المدافع المضادة للطائرات ، وان يصغي الى ازيز الطائرات فوق رأسه . ويقول الدكتور شميدت الذي شهد المأدبة في دار السفارة السوفياتية ، ان مولوتوف كان قد اقترح ان يشرب الحاضرون نخب الصداقة بين البلدين ، وان ريبنتروب كان قد وقف على قدميه ليرد بنخب ودي مماثل عندما انطلقت الصافرات معلنة وقوع الغارة ، فسارع الضيوف الى الملجأ . واني لأذكر ما وقع من هرج ومرج ، في شارع « لندن » وعند زاوية الويلهلمشتراسة عندما كان الروس والألمان يهرعون للاحتماء بملجأ وزارة الخارجية . وسارع عدد من الموظفين وبينهم الدكتور شميدت الى فندق « ادلون » ، الذي كنا نرقب من مدخله ما يقع ، ولم يكن في وسعنا ان نصل الى الاجتماع المرتجل الذي عقده الوزيران الآن في اقبية وزارة الخارجية .

---

١ - يقول تشرشل ان الغارة الجوية قد وقتت خصيصاً لهذه المناسبة . وقد كتب يقول : « وكنا قد سمعنا عن الاجتماع قبل وقوعه ، وعلى الرغم من اننا لم ندع الى الاشتراك فيما دار فيه من احاديث ، إلا اننا لم نرغب مطلقاً في ان نظل بعيدين عن وقائعه » . (تشرشل - مذكرات - الجزء الثاني ص ٥٨٤) .

ولهذا فقد تولى غوستاف هيلغر مستشار السفارة الألمانية في موسكو تدوين وقائع هذا الاجتماع نيابة عن الدكتور شميدت الذي لم يستطع حضوره ، اذ كان هيلغر هذا قد قام بدور أحد المترجمين في الاجتماعات .

وحاول وزير الخارجية النازي الكثير التملص ، اغراء الروس للمرة الاخيرة ، بينما كانت القاذفات البريطانية تحوّم في حلكة الدجى في السماء ،وبينما كانت المدافع المضادة ، تهدر مطلقة قذائفها عليها دون ان تترك اثراً . واستل من جيبه مشروع اتفاق ، يحوّل في جوهره الميثاق الثلاثي الى ميثاق للدول الاربع ، على ان تكون روسيا دولته الرابعة . واصغى مولوتوف بصبر واناة الى ريبنتروب وهو يتلو على مسامعه نص هذا المشروع .

وكانت المادة الثانية هي زبدة هذا الاتفاق . فهي تنص على ان تحترم كل من المانيا وايطاليا واليابان والاتحاد السوفياتي « مناطق النفوذ الطبيعية لبعضها البعض » . وهي تقضي ايضاً بأن تحل الخلافات في حالة ظهورها « بطريقة ودية وحبية » . وتوافق الدولتان الفاشيتان واليابان « على الاعتراف بالنطاق الحالي للممتلكات السوفياتية ،وتتعهد باحترامها » . وتتعهد الدول الاربع بموجب المادة الثالثة بعدم الدخول أو بعدم تأييد أي تجمّع دولي « موجه ضد أي من الدول الاربع المتعاقدة » .

واقترح ريبنتروب اعلان نصوص الاتفاق مع الاحتفاظ بسرية ملاحقها المكتومة التي شرع الآن في تلاوتها على مسامع زميله السوفياتي . وكان اهم هذه الملاحق ، الوثيقة التي تحدد لكل دولة من الدول الاربع « مطامحها الاقليمية » . وكانت هذه المطامح بالنسبة الى روسيا ، الى الجنوب من اراضيها أي باتجاه المحيط الهندي .

ولم يستجب مولوتوف للطعم الذي قدمه اليه ريبنتروب . فالميثاق المقترح يهدف كما هو الواضح الى محاولة تحويل اهتمام روسيا عن اندفاعها التاريخي غرباً باتجاه البلطيق والبلقان وعبر المضائق الى البحر الابيض المتوسط،حيث تصطدم حتماً مع مخططات المانيا فايطاليا الطامعة الى مكان آخر . والاتحاد السوفياتي

في الوقت الحاضر على الاقل ليس مهتماً بالمحيط الهندي الذي يبعد عنه كثيراً .
ورد مولوتوف بأن مـا يهم الاتحاد السوفياتي في الوقت الحاضر ينحصر في اوروبا والمضائق التركية . واضاف قائلا : « وعلى ضوء هذا فان الاتحاد السوفياتي لن يكتفي باتفاقات الورق ، وانما يصر على نوال ضمانات فعالة لسلامته » . ثم قال :

« ولا تقتصر القضايا التي يهتم بها الاتحاد السوفياتي على تركيا بل يتعداها ايضاً الى بلغاريا ... ومع ذلك يهتم الاتحاد السوفياتي ايضاً بمصير رومانيا والمجر . ولا يمكن له ان يقف منهما موقف التجاهل وعدم الاكتراث . ويهم الحكومة السوفياتية كذلك ان تعرف ما يعتزمه المحور بصدد يوغوسلافيا واليونان ، وما تنويه المانيا بشأن بولندة ... وهي تهتم كذلـــك بحياد السويد .. يضاف الى ذلك مشكلة المرور عبر بحر البلطيق » .

وهكذا افرغ وزير الخارجية السوفياتية ، الذي لا يكل ولا يمل ، والذي لا تظهر على اساريره أي علائم انفعال ، كل ما في جعبته ، وأحس ريبنتروب انه قد بات مدفوناً تحت هذا التيهور الهائل من الاسئلة ، ذلك لأن مولوتوف قال عندما وصل الى هذا الحد ، بأن مما « يبعث في نفسه الرضى »، ان يتكرم ضيفه بالرد عليها . واحتج ريبنتروب بأنـــه « يتعرض لاستجواب دقيق » ثم قال بصوت خافت :

« ان كل ما استطيع قوله وتكراره ، هو توجيه السؤال الحاسم لمعرفة ما اذا كان الاتحاد السوفياتي على استعداد ، ويجد نفسه في وضع يمكنه مـن التعاون معنا في عمليـــة تصفية الامبراطورية البريطانية الضخمة » .

وكان مولوتوف على اهبة للرد بجواب قاطع . وقد دون هيلغر هـــذا الرد في سجله :

« قال مولوتوف ، ان الألمان يفترضون انهم قد كسبوا الحرب ضد انكلترا . واذا صح ما اكده هتلر من ان المانيا تخوض حرب

الحياة أو الموت ضد انكلترا فان كل ما يستطيع فهمه مـن هذا التأكيد ، هو ان المانيا تحارب من اجل حياتها وان انكلترا تحارب من اجل موتها » .

وكان من المحتمل ان تفوت هـذه السخرية عـلى ذهن ريبنتروب البليد ، لكن مولوتوف لم يرغب في ان يضيع فرصته، وان لا يفهم ضيفه سخريته . وراح يردعلى تأكيد الألمان المستمر بأن بريطانيا قد انتهت قائلاً : « اذ صح هذا، فلماذا نقبع نحن الآن في هذا الملجأ، ولمن هذه الطائرات التي تقذف بقنابلها علينا؟»[1]

واستخلص هتلر من هذه التجربة المنهكة التي مر بها مع مساوم موسكو الصعب الشكيمة ، ومن دليل جديد جاءه بعد اسبوعين عن تزايد الشهية عند ستالين وعدم اكتفائها ، النتائج النهائية التي قررها .

وأرى من واجبي ان اقول هنا ، ان الديكتاتور السوفياتي ، مهـما كانت الطلبات التي قدمها متعارضة مع عروض هتلر ، قد قبل هذه العروض بالانضمام الى المعسكر الفاشي ، وان كان قـد ألحّ على وجوب الحصول على ثمن اكبر مما عرضته برلين . ففي السادس والعشرين من تشرين الثاني أي بعد اقل من اسبوعين من عودة مولوتوف من زيارته الى المانيا ، ابلغ ستالين السفير الألماني في موسكو بأن روسيا على استعداد للاشتراك في الميثاق الرباعي شريطة تحقيق المتطلبات التالية :

« ١ – سحب القوات الألمانية فوراً من فنلندة التي تعتبر جزءاً من منطقة نفوذ الاتحاد السوفياتي . . .

« ٢ – ضمـان أمن الاتحاد السوفياتي في المضائـق في غضون الاشهر القليلة القادمة عـن طريق عقد ميثاق للعون المتبادل بـين الاتحاد السوفياتي وبلغاريا . . واقامة قاعدة للقوات البرية والبحرية

---

١ - روى تشرشل هذه الطلقة الاخيرة التي صدرت عن مولوتوف قبل سفره في الصفحة ٥٨٦ من الجزء الثاني من مذكراته وقد سمعها من ستالين في وقت لاحق من الحرب .

السوفياتية على مرمى من البوسفور والدردنيل عن طريق الاجارة لمدة طويلة .

« ٣ – الاعتراف بالمنطقة الواقعة الى الجنوب من باطوم وباكو باتجاه الخليج الفارسي كمركز الثقل في مطامح الاتحاد السوفياتي .

« ٤ – تنازل اليابان عن حقوقها وامتيازاتها في الزيت والفحم في شمال جزيرة سخالين »[١] .

وهكذا طلب ستالين خمس ملاحق سرية بـدلاً من ملحقين للميثاق المقترح ، على ان تتضمن هذه الملاحق اقتراحاته الجديدة ، وطلب ايضاً ان تقوم الدول الاربع في حالة تعنّت تركيا في معارضة اقامة قواعد روسية تسيطر على المضائق ، باتخاذ الاجراءات العسكرية اللازمة ضدها .

ولكن هذه الاقتراحات الّفت ثمناً اعلى ممـا كان هتلر على استعداد للبحث فيه . فلقد حاول الابقاء على روسيا بعيدة عن اوروبا ولكن ستالين يطالب الآن بفنلندة وبلغاريا والاشراف على المضائق بالاضافة الى السيطرة على حقول الزيت الايرانية والعربية وهي الحقول الـتي تزود اوروبا في الظروف العادية بمعظم حاجاتها من الزيت ولم يشر الروس بقليل أو كثير الى المحيـط الهندي الذي حاول الفوهرر ان يجعل منه مركز الثقل في مطامح الاتحاد السوفياتي .

وقال هتلر لكبار قادته العسكريين : « ان ستالين ذكي وداهية . وها هي طلباته تزداد شيئاً فشيئاً . انه بلطجي من الطراز الأول يعتمد الابتزاز طريقة له . ولم يعد في قدرة روسيا ان تحتمل نصر المانيا . ولهذا يجب علينا ان نحملها على الركوع على ركبتيها في اسرع وقت ممكن . »[٢]

وهكذا وجد البلطجي النازي العظيم نداً له في ستالين ، وادى ادراكه لهذه الحقيقة الى اثارة غضبه . ولم يحل مطلع شهر كانون الأول ، حتى كان يطلب

---

١ – برقية شولنبرغ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٠ . العلاقات النازية السوفياتية ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٢ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤١) ص ١٣ يوميات هولدر في ١٦ كانون الثاني ١٩٤١ .

الى هولدر ان يقدم له الخطة الـــتي وضعتها هيئة اركان حرب الجيش للهجوم الكاسح على الاتحاد السوفياتي . ونفذ هولدر الأمر، وفي الخامس من كانون الأول حمل الخطة مع براوختش ومضيا لمقابلته، فأقرها بعد اجتماع دام اربع ساعات. وتتضمن اليوميات الحربية للقيادة العليا للقوات المسلحة ، الـتي صدرت بعد الحرب ، كما تتضمن يوميات هولدر السرية نفسها تقريراً عما دار في هذا الاجتماع الخطير [1] . واكد سيد الحرب النازي وجوب تحطيم الجيش الاحمر الى الشمال والجنوب من مستنقعات بريبيت ،وتطويق قواته وإبادتها « كما وقع في بولندة ». وقال لهولدر « انني لا ارى اهمية لموسكو » . والمهم هو تحطيم « قوة الحياة » في روسيا . ومن الواجب اشراك رومانيا وفنلندة في الهجوم ، أما المجر فلا . ومن الواجب ايضاً نقل فرقة الفريق كايتل الجبلية من نارفيك عبر شمال السويد الى فنلندة لمهاجمة المنطقة السوفياتية القطبية [2] . وتقرر تخصيص نحو من (١٢٠) أو (١٣٠) فرقة لهذه الحملة الضخمة .

وتستخدم يوميات الفريق هولدر في اشارتها الى ما وقع في هـــذا المؤتمر ، العبارة الرمزية « اوتو » للتدليل على هذه الخطة ضد روسيا ، وهو نفس الاسم الرمزي الذي اطلق على العملية في مناسبات سابقة . ولكن لم يمضِ اقل من اسبوعين ، ، أي في الثامن عشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ ، حتى كان هـــذا الاسم الرمزي قد استبدل باسم آخر قدر له ان يصبح اسماً تاريخياً . ففي هـذا اليوم اجتاز هتلر نهر « روبيلون » وحزم امره . واصدر توجيهه الواحـــد والعشرين الذي توّجه بالعبارة التالية .. « عملية بربروسة » وهذا نص مـــا

---

١ - يوميات هولدر في ٥ كانون الأول عام ١٩٤٠ . المؤامرة النازية والعـــدوان (٤) ص ٣٧٤ - ٣٧٥ . والاخير ترجمة لجزء من اليوميات الحربية لقيادة الجيش العليـــا ، التي كان يودل يتولى رئاسة اركان حربها .

٢ - سمحت السويد التي سبق لها ان رفضت نقل قوات الحلفاء عبر اراضيهـــا إبان الحرب الروسية - الفنلندية ، لهذه الفرقة المسلحة أكمل تسلح بعبور اراضيها . وقد انضمت المجر فيما بعد طبعاً الى الحرب ضد روسيا .

جاء في استهلاله ...

سري للغاية

مقر قيادة الفوهرر

١٨ كانون الأول ١٩٤٠

« على القوات الألمانية المسلحة ان تكون متأهبة لسحق روسيا السوفياتية في حملة سريعة قبل انتهاء الحرب ضد انكلترا . وعلى الجيش تحقيقاً لهذه الغاية ان يعد كل ما يتوافر لديه من وحدات ، شريطة ان يضمن الدفاع عن البلاد المحتلة ضد أية هجمات مفاجئة .

« ومن الواجب استكمال الاعدادات اللازمة قبل الخامس عشر من ايار عام ١٩٤١ . ومن الضروري اتخاذ اقصى الحيطة ، مخافة ادراك مانعتزم القيام به من هجوم » .

وهكذا تقرر ان يكون منتصف ايار من الربيع القادم موعد الصفر بالنسبة الى الهجوم ... وحدد هتلر « الهدف العام » لعملية بربروسة على النحو التالي :

« يجب تحطيم القسم الاكبر من الجيش الروسي العامل في غرب روسيا بواسطة عمليات جريئة ، تتمثل في شق ثغرات مدرعة وعميقة ، وكذلك في الحيلولة دون تقهقر وحدات متماسكة ومستعدة للحرب نحو آفاق روسيا الواسعة الفسيحة . أما الهدف النهائي للعملية فإقامة خط دفاعي ضد روسيا الآسيوية يمتد من نهر الفولغا الى ميناء اركانجل في الشمال » .

ومضى توجيه هتلر يتحدث باسهاب بعد ذلك عن الخطوط الرئيسية للهجوم . [1] وحدد بعد ذلك دوري رومانيا وفنلندة تحديداً واضحاً . فعلى

---

١ - ذهب كثيرون من المؤرخين الى ان هتلر لم يمض بعيداً في التفصيل في هذا التوجيه الأول ....

هاتين الدولتين ان تؤمنا مناطق الوثوب للهجوم في الجناحين البعيدين في الشمال والجنوب ، وان تزود المانيا بما تحتاج اليه من قوات لتعزيز جيوشها في هذه العمليات . ورأى التوجيه ان موقف فنلندة متناهٍ في الاهمية . اذ على الجيوش الألمانية والفنلندية المتعددة ان تزحف باتجاه لينينغراد ومنطقة بحيرة لادوغا ، وان تقطع الخط الحديدي الموصل الى مورمانسك وتستولي على مناجم النيكل في تبسامو وتحتل الموانىء الروسية التي لا تتجمد في المنطقة القطبية . واعترف هتلر ، بأن الكثير يعتمد على ما اذا كانت السويد ستسمح بعبور القوات الألمانية من النروج في اراضيها ، ولكنه توقع ، وكان محقاً في توقيعه ، بأن السويد لن تتوانى عن تقديم هذا التساهل .

وأوضح هتلر ان مستنقعات بريبيت هي التي ستتولى تجزئة العمليات الرئيسية . وقال ان الضربة الكبرى ستوجه الى الشمال من هذه المستنقعات على ان تتولى أمرها مجموعتان كاملتان من الجيوش ، تتقدم احداهما عبر دول البلطيق نحو لينينغراد . أما المجموعة الثانية فتتقدم من الجنوب زاحفة عبر روسيا البيضاء ثم تتحول شمالاً لتلتقي بالمجموعة الأولى مكملة بذلك الطوق على ما يتبقى من القوات السوفياتية التي تحاول التراجع من البلطيق . وهنا قال هتلر ، ان في الامكان بعد تحقيق هذه الخطة توجيه هجوم نحو موسكو . فلقد غدت العاصمة الروسية التي كانت حتى قبل اسبوعين ، « غير ذات أهمية » لهتلر ، اكثر قيمة الآن ، اذ كتب في توجيهه : « ويعني الاستيلاء على هذه المدينة نصراً حاسماً من الناحيتين السياسية والاقتصادية بالاضافة الى ما يمثله من خسارة العدو لنقطة مهمة كل الأهمية في تقاطع مواصلاته الحديدية » . واشار الى ان موسكو تمثل بالاضافة الى كونها

عن عملية بربروسة ، ولعل هذا الخطأ نجم عن الشكل المختصر الذي ظهر فيه التوجيه في الترجمة الانكليزية لمجلدات « المؤامرة النازية والعدوان » . لكن النص الالماني الكامل الوارد في كتاب « محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٦) ص ٤٧ - ٥٢ » يشير الى وجود تفصيلات وافية مما يقيم الدليل على ان الألمان كانوا قد مضوا بعيداً في استعداداتهم في هذا الموعد المبكر . (المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤٠٧ - ٤٠٩)

مركز المواصلات الرئيسي في روسيا ، المنتج الرئيسي لسلاحها .

أما مجموعة الجيوش الثالثة فتزحف الى الجنوب من المستنقعات عبر اراضي اوكرانيا نحو كييف ، هادفة إلى تطويق القوات السوفياتية العاملة الى الغرب من نهر الدنيبر وتحطيمها . وتزحف القوات الالمانية والرومانية في الجنوب البعيد لحماية جناح العملية الرئيسية والتقدم نحو اوديسا ومن هناك على ساحل البحر الاسود . ويمكن بعد ذلك احتلال حوض الدونتس الذي يضم نحواً من ستين في المائة من الصناعة السوفياتية .

هذه هي الخطة العظيمة التي وضعها هتلر والتي اتمها قبل عطلة عيد الميلاد في عام ١٩٤٠ ، وكان إعدادها على نحو من الدقة بحيث لم يطرأ عليها أي تبدل اساسي فيما بعد ابداً . ورغبة في ضمان السرية المطلقة ، أمر هتلر باعداد تسع نسخ فقط من التوجيه ، سلمت نسخة واحدة منها الى كل فرع من الفروع الثلاثة للقوات المسلحة ، على ان يحتفظ بالنسخ الباقية في مقر القيادة العليا . واوضح التوجيه ايضاً ان من الواجب القول حتى لكبار قادة الميدان ، بأن الخطة لا تعدو ان تكون « مجرد اجراء احتياطي في حالة تبديل روسيا لموقفها السابق منا » . وأمر هتلر بأن يظل عدد الضباط المطلعين على هذا السر صغيراً الى اقصى حد ممكن . ثم مضى قائلاً : « وإلا فإن ثمة خطر في ان تتضح حقيقة اعداداتنا، مما يؤدي الى وقوع اشد الاضرار من الناحيتين السياسية والعسكرية»

وليس ثمة من دليل على ان القادة العسكريين في قيادة الجيش العليا قد اعترضوا على قرار هتلر ، بالاستدارة نحو الاتحاد السوفياتي الذي مكنهم اخلاصه في تنفيذ ميثاقه مع المانيا من تحقيق انتصاراتهم العظيمة في بولندة والغرب. ولكننا رأينا هولدر فيما بعد يكتب هازئاً « بمغامرة هتلر الروسية » ويدعي ان قادة الجيش وقفوا موقف المعارضة منها منذ البداية . [1] ولكن عندما نقرأ يومياته الضخمة كلها عن شهر كانون الأول عام ١٩٤٠ ، لا نجد فيها كلمة واحدة تؤيد ادعاءه .

---

١ – هولدر - هتلر كقائد ميدان ص ٢٢.

ونجد فيها على النقيض من ذلك حماساً أصيلاً في تأييد « المغامرة » التي يتحمل هو بوصفه رئيس هيئة اركان الحرب المسؤولية في وضع مخططها .

لكن القرار اصبح حاسماً بالنسبة الى هتلر ، وكان هذا القرار الذي اتخذه في الثامن عشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ ، العمل الفاصل الذي قرر مصيره هو ، وان لم يكن قد عرف هذه الحقيقة عندما حزم امره على اتخاذه . وأحس بالراحة بعد ان قضى على تردده في النهاية ، ومضى كما قال هو فيما بعد ، الى جبهة القناة الانكليزية ليقضي اعياد الميلاد مع جنوده وطياريه فيها ، بعيداً ما أمكنه عن روسيا التي صمم على اجتياحها . ويبدو انه ابتعد بافكاره ، الى اكثر حدٍ ممكن ، عن شارل الثاني عشر ملك السويد ونابوليون بونابرت اللذين واجها بعد ان حققا فتوحات مجيدة لا تقل شأواً عن فتوحاته هو ، الكارثة في اعماق السهوب الروسية الفسيحة . وكيف يمكن له ان يتعرض لمثل هذه الافكار تجتاح عقله ؟ لقد بات الآن كما تظهر السجلات ، هذا الانسان الذي كان أفاقاً في فيينا في يومٍ ما ، يعتبر نفسه اعظم فاتح عرفه تاريخ العالم وقد بات « العُظام » ذلك المرض الخطير الذي يصيب جميع الفاتحين مسيطراً عليه الى حدِ الجنون .

ستة اشهر من الانتظار الخائب

وواجه الفاتح النازي بعد تلك الانتصارات الكثيرة العدد التي حققها في الربيع ومطلع صيف عام ١٩٤٠ ، ستة أشهر طويلة من الانتظار الخائب . ولم يكتف القدر بأن يجنبه الحصول على النصر النهائي على بريطانيا ، بل اضاع عليه ايضاً الفرص التي اتيحت له ليوجه اليها ضربة قاتلة في البحر الابيض المتوسط .

وقابل أمير البحر الاكبر ريدر زعيمه في برلين بعد يومين من انقضاء عيد الميلاد ، ولكنه لم يحمل له في هذه المقابلة أية هدايا مفرحة من التي اعتاد الناس تقديمها في مناسبة هذا العيد . وراح يقول للفوهرر : « لقد انتهى كل امل في تهديد بريطانيا في شرق البحر المتوسط والشرق الادنى وشمال افريقيا ... ولم

يعد العمل الحاسم في البحر المتوسط الذي طالما ركزّنا آمالنا عليه ممكناً »[1].

أجل لقد فات « الباص » هتلر في البحر المتوسط ، اذا اعتمد على فرانكو « المتذبذب » ، وموسوليني « العاجز » وبتان « الخرف » . فلقد حلّت الكارثة بالحليف الايطالي في صحراء مصر ، وها هو يواجه في شهر كانون الأول، كارثة مماثلة في جبال البانيا التي تكسوها الثلوج ومثلت هذه الاحداث المشؤومة نقاط تحول في تاريخ الحرب ، وفي تاريخ الرايخ الثالث ايضاً . ولم تقع هذه الحوادث نتيجة ما عليه حلفاء المانيا واصدقاؤها من ضعف فحسب ، وانما نجحت ايضاً نتيجة عجز سيد الحرب النازي عن فهم السوقية الضخمة المتعلقة بحروب تشمل القارات ، وهي السوقية التي كانت المانيا في حاجة اليها ، والتي الحّ ريدر وحتى غورنغ بوجوب تفهمها .

فلقد حاول امير البحر الاكبر مرتين في شهر ايلول من عام ١٩٤٠ ، أولاهما في السادس منه والثانية في السادس والعشرين ، ان يفتح امام عقل الفوهرر آفاقاً جديدة ، وان يفهمه ان الهجوم المباشر على انكلترا بات مستحيلاً . وقد حاصر ريدر في الاجتماع الثاني زعيمه على انفراد ، دون ان يكون هناك ضباط من الجيش أو القوة الجوية ، ليقطعوا عليه حبل تفكيره ، وحاول في محاضرة طويلة ومستفيضة القاها على مسامع الزعيم عن السوقية البحرية ، افهامه اهمية التغلب على بريطانيا في اماكن اخرى تتجاوز حدود القناة الانكليزية ... ثم مضى يقول :

« ما زال البريطانيون يعتبرون البحر الابيض المتوسط ، كما اعتبروه دائماً ، محور امبراطوريتهم العالمية... وها ان ايطاليا التي يحيط بها السلطان البريطاني من كل ناحية ، تتعرض بشكل سريع لتغدو الهدف الرئيسي للهجوم ... وليس ثمة من شك في ان رفض الايطاليين عوننا يرمز الى انهم لم يدركوا حق الادراك بعد ما

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ١٣٥ - ١٣٦ .

يواجههم من اخطار . ومع ذلك ، على المانيا ان تشن الحرب على بريطانيا العظمى بكل ما تحت تصرفها من وسائل ، ودون أي ابطاء ، قبل ان تتمكن الولايات المتحدة من التدخل تدخلاً فعّالاً الى جانبها . ولهذا السبب وحده ، يجب حل معضلة البحر الابيض المتوسط في غضون اشهر الشتاء » .

ولكن كيف تحل هذه المشكلة ؟ ان امير البحر يحاول شرح ذلك بالحقائق والارقام ، فهو يقول :

« علينا ان نحتل جبل طارق . وعلينا ان نسيطر على جزر
« الكناريا بقوتنا الجوية .
« وعلينا ايضاً ان نحتل قناة السويس » .

وعاد ريدر يرسم بعد حديثه عن السويس صورة زاهية الألوان عما سيحدث من آثار منطقية :

« ومن الضروري ان نزحف من السويس عبر فلسطين وسوريا الى حدود تركيا . واذا ما وصلنا الى تلك النقطة، فإن تركيانفسها ستغدو تحت سيطرتنا . وآنذاك ستبدو لنا المشكلة الروسية من زاوية جديدة ... ويغدو من المشكوك فيه ان يصبح الزحف على روسيا من الشمال أمراً لازباً » .

وبعد ان تمكن ريدر من ان يطرد في افكاره البريطانيين من البحر الابيض المتوسط ، وان يسيطر على تركيا وروسيا ، مضى يكمل الصورة لزعيمه . فقد توقع وكان توقعه صحيحاً ، ان بريطانيا بتأييد مــن الولايات المتحدة وقوات ديغول ، ستحاول في النهاية ان تحصل على موطىء قدم لها في افريقيا الشماليــة الغربية ، كقاعدة تشن منها حربها المقبلة ضد المحور ، ولذا حث امير البحر على ضرورة قيام المانيا وفرنسة فيشي باحباط مثل هذه الخطة عن طريق ضمان بقاء هذه المنطقة ذات الاهمية السوقية لهما .

ويقول ريدر ان هتلر وافق مبدئياً على « اتجاه فكرته » بصورة عامــة ،

ولكنه اضاف بأنه يرى ضرورة لبحث جميع هذه القضايا أولاً مع كل من موسوليني وفرانكو وبتان .[1] وقد شرع فعلاً في مثل هذه المحادثات ، وان كان بعد لأي وتردد اضاعا عليه الكثير من الوقت الثمين . وقد اعد العدة لمقابلة الديكتاتور الاسباني في الثالث والعشرين من تشرين الأول ، وان يقابل بتان الذي كان يرئس الآن حكومة متعاونة مع المانيا في فيشي من اليوم التالي ، وان يجتمع الى الدوتشي بعد بضعة ايام من هذين الاجتماعين .

وكان فرانكو المدين بانتصاره في الحرب الأهليــة الأسبانية الى العون العسكري الضخم الذي تلقاه من ايطاليا والمانيا ، يحس كغيره من الديكتاتورين ، بشهية متعطشة الى الغنائم والأسلاب ، ولا سيما اذا تمكن من الحصول عليها دون ان تكلفه ثمناً باهظاً . وكان في شهر حزيران ، عندما تهاوت فرنسا ، قد سارع الى ابلاغ هتلر ، بأن اسبانيا على استعداد لدخول الحرب ، شريطة ان تحصل على القسم الأكبر من امبراطورية فرنسا الافريقية بما في ضمنها المغرب وغرب الجزائر[2] ، وشريطة ان تقوم المانيا بتزويد اسبانيـا بسخاء بالأسلحة والوقود والمواد الغذائية .[3] وقد جاء هتلر الآن ليتيح الفرصة لفرانكو لتحقيق وعده ، ووصل في قطاره الخاص الى بلدة «هنداي» الواقعة على الحدود الفرنسية ـ الاسبانية في الثالث والعشرين من تشرين الأول ، لكن احداثاً كثيرة وقعت بين عرض حزيران والمطالبة بالتحقيق في تشرين الاول ، ولعل أهمها صمود بريطانيا امام المانيـا . ولذا فقد قدر لهتلر ان يواجه مفاجأة غير سارة .

ولم يتأثر الاسباني الداهية بتبجح هتلر بأن «انكلترا قد هزمت هزيمة حاسمة» ، كما لم يقتنع بوعد هتلر بأن يعطي اسبانيا تعويضات اقليمية في افريقيـا الشمالية الفرنسيـة » الى الحد الذي يكون في الامكان التعويض على خسارة فرنسا من المستعمرات البريطانية » . ولكن فرانكو يريد الامبراطورية الفرنسية الافريقية

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ٩١ - ٩٧ ، ١٠٤ - ١٠٨ .
٢ – يبدو من هذا ان المطامع الاستعمارية واحدة عند جميع الدول الاستعمارية - المعرب .
٣ ـ وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٩) ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

كلها ، دون أية قيود أو شروط . وكان اقتراح هتلر ان تدخل اسبانيا الحرب في كانون الثاني عام ١٩٤١ ، ولكن فرانكو أشار الى الاخطار المترتبة على هـــذا العمل المتأخر . وأراد هتلر من الاسبانيين ان يهاجموا جبل طارق في العاشر من كانون الثاني بمساعدة اخصائيين من الألمان الذين اشتركوا في احتلال قلعة «ايبين ايمايل» البلجيكية من الجو . ورد فرانكو بشيء من الكبرياء الاسباني المعروف بأن الاسبانيين «وحدهم» ، هم الذين يجب ان يحتلوا جبل طارق . وهكذا ظل الديكتاتوران يتصارعان تسع ساعـــات . ويقول الدكتور شميدت الذي شهد المقابلة ايضاً ، ان فرانكو ظل يتكلم ، ويتكلم بصوت رتيب متصل، وسرعان ما تضايق هتلر واشتد ضيقه ، قافزاً حيناً ، كما فعل ذات مرة مـــع تشمبرلين ليهتف صارخاً انه لم يعد يرى فائدة من استمرار الحديث .[١]

وقال فيما بعد يروي لموسوليني التجربة القاسية التي مر بها مع الكوديلـّو . . « انني لأوثر أن أقلع ضرساً أو ضرسين أو ثلاثة أو اربعة من اضراسي ، على ان أمر بهذه المحنة مرة ثانيـة . »[٢]

وبعد تسع ساعات حان أثر انتهائها موعد العشاء مع هتلر في عربة طعامـه الخاصة، توقفت المحادثات تلك الليلة دون ان يتعهد فرانكو بصورة محددة بالدخول في الحرب . وترك هتلر وزير خارجيته ريبنتروب ليواصل تلك الليلة محادثاته مع سيرانو سونر وزير خارجية اسبانيا ، وليحاول اقناع الاسبانيين بتوقيع شيء ما على الأقل ، كاتفاق لاخراج البريطانيين من جبل طارق ، واغلاق البـاب الغربي للبحر الأبيض المتوسط امامهم . ولكن جميع محاولاتـــه ذهبت ادراج الرياح . وراح ريبنتروب يسب ويشتم فرانكو في الصباح التالي امـام ترجمانه

---

١ - شميدت - ترجمان هتلر . ص ١٩٦ . يقدم الترجمان وصفاً كاملاً إلى حد مـــا لما دار من ابحاث . أما ما ورد في كتاب وزارة الخارجية الأمريكية « الحكومة الاسبانية والمحور » فليس الا مقتطفات من هذه الوقائع . أما ايريك كوردت الذي شهد المحادثات فيعطي وصفاً اكثر تفصيلاً في مذكرته التي لم تطبع .

٢ - اوراق شيانو الدبلوماتية ص ٤٠٢ .

شميدت قائلا : « يا له من جبان ناكر للجميل . انه مدين لنا بكل شيء ، وها هو يحاول الآن التملص من الانضمام الينا » .[1]

وسارت مقابلة هتلر مع بيتان في بلدة مونتوار في اليوم التالي على نحو أفضل . ولعل السبب في ذلك ان المشير الانهزامي الخرف، بطل معركة فردان في الحرب الكونية الأولى والسبب المباشر في الاستسلام الفرنسي في الحرب الثانية قد وافق على تعاون فرنسا مع محتليها في آخر محاولة لارغام بريطانيا ، حليفتها السابقة ، على الركوع على قدميها . وقد وافق بالفعل على تدوين هذه الصفقة الغريبة خطياً :

« لدولتي المحور وفرنسا مصلحة مشتركة ومتماثلة في تحقيق هزيمة انكلترا في اسرع وقت ممكن . ولهذه الغاية فان الحكومة الفرنسية ستؤيد ضمن حدود طاقاتها وامكاناتها الاجراءات التي قد تتخذها دولتا المحور للوصول الى هذا الهدف . »[2]

وقد تقرر ان تعطى لفرنسا مكافأة لها على خيانتها هذه، « المكانة التي تستحقها في اوروبا الجديدة » كما ستعطى في افريقيا تعويضات يقدمها اليها الديكتاتوران الفاشيان من اراضي الامبراطورية البريطانية مقابل ما قد ترغم على التنازل عنه للدول الاخرى . وقد قرر الفريقان ابقاء هذا الاتفاق « سرياً للغاية »[3] .

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر ص ١٩٧ .

٢ ـ يوجد نص اتفاق مونتوار بين وثائق وزارة الخارجية الألمانية المصادرة ، ولكن وزارة الخارجية الامريكية لم تكن قد نشرت هذا النص عندما تم وضع هـذا الكتاب . لكن ويليام لانغر يروي في الصفحتين ٩٤ و ٩٥ من كتابه « مقامرتنا في فيشي » هذا النص كما استقاه من الوثائق الالمانية التي وضعتها وزارة الخارجية تحت تصرفه .

٣ ـ على الرغم من ان تشرشل وروزفلت كانا على جهل بمحتويات هذا الاتفاق السري الذي عقد في مونتوار ، الا انهما توقعا اسوأ شيء ممكن . وبعث ملك انكلترا عن طريق المبعوث الامريكي نداء شخصياً الى بتان طلب اليه فيه ان لا يقف ضد بريطانيا . وكانت الرسالة التي بعث بها الرئيس روزفلت الى المشير ، صارمة ، وقد صيغت في عبارات قاسية ، وحذره فيها من النتائج السيئة التي قد تؤدي اليها خيانة فرنسة فيشي لبريطانيا (راجع كتاب ويليام لا نغر ـ مقامرتنا في....

ولم يكن هتلر راضياً حتى عن هذه التساهلات الجوهرية وغير الشريفة . ويقول الدكتور شميدت ان هتلر طلب المزيد ، ولم يكن يقنعه شيء أقل من اشتراك فرنسا الفعلي في الحرب ضد بريطانيا . وعندما عاد الترجمان الرسمي مع الفوهرر في رحلته الطويلة الى ميونيخ ، وجده في حالة من خيبة الأمل والحزن للنتائج التي حققها في رحلته . وقد ازدادت هذه الحالة سوءاً في فلورنسا ، عندما وصل اليها في صباح الثامن والعشرين من تشرين الأول لمقابلة موسوليني .

وكان الديكتاتوران قد اجتمعا قبل ثلاثة اسابيع فقط أي في الرابع من تشرين الأول عند ممر برينتر . وكان هتلر كعادته دائماً قد تولى معظم الحديث ، مقدماً صورة مدهشة من صوره المألوفة التي يجوب فيها جميع الآفاق ، دون ان يذكر شيئاً عن ارساله قواته الى رومانيا التي تشتهيها ايطاليا ايضاً . وعندما وصل هذا النبأ الى مسامع الدوتشي بعد بضعة ايام ، هاج غاضباً ، وارغى وازبد لشيانو قائلاً :

« يواجهني هتلر دائماً بالأمر الواقع . وانني لعازم هذه المرة على ان ارد له الثمن بنفس العملة التي يستعملها . وستواجهه الصحف بالمفاجأة المذهلة ، وهي اننا احتللنا اليونان . وبهذه الطريقة سنتمكن من اعادة التوازن الى نصابه » .[1]

وكانت مطامح الدوتشي في البلقان لا تقل هوساً عن مطامح هتلر نفسه ، وكثيراً ما تتعارض معها ، مما حمل الألمان على تحذير رومه في منتصف شهر آب من اية مغامرات في يوغوسلافيا واليونان . ودوّن شيانو في يوميته بتاريخ السابع عشر من آب يقول : « انه اشبه ما يكون بالامر الكامل لنا للتوقف على طول الخط » . وعدل موسوليني لفترة ما على الاقل عن مشاريعه لاحراز مجد عسكري

::: فيشي ـ الصفحة ٩٧ . وقد سمح للاستاذ لانغر لاصدار هذا الكتاب بدارسة بعض الوثائق الألمانية التي لم تسمح الحكومتان البريطانية بنشرها حتى بعد عشر عاماً من صدور الكتاب) .

١ – يوميات شيانو ص ٣٠٠ .

جديد في البلقان وأكد ، عدوله هذا في رسالة ذليلة بعث بها الى هتلر في السابع والعشرين من آب . ولكن تلهفه الى فتح سهـــل وسريع في اليونان يعوّض به شيئاً عما اصاب سمعته من انهيار من جرّاء انتصارات شريكه المتألقة ، كان اغراءاً ضخماً للقيصر الفاشي المزهو بنفسه ، لم يستطع مقاومته ، على الرغم من انه لم يكن اكثر من مجرد سراب خادع كما اثبتت الحقائق ذلك .

وحدد في الثاني والعشرين من تشرين الأول اليوم الثامـــن والعشرين منه موعداً للقيـام بهجوم ايطالي مفاجىء على اليونان ، وراح في اليوم نفسه يسطر رسالة الى هتلر أرخها في التاسع عشر من تشرين الأول ، مشيراً فيها الى العمل الذي يتصور القيام به ، لافتاً اياه بالغموض عن طبيعة العمل وموعده . ودوّن شيانو في نفس اليوم في يومياته ان الدوتشي كان يخشى من ان يقوم « الفوهرر » باصدار أمره اليه بالامتناع عن هـذا العمل . وسمع هتلر وريبنتروب في طريق عودتهما من فرنسا في قطاريهما الخاصين بخطط موسوليني ، وتوقف وزير خارجية النازي بأمر من الفوهرر في أول محطـــة في المانيا ليهتف الى شيانو في رومه وليحثه على عقد اجتماع فوري لزعيمي المحور . واقـــترح موسوليني ان يعقد الاجتماع في فلورنسه في الثامن والعشرين من تشرين الأول ، وعندما نزل زائره الألماني من قطاره في صباح ذلك اليوم استقبله في المحطة وقد شمخ بأنفه وتألقت عيناه ببريق عجيب قائـلاً : « لقد بدأنا زحفنا ايهـــا الفوهرر ! إن الجنود الايطاليين الظافرين عبروا الحدود اليونانية — الالبانية في صباح هذا اليوم ».[1]

وتقول جميع الروايات ، ان موسوليني طرب كالاطفال لهـــذا العمل الذي اراد منه ان يثأر لنفسه من صديقه بالنسبة الى جميع المناسبات السابقة التي كان فيها الديكتاتور النازي قد زحف الى بلاد ما ، دون ان يأتمن حليفه الايطالي على السر قبل وقوعه . وهاج هتلر وماج . فهذا العمل الأهوج ضد عدو صعب

---

١ — تذكر ريبنتروب هذه الكلمات في شهادته امام محكمة نورمبرغ كما تذكرها شميدت في كتابه ترجمان هتلر — ص ٢٠٠ .

المراس في مثل هذا الوقت من السنة الذي يعتبر من اسوأ الاوقات يهدد بقلب الاوضاع في البلقان . وكان الفوهرر ، كما كتب لموسوليني فيما بعد ، قد طار الى فلورنسه ، أملاً في منع هذا العمل المتهور ، ولكنه وصل متأخراً ، وبعد فوات الأوان . ويقول شميدت الذي شهد المقابلة ان الزعيم النازي تمكن من السيطرة على غضبه . . . فقد روى في كتابه :

« ومضى هتلر الى الشمال بعد ظهر ذلك اليوم ، والمرارة تعصر فؤاده . لقد اصيب بخيبة الأمل ثلاث مرات ، الأولى في هيندايي والثانية في مونتوار وهذه الثالثة في ايطاليـــا . وكانت ذكريات هذه الرحلات الطويلة المجهدة ، تعود دائماً الى مخيلته في ليالي الشتاء الطويلة في السنوات القليلة الباقية مـــن حياته فتسبب له الألم ، وتحمله على توجيه اعنف اللوم الى هؤلاء الاصدقاء الناكرين للجميل والناكثين للعهود من شركاء المحور ومن الفرنسيين « المخادعين »[1].

وتحتم عليه الآن على أي حال ان يعمل شيئاً ليمضي في حربه ضد بريطانيا بعد ان استحال عليه غزوها . ولم يكد الفوهرر يعود الى برلـــين حتى كانت الحاجة الى العمل،قد تضاعفت عنده بسبب مهزلة جيوش الدوتشي في اليونان، فقد انقلب الهجوم الايطالي « الظافر » هناك الى هزيمة . ودعا هتلر في الرابع من تشرين الثاني الى مؤتمر حربي في دار المستشارية في برلين ، دعا اليه كلاً من براوختش وهولدر من قيادة الجيش ، وكايتل ويودل من القيادة العليا للقوات المسلحة . ويرجع الفضل الى يوميات هولدر والى نسخة مصادرة من تقرير يودل الى الاسطول ، في معرفة قرارات سيد الحرب ، التي ضمنها توجيهه الثامن عشر الذي اصدره في الثاني عشر من تشرين الثاني والذي عـثر على نصه بين وثائق نورمبرغ [2].

---

١ – شميدت – ترجمان هتلر . ص ٢٠٠ .

٢ – هولدر – يوميات بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٤٠ – تقرير يودل الى الاميرال شنايوبند في نفس التاريخ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ١١٢ - ١١٧ . والتوجيه الثامن عشر في « المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤٠٣ - ٤٠٧ » .

واتضح تأثير الاسطول الألماني على خطط هتلر السوقية ، كما اتضحت ضرورة القيام بعمل تجاه الحليف الايطالي المترنح . ولاحظ هولدر « افتقار الفوهرر الى الثقة » بالقيادة الايطالية . وقد تقرر على ضوء هذه النتيجة عدم ارسال قوات المانية الى ليبيا حتى تكون قوات المستر رودلفو غرازياني الايطالية التي كانت قد تقدمت ستين ميلاً داخل مصر باتجاه سيدي براني ، قد وصلت الى مرسى مطروح التي تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً على طول الشاطىء ، وهو ما لم يكن متوقعاً قبل عيد الميلاد ان وقع فعلاً . وتقرر في غضون ذلك اعداد بعض الخطط لايفاد عدد من طائرات الانقضاض الى مصر لمهاجمة الاسطول البريطاني في الاسكندرية وزرع الالغام في قناة السويس .

واعترف هتلر لقادته العسكريين بأن الهجوم الايطالي في اليونان كان عملاً من اعمال الطيش والرعونة التي يؤسف لها كل الأسف وعرضت مركز المانيا في البلقان الى خطر كبير . وقد تمكن البريطانيون باحتلالهم جزيرتي كريت وليمنوس من الفوز بقواعد جوية يستطيعون منها قصف حقول الزيت الروماني بسهولة ، كما تمكنوا بارسال قوات الى البر اليوناني من تهديد مركز الألمان في البلقان كله . ولمواجهة هذا الخطر أمر هتلر الجيش بأن يعد خططه فوراً لغزو اليونان عن طريق بلغاريا بقوة لا تقل عن عشر فرق وان يكون ارسالها عبر رومانيا اولاً . واضاف « انه يتوقع بأن تلتزم روسيا جانب الحياد » .

ولكن هتلر خصص جماع حديثه في مؤتمر الرابع من تشرين الثاني والقسم الاكبر من توجيهه الثامن عشر الذي صدر بعد المؤتمر ، لموضوع تحطيم مركز بريطانيا في غرب البحر المتوسط ، فقد ورد في التوجيه ما يلي :

« يجب احتلال قاعدة جبل طارق ، واغلاق مضيقها .

« ومن الواجب منع البريطانيين من الحصول على موطىء قدم آخر في أية نقطة في شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا والبرتغال) أو جزر الاطلسي القريبة منها » .

وتقرر اطلاق اسم « فيلكس » الرمزي على عملية الاستيلاء على جبل

طارق وجزر الكناريا الاسبانية وجزر الرأس الاخضر البرتغالية . وعهد الى الاسطول بدراسة احتمال احتلال جزر ماديرا والآزور البرتغالية ايضاً . وقد تضطر المانيا الى احتلال البرتغال نفسها . وتقرر ان يطلق على هذه العملية الاسم الرمزي « ايزابيلا » ، وان يعهد الى ثلاث فرق المانية يجري حشدها على الحدود الاسبانية البرتغالية بتنفيذ هذه المهمة .

وتقرر اطلاق سراح بعض وحدات الاسطول الفرنسي للسماح لقسم من قواتها لتتمكن فرنسا من الدفاع عن ممتلكاتها في شمال غربي افريقيا ضد البريطانيين وضد ديغول . ومضى هتلر يقول في توجيهه « ومن هذه المهمة التمهيدية يمكن تطوير اشراك فرنسا في الحرب ضد انكلترا » .

وقد مضت خطط هتلر الجديدة ، كما اوضحت للقادة العسكريين في اجتماع الرابع من تشرين الثاني وحددت في التوجيه الصادر بعد اسبوع ، في سرد التفاصيل الحربية الدقيقة ولا سيما بصدد قيام الألمان بتوجيه ضربة جريئة لاحتلال جبل طارق . ويبدو ان هذه الخطط قد اثرت كل التأثير على القادة العسكريين الذين رأوا فيها الدهاء والجرأة مجتمعين . ولكن هذه الاجراءات كانت ناقصة في الواقع ، ولم يكن ممكناً ان تحقق اهدافها ، واستندت الى حدٍ ما الى خداعه لفرقائه العسكريين . فلقد اكد لهم في الرابع من تشرين الثاني ، كما دوّن هولدر في يومياته ، انه تلقى قبل قليل وعداً جديداً من فرانكو بدخول الحرب « وهو ما لم يقع مطلقاً » ، كما روينا قبل قليل . وليس ثمة من شك في ان الاهداف التي حددت باخراج البريطانيين من البحر الأبيض المتوسط كانت سليمة ، ولكن القوات التي عهد اليها باتمام المهمة لم تكن كافية ، ولا سيما بالنظر الى ما هي عليه ايطاليا من ضعف .

وقد بينت هيئة اركان البحرية هذه الحقيقة بمذكرة شديدة اللهجة سلمها امير البحر ريدر الى هتلر في الرابع عشر من تشرين الثاني [1] واشار الضباط

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية -(١٩٤٠) ص ١٢٥ .

البحريون في مذكراتهم الى ان الكارثة الايطالية في اليونان بعد ان صدت القوات الايطالية الى البانيا ، وكانت لا تزال تتراجع حتى ذلك التاريخ ، لم تحسن مركز بريطانيا السوقي في البحر الابيض فحسب ، بل قوّت من سمعة بريطانيا ومركزها في جميع انحاء العالم . واضافوا يقولون بصراحة لهتلر : « اما بالنسبة الى الهجوم الايطالي على مصر ، فان ايطاليا لن تتمكن أبداً من تحقيق الهجوم العام في مصر . والقيادة الايطالية في وضع تعس للغاية . اذ انها لا تفهم شيئاً عن الموقف . ولا تحظى القوات الايطالية المسلحة بالقيادة او الكفاية العسكرية اللتين تتمكن عن طريقهما من القيام بالعمليات المطلوبة في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، والوصول بها الى نتيجة ناجحة بالسرعة والحسم المطلوبين » .

وانتهت مذكرة البحرية الى القول بأن على المانيا والحالة هذه ان تحمل اعباء هذه المهمة على عاتقها . ومضت تحذر هتلر قائلة بأن «القتال في المنطقة الافريقية هو الهدف السوقي الأول للحرب الألمانية في مجموعها ... وليس ثمة من شك في ان هذا القتال ذو اهمية حاسمة بالنسبة الى نتيجة الحرب كلها » .

لكن الديكتاتور النازي لم يقتنع بهذا القول . فلقد عجز طيلة الوقت عن تصور اهمية الحرب في البحر الأبيض المتوسط وشمال افريقيا ، ولم يعتبرها إلا ثانوية بالنسبة الى هدفه الرئيسي . وعندما شرح امير البحر ريدر له في اجتماعهما في الرابع عشر من تشرين الثاني مفاهيم البحرية السوقية ، رد هتلر بأنه « لا يزال ميالاً الى عرض قوته العسكرية في روسيا » ،[1] وكانت هذه الرغبة قد تقوّت لديه في ذلك اليوم بصورة فاقت ما أحس به في أي وقت ، اذ كان مولوتوف ، قد غادر برلين قبل قليل من ذلك الصباح بعد ان اثار حنق الفوهرر وسخطه . وعندما قام امير البحر بمقابلة الزعيم بعد يومين من انتهاء عيد الميلاد ، ليرفع اليه تقريراً عن الطريقة التي تأخر الألمان فيها عن اللحاق « بالباص » في

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤٠) ص ١٢٤ .

البحر الأبيض المتوسط لم يحس هتلر باضطراب زائد ، أو ازعاج فوق العادة . ولم يُلق اذناً صاغية لأقوال ريدر بأن انتصار البريطانيين على الايطاليين في مصر [1] وتزايد المعونة المادية التي تتلقاها من امريكا يتطلبان تركيز جميع موارد المانيا لارغام بريطانيا على الركوع ، كما يتطلبان تأجيل عملية «بربروسة» الى ان يتم دحر بريطانيا وهزمها .

وقال هتلر لأمير بحره : « من واجبنا بالنظر الى التطورات السياسية الراهنة ، وخاصة الى تدخل روسيا في شؤون البلقان ، ان نقضي مهما كان الثمن على آخر عدو لنا في القارة الأوروبية قبل ان نشتبك في المعركة الفاصلة مع بريطانيا » . وقدر له منذ هذه اللحظة حتى نهايته المرة ان يتمسك تمسكاً

---

١ - كانت قوة بريطانية صحراوية مفككة العرى قد تمكنت في هذا الوقت من اخراج قوات ايطالية تبلغ ثلاثة اضعافها من الاراضي المصرية بعد ان أسرت نحواً من (٣٨) الف ايطالي دون ان تخسر إلا (١٣٣) قتيلاً و (٣٨٨) جريحاً وثمانية مفقودين . وقد تألفت القوة البريطانية المهاجمة من فرقة مدرعة واحدة ، وفرقة هندية من المشاة ، ولواءين بريطانيين من المشاة وكتيبة دبابات ملكية بمجموع تعداد جنودها كلها لا يربو على الواحد والثلاثين الفاً . وكان الهجوم البريطاني المضاد بقيادة الفريق السير ارشيبالد ويفل قد بدأ في السابع من كانون الأول ، وتمكن في اربعة ايام من الحاق الهزيمة بقوة المشير غرزياني . وتحول الهجوم المضاد المحدود الذي بدأ في خمسة ايام الى هجوم عام دام حتى السابع من شباط ، تمكن الجيش البريطاني في غضونه من الاندفاع عبر برقة كلها مسافة نحو من خمسمائة ميل ومن ابادة جيش ايطالي كامل يضم عشر فرق في ليبيا ، بعد ان أسر (١٣٠) الف ايطالي ، ومن الاستيلاء على (١٢٤٠) مدفعاً وخمسمائة دبابة دون ان يخسر إلا خمسمائة قتيل و (١٣٧٣) جريحاً وخمسة وخمسين مفقوداً . ويقول الكاتب البريطاني العسكري المعروف الفريق جي.اف.فولر ، « ان هذه الحملة من أغرب ما شهده تاريخ الحروب من حملات». (فولر - الحرب العالمية الثانية ص٩٨).

وتلقى الاسطول الايطالي ايضاً ضربة قاتلة . فقد قامت القاذفات البريطانية من حاملة الطائرات «الستريوس» التي كان السلاح الجوي الألماني قد ادعى اغراقها من قبل ، في ليلة الحادي عشر - الثاني عشر من تشرين الثاني بمهاجمة وحدات الأسطول الايطالي الراسية في ميناء تارانتو وعطلت عن العمل لمدة اشهر ثلاث بوارج وطرادين . وبدأ شيانو يوميته في الثاني عشر من الشهر المذكور قائلاً : « حقاً انه ليوم أسود. لقد اغرق البريطانيون دون انذار الدارعة كافور والحقوا اضراراً خطيرة بالبارجتين ليتوريو ودويليو »

اعمى بهذه الفكرة السوقية الجوهرية .

ووعد هتلر ترضية منه لقائده البحري «ان يعاود الكرة للتأثيرعلى فرانكو» وذلك ليحقق هجومه على جبل طارق، ويغلق البحر الأبيض المتوسط في وجه الاسطول البريطاني . ولكنه كان في الحقيقة قد تخلى عن هذه الفكرة كلياً . واصدر في الحادي عشر من كانون الأول بمنتهى الهدوء أمراً يقضي « بالعدول عن عملية فيلكس ، اذ ان الاوضاع السياسية التي اقتضتها لم تعد قائمة » . ولكنه ما عتم تحت إلحاف قيادة اسطوله والحاح الايطاليين بالتشديد على فرانكو ، ان بذل محاولة أخيرة ، رغم ما فيها من الم شخصي له . ووجه في السادس من شباط عام ١٩٤١ رسالة مطولة الى الديكتاتور الاسباني قال فيها :

« ارى من الواجب ايها الكوديلو، ان اوضح لك شيئاً واحداً، وهو اننا نخوض معركة الحياة او الموت ، وان ليس في وسعنا في الحاضر ان نغدق الهبات والهدايا ...

وليس ثمة من شك في ان المعركة التي تخوضها المانيا وايطاليا الآن ، ستقرر مصير اسبانيا ايضاً . ولا يمكن لعهدك في اسبانيا ان يستمر إلا اذا انتصرنا في هذه المعركة . » [1]

ومن سوء حظ المحور ، ان هذه الرسالة وصلت الى الكوديلو (لقب اسباني يطلق على فرانكو) ، في نفس اليوم الذي اتم فيه البريطانيون محو آخر ما تبقى من قوات المشير غرازياني في برقة الى الجنوب من بنغازي . ولم يكن من المستغرب والحالة هذه ،ان يقول فرانكو عندما شرع يرد على هتلر في السادس والعشرين من شباط عام ١٩٤١ ، بعد تأكيد « ولائه المطلق » للمحور ، ان التطورات التي وقعت مؤخراً ، قد نسخت اوضاع تشرين الاول ، وبات التفاهم الذي تم في ذلك الحين بينه وبين الفوهرر « شيئاً باطلاً فات وقته » .

وأقر هتلر هذه المرة ، وهي واحدة من مرات قليلة فى حياته العاصفة

---

١ - الحكومة الاسبانية والمحور ص ٢٨ - ٣٣ .

بالهزيمة. وراح يكتب لموسوليني قائلاً «ان زبدة ما تضمنته ثرثرة الاسباني المزعجة هو ان اسبانيا لا تريد ان تدخل الحرب ولن تدخلها . وليس ثمة من شك في ان هذه الحقيقة مزعجة كل الازعاج ، لأنها تعني ان امكانية توجيه ضربـة الى بريطانيا بأسهل سبيل قائم ، في ممتلكاتها الافريقية ، قـد زالت من الوجود مؤقتاً » .

وكانت ايطاليا لا اسبانيا ، هي مفتاح هزيمة بريطانيا في البحر المتوسـط ، ولكن وضع الامبراطورية الايطالية المتهاوية لم يكن كافياً لمواجهة هـذه المهمة وحده ، ولم يكن هتلر نفسه حكيماً الى الحد الذي يدفعه الى ان يقدم اليهـا الوسائل التي يملكها ، لتحقق هذه المهمة . وقد اعترف الآن ان احتمال توجيـه الضربة الى بريطانيا اما مباشرة عبر القناة الانكليزية ، أو بصورة غير مباشرة، عبر البحر المتوسط الأوسع مدى ، قد زال من الوجود « في الوقت الحاضر » . وعلى الرغم مما في هذه الحقيقة من مرارة وخيبة أمل ، إلا ان مجرد الاعتراف بها قد خلق راحة نفسية لهتلر ، اذا كان في وسعه الآن ان يستدير بجماع اهتمامه الى نواح اقرب الى عقله وقلبه من غيرها .

وعقد في الثامن والتاسع من كانون الثاني عام ١٩٤١ ، مجلساً حربيـاً في « عش النسر » فوق برختسغادن ، الذي كانت الثلوج تغطيه في هذا الوقت من السنة . ويبدو ان هواء الجبال قد انعشه وصفّى تفكيره ، وراح من جديد كما توضح التقارير السرية المطوّلة التي وضعها امير البحر ريدر والفريق هولدر [١] عن الاجتماع ، يجول بافكاره آفاقاً واسعة ، وهو يحدد خططه السوقية العظمى لقادته العسكريين . وقد استعاد في هذه الجولات الضخمة تفاؤله . اذ دوّن ريدر قائلاً :

« يبدو الفوهرر على يقين من ان الوضع في اوروبا لا يمكن ان

---

١ - يوجد تقرير ريدر في « مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤١) ص ٨ - ١٣ . اما هولدر فلم يدون ما دار في اجتماعات هذين اليومين حتى السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٤١ .

يتطور تطوراً غير موات لالمانيا حتى ولو خسرنا افريقيا الشمالية كلها . وقد بات موقفنا في اوروبا وطيد الاركان الى الحد الذي يضمن ان لا تكون النتائج ضد مصلحتنا ... ولا يمكن لبريطانيا ان تأمل في كسب الحرب إلا اذا هزمتنا في القارة الأوروبية . ويؤمن الفوهرر ايماناً جازماً بأن هذا مستحيل كل الاستحالة » .

وقد اعترف بأن غزو بريطانيا المباشر « لا يمكن ان يتحقق إلا اذا شلت هذه عن الحركة الى حد كبير ، وإلا اذا احرزت المانيا التفوّق الجوي الكامل ، واضاف ان على الاسطول والقوة الجوية ان يركزا على مهاجمة طرقها الملاحية ومداخلها لقطع التموينات عنها . وهو يعتقد ان مثل هذه الهجمات « قد تؤدي الى النصر في موعد لا يعدو تموز أو آب القادمين » . ومضى يقول ان على المانيا في غضون ذلك ، « ان تقوي نفسها تقوية كلية على القارة الأوروبية بحيث تتمكن من ان تقود حرباً أخرى ضد انكلترا (وامريكا ايضاً) » . ولا ريب في ان ورود اسم امريكا ، للمرة الأولى في الوثائق الألمانية المصادرة ، مهم كل الاهمية ، اذ دلل على ان هتلر بات يواجه في مستهل عام ١٩٤١ ، احتمال دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضده .

وتناول سيد الحرب النازي بعد ذلك ، المناطق السوقية المختلفة ، محللاً مشاكلها ، وما يعتزم عمله تجاهها . ودوّن ريدر في مذكراته قائلاً :

« يرى الفوهرر أن من الأمور الجوهرية بالنسبة الى نتيجة الحرب ، ان لا تنهار ايطاليا ... ولهذا فهو عازم على الحيلولة دون خسارتها لشمال افريقيا ... اذ ان هذه الخسارة تؤدي الى اصابة سمعة المحور ، بضربة شديدة ... ولهذا فقد قرر ان يقدم لايطاليا عونه » .

وعندما وصل الى هذه النقطة ، راح يحذر قادته العسكريين من البوح بالخطط الالمانية المقبلة وقال :

« انه لا يرغب في ابلاغ الايطاليين حقيقة خططنا . فهناك

خطر كبير ماثـــل في ان الاسرة الايطالية المالكة تقوم بنقل المعلومات الى بريطانيا » .

واعلن هتلر ان العون لايطاليا سيتألف من تزويدها ببعض الوحدات المضادة للدبابات وبعض اسراب الطائرات الألمانية ، لإرسالها الى ليبيا . ولعل ما هو أهم من هذا، قراره بإيفاد فيلق الماني يضم فرقتين ونصف الفرقة لدعم الايطاليين المتراجعين في البانيا ، التي شرع اليونانيون يزحفون داخلها . واضـــاف ان من الواجب وضع « عملية ماريتا » [١] موضع التنفيذ الآن . ولهـذا يتوجب نقل القوات من رومانيا الى بلغاريا فوراً ، بحيث يغدو في الامكان البدء بعملية ماريتا في السادس والعشرين من آذار . وتحدث هتلر باسهاب ايضاً عن الحاجة الى المضي في « عملية اتيلا » ، وهي من العمليات التي تحمل اسماء رمزية والتي لا حد لهـا ولا حصر . وكان قد حدد هذه العملية في توجيهه في العـاشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ . وهي تقضي باحتلال ما تبقى من فرنسا ، والاستيلاء على الاسطول الفرنسي في طولون . وقد رأى هتلر الآن ان من الواجب تنفيذ هـذه الخطة فوراً . « فإذا ما ابدت فرنسا بعض المعارضة أو الإزعاج ، فمن الواجب سحقها سحقاً كاملاً » . وكان هذا الرأي خرقاً فاضحاً لاتفاق هدنة كومبيين ، ومـع ذلك لا نرى فيما كتبه هولدر أو ريدر ، أي فريق عسكري أو امير بحر ، يثير هذا الموضوع أو يعترض عليه .

وفي هذا المؤتمر العسكري نفسه ، اطلق هتلر على ستالـين لقب « البلطجي المتعمّد » ، وابلغ قادته العسكريين وجوب ارغام روسيا على الركـــوع على ركبتيها « في اسرع وقت ممكن » ... ومضى هتلر يقول :

« واذ قدر للولايات المتحدة وروسيا ان تدخلا الحرب ضـد

---

١ ـ حددت عملية ماريتا في التوجيه العشرين الذي صدر في الثالث عشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ . وتقضي هذه العملية بتجميع جيش يضم اربعاً وعشرين فرقة في رومانيـــا والزحف بها على اليونان عبر اراضي بلغاريا ، حالما يتحسن الطقس لتحقيق هذه العملية ، وقد وقـع هتلر نفسه هذا التوجيه . (المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ١٠١ ـ ١٠٣) .

المانيا (كانت هذه هي المرة الثانيـــة التي يشار فيها الى احتمال دخول امريكا) ، فإن الموقف يغدو معقداً للغاية . ومن هنا تنشأ الضرورة لازالة كل خطر قد ينجم من هذا الاحتمال منـذ البداية . واذا تمكنا من القضاء على الخطر الروسي، بات في وسعنا ان نخوض الحرب ضد بريطانيا الى أجل غير مسمى . واذا انهارت روسيا ، فإن انهيارها ، سيريح اليابان راحة كبرى ، ويؤدي هـذا بدوره الى تزايد الخطر على الولايات المتحدة . »

كانت هذه هي افكار الديكتاتور النازي في مطلع عام ١٩٤١ عن الخطط السوقية العالمية . وما لبث ان ضمّن هذه الافكار في توجيهه الثاني والعشرين ، الذي اصدره في الحادي عشر من كانون الثاني أي بعد يومين من انتهاء المؤتمـر العسكري . وتقرر ان تتحرك النجدات الألمانية الى طرابلس بموجب « عملية عبّاد الشمس » (Sunflower) وان تتحرك الى ألبانيا بموجب عملية « الزنابق الالبية »[1] (Alpine Violets) .

العالم يقف لاهثاً متقطع الانفـاس

استدعى هتلر موسوليني للمثول أمامه في عش النسر في يومي ١٩ و ٢٠ كانون الثاني ولم يكن هذا ميالاً الى تلبية الدعوة والقيام بالرحلة ، بعـد ان حطمته وأذلته المتاعب التي واجهتها قواتـه في مصر واليونان . ورآه شيانو « متجهم الوجه شديد العصبية » عندما استقل قطاره الخاص، وقد سيطرت عليه الخشية من ان يجد هتلر وريبنتروب والفرقاء الألمان في موقف مهين له . وقد استصحب الدوتشي معه ليزيد الأمور سوءاً الفريق الفريدو غوزوني مساعد رئيس هيئـة اركان الحرب الذي وصفه شيانو في يومياته بأنه رجل عادي مكتنز البطن ،

١ ـ نص التوجيه (٢٢) والأوامر التكميلية التي تذكر الأسماء الرمزية للعمليـات في المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٤١٣ ـ ٤١٥) .

مضبوغ الشعر ، ورأى ان في تعريفه الى الألمان مذلة ومهانة لايطاليا .

ودهش موسوليني وسري عنه ، عندما وجد هتلر ، الذي جـاء لاستقباله على رصيف محطة توش الذي تكسوه الثلوج ، جم التهذيب والدماثة ، لا يفوه بحرف واحد من التأنيب لسجل ايطاليا الحزن في ميادين القتـــال . ودوّن شيانو في يومياته ايضاً ، انه وجد مضيفه في حالة مزاجية معادية لروسيا اشد العداء . وظل الفوهرر زهاء ساعتين في اليوم الثاني يحاضر ضيوفـه الايطاليين وحشداً من القادة العسكريين من البلدين . ويؤيد تقرير سري اعده الفريـق يودل [1] ان الفوهرر على الرغم من توقه لمساعدة الايطاليين في البانيا وليبيا ، كان يركز افكاره بصورة رئيسية على روسيا . اذ قال :

« انا لا ارى كبير خطر من امريـــكا حتى ولو دخلت الحرب ضدنا . أما الخطر الاكبر فيمثل من قوة روسيا الضخمة . وعلى الرغم من اننا نملك اتفاقات اقتصادية وسياسية مواتية مع روسيا إلا اني اوثر الاعتماد على وسائل العنف القائمة تحت تصرفي . »

وعلى الرغم من اشارته الى ما ينتوي فعله « بوسائل العنف » الا انه لم يفصح عن حقيقة خططه لشريكه . لكن الإعداد لاستخدام هذه الوسائل كان قد قطع شوطاً بعيداً الى الحد الذي مكن رئيس هيئة اركان حرب الجيش من تقديم تفاصيل الخطط التي وضعها لقائده الأعلى في جلسة عقدت في برلين بعد اسبوعين .

وقد استغرق هذا المؤتمر العسكري الذي عقد ظهر اليوم الثالث من شهر شباط ، والذي شهده كبار فرقاء القيادة العليا للقوات المسلحة والقيادة العامـة للجيش نحواً من ست ساعات . وعلى الرغم من ان الفريق هولدر ، الذي قدم خطط هيئة اركان حرب الجيش الى الفوهرر ، قد ادعى فيما بعد في كتابـه [2]

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٣٩ - ٩٤٦

٢ – هولدر ـ هتلر كقائد ميدان ص ٢٢ ـ ٢٤

أنه وبروأخاش قد اثارا الشكوك في موضوع تقديراتها للقوة العسكرية السوفياتية، وعارضا بصورة عامة في عملية « بربروسة » على اعتبار انها مغامرة ، الا ان يومياته التي دوّنها في تلك الليلة نفسها أو الوثائق المدونة للقيادة العليا للقوات المسلحة والمتناهية في السرية عن الاجتماع [١] ، لا تؤيد هذه المزاعم مطلقاً .
وتظهر هذه الوثائق في الحقيقة عكس هذا الادعاء ، فقد روت ان هولدر عرض في مستهل الاجتماع تقييماً اشبه ما يكون بالتقييم التجاري عززه بالارقام للقوات الحربية المتعارضة ، ذاكراً ان قوات العدو تبلغ نحواً من (١٥٥) فرقة وان قوة المانيا ستعادل زهاء هذا العدد تقريباً ، ولكنها تتفوق في « الكيف » والكفاية تفوقاً كبيراً . وعندما حلت الكارثة فيما بعد تبيّن لهولدر وزملائه من الفرقاء ان معلوماتهم عن قوة الجيش الاحمر كانت خاطئة تماماً . ولكنهم في الثالث من شباط عام ١٩٤١ لم يشكوا مطلقاً في صحة هذه المعلومات . اذ كانت تقارير هولدر عن القوى المتقابلة وعن الخطط السوقية التي يجب تطبيقها لمحو الجيوش الحمراء من الوجود دقيقة الى حد الاقناع [٢] ، حتى ان هتلر نفسه لم يكتف بالموافقة عليها « في مجموعها » فحسب ، بل اشتد تأثره من الآمال البراقة التي اثارها في مخيلته رئيس هيئة اركان الحرب ، وراح يهتف بحماس :

« عندما تبدأ عملية بربروسة ، فسيقف العالم لاهثاً مقطع الأنفاس لا يحير تعليقاً أو قولاً من الدهشة . »

ولم يكن في وسعه ان ينتظر متمهلاً هذه البداية ، وانما راح يصدر أمره بفراغ صبر باعداد خريطة العملية وخطة توزيع القوات وارسالها اليه في اسرع وقت ممكن .

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان ص ٦٢٦ - ٦٣٣ .

٢ - اعتمدت الخطط السوقية بصورة جوهرية على تلك التي حددها التوجيه الواحد والعشرون الصادر في الثامن عشر من كانون الأول عام ١٩٤٠ . وعاد هتلر في تعليقاته التي قدمها لبراوختش وهولدر يؤكد اهمية « ابادة قسم كبير من قوات العدو » بدلاً من ارغامها على التراجع . وقد اكد ايضاً ان الهدف الرئيسي يجب ان يكون الاستيلاء على دول البلطيق وعلى مدينة لينينغراد .

مقدمة في البلقـــان

كان من الضروري لهتلر قبل ان يبدأ عملية بربروسة في الربيع ان يؤمن جناحه الجنوبي الممتد في البلقان وان يثبت دعائمه . ولم يحل الاسبوع الثـــالث من شهر شباط عام ١٩٤١ حتى كان الألمان قد جمعوا جيشاً ضخماً في رومانيا قوامه نحو من (٦٨٠) الف رجـــل ، يقف على حدود اوكرانيا التي تمتد ثلاثمائة ميل بين الحدود البولندية والبحر الأسود.[١] فإلى الجنوب كانت اليونان لا تزال صامدة امام الايطاليين ، وكان ثمة كل ما يبرر لبرلين اعتقادها بأن القوات البريطانية ، العاملة في ليبيا ستنقل الى اليونان بحراً . وتكشف وقائع المؤتمرات العسكرية المديدة التي عقدها هتلر في هذه الآونة النقـاب عن خشيته آنذاك ، من ان يقيم الحلفاء جبهة الى الشمال من سلانيك تكون اكثر ازعاجاً لألمانيا من الجبهة المماثلة التي حاولوا اقامتها في الحرب الكونية الماضية ، اذ تتيح للبريطانيين قاعدة تمكنهم من ضرب آبار الزيت الرومانية . يضاف الى هذا ان مثل هذه الجبهـة ستشل عملية بربروسة . وكان هتلر قد توقع هذا الخطر منذ كانون الأول عام ١٩٤٠ ، عندما صدر التوجيه الأول لعملية ماريتا الذي نص على قيام هجوم الماني ضخم على اليونان عبر بلغاريا بقوات يحشدها في رومانيا .

وقد عادت بلغاريا اليوم الى نفس الخطأ الذي وقعت فيه إبان الحرب الكونية الأولى في تقدير الجانب الذي سينتصر في الحرب . وصدقت الحكومة البلغـارية ادعاءات هتلر بأنه قد كسب الحرب ، وأثملتها الآمـــال بالحصول على اراضٍ يونانية الى الجنوب تتيح لهـــا منفذاً الى بحر ايجه ، فسارعت الى الموافقة على الاشتراك في عملية ماريتـا ، الى المدى الذي تسمح فيه بعبور القوات الالمانية لاراضيها على الأقل . وعقد اتفاق سري في هذه الخطوة .[٢] وفي ليلة الثـامن

---

١ ـ العلاقات النازية السوفياتية ص ٢٧٥

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٢٧٢ - ٢٧٥

والعشرين من شباط عبرت وحدات من الجيش الالماني نهر الدانوب من رومانيا، وتركزت في مواقع ذات أهمية سوقية في بلغاريا التي انضمت في اليوم التالي الى الميثاق الثلاثي .

ولم يكن اليوغوسلافيون المتصلبون على هذا النحو من التساهـل . ولكن عنادهم حفز الألمان على المزيد من الضغط عليهم لارغـــامهم على الانضمام الى معسكرهم . واستدعي الوصي على عرش يوغوسلافيا الامير بول ليلة الرابـع - الخامس من آذار بصورة متناهية في السرية الى عش النسر لمقابلة الفوهرر، حيث استمع الى التهديدات المألوفة، مع اغرائه بمدينة سلانيك كرشوة لبلاده. ووصل الى فيينا في الخـامس والعشرين من آذار دراغيشا شفيتكوفيش رئيس وزراء يوغوسلافيا والكساندر سينكار - ماركوفيتش وزير خارجيتها بعد ان انسلا بصورة سرية في الليلة الفائتـة من بلغراد تجنباً للمظاهرات المعـــادية او لخطر اختطافهما ووقعا بحضور الفوهرر وريبنتروب وثيقة انضمام بلادهما الى الميثـاق الثلاثي . وقد طرب هتلر لهذا التطور وراح يبلغ شيانو انه أي التطور سيساعد هجومه المتوقع على اليونان . وتلقى الوزيران اليوغوسلافيان قبل مغادرتهما فيينا رسالتين من ريبنتروب يؤكد فيهما «عزم» المانيا على احترام «سيادة يوغوسلافيا وسلامة اراضيها في جميع الظروف والأحوال » ، ووعدها بأن لا يطلب المحور حقوق العبور لقواته داخل اراضي يوغوسلافيا « طيلة ايام الحرب » .[1] ولكن هتلر ما لبث ان خرق هذين الاتفاقين في وقت اعتبر قياسياً في سرعته حتى بالنسبة الى هتلر نفسه .

ولم يكد الوزيران اليوغوسلافيان يعودان الى بلغراد ، حتى اطاح بهما وبالحكومة وبالأمير الوصي انقلاب عشية السادس والعشرين من آذار، قامت به الجماهير واعلن الانقلابيون ارتقاء ولي العهد الشاب الأمير بطرس الذي نجـا من

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (١) ص ٧٨٣ ، نص الرسالتين اللتين سلمها ريبنتروب الى الوزيرين اليوغوسلافيين .

مراقبة أعوان الوصي ، بتسلله من القصر هابطاً على احدى انابيب المياه ، على العرش ، وعلى الرغم من ان الفريق دوشان سيموفيتش زعيم العهد الجديد ، قد عرض فور توليه مقاليد الحكم على المانيا عقد ميثاق لعدم الاعتداء،الا انه اتضح لبرلين ان هذا العهد ، لن يقبل مطلقاً تمثيل دور «الدمية » الذي أعده الفوهرر ليوغوسلافيا ، وأظهر الصربيون حقيقـة ميولهم وعواطفهم اثناء مظـاهرات الفرح الصاخبة التي قاموا بها في بلغراد، عندما بصقت الجماهير على سيارة الوزير الالماني المفوض .

واطاح انقلاب بلغراد بالفوهرر في نوبة من اشد النوبات التي تعرض لها في حياته غضباً وهياجاً . واعتبره إهانة شخصية له ، واتخذ في سورة غضبه سلسلة من القرارات المفاجئة التي قدر لها ان تكون مفجعة لطوالع الرايخ الثالث .

وراح هتلر يستدعي قادته العسكريين الى دار المستشارية في برلين في السابع والعشرين من آذار . وقد عقد هـذا الاجتماع بصورة عاجلة وغير متوقعة حتى ان براوختش وهولدر وريبنتروب ، وصلوا اليـه متأخرين ليشهدوا زعيمهم وهو يتأجج سخطاً على اليوغوسلافيين مقرراً الثأر منهم فوراً . وقال ان انقلاب بلغراد ، يعرض للخطر عملية ماريتا ، وعملية بربروسة ايضاً . ولهذا فقد قرر دون ان ينتظر أية بيانات محتملة من الحكومـة اليوغوسلافية الجديدة للاعراب عن ولائها ، تحطيم يوغوسلافيا عسكرياً ، وكدولة لها وجود . ولن يقوم بأية اتصالات أو تحقيقات دبلوماتية ، كما لن يوجه اية انذارات ، واضاف ان من الواجب تحطيم يوغوسلافيا « بمنتهى القسوة والصرامة » . واصـدر أمره الى غورنغ فوراً وعلى التو « بتدمير بلغراد بغارات جوية في موجات متعاقبة »تقوم بها قاذفات تعمل من القواعد الجوية المجرية .واصدر توجيهه الخامس والعشرين [1] الذي يقضي بغزو يوغوسلافيا فوراً ، واوعز الى كايتل ويودل بإعـداد الخطط

---

١ - يوجد نص جزئي للتوجيه الخامس والعشرين في المؤامرة النازية والعـدوان (٦) ص ٩٣٨ - ٩٣٩ .

الحربية اللازمة للتنفيذ تلـك الليلة نفسها . وأمر ريبنتروب بابلاغ كل من المجر ورومانيا وايطاليا بأنها ستحصل على شطر من الأراضي اليوغوسلافية ، التي قرر تجزئتها بين هذه الدول الثلاث . باستثناء مساحة ضيقة قرر ان يقـيم فيها دويلة كرواتية « تابعة » له . [1]

واعلن هتلر عند ذاك. كما تشير فقرة « وضعت خطوط تحتها للتأكيد عليها » وردت في الوقائع السرية للغاية الـتي دونتها القيادة العليا للقوات المسلحة . [2] قراراً يعتبر اكـثر قراراته تلك الليلة خطورة وقدرية . فقد ذكر لقادته العسكريين « ان من الواجب تأخير موعـد البدء بعملية بربروسة مدة اربعة اسابيع . » [3]

ولعل هذا القرار الذي اتخذه سيد الحرب النازي بتأجيل هجومه عـلى روسيا ليشفي غلّه الشخصي من ذلك البلد البلقاني الصغير الذي جرؤ على تحديه ، هو اكثر قرار فردي اتخذه هتلر في حياته كلها ، فجيعة واذى . ولا أرى ان من المغالاة القول ، ان الفوهرر بقراره هذا الذي اتخذه بعد ظهر ذلك اليوم في دار المستشارية في برلين ، وإبان سورة من سورات الغضب الاعمى ، قـد اضاع آخر فرصة ذهبية لديه لكسب الحرب ، وليجعل من الرايخ الثالث الذي خلقه هو ، بمثل هذه العبقرية المدهشة والمتوحشة ، اعظم امبراطورية في تاريخ المانيا ، وليغدو هو السيد الذي لا ينازع لاوروبا .ولا ريب في ان المشير فون براوختش القائد العام للجيش الألماني ، والفريـق هولدر الرئيس الموهوب لهيئة اركان

---

١ ـ قال هتلر وهو ينفث حمه ان « الحرب ضد يوغوسلافيا أمر تتوق اليه شعوب ايطاليا والمجر وبلغاريا » . وقال انه سيعطي مقاطعة باتان للمجر ، ومقاطعة مقدونيا لبلغاريا وساحـل الادرياتيك لايطاليا .

٢ ـ وقائع القيادة العليا للقوات المسلحة عن الاجتماع ـ المؤامرة النازية والعـدوان (٤) ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨ .

٣ ـ كان اول توجيه صدر عن عملية بربروسة في الثامن عشر من كانون الاول قد حـدد موعد البدء بالهجوم في الخامس عشر من ايار .

الحرب ، قد تذكرا هذه الحقيقة بمنتهى المرارة ، وبالمزيد من التفهم لعواقبها ، عن التفهم الذي ابدياه لحظة اتخذ الزعيم قراره هذا ، وذلك عندما داهمتها الثلوج العميقة ودرجات الحرارة التي تنخفض عن الصفر في روسيا ، قبل ثلاثة اسابيع أو اربعة من تحقيق ما كانا يتطلعان اليه من نصر نهائي ، وهو نصر كان مضموناً لو تأخرت الثلوج هذه المدة القصيرة. وقد ظل هذان القائدان ورفاقهما من الفرقاء العسكريين ، يلقون اللوم في الكوارث التي توالت ، على ذلك القرار الاحمق ، الذي اتخذه رجل غاضب مغرور ، في لحظة من لحظات غضبه .

وليس ثمة من ريب في ان التوجيه العسكري رقم(٢٥) الذي اصدره القائد الاعلى لفرقائه العسكريين قبل ان ينفض الاجتماع يعتبر وثيقة هتلرية نموذجية .. فقد جاء فيه :

« لقد بدل الانقلاب العسكري في يوغوسلافيا اوضاع البلقان السياسية كلها . ومن الواجب اعتبار يوغوسلافيا على الرغم من كل ما تدعيه من ولاء لنا عدوة في الوقت الحاضر يجب تحطيمها في اسرع وقت ممكن .

« وإن مما اتوق اليه أن اشق طريقي الى يوغوسلافيا ... وان ازيل من الوجود ما يدعى بالجيش اليوغوسلافي ... »

وصدر الأمر الى يودل بوصفه رئيس قسم العمليات الحربية في القيادة العليا للقوات المسلحة باعداد الخطط اللازمة تلك الليلة . وقد تحدث امام محكمة نورمبرغ فيما بعد فقال : « ظللت اعمل طيلة تلك الليلة في مستشارية الرايخ . ولم تحل الساعة الرابعة من صباح الثامن والعشرين من آذار حتى كنت اسلم مذكرة الى الفريق فون رينتيلين ، ضابط اتصالنا مع القيادة العليا الايطالية . »[١]

---

١ - شهادة يودل في « محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٥) ص ٣٨٧ » - وخططه في « المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٢٧٨ - ٢٧٩) .

وكان من المحتوم ابلاغ موسوليني فوراً بالخطط العملية الألمانية ، اذ ان جيوشه المتمايلة في البانيا كانت في خطر التهديد في مؤخرتها من يوغوسلافيا ، وان يطلب اليه التعاون مع هذه الخطط . وأراد هتلر أن يتأكد من فهم الدوتشي لما يطلب اليه عمله ، فلم ينتظر فراغ يودل من اعداد الخطط العسكرية اللازمة ، وراح يبعث في منتصف ليلة السابع والعشرين من آذار برسالة عاجلة الى حليفه ، وأمر بابراقها فوراً الى برلين لتصل الى الدوتشي في نفس الليلة ، وهذا نصها : [١]

« تضطرني الظروف ايها الدوتشي الى ان ابلغك بأسرع السبل الممكنة تقديراتي للوضع . والنتائج المترتبة على هذه التقديرات .

« لقد اعتبرت يوغوسلافيا منذ البداية عاملاً خطراً في الحرب ضد اليونان ... ولهذا السبب وحده ، بذلت كل جهد ممكن بصدق واخلاص ، لحمل يوغوسلافيا على الانضمام الى جماعتنا ... ولسوء الحظ لم تحقق هذه المحاولات أي نجاح ... ولا تترك تقارير اليوم اي شك في التحول المرتقب في كل لحظة في سياسة يوغوسلافيا الخارجية . »

« ولهذا فقد اعددت جميع الاجراءات اللازمة ... بالسبل العسكرية . وانني لاطلب اليك الآن يا دوتشي بكل ود وصداقة ، ان لا تقوم بأية عمليات جديدة في ألبانيا في غضون بضعة الايام المقبلة . وأرى من الضروري ان تغطي جميع الممرات الجبلية الواصلة بين يوغوسلافيا والبانيا بالقوات المتيسرة لديك .

« واني لأرى من الضروري ايضاً يا دوتشي ، ان تعزز قواتك المرابطة على الجبهة الايطالية – اليوغوسلافية بكل السبل المتوافرة لديك وبأسرع وقت ممكن . »

---

١ - نص رسالة هتلر الى موسوليني في ٢٨ آذار عام ١٩٤١ - المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٤٧٥ - ٤٧٧ .

« واني لأرى من الضروري كذلك ، بأن يحاط كل ما نعمله ونأمر به بالسر والكتمان . وليس ثمة من شك في ان هذه الاجراءات تفقد قيمتها تماماً في حالة البوح بها أو اتضاحها . . . ولهذا فإذا راعينا جانب السرية يا دوتشي تمام المراعاة ، فليس لدي من شك في اننا معاً سنحقق نجاحاً لا يقل عن النجاح الذي حققناه في النروج قبل عام . وليس ثمة من شك في ان ايماني هذا راسخ لا يتزعزع .

« وارجو ان تتقبل اخيراً تحياتي القلبية والودية .

المخلص لك

ادولف هتلر

ولقد صدقت حسابات سيد الحرب النازي تمام الصدق بالنسبة الى هذا الهدف القريب ، ولكن يبدو انه لم يكن يدري مطلقاً آنذاك ان هذا الثأر الناجح من يوغوسلافيا سيكلفه ثمناً غالياً كل الغلاء على المدى البعيد . وتدفقت جيوشه فجر اليوم السادس من آذار في قوة هائلة على يوغوسلافيا واليونان . عابرة من حدود بلغاريا والمجر والمانيا نفسها ، بكل ما لديها من سلاح مدرع ، وزاحفة بسرعة مقابل مدافعين يفتقرون الى التسلح وخيمت عليهم الدهشة من الغارات الأولية المألوفة التي قام بها السلاح الجوي الألماني .

وتحولت بلغراد نفسها تلبية لأوامر هتلر الى ركام . وظلت قاذفات غورنغ ثلاثة ايام متوالية بلياليها تحوم في سماء العاصمة الصغيرة على ارتفاع منخفض لا يعدو اسطحة البنايات، اذ لم يكن في المدينة نفسها أي مدافع مضادة للطائرات، فقتلت نحو سبعة عشر الفاً من المدنيين، واصابت بجراح عدداً آخر يربو على هذا العدد ، وحولت البلدة كلها الى انقاض . واطلق هتلر على هذا العمل اسم «عملية القصاص » (Punishment)وليس ثمة من شك في انه كان راضياً كل الرضى عن الدقة في تنفيذ أوامره . وتحطم الجيش اليوغوسلافي من جرّاء عدم وجود الوقت الكافي لتعبئة قواته الاحتياطية، ونتيجة الخطأ الذي ارتكبته قيادته في محاولتها

الدفاع عن البلاد بأسرها . ودخلت القوات الألمانية المجرية في الثالث عشر من آذار الى ما تبقى من بلغراد ، واستسلمت في السابع عشر من الشهر بقايا الجيش اليوغوسلافي وكانت لا تزال تعد ثماني وعشرين فرقة في سراجيفو ، بعد ان فرّ الملك ورئيس وزرائه بالطائرة الى اليونان .

ولم يستطع اليونانيون الذين تمكنوا من اذلال الجيش الايطالي مدة ستة أشهر من القتال ، الصمود أمام جيش المشير فون ليست الثاني عشر ، المؤلف من خمس عشرة فرقة بينها أربع فرق مدرعة . وكان البريطانيون قد سارعوا الى ارسال اربع فرق من ليبيا الى اليونان قوامها ثلاثة وخمسين الفاً من الجنود، ولكن هؤلاء شأنهم شأن اليونانيين، كانوا أقل عدداً من ان يصمدوا امام الفرق المدرعة الالمانية وأمام الضربات القاتلة التي يكيلها لهم السلاح الجوي الالماني. واستسلمت الجيوش اليونانية الشمالية للألمان وللايطاليين – وهنا تقع المرارة – في الثالث والعشرين من نيسان . ولم تمض ايام اربعة حتى كانت الدبابات النازية تهدر داخل شوارع اثينا وترفع علم الصليب المعقوف على تلة الاكروبوليس . وكان البريطانيون يحاولون يائسين في غضون ذلك ، اجلاء قواتهم من الأرض اليونانية عن طريق البحر ، وشهد الساحل اليوناني « دنكرك » ثانية ولكنها اصغر حجماً وان لم تكن أقل منها نجاحاً .

ولم تحل نهاية شهر نيسان ، أي بعد ثلاثة اسابيع ، حتى كان كل شيء قد انتهى في اليونان باستثناء جزيرة كريت التي استولى عليها الألمان من البريطانيين بعد هجوم حملته الطائرات في نهاية شهر ايار . ولقد حقق هتلر في بضعة ايام من الربيع ، ما فشل الايطاليون في تحقيقه فشلاً ذريعاً طيلة اشهر الشتاء. وعلى الرغم من ان الدوتشي قد نجا من مرارة الهزيمة، إلا انه أحس بمرارة الاذلال لأن نجاته حدثت على يد الألمان . ولم تلطف الحصة المخيّبة للأمل التي حصل عليها من الأسلاب اليوغوسلافية التي شرع هتلر في توزيعها من حدة مشاعر الألم التي عاناها .[1]

---

١ - أصدر هتلر في الثاني عشر من نيسان أي بعد ستة ايام من شنه هجومه في البلقان توجيهاً ....

ولم تكن البلقان المنطقة الوحيدة التي سارع الفوهرر ، الى أنقاذ شريكه الأصغر فيها وانقاذه من « السنارة » التي اشتبكت بحلقه . فلقد وافق هتلر بعد إبادة القوات الايطالية في ليبيا ، وهو متبرم ، على ارسال فرقة مدرعة خفيفة وبعض وحدات السلاح الجوي الى افريقيا الشمالية ، حيث تمكن من ان يضمن للفريق اروين روميل ، القيادة العامة للقوات الايطالية والالمانية فيها . وكان روميل هذا ، وهو ضابط الدبابات الجريء والوافر الذكاء والذي برز كقائد لأحدى الفرق المدرعة في معركة فرنسا ، من طراز آخر من القادة العسكريين يختلف عن الطراز الذي خبره البريطانيون في صحراء افريقيا الشمالية ، وقدر له ان يغدو بالنسبة اليهم مشكلة عظيمة دامت زهاء سنتين. ولكنه لم يكن المشكلة الوحيدة التي جابهتهم هناك . فالجيش اللجب ، والقوة الجوية الكبيرة ، اللذين أوفدهما البريطانيون الى اليونان من ليبيا كانا قد اضعفا قواتهم في الصحراء . ولم يقلق البريطانيون من هذه الحقيقة في بادىء الأمر ، على الرغم من ان مخابراتهم قد نقلت اليهم انباء وصول وحدات المانية مدرعة الى هناك في نهاية شهر شباط. ولكنهم كانوا مخطئين في تجاهلهم هذا .

فقد شرع روميل بالهجوم في برقة بصورة مباغتة في اليوم الأخير من شهر آذار مستخدماً فرقة المانية مدرعة وفرقتين ايطاليتين احداهما مدرعة . واعاد احتلال الولاية في اثني عشر يوماً ، طوق فيها طبرق ووصل الى البردية التي لا تبعد إلا بضعة اميال عن حدود مصر . وتعرض مركز بريطانيا كله في مصر والسويس للخطر من جديد ، واصبحت سيطرة بريطانيا على شرق البحر

سرياً يقضي بتقسيم يوغوسلافيا بين المانيا وايطاليا والمجر وبلغاريا . وقد قضى التوجيه بخلق دولة كرواتيا الجديدة التابعة لألمانيا . وخص الفوهرر بلاده بالحصة السخية من البلاد اذ ضم لألمانيا كل ما كان في السابق جزءاً من الامبراطورية النمسوية القديمة ، محتفظاً تحت احتلالها ببلاد الصرب القديمة وبالمناطق الغنية بمناجم النحاس والفحم . وظلت حصة ايطاليا غامضة الى حد ما وان لم تكن حصة كبيرة . (للتفاصيل راجع نص التوجيه - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٨٣٨ - ٨٣٩) .

المتوسط ، معرضة لخطر هائـــل ، من جرّاء وجود الألمـان والأيطاليين في اليونان ايضاً .

وجاء الربيع الثاني من الحرب بانتصارات مذهلة جديدة لألمانيا ، وغدت خطوط بريطانيا ، التي تقف وحيدة ، وتتعرض بلادها لغارات السلاح الجوي الألماني كل ليلة ، والتي تطارد جيوشها هاربـــة من اليونان وبرقة ، اكثر قتاماً ومدعاة لليأس من أي وقت مضى . وهبطت سمعتها الـتي تعتبر عاملاً مهماً في صراع الحياة أو الموت حيث تلعب الدعاية دوراً بارزاً كسلاح من اسلحة الحرب ولا سيما في التأثير على الولايات المتحدة وروسيا الى الحضيض من جديد [1] .

ولم يتوان هتلر أو يتقاعس عن استغلال هذه الانتصارات في خطاب آخر من خطب « انتصاراته » ، ألقاه في الرايشستاغ في برلين في الرابع من ايار . وتألف هذا الخطاب من عبارات ساخرة وملأى بالحقد وجهها بصورة شخصية الى تشرشل ، الذي يعتبره مـن اليهود ، أشد المحرضين على الحرب ، والرجل

---

١ ـ شرع شارل . أ . ليندبرغ ، بطل الطيران المشهور ، والذي كان قد بدا للمؤلف هذا الكتاب ، نتيجة السذاجة المدهشة ، ضحية تبجحات الدعاية النازية اثناء الزيارات المتعددة التي قام بها لألمانيا ، يخطب في جماهير غفيرة من الامريكيين منبئاً بهزيمة بريطانيا ولقد خطب في الثالث والعشرين من نيسان عام ١٩٤١ ، عشية الانتصارات النازية الضخمة في البلقان وافريقيا ، في نحو من ثلاثين ألف شخص في نيويورك في الاجتماع الأول الذي عقدته لجنة امريكا اولاً « المؤلفة حديثاً » فقال ... « لا تزال هناك خطة يائسة وحيدة امام الحكومة البريطانيـــة ... وهي اقناعنا من جديد بارسال حملة عسكرية امريكية الى اوروبا ، وباشتراكنا مع انكلترا عسكرياً ومالياً في مهزلة هذه الحرب » . وقد حكم على انكلترا « لتشجيعها الدول الصغيرة في اوروبا على الحرب ضد قوات تفوقها عدداً بشكل هائل لا أمل فيه » . ويبدو انه لم يدر في خلد هذا الرجل قط ان يوغوسلافيا واليونان ، اللتين أتم هتلر سحقهما قبل قليل ، قد هوجمتا بصورة وحشية دون أي استفزاز من جانبهما ، وانهما قد حاولتا مدفوعتين بالغريزة وبالاحساس بالكرامة ، الدفاع عن نفسيهما ، متسلحتين بالبسالة امام قوات تفوق قواتهما عدداً . وقد استقال ليندبرغ في الثامن والعشرين من نيسان من منصبه كعقيد احتياط في الفيلق الجوي التابع للجيش الامريكي ، وذلك بعد ان وصمه الرئيس روزفلت في الخامس والعشرين علناً بوصمة الانهزامية والدعاية الى التسليم . وقد قبل وزير الحربية استقالته فوراً .

الذي يبرع أشد البراعة في تحقيق الهزيمة ... إذ قال عنه :

« إن هذا الرجل ، هو اكثر واضعي الخطط السوقية هواية وتعطشاً للدماء في تاريخ العالم ... فلقد ظل هذا الانسان قرابة خمسة أعوام يذرع اوروبا شرقاً وغرباً كرجل مجنون يبحث عمّا يستطيع ان يلهب النار فيه ... فهو في الجندية سياسي فاشل ، وهو في السياسة جندي لا يقل فشلاً عنه في الجندية . والموهبة الوحيدة التي يملكها تشرشل ، هي قدرته على الكذب وهو يتظاهر بالصدق ، في وجه تغمره التقوى ، وعلى تشويه الحقائق الى الحد الذي يقلب الهزائم الفظيعة للغاية الى انتصارات مجيدة ...وهكذا فإن تشرشل ، الرجل السخرية في ميدان السوقية العسكرية ، قد تمكن في يوغوسلافيا واليونان من ان يخسر مسرحين من مسارح الحرب بضربة واحدة . ولو كان تشرشل في بلاد أخرى غير بريطانيا لحوكم أمام محكمة عسكرية ... ولا يمكن وصف حالته العقلية الشاذة إلا بأنها صورة واضحة إما لانسان مصاب بالشلل ، أو لسكير يحلم احلام السكارى ... » .

ولم يحاول هتلر ، ان يكبح جماح عواطفه الحقيقية عندما تحدث عن انقلاب يوغوسلافيا الذي كان قد استفزّ غضبه الى حد الجنون ، اذ قال :

« وقد ذهلنا جميعاً من ذلك الانقلاب الذي قامت به زمرة صغيرة من المتآمرين المرتشين...وليس من شك، في انكم ستفهمون ايها السادة ، انني عندما سمعت بنبأ الانقلاب هذا ، أصدرت أوامري فوراً بالهجوم على يوغوسلافيا . فلقد استحال علي أن اقبل بمعاملة الرايخ الألماني على هذا النحو من الزراية ... »

وعلى الرغم من صلفه وغروره بما حققه من انتصارات في الربيع ولا سيا على بريطانيا ، إلا ان هتلر ، لم يدرك ادركاً تاماً مدى الضربة القاسية التي وجهتها هذه الانتصارات لبريطانيا ولا الوضع اليائس الذي غدت فيه حالة امبراطوريتها.

ففي اليوم الذي كان يخطب فيه في الرايشستاغ ، كان تشرشل يكتب الى الرئيس روزفلت عن النتائج الوخيمة التي ستنجم عن خسارة بريطانيا لمصر والشرق الأوسط ويناشده ان تدخل امريكا الحرب . وكان رئيس الوزراء في حالة قاتمة من اكثر الحالات التي مر بها في الحرب كآبة .. اذ كتب لروزفلت يقول :

« وانني لأناشدك الله يا سيدي الرئيس ، ان لا تقلل من خطورة النتائج التي قد تنجم من انهيار الشرق الأوسط » .[1]

وقد حثت قيادة البحرية الألمانية الفوهرر على استغلال هذا الوضع الى اقصى الحدود . ويشاء حسن حظ المحور ، لتحسين الأوضاع بالنسبة اليه ، ان يقوم رئيس وزراء العراق الجديد ، رشيد عالي ، الذي كان ميالاً الى الألمان ، بهجوم على القواعد البريطانية الجوية في الحبانيّة القريبة من بغداد ، وان يناشد هتلر العون لاخراج البريطانيين من البلاد . وكان هذا في مطلع شهر ايار .[2] وعندما تم الاستيلاء على جزيرة كريت في السابع والعشرين من ايار ، ناشد امير البحر ريدر ، الذي كان دائم المعارضة لعملية « بربروسة » هتلر في الثلاثين من ايار ، ان يعد العدة لهجوم حاسم على مصر والسويس . وبعث رومل الذي كان تواقاً الى مواصلة زحفه حالما تصله النجدات التي طال انتظاره لها ، بنداءات مماثلة لهتلر من افريقيا الشمالية . وكتب ريدر الى الفوهرر يقول : « ستكون هذه الضربة اشد اثراً قتالاً على الامبراطورية البريطانية من احتلال لندن » . وسلم امير البحر بعد نحو اسبوع مذكرة الى هتلر وضعها قسم العمليات في هيئة اركان حرب الاسطول . يحذر فيه بأي حال من الأحوال في « عدم العدول عن المضي في الحروب في المتوسط أو تأجيله على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي ان عملية بربروسة تحتل طبعاً ، المكانة البارزة في تفكير القيادة العليا للقوات

---

١ — تشرشل ـ مذكرات ـ الجزء الثالث ص٢٣٥ - ٢٣٦ .

١ — يبدو من هذه الفقرة ان المؤلف لم يدرس حقيقة ثورة العراق في عام ١٩٤١ ، دراسة كاملة ، واكتفى بأن يساير التيار الشائع القائل بأن الثورة كانت نتيجة الميل الى الالمان ، لا نتيجة النقمة على الاستعمار ، كما لم يعرف بأن الحرب قد فرضت على العراقيين فرضاً ـ المعرب ـ

المسلحة . » [1]

ولكن الفوهرر كان قد حزم أمره . ولم يكن في الحقيقة قد بدل القرار الذي اتخذه منذ ايام عيد الميلاد المنصرم ، عندما أمر بإعداد العدة لبربروسة ، وابلغ امير البحر ريدر وجوب « تصفية روسيا أولاً » . وكان عقله المغلق على الحرب البرية لا يستطيع ان يفهم الخطط السوقية الواسعة التي تنادي بها البحرية . وكان حتى قبل ان يصله نداء ريدر واركان حرب البحرية في نهاية شهر ايار ، قد اوضح نفسه في التوجيه الثلاثين الذي اصدره في الخامس والعشرين من ايار . [2] فقد امر في هذا التوجيه بايفاد بعثة عسكرية وبعض الطائرات والاسلحة الى بغداد لمساعدة العراق . وقال : « لقد قررت تشجيع ما يقع في الشرق الاوسط من تطورات عن طريق مساعدة العراق » . ولكنه لم ير ابعد من هذه الخطوة الصغيرة وغير الكافية . أما بالنسبة الى الخطة السوقية الاوسع مدى واكثر سرعة والتي نادى بها امراء البحر ورومل ... فقد اعلن قائلاً :

« وليس في الامكان اتخاذ قرار نهائي بصدد ما اذا كان في الامكان شن هجوم على قناة السويس ، لاخراج بريطانيا نهائياً من مراكزها بين البحر المتوسط والخليج العربي ، وكذلك بصدد ما يلزم لهذا الهجوم من وسائل قبل الانتهاء من عملية بربروسة » .

وهكذا رأى هتلر ان تحطيم الاتحاد السوفياتي يجب ان يحتل كل اهتمام اولاً ، وان على المشاريع الأخرى ان تنتظر . وفي وسعنا الآن ان نحكم على ان هتلر قد اخطأ في رأيه هذا خطئاً فاحشاً . فلقد كان في امكان هتلر في ذلك الوقت ، أي في نهاية ايار عام ١٩٤١ ، ان يوجه بجزء من قواته ليس الا ، ضربة ساحقة للامبراطورية البريطانية قد تقضي عليها . ولم يكن ثمة من شخص يدرك هذه الحقيقة ، احسن من تشرشل المجهد المنهوك . فلقد ذكر في رسالته التي بعث بها

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٩٨ – ١٠٠٠ .
٢ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية – ١٩٤١ ، ص ٥٠ – ٥٢ .

الى الرئيس روزفلت في الرابع من ايار ، ان استمرار الحرب في حالة ضياع مصر والشرق الاوسط ، سيصبح « افتراضاً قاسياً وطويلاً وهزيلاً » حتى ولو اشتركت الولايات المتحدة في الصراع . ولكن هتلر لم يدرك هذه الحقيقة . ويصبح عماه عنها اكثر صعوبة على الفهم ، اذا عرفنا ان حملته البلقانية قد اخرت بدء عملية بربروسة بضعة اسابيع ، فقضت عليها بالشلل تبعاً لذلك . فلقد بات من الضروري اكمال اجتياح روسيا في وقت اقصر مما كان مقرراً في السابق . اذ كان ثمة موعد لا يمكن تخطيه ، وهو حلول الشتاء الروسي ، ذلك القائد الذي هزم شارل الثاني عشر ونابوليون من قبل . وكان هذا يعني ان على الألمان ان يجتاحوا روسيا في غضون ستة اشهر قبل حلول الشتاء ، وهي بلاد فسيحة هائلة ، لم يستطع فاتح ان يجتاحها قط من الغرب . وعلى الرغم من ان شهر حزيران قد اطل ، إلا ان ذلك الجيش اللجب الذي وجّه جنوباً بشرق ، باتجاه يوغوسلافيا واليونان كان ينتظر الآن ان يعود مسافات واسعة ، الى الحدود الروسية ، فوق طرق غير معبّدة ، وعلى سكة حديد واحدة مجهدة ، لا تعتبر كافية بأي حال من الأحوال ، لتحمل اعباء هذا النقل الضخم .

وكان التأجيل ، كما اظهرت الاحداث فيما بعد ، قدرياً مميتاً . ويقول المدافعون عن عبقرية هتلر العسكرية ، ان حملة البلقان ، لم تؤثر على توقيت عملية بربروسة تأثيراً ملحوظاً ، وان التأجيل كان ناجماً على أي حال ، عن تأخر ذوبان الثلوج في ذلك العام ، مما ادى الى انتشار الوحول في طرق اوروبا الشرقية حتى اواسط حزيران . ولكن شهادة كبار القادة الألمان تختلف عن هذه الاقوال تمام الاختلاف . فلقد شهد المشير فريدريك باولوس ، الذي سيظل اسمه دائماً مترابطاً مع ستالينغراد ، والذي كان في هذا الوقت المخطط الرئيسي للحملة الروسية في هيئة اركان حرب الجيش ، امام محكمة نورمبرغ ، ان قرار هتلر بتحطيم يوغوسلافيا قد أجل البدء بعملية بربروسة نحواً من « خمسة اسابيع . »[1]

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٧) ص ٢٥٥ – ٢٥٦

وتعطي اليوميات الحربية لقيادة الاسطول نفس الوقت الذي ذكره باولوس .[1] وقال : المشيرفون رونشتادت الذي تولى قيادة مجموعة الجيوش الجنوبية في روسيا لمحققي الحلفاء بعد الحرب ، اننا « بدأنا الحملة في روسيا متأخرين اربعة اسابيع بسبب حملة البلقان» . واضاف قائلاً : « وكان هذا التأجيل غالي الثمن والتكاليف للغاية »[2]

على أي حال ، عندما انتهت جيوش هتلر في الثلاثين من نيسان من فتحها ليوغوسلافيا واليونان حدد هتلر الموعد الجديد لعملية بربروسة ، فقرر ان تبدأ في الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ .[3]

تخطيط الأرهاب

اصر هتلر على قادته العسكريين ان يفهموا شيئاً واحداً بوضوح كلي ، وهو ان ليست هناك قيود يجب عليهم التقيّد بها في روسيا . وكان قد جمع في مطلع شهر آذار عام ١٩٤١ ، جميع قادة القوات المسلحة الثلاث في مؤتمر حضره كبار قادة الميدان ، وخطط لهم القانون الذي فرض عليهم اتباعه . وقد دوّن هولدر ما قاله بالحرف الواحد :[4]

« ستكون الحرب في روسيا من الطراز الذي لا تتبع فيه اصول الشهامة والفروسية . وهذا الصراع صورة للخلافات العقائدية والعنصرية ، ومن الواجب ان يسير في قسوة لا هوادة فيها ولا رحمة ولا تردد ، ولا مثيل لها. وعلى جميع الضباط ان يتحرروا من العقائد المنسوخة الباطلة واني لأفهم ان ضرورة مثل هذه

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٩٦

٢ ـ شولمان - الهزيمة في الغرب – ص ٦٥

٣ ـ التوجيه السري في ٣٠ نيسان ١٩٤١ ، المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص٦٣٣-٦٣٤

٤ ـ شهادة هولدر المشفوعة باليمين في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٦٤٥ - ٦٤٦).

الوسائل لشن الحرب تتعدى فهم قادتكم العاملين تحت امرتكم ... ولكنني اصر اصراراً كلياً على وجوب اطاعة اوامري دون عصيان أو مخالفة . والمفوضون (القوميساررون) هم حملة العقيدة الشيوعية ، وهم على خط مناقض واضح للاشتراكية الوطنية . ولهذا يجب تصفية المفوضين تصفية تامة . وسأعفو عن جميع الجنود الألمان الذين يتهمون بمخالفة القانون الدولي ... فروسيا لم تنضم الى ميثاق لاهاي ، وليس من حقها ان تطالب باحترام هذا القانون » .

وهكذا صدر الأمر المسمى « بأمر المفوضين » . وقد نوقش موضوعه مناقشات طويلة في محاكمات نورمبرغ ، عندما وُجه القادة العسكريون الألمان بالقضية التي تقول : « هل كان من واجبهم ان يطيعوا أوامر الفوهرر ويقترفوا جرائم الحرب او كان لزاماً عليهم ان يطيعوا ما تمليه عليهم ضمائرهم » . [١]

وروى هولدر فيما بعد ، ان القادة العسكريين ثاروا لهذا الامر ، ولم يكد الاجتماع ينفض حتى كانوا يجتمعون الى قائدهم العام براوختش . وقال هذا المشير الخائر العزم ، [٢] لقادته انه « سيقاتل ضد هذا الأمر على النحو الذي وضع فيه » . ويقسم هولدر ان براوختش عاد فأبلغ القيادة العليا للقوات المسلحة خطياً ، ان ضباط الجيش « لا يستطيعون تنفيذ هذه الاوامر » . ولكن هل صدر عنه مثل هذا البلاغ حقاً ؟

---

١ ـ قال المشير فون ما نشتاين على منصة الشهادة في نورمبرغ لدى البحث في «امر المفوضين». « كانت هذه هي المرة الأولى التي اجد نفسي فيها متورطاً في صراع بين مفاهيمي العسكرية وبين واجبي في الطاعة . وكان لزاماً علي في الواقع ان اطيع ، ولكنني قلت لنفسي انني كجندي لا استطيع التعاون في امر كهذا . وقلت لقائد مجموعة الجيوش الذي كنت اعمل تحت امرته في ذلك الوقت ... انني لا استطيع ان انفذ مثل هذا الأمر الذي يتعارض مع شرفي العسكري » (محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان (٢٠) ص ٦٠٩) .

واحقاقاً للحق والتاريخ اود ان اقول هنا ، ان الامر قد نفذ بالطبع على نطاق واسع .

٢ ـ اطلق عليه هتلر فيما بعد لقب « رجل من القش » . (احاديث هتلر السرية ص ١٥٣) .

اعترف براوختش اثناء الاستجواب المباشر في نورمبرغ ، انه لم يقم بمثل هذا الاجراء مع الفوهرر « لأنه لم يكن ثمة سبيل لاقناعه بتغيير موقفه » . وكل ما فعله قائد الجيش كما ذكر للمحكمة ، انه اصدر أمراً خطياً ، يطلب فيه « الحفاظ على انضباط الجيش بنفس الدقة على ضوء الخطوط والانظمة التي كانت مطبقة في الماضي . »

وسأله القاضي اللورد لورنس ، رئيس المحكمة الحاد الطبع : « اذن فأنت لم تصدر أي أمر يشير اشارة مباشرة الى « امر المفوضين » ? »

فرد براوختش قائلا : « لا . لم استطع معارضة الامر بصورة مباشرة » [1]

واتيحت لضباط الجيش من رجال المدرسة القديمة ، بتقاليدهم العسكرية الموروثة ، الفرصة من جديد ، للاصطراع مع ضمائرهم ، بالتوجيهات اللاحقة التي اصدرها كايتل في الثالث عشر من ايار نيابة عن الفوهرر . وقد حدد التوجيه الاساسي مهمة المحكمة العسكرية الألمانية . اذ كان من الواجب ان تفسح هذه المحكمة المجال ، ليحل محلها طراز اكثر بدائية من القوانين ... وجاء في التوجيه ما يلي :

« ليس من صلاحية المحاكم العسكرية ان تنظر في الجرائم القابلة للعقاب والتي يقترفها المدنيون من الاعداء في روسيا ، وذلك حتى اشعار آخر ...

« ومن الواجب ان يظهر الاشخاص المتهمون بعمل اجرامي فوراً أمام ضابط من الضباط ، ومن حق هذا الضابط ان يقرر ما اذا كان من الواجب اعدامهم .

« أما بالنسبة الى الجرائم التي يرتكبها افراد القوات المسلحة الالمانية ضد المدنيين الاعداء ، فليس من الضروري الادعاء عليهم من النيابة العامة ، حتى ولو كانت الجريمة المقترفة من النوع

---

٢ ـ شهادة براوختش في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص٥٨١-٥٨٢ ، وص ٥٩٣) .

العسكري سواء كانت جريمة او جنحة » .

وطلب الى الجيش ان يكون متساهلاً مع مثل هؤلاء الجانحين ، وان يتذكروا في كل حالة من الاحوال ما حل بألمانيا من اذى على ايدي البلاشفة منذ عام ١٩١٨ . ولا يمكن السماح بمحاكمة الجنود الألمان عسكرياً ، الا اذ كان « الحفاظ على الانضباط أو امن القوات المسلحة يتطلب مثل هذا الاجراء » . وانتهى التوجيه الى القول ، « وعلى أي حال ، فإن الاحكام التي تتطابق مع النوايا السياسية للقيادة العليا ، هي التي يمكن تصديقها . » [١] واشترط التوجيه ان يعتبر من « الوثائق السرية للغاية . » [٢]

وصدر توجيه ثانٍ بنفس التاريخ ، وقعه كايتل نيابة عن هتلر ، يعهد الى هملر « بمهام خاصة » لإعداد العدة للادارة السياسية في روسيا وهي « مهام » حددها الأمر بأنها « ناجمة عن الكفاح الذي يجب ان يستمر بين نظامين سياسيين متعارضين » . وقد عهد الى الرجل الصادي ، الذي يتولى رئاسة الشرطة السرية

---

١ - نص أمر كايتل في ٢٣ تموز عام ١٩٤١ - المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص٨٧٦ .

٢ - أمر كايتل في السابع والعشرين من تموز عام ١٩٤١ ، باتلاف جميع نسخ التوجيه الصادر في الثالث عشر من ايار في موضوع المحاكم العسكرية مع اشتراطه بأن لا يتأثر مفعول هذا التوجيه باتلاف هذه النسخ . » واضاف امر السابع والعشرين من تموز ، بأن من الواجب اتلاف نسخ هذا الأمر نفسه . ولكن بعض النسخ من الأمرين بقيت موجودة لتظهر في نورمبرغ ولتدمغ القيادة العليا بدليل الادانة .

وكان كايتل قد اصدر قبل اربعة ايام اي في الثالث والعشرين من تموز أمراً آخر نص على انه « سري للغاية » . هذا نصه :

« أصدر الفوهرر في الثاني والعشرين من تموز بعد ان استقبل القائد العام للجيش (براوختش) الامر التالي :

« بالنظر الى المساحات الشاسعة التي تحتلها المناطق المحتلة في الشرق ، ستكون القوات المتوافرة لضمان الأمن والاستقرار كافية اذا عوقبت جميع جرائم المقاومة لا بالاجراءات القانونية المعروفة بل بنشر الارهاب من قبل قوى الاحتلال ، على ان يكون من النوع الكافي لمحو كل ميل للمقاومة عند السكان » (نص التوجيه المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٦٣٧ - ٦٣٩ وهناك نص آخر في نفس المصدر (٦) ص ٨٧٢ - ٨٧٥) .

ان يعمل مستقلاً « عن الجيش » وعلى « مسؤوليته الخاصة » . وقد أدرك القادة العسكريون تمام الادراك ما عناه تعيين هملر « لهذه المهام الخاصة » ، على الرغم من انهم انكروا معرفتهم ذلك عندما وقفوا في محكمة نورمبرغ . يضاف الى هذا ان التوجيه قد اعلن وجوب منع الدخول الى المناطق المحتلة في روسيا عندما يكون هملر عاملاً فيها . واشترط هتلر ان لا يسمح « حتى للشخصيات الكبيرة في الحكومة او الحزب » بدخول هذه المناطق ورؤية ما يدور فيها . وانتدب نفس التوجيه غورنغ لتولي « عملية استغلال البلاد وضمان استخدام الصناعة الألمانية لما فيها من موجودات اقتصادية » . واعلن هتلر في أمره هذا بصورة عرضية ايضاً ان روسيا « ستقسم فور انتهاء العمليات العسكرية فيها الى ولايات مستقلة لكل منها حكومتها الخاصة بها . »[١]

وقد عهد الى الفرد روزنبرغ البلطيقي ، المدمن على الخمر ، والمعتبر رسمياً ، المفكر النازي الأول ، والذي كان من اوائل المؤمنين بهتلر من ايام ميونيخ ، بوضع الخطط العملية اللازمة لتنفيذ هذه الاجراءات . فقد عينه الفوهرر في العشرين من نيسان « مفوضاً لهيئة الاشراف المركزية على القضايا المتعلقة بمنطقة اوروبا الشرقية » وسرعان ما هبّ هذا الأحمق النازي المتميز بعبقرية الجابية في اساءة فهم التاريخ ، حتى تاريخ روسيا البلاد التي نشأ فيها وترعرع وتثقف ، ومضى يقيم قواعده في البلاد التي كانت في يوم ما مسقط رأسه . وقد عثر على ملفات روزنبرغ الضخمة سليمة ، وهي مثل كتبه متعبة لمن يقرؤها ، ولذا فلن اسمح لها بقطع سياق هذه القصة وان كنت أرى وجوب الرجوع اليها احياناً لأنها تحسر النقاب عن الخطط التي وضعها هتلر لروسيا .

وكان روزنبرغ قد أعد في مطلع شهر ايار أول طبعة زرقاء خطية عمّا اعتبر أعظم فتح الماني في التاريخ . فقد قررت هذه الطبعة اولاً تقسيم روسيا الأوروبية الى ما يسمى « بمفوضيات الرايخ » . ونصت على ان تتحول بولندة الروسية الى

---

١ - نص التوجيه الصادر في ١٣ ايار ١٩٤١ (المؤامرة النازية العدوان (٣) ص٤٠٩-٤١٣

محميّة المانية يطلق عليها اسم « اوستلاند » ، بينما تعلن اوكرانيا « دولة مستقلة متحالفة مع المانيا » . ويتولى « مفوض » الماني خاص حكم بلاد القفقاس بما فيها من حقول الزيت الغنية ، وتؤلف دويلات البلطيق وروسيا البيضاء محميات المانية تمهيداً لضمها مباشرة الى الرايخ الالماني الأكبر . وشرح روزنبرغ في احـــدى مذكراته التي لا عد لها ولا حصر والتي انهال بها على هتلر وقادته العسكريين ، ان هذا يمكن تحقيقه ليهدف الى « الافصاح عن الاوضاع التاريخية والعنصرية » اللازمة لتنفيذ قراراته ، والتي لا يمكن تنفيذها الا « بألمنة » البلطيقيين المشابهين عنصرياً للألمان واستبعاد العناصر غير المرغوب فيها . وأنذر بأن من الواجب « توقع عمليات ابعاد واسعة المدى في لاتفيا واستونيا » . وسيحل الألمان وغالباً ما يكونون من المحاربين القدماء محل الذين يتم ابعادهم . ويجب ان يتحول « بحر البلطيق الى بحيرة المانية داخلية . »[١]

والقى روزنبرغ قبل يومين من وثوب القوات على روسيا خطابـاً في اقرب اعوانه الذين قرر ان يشتركوا معه في حكم روسيا قال فيه :

« تقف مهمة اطعام الشعب الألماني في طليعة مطالب المانيا من الشرق . وعلى سكان المناطق الروسية الجنوبية ان يعملوا كالخدم.. لاطعام الشعب الألماني .

« ونحن لا نرى مطلقاً أي داع لأي التزام من جانبنا لاطعـام الشعب الروسي بالفائض من منتجات تلك البلاد . ونحن نعرف ان هذه الضرورة قاسية وعارية من كل مشاعر .. وسيخبىء المستقبل عدة سنوات قاسية للشعب الروسي . »[٢]

حقاً انها لسنوات قاسية للغاية ، اذ ان الألمان كانوا يعدون العدة بصورة متعمدة لتجويع الملايين من الروس حتى الموت .

---

١ - نص تعليمات روزنبرغ – المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٦٩٠ – ٦٩٣.
٢ - النص في المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٧١٦ – ٧١٧ .

وكان غورنغ الذي عهد إليه بتولي الاستغلال الاقتصادي للاتحاد السوفياتي ، اكثر وضوحاً من روزنبرغ نفسه في هذه القضية . فقد أصدرت هيئة اركانه الاقتصادية للشرق في الثالث والعشرين من ايار عام ١٩٤١ ، توجيهاً مطولاً ، اشترطت فيه ان لا يحول الفائض من المنتجات الزراعية في المناطق الخصبة في الجنوب الروسي الى أهل المناطق الصناعية ، حيث ستدمر المصانع فيها . ومن الواجب ترك العمال وعائلاتهم في هذه المناطق يموتون جوعاً ، أو يسمح لهم بالهجرة الى سيبيريا اذا استطاعوا الى هذه الهجرة سبيلاً . أما انتاج روسيا العظيم في المواد الغذائية فيجب ان يحوّل الى الألمان . ومضى التعميم يقول :

« وعلى الادارة الألمانية في هذه المناطق ان تحاول تلطيف آثار المجاعة التي ستقع حتماً فيها ، وان تعجّل في العودة الى الأوضاع الزراعية الأولية . ولكن هذه الإجراءات لن تحول دون المجاعة . وستكون أية محاولة لإنقاذ الناس هناك من الموت جوعاً ، عن طريق استيراد الفائض من المناطق الخصبة ذات التربة السوداء ، على حساب المؤن المرسلة الى اوروبا ، مما يضعف من طاقة المانيا على المضي في الحرب ، ويحطم قدرة المانيا وأوروبا على مقاومة الحصار ، عليكم جميعاً أن تفهموا هذه الأمور بوضوح وصراحة . »[١]

ترى كم عدد المدنيين الروس الذين سيموتون نتيجة هذه السياسة الألمانية المتعمّدة ؟. هناك اجتماع عقده وكلاء الوزارات في الثاني من ايار ، قدم رداً عاماً على هذا السؤال . فقد نقلت مذكرة سرية عن الاجتماع انه قرر « ان ليس ثمة من شك في ان نتيجة هذه السياسة ستعني موت الملايين من الاشخاص جوعاً ، هذا اذا اخذنا من البلاد كل ما نحتاج اليه . »[٢] وقد أكد غورنغ ومعه روزنبرغ ايضاً ان هذه الحاجات ستؤخذ من البلاد ، وان على الجميع ان يفهموا هذا

١ - نص التوجيه - المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ٣٠٠
٢ - مذكرة عن الاجتماع - المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٣٧٨ .

بوضوح وصراحة .

فهل قام الماني واحد ، يحتج على هذه الوحشية المتعمدة والمخطط لها بل وعلى هذه الخطة المدروسة الرامية الى قتل الملايين من الناس عن طريق تجويعهم؟ اننا لا نرى في جميع المذكرات المتعلقة بالتوجهيات الألمانية لسلب روسيا أي ذكر لأية معارضة من أي نوع ، حتى ولو كانت من طراز ما ابداه القادة العسكريون من معارضة « لأمر المفوضين » . ولم تكن هذه الخطط مجرد خيـــالات شريرة وشرسة ، راودت عقولاً وارواحاً شاذة لبعض الرجال من امثال هتلر وغورنغ وروزنبرغ ، فقد اتضح من السجلات والوثائق ان مئات الموظفين الألمـان ظلوا يعملون في مكاتبهم اسابيع وشهوراً طويلة ، في ايام الربيع المشرقة الدافئـة ، يجمعون الارقام ويضعون المذكرات التي تحسب عن عمد وسابق اصرار ، ضحايا ذبح الملايين من الناس. وقد تقرر ان يكون التجويع سلاح هذا القتل. وجلس هنريخ هملر، صاحب الوجه الوديع ، ومربي الدجاج السابق في مكتبه في مقر قيادة الحرس النازي في برلين في تلك الايام ، يدرس من وراء نظارتيه المشاريع التي أعدت له لذبح ملايين اخرى بطرق أسرع واكثر عنفاً . »

وأحس هتلر بالرضى من عمل احبائه الكثيري الجد ،من عسكريين ومدنيين في وضع الخطط لاجتياح الاتحاد السوفياتي وتدميره واستغلاله ، ولقتل الملايين بالجملة من مواطنيه ، فحدد في الثلاثين من نيسان موعد الهجوم في الثاني والعشرين من حزيران، ثم القى خطابه المنتصر في الرايشستاغ في الرابع من ايار،وانسحب الى ركنه الهـــادىء اللطيف في « عش النسر » فوق ذرى برختسغادن . حيث يستطيع ان يتطلع بعينيه الى ما في جبال الالب من روعة الجمال ، وقد اكتست قممها بثلوج الربيع ، وان يتصور فتوحاته المقبلة ، التي يعتبرها اعظم من كل ما حقق من فتوحات سابقة ، والتي سبق له ان قال عنها لقادته العسكريين ، ان العالم بأسره سيقف أمامها مشدوهاً متقطع الانفاس .

وهنا ، وفي هذا المكان الهادىء المنعزل ، تلقى ليلة السبت العاشر من ايار عام ١٩٤١ ، أنباء غريبة وغير متوقعة ، هزته هزاً عنيفاً ، وارغمته كما ارغمت

كل انسان آخر تقريباً في العالم الغربي، على الابتعاد بتفكيره ولو مؤقتاً عن حوادث الحرب ووقائعها، فأقرب المقربين اليه، ونائبه في زعامة الحزب النازي، والرجل الثاني في التسلسل بعد غورنغ لخلافته في حكم المانيا، والخدن الأمين الذي ظل على اخلاصه له وولائه المهووس منذ عام ١٩٢١، ومنذ مصرع روهم، واقرب الاصدقاء الى قلبه، قد طار من القفص فعلاً، وراح، يفاوض العدو، على مسؤوليته الخاصة.

فرار رودلف هس

أصاب النبأ الأول الذي تلقاه هتلر عشية ذلك اليوم العاشر من ايار، عن ركوب رودلف هس وحيداً، طائرة المانية مقاتلة من طراز مسرشميت (١١٠) متجهاً الى سكوتلندة، الزعيم، كما روى الدكتور شميدت فيما بعد، بذهول يشبه ما قد يصيبه «لو اصابت قنبلة عش النسر.»[1] وعثر الفريق كايتل على الفوهرر وهو يذرع مكتبته الفسيحة جيئة وذهاباً مشيراً باصبعه الى جبهته ومتمتماً بصوت خفيض ان هس قد جنّ حقاً.[1] وهتف هتلر صارخاً: «يجب ان اتحدث الى غورنغ فوراً.» وعقد في الصباح التالي اجتماعاً صاخباً شهده غورنغ وجميع قادة الحزب، واخذ يدرس معهم الطريقة التي يجب ان يصور فيها هذا الحادث المربك وهو يقدمه الى الرأي العام في المانيا والخارج. وشهد كايتل فيما بعد، ان سكوت البريطانيين في البداية عن وصول هذا الزائر لم يهوّن عليهم مهمتهم، وتركز أمل هتلر ومستشاريه في البداية، على ان تكون طائرة هس، قد نضب خزانها من الوقود، وان يكون قد سقط بها في بحر الشمال ولقي حتفه في اعماقه الباردة.

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر ص ٢٣٣.

٢ ـ استجواب كايتل ـ المؤامرة النازية والعدوان ـ الملحق (ب) ص ١٢٧١ ـ ١٢٧٣.

وقد جاءت الانباء الاولى لهتلر عن الموضوع في رسالة تفتقر نوعاً مـا الى التماسك ، كتبها هس وسلمها رسول خاص بعد بضع ساعات من طيرانه في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين من بعـــد ظهر العاشر من ايار من مدينة اوغزبرغ . وقال هتلر يحدث كايتل : « انني لا استطيع ان اعرف هس في هذه الرسالة . إنه شخص آخر مختلف تمام الاختلاف . ولا ريب في ان شيئاً مـا قد حدث له . شيء من طراز الاضطرابات العقلية . » ولكن الفوهرر ظل يشك فيما وقع، فأمر باعتقال مسر شميت الذي طار هس من مطار شركته ، كما اعتقل عشرات من موظفي مكتب نائب الزعيم .

واذا كان هتلر قـد دهش من رحيل هس المفاجىء فإن دهشة تشرشل من مجيئه غير المتوقع كانت اكبر واشد . [1] أما ستالين فقد ثارت شكوكه الى حد كبير للغاية . وظلت هذه الحادثة الغريبة سراً من الاسرار طيلة الحرب ، ولم تتضح إلا في محاكمات نورمبرغ عندما وقف هس بين زمرة المتهمين . وفي وسعنا أن نسرد الحقائق المتعلقة بها بايجاز .

كان هس دائماً رجلاً مهوّش الفكر وان لم يكن يماثل روزنبرغ في الحماقة . وقد طار الى بريطانيا مدفوعاً بفكرة خادعة طرأت على عقله، بأن في استطاعته ان يصل الى تسوية سلمية مع بريطانيا . وعلى الرغم ممـــا في هذه الفكرة من خداع ، إلا ان مما لا شك فيه انه كان مخلصاً ، وليس ثمـة من داع مطلقاً الى الشك في هذا الاخلاص . وكان هس قد تعرف الى الدوق هاملتون في برلين إبان الالعاب الاولمبية في عام ١٩٣٦ ، وعندما بات على بعد اثني عشر ميلاً من منزل الدوق في اسكوتلندة ، مما يشير الى دقته في الملاحـــة الجوية ، راح يقذف بنفسه من طائرته المسر شميت ، ويهبط بمظلته سالماً الى الارض ، فيسأل فلاحاً رآه أمامه ان ينقله الى مـنزل اللورد الاسكوتلندي . وحدث ان كان الدوق

---

١ ـ رسم تشرشل صورة واضحة للطريقة التي تلقى فيها النبأ في ساعة متأخرة من ليلة السبت ، عندما كان يزور دارته الريفية ، وكيف ان النبأ بدا له غريباً في بداية الأمر الى حد عـــدم تصديقه (مذكرات تشرشل ـ الجزء الثالث ـ الحلف الاعظم . ص ٥٠ ـ ٥٥) .

في السلاح الجوي الملكي ، وهو قائد جناح في عمله تلك الليلة ، في احـدى غرف العمليات في قطاع من القطاعات ، وكان قد رأى طائرة المسر شميت على شاشة الرادار وهي تقترب من الساحل ثم رآها تتجه نحو الارض بعيد الساعة العاشرة. وبعد نحو من ساعة ، نقل اليه نبأ سقوطها على الارض وقد اشتعلت فيها النيران ، وان طائرها الذي هبط بمظلته قد ذكر ان اسمه الفرد هورن وادعى انه قادم في « مهمة خاصة » لمقابلة الدوق هاملتون . وقد رتّبت السلطات البريطانية أمر هذا الاجتماع في الصباح التالي .

وراح هس يشرح للدوق انه قادم في « مهمة انسانية وان الفوهرر لا يريد ان يهزم انكلترا وانه يريد وقف الحرب معها » . وقال هس ، ان هناك حقيقة واقعة ، وهي ان هذه هي المرة الرابعة التي يحاول الطيران فيها الى بريطانيا اذ اضطر في المحاولات الثلاث السابقة الى النكوص على عقبيه بسبب رداءة الطقس ، واضاف ان هويته كعضو في وزارة الرايخ تظهر « اخلاصه ورغبة المانيا الصادقة في السلام » . ولم يتراجع هس في هذه المقابلة ، وفي المقابلات التالية التي جرت له مع آخرين عن التأكيد بأن المانيا ستربح الحرب ، وانها اذا استمرت فإن حالة بريطانيا ستغدو فظيعة ، وهو ينصح مضيفيه والحالة هـذه بأن ينتهزوا فرصة وجوده ، وان يفاوضوا لعقد الصلح . وكان هذا المتعصّب النازي واثقاً من ان البريطانيين سيجلسون اليه ويتحدثون معه في أمر الصلح ، الى الحد الذي حمله على ان يطلب من الدوق ، أن يسأل الملك « منحه كلمة الامان » اذ انـه جاء الى انكلترا دون أي سلاح وبمحض رغبته الخاصة . [١] وطالب فيما بعد بأن يعامل بالاحترام الذي يعامل به أي وزير .

وقد اجرى المحادثات التالية معه ، من الجانب البريطاني ، باستثناء محادثة واحدة ، ايفون كيركباتريك السكرتير الأول السابق في السفارة البريطانية في برلين والخبير بالشؤون الألمانية . وقد عرضت تقاريره السرية عن المحادثات

---

١ ـ تقرير الدوق هاملتون الشخصي ـ المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٣٨ – ٤٠

كلها فيما بعد على محكمة نورمبرغ .[1] وراح هس يردد لهذا الأنسان العليم بالشؤون النازية . ما سبق لهتلر قوله من تفسيرات لاعتداءاته الـــتي تبدأ بالنمسا مارة باسكندينافيا ومنتهية بالاراضي المنخفضة ، واصر على القول بمسؤولية بريطانيا عن الحرب ، وعلى التأكيد بأنها ستخسرها حتماً ، اذا لم توقفها الآن ، ثم تلا على مسامعه اقتراحاته لعقد الصلح . ولم تكن هذه الاقتراحات تعدو ما سبق لهتلر ان عرضه دون نجاح على تشمبرلين عشية هجومه عـلى بولندة ، وهو ان تطلق بريطانيا حرية العمل والمجال لألمانيا في اوروبا مقابل اطلاق هذه لها حرية العمل والمجال في امبراطوريتها . ونصـــت الاقتراحات ايضاً عـــلى وجوب عودة المستعمرات الألمانية السابقة ، وعلى وجوب قبول بريطانيا بعقـــد الصلح مع ايطاليا . وقد روى كيركباتريك في تقريره ما يلي :

« وعندما كنا نوشك اخيراً على مغادرة الغرفة ، اطلق هس سهمه الاخير . فقد اعلن انه نسي ان يؤكد ، بأن هذه الاقتراحات لا يمكن ان تقبل من جانب المانـــيا إلا اذا تولت المفاوضة فيها حكومة انكليزية غير الحكومة الحالية . فالمستر تشرشل الذي خطط للحرب منذ عـــام ١٩٣٦ ، وزملاؤه الذين باعوا أنفسهم لسياســـته الحربية ليسوا مـــن النوع الذي يستطيع الفوهرر التفاوض معه » .

وفي وسع كل مرء عرف هس شخصياً ، ان يشهد بأنه كان الساذج الوحيد بين الألمان الذين مضوا بعيداً في الحرب الوحشية الـــتي شنها الحزب النازي اولاً والرايخ الثالث ثانياً . وكان يتوقع كما يبدو من وقائع المحادثات التي جرت معه ان يستقبل فوراً كمفاوض جدي ، إن لم يكن من قبل تشرشل فمـــن « حزب المعارضة » ، الذي كان يظـــن ان الدوق هاملتون أحد زعمائه . وعندما وجد ان اتصالاته مـــع المسؤولين البريطان ظلت مقتصرة على كيركباتريك ، أخذ

---

٢ - تقارير كيركباتريك عن مقابلاته لهس – المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص٠ ٤ - ٤٦

ينقد هدوءه ويتحوّل الى التهديد . وراح يرسم في المقابلة التي جرت له مع الدبلوماتي البريطاني الكثير الشكوك في الرابع عشر من ايار ، النتائج الوخيمة لبريطانيا اذا اصرت على المضي في الحرب .وقال إن بريطانيا ستشهد عما قريب حصاراً كاملاً للغاية وفظيعاً للجزر البريطانية . وروى كير كباتريك ان هس قال له :

« وليس من المجدي بالنسبة الى أي انسان هنا ان يتصور بأن في وسع انكلترا ان تستسلم،وان تواصل شن حربها من امبراطوريتها. ويعتزم هتلر في حالة وقوع مثل هذا ان يواصل حصاره لانكلترا.. بحيث يصبح لزاماً علينا ان نواجه التجويع المتعمد لشعب هذه الجزر . »

وحث هس على وجوب الشروع في المفاوضات التي تحمل الكثير من الاخطار لاجرائها فوراً . وقد أوضح لكير كباتريك كما روى هذا « ان طيرانه، استهدف اعطاءنا فرصة للشروع في مفاوضات مع احتفاظنا بكرامتنا . واذا ما رفضنا هذه الفرصة فإن رفضنا هذا يعتبر برهاناً واضحاً على اننا لا نريد التفاهم مع المانيا، وان من حق هتلر في هذه الحالة ، بل من واجبه، ان يحطمنا تمام التحطيم،وان يتركنا بعد انتهاء الحرب في حالة من العبودية الدائمة » . وأصرّ هس على ان يظل عدد المفاوضين صغيراً . ومضى يقول :

« وهو كوزير من وزراء الرايخ لا يستطيع ان يضع نفسه في موقف الانسان الفرد الذي يتعرض لوابل من التعليقات والأسئلة من عدد ضخم من الناس . »

وقد انتهت المحادثات بالنسبة الى كير كباتريك عند هذا الحد المضحك. ولكن مجلس الوزراء البريطاني كما روى تشرشل نفسه ، وهو مـا يثير الدهشة [1] قد طلب الى احد اعضائه وهو اللورد سيمون ان يقابل هس في العاشر من حزيران.

---

١ ـ تشرشل مذكرات - الجزء الثالث ـ الحلف الاعظم . ص ٥٤

وقد روى محامي الدفاع عن هس في محكمة نورمبرغ ان سيمون وعده ، بأن يعرض اقتراحاته السلمية على الحكومة البريطانية .[٢]

وليس ثمة من شك في وضوح دوافع هس . فلقد اراد مخلصاً السلام مع بريطانيا . ولم يكن لديه ذرة من الشك في ان ألمانيا ستربح الحرب وستحطم المملكة المتحدة ما لم يعقد الصلح فوراً . وكانت هناك ولا ريب اهداف اخرى. فلقد جاءت الحرب له بكسوف شخصي . ورأى ان ادارته للحزب النازي كنائب هتلر ، إبان الحرب ، عمل بليد ، وليست فيه أية أهمية . وكان كل ما يهم المانيا الآن ، تسيير دفة الحرب ودفة الشؤون الخارجية. وكانت هذه هي القضايا التي استأثرت دون سواها باهتمام الفوهرر ، وسلطت الاضواء على غورنغ وريبنتروب وهملر وغوبلز والقادة العسكريين . وأحس هس بالمرارة والغيرة . فهل هناك من سبيل أفضل لاستعادة مركزه القديم عند زعيمه المحبوب وفي البلاد،من القيام بمثل هذه الخطوة الجريئة والرائعة من الفراهة السياسية،وتدبير امر الصلح ، بصورة فردية بين المانيا وبريطانيا ؟

واخيراً كان نائب الزعيم الكث الحاجبين كغيره من كبار قادة النازي الآخرين وفي مقدمتهم هتلر نفسه وهملر ، قد شرع يؤمن ايماناً قوياً بالتنجيم والفلك . فعندما كان في نورمبرغ اسر لطبيب السجن النفساني الدكتور دوغلاس . ام . كيلي ، ان احد منجميه كان في أواخر عام ١٩٤٠ ، قد قرأ له طالعه ، فقال له ان نجمه يشير الى ان العناية الالهية تشاء له ان يحقق السلام. وروى ايضاً ان مستشاره القديم الاستاذ هوشوفر ، العالم الجغرافي – السياسي في ميونيخ ، قد رآه في الحلم ، يخطو عبر قاعات القصور الانكليزية المسدلة

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب الالمان (١٠) ص ٧ . قال هس لمحكمة نورمبرغ ان اللورد سيمون قد قدم نفسه إليه باسم « الدكتور غوثري» ، وانه قال له ما يلي : « لقد جئت مخولاً من الحكومة ، وانا على استعداد للبحث معك في كل شيء قد يبدو نافعاً ، وقد ترغب في الافضاء به ليصل الى علم الحكومة » . (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٧٤ .)

الستائر حاملاً السلام الى الشعبين « النورديين » العظيمين .[1] ولا ريب في ان مثل هذه الاقوال لرجل لم يخرج قط عن دور المراهقة الفكرية ، قد سيطرت على جميع افكاره ، وساعدت على ان توحي له بالقيام بهذه المهمة الغريبة الى انكلترا .

وخرج أحد ممثلي الادعاء في نورمبرغ ، وهو انكليزي ، بفكرة جديدة عن الدافع الى رحلة هس . فقد ذكر ان نائب الفوهرر طار الى انكلترا ليحاول الوصول الى تسوية سلمية معها . لتتمكن المانيا من الحرب في جبهة واحدة عندما تشرع في هجومها على الاتحاد السوفياتي . وقال ممثل الادعاء الروسي للمحكمة انه واثق من صحة هذا الدافع . وقد شاركه في هذه الثقة ايضاً جوزيف ستالين ، الذي تركزت شكوكه العظيمة في هذه الآونة على بريطانيا لا على المانيا حيث كان من الواجب ان تتركز . وقد اقنعه وصول هس الى سكوتلندة ، بأن ثمة مؤامرة خفية للغاية يجري طبخها بين تشرشل وهتلر . لتتاح لألمانيا في هجومها على الاتحاد السوفياتي نفس الحرية التي اتاحها لها الديكتاتور الروسي عند مهاجمتها بولندة والغرب . ولم يشأ ان يعدل عن هذا الاعتقاد ، حتى بعد ثلاث سنوات عندما حاول رئيس الوزراء البريطاني في زيارته الثانية لموسكو اقناعه بالحقيقة . ولكن يتضح الى حد كبير من عملية الاستجواب التي قام بها كير كباتريك للرجل ، والتي حاول فيها ان يستخلص منه ما لديه من معلومات عن نوايا هتلر تجاه روسيا ، ان هس كان إحد رجلين ، أما الجاهل بوجود عملية بربروسة تمام الجهل ، او الرجل الذي لا يعرف انها واقعة في وقتٍ قريب ، هذا إذا كان قد عرف بوجودها حقاً .

وكانت الايام التي تلت هروب هس المفاجىء ، من أشد الايام مضايقة وازعاجاً لهتلر في حياته . فقد ادرك ان سمعة عهده ونظامه ، قد تحطمت الى حدٍ كبير من جراء فرار اخلص انصاره والمتعاونين معه . وراح يفكر في الطريقة

---

١ ـ دوغلاس . ام . كيلي . زنزانات نورمبرغ ص ٢٣ - ٢٤

التي يجب ان يلجأ اليها لشرح هذه القضية الى الشعب الألماني والى العالم الخارجي. واقنعه استجواب المعتقلين من بطانة هس بأن ليس ثمة من مؤامرة عليه او افتقار الى الولاء له. وآمن بأن مساعده، قد انهار ليس إلا. وتقرر في اجتماع عش النسر، وبعد ان أيد البريطانيون وصول هس الى بلادهم، تقديم هذا التفسير الى الشعب. وسرعان ما نشرت الصحف الألمانية وصفاً قصيراً، ذكرت فيه ان هذا الرجل الذي كان قبل قليل كوكباً ساطعاً من كواكب الاشتراكية الوطنية قد بات «انساناً مهووساً، وخيالياً ملتبس العقل، ومرتبكه، تسيطر عليه «الهلوسات» التي يمكن ردها الى ما اصيب به من جراح في الحرب الكونية الأولى». ومضى البلاغ الرسمي الذي نشرته الصحف الألمانية يقول:

«ويبدو ان رفيق الحزب هس، قد عاش أخيراً في حالة من «الهلوسة» والخبال حملته على الاعتقاد بأن في وسعه ان يحقق تفاهماً بين انكلترا والمانيا... ولن يؤثر هذا الحادث على أي حال، على مواصلة الحرب التي فرضت فرضاً على الشعب الألماني».

واصدر هتلر اوامره سراً، بقتل هس فوراً إذا عاد، [1] كما أمر علناً بإقالة رفيقه القديم من جميع مناصبه، واختار محله، في نيابة زعامة الحزب مارتن بورمان، الرجل الأكثر دهاء ومكراً من سلفه. وأمل الفوهرر، في أن

---

١ - عاش هس بعد هتلر، وظهر في محاكمات نورمبرغ، شخصاً محطماً حزيناً، يتظاهر في شطر من المحاكمات بفقدان الذاكرة، وان كان عقله في الحقيقة قد اهتز وفقد توازنه. وقد حكمت عليه المحكمة بالسجن مدى الحياة ونجا من الحكم بالاعدام، رأفة بحاله من جراء ما اصيب به من انهيار عقلي. وقد وصفت وضعه في نهاية كتابي.. «يوميات برلين».

وقد عامله البريطانيون معاملتهم لأسرى الحرب، واطلقوا سراحه في العاشر من تشرين الأول عام ١٩٤٥، ليتمكن من الظهور كمتهم امام محكمة نورمبرغ. وكان اثناء اسره في انكلترا، يشكو بمرارة من ان البريطانيين قد انكروا عليه حقه في «الامتيازات الدبلوماتية الكاملة»، التي واصل المطالبة بها: وبدأ عقله غير المتزن، ينهار شيئاً فشيئاً، متعرضاً الى نوبات من فقدان الذاكرة. وقد روى للدكتور كيلي، انه حاول الانتحار مرتين اثناء اعتقاله. واضاف انه بات على يقين من ان البريطانيين يحاولون قتله بالسم.

ينسى الناس في وقت قريب هذه القصة الغريبة ، وعادت افكاره تتجه بسرعة الى موضوع الهجوم على روسيا الذي لم يعد موعده بعيداً .

حـــالة الكرملين

ظل رجال الكرملين ، وعلى رأسهم ستالين يأملون مع ما عرف عنهم مـن واقعية مجردة ، أملاً أعمى ، في ان تنجو روسيا بشكل من الاشكال من حنق الطاغية النازي ، هذا على الرغم من قيام جميع الدلائل على نوايا هتلر كحشده الجيوش الجرارة في بولندة ، وتجميعه اكثر من مليون جنـــدي نازي في دول البلقان القريبة ،واحتلال قواته المسلحة ليوغوسلافيا واليونان بالاضافة الى رومانيا وبلغاريا والمجر . ولكن شكوكهم الطبيعية كانت تنمو بدون ريب وتتزايد على ضوء الحقائق العارية ، ولم يكن في وسعهم ان يكبتوا سخطهم المتزايد مـــن حركات هتلر في جنوب شرق اوروبا . ومع ذلك ، فهناك شيء يبعد كثيراً عن الواقع ، ولا يكاد يصدق أو يفهم ، في تلك الرسائل الدبلوماتيـة التي تبودلت بين موسكو وبرلين في غضون اسابيع ذلك الربيع ، والمحفوظـة في الوثائق الألمانية المصادرة ، اذ تصور من ناحية محاولات الألمان الرعناء لخداع الكرملين حتى النهاية ، وعجز القادة السوفيات ،عن ادراك الواقع ادراكاً تاماً وصحيحاً، واتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة هذا الواقع في الوقت المناسب .

وعلى الرغم من ان الروس قد احتجوا مرات عدة عـــلى دخول القوات الألمانية الى رومانيا وبلغاريا ، وكذلك على الهجوم على يوغوسلافيا واليونان ، معتبرين هذه الأعمال خرقاً للميثاق النازي – السوفيـــاتي ، وتهديداً « لمصالح الامن السوفياتية » ، إلا انهم ما لبثوا ان تراجعوا ، واغرقوا في محاولة ترضية برلين ، كلما اقترب موعد الغزو . وقد تولى ستالين نفسه زمام المبادرة في هذا الميدان . فقد ابرق السفير الالماني فون دير شولنبرغ من موسكو في الثالث عشر من نيسان عام ١٩٤١ ، برقية ممتعة الى برلين ، روى فيها كيف ان ستالين قد

ابدى في تلك الليلة التي غادر فيها يوسوكاماتسوكا وزير خارجية اليابان موسكو اثر انتهاء زيارته لها ، « عواطف ودية بارزة » لا نحو اليابان وحدها ، بل ونحو المانيا ايضاً . . ومضى السفير يقول في برقيته :

« وعندما كنا في المحطة ، استدعاني ستالين بصورة علنية ، وألقى بذراعه على كتفي وقال : « يجب ان نظل اصدقاء ، وعليك انت ان تفعل كل شيء لتحقيق هذه الغاية ! » . وعاد ستالين بعد قليل فالتفت الى ملحقنا العسكري بالنيابة العقيد كريبس ، وبعد ان تأكد من هويته الالمانية ... قال له : « سنظل اصدقاء لكم ، مهما حدث » [١]

وابرق القائم بالاعمال الالماني في موسكو ، تيبلسكيرش ، بعد ثلاثة . ايام الى برلين ، مؤكداً ان التظاهرة التي وقعت في المحطة ، قد اقامت الدليل على ما يحمله ستالين من صداقة لالمانيا ، وان اهميتها تقوم بصورة خاصة « بالنسبة الى الشائعات الرائجة باستمرار عن توقع نشوب الصراع بين المانيا والاتحاد السوفياتي » [٢] وكان تيبلسكيرش ، قد ابلغ برلين في اليوم السابق ان الكرملين قد قبل دون « قيد أو شرط » وبعد شهور من المماطلة والتسويف ، الاقتراحات الالمانية لتسوية مشاكل الحدود بين البلدين من نهر ايفوركا حتى بحر البلطيق . واضاف « ان هذا الموقف المتساهل من جانب الحكومة السوفياتية يعتبر في منتهى الغرابة والاهمية . » [٣] وليس ثمة من شك في هذه الغرابة بالنسبة الى ما كان يطبخ في برلين من اعدادات .

وظلت الحكومة السوفياتية على تساهلها ايضاً في موضوع تزويد المانيا المحاصرة بما تحتاج اليه من مواد اولية مهمة . وقد نقل شنوري المسؤول عن

---

١ ـ العلاقات النازية ـ السوفاتية ص ٣٢٤

٢ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص٣٢٦ .

٣ ـ العلاقات النازية – السوفياتية ص ٣٢٥

المفاوضات التجارية مع موسكو الى سادته النازيين في الخامس مـــن نيسان عام ١٩٤١ ، وهو يكاد يطير من الفرح ، ان الشحنات الروسية بعد ما طرأ عليها من هبوط في شهري كانون الثاني وشباط من العام نفسه بسبب ما وقع من « فتور في العلاقات السياسية » قد عادت الى الارتفاع بسرعة خارقة في شهر اذار ولا سيما في القمح والزيت ومعدن المنغيز وغيره من المعادن الثمينة وغير الحديدية . ثم اضاف قائلاً :

« وقد عادت حركة النقل العابرة في سيبريا الى ما كانت عليه من نشاط . ووضعت الحكومة السوفياتية ايضاً تلبية لطلبنا قطار شحن خاصاً على الحدود المنشورية تحت تصرفنا لنقل المطاط . »[١]

وعاد شنوري بعدستة اسابيع أي في الخامس عشر من ايار فنقل الى حكومته ان الروس الكرماء ، قد وضعوا عدة قطارات شحن تحت تصرف الالمان لنقل اربعة آلاف طن من المطاط الخام الى المانيا على خطوط سيبريا ، نظراً لحاجة المانيا الماسة الى هذه المادة . ثم قال :

« ويقوم الروس بتسليم كميات المواد الاولية التي تم التعاقـــد عليها ، بدقة في الاوقات المعينة ، على الرغم مما يلقيه هذا التسليم من اعباء ثقيلة عليهم ... واني لواقع تحت الانطباع بأن في وسعنا ان نطلب من الروس مطالب اقتصادية تتعدى الحدود المتفق عليها في معاهدة العاشر من كانون الثاني . وهي طلبات تضمن لنا الحصول على كميات من الاغذية ومتطلبات المواد الاولية لالمانيـا ، تفوق المدى الذي تعاقدنا عليه . »[٢]

وذكر شنوري ان تسليم الالمان للآلات التي تحتاج اليها روسيا والـــتي تم التعاقد عليها ، قد هبط هبوطاً كبيراً . واضاف ان هذا لا يهمه كثيراً طالما ان الروس راضون عن هذا الوضع . لكنه شعر بالقلق في تقريره في الخامس عشر

---

١ – العلاقات النازية – السوفياتية ص ٣١٨ .

٢ - العلاقات النازية – السوفياتيةص ٣٤٠ - ٣٤١ .

من ايار ، من جراء عامل جديد . . فقد شكا من « المتاعب العظيمة التي يخلقها هذا السيل الذي لا نهاية له من الشائعات عن توقع الصراع بين المانيا وروسيا » . وهي متاعب تقع مسؤوليتها على المصادر الألمانية الرسمية . واوضح شنوري في مذكرة مطولة بعث بها الى الخارجية الألمانية ، إنه مندهش من ان هذه المتاعب لا تصدر عن روسيا وانما عن المؤسسات الصناعية الألمانية التي قال انها تحاول « الانسحاب » من عقودها مع الروس .

وأرى لزاماً علي هنا أن أذكر بأن هتلر كان يبذل كل ما في وسعه لنفي هذه الشائعات ، وان كان في الوقت نفسه ، يحاول اقناع قادته العسكريين وكبار موظفيه بأن الخطر يتزايد على المانيا من توقع هجوم روسي عليها . وعلى الرغم من ان هؤلاء القادة العسكريين ، كانوا يعرفون الحقيقة من مصادر مخابراتهم ، إلا انهم كانوا كما يبدو واقعين تحت تأثير سحر هتلر عليهم ، الذي يـــكاد يشبه التنويم المغناطيسي ، حتى ان هولدر وبراوختش ومانشتاين وغيرهم من القادة العسكريين ، باستثناء باولوس الذي كان اكثر صدقاً منهم ، ظلوا بعد الحرب ، يقولون ان الحشود العسكرية السوفياتية على الحدود البولندية باتت منذرة بالخطر في مطلع صيف عام ١٩٤١ .

وقد اجتمع الكونت فون دير شولنبرغ الذي وصـــل الى برلين قادماً من موسكو في اجارة قصيرة الى هتلر في الثامن والعشرين من نيسان وحاول اقناعه بنوايا روسيا السلمية . وراح يشرح له افكاره قائلاً : « إن روسيا قلقة للغاية من الشائعات التي تتوقع هجوماً المانياً من روسيا » واضاف قائلاً « وانا لا استطيع ان اصدق بأن روسيا ستهاجم قط المانيا . . . واذا كان ستالين قـد رفض السير جنباً الى جنب مع انكلترا وفرنسا في عـــام ١٩٣٩ عندما كانتا قويتين ، فمن المؤكد انه لن يتخذ مثل هذا القرار اليوم وهو يرى ان فرنسا قد انتهت وان انكلترا قد دكت دكاً عنيفاً . واني لواثق على النقيض من ذلـك ، من استعداد ستالين للمضي الى ابعد مما وصل اليه في التساهل معنا » .

وراح الفوهرر يتظاهر بالشك في ذلك . فلقد « حذره » ما وقع في صربيا

من احداث ثم قال : « ترى أي شيطان استحوز على الروس حتى يعقدوا ميثاق صداقة مع يوغوسلافيا ؟ »[1] واضاف قائلاً : « وانني لأصدق ان ليس في الامكان حمل روسيا على مهاجمة المانيا » ، ولكنه يجد نفسه مضطراً رغم ذلك « الى اتخاذ موقف الحيطة والحذر » . ولم يتحدث هتلر الى سفيره في الاتحاد السوفياتي عن الخطط التي وضعها لغزو تلك البلاد ، وظل شولنبرغ ، وهو الألماني الشريف الصادق من رجال المدرسة القديمة جاهلاً بما يدور حتى النهاية .

وظل ستالين ايضاً على هذا الجهل . وان لم يكن جاهلاً للدلائل والتحذيرات عما ينتوي هتلر عمله . واحتجت الحكومة السوفياتية رسمياً في الثاني والعشرين من نيسان على ثمانين حادثة من حوادث انتهاك الطائرات النازية لحدود بلادها وقعت بين السابع والعشرين من آذار والثامن عشر من نيسان ، وقدمت في احتجاجها التفاصيل الوافية المتعلقة بكل حادث من هذه الحوادث . وقالت مذكرة الاحتجاج ، انه عثر في احدى طائرات الاستطلاع الالمانية التي اضطرت الى الهبوط على مقربة من روفنو في الخامس عشر من نيسان على جهاز تصوير وعلى اسطوانات من الافلام التي تم تصويرها ، وعلى خريطة طوبوغرافية للمناطق القريبة من الاتحاد السوفياتية « وكلها دلائل واضحة على الهدف الذي كان يسعى اليه ملاحو الطائرة » . ومع ذلك فقد حافظ الروس على لهجتهم الودية حتى في احتجاجهم . اذ اضافت ان الأوامر قد صدرت الى قوات الحدود السوفياتية « بعدم اطلاق النار على الطائرات الالمانية التي تحلق فوق الارض السوفياتية طالما ان هذا التحليق لا يتكرر بصورة مستمرة . »[2]

---

١ ـ كانت الحكومة السوفياتية في الخامس من نيسان أي في اليوم الذي سبق الهجوم الألماني على يوغوسلافيا قد سارعت الى عقد « معاهدة صداقة وعدم اعتداء » مع الحكومة اليوغوسلافية الجديدة هادفة من ورائها كما يبدو ، الى القيام بمحاولة محمومة لوقف هتلر عند حده. وكان مولوتوف قد نقل نبأ هذه المعاهدة الى شولنبرغ في الليلة السابقة ، وقد علق السفير الألماني على ذلك هاتفاً : « انها لحظة غير مؤاتية مطلقاً » وحاول عبثاً ان يحمل الروس على تأجيل توقيع المعاهدة على الأقل . (العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٣١٦ - ٣١٨) .

٢ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ـ ص ٣٢٨

وعاد ستالين في مطلع شهر ايار ، فخطا عدة خطوات جديدة للتفاهم مع المانيا . فقد طرد الممثلين الدبلوماتيين لبلجيكا والنروج واليونان وحتى يوغوسلافيا من موسكو وأمر باغلاق مفوضياتهم سعياً منه لارضاء هتلر . واعترف بحكومة رشيد عالي في العراق الموالية للنازية (؟) . وفرض رقابة صارمة على الصحافة السوفياتية للحيلولة دون استفزاز المانيا . وقد ابرق شولنبرغ الى برلين في الثاني عشر من ايار يقول :

« ان القصد من هذه التظاهرات من جانب حكومة ستالين عن نواياها ، لتخفيف حدة التوتر بين الاتحاد السوفياتي والمانيا وخلق جو افضل للمستقبل . وعلينا ان نذكر دائماً ان ستالين كان يؤيد تمام التأييد بصورة شخصية ودائماً وجود علاقات ودية بين المانيا والاتحاد السوفياتي . » [1]

وعلى الرغم من ان ستالين كان منذ عهد طويل الحاكم المطلق في الاتحاد السوفياتي ، إلا ان هذه هي المرة الأولى التي يستعمل فيها شولنبرغ في برقياته عبارة « حكومة ستالين » . وكان لهذا الاستعمال سبب طيب . ففي السادس من ايار ، تولى ستالين شخصياً رئاسة مجلس مفوضي الشعب أو رئاسة الوزراء ، خالفاً في هذا المنصب مولوتوف الذي ظل وزيراً للخارجية . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتولى فيها الامين العام للحزب الشيوعي ، وصاحب السطوة والنفوذ ، منصباً حكومياً ، وكان تفسير الرأي العام العالمي لهذا التبدل ، ان الوضع قد بات خطيراً كل الخطورة بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي ولا سيما من ناحية علاقاته مع المانيا النازية، حتى ان ستالين اصبح وحده القادر على معالجته بوصفه الرأس الاسمي والحقيقي للحكومة . وكان هذا التفسير واضحاً كل الوضوح ، ولكن كان ثمة تفسير آخر اقل منه وضوحاً ،وقد ابرزه السفير الألماني ذو الكفاية ابرازاً جلياً في رسالته الى برلين .

---

١ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٣٣٨

فلقد روى السفير ان ستالين كان غير راض عـــن التدهور الذي طرأ على العلاقات الألمانية - السوفياتية ، وقـــد حمّل مسؤوليته لدبلوماتية مولوتوف الجامدة وقال :

« واني لأرى ان في وسعنا الافتراض بأن ستالين قد وضع هدفاً لسياسته الخارجية يعتبر في منتهى الاهمية ... وهو يأمـل في ان يصل الى هذا الهدف بجهوده الخاصة . وإني لأعتقد اعتقاداً جازماً، انه في مثل هــذا الوضع الدولي الذي يعتبره ستالين خطيراً ، فإن هذا الرجل قد حدد لنفسه هدفاً وهو ابعاد الاتحاد السوفياتي عن الصراع مع المانيا . »[1]

ولكن ألم يكن الديكتاتور الروسي الداهية قد ادرك الآن أي في اواسط ايار عام ١٩٤١ ، ان من المستحيل عليه ان يحقق هذا الهدف،وان سبيله الوحيد للوصول إليه لا يعدو ان يكون الاستسلام الذليل لهتلر ؟ وليس ثمة من شك في ان ستالين قد ادرك ما يعنيه احتلال هتلر ليوغوسلافيا واليونان ، وما يرمز اليه وجود هذه الحشود الضخمة من القوات الألمانية في رومانيا والمجرعلىحدوده الجنوبية الغربية ، وما يرمي اليه تركـيز القوات المسلحة الألمانية على حدوده الغربية في بولندة . وليس ثمة من ريب ايضاً في ان هذه الشائعات المتواترة في موسكو قد وصلت الى مسامعه . اذ لم يكد يحـــل اليوم الأول من ايار حتى كانت الشائعات من الشدة بحيث دفعت شولنبرغ الى وصفها في برقية بعث بها الى برلين في الثاني من الشهر « بالاقاويل عن وقوع صراع عسكري في اقرب وقت بين المانيا وروسيا » وان هذه الاقاويل كانت مـــن سعة الانتشار في العاصمة السوفياتية الى الحد الذي بات فيه هو وموظفو سفارته عاجزين عـن دحضها ونفيها . ثم مضى يقول :

«وارجو ان تتذكروا ان جميع محاولاتنا لدحض هذه الشائعات

---

١ - برقيات شولنبرغ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٣٣٥ - ٣٣٩ .

في موسكو لن تجدي فتيلاً، اذا ظلت هذه الشائعات تصل باستمرار من المانيا، واذا بات كل مسافر قادم الى موسكو أو مار بها، لا يكتفي بحمل هذه الشائعات معه بل ويؤكدها سارداً الحقائق التي تقوم دليلاً على صحتها. »[1]

وكان الشك قد بدأ يتطرق الى السفير المحنك نفسه. فقد ظلت التعليمات تصل اليه من برلين طالبة منه ان ينفي هذه الشائعات وان ينشر بدلاً منها اقوالاً تؤكد عدم وجود أية حشود المانية على حدود روسيا، وان قوات كبيرة فعلا (وقد حدد عدها بثماني فرق لمعلوماته الخاصة)، يجري نقلها « من الشرق الى الغرب »[2]. ومن المحتمل ان تكون هذه التعليمات قد أيدت شكوك السفير وقلقه، اذ ان الصحف في جميع انحاء العالم كانت قد شرعت في هذا الوقت تطبّل وتزمر للحشود الألمانية على الحدود السوفياتية.

وكان ستالين قبل أمد طويل من هذه الوقائع، قد تلقى تحذيرات محدّدة عن خطط هتلر ومشاريعه. ولكن يبدو أنه لم يلق الى هذه التحذيرات بالاً. وكان اكثر هذه التحذيرات جدّية وخطورة من حكومة الولايات المتحدة الامريكية.

ففي مطلع كانون الثاني عام ١٩٤١ بعث سام. اي. وودز، الملحق التجاري الامريكي في برلين، بتقرير سري الى وزارة الخارجية في واشنطن يقول فيه انه علم من مصادر المانية موثوقة، ان هتلر، يعد الخطط اللازمة للهجوم على روسيا في الربيع المقبل. وكان هذا التقرير مطولاً ومليئاً بالتفاصيل التي تحدد خطة هيئة اركان الحرب الألمانية للهجوم (وقد قامت القرائن فيما بعد على صحة هذه التفاصيل ودقتها)، والتي تشرح الاعدادات التي يجري اتخاذها لاستغلال الاتحاد السوفياتي اقتصادياً بعد استكمال احتلاله.[3]

---

١ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٣٣٤

٢ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٣٣٤-٣٣٥.

٣ - عرفنا ونحن في برلين سام وودز هذا، وكان انسانا مستظهراً بفطرته (أي مواماً بالظواهر) وكنا نرى فيه رغم حبنا له، افتقاراً الى تفهم شؤون السياسة العالمية والتاريخ، ولذا

وخيل الى كوردل هل وزير الخارجية الامريكية في بداية الأمر، ان وودز وقع ضحية «خدعة» المانية . وراح يستدعي جي ادغـار هوفر ، رئيس دائرة الاستخبارات المركزية . وعندما قرأ هوفر تقرير الرجل ، أكد صحته وصدقه. فقد ذكر وودز اسماء عدد من مصادره في مختلف وزارات برلين وفي هيئة اركان الحرب الألمانية ، وعندما تم التحري عن اصحاب هذه الأسماء في واشنطن، تبيّن انهم من الناس الذين يعرفون الكثير ، وان ميولهم المعادية للنـــازية تدفعهم الى الحديث والثرثرة وقرر هل رغم العلاقات المتوترة بين الحكومتين الامريكية والسوفياتية ان يبلغ الروس المعلومات التي جاءته ، وأوعز الى وكيل وزارتـه سمنر ويلز بنقل فحوى التقرير الى السفير السوفياتي قسطنطين اومانسكي. وقد تم هذا في العشرين من آذار ، وكتب سمنر ويلز فيما بعد يقول :

« وعلا الشحوب وجه المستر اومانسكي . وسكت لحظة واحدة ثم اكتفى بقوله :

« انني لأدرك تمام الأدراك خطورة الرسالة التي قدمتها لي . ولا

.... كان بالنسبة الينا آخر موظف في السفارة الأميركية في برلين يستطيع الوصول الى مثل هذه المعلومات الخطيرة ، ولا ريب في ان زملاءه في السفارة ما زالوا يشكون في انـــه توصل الى هذه المعلومات ولكن كوردل هل قد اكد هذا في مذكراته وسرد تفاصيل التقرير . فقد روى وزير الخارجية المتوفي انه كان لوودز صديق الماني من خصوم النازية ، وكانت لهذا الصديق اتصالات عالية في وزارات برلين ، وبنك الرايخ والحزب النازي . وقد نقل هذا الصديق لوودز في شهر آب عام ١٩٤٠ ، ان مؤتمرات تعقد في مقر قيادة هتلر لدرس الاعدادات اللازمة لشن هجوم على الاتحاد السوفياتي . وظل هذا الخبر ، منذ ذلك الحين يطلع الملحق التجاري على كل ما يجري في هيئة اركان الحرب ، وبين اولئك الذين يخططون لا ستغلال روسيا اقتصادياً . وكان وودز يجتمع الى هذا المخبر تجنباً للعيون والرقباء في مختلف دور السينما في برلين ويتسلم منه في الظلام قصاصات مطوية من الورق (راجع مذكرات كوردل هل ـ الجزء الثاني — ص٩٦٧ — ٩٦٨).

وقد غادرت برلين في كانون الأول عام ١٩٤٠ . وابلغني جورج كينان ، ألمع رجال السلك السياسي في السفارة . والذي ظل هناك ، ان السفارة علمت من مصادر عدة بالهجوم الألماني المقبل على روسيا . ويقول كينان هذا ان قنصلنا في كوينغزبرغ ، كويكيندال ، ابرق بتقرير قبل اسبوعين او ثلاثة اسابيع من بدء الهجوم ، يحدد فيه بالضبط الموعد الصحيح الذي سيبدأ فيه الزحف على روسيا .

ريب في ان حكومتي ستعترف بجميلكم على هذه الثقة وسأبلغهـــا فوراً ما دار بيننا من حديث .[1]

ولكن الحكومة الامريكية لم تتلق أية اشارة عن هذا الاعتراف بالجميل أو عن تصديق الحكومة السوفياتية لهذه المعلومات الهامة . ويروي كوردل هل في مذكراته ان موسكو غدت على النقيض أشد عداءً وشراسة في علاقاتها بأمريكا، لأن مساعدتها – أي امريكا - لبريطانيا ، قد حالت بينها وبين تزويد روسيـا بكل ما تحتاجـه من مواد . ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا الموقف العدائي ، فإن وزارة الخارجية الامريكية ، على حد رواية هل ، وقد تلقت برقيـات من مفوضيتهـــا في بوخارست وستوكهولم في الأسبوع الأول من حزيران تؤكد عزم الألمان على غزو روسيـا في غضون اسبوعين ، بعثت بنسخ من هذه البرقيات الى سفيرها ستاينهاردت في موسكو ، الذي تولى بدوره نقلها الى مولوتوف .

وحاول تشرشل بدوره ان يحذر ستالين . ففي الثالث من نيسان طلب الى السير ستافوردكريبس ، سفيره في موسكو ، ان يسلم رســـالة شخصية الى الديكتاتور ، يشير فيها الى مدى ما في تحركات القوات الألمانية في جنوب بولندة من أهمية الى روسيا ، مؤكداً له فيها انه تلقى هذه المعلومـات من احد وكلاء بريطانيا السريين . وكان سخط تشرشل من تأخر كريبس في تسليم هذهالرسالة الى ستالين لا يزال ماثلاً عندما دوّن هذه الواقعة في مذكراته .[2]

وقد عرف كريبس قبل انتهاء شهر نيسان الموعد المحدد للهجوم الألماني،وقد نمي الى علم الألمان ان كريبس يعرف هذا الموعـــد . فقد بعث الملحق البحري الالماني في موسكو في الرابع والعشرين من نيسان برسالة مقتضبة الى القيـادة العليا للأسطول في برلين هذا نصها :

« يتوقع السفير البريطاني ان يكون الثـــاني والعشرون من

---

١ - سمنر ويلز - حان الوقت للقرار ص ١٧٠ - ١٧١ .
٢ - تشرشل - مذكرات – الجزء الثالث – الحلف الاعظم ص ٣٥٦ - ٣٦١

حزيران يوم بدء الحرب » .[1]

وقد دوّنت هذه الرسالة التي عثر عليها بين الأوراق النازية المصادرة ، من اليوميات الحربية للاسطول الألماني في نفس اليوم بعد ان اضيفت الى نهايتها اشارة تعجب .[2] وقد دهش امراء البحر الألمان من دقة تكهّن السفير البريطاني. ولكن الملحق البحري الالماني المسكين، الذي كان كسفيره في موسكو آخر من يعلم بالسر ، اضاف الى برقيته العبارة الساذجة التالية .. « انها سخافة كبرى » .

ويبدو ان مولوتوف قد شارك الملحق البحري تفكيره هذا . فقد استقبل بعد نحو من شهر من هذا التاريخ ، أي في الثاني والعشرين من ايار السفير الألماني شولنبرغ ليبحث معه بعض القضايا . وراح السفير يبرق لبرلين ان مولوتوف كان كعادته « ودوداً وواثقاً من نفسه وغزير المعلومات » ، ثم أكد ان ستالين ومولوتوف « وهما أقوى رجلين في الاتحاد السوفياتي » ، يبذلان كل ما في وسعهما من جهد لتجنب الصراع مع المانيا .[3]

ولكن السفير الفطن كان مخطئاً في نقطة واحدة على الأقل ، اذ لم يكن مولوتوف في هذه الاونة بالذات « غزير المعلومات » فعلا . ولكن السفير نفسه لم يكن كذلك غزير المعلومات او واسع الاطلاع .

وقد تبين مدى جهل وزير الخارجية السوفياتية وافتقاره الى المعلومات في تعبير علني افضى به في الرابع عشر من حزيران عام ١٩٤١ ، أي قبل اسبوع واحد من توجيه الضربة الألمانية . ففي ذلك المساء استدعى مولوتوف السفير شولنبرغ، وسلمّه نصّ بيان لوكالة «تاس» قال انه سيذاع في تلك الليلة وستنشره الصحف في الصباح التالي .[4] وقد اتهم البيان السفير البريطاني كريبس شخصياً

---

١ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٣٣٠

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٩٧

٣ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٣٤٤

٤ ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية . ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

بترويج « هذه الشائعـات المنتشرة ، عن حرب وشيكة الوقوع بين الاتحـاد السوفياتي والمانيـا » في الصحف الانكليزية والاجنبية . وأكد البيان الرسمي الصادر عن الحكومة السوفياتية ان هذه الشائعـات ليست إلا مجرد « سخافة واضحة ، ومناورة دعائية حمقاء تقوم بها القوى المتكاتفة ضد الاتحاد السوفياتي والمانيا » . ثم مضى يقول :

« وترى الدوائر السوفياتية ان الشائعات عن عزم المانيا .. على شن هجوم ضد الاتحاد السوفياتي تفتقر كل الافتقار الى الصحة » .

وفسّر البلاغ التحركات الألمانية العسكرية الاخيرة من البلقـان الى الحدود السوفياتية ، بأنها عادية « ولا شأن لها بالعلاقات الالمانية – السوفياتية » . أمـا بالنسبة الى الشائعات القائلة بأن روسيا ستهاجم المانيا ، فقد وصفها البلاغ بأنها « كاذبة واستفزازية » .

ويظهر مدى السخرية في بلاغ «تاس» هذا ، بالنسبة الى الحكومة السوفياتية في خطوتين المانيتين ، وقعت احداهما يوم نشر البلاغ أي في الخـامس عشر من حزيران ، ووقعت الثانية في اليوم التالي .

ففي الخامس عشر من حزيران بعث ريبنتروب من مدينة البندقية حيث كان يتشاور مع زميله شيانو ، برسالة سرية الى بودابست ، يحذر فيها الحكومة المجرية من الخطر ويطلب اليها « اتخاذ الاجراءات لضمان حدودها » .. ثم يقول :

« بالنظر الى الحشود الروسية الضخمة على حدود المانيا الشرقية ، قد يجد الفوهرر نفسه مرغماً في مستهل شهر تموز على ابعد تقدير ، على توضيح العلاقات الالمانية – الروسية ، والى تقديم مطالب معينة في هذا الصدد »[1]

وهكذا نجد الألمان يلمحون بعض التلميح الى المجريين ، بينما يضنون بمثله على حليفهم الأول . اذ عندما وجه شيانو ، سؤالاً الى ضيفـه ريبنتروب ، في اليوم

---

١ – العلاقات النازية السوفياتية ص٣٤٦ .

التالي وكانا يستقلان « غندولاً » في قنوات البندقية، عن صحة الشائعات الرائجة حول هجوم الماني متوقع على روسيا، رد وزير خارجية النازي قائلاً :

« ليس في وسعي يا عزيزي شيانو، ان افضي اليك حتى الآن بشيء، لأن القرارات جميعها مختزنة في صدر الفوهرر الذي لا يمكن النفاذ اليه . لكن هناك شيئاً واحداً مؤكداً على الأقل، وهو اننا اذا هاجمناهم، فإن روسية ستالين ستمحّي من الخارطة في غضون ثمانية اسابيع ». [1]

وبينما كان الكرملين يعد العدة لإذاعة بيانه « المهندم » الى العالم في الرابع عشر من حزيران عام ١٩٤١، مؤكداً فيه ان شائعات الهجوم الألماني على روسيا ليست الا « سخافة واضحة »، كان أدولف هتلر في اليوم نفسه، يعقد آخر مؤتمراته العسكرية الضخمة ليبحث مع كبار قادة القوات الألمانية المسلحة الخطوط النهائية لعملية بربروسة . وكان توقيت تجميع القوات في الشرق، وتوزيعها، وإعدادها في نقاط القفز، قد حددت كلها في الثاني والعشرين من ايار. ولم تمض ايام حتى كان بيان آخر، قد صدر متضمناً الصورة المعدّلة للتوقيت. [2] وهذا البيان طويل مسهب يتضمن كافة التفصيلات ويعتبر وثيقة في غاية الأهمية، اذ يظهر انه لم يحل الأول من حزيران حتى كانت جميع الخطط اللازمة لاجتياح روسيا قد استكملت وان تحركات القوات الواسعة والمعقدة، بما في ضمنها الجنود والمدفعية والمدرعات والطائرات والبواخر والتموينات قد قطعت شوطاً بعيداً طبقاً للخطة المرسومة. وتقول فقرة مختصرة في اليوميات الحربية لقيادة الاسطول بتاريخ التاسع والعشرين من ايار ان « الحركات الأولية للسفن الحربية المشتركة

---

١ – اقتبست هذه الفقرة من الجملة الاخيرة التي دونها شيانو في يومياته في الثالث والعشرين من كانون الاول عام ١٩٤٣ من الزنزانة رقم ٢٧ في سجن فيرونا قبل بضعة ايام من اعدامه . واضاف ان الحكومة الايطالية علمت بالغزو الألماني لروسيا بعد ساعة من وقوعه (يوميات شيانو ص ٥٨٣) .

٢ – يوجد النص في المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٨٥٢ - ٨٦٧) .

في عمليـة بربروسة قد بدأت » . واستكملت المحادثات مع اركان حرب كل من رومانيا والمجر وفنلندة ، وكانت الدولة الأخيرة تواقة الآن لاستعادة مـا انتزعه الروس منها في حرب الشتاء . واصدر هتلر من مقره في برختسغادن في التاسع من حزيران أمراً يدعو فيه قادة القوات المسلحة الثلاث العامين ، وكبار قادة الميدان الى اجتماع نهائي يدوم يوماً كاملاً ، ويعقـد في برلين في الرابع عشر من حزيران للبحث في بربروسة .

وعلى الرغم من ضخامة المهمة ، فإن هتلر وقادته العسكريين كانوا في وضع الواثق المطمئن وهم يدرسون تفاصيل « اللحظة الاخيرة » لأعظم عملية عسكرية شهدها التاريخ ، تتمثل في هجوم عام على جبهة تمتد نحواً من الف وخمسمائة ميل من ميناء بتسامو على المحيط المتجمد الشمالي الى البحر الاسود . وكان براوختش قد عاد في الليلة الفائتة الى برلين من جولة تفتيشية على التحشدات في الشرق . ودوّن هولدر في يومياته ان القائد العام للجيش كان مرتاحاً كل الارتيـاح ، اذ وجد جميع الضباط والجنود في أروع حالة وعلى اتم الاهبة والاستعداد .

وقد انتهى هذا الحفل العسكري الصاخب الاخير في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه ، وكان قد بدأ في الساعة الحادية عشرة ، ولم يتوقـف الا عند الساعة الثانية بعد الظهر قليلاً ليتناول الحـاضرون الغداء الذي انتهز هتلر فرصته ليلقي على مسامعهم خطاباً آخر من خطبه النارية الاستفزازية التي تعوّد على القائها عشية المعارك .[1] ويقول هولدر ان هذا الخطاب كان من « الخطب السياسية الجامعة » التي اكد فيها هتلر ، انه يجد نفسه مضطراً لمهاجمة روسيا ، اذ ان انهيارها سيرغـم انكلترا على « التسليم » ، ويبدو ان الفوهرر المتعطش للدماء ، قد اكد شيئاً آخر غير هذا . وقد تحدث كايتل عما اكده زعيمه إبان

---

١ – لم نعثر على وقائع هذا الاجتماع الرسمية بين الوثائق المصادرة ولكن هولدر قدم وصفاً له في يومياته بتاريخ الرابع عشر من حزيران عام ١٩٤١ ، كما ان كايتل أورد في افادته امـام محكمة نورمبرغ وصفاً له (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص٥٣١ - ٥٣٢) . وتتحدث يوميات اركان حرب الاسطول الحربية بايجاز عنه .

الاستجواب المباشر في محكمة نورمبرغ اذ قال :

« كانت الفكرة الأساسية من خطاب هتلر ان الصراع القادم ؛ معركة حاسمة بين عقيدتين ، وان علينا ان ننظر الى الاجراءات التي نعرفها كجنود – وهي الاجراءات الوحيدة الصحيحة في نظر القانون الدولي - يجب ان تقيّم على اساس مفاهيم مختلفة تمام الاختلاف . »

واضاف كايتل ، ان الفوهرر شرع بعد ذلك يصدر أوامر مختلفة لانفاذ ارهاب لا مثيل له في روسيا « بالطرق الوحشية » .

وراح محامي الدفاع عن كايتل يوجه اليه السؤال التالي : « ولكن هل أثرت انت او غيرك من القادة العسكريين أية اعتراضات على هذه الأوامر ؟

فرد كايتل قائلاً : « لا لم أثر انا أية اعتراضات » وأضاف ان أياً من القادة الآخرين لم يعترض كذلك .[1]

---

١ ـ اكد هاسيل هذه الحقيقة . فقد كتب بعد يومين من الاجتماع في يومياته أي في السادس عشر من حزيران يقول : « لقد وافق براوختش وهولدر على اساليب هتلر في روسيا . وهكذا بات لزاماً على الجيش ان يتحمل اعباء القتل والحرق التي كانت مقتصرة على الحرس النازي حتى الآن » .

ويبدو ان « المتآمرين » المناهضين للنازية ، قد ظنوا بسذاجة بادىء ذي بدء ان اوامر هتلر لنشر الارهاب في روسيا قد تستثير القادة العسكريين وتدفع بهم الى الاشتراك في الثورة ضد النازية. ولكن لم يكد يحل السادس عشر من حزيران حتى كان هاسيل نفسه قد مني بخيبة الأمل، اذ استهل يومياته في ذلك التاريخ بقوله :

« عقدنا عدة موتمرات مع بوبيتز وبيك واوستر لندرس ما اذا كانت بعض الأوامر التي تلقاها قادة الجيش (والتي لم يقوموا باصدارها بعد الى من هم دونهم) قد تكون كافية لتفتح عيون القادة العسكريين على طبيعة العهد الذي يحاربون من اجله . وتتعلق هذه الاوامر ببعض الأجراءات الوحشية التي يتحتم على الجنود اتخاذها ضد البلاشفة عند غزو روسيا .

« وقد توصلنا الى الاستنتاج بأن ليس في وسعنا ان نأمل في شيء الآن ... فالقادة العسكريون يخدعون انفسهم .. انهم لم يعودوا اكثر من عرفاء لاحول لهم ولا طول (يوميات فون هاسيل ص ١٩٨ - ١٩٩) .

ولا يستطيع المرء ان يصدق ، وان كان هذا هو الصدق بعينه ، ان رجال الكرملين بكل ما عرف عنهم من وفرة الشكوك وشدة الدهاء والصلابة ، وعلى الرغم من جميع الأدلة والتحذيرات التي مثلت واضحة جلية أمامهم ، قد ظلوا على جهل حتى اللحظة الأخيرة ، من ان الضربة ستنزل بهم ، وبقوة كادت ان تحطم بلادهم كل تحطيم .

ففي الساعة التاسعة والنصف من مساء ذلك اليوم الممتع من أيام الصيف، في الواحد والعشرين من حزيران عام ١٩٤١، أي قبل تسع ساعات من بدء الهجوم الألماني ، استقبل مولوتوف السفير الألماني في مكتبه في الكرملين وسلم اليه ما دعاه تشرشل «بغفلته الأخيرة ». فبعد ان ذكر للسفير عدداً جديداً من حوادث خرق الألمان بطائراتهم للحدود السوفياتية، مؤكداً انه أوعز الى سفيره في برلين بلفت انظار ريبنتروب اليها ، اتجه مولوتوف الى موضوع آخر وصفه شولنبرغ في برقيته العاجلة التي بعث بها الى الويلهلمشتراسة تلك الليلة :

« قال مولوتوف ان هناك عدة دلائل تشير الى ان الحكومة الألمانية غير راضية عن الحكومة السوفياتية . وتواترت الشائعات ايضاً عن ان الحرب بين المانيا والاتحاد السوفياتي باتت وشيكة الوقوع .. ولا تستطيع الحكومة السوفياتية فهم الدوافع لعدم الرضى هذا .. ولذا فهو يود ان يعرف معنى الاسباب التي أدت الى هذا الوضع الراهن في العلاقات الالمانية – السوفياتية .

« وقد رددت عليه بأن ليس في استطاعتي الاجابة على سؤاله لافتقاري الى المعلومات المتعلقة به . » [1]

ولكنه تلقى الرد قبل طويل وقت .

اذ عندما كان يبرق رسالته هذه ، كانت موجات الأثير بين برلين وموسكو، تحمل رسالة اذاعية طويلة بالرموز موجهة من ريبنتروب اليه ومؤرخة في الواحد

---

١ العلاقات النازية – السوفياتية ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ ، وقد حملت في مطلعها العبـــارة التالية : « مستعجل للغاية – سري جداً – للسفير شخصياً » ، ثم جـاء استهلالهـا على النحو التالي :

« عليك حـــال وصول هذه البرقية ان تحرق كل مـا تبقى لديك من مفاتيح الرموز . وعليك ايضاً ان تعطل جهاز الارسال الاذاعي .

« ارجو ابلاغ الهر مولوتوف فوراً ان لديك رسالة عـاجلة تود ابلاغها اليه .. وارجو بعد ذلك ان تنقل اليه الاعلان التالي . »

وكان الاعلان من النوع الذي ألفناه عن هتلر، والذي يكاد ينضح بالا كاذيب والاختلاقات العفنة من طول اختزانها، والتي برع هتلر وريبنتروب في صياغتها، قبل كل عمل جديد من اعمال العدوان غير المستفز . وهذا هو على الأقـــل ، الانطباع الذي يتكوّن لدى مؤلف هذا الكتاب كلما عاد الى قراءة هذا الاعلان ، وان كان يفوق جميع الاعلانات السابقة ، في خداعه الوقح ، وسلاطته . فلقـد ادعى ان روسيا قد واصلت خرق الميثاق النازي - السوفياتي ، في الوقت الذي تمسكت به المانيا تمسكاً صادقاً . وقد اقترف الاتحاد السوفياتي اعمال «التخريب والارهاب والتجسس » ضد المانيا . وحاول ان « يحارب المحاولة الالمانية لاقامة نظام مستقر في اوروبا » . وقد تواطأ مع بريطانيا « للهجوم على القوات الألمانية في رومانيا وبلغاريا ». وقد « هـدد » بحشده « كل ما توافر له من قوات روسية على طول الجبهة الممتدة من البلطيق الى البحر الأسود » وجود الرايخ وكيانه . ثم مضى الاعلان يقول :

« وقد قضت الانباء التي تلقيناها في بضعة الايام القليلة الماضية على كل ما تبقى لدينا من شكوك عن الطبيعة العدوانية لهذا الحشد الروسي .. يضاف الى هذا ان انباء قد وصلتنا من انكلترا تتحدث عن المفاوضات التي اجراها السفير كريبس لتحقيق تعـاون أوسع مدى سياسياً وعسكرياً بين انكلترا والاتحاد السوفياتي .

«وتعلن حكومة الرايخ على ضوء كل هذا ان الحكومة السوفياتية خلافاً للالتزامات التي قبلتها على نفسها . .

« ١ - لم تكتف بمواصلة محاولاتها لتهديم المانيا في اوروبا بل وضاعفتها ايضاً ،

« ٢ - وانها قد تبنت سياسة خارجية تشتد شيئاً فشيئاً في مناهضتها لألمانيا .

« ٣ - وانها قد حشدت جميع قواتها في حالة تأهب على الحدود الألمانية .

« ولهذا فإن الحكومة السوفياتية قد ناقضت معاهداتها مع المانيا وباتت على وشك مهاجمتها من الخلف في صراعها من اجل الحياة . ولهذا فقد أمر الفوهرر القوات الألمانية المسلحة بمقاومة هذا الخطر بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفها » [١]

وراح ريبنتروب ينصح سفيره في النهاية بقوله : « ارجو ان لا تدخل في أي نقاش حول موضوع هذا التبليغ » . ولكن ماذا يسع شولنبرغ ان يقول ، وهو الذي هزّه هذا التبليغ هزاً وحطم آماله، بعد ان كرس خيرة سني حياته لتحسين العلاقات بين المانيا وروسيا ، والذي يعرف اكثر من غيره ان هذا الهجوم على الاتحاد السوفياتي، لا مبرر له من استفزاز او غيره؟ وها هو يعود الى الكرملين مع أول خيط من خيوط الفجر، فيكتفي بتلاوة الاعلان الالماني.[٢] وأصاب الذهول

---

١ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٣٤٧ - ٣٤٩ .

٢ - وهكذا انتهت حياة هذا السفير المحنك الدبلوماتية . وقد عاد الى المانيا ، وارغم على التقاعد ، فانضم الى حلقة المعارضة التي يقودها الفريق بيك وغويردلر وهاسيل وغيرهم ، وقد اعد ليكون في وقت ما وزير خارجية العهد الجديد المناوىء لهتلر . وروى هاسيل ان شولنبرغ كان راغباً في عام ١٩٤٣ ، في اجتياز الخطوط الروسية ليتحدث الى ستالين في موضوع عقد صلح عن طريق التفاوض مع حكومة مناوئة للنازية في المانيا (يوميات فون هاسيل ص ٣٢١ - ٣٢٢) وقد اعتقل شولنبرغ واودع السجن بعد اكتشاف مؤامرة شهر تموز عام ١٩٤٤ لاغتيال هتلر . ونفذ فيه رجال الغستابو حكم الاعدام في العاشر من تشرين الثاني .

مولوتوف ، وهو يصغي صامتاً حتى النهاية ثم قال :

« اذن فهي الحرب . ولكن هل تعتقد اننا نستحق هذا ؟ »

* * *

وكان نفس المنظر ، يمثل في ذات الوقت من فجر اليوم في دار الويلهلمشتراسة في برلين . فلقد ظل السفير السوفياتي فلاديمير ديكانوزوف طيلة بعد ظهر الواحد والعشرين من حزيران يهتف الى وزارة الخارجية يطلب تحديد موعد لمقابلة ريبنتروب ، ليقدم اليه احتجاجه المتواضع على استمرار الطائرات الألمانية في خرق حرمة الحدود السوفياتية . وقيل له ان وزير الخارجية النازي « خارج المدينة » . وفي الساعة الثانية من صباح الثاني والعشرين من حزيران ، قيل له ان ريبنتروب سيستقبله في الساعة الرابعة صباحاً في دار الوزارة . وهناك تلقى هذا المبعوث الذي كان في وقت ما نائباً لوزير الخارجية ، والرجل الذي يعتمد عليه ستالين في سلمه وحربه ، ويوفده لاصطياد المشاكل وخلقها ، والذي رتّب لستالين أمر الاستيلاء على ليتوانيا ، الصدمة الكبرى في حياته ، وهي عين الصدمة التي ذاقها مولوتوف في موسكو . وقد وصف الدكتور شميدت . الذي شهد الاجتماع ، المنظر بقوله :

« لم أر في حياتي ريبنتروب في نفس الحالة العصبية التي رأيته فيها ذلك الصباح في الخمس دقائق الأخيرة ، التي سبقت وصول ديكانوزرف فلقد كان يذرع الغرفة طولاً وعرضاً وكأنه وحش حبيس في قفصه ..

« ودخل ديكانوزوف ، ويبدو انه لم يكن قد تكهّن بما هو جار ، فمد يده كالعادة الى ريبنتروب . وجلسنا وشرع ديكانوزوف ، يوجّه بالنيابة عن حكومته بعض الأسئلة التي يطلب ايضاحاً لها .. ولكنه لم يكد يبدأ حديثه ، حتى كان ريبنتروب يقاطعه ، وقد بدت في وجهه تعابير جامدة كالصخر ، قائلاً : « انا لم استدعك لهذا الآن » ..

وشرع وزير الخارجية النازي المتعجرف بعد ذلك في ايضاح القضية التي استدعى السفير من اجلها ، وسلمه نسخة من المذكرة التي كان شولنبرغ يتلوها في نفس اللحظة على مسامع مولوتوف ، وابلغه ان القوات الالمانية شرعت في تلك الآونة في اتخاذ « اجراءات عسكرية مضادة » على الحدود السوفياتية . ويقول شميدت ان المبعوث السوفياتي الذي بدا في صورة الدهشة مجسّدة... « استعاد هدوءه بسرعة ، وأعرب عن أسفه العميق» لهذه التطورات التي حمّل المانيا مسؤوليتها .. ثم « نهض من مقعده ، وانحنى بأدب ، وغادر الغرفة دون ان يمد يده لمصافحة الوزير » [1]

وهكذا انتهى شهر العسل بين النازيين والسوفيات . وفي الساعة الثالثة والنصف من صباح الثاني والعشرين من حزيران عام ١٩٤١ ، أي قبل نصف ساعة من رفع الستارة عن التمثيليتين الدبلوماتيتين الاخيرتين في الكرملين والويلهلمشتراسة ، دوّت مدافع هتلر على طول مئات الأميال من جبهة اشعلت النيران فيها الى وقت طويل .

* * *

ووقعت هناك مقدمة دبلوماتية اخرى، للرواية المدفعية . فبعد ظهر الواحد والعشرين من حزيران ، جلس هتلر الى مكتبه في مقر قيادته الجديد، تحت الارض « عرين الذئب » على مقربة من راستنبرغ القائمة في احدى اجمات بروسيا الشرقية الكئيبة ، واملى على احدى سكرتيراته ، رسالة مطولة الى موسوليني . وقد اتبع في هذه المرة ، كما في المرات السابقة التي هيأ فيها لاعتداءات جديدة ، نفسها الاسلوب بعدم الركون الى الثقة في صديقه الحميم وكبير حلفائه ، واطلاعه على السر ، قبل اللحظة الاخيرة . وها هو الآن يطلعه عليه في الساعة التي سبقت الاخيرة . وليس ثمة من شك في ان كتابه هذا يعتبر اصدق دليل وأوضحه على الاسباب الحقيقية التي حملته على اتخاذ هذه الخطوة القدرية القاضية، وهي الخطوة

---

١ ـ مذكرة شميدت الرسمية عن الاجتماع ـ العلاقات النازية ـ السوفياتية ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ وكذلك في كتابه « ترجمان هتلر » ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

التي ظلت أمداً طويلاً تحيّر العالم الخارجي ، والتي مهدت الطريق لنهايته ونهاية الرايخ الثالث . واود ان اقول : ان الرسالة مكتظة بأكاذيب هتلر العادية وأضاليله ، وهي الاكاذيب التي يحاول « بيعها » حتى الى اصدقائه . ولكن وراء هذه الاكاذيب وبين سطورها تظهر حقيقة افكاره وتقديراته الصحيحة — وان كانت قد اخطأت — عن الاوضاع العالمية في صيف عام ١٩٤١ ، وهو الصيف الثاني في الحرب ... وهذا ما جاء في الرسالة :

« يادوتشي ... !

« انني اكتب اليك هذه الرسالة في اللحظة التي انتهت فيها اشهر طويلة من الدراسات العميقة ومن الانتظار المحطم باستمراره للاعصاب ، الى اتخاذ اقسى قرار اتخذته في حياتي .

« ولأبدأ الآن بتحليل الوضع . لقد خسرت انكلترا الحرب . وهي كانسان غريق تحاول التشبث بكل قشّة تلوح لها . ومع ذلك ، فإن في بعض امانيها بالطبع شيئاً من المنطق ... وقد ادى انهيار فرنسا ... الى تحول انظار دعاة الحرب البريطان الى المكان الذي واصلوا في البداية التطلع اليه لإشعال نار الحرب عن طريقه ، وهو روسيا السوفياتية .

« وللبلدين أي روسيا السوفياتية وانكلترا ، مصلحة مشتركة ومتعادلة في وجود اوروبا ، التي غدت محطمة من جرّاء الحروب الطويلة . ويقف الاتحاد الامريكي الشمالي وراء هاتين الدولتين يستحثهما على السير في هذا الطريق ... »

وراح هتلر يوضح بعد ذلك ، انه لا يستطيع مع وجود قوات عسكرية سوفياتية ضخمة قابعة في مؤخرته ، ان يجمع القوة الكافية « ولا سيما في الهواء » لشن هجوم شامل على بريطانيا يرغمها على الاستسلام ... ثم قال :

« وتقف جميع القوات الروسية المتوافرة على حدودنا في الواقع .. ولو افترضنا ان الظروف قد اتاحت لي المبرر لاستخدام

القوة الجوية الألمانية ضد انكلترا ، فهناك خطر ماثل بأن روسيا ستشرع آنذاك في خطتها « الابتزازية » التي اجد نفسي مضطراً للاذعان لها وانا صامت بسبب شعوري بالافتقار الى القوة الجوية... وستكون انكلترا ، اقل استعداداً وتقبلاً للسلام منها في أي وقت مضى اذ سيكون في وسعها تركيز آمالها على شريكتها روسيا ... وليس ثمة شك في ان هذا الأمل سينمو بصورة طبيعية مع كل تقدم تحرزه القوات الروسية المسلحة في استعداداتها . ويقف وراء كل هذا ، ما يأمل البريطانيون في الحصول عليه في عام ١٩٤٢ من شحنات المعدات الامريكية الضخمة .

« وقد توصلت اخيراً بعد ان انهكت عقلي في التفكير ، الى قرار لمواجهة هذا الوضع ، وهو ان اقطع « الانشوطة » قبل ان تضيق على خناقي ... ووجهة نظري الشاملة تتلخص فيما يلي :

« ١ - ليس في الإمكان الوثوق بفرنسا كما لم يكن في الامكان الوثوق بها سابقاً .

« ٢ - لا اعتقد بأن ثمة خطراً في شمال افريقيا بالنسبة الى مستعمراتك ايها الدوتشي قبل حلول الخريف .

« ٣ - ما زالت اسبانيا تقف موقفاً متردداً واني لأخشى انها لن تختار الجانب الذي تقف فيه إلا بعد ان تكون نتيجة الحرب قد تقررت

« ٥ [1] - ليس ثمة من مجال للقيام بهجوم على مصر قبل الخريف . .

« ٦ - لم تعد قضية دخول امريكا الحرب ، أو عدم دخولها فيها مسألة مهمة ، طالما انها تعين اعداءنا بكل ما لديها من قوى تستطيع حشدها وتعبئتها .

« ٧ - ان الوضع في بريطانيا نفسها سيىء للغاية . وباتت قضية تموينها بالغذاء والمواد الأولية تتعقد بصورة متزايدة . ولا تعيش

١ - لم يورد المؤلف السبب الرابع في الاصل الانكليزي - المعرب -

الروح النضالية فيها لشن الحرب إلا على الآمال ، على أي حال .
وتستند هذه الآمال ، على افتراضين لا ثالث لهما ، همـــا روسيا وامريكا وليس أمامنا مجال لازالة امريكا من الوجود ولكن في وسعنا ان نبعد روسيا عن الحلبة . وتعني ازالة روسيا في الوقـت نفسه ، انفراجاً هائـــلاً لليابان في الشرق الاقصى ، كما تعني ايضاً احتمال قيام تهديد اضخم لمجالات النشاط الامريكي عن طريق التدخل الياباني .

« ولهذا فقد قررت على ضوء هذه الظروف ان اضع نهاية لتمثيلية النفاق والخداع التي تعرض على مسرح الكرملين . »

وقال هتلر ان المانيا لن تكون بحاجة الى اية قوات ايطاليـــة في روسيا . (فهو لا يريد ان يشرك ايطاليا في امجاد احتلال روسيا كما لم يشركهـا في امجاد احتلال فرنسا) . ولكن في وسع ايطاليا ، في رأيه ، ان « تقدم مساعـــدة حاسمة » عن طريق تعزيز قواتها في افريقيا الشمالية ، والإعداد « للزحف على فرنسا في حالة نقضها لمعاهدتها » . وكان هذا القول بمثابة طعم رائـع للدوتشي الجائع الى الاحتلال ... ثم مضى يقول :

« اما بالنسبة الى حربنا الجوية ضد انكلترا ، فسنقف في الوقت الحاضر موقف الدفاع ...

« وأما بالنسبة الى الحرب في الشرق ، يا دوتشي ، فإنها ستكون شاقة حقاً ، ولكنني لا اشك لحظة واحدة في نجاحها واني لآمل فوق كل اعتبار بأنه سيكون في امكاننا ان نضمن قاعدة مشتركة لتموينا بالغذاء من اوكرانيا التي ستزودنا بالمؤن الاضافية التي قد نحتاج اليها في المستقبل . »

وانتقل بعد ذلك الى محاولة الاعتذار عن تأخره في ابلاغ شريكه بقراره في وقت ابكر فقال :

« واذا كنت قد تأخرت يا دوتشي حتى هذه اللحظة عـــن

ابلاغك هذه المعلومات فإن السبب في ذلك عائد الى ان القرار النهائي نفسه لن يتخذ قبل الساعة السابعة من هذا المساء ...

« ومهما كانت النتيجة يا دوتشي فإن وضعنا لا يمكن ان يسوء بسبب هذه الخطوة ، وانا واثق من انه سيتحسن .. وإذا لم تحاول انكلترا ان تستخلص النتائج الصحيحة من الحقائق المجردة ، فإن في وسعنا آنذاك ، بعد ان نؤمن موخرتنا ان نزود انفسنا بالمزيد من القوة للتخلص من عدونا . »

وشرح هتلر اخيراً ما يحسّ به من راحة بال لأنه توصل في النهاية الى اتخاذ قراره فقال :

« واسمح لي ان اقول لك شيئاً آخر يا دوتشي . انني أحس ثانية بأنني قد تحررت روحياً ، بعد ان جهدت كثيراً للوصول الى هذا القرار . فالشراكة التي عقدناها مع الاتحاد السوفياتي ، كانت عبئاً ثقيلاً على ضميري على الرغم من اخلاص جهودنا الكاملة للوصول الى تفاهم نهائي معه . ولقد كنت متضايقاً منها لأنني رأيت فيها على نحو أو آخر ، تحولاً عن جذوري ومفاهيمي والتزاماتي السابقة . وانني لمغتبط الآن لأنني تحررت من هذه الآلام العقلية ...

« وختاماً ارجو ان تقبل تحيات الحب والزمالة ...

المخلص لك

ادولف هتلر » [1]

وفي الساعة الثالثة من صباح الثاني والعشرين من حزيران ، أي قبل نصف ساعة من موعد وثوب القوات الألمانية على الاتحاد السوفياتي ، ايقظ السفير الألماني فون بسمارك ، الكونت شيانو من نومه لينقل اليه رسالة هتلر الطويلة ،

---

١ - رسالة هتلر لموسوليني في ٢١ حزيران ١٩٤١ - العلاقات النازية - السوفياتية ص ٣٤٩ - ٣٥٣ .

التي تولى الوزير الايطالي نقلها بدوره هاتفياً الى موسوليني الذي كان يستجم في قصره الصيفي في ريسيوني . ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يوقظ بها الدوتشي من غطيطه في منتصف الليل ، ليتلقى رسالة من شريكه في المحور ، مما كان يسبب له دائماً الضيق والازعاج ... وراح موسوليني يقول غاضباً لشيانو : « انني لا اجرؤ حتى على ازعاج خدمي في منتصف الليل ... ولكن الألمان يدفعونني الى القفز من فراشي في أية ساعة من ساعات الليل ، دون أي اعتبار أو احترام » . [1] ومع ذلك لم يكد موسوليني ينتهي من تفريك عينيه ، حتى راح يصدر أوامره ، باعلان الحرب فوراً على الاتحاد السوفياتي . فلقد بات اخيراً الاسير المطيع للالمان . وكان يعرف هذه الحقيقة ويثور على معرفته لها . وراح يقول لشيانو : « انني لا ارجو إلا شيئاً واحداً ، وهو ان يخسر الألمان في حربهم هذه في الشرق الكثير من ريشهم » . [2] ومع ذلك فقد كان يدرك ان مستقبله هو ، يعتمد الآن كل الاعتماد على السلاح الألماني . وكان واثقاً من ان الألمان سيفوزون في روسيا ، ولكنه كان يأمل في ان تنزف الدماء من انوفهم فيها على الاقل ، لتضعف قوتهم .

ولم يكن موسوليني يعرف أو حتى يشك ، كما لم يشك أي انسان آخر في الغرب ، من كلا الجانبين ، في ان الألمان سيلقون في روسيا مصيراً اسوأ مما رجاه موسوليني . وفي صباح يوم الأحد ، الثاني والعشرين من حزيران ، وهو نفس الموعد الذي عبر فيه نابوليون نهر النيمين في عام ١٨١٢ ، في طريقه الى موسكو ، وبعد سنة تماماً من استسلام فرنسا ، بلاد نابوليون في كومبيين ، تدفقت جيوش ادولف هتلر المدرعة والآلية ، والتي لم تعرف الهزيمة حتى ذلك اليوم نهر النيمين وغيره من الانهار ، متوغلة بسرعة البرق في الاراضي الروسية . وبوغت الجيش الاحمر ، رغم جميع التحذيرات ، والنذر والقرائن ، كما دوّن الفريق هولدر في

---

١ - يوميات شيانو ص ٣٦٩ و ص ٣٧٢ .
٢ - يوميات شيانو ص ٣٧٢ .

يوميته للنهار الأول « مباغتة تعبوية (تكتيكية) » على طول الجبهة كلها . »[1] واستولى الألمان على جميع الجسور الأولى وهي سليمة . ويضيف هولدر ، ان الروس كانوا في الحقيقة وفي معظم نقاط الجبهة ، غير متأهبين للعمل ، وقد اجتاحتهم الجيوش الغازية حتى قبل ان يتمكنوا من تنظيم المقاومة . وقد دمرت مئات الطائرات السوفياتية وهي جاثمة في مطاراتها .[2] ولم تمض بضعة ايام ، حتى كان الألوف من الاسرى يتدفقون على المؤخرة الالمانية ، اذ تم تطويق جيوش كاملة بسرعة خارقة ، وبدا ان الوضع الذي « وقع في بولندة » يتكرر من جديد .

ودوّن هولدر المعروف بحذره في يوميته للثالث من تموز بعد ان اطلع على آخر تقارير هيئة اركان الحرب يقول : « لا اعتقد ان من المبالغة القول بأن « الهجوم » ضد روسيا ، قد تحقق في اربعة عشر يوماً . واضاف ان كل شيء سينتهي في غضون اسابيع . »

---

١ - تضمنت يومية هولدر لليوم الأول ، ملاحظة غريبة للغاية . فبعد ان ذكرت ان محطات الاذاعة الروسية ، التي كان الألمان يلتقطون اذاعاتها ، قد عادت الى البث عند الظهيرة ، قالت : « ان هذه الاذاعات تطلب الى اليابان التوسط لحل الخلافات السياسية والاقتصادية بين روسيا والمانيا ، وان تظل نشطة في الاتصال مع وزارة الخارجية الألمانية » . فهل اعتقد ستالين بعد تسع ساعات من بدء الهجوم ، ان في وسعه ان يوفق في وقفه والعدول عنه ؟

٢ - روى الفريق غوينتر بلومينتريت ، رئيس اركان الجيش الرابع فيما بعد معتمداً على ذاكرته ، ان قطار برلين - موسكو السريع ، اجتاز الخطوط الالمانية عند نهر بوغ متجهاً الى بريست ليتوفسك دون « أي حادث » بعيد منتصف ليل الواحد والعشرين من حزيران ، وعندما كانت المدافع الألمانية قد صوبت افواهها على اهدافها منتظرة اشارة الانطلاق . وقال ان هذا الحادث بدا له غريباً كل الغرابة .وكان سكوت المدافع الروسية وعدم ردها حتى بعد بدء الهجوم لا يقل غرابة في عينه عن الحادث الأول ... وكتب على ضوء ذلك يقول : « لقد بوغت الروس مباغتة كلية في جبهتنا » . وعندما اطلت تباشير الفجر ، التقطت محطات الاشارة الألمانية رسائل على اجهزة اذاعة الجيش الاحمر تقول : « اننا نتعرض لاطلاق النار . ماذا نفعل ؟ » . وسرعان ما جاء الرد من القيادة العامة الروسية ... « لا ريب في انكم معتوهين . لم لا ترسلون اشارتكم بالرموز ؟ » (كتاب القرارات القدرية - اعداد سيمور فريدين وويليام ريتشاردسون) .

٢٤

تحوّل التيّار

اعتقد هتلر عندما هلّ خريف عام ١٩٤١ ان روسيا قد انتهت ...

ففي غضون الاسابيع الثلاثة الأولى من بدء العمليات الحربية تمكنت مجموعة جيوش الوسط التي يقودها المشير فون بوك والمؤلفة من ثلاثين فرقة مشاة وخمس عشرة فرقة مدرعة أو آلية ، من الاندفاع مسافة اربعمائة وخمسين ميلاً من بياليستوك الى سمولنسك . وباتت موسكو على بعد مائتي ميل فقط نحو الشرق على الطريق الرئيسية التي سار عليها نابوليون في عام ١٨١٢ . وكانت مجموعة جيوش الشمال بقيادة المشير فون ليب والمؤلفة من احدى وعشرين فرقة مشاة وست فرق مدرعة ، تتحرك في الوقت نفسه عبر دول البلطيق باتجاه لينينغراد وفي الجنوب كانت مجموعة جيوش المشير فون رونشتادت المؤلفة من خمس وعشرين فرقة مشاة واربع فرق آلية ، واربع فرق جبلية وخمس فرق مدرعة ، تتقدم نحو نهر الدنيبر ومدينة كييف عاصمة اوكرانيا الخصبة ، التي يتشهاها هتلر ويطمع فيها .

وكان الزحف الألماني يسير وفق الخطة المرسومة كما ذكر بلاغ القيادة العليا للقوات المسلحة على طول جبهة تمتد الف ميل من البلطيق حتى البحر الاسود. وكان الديكتاتور النازي واثقاً كل الثقة من ان هذا الزحف سيستمر على هذه

الدرجة من السرعة لا سيما وان الجيوش السوفياتية تطوّق واحداً إثر آخر ، أو تُشَتّت بصورة مستمرة ، حتى انه اصدر في الرابع عشر من تموز أي بعد نحو ثلاثة اسابيع من بدء الغزو ، توجيهاً يقول ان في الامكان « تخفيض قوة الجيش في المستقبل القريب الى حدٍ كبير » ، وينصح بالتركيز في الانتاج الحربي على السفن الحربية . وطائرات السلاح الجوي ، ولا سيا الاخيرة ، للمضي في الحرب ضد بريطانيا ، العدو الاخير الباقي ، وضد « امريكا اذا اقتضت الضرورة محاربتها » . [1] واوعز في نهاية شهر ايلول الى القيادة العليا ، بإعداد العدة لتسريح اربعين فرقة من فرق المشاة حتى يكون في الامكان استخدام افرادها كيد عاملة اضافية في الصناعة . [2]

وبدا لهتلر ان مدينتي روسيا العظيمتين ، لينينغراد التي بناها بطرس الاكبر عاصمة له على بحر البلطيق ، وموسكو العاصمة القديمة وعاصمة البلاشفة حالياً ، قد باتتا وشيكتني السقوط في يديه . وراح في الثامن عشر من ايلول يصدر أوامر صارمة « بعدم قبول استسلام لينينغراد أو موسكو ، حتى ولو عرض تسليمها » [3] واوضح ما يرى وقوعه بالنسبة اليهما في التوجيه الذي اصدره الى قادته العسكريين في التاسع والعشرين من ايلول :

« قرر الفوهرر وجوب زوال سان بطرسبرغ (لينينغراد) من خريطة الوجود . وعندما تنتهي روسيا، لا تعود هناك اهمية لوجود هذه المدنية الكبيرة .

« ويرى الفوهرر وجوب الاطباق على المدينة وتحويلها الى انقاض بقذائف المدفعية وقنابل الطائرات المغيرة ...

« وهو يطلب انه فى حالة احتلال المدينة يجب هدمها ، اذ لا

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٠٥ - ٩٠٦ . ويوجد النص الكامل باللغة الألمانية في « محاكمات كبار مجرمي الحرب (٣٤) ص ٢٩٨ – ٣٠٢ .

٢ - تقرير هولدر (عرضت صورة منه في نورمبرغ)

٣ - المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٢٩

يمكننا وليس من واجبنا ان نحل مشكلة الابقاء علـى السكان أو تزويدهم بالغذاء اللازم . وليست لنا مصلحة في حرب الوجود التي نخوضها الآن ، في الحفاظ حتى عـلى قسم من سكان هذه المدينة العظيمة . » [1]

وعاد هتلر الى برلين في نفس الاسبوع أي في الثالث مـن تشرين الأول ، وأعلن في خطاب وجهه الى الشعب الالماني، انهيار الاتحاد السوفياتي ، اذ قال: « انني اعلن اليوم وبدون أي تحفظ ، ان العدو في الشرق قد وقع ، ولن يقدر له ان يقف ثانية ... وتمتـد الى ما وراء قواتنا مساحات من الارض تبلغ ضعف مساحة الرايخ الالماني ، عندما جئت الى الحكم في عام ١٩٣٣ » .

وعندما سقطت اوريل في الثامن من تشرين الاول ، وهي مدينة مهمـة للغاية ، الى الجنوب من موسكو في ايدي الالمان ، اوفـد هتلر . رئيس دائرة صحافته اوتو ديتريش ، بالطائرة الى برلين ، ليبلغ مراسلي الصحافة العالمية فيها في اليوم التالي ، ان آخر الجيوش السوفياتية المتماسكة وهـي جيوش المشير بوديني في الجنوب قد هزمت وشتت شملها ، وان نحواً مـن ستين الى سبعين فرقة يقودها المشير فورشيلوف قـد تم تطويقها في جبهة لينينغراد .

وانهى ديتريش بيانـه مختالاً : « لقد انتهت روسيا السوفياتية من جميـع النواحي العسكرية . وقد اهيل التراب على الحلم البريطاني في الحرب عـلى جبهتين » .

ولكن هذه التبجحات العلنية من جانب هتلر وديتريش كانت غير ناضجة وسابقة

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٣١ ـ قال غورنغ لشيانو بعد بضعة اسابيـع من هذا التاريخ .. « سيموت نحو من عشرين او ثلاثين مليوناً من الناس في روسيا من الجوع . ولعل من الخير ان يقع هذا ، اذ من الواجب افناء بعض الشعوب . وليس في وسعنا ان نعمل شيئاً، حتى ولو لم نعمل على تحقيق ذلك . ومن الواضح انه اذا كان لا بد للجنس البشري من الموت جوعاً ، فان شعبينا همـا آخر من يجب ان يموت .. ولقد بدأ الأسرى الروس يأكلون بعضهم البعض في معسكرات اعتقالهم » (اوراق شيانو الدبلوماتية ص ٤٦٤ ، ٤٦٥) .

لأوانها على الاقل.[1] فالروس على الرغم من المباغتة التي ووجهوا بها في الثاني والعشرين من حزيران ، وعلى الرغم مما ادت اليه هذه المباغتة من خسائر فادحة في الرجال والمعدات ، ومن انسحابهم السريع ، ووقوع بعض خيرة جيوشهم في الفخ ، قد شرعوا في تموز يبدون مقاومة متزايدة من النوع الذي لم تواجهه القوات الالمانية المسلحة من قبل . وبدأت يوميات هولدر وتقارير بعض قادة الميدان من امثال الفريق غودريان ، الذي كان يقود مجموعة ضخمة من القوات المدرعة في الجبهة الوسطى ، تحمل انباء متفرقة ما لبثت ان تحولت الى انباء حاشدة ، عن وصف القتال العنيف والصمود الروسي اليائس والهجمات المضادة والخسائر البالغة في القوات الالمانية كما في القوات الروسية .

وكتب الفريق بلومينتريت فيما بعد يقول : « ان سلوك القوات الروسية حتى في هذه المعركة الأولى (معركة مينسك) مناقض تمام المناقضة لسلوك البولنديين وحتى الحلفاء الغربيين في الهزيمة فالروس حتى عند تطويقهم ، يثبتون في مواقفهم ويقاتلون بعناد . »[2] وقد ثبت ان هناك عدداً اكبر من هؤلاء الجنود وكميات أوفر واحسن من المعدات ، مما تصوّره هتلر أو حلم فيه . فهناك فرق سوفياتية جديدة كاملة . لم تكن المخابرات الألمانية تعلم عنها شيئاً ، تتوافد باستمرار على ميدان القتال . وكتب هولدر في يوميته بتاريخ الحادي عشر من آب يقول : « أخذ يتضح لنا يوماً بعد يوم، إننا قللنا من تقدير قوة روسيا الهائلة لا على صعيد الاقتصاد والنقل فحسب بل وعلى الصعيد العسكري ايضاً وهذا هو المهم فلقد قدرنا في البداية قوات روسيا بمائتي فرقة ، وها نحن نواجه حتى

---

١ ـ لكن هذا الافتقار الى النضوج والسبق الأوان ، لم يكن قوياً على أي حال، بحيث يعادل آراء هيئة اركان الحرب الامريكية التي راحت تبلغ الصحفيين الامريكيين والمراسلين في واشنطن في شهر تموز بصورة سرية ان مسألة انهيار الاتحاد السوفياتي باتت قضية اسابيع قليلة . ولذا لم يكن من الغريب ان يصدق الناس في الولايات المتحدة وبريطانيا كما في المانيا وغيرها بيانات هتلر والدكتور هايدريش عن انتهاء الاتحاد السوفياتي في مطلع تشرين الأول .

٢ ـ مقال للفريق بلومينتريت في كتاب « القرارات القدرية » من اعداد سيمور فريدير ووليام ريتشاردسون ، ص ٥٧ .

الآن (٣٦٠) فرقة . ونحن لا نكاد نحطم عشر فرق روسية، حتى يقذف الروس بعشر فرق أخرى . وهكذا باتت جبهتنا مفتقرة الى الكثافة على هذا المدى الفسيح . فليس في جبهتنا أي عمق . وهذا يؤدي الى نجاح هجمات العدو المتكررة في كثير من الاحايين » . وقال رونشتادت بصراحة لمحققي الحلفاء بعد الحرب : « ما كدنا نبدأ الهجوم، حتى ادركت ان كل ما كتب عن روسيا . لم يكن اكثر من مجرد هراء . »

وخلّف عدد من الفرقاء وبينهم غودريان وبلومنتريت وسيب ديتريش، تقارير تعرب عن دهشتهم عندما واجهوا لأول مرة الدبابات الروسية (ت٣٤) التي لم يكونوا قد سمعوا عنها من قبل والتي كانت مصفحة بشكل قوي الى الحد الذي لا تؤثر فيه قذائف المدافع الألمانية المضادة للدبابات . وقال بلومنتريت فيما بعد ان ظهور هذه الدبابة قد رمز الى بداية ما بات يدعى « بارهاب الدبابات ». ولأول مرة في الحرب، لم يتمتع الألمان بمزية التفوق الجوي الهائل لحماية قواتهم الارضية، وللقيام بأعمال الاستطلاع أمامها . فعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي منيت بها الطائرات السوفياتية على الارض في اليوم الأول من الحملة، وفي معارك الايام الأولى، ظلت اسراب جديدة من الطائرات المحاربة السوفياتية تظهر يوماً بعد آخر، كالفرق الجديدة، دون ان يعرف الألمان المكان الذي تأتي منه . يضاف الى هذا ان سرعة الزحف الألماني، وافتقار روسيا الى المطارات الصالحة، قد حتم بقاء قواعد المقاتلات الألمانية بعيدة الى الوراء بحيث لم تعد نافعة في تقديم الغطاء الكافي الى الجبهة . وقال الفريق فون كلايست فيما بعد : « ولقد تعطلت قواتي المدرعة في مراحل عدة من الزحف، عن التقدم بسبب الافتقار الى الغطاء الجوي . »[1]

وهناك خطأ الماني آخر في حساباتهم عن الروس، وقد ذكره كلايست للمؤرخ ليدل هارت، وقد شاركهم فيه بالطبع في ذلك الصيف الكثيرون من الناس

---

١ - ليدل هارت - الفرقاء الالمان يتكلمون ص ١٤٧

في الغرب .

فلقد قال كلايست : « لقد تركزت امالنـــا في النصر الى حـد كبير على توقعنا ان يؤدي الغزو الى اضطراب سياسي في روسيا ... وقد اقيمت آمـال كثيرة على الاعتقاد القائل بأن الشعب الروسي سيثور على ستالين اذا مني بخسائر جسام وهزائم قاسية . وكان مستشارو الفوهرر السياسيون هم الذين قووا هذا الاعتقاد »[1]

وكان هتلر قـد قال بالفعل ليودل : « لسنا في حاجة الى اكثر من القرع على الباب ، وسرعان ما سينهار جميع البناء المنعفّن وراءه . »

وبدت للفوهرر فرصة « قرع الباب » وكأنها قـد اجتازت نصف الطريق بنجاح في شهر تموز ، مما ادى الى وقوع أول الخلافات العظيمة في موضوع الخطط السوقية في القيادة العليا الألمانية والى اتخاذ الفوهرر قراراً تحدى فيه احتجاجات معظم كبار القادة ووصفه هولدر بأنه كان « اكبر الاخطاء السوقية في الحمـــلة الشرقية كلها . » وكانت القضية بسيطة ولكنها جوهرية . فهل تواصل مجموعـة جيوش الوسط بقيادة المشير بوك ، وهي اقوى مجموعات الجيوش الألمانية الثلاث واكثرها نجاحاً حتى الآن اندفاعها من سمولنسك التي وصلتها في السادس عشر من تموز عبر المائتي ميل التي ما زالت تفصلها عن موسكو ، أو هل تتمسك القيادة بالخطة الاصلية التي وضعها هتلر في توجيه الثامن عشر من كانون الأول المـاضي والتي تقضي بالاندفاع رئيسياً على الجناحين الشمالي والجنوبي ? وبكلمة اخرى هل تكون موسكو هي الهدف الأول أو لينينغراد واوكرانيا ?

واصرت القيادة العامة للجيش بزعامة براوختش وهولدر ، يؤيدهـا بوك الذي كانت مجموعة جيوشه المركزية تتقدم على الطريق الرئيسي باتجاه موسكو وكذلك غودريان الذي تتولى قواته المدرعة طليعة هذا الزحف ، على اندفـاع هائل وشامل باتجاه العاصمة السوفياتية . وقد استند هؤلاء في رأيهم الى مبررات

---

١ – ليدل هارت ـ الفرقاء الالمان يتكلمون ص ١٤٥

كثيرة منها التأكيد على الأهمية النفسية لاحتلال عاصمة العدو . واشاروا الى هتلر بأن موسكو مركز حيوي من مراكز انتاج الاسلحة، كما أنها ، وهذا هو المهم، المركز الرئيسي لأجهزة المواصلات والنقل في روسيا . واضافوا انه اذا ما تم احتلالها ، فإن السوفيات سيحرمون من مصدر جوهري من مصادر سلاحهم ، كما سيعجزون عن نقل القوات والمؤن الى الجبهات الضعيفة التي ستضعف نتيجة لذلك وتذبل وتنهار .

وكانت هناك حجة اخيرة وحاسمة قدمها الفرقاء الى العريف السابق الذي بات الآن قائدهم الاعلى . فقد دللت جميع تقارير مخابراتهم على ان الروس قد حشدوا قواتهم الرئيسية الآن امام موسكو ، للدفاع دفاعاً كاملاً وعنيداً عن العاصمة . وقد شرع جيش سوفياتي قوامه نصف مليون رجل ، تمكن من النجاة من الطوق الذي فرضته ذراعا كماشة المشير بوك ، في حفر الخنادق والخطوط المنيعة الى الشرق من سمولنسك للحيلولة دون اندفاع الماني جديد نحو العاصمة . وكتب هولدر في تقرير اعده للحلفاء فور انتهاء الحرب يقول : [١]

« وهكذا كان مركز الثقل للقوات الروسية امام مجموعة جيوش الوسط ...

« وكان قد طلب الى هيئة الاركان العامة ان تركز هدف عملياتها على هزم قوة العدو العسكرية. ولهذا رأت الهيئة ان مهمتها التالية والملحة يجب ان تتركز على هزم قوات تيموشنكو ، عن طريق حشد كل ما يتوافر لها من قوات في مجموعة جيوش الوسط، وان تزحف بقواتها على موسكو ، لاحتلال مركز ثقل مقاومة العدو ، وتحطيم تشكيلات العدو الجديدة . وتحتم تنفيذ الحشد اللازم لهذا الهجوم في اسرع وقت ممكن نظراً لتقدم اشهر الصيف من نهايتها. وكان على مجموعة جيوش الشمال في غضون ذلك ان تحقق مهمتها

---

١ – تقرير هولدر .

الأساسية وان تحاول الاتصال بالفنلنديين . وتحتم على مجموعــة جيوش الجنوب ان تتقدم نحو الشرق ، لتجميد اكثر ما يمكن من قوات العدو .

« وعندما انتهت المحادثات الشفوية بين هيئة اركان الجيش والقيادة العليا للقوات المسلحة الى الفشل ، قدم القائد العام للجيش (براوختش) مذكرة من هيئة الاركان العامة الى هتلر » .

ونحن نعرف الآن من يوميات هولدر أن هذه المذكرة قد قدمت في الثامن عشر من آب . ويقول هولدر : « وكانت ثمرة المذكرة انفجاراً عنيفاً . » فقد ركز هتلر عينيه الجائعتين على اراضي اوكرانيا الخصبة اللازمة للغذاء ومناطقها الصناعية وكذلك على حقول الزيت الروسي التي تقع وراءهـا في القفقاس . ورأى بالاضافة الى ذلك ، ان فرصة ذهبية قد لاحت امامه لإيقاع جيوش بوديني الى الشرق من الدنيبر وراء كييف في الفخ ، لا سيما وان هذه المدينـة كانت لا تزال صامدة . وكان يريد ايضاً احتلال لينينغراد ، والاتصال مع الفنلنديـين في الشمال . ولتحقيق هذ الهدف المزدوج ، كان من الضروري نقل عدد من فرق المشاة والفرق المدرعة من جبهة جيوش الوسط وارسالها الى الشمال ، وبصورة خاصة الى الجنوب . أما موسكو ففي وسعها ان تنتظر .

وراح هتلر في الواحد والعشرين من آب يهاجم هيئة اركان حربـه الثائرة بتوجيه جديد . وقد نقل هولدر نص هذا التوجيه بكامله في يوميتـــه للنهار التالي ، وهذا بعض ما جاء فيه :

« لا تتفق اقتراحات الجيش عن سير العمليات في الشرق مـع نواياي ...

« ان الهدف الاساسي الذي اسعى لتحقيقه قبل حلول الشتاء ، هو احتلال القرم ومناطق الصناعة ومناجم الفحم في حـــوض الدونتس وقطع تموينات الزيت من القفقاس عن الجيوش الروسية ، ولا ارى ان هذا الهدف هو احتلال موسكو . أما هدفنا في الشمال

فحصر لينينغراد والاتصال مع الفنلنديين ... »

واضاف هتلر في توجيهه ان من الواجب تحطيم الجيش السوفياتي الخامس في حوض الدنيبر في الجنوب ، والذي ازعجت مقاومته الحرون هتلر أشد ازعاج اياماً عدة ، تحطيماً كاملاً ، كما يجب احتلال اوكرانيا والقرم وتطويق لينينغراد وتأمين الاتصـال مع الفنلنديين . وانهى توجيهه قائلاً : « واذا تحققت هـذه الاهداف ، اصبح في الامكان خلق الأوضاع اللازمة للهجوم على جيش تيموشنكو وهزمه بنجاح » . وعلق هولدر بمرارة على هذا التوجيه قائلاً :

« وهكذا اصبح الهدف في هزم الجيوش الروسية امام موسكو هزماً حاسماً ، أمراً ثانوياً بالنسبة الى الاستيلاء على المناطق الصناعية المهمة والتقدم باتجاه الزيت الروسي .. وبات هتلر الآن واقعاً تحت سيطرة الفكرة القائلة بالاستيلاء على مدينتي لينينغراد وستالينغراد ، اذ انه اقنع نفسه بأن سقوط « هاتين المدينتين المقدستين عند الشيوعية » سيؤدي الى انهيار روسيا » .

واراد هتلر ان يضيف الاهانة الى الأذى ، في حديثه الى مشيريه وقادته الذين خالفوه الرأي ولم يقدّروا عبقريته السوقية ، فبعث بما أسماه هولدر « بالمذكرة المضادّة » - أي لمذكرة الجيش في الثامن عشر - وهي مذكرة وصفها رئيس هيئة اركان الحرب بأنها « حاشدة بالاهانات » كقولها ان القيادة العليـا للجيش مكتظة « بالأدمغة المتحجرة ، التي تجمّدت فيها نظريات منسوخة فات وقتها » .

وراح هولدر ينفث في يوميته في النهار التالي مـا يعتور في نفسه من مشاعر السخط والغضب قائلاً : « هذا أمر لا يطاق ! ولم يسمع من قبل ! لقد تجـاوز الحدود » . وراح يتشاور بعد ظهر ذلك اليوم وعشيته مع المشير فون براوختش في موضوع تدخل الفوهرر « الذي لا يمكن قبوله » في اعمال قيادة الجيش العامة واركان حربها ، مقترحاً في النهاية ان يقدم هو وقائد الجيش استقالتيهما . ودوّن هولدر في يومياته : « ولكن براوختش رفض هذا الاقتراح قائلاً انه لا عملي ، ولن يغيّر من واقع الأمر شيئاً . » وهكذا استسلم المشير الجبان مرة ثانيـة ،

كما استسلم مرات عدة من قبل ، لإرادة الرجل الذي كان عريفاً في وقت ما .

وعندما جاء الفريق غودريان قائد المدرعات المتألم الى مقر قيادة الفوهرر في اليوم التالي ، أي الثالث والعشرين من آب ، لقي هولدر الذي حثه ، مع انه لا يحتاج الى حث ، على ان يحاول التحدث الى هتلر وحمله على العدول عن قراره المفجع ، ولكنه ما لبث ان قابل براوختش قائده العام الذي بادره قائلاً : «انني امنعك من ان تذكر موضوع موسكو للفوهرر . لقد اصدرنا أمرنا ببدء العملية في الجنوب . وباتت المشكلة الآن مجرد تنفيذ ليس إلا . ولذا لم تعد للنقاش أية فائدة » .

ومع ذلك ، عندما أدخل غودريان على الفوهرر ، ولم يرافقه في المقابلة براوختش أو هولدر ، عصى أوامر قائده ، وراح يجادل الزعيم بأقوى ما لديه من حجّة محاولاً اقناعه بالهجوم الفوري على موسكو ... وقد دوّن فيما بعد ما جرى قائلاً :

« سمح لي هتلر بالكلام حتى النهاية ، وراح يشرح لي بعد ذلك باسهاب الاعتبارات التي دفعته الى اتخاذ قرار مغاير . وقال ان مواد اوكرانيا الأولية ومواردها الزراعية ، ضرورية للغاية لاستمرار الحرب في المستقبل . وتحدث عن ضرورة تجميد القرم والخلاص من خطرها ناعتاً اياها « بحاملة الطائرات السوفياتية التي تصلح لمهاجمة حقول الزيت في رومانيا » . وسمعته يستعمل لأول مرة عبارة : « ان فرقائي لا يعرفون شيئاً عن النواحي الاقتصادية للحرب » .. وكان قد اصدر أوامر صارمة ، بأن يكون الهجوم على كييف هو الهدف السوقي الفوري ، وان تدور جميع الاعمال العسكرية حول هذه الفكرة الرئيسية . ورأيت هنا المرة الأولى ، منظراً قدر لي فيما بعد ان اراه يتكرر باستمرار ... فقد ابصرت بالحاضرين جميعاً من امثال كايتل ويودل وغيرهما ، يحنون رؤوسهم موافقين على كل عبارة تصدر عن هتلر ، بينما ظللت وحدي ، لا يؤيدني انسان في

وجهة نظري ... »[1]

ولكن هولدر لم يحن رأسه موافقاً ولا مرة واحدة في المناقشات السابقة . وعندما اجتمع اليه غودريان في اليوم التالي ، لينقل اليه فشله في حمل هتلر على تغيير رأيه ، ذكر هـــذا ان رئيس هيئة اركان الحرب « اصيب لدهشتي بانهيار عصبي كامل ، حمله على ان يتفوه باتهامات وشتائم ، ليس لها ما يبررها مطلقاً . »[2]

كانت هذه اعنف ازمة مرت بها القيادة العسكرية العليا الألمانية منذ بداية الحرب . ولكن ازمات أخرى اشد منها عنفاً ما لبثت ان توالت في ايام المحنة .

وتحقق لهجوم رونشتادت في الجنوب ، بعد ان تلقى النجدات من قوات غودريان المدرعة ومن فرق المشاة الـــتي تم سحبها من الجبهة الوسطى ، النجاح الذي وصفه غودريان نفسه بأنه « نصر تعبوي – تكتيكي – عظيم » . وسقطت كييف في ايدي الألمان في التاسع عشر من ايلول ، بعـــد ان كانت الوحدات الألمانية قد توغلت مسافة مائة وخمسين ميلاً وراءها ، وانتهت معركة كييف في السادس والعشرين من ايلول بتطويق جيش روسي ضخم استسلم من افراده حسب ادعاء الألمان نحو من (٦٦٥) الف اسير وكانت هذه المعركة بالنسبة الى هتلر « اعظم معركة في تاريخ الحرب » ، ولكن على الرغم من روعة نتائجها ، فإن بعض قادته العسكريين ظلوا على تشككهم في اهميتها السوقية ، وارغمت مجموعة جيوش بوك المفتقرة الى المدرعات على الجمود مدة شهرين على خط نهر « ديزنا » الواقع الى ما وراء سمولنسك . وكانت امطار الخريف الـتي ستحيل الطرقات الروسية الى حمآت من الوحل ، تقترب يوماً بعـد يوم . وسيعقب الشتاء ببرده

١ – هاينز غودريان – قائد الدبابات – ص ١٥٩ - ١٦٢ .

٢ – يقدم هولدر في يوميته بتاريخ الرابع والعشرين من آب ، رواية اخرى مخالفة لهـــذه الرواية . فهو يتهم غودريان « بالافتقار الى الشعور بالمسؤولية » وبتبديل فكره بعد مقابلة هتلر ، ويسخر منه قائلاً ان من الصعب ان يحاول المرء تغيير طبيعة اخر . واذا صح ما زعمه غودريان من انه قد « اصيب بانهيار عصبي » ، فان تدويناته المتعاملة في يومياته لذلك اليوم تشير الى انه قد شفي من اصابته بسرعة .

وثلوجه هذه الامطار .

الزحف العظيم على موسكو

وافق هتلر ، وهو برم ، على إلحاف براوختش وهولدر وبوك ، وأمر استئناف الزحف على موسكو ، ولكن بعد فوات الأوان . وقد اجتمع اليه هولدر بعد ظهر الخامس من ايلول ، وكان الفوهرر بعد ان حزم أمره ، قد بات على عجلة من أمره للوصول الى الكرملين . وراح يوجه اليه امره قائلاً : «لتبدأوا الهجوم في الجبهة الوسطى بعد ثمانية ايام أو عشرة » . (ودوّن هولدر في يومياته « هذا مستحيل ») . واضاف هتلر قائلاً : « طوقوهم واضربوهم وحطموهم » . ووعد بأن يعيد الى الجبهة الوسطى ، مجموعة غودريان المدرعة التي كانت لا تزال تخوض معركة عنيفة في اوكرانيا وان يضيف اليها لواء رينهاردت المدرع الذي سيسحبه من جبهة لينينغراد . ولكن لم يكن بالامكان اعادة القوات المدرعة واصلاحها وتجهيزها واعدادها للمعركة قبل مطلع تشرين الأول . وشنّ الهجوم العظيم اخيراً في الثاني من تشرين الأول . واطلق عليه الاسم الرمزي « اعاصير » وقد تقرر ان تنزل بالروس زوابع قوية اشبه بالعواصف الدوارة والاعاصير ، وان تحطم آخر ما تبقى لديهم من قوات محاربة أمام موسكو ، وان تؤدي الى انهيار الاتحاد السوفياتي .

ولكن الديكتاتور النازي وقع من جديد فريسة عُظامه (جنون العظمة) . ولم يكن ليكتفي بالاستيلاء على العاصمة الروسية قبل حلول الشتاء . فقد اصدر أوامره الى المشير فون ليب في الشمال ، بأن يستولي على لينينغراد في نفس الوقت وان يتصل بالفنلنديين وراء المدينة ، ثم يزحف لقطع سكة حديد مورمانسك . وأمر رونشتادت في الوقت ذاته بأن يطهر سواحل البحر الاسود الشمالية ويحتل روستوف ويضع يده على حقول الزيت في ميكوب وان يندفع الى ستالينغراد على نهر الفولغا ليقطع آخر اتصال بين ستالين والقفقاس . وعندما

حاول رونشتادت ان يوضح له ان تنفيذ أوامره يعني التقدم نحو اربعمائة ميل الى ما وراء نهر الدنيبر مع بقاء جناحه الايسر مكشوفاً ومعرضاً للخطر ، رد عليه القائد الاعلى ، بأن الروس في الجنوب باتوا عاجزين عـن ابداء أية مقاومة جدية . وسرعان ما وجد رونشتادت الذي يقول انه « ضحك عاليا » من هذه الأوامر المضحكة ، عكس ما كان يقول له زعيمه .

واتصف الزحف الألماني على الطريق التي استخدمها نابوليون في هجومه على موسكو ، في مستهله بسرعة « الاعاصير » فعلا وهوجها. ففي الاسبوعين الاولين من تشرين الأول ، تمكن الالمان في المعركة التي اطلق عليها بلومنتريت فيما بعد اسم « معركة للدرس » ، من تطويق جيشين سوفياتيين بين فيازما وبريانسك ، وادعوا أسر (٦٥٠) الف جندي روسي والاستيلاء على خمسة آلاف مدفع والف ومائتي دبابة . ولم يحل اليوم العشرون من تشرين الاول حتى كان الالمـان قد باتوا على بعد اربعين ميلا من موسكو، وكانت الوزارات السوفياتية والسفارات الاجنبية تجلو بسرعة عنها الى كويبيشيف على نهر الفولغا . وقـد اعتقد حتى هولدر العاقل الرصين، الذي كان الآن قد سقط عن جواده وكسر عظم ترقوته، فأدخل المستشفى للمعالجة ، ان في امكان القوات الالمانية اذا توافرت لها القيادة الجريئة ، والطقس الحسن ان تحتل موسكو قبل حلول فصل الشتاء السيىء ·

وكانت أمطار الخريف قـــد بدأت على أي حال في السقوط وحلت فترة انتشار الوحول « راسبوتيتزا » . وكثيراً ما اضطر الجيش اللجب ، المتحرك على عجلات آلية الى ابطاء حركته والتوقف عـن الزحف احياناً . وكثيراً ما ارغمت القيادة على سحب الدبابات في المعارك لجر المدافع وشاحنات الذخيرة واخراجها مـــن الوحول . وكانت الجيوش تفتقر الى السلاسل والموثّقات (التعشيقات في الميكانيك) اللازمة لاداء هذا العمل بالاضافة الى ان حزم الحبال كانت تقذف بها طائرات النقل لاستعمالها لرفع التموينات العسكرية الاخرى من اماكنها . وقد بدأت الامطار تنهمر في اواسط شهر تشرين الاول . وقد روى غودريان فيما بعد معتمداً على ذاكرته : « ان الاوحال ظلت العامل المسيطر في

الاسابيع القليلة التالية » . وقد وصف الفريق بلومنتريت رئيس اركان حرب جيش المشير فون كلوغه الرابع ، وهو الجيش الذي تولى خوض معمعة معركة موسكو ، هذا الوضع بوضوح اذ قال :

« يخوض جندي المشاة في الوحول ، وكثيراً ما تزل به قدماه ، بينما تحتاج الوحدات الى اعداد ضخمة من الجياد لجر كل مدفع الى الامام . وتغطس جميع العربات ذات العجلات حتى محاور دواليبها (وناقلها) في الوحول . وحتى الجرارات لا تستطيع حراكاً إلا بمنتهى الصعوبة . وسرعان ما تجمدت اعداد ضخمة كبيرة من مدافعنا الثقيلة وتوقفت عن الحركـــة ... وفي وسع الانسان ان يتصور العناء الذي واجهته قواتنا المجهدةمن جراء هذا الوضع.»[١]

وسرعان ماتسللت لأول مرة الى يوميـــات هولدر وتقارير غودريان وبلومنتريت وغيرهما من الفرقاء الألمان علائم الشك الذي تحـــوّل الى يأس . وانتقلت هذه المخاوف الى صغار الضباط وجنود الميدان ، أو انها نبعت منهم. وعاد بلومنتريت بذاكرته الى تلك الأيام فقال : «وهكذا عندما غدت موسكو على مرمى الأبصار من قواتنا ، بدأت الحالة النفسية عند قادتنا وجنـــودنا في التبدل . وقد اخذت مقاومة العدو تشتد، واصبح القتال اكثر عنفاً ومرارة.. وهبط عدد الجنود في كثير من سرايانا الى الستين والسبعين جنـــدياً » . وكان هناك نقص في المدافع الصالحة للعمل والدبابات . ويمضي القائد قائلاً : « واصبح الشتاء على الأبواب ، ولكن لم تكن ثمة علامة على وصول مـــلابس الشتاء الينا ... وبدأت أولى وحدات « الانصار » تعمل وتثبت وجودهـــا وراء الجبهة ، في الغابات الشاسعة والمستنقعات . وكثيراً ما تعرضت ارتال التموين للكمائن التي ينصبها هؤلاء الانصار ... »

وراح بلومنتريت يتذكر الآن اشباح جنود جيش نابوليون الاعظم ، الذين

---

١ ـ مقال بلومنتريت ٩ كتاب « القررات القدرية » ص ٦٦ .

كانوا قد ساروا على نفس هذا الطريق من قبل . وبدأت ذكريات مصير نابوليون تؤرق على الغزاة النازيين مضاجعهم . وأخذ الفرقاء الألمان يقرأون او يعيدون قراءة ماكتبه كولينكورت من وصف قاتم عن الشتاء المفجع الذي قضاه الفاتح الفرنسي في روسيا في عام ١٨١٢ .

والى الجنوب ، حيث الطقس لا يزال اكثر دفئاً ، وان كانت الامطار والوحول لا تقل هناك سوءاً عن الشمال ، لم تكن الأمور تسير كذلك سيراً مرضياً . فقد دخلت دبابات كلايست مدينة روستوف الواقعة على مصب نهر الدون في الواحد والعشرين من تشرين الثاني بين قرع الطبول الذي دوّت به دعاية غوبلز ، هاتفة بأن « بوابة القفقاس » قد غدت مفتوحة أمام الألمان . ولكن هذه « البوابة » لم تظل مفتوحة أمداً طويلاً . فقد ادرك كل من كلايست وروندشتادت ان من المحال الاحتفاظ بروستوف وحدها . ولم تمض خمسة أيام حتى كان الروس يستعيدونها وحتى كان الألمان الذين يتعرضون للهجوم من جناحي الشمال والجنوب يتقهقرون متراجعين بسرعة خمسين ميلاً الى نهر ميوس ، حيث اراد كلايست وروندشتادت في البداية ان يقيموا خطهم للشتاء .

ويعتبر التراجع من روستوف نقطة تحول اخرى في تاريخ الرايخ الثالث . فلقد كانت هذه هي المرة الأولى التى يمنى بها أي جيش نازي بنكسة خطيرة . وعلق غودريان فيما بعد بقوله : « لقد بدأت مصائبنا في روستوف ... وكان هذا ما سطر لنا في كتاب القدر » . وقد كلفت هذه النكسة المشير فون روندشتادت ، الضابط الاكبر في الجيش الالماني قيادته . وروى القائد فيما بعد للمحققين في نورمبرغ انه عندما كان يتراجع نحو نهر ميوس :

« جاءني أمر مفاجىء من الفوهرر يقول : « لا تقهقر شعرة واحدة . وظل في المكان الذي انت فيه . ورحت ابرق له على التو قائلاً : « انه جنون مطبق ان نحاول الصمود في مكاننا . فمن الناحية الاولى لا يستطيع الجنود ان يصمدوا ، وحتى ولو صمدوا ، ولم يتراجعوا فإنهم سيلقون الدمار . وانني اكرر طلبي بسحب هذا

الامر ، فإذا تعذر ذلك ، ارجو ان تعثروا على قـائد آخر . »
ووصل رد الفوهرر في تلك الليلة نفسها وهو يقول : « لقد استجبت لرغبتك . ارجو ان تسلم قيادتك لخلفـك » ويمضي رونشتادت قائلاً : « وعلى الاثر ذهبت الى بيتي . » [1]

وقد يكون هذا الجنون في اصدار الأمر الى القوات البعيدة بالصمود حيث هي ، مهما كان الخطر الذي تتعرض له قد أنقذ الجيش الألماني من الانهيار الكامل في الأشهر المحطمة التالية ، على الرغم من ان كثيرين من الفرقاء يعارضون هذا الرأي ، الا انه أدى حتماً الى كارثـة ستالينغراد والى الكوارث الأخرى التي قررت مصير هتلر .

وحلت ثلوج الشتاء وبرودة الطقس التي تهبط عن الصفر بسرعة في ذلك الشتاء في روسيا . وقد لاحظ غودريان تساقط الثلج ليلة السادس — السابع من تشرين

---

١ — استجواب رونشتادت في عام ١٩٤٥ . نقل وقائعه شولمان في كتابه «الهزيمة في الغرب» ص ٦٨ - ٦٩ . وقد دون هولدر في يوميته بتاريخ الثلاثين من تشرين الثاني يصف تراجع رونشتادت الى نهر ميوس وقرار هتلر باقالة المشير يقول : « كان الفوهرر في هياج متناه في الغلو » ... ثم مضى يقول : « واستـدعى الفوهرر براوختش وكال له التوبيخ واللوم ، والاهانات » وكان هولدر قد بدأ يوميته لذلك اليوم معدداً ارقام الخسائر الألمانية حتى السادس والعشرين من تشرين الثاني وقال : بلغ مجموع الخسائر في جيوش الشرق دون حساب المرضى (٧٤٣،١١٢) بين ضابط وجندي أي نحواً من (٢٣) في المائة من مجموع القوة التي يبلغ تعدادها ثلاثة ملايين ومائتي الف .

وسجل هولدر في الأول من كانون الأول حلول رايخناو محل رونشتادت وكان الأول لا يزال يقود الجيش السادس الذي سبق له ان قاده في فرنسا والذي كان يجتاز الآن محنة عصيبة الى الشمال من فرق كلايست المدرعة التي كانت تواصل انسحابها من روستوف .

ودون هولدر قائلاً : « واتصل رايخناو بالفوهرر هاتفياً يسأله بالانسحاب الليلة الى خط ميوس . وقد سمح له الفوهرر بالانسحاب . وهكذا وصلنا اليوم الى ما كان علينا ان نصل اليه بالأمس . ولكننا اضعنا وقتاً وقوة وضحينا برونشتادت . » ثم اضاف قائلاً : « ما زالت صحة براوختش تدعو الى القلق من جراء الهياج العصبي المستمر » . وسجل هولدر في العاشر من تشرين الثاني ان قائد الجيش العام اصيب بنوبة قلبية حادة .

الأول ، أي في نفس اللحظة التي استؤنف فيها الزحف على موسكو. وقد ذكره هطول الثلج بواجبه في ان يطلب الى القيادة العامة تزويده بملابس الشتاء ولا سيما الأحذية الثقيلة العالية والجوارب الصوفية الثقيلة . وقد سجل في الثاني عشر من تشرين الأول ان الثلج كان لايزال يتساقط . وفي الثالث من تشرين الثاني، هبّت أول موجة من البرد والصقيع ، وهبطت درجة الحرارة الى ما تحت نقطة التجمد ثم استمرت في الهبوط . وفي السابع من الشهر روى غودريان وقوع أول حادثة من حوادث « عضة البرد » بين جنوده ، كما روى ان درجـة الحرارة هبطت في الثالث عشر الى الثامنة تحت الصفر فهرنهـايت ، وان الجنود أخذوا يعانون الأهوال من الأفتقار الى ملابس الشتاء . وأثر البرد القـارص على المدافع وعلى الآلات ايضاً .. وكتب غودريان يقول :

« يسبب لنا الصقيع الكثير من المتاعب ، لا سيما وان « القير » اللازم لطرق الدبابات لم يصل بعد. وأدت شدة البرد الى عدم الافادة من المناظر المقرابية (التلسكوبية) وكنا نحتاج الى ايقاد النيران لنتمكن من ادارة الآلات في الدبابات. وكثيراً ما تجمد الوقود، أما الزيت فقد بات لزجاً . وخسر كل فوج من افواج الفرقة (١١٢) من فرق المشاة نحواً من خمسمائة رجل من جراء « عضة البرد » . وباتت المدافع الرشاشة عـاجزة عن الاطلاق من جراء البرد ، كما برهنت مدافعنا المضادة للطائرات من عيار (٣٧) مليمتراً على انها غير مجدية مع دبابات (ت٣٤) الروسية » [١]

ويقول غودريان«ان النتيجة كانت انتشار الهلع الذي امتد حتى وصل الى بوغورودسك . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقع فيهـا مثل هذا الأمر إبان الحملة الروسية ، كما كانت بمثابة تحذير من ان طاقة مشاتنا على القتـال كانت قد بلغت نهايتها . »

---

١ – غودريان ـ قائد فرق الصاعقة ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

ولكن لم تكن طاقة المشاة وحدها هي التي بلغت حدود نهايتها. ففي الواحد والعشرين من تشرين الثاني دوّن هولدر في يومياته ان غودريان هتف للقيادة ليقول ان قواته المدرعة « قد وصلت حدود طاقتها وانتهت » . ويعترف هذا القائد الصلب الشكيمة وذو الطبيعة العدوانية ، انه كان قد قرر في ذلك النهار زيارة قائد مجموعة جيوش الوسط ، المشير بوك ، ليطلب اليه تغيير الاوامر التي بعث بها اليه اذ أنه « عاجز عن ان يرى سبيلاً لتحقيقها » . وكان في حالة كئيبة وانحطاط معنوي ، اذ دوّن في نفس اليوم يقول :

« تجعل برودة الطقس القارصة ، والافتقار الى المأوى ، ونقص الملابس ، والخسارة البالغة في الرجال والمعدات ، والحالة السيئة لتموينات الوقود ، مهمة القائد شاقة بل شقاء ، وكلما طال هذا الوضع ، كلما تحطمْت من جراء المسؤوليات الجسام التي اتحملها . »[١]

وعندما عاد غودريان بأفكاره فيما بعد الى تلك الايام كتب يقول :

« ان كل من رأى تلك المتاهات التي لا حدود لها من الثلوج الروسية في ذلك الشتاء الذي علّمنا معنى الشقاء ، وكل من أحس بالرياح المتجلدة التي كانت تهب فوقها ، دافنة بين طيات الثلج كل ما تلقاه في طريقها . وكل من مضى بسيارته ساعة بعد ساعة في هذه الأرض الحرام التي لا يقيم فيها انسان ليعثر بعد رحلته الشاقة على مأوى حقير لا يسد مسغبة ولا يغني فتيلا ، ويجد فيه بعض الرجال العراة من ملابس الدفء وانصاف الجياع ، ورأى بعد ذلك الجنود السيبريين (الروس) وقد ارتدوا الملابس الدافئة ، وحصلوا على أجود الطعام ، وتدّرعوا بكل ما يلزمهم لقتال الشتاء .. يستطيع حقاً ان يحكم على الاحداث التي وقعت الآن » [٢]

---

١ ـ غودريان ـ قائد فرق الصاعقة ص ١٩٢
٢ ـ غودريان ـ قائد فرق الصاعقة ص ١٩٤

وفي وسعنا الآن ان نسرد هذه الاحداث بإيجاز ، ولكن بعد ان نؤكد نقطة واحدة ، وهي انه على الرغم من اعترافنا بفظاعة الشتاء الروسي ، وبأن الجنود الروس كانوا مهيأين طبعاً لهذا النوع من القتال ، بصورة تفضل تهيئة الألمان لها، إلا ان العامل الاساسي في كل ما وقع الآن لم يكن الطقس ورداءته، وانما كان القتال العنيف الذي خاضته قوات الجيش الأحمر ، وعزيمتها التي لم تهن ولم تضعف على عدم التسليم ولا ريب في ان يوميات هولدر ، وتقارير قادة الميدان ، التي تتحدث باستمرار عن دهشتها من مدى عنف الهجمات والهجمات المضادة الروسية ، وعن يأسها من نكسات الالمان وخسائرهم ، هي خير دليل على ما أقول . ولم يستطع القادة العسكريون الالمان ان يفهموا لماذا لم يتعرض الروس للانهيار، كما انهار الفرنسيون وكثيرون غيرهم، كانت مبرراتهم في الانهيار أقل من مبررات الروس التي تحتل طليعتها طبيعة نظامهم الطاغي والنتائج المفجعة التي انزلتها بهم الضربات الالمانية الاولى .

وكتب بلومنتريت يقول: « وقد اكتشفنا في نهاية شهر تشرين الاول ومطلع تشرين الثاني ، ونحن في غاية الدهشة وخيبة الأمل ، ان الروس المهزومين لم يكونوا يعرفون انهم قد انتهوا من الوجود كقوة عسكرية ». ويتحدث غودريان عن مقابلته لجنرال قيصري متقاعد قديم على مقربة من اوريل في الطريق الى موسكو .. ويروي ان هذا القائد العجوز قاله له :

« لو انكم جئتم قبل عشرين عاماً لاستقبلناكم بأذرع مفتوحة . أما الآن فقد فات الاوان. فلقد شرعنا الآن نقف على اقدامنا وها انتم تجيئون وتحاولون اعادتنا عشرين عاماً الى الوراء ، بحيث يتحتم علينا ان نعود الى البداية من جديد وها نحن نحارب الآن في سبيل روسيا ، ونحن جميعاً متحدون في هذا الهدف »[1]

ومع ذلك ، عندما اقترب تشرين الثاني من نهايته وسط هذه الاعاصير

---

١ - غودريان - قائد فرق الصاعقة ص ١٩١

الثلجية الجديدة . ومن درجات حرارة تقل كثيراً عن الصفر ، ظلت موسكو ، تبدو وكأنها باتت في متناول هتلر وقادته العسكريين . وكانت الجيوش الألمانية في شمال العاصمة وجنوبها وغربها قد باتت على بعد عشرين أو ثلاثين ميلاً من هدفها . وبدا لهتلر الذي كان يقف أم الخريطة في مقر قيادته بعيداً في بروسيا الشرقية ، يتطلع الى ما أمامه ، ان هذه المسافة الباقية لم تعد شيئاً يستحق الذكر . فقد توغلت جيوشه نحواً من خمسمائة ميل ، ولم تبق امامها الا هذه الاميال العشرون أو الثلاثون . وراح يقول ليودل في منتصف شهر تشرين الثاني ... « لم تبق امامنا الا رمية اخرى اخيرة ، وسنحقق انتصارنا » . وشبه المشير فون بوك قائد مجموعة جيوش الوسط ، الوضع في حديث هاتفي مع الفريق هولدر في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ، بما كان عليه في معركة المارن « عندما ادى الفوج الاخير الذي قذف في المعركة الى تقرير مصيرها . » قال بوك لرئيس هيئة اركان الحرب انه « يعتقد بامكان تحقيق كل شيء » على الرغم من مقاومة العدو المتزايدة . وعندما حل اليوم الاخير من تشرين الثاني ، كان يقذف في الحقيقة بآخر ما تبقى لديه من افواج. وتقرر ان يبدأ الهجوم الشامل الاخير على قلب الاتحاد السوفياتي في اليوم التالي الأول من كانون الأول عام ١٩٤١ .

ولكن هذا الهجوم تعثر على مقاومة فولاذية . وكانت آمال هتلر المشرقة قد تركزت على اعظم قوة دبابات سبق لها ان حشدت في تاريخ الحرب في جبهة واحدة . فقد تدفقت دبابات الفيلق الرابع الذي يقوده الفريق هوبنر ودبابات الفيلق الثالث الذي يقوده الفريق هيرمان هوث من شمال العاصمة متجهة نحو الجنوب ، بينما اندفعت قوات الجيش المدرع الثاني الذي يقوده غودريان من جنوب العاصمة ، أي من بلدة تولا باتجاه الشمال . واخذت دبابات الجيش الرابع الضخم الذي يقوده كلوغه تشق طريقها في الوسط متجهة شرقاً نحو العاصمة عبر الغابات التي تحيط بها . وتمكن فوج استطلاع من فرقة المشاة (٢٥٨) من النفاذ في الثاني من كانون الأول الى « خيمكي » احدى ضواحي موسكو ،

وأصبح رجاله على مرأى من قباب الكرملين ، ولكن ما عـتم ان طرد منها في الصباح التالي ، على ايدي بعض الدبابات الروسية وقوة مختلطة تم تشكيلها على جناح السرعة من عمال مصانع المدينة . وكانت هـذه اقرب نقطة من موسكو استطاع الجنود الألمان الوصول اليها ، وكانت المرة الأولى والاخيرة التي وقعت فيها انظارهم على الكرملين .

ولم يحل مساء اليوم الأول من كانون الأول ، حتى كان بوك ، الذي يعاني من آلام قاسية في معدته ، قد هتف الى هولدر ليقول له انه بات عاجزاً عن متابعة الهجوم بقواته الضعيفة . وحاول رئيس هيئة اركان الحرب ان ينعش معنوياته فقال له : « على المرء ان يحـاول ارغام العدو على الركوع بآخر مجهود يبذله . فاذا ما ثبتت استحالة ذلك ،بات لزاماً علينا ان نصل الى استنتاجات جديدة» . وراح هولدر يدوّن في اليوم التالي في يوميته :«وصلت مقاومة العدو ذروتها» . وعاد بوك الى الهاتـف في اليوم التالي أي الثالث من كانون الأول ليتحدث عن طريقه الى رئيس هيئة اركان الحرب الذي دوّن رسالته في يومياته :

« اضطرت رؤوس اندفاع الجيش الرابع الى التراجع ، لأن الجناحين عجزا عن الاندفاع ... وعلينا ان نواجه الآن اللحظةالتي تكون فيها قوة رجالنا قد بلغت نهايتها » .

وعندما تحدث بوك للمرة الأولى عـن التحول الى الدفاع ، حاول هولدر تذكيره بأن « الاستمرار في الهجوم هو خير وسائل الدفاع » .

ولكن القول كان اسهل بكثير من العمل مـن جراء عناد الروس وقسوة الطقس . ونقل غودريان في اليوم التالي أي الرابع من كانون الأول ، بعد ان اوقف الروس المحاولة التي قـام بها جيشه المدرع الثاني لاحتلال موسكو من الجنوب ، الى القيادة العليا ان درجة الحرارة قد هبطت الى الاحدى والثلاثين دون الصفر . وعادت فهبطت في اليوم التالي خمس درجات اخرى . وقال ان دباباته « باتت عاجزة عـن الحركة » ، وان جناحيه ومؤخرته الى الشمال من تولا ، قد اصبحت كلها معرضة للخطر .

وكان الخامس من كانون الأول ، هو اليوم الحاسم . فقد اوقف الألمان في كل مكان في الجبهة التي تمتد مائتي ميل على شكل نصف دائرة حول موسكو . ولم يحل المساء حتى كان غودريان يبلغ قائده بوك ، ان قواته لم تضطر الى الوقوف فحسب بل باتت مرغمة على التراجع ، وراح بوك يهتف الى هولدر ليقول له « ان قوته قد بلغت منتهاها » . بينما ابلغ براوختش رئيس هيئة اركان حربه ، واليأس يقطر من عباراته ، انه قرر الاستقالة من منصبه كقائد عام للجيش . حقاً لقد كان يوماً قاتماً ومراً للفرقاء الألمان . وتذكر غودريان ذلك اليوم الاغبر فيما بعد فكتب يقول :

« كانت هذه هي المرة الأولى التي اجد نفسي مضطراً فيها الى اتخاذ قرار من هذا النوع ، ولم يكن اشقّ علي من هذا القرار ... فلقد تحطم هجومنا على موسكو . وضاعت جميع تضحيات جنودنا البواسل واحتمالهم ، هباء وعبثاً . لقد منينا بهزيمة مؤلمة . » [1]

وادرك بلومنتريت رئيس هيئة اركان حرب جيش كلوغه الرابع ، ان نقطة التحول قد اتت . واستذكر تلك الايام فيما بعد ، فكتب عنها يقول : « لقد انهارت آمالنا في اخراج روسيا من الحرب في عام ١٩٤١ في اللحظة الاخيرة » .

وتحول الفريق الروسي جورجي جوكوف الذي خلف المشير تيموشنكو في قيادة الجبهة الوسطى قبل نحو من ستة اسابيع الى الهجوم في اليوم التالي ، أي السادس من كانون الاول . واطلق على جبهة تمتد مائتي ميل أمام موسكو سبعة جيوش وفيلقي فرسان ، يبلغ مجموعها كلها مائة فرقة تتألف كلها من جنود يدخلون المعركة لأول مرة أو آخرين مارسوا القتال فيما مضى ، وكلهم مجهزون بأحسن الاسلحة والمعدات ، ومدربون على القتال في مثل هذا الطقس البارد والثلوج الكثيفة . وكانت الضربة التي وجهها هذا القائد الذي كان مغموراً حتى هذه اللحظة ، بمثل هذه القوة الضخمة من المشاة والمدافع والدبابات والفرسان

---

١ - غودريان - قائد فرق الصاعقة ص ١٩٩ .

والطائرات التي لم يكن هتلر قــد تصور لحظة واحدة وجودها ، من العنف والمباغتة الى الحد الذي لم يستفق الجيش الألماني ولا الرايخ الثالث من هوله ابداً. وبدا لعدة اسابيع في غضون ما تبقى من شهر كانون الأول ذاك الشديد البرودة والمرارة ، وفي شهر كانون الثاني ان الجيوش الالمانية المهزومة والمتراجعة، والتي تتعرض جبهتها باستمرار للاختراق من جانب الروس ، قد تتفسخ في أية لحظة وتباد في الثلوج الروسية ، تمامـاً كما حدث لجيش نابوليون الاعظم قبل نحو من مائة وثلاثين عاماً . وقد اقتربت هذه الجيوش في عدة لحظات حرجة من هذه النهاية . ومن المحتمل ان تكون ارادة هتلر الصخرية وتصميمه الفولاذي همـــا اللذان انقذا جيوش الرايخ الثالث من الكارثة النهائية ، لكن الذي لا شك فيه ان الفضل في هذا الانقاذ يعود حتماً الى قوة احـــتمال الجندي الألماني وصبره على الاهوال .

لكن الفشل كان ذريعاً . فلقد شلّت الجيوش السوفياتية في الاشهر الماضية ولكنها لم تحطم . ولقد صمدت موسكو كما صمدت لينينغراد وستالينغراد ، ولم يتمكن هتلر من احتلال حقول زيت القفقاس وظلت شرايين الحياة الروسية المتصلة ببريطانيا وامريكا من الشمال والجنوب ، مفتوحة لم تقطع . ولأول مرة منذ اكثر من عامين من الانتصارات العسكرية المتلاحقة ، كانت جيوش هتلر تتراجع الآن أمام قوة متفوّقة عليها .

ولم يكن هذا كل شيء . اذ كان الفشل اعظم بكثير . وقــد ادرك هولدر ذلك وان جاء ادراكه متأخراً . اذ كتب في يومياته يقول : « لقـد تحطمت الاسطورة القائلة بأن الجيش الالماني لا يغلب » . وقـــدر لروسيا ان تشهد انتصارات المانية اخرى عندما عاد الصيف ، ولكن لم تستطع هذه الانتصارات ان تعيد للجيش الالماني تلك الاسطورة . وهكذا يمثل السادس من كانون الاول عام ١٩٤١ ، نقطة تحول اخرى ، في التاريخ القصير للرايخ الثالث ، وكانت ولا شك نقطة تحول قدرية من الدرجة الاولى . لقد وصل سلطان هتلر الى سمته ، ومنذ هذه اللحظة بدأ في الافول ، وقد لفته الضربات المضادة النامية ، مـــن

الشعوب التي اختار هو أن يشن حروبه العدوانية عليها .

* * *

وحدثت الآن تبدلات جذرية في القيادة العليا الالمانية وبين قادة الميدان . اذ لما بدأت الجيوش الالمانية تتراجع على الطرق المتجمدة ، وفوق الحقول التي تكسوها الثلوج أمام الهجوم السوفياتي المضاد ، أخذت رؤوس الفرقاء الالمان تتدحرج . وقد رأينا كيف ان رونشتادت قد ابعد من قيادة الجيوش الالمانية في الجنوب ، عندما وجد نفسه مضطراً الى الانسحاب من روستوف . وازدادت آلام المعدة عند المشير فون بوك من جراء نكسات شهر كانون الاول ، وسرعان ما خلفه في الثامن عشر من الشهر نفسه المشير فون كلوغه ، الذي كان جيشه الرابع المحطم يتراجع الى الابد من ضواحي موسكو . وحتى الفريق غودريان الجريء ، خالق الحرب المدرعة الجماعية التي اوجدت ثورة في المعارك العصرية ، اقيل من منصبه ايضاً يوم عيد الميلاد لأنه اصدر أمراً بالتراجع دون اذن من رؤسائه . وحتى الفريق هوبنر ، قائد الدبابات البارع الذي لا يقل كفاية عن زميله غودريان والذي وصلت مجموعته المدرعة الى ابواب موسكو من ناحية الشمال ، ثم اضطر الى التراجع ، أقيل من منصبه بأمر من هتلر لنفس الاسباب ، وانتزعت رتبته منه ، وحرّم عليه ارتداء البزة العسكرية . ولقي الفريق هانز الكونت فون سبونيك ، الذي كان قد تلقى ارفع الاوسمة الالمانية لقيادته حركات انزال القوات المحمولة من الجو في لاهاي في السنة الماضية ، عقاباً اشد ، لأنه اضطر الى سحب فرقة واحدة من فيلقه في القرم في التاسع والعشرين من كانون الاول بعد ان نزلت القوات الروسية من البحر وراءه . فلم يكتف هتلر بانتزاع رتبته منه ، وانما امر باعتقاله ومحاكمته عسكرياً ، ثم نفذ الاعدام فيه باصرار من الفوهرر . [1]

وقد تعرض حتى كايتل الخنوع لبعض المشاكل مع القائد الأعلى . فقد رأى

---

١ – لم ينفذ فيه حكم الاعدام إلا بعد مؤامرة تموز عام ١٩٤٤ على حياة هتلر ، التي لم يكن مشتركاً فيها بأية حالة من الاحوال .

حتى هذا القائد الذي لا يبصر الا ما يراه سيّده في الأيام الأولى من شهر كانون الاول ان الانسحاب من منطقة موسكو أمر ضروري لتجنّب الكارثة. وعندما حشد كل ما لديه من شجاعة، وجرؤ على ابداء رأيه هذا لهتلر، راح هذا يكيل له الشتائم، صارخاً في وجهه ومطلقاً عليه اسم «الانسان البليد». وعثر يودل بعد قليل على رئيس القيادة العليا التعس، جالساً الى مكتبه، يكتب استقالته، وقد وضع مسدسه الى جانبه. وانتزع يودل المسدس بهدوء واقنع كايتل، دون كبير عناء كما يبدو، بالبقاء في منصبه وابتلاع اهانات الفوهرر، فابتلعها بكثير من الاحتمال والصبر حتى النهاية المرة.[1]

وأدى الجهد الناجم عن قيادة جيش لا يستطيع ان يفوز دائماً، في ظل قائد أعلى يصر على ان يكون الفوز باستمرار من نصيب جيشه، الى تجدد النوبات القلبية عند المشير فون براوختش، وعندما شرع جوكوف في هجومه المضاد كان المشير قد صمم على التخلي عن منصبه كقائد عام للجيش. وقد عاد الى مقر القيادة العامة من جولة طاف فيها الجبهة المتراجعة في الخامس عشر من كانون الأول، وعثر عليه هولدر وهو «في حالة تهدم». ودوّن هولدر في يوميته قائلاً: «لم يعد براوختش يرى سبيلاً للخلاص، وانقاذ الجيش من وضعه اليائس..» أجل كان رئيس الجيش قد وصل الى نهاية مداه. وكان قد طلب الى هتلر في السابع من كانون الاول تسريحه من منصبه، ثم عاد فكرر هذا الطلب في السابع عشر منه. وقبل الفوهرر طلبه رسمياً ونحاه من منصبه بعد يومين. وقد افضى الفوهرر لغوبلز بعد ثلاثة اشهر، برأيه الصريح في الرجل الذي اختاره هو لقيادة جيشه، وكتب غوبلز في يوميته بتاريخ العشرين من آذار عام ١٩٤٢ يقول:

«لقد تحدث الفوهرر عنه (براوختش) بعبارات تنطوي على الزراية والاحتقار فوصفه بأنه جبان ومغرور وأخرق ومخبول»[2]

واعلن هتلر لاخوانه رأيه في براوختش فقال: «انه ليس

---

١ – غوير ليتنر - تاريخ هيئة اركان الحرب الألمانية ص ٤٠٣.

٢ – يوميات غوبلز ص ١٣٥ - ١٣٦.

بالجندي وانما هو رجل ضعيف خائر العزم . ولو ظـل براوختش في منصبه بضعة اسابيع اخرى لانتهت الاوضاع الى كارثة »[1]

وبدأت التكهنات بين قادة الجيش عن الرجـل الذي سيخلف براوختش ولكن جميع هذه التكهنات خابت في اصابة هدفها تماماً كما خابت من قبل سنوات عدة بصدد من سيخلف هندنبرغ . واستدعى هتلر في التاسع عشر من كانون الاول ، هولدر الى حضرته وابلغه انه سيتولى بنفسه قيادة الجيش العامة. واضاف ان في وسعه ان يستمر في منصبه كرئيس لهيئة اركان الحرب، اذا اراد الاستمرار ، وقد اراده هولدر فعلاً . ولكن هتلر ، أوضح صراحـــة ، انه سيتولى بنفسه منذ تلك اللحظة تصريف أمور الجيش ، كما يصرف كل شيء آخر في المانيـا . ثم قال له :

« ان في وسع كل انسان ان يتولى هذا المنصب الذي لا أهمية له ، في قيادة الجيش بصورة عادية . ولكن مهمة القائد العام ، في الحقيقة هي تدريب الجيش بالطريقة الاشتراكية الوطنيـة . واني لا اعرف ان ثمة « فريقاً » يستطيـع ان يقوم بهذه المهمة كما أقوم بها أنا. ولهذا فقد قررت ان أتولى بنفسي قيادة الجيش »[2]

وهكذا كمل انتصار هتلر على فيلق الضباط البروسيين. وبات الافاق الفييني السابق ، والعريف في يوم ما ، رئيس الدولة الالمانية ووزير حربيتهـــا والقائد الأعلى لقواتها المسلحة ، والقائد العام لجيشها. وبات « الفرقاء » كما اشتكى هولدر في يومياته ، مجرد موزعي بريد ، يحملون أوامر هتلر المستندة على مفاهيمه الشخصية في الخطط السوقية .

ولم يمض طويل وقت حتى كان هذا الديكتاتور المصاب بالعُظام ، قد جعل من نفسه شيئاً اكبر من كل هذا ، فقد اضفى على نفسه سلطاناً شرعياً لم يسبق لأي رجل آخر في تاريخ « الرايخات » الالمانية سواء أكان امبراطوراً او ملكاً

---

١ – محادثات هتلر السرية ص ١٥٣ .

٢ – هولدر - هتلر كقائد ميدان ص ٤٥ .

او رئيس جمهورية ، ان حصل عليه . ففي السادس والعشرين من نيسان عام ١٩٤٢ ، تمكن من ان يحمل الرايشستاغ الذي « يبصم له على كل شيء » على سن قانون يمنحه الصلاحيات المطلقة التي تمنح الحياة أو الموت لكل رجل في المانيا ، ويوقف جميع القوانين التي قد تقف عقبة في طريق هذه الصلاحيات . وأرى لزاماً علي ان أورد نص هذا القانون حتى يصدق القارىء هذا الأمر الذي لا يكاد يصدق :

« في مثل هذه الحرب التي يخوضها الشعب الالماني ويواجه فيها النضال في سبيل الوجود او الفناء ، من الواجب ان يتمتع الفوهرر بجميع الحقوق التي يفترض ان يملكها ليستطيع عن طريقها الوصول الى النصر او الإسراع فيه . ولهذا ، ودون التقيد بالأنظمة القضائية المرعية ، وبوصفه زعيم الأمة والقائد الأعلى لقواتها المسلحة ورأس حكومتها ، والرئيس الأعلى لأجهزتها التنفيذية ، وقاضيها الاعلى وزعيم حزبها ، يجب ان يكون الفوهرر في وضع يمكنه من ان يفرض بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرفه ، على كل الماني ، اذا اقتضى الامر ، سواء أكان جندياً عادياً أو ضابطاً ، موظفاً عالياً او خفيضاً ، قاضياً ، أو كبيراً من كبراء الحزب أو تابعاً من اتباعه ، عاملاً أو صاحب عمل ، ان يؤدي واجباته على أكمل وجه . ومن حق الفوهرر ، في حالة تقاعس أي انسان عن اداء واجباته ، وبعد التحري الواعي ، دون اكتراث بما يسمى بالحقوق المكتسبة . ان يفرض أية عقوبة مناسبة ، وان يقيل أي مسيء من منصبه او رتبته أو مكانته دون أية اجراءات قانونية معروفة » (١)

وهكذا لم يعد هتلر في الحق ، زعيم المانيا بل بات قانونها . ولم يحدث قط لا في العصور الوسطى ولا قبلها في الايام القبلية البربرية ، ان تمكن أي الماني من

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٦٠٠ .

اغتصاب مثل هذا السلطان الطغياني لنفسه اسماً وشرعاً وحقيقة .

ولكن هتلر كان قبل هذه السلطات الاضافية السيد المطلق للجيش الذي تولى الآن قيادته المباشرة وقد قام بهذه الحركة في ذلك الشتاء القاسي ليوقف تراجع جيوشه المهزومة ويجنبها مصير جيش نابوليون وهو يتراجع على نفس الطرق المتجمّدة والمكسوة بالثلوج عائداً من موسكو. وسرعان ما اصدر أمراً صارماً بمنع أي تراجع آخر . وقد ناقش القادة العسكريون الألمان طويلاً حسنات هذا الصمود العنيد ومساوئه ، وما اذا كان قد انقذ القوات الالمانية من الكارثة الكاملة ، أو انه سبب تلك الخسارات الهائلة التي لم يكن ثمة مناص منها . وقد ادعى معظم القادة العسكريين انهم لو منحوا حرية العمل ، في الانسحاب عندما بات وضعهم لا يطاق ، لكان في إمكانهم انقاذ عدد أكبر من الرجال وكميات اضخم من المعدات ، ولاضحوا في وضع افضل يمكنهم من اعادة تنظيم جيوشهم وشن هجوم مضاد . وما حدث هو ان فرقاً كاملة كانت تجتاح احياناً أو تطوق ثم تجزأ الى اقسام صغيرة ، بينما كان في وسع أي انسحاب في الوقت المناسب ان ينقذها .

ومع ذلك فقد وجد بعض القادة العسكريين الذين اعترفوا بعد لأي وتردد بأن ارادة هتلر الحديدية في الاصرار على صمود الجيوش وقتالها ، كانت اعظم ما انجزه من اعمال الحرب ، لأنها على الغالب كانت السبب في انقاذ جيوشه من التفسخ الكامل فوق الثلوج . ولا ريب في ان الفريق بلومنتريت كان خير من لخص هذا الرأي وعبّر عنه اذ قال :

« ليس ثمة من شك في ان أمر هتلر المتعصّب ، ببقاء القوات الألمانية صامدة في أماكنها دون الاكتراث بأوضاع كل وحدة من هذه القوات أو بالظروف المستحيلة التي تصمد فيها ، كان امراً صحيحاً. وقد ادرك هتلر بدافع غريزته ، أن أي تراجع عبر الثلوج والجليد ، يجب ان يؤدي في غضون بضعة ايام الى تحلل الجبهة وتفسخها ، وانه اذا وقع مثل هذا التطور ، فإن القوات المسلحة الألمانية ستواجه

نفس المصير الذي حل بالجيش الاعظم ... ولم يكن ثمـة سبيل للانسحاب إلا عبر الارض العراء ، طالما ان الطرق والممرات كانت تغطيها الثلوج التي تحول دون السير فيها ... ولن تنقضي ليالٍ طويلة على الانسحاب ، حتى يكون العياء قد ادرك الجنود ، الذين سينبطحون حتماً في أي مكان ، ثم يموتون في هذا المكان نفسه . ولم تكن هناك مواقع مهيأة في المؤخرة ،يستطيع الجنود الانسحاب اليها ، كما لم يكن هناك أي خط من الخطوط الدفاعية التي يتمكنون من الارتكاز اليها . » [1]

وقد وافقه على هذا الرأي ايضاً الفريق فون تيبلسكيرش قائد احد الفيالق اذ قال :

« كان هذا الأمر العمل العظيم الوحيد الذي حققه هتلر . فلقد كان الجنود في تلك الآونة العصيبة يذكرون ما سبق لهم ان سمعوه عن تراجع نابوليون من موسكو ويعيشون في كابوس هذه الذكريات . ولو سمح للجنود بأن يبدأوا في التراجع لتحول تراجعهم الى فرار مصحوب بالهلع . » [2]

ولكن الهلع كان قد ظهر في الجيش الألماني . ولم يقتصر ظهوره على الجبهة وانما بدا واضحاً ايضاً في المؤخرة ، وفي القيادة العامة بالذات ، وقـد سجله هولدر تسجيلاً تصويرياً في يومياته . ففي يوم الميلاد عام ١٩٤١ ، استهل هولدر يوميته بقوله : « انه ليوم عصيب » . وعاد يكرر هذه العبارة في مستهل يوميات عدة قبل رأس السنة وبعده ، عندما يتحدث عن أي خرق جديـد من جانب الروس لجبهة الالمان ، وما ينجم عن كل خرق من وضع خطر بالنسبة الى الجيوش المختلفة . وهذا بعض ما دوّنه :

« ٢٩ كانون الأول ... يوم عصيب آخر ... مكالمات هاتفية

---

١ ـ مقال بلومنتريت في كتاب « القرارات القدرية » ص ٧٨ ـ ٧٩ .

٢ ـ ليدل هارت ـ الفرقاء الانكليز يتكلمون ص ١٥٨ .

بعيدة المدى ومسرحية بين الفوهرر وكلوغه . منـع الفوهرر أي انسحاب آخر للجناح الشمالي من الجيش الرابع . الجيش التاسع في وضع حرج للغاية ويبدو ان القادة قد فقدوا عقولهم . حديث هاتفي ثائر عند الظهيرة من كلوغه . يريد الجيش التاسع التراجع الى مـا وراء ريجيف ...

« ٢ كانون الثاني عام ١٩٤٢ .. يوم من القتـال الوحشي ... الجيشان الرابع والتاسع في ازمة خطرة ... ادى اختراق روسي الى الشمال من « مالويا روسلافيتس » الى تمزيق الجبهة وفتـح ثغرة واسعة فيها ، ومن الصعب معرفة الطريقة التي تمكـن بواسطتها اعادة تثبيت الجبهة في الوقت الحاضر ... حمل هذا الوضـع كلوغه على المطالبة بسحب الجبهة المائلة ... دارت مناقشة عاصفة مـع الفوهرر الذي اصر على موقفه فهو يريد ان تظل الجبهة في موضعها مهما كانت النتائج ...

« ٣ كانون الثاني اصبح الوضع اكثر خطورة نتيجة الاختراق الروسي بـين مالويا روسلافيتس وبوروفسك . يحس كويبلر [١] وبوك بالكثير من الاثارة ويطالبان بالانسحاب من جبهة الشمال التي شرعت في الانهيار . ويقع منظر مسرحي جديد بطـله الفوهرر ، فهو يشك في شجاعة قادته العسكريين وفي قدرتهم على اتخاذ قرارات قاسية . ولكن الجنود لا يستطيعون الصمود في مواقعهم عندمـا تكون درجة الحرارة ثلاثين تحـت الصفر ، ويأمر الفوهرر ، بأنه سيقرر شخصياً ما اذا كان مـن الضروري القيام بانسحابات جديدة ... »

---

١ - خلف الفريق كويبلر ، المشير كلوغه في السادس والعشرين من كانون الأول كقائد للجيش الرابع عندما تسلم هذا قيادة مجموعة جيوش الوسط . وعلى الرغم من صلابته كجندي إلا انه لم يطق احتمال الجهد اكثر من ثلاثة اسابيع فخلفه في قيادته الفريق هنريكي .

ولم تعد مثل هذه القرارات في يد الفوهرر وانما في يـــد الجيش الروسي . وكان في وسع هتلر ان يرغم الجنود الالمان على الصمود بقوة في اماكنهم والموت فيها ، ولكن لم يكن في قدرته ان يوقف الزحف الروسي ، إلا بالقدر الذي كان في وسع الملك كانيوت [1] ان يمنع التيارات الهوائية من الهبوب . واقترح بعض ضباط القيادة العليا ذات مرة من مرات الهلع ان انقاذ الموقف قد يتطلب اللجوء الى استعمال الغازات السامة . ودوّن هولدر في يوميته بتاريخ السابع من كانون الثاني يقول : « يحاول العقيد اوخسنر اقناعي بأن نبدأ باستخدام الغازات السامة ضد الروس » . ولكن قد تكون شدة البرودة هي التي اعاقت استخدام الغازات . على أي حال ، لم يؤد الاقتراح الى اية نتيجة .

وكان الثامن من كانون الثاني من « الايام العصيبة حقاً » كما دوّن هولدر في يومياته ... ومضى قائلا : « لم يعد في وسع كلوغه احتمال الفجوة التي فتحها الروس في سوخينيجي الى الجنوب الغربي من موسكو . وهو ما يزال يصرّ على سحب جبهة الجيش الرابع الى الوراء » . وظل المشير طيلة اليوم على الهاتف يحدث هتلر وهولدر ، مصراً على هذا الانسحاب . واخيراً وافق الفوهرر في المساء على هذا الانسحاب ، وهو برم ، وسمح لكلوغـــه بالانسحاب « خطوة خطوة ليضمن حماية مواصلاته »

وهكذا تراجعت الجيوش الألمانية التي كانت قد اعدت عدتها للاحتفال بعيد الميلاد في موسكو ، خطوة خطوة ، واحياناً في خطوات سريعة ، مرغمة امام الجيوش الروسية على هذا التراجع خوفاً من التطويق ومن عمليات الاختراق . وعندما حلّ شهر شباط ، وجد الألمان انفسهم في مواضع يتراوح بعدهـــا عن

---

١ ـ الملك كانيوت الكبير (توفي عام ١٠٣٦ ميلادية) ، ملك الدانمرك وانكلترا . تولى الملك في انكلترا عام ١٠١٤ بعد موت ابيه الملك سوين الدانيار كي الذي فتح جزءاً كبيراً من انكلترا ، بعد ان انتصر على ملكها السكسوني اثيلريد ونفاه الى نورمانديا . ظل في حروب طويلة مع اثيلريد واولاده الى ان انتصر عليهم . وله قصص مشهورة منها قصة محاولته منع التيارات الهوائية من الهبوب ببناء سور عال ـ المعرب ـ

العاصمة بين خمسة وسبعين ميلاً ومائتي ميل . ودوّن هولدر في يومياته في نهاية هذا الشهر المتجمد ، الثمن الباهظ الذي دفعته المانيا لهذه المغـــامرة الروسية الخاطئة ، فقد قدر الخسائر حتى الثامن والعشرين من شباط بـ (١,٠٠٥,٦٣٦) أو (٣١) في المائة من مجموع القوات الألمانية ، قتل منهم نحو (٢٠٢,٢٥١) بجراح و (٤٦,١١١) فقدوا ولم يعثر لهم على اثر . وبلغت الخسائر من « عضة البرد » نحواً من (١١٢,٦٢٧) شخصاً . ولم تشمل هذه الأرقام بالطبع الخسائر التي مني بها المجريون والرومانيون والايطاليون في روسيا .

وسيطر الهدوء على الجبهة كلها مع مجيء ذوبان الثلوج في الربيع ، وشرع هتلر وهولدر في اعداد الخطط اللازمة للإتيان بقوات جديدة وأعـــداد من الدبابات والمدافع ، لاستئناف الهجوم في جزء من الجبهة على الاقل . ولم يعد في طاقة الألمان ان يهجموا على طول الجبهة الواسعة كلها ، فلقد قضت الغرامـــة الكبيرة التي دفعوها لبرد الشتاء القـارص ولهجوم جوكوف المضاد على ذلك الأمـل .

ونحن نعرف الآن ، ان هتلر كان قد ادرك قبل هذا الوقت ان مقامرته في احتلال روسيا قد فشلت ، وانه لم يعد قادراً على احتلالها لا في ستة اشهر ولا ست سنوات . ويروي هولدر في يوميته التي كتبها في التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤١ ، ان الفوهرر ألقى محاضرة طويلة على عدد من ضباط القيادة العامة . فعلى الرغم من وجود قواته على بعد بضعة اميال من موسكو ، وعلى الرغم من زحفهـــا العنيف للاستيلاء عليها إلا انه كان قد تخلى عن آماله في اخضاع روسيا هذا العام ، واستدار بأفكاره الى السنة القادمة . وقد دوّن هولدر آراء الزعيم على النحو التالي :

« اهدافنا للعام القادم : اولاً القفقاس كلها . غاية الهـــدف الوصول الى حدود روسيا الجنوبية . الوقت بين آذار ونيسان . في الشمال بعد وقف حملة السنة الحالية الوصول الى فولوغـــدا أو

غوركي [1] . ولكن ليس قبل نهاية ايار .

« ومن الواجب ابقاء تحديد الاهداف الأخرى للعـــام المقبل مفتوحاً . فكل شيء يتوقف على مدى طاقة سككنا الحديدية . وتظل هناك قضية بناء « جدار شرقي » فيما بعد قائمة .

واذا كان هتلر يتوقع ان يتم تحطيم الاتحاد السوفياتي ، فلن تكون ثمة حاجة الى جدار شرقي . ولا ريب في ان هولدر أخذ يتمعن فيما قاله الفوهرر . عندما مضى هذا يقول :

« يخرج الانسان بانطباع واحد وهو ان هتلر يدرك الآن ان اياً من الفريقين لن يستطيع تحطيم الفريق الآخر ، وان هذا الوضع سيؤدي الى مفاوضات للصلح » .

وليس ثمة من ريب في ان هذه اليقظة كانت « مرة » على الفـــاتح النازي الذي كان قبل ستة اسابيع خلت ، وفي برلين قد اذاع رسالة اعلن فيها « دون أي تحفظ » ان روسيا « قد ضربت ضربة قاضية ، ولن تستطيع الوقوف ثانية » . وها هي خططه هي التي تحطمت ، وآماله هي التي قضي عليها بالزوال . ومـــا عتمت هذه الآمال ان تحطمت من جديد في السادس من كانون الأول ، أي بعد اسبوعين ، عندما شرعت الهزيمة تلحق بقواته متراجعة تحت الضربات المنهالة عليها من ضواحي موسكو .

وحدث في اليوم التالي ، أي السابع من كانون الأول عام ١٩٤١ ، حادث في الطرف الثـاني من الكرة الارضية حوّل الحرب الأوروبية التي كان هـو الذي أثارها باستخفاف الى حرب عالمية ، قدر لها ، وان لم يدرك هو هـــذه الحقيقة آنذاك ، ان تقرر مصيره ومصير الرايخ الثالث . فقد هاجمت القاذفات

---

١ - تقع فولوغدا على بعد (٣٠٠) ميل الى الشمال الشرقي من موسكو وتسيطر على الخط الحديدي الممتد الى اركانجل . أما غوركي فيقع على بعد (٣٠٠) ميـــل الى الشرق من العاصمـــة .

اليابانية ميناء اللؤلؤ (بيرل هاربور). وسارع هتلر في اليوم التالي [1] في قطاره الى برلين عائداً من مقر قيادته في « عرين الذئب » . انه مرتبط بعهد سري مقدس مع اليابان وقد حان الوقت اما للوفاء به أو نقضه .

---

١ ـ كان هتلر يدون حركاته وسكناته كلها في تقويمه اليومي الذي عثر عليه بين الوثائق المصادرة ..

٢٥

دور الولايات المتحدة

كان ادولف هتلر قد اعطى وعده المتهور لليابان في غضون سلسلة من المحادثات التي اجراها في برلين مع يوسوكي ماتسوكا ، وزير خارجية اليابان المتشيع للنازية في الربيع عام ١٩٤١ أي قبيل بدء الهجوم الالماني على روسيا ، وتمكننا الوثائق الالمانية المصادرة عن وقائع هذه الاجتماعات من متابعة التطور الفكري عند هتلر الذي قاده الى احدى اخطائه الحسابيـة الجسام الاخرى . وتشير هذه الوقائع وغيرها من الوثائق الالمانية المصادرة الاخرى والمتعلقة بتلك الفترة الى ان الفوهرر كان جاهلاً اشد الجهل ،وان غورنغ كان مغالياً في الغرور والتعاظم . وان ريبنتروب كان مغرقاً في البلادة ، حتى ان ثلاثتهم لم يستطيعوا فهم القوة العسكرية المحتملة للولايات المتحدة ، وهو خطأ كان قد ارتكبـه في الحرب الكونية الاولى ، كل من غليوم وهندنبرغ ولودندورف .

ولقد كان ثمة تناقض اساسي منذ البداية في سياسة هتلر تجاه امريكا . وعلى الرغم من انه كان يزدري طاقاتها العسكرية، إلا انه حاول أشد ما وسعه من جهد طيلة السنتين الاوليين من الحرب ، ابقاءها خارج نطاقها . وكانت هذه، كما رأينا من قبل ، هي المهمة الرئيسية التي أوكل بها الى السفارة الالمانية في واشنطن، التي مضت بعيداً في تنفيذها الى الحد الذي دفعها الى رشوة بعض اعضاء الكونغرس

ومحـاولة دفع الاموال الى الكتاب ومساعدة « لجنـــة أمريكا اولاً » ، ودعم الامريكيين من انصار العزلة ، وذلك لابقاء امريكا بعيدة عن الانضمام الى اعداء المانيا في الحرب .

وقد ادرك هتلر تمام الادراك ، كما توضح اقواله المتعددة في جلساته الخاصة ، ان الولايات المتحدة ، طالما يتولى قيادها الرئيس روزفلت ، ستظل واقفـة في طريق خططه العظيمة للسيطرة على العالم وتجزئة الكرة الارضية بين دول الميثاق الثلاثي . وكان يرى ان الواجب يدعوه الى معالجة امريكا في النهاية ، وان يكون هذا العلاج « قاسياً وصارماً » . ولكنه يؤثر ان تتم هذه المعالجـات مع الدول المناوئة له فرادى . وكان هذا الايثار هو السر في نجاح خططه السوقيـة حتى الآن . فدور الولايات المتحدة قادم ولا شك ، ولكن بعد ان ينتهي من تصفية اموره مع بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي . وآنذاك يخلو له الجو ليعالج مع حليفتيه اليابان وايطاليا أمر هذه الدولة « الحديثة النعمة » أمريكا التي ستذعن بعد ان تغدو وحيدة منعزلة ، لإرادة دول المحور الظافرة .

وكانت اليابان هي مفتاح الجهود التي بذلها هتلر للابقاء على امريكا خـــارج الحرب الى ان تكون المانيا قد باتت على استعداد لمعالجـة امرهـا . وكانت اليابان في رأيه ، وعلى حد قول وزير خارجيته ريبنتروب لموسوليني في الحادي عشر من آذار عام ١٩٤٠ ، تملك الثقل الكافي للتوازن مـع الولايات المتحدة ، وان ثقلها هذا سيحول بين امريكا وبين محاولة التدخل في اوروبا ضد المانيا كما تدخلت في الحرب الكونية الاولى .[١]

وكان هتلر وريبنتروب طيلة تعاملهما ايام الحرب مع اليابان يؤكدان اهميـة عدم استفزاز الولايات المتحدة مخافة تخليها عن حيادها . وكانا قـد اصبحا في مستهل عام ١٩٤١ تواقين كل التوق ، لجر اليابان الى الحرب ، لا ضد امريكا ، ولا ضد روسيا ايضاً التي كانا على وشك مهاجمتها ، وانما ضد بريطانيـا التي رفضت

---

١ – وثائق وزارة الخارجية الالمانية (٨) ص ٩٠٤ - ٩٠٦

التسليم حتى عندما ظهرت في مظهر الدولة المغلوبة . واشتد الضغط النازي على اليابان في مطلع عام ١٩٤١ . وفي الثالث والعشرين من شباط استقبل ريبنتروب في اقطاعيته التي سرقها في « فوشل » على مقربة من سالزبرغ ، السفير الياباني الحاد المزاج والنازيّ الطباع ، الجنرال هيروشي اوشيما ، الذي كثيراً ما اعتبره مؤلف هذا الكتاب ، اكثر نازية من النازيين انفسهم . وقال ريبنتروب لزائره ، انه على الرغم من ان المانيا قد كسبت الحرب فعلاً ، إلا ان من واجب اليابان ان تدخلها « في أسرع وقت ممكن ، حرصاً على مصالحها » وان تضع يدها على امبراطورية بريطانيا في آسيا . ثم مضى يقول :

« وليس ثمة من شك في ان تدخل اليابان بصورة مباغتة في الحرب ، سيحمل امريكا على البقاء بعيدة عنها . فامريكا التي تفتقر الى السلاح في الوقت الحاضر ، والتي ستتردد في تعريض اسطولها لاية مخاطر الى الغرب من جزر « ألهواي » ، ستتخذ نفس الموقف في حالة وقوع تطور مماثل . واذا اعلنت اليابان بدورها احترامها للمصالح الامريكية فلن يكون هناك أي احتمال في ان يستخدم روزفلت حجة « الكرامة المهدرة » لجعل طعم الحرب مستساغاً عند الامريكيين . وليس من المعقول ان تعلن امريكا الحرب لكي تجد نفسها عاجزة عن عمل أي شيء ، وهي ترى اليابان تضع يديها على جزر الفلبين » .

واعلن ريبنتروب انه حتى ولو اشتركت الولايات المتحدة في الحرب ، فإن « اشتراكها هذا لن يعرض للخطر ، النصر النهائي لدول الميثاق الثلاثي . » ففي استطاعة الاسطول الياباني ان ينتصر بسهولة على الاسطول الامريكي ، وستتحقق نهاية الحرب بسرعة بسقوط كل من بريطانيا وامريكا . وكانت هذه الاقوال كافية لإدارة رأس المبعوث الياباني المتعشّق للحرب ، واشتعال النار في فؤاده التي اقبل ريبنتروب على اذكاء ضرامها . وقد نصح ريبنتروب اليابانيين بأن يكونوا اكثر صلابة . وان يستخدموا « لغة واضحة » في المحادثات الراهنة التي يجرونها

في واشنطن . وقال :

« ولن يحجم الامريكيون عن خوض الحرب ، الا أذا ادركوا انهم سيواجهون تصميماً عنيداً . فالشعب في الولايات المتحـدة لا يريد التضحية بأبنائه ، وهو لهذا يعارض في دخول بلاده الحرب . . ويحس الشعب الامريكي بدافع غريزته ، ان روزفلت واليهود من « جاذبي الخيوط » وراء الكواليس ، يدفعونه دفعاً الى الحرب التي لا يريدها ... ولهذا يجب ان تكون سياساتنا مع الولايات المتحدة واضحة وقاسية » .

ولم يبق أمام وزير خارجية النازي الا أن يوجه تحذيراً أخيراً وهو التحذير الذي سبق له ان فشل في دفع فرانكو الى الحرب ... فقال :

« واذا قدر لألمانيا ان تضعف ، فستجد اليابان نفسها تواجـه تحالفاً دولياً معادياً في وقت قريب للغاية ... اننا جميعاً في مركب واحد . ومصير بلدينا المشترك . يقرر الآن لعدة قرون قادمة ... فهزيمة المانيا لا تعني الا نهاية احلام اليابان الاستعمارية » (١)

واراد هتلر اطلاع كبار قادته العسكريين ورجال وزارة الخارجيـــة على سياسته اليابانية الجديدة فأصدر في الخامس من آذار عام ١٩٤١ ، توجيهاً سرياً للغاية جعل له عنواناً « امر اساسي رقم ٢٤ بصدد التعاون مع اليابان .. »وهذا نصـه : (٢)

« يجب ان يكون الهدف من التعاون المستند الى الميثاق الثلاثي ، اقناع اليابان في اقرب وقت ممكن ، باتخاذ اجراءات فعّالة في الشرق الأقصى . وستؤدي هذه الاجراءات الى شل قوات بريطانيا العظمى ، والى تحوّل مركز الثقل في المصالح الامريكية الى المحيط الهادي . . « وعلينا ان نؤكد بأن الهدف المشترك من ادارة دفة الحرب ،

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٤) ص ٤٦٩ - ٤٧٥
٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٦) ٩٠٦ - ٩٠٨

هو ارغام انكلترا على الركوع على قدميها بسرعة ، والابقاء بذلك على الولايات المتحدة خارج نطاق الحرب .

« وسيعني الاستيلاء على سنغافوره وهي المركز المهم في الشرق الاقصى الى نجاح حاسم في تسيير دفة الحرب بالنسبة الى الدول الثلاث »

وحث هتلر اليابانيين ايضاً على الاستيلاء على قواعد بحرية بريطانية اخرى وعلى بعض القواعد الامريكية « اذا لم يكن في الامكان الحيلولة دون دخول امريكا في الحرب . » وانتهى من توجيهه باصدار الأمر الى رجاله «بعدم اطلاع اليابانيين مطلقاً على موضوع عملية بربروسة . » وهكذا كان هدف هتلر ، استخدام حليفته اليابان كما استخدم حليفته ايطاليا لتحقيق المطامع الألمانية ، دون ان يأتمن اياً منهما على نواياه تجاه روسيا .

وبعد نحو من اسبوعين ، أي في الثامن عشر من آذار ، حث امير البحر ريدر في الاجتماع الذي عقده هتلر معه ومع كايتل ويودل ، على وجوب دفع اليابان الى مهاجمة سنغافوره . واوضح ريدر ان الفرصة المتاحة الآن لن تتكرر ثانية وهي انشغال « الاسطول البريطاني الكبير في اماكن اخرى وافتقار الولايات المتحدة للاستعداد لحرب اليابان وضعف اسطولها امام الاسطول الياباني . » وقال امير البحر ان احتلال سنغافوره « سيحل كافة المشاكل الآسيوية الاخرى المتعلقة بالولايات المتحدة وانكلترا » ويمكن اليابان ايضاً ، وبالطبع ، من تجنب الحرب مع امريكا اذا ارادت تجنبها . واعرب ريدر عن اعتقاده بوجود عقبة واحدة ، وليس ثمة من شك في ان ذكره لها قد حمل هتلر على العبوس . فالمعلومات الواردة للبحرية الألمانية من مخابراتها تشير الى ان اليابان لن تتحرك ضد بريطانيا في جنوب شرقي آسيا الا اذا « شرعت المانيا في النزول في انكلترا » . وليس ثمة من سجل لهذا الاجتماع في وثائق البحرية ، ولا الى ما رد به هتلر على قائده البحري . وكان ريدر يعرف حتماً ان القائد الأعلى لم يعد أية خطط للنزول في انكلترا هذا العام ، ولا يحلم حتى في القيام به .

وفاه ريدر بعبارة اخرى لم تلق استجابة عند الفوهرر ، فقد اوصى « باعلام ماتسوكا بالخطط الألمانية المقررة لروسيا » [١]

وكان وزير خارجية اليابان في طريقه الآن الى برلين عن طريق سيبريا وموسكو ، وهو يفضي بين الحين والآخر طيلة الطريق بتصاريح مشايعة للمحور. ومشبعة بروح الميل الى الحرب ، على حد تعبير كوردل هل وزير خارجية امريكا في وصفها . [٢] وقد جاء وصوله الى برلين في السادس والعشرين من آذار ، متزامناً مع لحظة غريبة بالنسبة الى هتلر ، إذ أطاح الانقلاب في بلغراد تلك الليلة بالحكومة اليوغوسلافية المشايعة لالمانيا ، وانشغل الفوهرر في وضع الخطط لسحق تلك البلاد البلقانية العاصية ، حتى انه اضطر الى تأجيل اجتماعه بزائره الياباني حتى بعد ظهر السابع والعشرين من الشهر .

واجتمع ريبنتروب اليه في الصباح ، وعزف له كما يقولون على الاسطوانات القديمة المحفوظة لمثل هذه المناسبات ، ولعرضها على اذان مثل هؤلاء الضيوف ، ومكثراً في الهذر والثرثرة حتى الى حد يفوق مألوفه دون ان يسمح لماتسوكا القصير واللبيب ، بالتفوه بكلمة واحدة . ولا تترك الوقائع السرية المطوّلة التي اعدها الدكتور شميدت ، والموجودة الآن بين وثائق وزارة الخارجية الالمانية المصادرة ، أي شك في هذا . [٣] واعلن ريبنتروب ان المحور قد فاز في الحرب ، « وان القضية لم تعد اكثر من مجرد وقت للاعتراف بهذه الحقيقة . » ولم يكد يتوقف عن الحديث قليلاً حتى راح يحث ضيفه « على وجوب الهجوم بسرعة

---

١ - تقرير ريدر عن الاجتماع - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٤١ ص ٣٧ وفي المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩٦٦ - ٩٦٧ .

٢ - ابدي هل هذه الملاحظة لأمير البحر نومورا سفير اليابان الجديد في واشنطن في الرابع عشر من اذار بحضور الرئيس روزفلت . ورد نومورا بأن ماتسوكا « يتحدث بصوت عال للاستهلاك الداخلي اذ انه من الساسة الطموحين (مذكرات كوردل هل الجزء الثاني ص ٩٠٠ - ٩٠١)

٣ - نشر هذا الحديث مع الاحاديث التالية والتي اشترك هتلر في بعضها في العلاقات النازية - السوفياتيه ص ٢٨١ - ٣١٦

على سنغافورة ، » اذ ان الهجوم في رأيه « سيكون عاملا حاسماً في انهيار بريطانيا بسرعة . » ولم تطرف للزائر الياباني الضئيل الجسم عين أمام هذا التناقض الصارخ ، وانما ظل جالساً هناك « في غموضه » على حد تعبير شميدت فيما بعد دون « ان يترك المجال الذين يجلسون امامه في تبيّن حقيقة تأثير هذه الاقوال الغريبة عليه » (١)

واشار ريبنتروب الى امريكا فقال :

« ليس ثمة من شك في انه لولا الآمال الجديدة التي يبعثها روزفلت في نفس تشرشل بين الحين والآخر ، لتخلى البريطانيون عن الحرب منذ امد طويل ... ولقد كان للميثاق الثلاثي منذ امد ، هدف واحد وقبل كل شيء ، هو بث الرعب في امريكا وابقاؤها بعيدة عن الحرب ... وقد تحتم اتخاذ جميع الوسائل لمنع امريكا من القيام بدور فعّال في الحرب ، وكذلك من جعل مساعداتهالانكلترا كبيرة الأثر والفعل . وقد يحول الاستيلاء على سنغافورة على الغالب بين امريكا والحرب ، لأن الولايات المتحدة لا تستطيع ان تغامر بارسال اسطولها الى المياه اليابانية ... وسيكون روزفلت في وضع شاق للغاية ... »

وعلى الرغم من ان هتلر كان قد اشترط عدم ابلاغ ماتسوكا بالهجوم الألماني المتوقع على روسيا ، وهو احتياط ضروري . للابقاء على سرية الانباء ومنعها من التسرب إلا ان ريبنتروب ألمح في هذه الاجتماعات للوزير الياباني تلميحات تكاد تكون مكشوفة ، وكان لهذه التلميحات نتائجها المفجعة بالنسبة الى المانيا . فلقد ذكر للوزير الياباني ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، صحيحة ولكنها ليست ودية ، واذا ما حاولت روسيا تهديد المانيا « فإن الفوهرر سيحطمها » . وأضاف ان الفوهرر على ثقة من ان الأمر اذا تطور الى حرب « فلن تكون

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر ص ٢٢٤ .

هناك دولة اسمها روسيا في غضون بضعة اشهر . »

واتسعت عينا ماتسوكا من الدهشة ، وبان فيها الفزع ، فسارع ريبنتروب يطمئنه بأنه لا يعتقد بأن « ستالين سيتبع سياسة بعيدة عن الحكمة » . ويقول شميدت ان ريبنتروب استدعي في هذه اللحظة لمقابـلة هتلر لبحث الازمة اليوغوسلافية ، ولم يتمكن من العودة حتى لحضور حفلة الغداء الرسمية التي يفترض في انه هو الذي اقامها تكريماً لضيفه الكبير .

وبدأ هتلر عمله مع وزير خارجية اليابان بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد ان كان قد حزم أمره على تهشيم دولة اخرى هي يوغوسلافيا . وقد استهل حديثه معه قائلاً : « لقد خسرت انكلترا الحرب ، ولم تعد القضية إلا مجرد ذكاء لازم لفهم هذه الحقيقة » . ومع ذلك فما زالت بريطانيا الغرقى تتعلق « بقشتين » همـا روسيا وامريكا . وكان الفوهرر في حديثه عن الاتحاد السوفياتي اكثر احتراساً وحيطة من وزير خارجيته . فلقد ذكر بأنه لا يعتقد ابداً ان خطر الحرب مع الاتحاد السوفياتي سيظهر ابداً . وتملك المانيا على أي حال فرقاً يتراوح عددها بين المائة والستين والمائة والسبعين « للدفاع عن نفسها ضد روسيا » وانتقل بعد ذلك الى الولايات المتحدة فقال :

« وتواجه امريكا ثلاثة احتمالات ، امـا ان تسلح نفسها او تساعد انكلترا أو تشن الحرب في جبهة اخرى . فاذا آثرت تسليح نفسها فلن يكون في وسعها ان تساعـد انكلترا وبالعكس . واذا تخلـت عن انكلترا ، فستلقى هذه نهايتها ، وستجد امريكا نفسها آنذاك تحارب دول الميثاق الثلاثي وهي وحيدة . على أي حال ، لا تستطيع امريكا مهـما كانت ظروفها ان تشن الحرب على جبهة اخرى . »

وانتهى الفوهرر قائلاً : « ليس ثمـة من فرصة افضل يمكن للانسان ان يتصورها من هذه الفرصة المتاحة الآن لليابان لتوجه ضربتها في المحيط الهادي» . وأضاف قائلاً وهو يشدد على كل كلمة يقولها :«ولن تعود مثل هذه الفرصة ثانية .

فهي فريدة من نوعها في التاريخ ، . واعرب ماتسوكا عن موافقته على كلام الفوهرر ، ولكنه ذكّره بأنه لسوء الحظ « ليس بالرجل الذي يسيطر على مقدرات اليابان ، وان ليس في امكانه في الوقت الحاضر ، ان يتعهد باسم الامبراطورية اليابانية بأنها ستقوم بأي عمل . »

ولكن هتلر وهو الحاكم المطلق في المانيا ، كان قادراً على تقديم الوعود ، وقد قطع عهداً لليابان ، تلقائياً وبدون أي طلب من جانبها ، وذلك في الرابع من نيسان بعد عودة ماتسوكا الى برلين من اجتماعه بموسوليني .[1] وقد وقع هذا الاجتماع عشية الهجوم النازي على بلدين بريئين آخرين وهما يوغوسلافيا واليونان . وكان الفوهرر وهو المتعطش للفتوحات السهلة وللثأر من بلغراد في احدى حالاته الحربية . وقال لزائره ، انه على الرغم من عدم رغبته في الحرب مع الولايات المتحدة ، إلا انه لا يبعدها كثيراً عن حساباته . ولكنه لا يعتبر قوة امريكا العسكرية أمراً ذا بال .[2] ثم مضى يقول :

« لقد اعدت المانيا عدتها بحيث لا تسمح لأي امريكي بأن يطأ بأقدامه اوروبا . وستشن المانيا حرباً كلها حيوية ضد امريكا بواسطة غواصاتها وطائراتها ، وستكون بفضل تجاربها الحربية العظيمة اكثر من ند لامريكا بالاضافة الى الحقيقة الواقعة وهي ان الجنود الالمان خير بكل تأكيد من الجنود الامريكيين » .

---

١ ـ قال ماتسوكا لهتلر ان موسوليني ذكر امامه « بأن امريكا هي العدو رقم واحد وان روسيا السوفياتية تأتي في المرتبة الثانية » .

٢ ـ كما لا يعتبر أي امر آخر يتعلق بامريكا على جانب من الأهمية . وقد عرض هتلر هذا الرأي الغريب عن امريكا ، ويبدو انه كان في هذا الوقت قد شرع في تصديق اقوال دعايته النازية ، في حديث آخر اجراه مع موسوليني في الجبهة الروسية في اواخر شهر آب عام ١٩٤١ . وتقول الوثائق الايطالية ان الفوهرر قدم للدوتشي عرضاً مسهباً عن الزمرة اليهودية التي تحيط بروزفلت وتستغل الشعب الامريكي . وقال انه لا يستطيع مهما كانت المغريات ان يعيش في بلد كالولايات المتحدة ، التي تستمد مفاهيمها عن الحياة من المتاجرة المبتزة ، والتي لا تتعشق اياً من التعابير السامية للروح الانسانية كالموسيقى مثلاً .» (اوراق شيانو الدبلوماتية ص ٤٤٩ ـ ٤٥٢).

وقد حمله هذا التبجح على ان يعطي ذلك العهد القدري الذي دونـه شميت في وقائع الاجتماع ... اذ قال :

« اذا اشتبكت اليابان في صراع مـع الولايات المتحدة ، فإن المانيا بدورها ستتخذ الخطوات اللازمة فوراً ... »

ويتضح من ملاحظات شميت ان ماتسوكا لم يدرك على الفور اهمية ما كان الفوهرر قد وعد به .. ولذا فقد عاد الفوهرر الى تكراره ... قائلاً :

« ان المانيا كما قلت ، ستشترك فوراً في حالة وقوع حرب بين اليابان وامريكا . »

وقد دفع هتلر الثمن غالياً ، لا بالنسبة الى هذا التأكيد المرتجـل فحسب ، والذي اعطي في حالة عارضة ليس إلا ، وانما ايضاً بالنسبة الى خداعه في عدم اطلاع اليابانيين على حقيقة ما انتواه من الهجوم على روسيا فور اتمامه احتلال البلقان . وكان ماتسوكا قد سأل ريبنتروب بلطف وكياسة ، اثناء اجتماعهما في الثامن والعشرين من آذار ، عما اذا كان يؤثر في طريق عودته الى بلاده « ان يتوقف في موسكو ليتفاوض مع الروس في عقد ميثاق عدم اعتداء أو معاهدة حياد » . واجـــاب وزير الخارجية النازي ، المفتقر للذكاء ، بمنتهى البلادة ان « من الافضل ان لا يثير ماتسوكا مثل هذا الموضوع في موسكو ، اذ انه قد لا ينسجم تمام الانسجام مع طبيعة الاوضاع الراهنة » . ولم يفهم الوزير النازي ، اهمية سؤال زميله الياباني . وعندما حل اليوم التالي ، وكان قـد وعى ما قاله ضيفه ، شرع يطرق الموضوع عندما بدءا محادثاتهما . وقال اولاً ، بصورة عارضة تشبه الصورة التي اعطى فيها هتلر عهده ، ان « المانيا ستضرب روسيا فوراً في حالة قيام هذه بأي اعتداء على اليابان . » واضاف انه يود ان يؤكد لزائره هذا ليطمئن « اليابان على ان في وسعها ان تندفع نحو سنغافورة دون ان تخشى من اية تعقيدات مع روسيا » . وعندما اعترف ماتسوكا اخيراً ، بأنه وهو يمر في في موسكو في طريقه الى برلين ، كان قـــد اقترح عقد ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي ، وبعد ان ألمح الى ان الروس كانوا ميالـــين الى الاستجابة

لاقتراحه ، التبس الأمر على عقل ريبنتروب البليد واكتفى بأن يوجه النصيحة الى زميله الياباني بأن يعالج القضية « بطريقة الاصطناع » .

ولكن عندما وصل وزير الخارجية الياباني الى موسكو في طريق عودته الى الوطن ، راح يوقع معاهدة حياد مع ستالين ، نصت ، كما ابرق السفير الالماني في موسكو فون دير شولنبرغ الى حكومته بعد ان ادرك اهميتها ، على ان تظل كل من الدولتين على الحياد في حالة تعرض الاخرى للاشتباك في حرب مع دولة ثالثة. وكانت هذه المعاهدة التي وقعت في الثالث عشر من نيسان ، هي الوحيدة التي احترمتها اليابان حتى النهاية ، على الرغم من صراخ الالمان المتوالي وندائهم لها بوجوب التنكر لها . اذ لم يحل صيف عام ١٩٤١ ، حتى كان النازيون يتوسلون الى اليابانيين لا لمهاجمة سنغافورة او مانيلا ، بل لمهاجمة فلاديفوستوك .

ولم يدرك هتلر في البداية أهمية ميثاق الحياد بين روسيا واليابان . وقد ابلغ امير البحر ريدر في العشرين من نيسان، الذي جاءه مستوضحاً عن هذه المعاهدة، بأنها عقدت « بموافقة المانيا » وانه يرحب بها « لأنها ستمنع اليابان من مهاجمة فلاديفوستوك وتقنعها بمهاجمة سنغافورة بدلاً منها . »[1] وكان هتلر في هذه المرحلة على ثقة من قدرة المانيا على تحطيم الاتحاد السوفياتي في الصيف. وهو لا يريد

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون الحربية ١٩٤١ ص ٤٧ - ٤٨ . وقد احدث نبأ توقيع ميثاق الحياد السوفياتي - الياباني هلعاً شديداً في واشنطن ، اذ ان روزفلت وهل ، كانا ميالين الى حمل وجهة نظر مماثلة لوجهة نظر هتلر ، وهي ان هذه المعاهدة ستجر القوات اليابانية التي كانت مجمدة خشية وقوع حرب محتملة مع روسيا ، للعمل في الجنوب ضد الممتلكات البريطانية او الممتلكات الامريكية كذلك . ويحسر شيروود في كتابه « روزفلت وهوبكنز » النقاب عن سر وهو ان روزفلت عندما تلقى نبأ توقيع الاتفاق في الثالث عشر من نيسان مزق خطة كان قد اعدها لشن هجوم عدواني من السفن البحرية الامريكية على الغواصات الألمانية في غرب الاطلسي . وأصدر الرئيس امراً آخر ، يوعز الى السفن الحربية الامريكية بمراقبة حركات السفن الحربية الألمانية الى الغرب من ايسلنده دون اطلاق النار عليها . وقد اعتبرت الدوائر الامريكية الرسمية ان عقد ميثاق الحياد الروسي - الياباني قد جعل الوضع في المحيط الهادي خطراً الى الحد الذي لا يسمح بمغامرات بعيدة المدى في الاطلسي . (روبرت شيروود - روزفلت وهوبكنز . ص ٢٩١) .

ان يشرك اليابان في هذا العمل العظيم الجبار ، تماماً كما اعتذر عن اشراك ايطاليا في احتلال فرنسا . وكان على يقين ايضاً من انه لن يحتاج الى معونة اليابان مطلقاً .
وردد ريبنتروب افكار سيده ، فذكر لماتسوكا في اجتماعهما في التاسع والعشرين من آذار ، بأنه يعتقد ان من الافضل في حالة اضطرار المانيا لمهاجمة روسيا ، ان يمتنع الجيش الياباني عن مهاجمة روسيا .

ولكن آراء هتلر وريبنتروب في هذا الصدد ما لبثت ان تبدلت تبدلاً مفاجئاً وجذرياً بعد أقل من ثلاثة اشهر . اذ لم تمض ايام ستة على شن الهجوم الالماني على روسيا حتى كان ريبنتروب يبرق في الثامن والعشرين من حزيران الى سفيره في طوكيو ، الفريق يوجين اوت ، يطلب اليه ان يبذل المستحيل ، لحمل اليابان على مهاجمة روسيا السوفياتية في مؤخرتها . وأوعز الى اوت ان يغري الشهية اليابانية بالغنائم وان يقنعهم بأن هذه الخطوة هي خير سبيل للابقاء على حياد امريكا . وأوضح ريبنتروب رأيه بقوله :

« ومن المنتظر ان يؤدي الاسراع في هزيمة الاتحاد السوفياتي ولا سيما اذا اشتركت اليابان في اتخاذ عمل في الشرق ، الى اقناع الولايات المتحدة بلا جدوية الدخول في حرب الى جانب بريطانيا العظمى المعزولة تماماً والتي تواجه اقوى حلف في العالم » [1]

وقد أيد ماتسوكا ، الدخول في حرب فورية ضد روسيا ، لكن حكومة طوكيو لم تقبل رأيه ، اذ ان موقفها تلخص في انه اذا صحت ادعاءات الألمان بأنهم سيهزمون روسيا بسرعة ، فلا حاجة لهم في أي عون من اليابان . لكن طوكيو ، لم تكن على أي حال واثقة من نصر نازي صاعق على روسيا ، وكان هذا هو السبب الحقيقي في موقفها هذا .

ولكن ريبنتروب أصر على موقفه . وفي العاشر من تموز عندما كان الهجوم الالماني في روسيا قد أخذ يحقق انتصاراته مما حمل شخصاً رضياً كهولدر على

---

١ - تريفوس . المانيا والحياد الأمريكي ١٩٣٩ - ١٩٤١ ص ١٢٤

التفكير بأن النصر قد تحقق ، بعث الوزير النازي من قطاره الخاص في الجبهة الشرقية ببرقية جديدة واكثر قوة في التعبير الى سفيره في طوكيو قال فيها:

« لما كانت روسيا ، طبقاً لرواية السفير الياباني في موسكو على وشك الانهيار .. يبدو ان من غير المعقول ان تظل اليابان مكتوفة اليدين ، فلا تسارع الى حل مشكلتي فلاديفوستوك وسيبيريا عندما تستكمل استعداداتها العسكرية ..

« وانني اطلب اليك ان تستخدم كافة الوسائل المتوافرة لديك للاصرار على دخول اليابان في الحرب ضد روسيا في اقرب تاريخ ممكن .. وكلما تم اشتراكها في الحرب بصورة أسرع ، كلما كان هذا أفضل وأبقى . وسيكون الهدف الطبيعي انىنلتقي نحن واليابانيون على الخط الحديدي الممتد عبر سيبيريا قبل حلول الشتاء » [١]

ولكن مثل هذا الأمل البراق لم يؤثر حتى علىالحكومة اليابانية العسكرية. فقد رد السفير اوت بعد اربعة ايام ، يقول انه يبذل قصارى جهده لاقناع اليابانيين بمهاجمة روسيا في اسرع وقت ممكن ، وان ماتسوكا يؤيد هذا الرأي كل التأييد ، ولكنه - أي اوت - يواجه « عقبات كبرى» في حكومة طوكيو يتحتم عليه تذليلها .[٢] وقد اضطر ماتسوكا الميال للحرب ، الى التنحي عن منصبه في الوزارة بعد وقت قصير ، وفقدت المانيا باستقالته في الوقت الحاضر على الأقل أهم صديق لها في الحكومة اليابانية ، وعلى الرغم من ان العلاقات قد عادت بين برلين وطوكيو ، كما سنرى فيما بعد ، الى سابق عهدها من القوة والوثوق الا انها ، لم تبلغ قط حداً يقنع اليابانيين بحكمة مساعدة المانيا في حربها ضد روسيا . وهكذا وجد هتلر مرة ثانية حليفاً ماكراً يتفوق عليه في لعبة الخديعة التي ابتكرها .[٣]

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٦٤ - ٥٦٥

٢ - المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٦٦ .

٣ - واصل ريبنتروب محاولاته هذه طيلة الخريف،وفي عدة مرات لاحقة في السنتينالتاليتين :::

اصبح من المهم كل الأهمية بالنسبة الى المانيا اثر اصرار اليابان على رفضها مساعدة هتلر على رفع « كستنائه » من النار في روسيا، اذ ان اليابان كانت مهتمة « بكستنائها » هي الذي اخذ في الاستواء ، ان تظل الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب ، الى ان يتم لها احتلال الاتحاد السوفياتي الذي كان هتلر يطمع في استكماله في صيف ذلك العام نفسه أي عام ١٩٤١ ، وقبل حلول الشتاء .

وكان الاسطول الالماني مغيظاً من القيود التي وضعها هتلر على الجهود التي يبذلها لمنع الشحنات الامريكية من الوصول الى بريطانيا ولمواجهة الزيادة في الاعمال العدائية التي تقوم بها السفن الامريكية ضد الغواصات الالمانية وضد السفن الاخرى العاملة في الاطلسي . وكان امراء البحر النازيون وهم ابعد نظراً في الشؤون البحرية من هتلر الذي اغلق عقله « على البر » ، قد ادركوا منذ البداية ان دخول امريكا الحرب شيء لا بد منه ، وحثوا القائد الأعلى على التأهب لمثل

.... لاقناع اليابان بالهجوم على روسيا في مؤخرتها ، ولكنه كان يتلقى دائماً رد حكومة طوكيو المهذب ... نحن آسفون ، من فضلك » .

وظل هتلر على امله طيلة الصيف . وقد ابلغ ريدر في السادس والعشرين من آب ، بأنه « واثق من ان اليابان ستنفذ هجومها على فلاديفوستوك ، حالما يتم لها تجميع قواتها اللازمة . وما الامتناع الحالي الا نتيجة الرغبة في ان يتم تجميع هذه القوات دون أي ازعاج ، وفي ان يأتي الهجوم على نحو مباغت » (مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٤١ ص ١٠٤) .

وتكشف الوثائق اليابانية كيف ان طوكيو قد تملصت من الألمان في هذه القضية المعقدة . فعندما طلب السفير الألماني اوت مثلاً في التاسع عشر من آب من نائب وزير الخارجية اليابانية معرفة رأي حكومته في التدخل ضد روسيا ، اجاب هذا بقوله : « ان القيام بمهاجمة روسيا معضلة صعبة بالنسبة الى اليابان وتتطلب دراسة عميقة » . وعندما وجه اوت في الثلاثين من آب ، وكان قد بات الان سفيراً دائم الازعاج سؤالاً الى وزير خارجية اليابان امير البحر تويودا بقوله : « هل هناك أي احتمال في ان تشترك اليابان في الحرب الروسية - الألمانية ؟ » رد هذا قائلاً : « ان استعدادات اليابان ماضية في طريقها ولكنها تحتاج بعض الوقت لا ستكمالها » . (المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٥٤٥ - ٥٤٦) .

هذا الاحتلال . فبعد انهيار فرنسا في حزيران عام ١٩٤٠ حث امير البحر ريدر، يدعمه غورنغ ، هتلر ، على ان يستولي فوراً على افريقيا الغربية الفرنسية ، وعلى الجزر في المحيط الاطلسي وبينها ايسلنده وجزر الأزور والكناري، لمنع الولايات المتحدة من احتلالها . وقد ابدى هتلر اهتمامه في هذا الموضوع ، ولكنه اراد اولاً ان يغزو انكلترا وان يحتل روسيا . وآنذاك يستطيع ان يعالج موضوع الامريكيين الحديثي النعمة ، بعد ان يغدو وضعهم يائساً لا يطاق . وتكشف مذكرة سرية للغاية وضعها الرائد فريهر فون فالكنشتاين ، من ضباط هيئة اركان الحرب ، النقاب عن آراء هتلر في نهاية صيف عام ١٩٤٠ ..

« يشغل الفوهرر نفسه الآن في موضوع احتلال جزر المحيط الاطلسي ، هادفاً الى مواصلة الحرب ضد امريكا في تاريخ لاحق . وتجري المشاورات في هذا الصدد الآن هنا .. » [١]

وعلى هذا لم تكن القضية ، ما اذا كان هتلر يعتزم المضي الى الحرب ضد الولايات المتحدة أو لا ، بل كانت في تحديد الموعد الذي يختاره هو لشن الحرب عليها . وعندما حل الربيع القادم ، كان هذا الموعد قد بدأ في الاطلال على ذهن الفوهرر . ففي الثاني والعشرين من أيار عام ١٩٤١ ، تشاور أمير البحر ريدر مع القائد الأعلى . ونقل لأركان حربه « ان على الاسطول يرفض فكرة احتلال جزر الأزور » . فهو لا يملك القوة الكافية لذلك ، ولكن هتلر كان قد بات متحمساً أشد الحماس للمشروع ، ورد على قائد بحريته طبقاً للملاحظات السرية التي دوّنها هذا [٢] بقوله :

« ما زلت اؤيد احتلال جزر الأزور لاستخدمها في شن هجمات جوية تقوم بها القاذفات البعيدة المدى على الولايات المتحدة . فقد ينشأ هذا الاحتمال في الخريف القادم . » [٣]

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٣) ص ٢٨٩ .

٢ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية - ١٩٤١ ص ٥٨

٣ - لم يكن لدى الألمان طائرات بعيدة المدى تستطيع الوصول الى الساحل الامريكي....

وكان هتلر يعني بذلك ، ان الاحتمال سينشأ بعد انهيار الاتحاد السوفياتي . وهنا يحلّ دور امريكا . وقد اوضح ذلك بجلاء لأمير البحر ريدر عندما اجتمع اليه بعد شهرين أي في الخامس والعشرين من تموز ، وكان الهجوم في روسيا على اشده . فقد دوّن ريدر عن الفوهرر قوله : « عندما تنتهي الحملة الشرقية ، سيحتفظ بحقه في اتخاذ اجراءات قاسية ضد الولايات المتحدة . »[1] ولكن حتى يحين ذلك الوقت اصرّ هتلر على قائد بحريته في ان « يتجنب حمل امريكا على اعلان الحرب ... وذلك حرصاً على الجيش الذي يشتبك الآن في معركة عنيفة . »

ولم يقتنع ريدر بهذا الموقف . وتظهر يومياته عن الاجتماعات التي عقدها مع هتلر ، والتي يستطيع المرء الاطلاع عليها في الوثائق الألمانية المصادرة ، ان صبره كان قد بدأ ينفد من الاغلال التي قيد بها الاسطول الألماني . وكان يبذل في كل مقابلة له مع الفوهرر كل جهد ممكن لاقناعه بابدال موقفه .

وكان ريدر قد رفع في وقت مبكر من ذلك العام أي في الرابع من شباط مذكرة الى هتلر ، اعرب فيها عن شكوك الاسطول القوية في جدوى بقاء امريكا على الحياد ، وذلك بالنسبة الى المانيا . وكان من رأي امراء البحر ان دخول امريكا الحرب قد يكون « ذا نفع لجهود المانيا الحربي » ولا سيما اذا اغدت اليابان دولة محاربة الى جانب المحور[2] . ولكن الديكتاتور النازي لم يقتنع بهذا الرأي مطلقاً .

واثبط في يدي ريدر . فمعركة الاطلسي قد وصلت اوجها ، ولم تستطع المانيا الفوز فيها . والتموينات الامريكية بموجب قانون الاعارة والتأجير تتدفق على بريطانيا . وجعلت « دوريات حياد الجامعة الامريكية » مهمة

= في جزر الأزور بله العودة اليها ، ولاريب في ان هذا القول دليل على انحرافات هتلر العقلية في هذا الوقت ، اذ اعتمد على « قاذفات بعيدة المدى » لا وجود لها .

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية – ١٩٤١ ص ٩٤ .

٢ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية الملحق الأول بتاريخ ٤ شباط ١٩٤١ .

الغواصات الألمانية اكثر صعوبة وأقل اثراً . وقد عرض ريدر كل هذه الأمور على هتلر ، دون ان يتأثر بها أو يقتنع . وعاد الى الاجتماع بالزعيم في الثامن عشر من آذار ، ونقل اليه ان السفن الحربية الامريكية تتولى حراسة القوافل الامريكية المتجهة الى بريطانيا حتى مياه ايسلنده . وطلب من الفوهرر ان يسمح بمهاجمتها دون انذار. ورجاه ان يعمل أي شيء ليحول دون فوز الولايات المتحدة بموطىء قدم لها في افريقيا الغربية الفرنسية . وقال له : « ان هذا الاحتمال ، كثير الخطورة . » واصغى هتلر الى كل ما قاله قائد اسطوله وقال : وهنا موطن الهزل – انه سيبحث في جميع هذه القضايا مع وزارة الخارجية هادفاً من قوله هذا الى التخلص من امير البحر وآرائه . [١]

وظل يسوف ويماطل في الاستجابة الى الاسطول طيلة الربيع واوائل الصيف ، ورفض في العشرين من نيسان الاستماع الى حجج ريدر المقنعة « بوجوب شن الحرب على سفن امريكا التجارية طبقاً للانظمة البحرية » [٢] وكانت اولى المصادمات المسجلة بين السفن الحربية الامريكية والألمانية قد وقعت في العاشر من نيسان عندما قذفت المدمرة الامريكية بعض قنابل الاعماق على غواصة المانية ظهرت في المنطقة على استعداد للهجوم . وفي الثاني والعشرين من ايار ، عاد ريدر الى « عش النسر » يحمل مذكرة مطوّلة ، يقترح فيها اجراءات مضادة للأعمال غير الودية التي يقوم بها الرئيس روزفلت ، ولكنه لم يستطع التأثير على قائده الأعلى . ودوّن امير البحر قائلاً :

« يعتبر الفوهرر ان موقف رئيس الولايات المتحدة ، ما زال غير نهائي ، وهو لا يرغب بأي حال من الاحوال في احداث وقائع تؤدي الى دخول امريكا الحرب . » [٣]

وقد تعزّزت الاسباب المؤدية الى تجنب الحوادث عندما بدأت الحملة على

---

١ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٣٢ .
٢ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٤٧ .
٣ ـ مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ٢٢ ايار ١٩٤١ .

روسيا وفي الواحد والعشرين من حزيران ، أي في اليوم الذي سبق الهجوم ، عاد هتلر يؤكد هذه الأوامر لريدر . وكان امـــير البحر الاكبر قد قدم اليه وصفاً رائعاً عـن مشاهدة الغواصة الألمانية (يو ٢٥٣) للبارجة الامريكية تكساس في منطقة الحصار البحري الذي اعلنته المانيا في شمال الاطلسي ، ترافقها مدمرة ، وان الغواصة طاردتها محاولة مهاجمتها ، ثم اضاف قائلاً : « ان العمل الحازم مع الولايات المتحدة اكبر اثراً من مجرد الاستسلام » . وقد وافق الفوهرر على المبدأ ولكنه لم يوافق على العمل المحدد الذي اشار به قائد بحريته وعاد مرة يؤنب الاسطول ويحذره .

« اعلن الفوهرر بايضاح وتفصيل ، رغبته في تجنّب أي حادث مع الولايات المتحدة ، الى ان تكون عملية بربروسة قد قطعت شوطاً بعيداً . فبعد بضعة اسابيع ، سيكون الموقف اكثر اتضاحاً ، ومن المنتظر ان يترك اثراً مناسباً عـــلى الولايات المتحدة واليابان . وستكون امريكا اقل ميلاً لدخول الحرب ، بسبب التهديد الياباني الذي سيشرع في الازدياد . ولهذا يجب توقف جميع الهجمات عـلى السفن البحرية في المنطقة المغلقة طيلة الاسابيع التالية ان امكن . »

وعندما حاول ريدر مناقشته في ان من الصعب التمييز ليلاً بين السفن الحربية المعادية والمحايدة ، اسكته الفوهرر مصدراً امره اليه بأن يوجـه تعليمات جديدة تنص على وجوب تجنّب أية حوادث مع امريكا ، وعلى الأثر اصدر قائد البحرية تعليمات في تلك الليلة نفسها يقضي بالامتناع عن الهجوم على أية سفن حربيـــة داخل المنطقة المغلقة او خارجها الا اذا كانت هويتها البريطانية معروفة بشكل قاطع . وقد صدر امر مماثل الى قيادة السلاح الجوي الألماني [١]

وأعلن الرئيس روزفلت في التاسع من تموز ان القوات الامريكية ، قد تولت احتلال جزيرة ايسلندة بدلاً من القوات البريطانية . وكان رد فعل برلين عنيفـاً

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ص ٨٨ - ٩٠ .

وفورياً. وابرق ريبنتروب الى طوكيو يقول: «ان هذا التدخل من جانب القوات العسكرية الامريكية لمساعدة انكلترا في منطقة سبق لنا ان اعلنا رسمياً، انها منطقة قتال، يعتبر في حد ذاته عدواناً على المانيا واوروبا.» [١]

وهرع ريدر الى «عرين الذئب» وهو المقر الذي كان الفوهرر يـــدير منه جيوشه في روسيا. وقال للفوهرر انه يود قراراً ... «فهل يعتبر احتلال امريكا لجزيرة ايسلنده اشتراكاً فعلياً في الحرب، أو مجرد عمل استفزازي يجب تجاهله؟» اما الاسطول الألماني فقد اعتبر نزول القوات الامريكية في ايسلنده عمـــلاً حربياً، وراح يذكر الفوهرر في مذكرة من صفحتين، بجميع اعمال «العدوان» التي ارتكبتها حكومة روزفلت ضد المانيا. وطالب الاسطول فوق ذلك بمنحه الحق في اغراق سفن الشحن الامريكية في منطقة القوافل وفي مهاجمـة السفن الحربية الامريكية اذا تطلبت الضرورة ذلـك. [٢] وذكر تقرير ريدر عن الاجتماع ان هتلر رفض مطالب الاسطول ثم مضى قائلاً:

«أوضح الفوهر بشكل مفصل تلهفه الشديد على تأجيل دخول الولايات المتحدة الحرب شهراً أو شهرين آخرين. فمن الناحية الأولى يجب تركيز القوة الجوية كلها في الحملة الشرقية، وهو لذلك لا يود تحويل أي جزء منها الى معارك ثانية: أما من الناحية الثانية فإن حملة ظافرة في الجبهة الشرقية تترك أثراً هائلاً في الوضع كـله وعلى موقف الولايات المتحدة نفسها. ولهـــذا فهو لا يرغب في الوقت الحاضر، في إحداث أي تبدل في التعليمات الحالية، ويود ان يرى من الناحية الأخرى استمرار القوات الألمانية في تجنب اية حوادث.»

وعندما ذكر ريدر ان قادته البحريين لا يمكن اعتبارهم مسؤولين عن أي «خطأ» قد يحدث. اذا ما اصيبت بواخر امريكية رد هتلر بأن من الواجب

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٥٦٥ .

٢ ـ أرى من الجدير ان ندون هنا ان امير البحر ريدر ألح في محاكمات نورمبرغ عـــلى القول بأنه عمل كل ما في وسعه لتجنب استفزار الولايات المتحدة على دخول الحرب .

التأكد على الأقل من هوية السفن الحربية والتثبت من انها معادية قبل الهجوم عليها. واراد هتلر ان يتحقق من أن امراء البحر قد فهموا تعليماته فهماً صحيحاً، فأصدر أمراً محدداً في التاسع عشر من تموز يشترط « عدم مهاجمة السفن الامريكية في مناطق العمليات الحربية الواسعة سواء أكانت مبحرة على انفراد أو في قوافل انكليزية او امريكية ، هذا اذا تم تمييز هوية هذه السفن قبل اللجوء الى السلاح » أما في مناطق الحصار التي اعترفت الولايات المتحدة ايضاً بأنها محظورة على سفنها ، ففي الامكان مهاجمة السفن الامريكية . ولكن هتلر ، اوضح بصورة خاصة في امره هذا بأن المنطقة الحربية « لا تشمل الطريق البحري بين ايسلندة والولايات المتحدة »[1]

لكن الاخطاء كثيراً ما تقع على حد تعبير ريدر . ففي الواحد والعشرين من ايار اغرقت غواصة المانية سفينة الشحن الامريكية (روبن مور Robin Moor) وهي في طريقها الى جنوب افريقيا ، وفي مكان يبعد عن منطقة الحصار الألمانية . واغرقت باخرتان تجاريتان امريكيتان قبيل نهاية الصيف ، بعد نسفهما بالطرابيد . واطلقت غواصة المانية في الرابع من ايلول ، طوربيدين على المدمرة الامريكية « غرير » دون ان تصيباها . وبعد نحو من اسبوع أي في الحادي عشر من ايلول ، رد روزفلت على هذا الهجوم بخطاب أذاعه ، واعلن فيه انه قد اصدر الأوامر الى الاسطول الامريكي لاطلاق النار على اية غواصة المانية عند رؤيته لها ، وحذر من ان السفن الحربية الالمانية تتحمل مسؤولية الخطر الذي تتعرض له اذا ما دخلت الى منطقة الدفاع الامريكية .

والهب الخطاب برلين . وهاجمت الصحافة الألمانية روزفلت واطلقت عليه لقب « داعية الحرب رقم واحد » وتذكر ريبنتروب في محاكمات نورمبرغ ان هتلر » تأثر تأثراً بالغاً . « ولكن عندما وصل امير البحر ريدر الى مقر قيادة الفوهرر في « عرين الذئب » بعد ظهر السابع عشر من ايلول ليحثه على اتخاذ

---

١ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (٣٤) ص ٣٦٤ . والترجمة الانكليزية الجزئية في المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٩١٦ . وهي مضللة الى حد ما .

خطوات انتقامية عنيفة للرد على امر « اطلاق النار عند الرؤية » كان الفوهرر قد هدأت ثائرته . وعاد القائد الأعلى فرد بعبارة « لا » على توسل امير البحر، بالسماح للاسطول الألماني بمهاجمة السفن الامريكية وتحريره من القيود المفروضة عليه . وذكر ريدر في تسجيله لما دار في هذا الاجتماع :

« لما كان من المحتمل ان تأتي نهاية ايلول بالقرار العظيم الفاصل في الحملة الروسية ،فإن الفوهرر يطلب اتخاذ كل انواع الحذر لتجنب اية احداث في الحرب مع السفن التجارية قبل نحـــو منتصف شهر تشرين الأول . »

ومضى ريدر يدوّن وهو حزين : « لهذا فقد سحب القائد العام للاسطول وامير البحر قائد سلاح الغواصات (دونتس) اقتراحاتهما . ومـن الواجب ابلاغ الغواصات بالاسباب التي تدعو مؤقتاً الى التمسك بالاوامر القديمة . »[1] وليس ثمة من شك في ان هتلر كان يسلك بالنسبة الى الظروف سلوكاً ينطوي على الكثير من ضبط النفس غير المعهود فيه . ولكن من المعترف به انه كان من الصعب كل الصعوبة على قادة الغواصات الشبان ، العاملين في مياه الاطلسي العاصفة ، والمجهدين باستمرار من جراء تزايد الوسائل الناجعة في مكافحـــة الغواصات عند البريطانيين وهي وسائل كانت السفن الحربية الامريكية تشترك فيها احياناً ، ان يضبطوا نفوسهم واعصابهم . وكان هتلر قد ذكر لريـدر في شهر تموز انه لن يحاسب قط أي قائد غواصة اذ اغرق سفينة امريكية «بطريق الخطأ . » ورد في التاسع من تشرين الثاني في خطابه السنوي المعهود للحرس النازي القديم في حانة الجعة المشهورة في ميونيخ على خطاب روزفلت قائلاً :

« لقد امر الرئيس روزفلت سفنه بأن تطلق النار على السفن الالمانية فور رؤيتها لها . أما انا فقد أصـــدرت أمري الى السفن الألمانية بأن لا تطلق النار عند مشاهدتها سفناً امريكية ، وان

---

١ – مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية في ١٧ ايلول ١٩٤١ . ص ١٠٨ - ١١٠

تُدافع عن نفسها اذا هوجمت . وسأقدم كل ضابط الماني يتقاعس عن الدفاع عن نفسه امام محكمة عسكرية . »

وعاد في الثالث عشر من تشرين الثاني فأصدر توجيهاً جديداً يحتم على الغواصات الألمانية الدفاع عن نفسها في حالة تعرضها الى الهجوم شريطة ان تتجنب قبل ذلك الاشتباك مع السفن الحربية الامريكية .[1]

وبالطبع كان قادة الغوّاصات قد دافعوا عن انفسهم قبل صدور هذا الأمر الجديد . ففي ليلة السادس عشر - السابع عشر من تشرين الأول ، قامت المدمرة الامريكية كيرني (Kearny) . التي جاءت لمساعدة قافلة تعرضت لهجوم الغواصات الألمانية بقذف قنابل الاعماق على احدى هذه الغواصات ، فردت هذه بنفسها بالطوربيد . وقد قتل احد عشر رجلاً من بحارة المدمرة . وكان هؤلاء أول الضحايا الامريكيين في الحرب غير المعلنة مع المانيا .[2] ولكن سرعان ما وقع ضحايا آخرون .ففي الواحد والثلاثين من تشرين الأول ، نسفت المدمرة الامريكية روبن جيمس (Reuben James) بالطرابيد الألمانية وغرقت وهي تقوم بحراسة احدى القوافل ، وغرق معها مائة من مجموع بحارتها الذين يعدون (١٤٥) رجلاً . وكان بين الغرقى جميع ضباطها السبعة .وهكذا بدأت حرب النيران بين المانيا والولايات المتحدة قبل ان تبدأ الحرب الرسمية بأمد طويل .

---

١ - موتمرات هتلر في الشؤون البحرية في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٤١ .

٢ - أعلن روزفلت في خطاب القاه في يوم البحرية في السابع والعشرين من تشرين الأول مشيراً الى هذا الحادث ان « التاريخ قد سجل من اطلق الرصاصة الأولى ». وارى من الانصاف ان اقول ان المدمرة الامريكية بالقائها قنابل الأعماق كانت البادئة باطلاق النار . وتقول وثائق البحرية الألمانية السرية ان هذا الحادث لم يكن الأول من نوعه . ويؤكد المؤرخ البحري الامريكي الرسمي ان المدمرة الامريكية نيبالاك (Nibalack)قد هاجمت في العاشر من نيسان غواصة المانية بقنابل الاعماق (صمويل ايليوت موريسون - تاريخ العمليات البحرية الامريكية في الحرب الكونية الثانية - المجلد الاول ص ٥٧) .

اليابان تعمل لنفسها

رأينا من قبل ان هتلر عهد الى اليابان بدور المحافظة على ابقاء الولايات المتحدة خارج الحرب ، ولم يعهد اليها ولو مؤقتاً ، بارغامها على دخول الحرب فقد عرف ان احتلال اليابان لسنغافورة وتهديدهـــا الهند ، لن يعنيا مجرد ضربة قاصمـة للبريطانيين بل وتحويل اهتمام امريكا وبعض مجالات نشاطها وحيويتها من الاطلسي الى الهادي . وعندما شرع يرجو اليابان مهاجمة فلاديفوستوك ، كان يرى في مثل هذه الخطوة لا مجرد وسيلة لمساعدته في حرب روسيا واخضاعها ، بل ضغطـاً اضافياً على الولايات المتحدة لابقائها على الحياد . ومن الغريب كل الغرابة ، انه لم يدر في خلد هتلر أو خلد أي انسان آخر في المانيا إلا مؤخراً ، بأن اليابان لا تبحث إلا عن مصالحها ، وانها قد تخشى الشروع في هجوم عظيم في جنوب شرقي آسيا ضد البريطانيين والهولنديين او مهاجمة روسيا في ظهرها ، الا اذا كانت هي قد اطمأنت الى مؤخرتها بتحطيم الأسطول الامريكي في المحيط الهادي. ومن الحق ان يقال ، ان الفاتح النازي ، كان قد وعد ماتسوكا بأن المانيا ستدخل الحرب ضد امريكا اذا وقعت بين هذه وبين اليابان ، ولكن ماتسوكا بات خارج الحكم الآن ، وكان هتلر قد واصل إلحافه على اليابان لتجنب الصراع المباشر مع امريكا والتركيز على بريطانيا والاتحاد السوفياتي اللذين كانت مقاومتهما تحول بينه وبين كسب الحرب . ولم يخطر في بال الحكام النازيين ان اليابان قد تعطي الأولوية في اهتمامها الى الصراع المباشر مع الولايات المتحدة .

ولا يمكن القول ان برلين كانت تريد من اليابان ان تتفاهم مع امريكا . فمثل هذا التفاهم كفيل بإحباط الاهداف الرئيسية من الميثاق الثلاثي التي يمكن تلخيصها في بعث الفزع في نفوس الامريكيين ومنعهم من دخول الحرب. وقد تكون هذه هي المرة الوحيدة التي قدر فيها ريبنتروب تقديراً صادقاً واميناً افكار الفوهرر عندما وقف في نورمبرغ يقول لمستجوبيه :

« كان يخشى من ان يؤدي أي ترتيب بين الولايات المتحدة واليابان

الى طمأنينة امريكا على مؤخرتها ، وآنذاك يغدو اشتراك امريكا في الحرب ، أو هجومها غير المتوقع الآن اسرع مما يظن .. وكان يحس بالقلق من حدوث مثل هذا الاتفاق ، نظراً لوجود جماعات في اليابان تود التوصل الى اتفاق مع امريكا » [١]

وكان بين اعضاء هذه المجموعة امير البحر كيشيزابورو نومورا ، الذي وصل الى واشنطن في شباط عام ١٩٤١ ، لتولي منصبه كسفير اليابان الجديـــد. وقد اثارت سلسلة المحادثات السرية التي دارت بينه وبين كوردل هل ، والتي بدأت في شهر آذار هادفة الى تسوية الخلافات بين البلدين بصورة سلمية ، واستمرت حتى النهاية ، الكثير من القلق في برلين .[٢]

وقد جهد الألمان كل مـــا وسعهم لتخريب محادثات واشنطن هذه . وقدم وايز ساكر في الخامس عشر من ايار مذكرة الى ريبنتروب اشار فيهـا الى ان أية معاهدةسياسية بين اليابان والولايات المتحدة شيء لا يرغب فيه في الوقت الحاضر. وقال انه ما لم تحل المانيا دون ذلك فإن المحور قد يخسر اليابان نهائياً .[٣] وقام الفريق اوت سفير المانيا في طوكيو بزيارة وزارة الخارجية اكثر من مرة محذراً من مفاوضات هل – نومورا . وعندما رأى ان محاولاته هذه لم تؤت اكلاً ، وان المفاوضات ظلت مستمرة ، تحوّل الى مناورة جديدة ، وهي اقناع اليابانيين بأن يشترطوا لاستمرار هذه المفاوضات ان تتخلى الولايات المتحدة عن عونها لبريطانيا وعن سياساتها المناوئة لألمانيا .[٤]

كان هذا في شهر ايار . وجاء الصيف بتبدل جوهري . ففي شهر تموز كان هتلر مشغولاً في اقناع اليابان بمهاجمة الاتحاد السوفياتي ، وقطـع كوردل هل في

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان ـ الملحق (ب) . ص١٢٠٠ .
٢ – كتب هل في مذكراته فيا بعد يقول : « اني اشهد بأن نومورا كان مخلصاً وصادقـــاً في محاولته تجنب الحرب بين بلاده وبلادي » (مذكرات كوردل هل (٢) ص ٩٨٧ .
٣ – تريفوس – « المانيا والحياد الأمريكي – ١٩٣٩ - ١٩٤١ ص ١٠٢ .
٤ - تريفوس – المانيا والحياد الامريكي ص ١٠٣ .

الشهر نفسه مفاوضاته مع السفير الياباني نتيجة قيام اليابانيين بغزو الهند الصينية الفرنسية . وقد استؤنفت هذه المحادثات في منتصف شهر آب تقريباً عندما اقترحت الحكومة اليابانية، عقد اجتماع شخصي بين الأمير كونويي رئيس وزراء اليابان وبين الرئيس روزفلت بقصد الوصول الى تسوية سلمية . وبالطبع لم ترض برلين عن هذه الخطوة مطلقاً ، وسرعان ما هرع اوت الذي لا يحس بأي تعب او نصب ، الى وزارة خارجية طوكيو للاعراب عن امتعاض المانيا من هذا التحول في الاحداث . وأبلغه وزير الخارجية أمير البحر تويودا ونائبه أماو ، بصراحة ان المحادثات المقترحة بين كونويي وروزفلت ، لن تؤدي إلا الى تحقيق اهداف الميثاق الثلاثي التي ترمي، كما أراد تذكيره الى «منع امريكا من الاشتراك في الحرب . »[1]

وعندما استمرت محادثات هل – نومورا في الخريف، تحوّلت الويلهلمشتراسة من جديد الى اساليبها التي سبق لها اتباعها في الربيع. وقد أصرّت على طوكيو بوجوب اصدار تعليماتها الى نومورا لتحذير الولايات المتحدة من استمرار سيرها في اعمالها غير الودية تجاه المحور الأوروبي-المانيا وايطاليا – لأن هذا الاستمرار قد يؤدي الى اشعال نيران الحرب بينها وبينهما ، وستجد اليابان نفسها في مثل هذه الحالة مضطرة الى الاشتراك معهما في حربهما . ويتبين من هذا ، ان هتلر كان لا يزال راغباً في عدم دخول امريكا الحرب ، وقد قام بخطوته هذه في الحقيقة « لبلف » واشنطن وحملها على البقاء بعيدة عنها ، وتقديم بعض العون في الوقت نفسه له ، عن طريق تخفيف اعمال امريكا الحربية في الاطلسي .

وعلم وزير الخارجية هل فوراً بهذا الضغط الألماني الجديد ، ويرجع الفضل في معرفته له ما سمي « بالسحر » ، وهي طريقة مكنت الحكومة الامريكية منذ انتهاء عام ١٩٤٠ ، من حل جميع البرقيات والرسائل اللاسلكية اليابانية حتى ولو كانت في اعقد الرموز اليابانية ، وسواء منها ما كان متبادلاً بين طوكيو

---

١ ـ المؤامرة النازية والمدوان (٦) ص ٥٤٦ ـ ٥٥١ .

وواشنطن أو بينها وبين برلين وغيرها من العواصم . وقد نقل الطلب الألماني برقياً الى نومورا من وزير خارجيته تويودا في السادس عشر من تشرين الأول عام ١٩٤١ ، مرفقاً بالتعليمات اللازمة لتقديمه بصورة مخففة الى هل .[١]

وسقطت حكومة كونويي في ذلك اليوم ، وحلت محلها حكومة عسكرية يرئسها الفريق المحارب : السريع الغضب هيديكي توجو . وهرع الفريق اوشيما ، وهو من نفس الطراز المحارب الى وزارة الخارجية في برلين ، لينقل الى الحكومة الألمانية الانباء السارة . وقال السفير ان استلام توجو الحكم كرئيس للوزراء يعني ان اليابان ستزداد تقرباً من شريكتيها في المحور ، وان محادثاتها مع واشنطن ستتوقف . وقد أهمل السفير ، سواء عن قصد او بلا قصد ابلاغ اصدقائه النازيين ما سيؤدي اليه وقف هذه المحادثات من نتائج ، وان تعيين توجو رئيساً للوزراء ، يعني والحالة هذه اكثر بكثير مما توهموه هم ، وان هذه الحكومة الجديدة تعبير عن التصميم على حرب الولايات المتحدة الا اذا أدت مفاوضات واشنطن الى نهاية سريعة ، بقبول الرئيس روزفلت الشروط اليابانية لاطلاق يدها لا في محاربة روسيا بل في احتلال جنوب شرقي آسيا . ولم يحلم هتلر أو ريبنتروب قط بهذا الاتجاه الجديد ، اذ انهما كانا لا يزالان يتصوران اليابان نافعة ومفيدة للمصالح الالمانية ، اذا هاجمت سيبريا وسنغافورة وافزعت واشنطن وحملتها على القلق تجاه المحيط الهادي ومنعتها من دخول الحرب . ولم يستطع الفوهرر أو وزير خارجيته البليد بالطبع ، ان يفهما ابداً ان فشل مفاوضات نومورا – هل في واشنطن ، وهو ما كانا يرغبان فيه رغبة عظيمة سيؤدي الى النتيجة التي كانا يحاولان تجنبها منذ أمد طويل الى ان يكون الوقت قد بات مناسباً لوقوعها ، وهي دخول امريكا في الحرب العالمية .[٢]

---

١ ـ مذكرات هل ص ١٠٣٤ . ويوجد نص برقيات تويودا الى نومورا في « الهجوم على ميناء اللؤلؤ – شهادات أمام اللجنة المشتركة للتحقيق في هجوم ميناء اللؤلؤ (١٢) ص ٧١ - ٧٢

٢ ـ تكشف مذكرات الأمير كونويي التي وضعها بعد الحرب ، النقاب عن انه اضطر في الرابع من آب الى الموافقة على طلب للجيش ، بأن يخرج من الاجتماع المقترح مع الرئيس ...

وبدأت الاحداث تتلاحق الآن وبسرعة هائلة .

ففي الخامس عشر من تشرين الثاني ، وصل الى واشنطن سابورو كوروزو ، مبعوثاً خاصاً من الحكومة اليابانية ليساعد نومورا في مفاوضاته . ولكن وزير الخارجية هل ، سرعان ما أحس أن هذا الدبلوماتي، الذي وقع في برلين بالنيابة عن حكومته، الميثاق الثلاثي . والذي تبدو منه علائم تشيّعه للألمان ، لم يحمل معه أية اقتراحات جديدة . وخيل للوزير ان مهمته تنحصر في اقناع واشنطن بقبول الشروط اليابانية فوراً ، أو تهدئة الحكومة الامريكية في حالة فشله في الشق الاول ، عن طريق مواصلة المباحثات الى ان تكون قــد غدت متأهبة لتوجيه ضربة مفاجئة ثقيـلة .[1] ووصلت الى نومورا من طوكيو ، في التاسع عشر من تشرين الثاني ، رسالة « الرياح » المشؤومة ، وقد تمكن مسجلو الرموز في وزارة الخارجية الامريكية من حلها واطلاع هل عليها .فلقد ذكرت الرسالة للسفير انه في حالة سماعه من مذيع الانباء على اذاعــة طوكيو القصيرة ، التي تلتقطها السفارة يومياً ، عبارة « رياح شرقية وامطار » ، فإن هذه العباره تعني ان الحكومة اليابانية قد قررت الحرب مع امريكا . وعلى السفير في هذه الحالة وعند تلقيه هذا الإنذار ، ان يتلف جميع الرموز والأوراق السرية فوراً .

واستفاقت برلين الآن على ما هو جارٍ . ففي اليوم الذي سبق تاريخ رسالة « الرياح » ، أي في الثامن عشر من تشرين الثاني ، فوجىء ريبنتروب الى حـدٍ ما ، بطلب من طوكيو ، تسأل فيه المانيا توقيع معاهـدة تتعهد الدولتان فيها بعدم عقد أي صلح منفرد مع اعداء مشتركين . ولم يفسر اليابانيون ما يعنونه بكلمة « اعداء » ، ولكن وزير خارجية النازي أمـل ولا شك في ان تكون روسيا في مقدمة هؤلاء الاعداء . ووافق على الاقتراح « من ناحية المبدأ » ولعله كان واقعاً تحت تأثير الاعتقاد « اللذيذ » بأن اليابان توشك في النهاية على الوفاء

::: روزفلت في حالة رفض الرئيس لطلبات اليابان « مصمماً على الحرب مع الولايات المتحدة» (هل ـ مذكرات ـ ص ١٠٢٥ – ١٠٢٦ .

١ – كوردل هل ـ مذكرات . ص ١٠٦٢ ـ ١٠٦٣ .

بوعودها الغامضة في ضرب الاتحاد السوفياتي في سيبريا . ولم يكن ثمة شك في ان برلين قد رحبت بهذه الخطوة التي جاءت في وقتها ، اذ ان مقاومة الجيش الاحمر على طول الجبهة الواسعة ، كانت قد غدت هائلة . وكان الشتاء الروسي قد بدأ في قرع الابواب ، في وقت ابكر مما كان متوقعاً . وخيل للألمان ان هجوماً يابانياً على فلاديفوستوك وعلى المقاطعات البحرية الروسية في المحيط الهادي ، قد يؤدي الى مزيد من الضغط الذي يقود بدوره الى انهيار السوفيات.

وسرعان ما طاش سهم ريبنتروب ، وخابت آماله . فقد تلقى في الثالث والعشرين من تشرين الثاني برقية من سفيره أوت في طوكيو ، يقول فيها ان جميع الدلائل تشير الى ان اليابانيين ينوون التحرك جنوباً ، بقصد احتلال سيام وجزيرة بورنيو التي تسيطر عليها هولندة ، والغنية بحقول زيتها ، وان الحكومة اليابانية تود ان تعرف اذا كانت المانيا على استعداد للوقوف الى جانبها في حالة خوضها غمار حرب ما . وكانت هذه البرقية تعني بوضوح ان اليابان لن تهاجم روسيا ، وانما تفكر بشن « حرب اخرى » مع هولندة وبريطانيا في جنوب المحيط الهادي ، قد تدفعها الى الاشتباك في نزاع مسلح مع الولايات المتحدة . ولكن ريبنتروب وأوت ، لم يفهما النقطة الاخيرة . وتظهر البرقيات المتبادلة بينهما في هذه الايام انه على الرغم من ادراكهما الآن ، ادراكاً بعث خيبة الأمل في نفسيهما . من ان اليابان لن تهاجم روسيا ، إلا انهما اعتقدا ان حركتها جنوباً تستهدف ممتلكات هولندة وبريطانيا ، ولا علاقة لها بالولايات المتحدة . وهكذا سيظل العم سام بعيداً ، تحقيقاً لرغبة هتلر ، الى ان يحين دوره . [1]

ويرجع سوء تقدير الألمان للموقف الى حد كبير الى امتناع اليابانيين في هذه المرحلة عن اطلاع الحكومة الألمانية على حقيقة قراراتهم القدرية بصدد امريكا . وكان وزير الخارجية هل ، احسن اطلاعاً من الألمان ، بفضل عملية « السحر » الرائعة في حل الرموز وكان قد عرف في الخامس من تشرين الثاني ان وزير

---

١ – الوثيقتان (٤٠٧٠) و (٤٠٧٠ ب) - تريفوس – المانيا والحياد الامريكي ص ١٤٠ - ١٤١ .

الخارجية اليابانية الجديد ، شيغينوري توغو ، قد ابرق الى نومورا ، يحدد فيه الخامس والعشرين من الشهر آخر موعد لتوقيع الاتفاق مع الحكومة الامريكية على اساس الشروط اليابانية ، وقدمت اليابان اقتراحاتها النهائية الى واشنطن في العشرين من تشرين الثاني . وقـد عرف هل وروزفلت ان هذه الاقتراحات نهائية ، اذ ان عملية « السحر » اطلعتهما بعد يومين على برقية مرسلة من توغو الى نومورا وكوروزو تبيّن هذه الحقيقة بوضوح ، وتؤجل الموعد النهائي للاتفاق حتى التاسع والعشرين ... وهذه هي البرقية :

« هناك اسباب لا تستطيعان فهمها تحتم علينا الرغبة في الوصول الى تسوية للعلاقات اليابانية – الامريكية قبل الخامس والعشرين من هذا الشهر . أمـا اذا كان في الامكان استكمال التوقيع قبل التاسع والعشرين ، فقد قررنا الانتظار حتى ذلك التاريخ . ونحن جادون كل الجد هذه المرة ، ولا يمكن تغيير الموعد النهائي . أمـا بعد هذا التاريخ فستتوالى الحوادث على نحو آلي رتيب . »[1]

وكان الخامس والعشرون من تشرين الثاني تاريخاً دقيقاً كل الدقة . ففي ذلك اليوم ابحرت قوة الحاملات اليابانية متجهة الى ميناء اللؤلؤ . ومضى كوردل هل في واشنطن الى البيت الابيض لتحذير مجلس الحرب من الخطر الذى تواجهه البلاد من اليابان ، ويؤكد لقـادة الجيش والاسطول الامريكيين احتمال قيام اليابان بهجمات مباغتة . واقيم في برلين في ذلك اليوم احتفال فخم الى حدٍ ما ، جددت فيه دول المحور الثلاث وسـط الاحتفالات وتظاهرات الابهة ميثاق مكافحة الشيوعية (الكومنترن) لعام ١٩٣٦ . وكانت هذه الحركة مجرد ايماءة خالية من الاهمية . اذ ان هـذا الميثاق ، كما دوّن بعض الألمان . لم يعمل شيئاً لادخال اليابان في الحرب ضد روسيا . لكنها كانت فرصة اتيحت لريبنتروب الشغوف بالابهة ليحمل على روزفلت ناعتاً إياه « بمجرم الحرب الأول » وليذرف

١ – كوردل هل ـ مذكرات ص ١٠٥٦ و١٠٧٤ .

دموع التماسيح عـلى « الشعب الامريكي الصادق المتدين » الذي يتعرض لخديعة مثل هذا القائد الذي لا يعرف المسؤولية .

ويبدو ان وزير الخارجية النازي قد ثمل بهذه العبارات الـتي استخدمها . وراح يستدعي اوشيما عشية الثامن والعشرين من تشرين الثاني ، عقب خروجه من مجلس حرب طال اجتماعه ، رئسه هتلر . واعلـن للسفير الياباني ان الموقف الألماني من الولايات المتحدة قد « تصلـّب الى حدٍ كبير » . وابرق السفير بهذه المعلومات الجديدة الى طوكيو بسرعة . وبدا ان سياسة هتلر الرامية الى بذل كل جهد للابقاء على امريكا خارج الحرب الى ان تكون المانيا قد باتت مستعدة لها ، غدت الآن منبوذة . فقد تحول ريبنتروب فجـــأة الى موقف من يحث اليابان على محاربة الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى واعداً إياها بدعم الرايخ الثالث . وبعد ان حذر الوزير ، السفير الياباني من « ان تردد اليابان الآن ... قد يؤدي الى تركيز كل ما لدى بريطانيا وامريكا من قوة عسكرية ضدها – وهي نظرية لا شك في سخفها طالما ان الحرب في اوروبا لم تكن قـد انتهت - مضى قائلاً لزائره :

« لقد صدق هتلر اليوم عندما قال ان ثمة خلافات جوهرية في حق الوجود بـــين المانيا واليابان والولايات المتحدة . وقد تلقينا معلومات تقول ، بعدم وجود أمـــل عملي في الوصول بالمفاوضات اليابانية – الامريكية الى نهاية ناجحة ، وذلـــك بسبب تعنّت الولايات المتحدة في موقفها .

« فإذا صحت هذه المعلومات ، واذا كانت اليابان قد توصلت الى قرار بحرب بريطانيا والولايات المتحدة ، فإني واثـق من ان هذا القرار لن يكون في مصلحة المانيا واليابان المشتركة فحسب ، بل سيؤدي الى أحسن النتائج بالنسبة الى اليابان نفسها . »

ودهش السفير الياباني ، وهو رجل قصير مكتنز الجسم من هذا الحديث دهشة ارتياح . ولكنه اراد ان يتأكد مما سمعه ، وان مـا فهمه هو الصحيح ،

فراح يسأل الوزير : « هل تعني سعادتك ان حالة من الحرب الفعلية ستقوم بين المانيا والولايات المتحدة ؟ »

وتردد ريبنتروب قليلاً ... وخيل اليه انه افرط في حديثه . ثم قال : « ان روزفلت رجل متعصب لرأيه ، ويستحيل على المرء ان يتكهن بما سيلجأ اليه من اجراءات . »

وبدا هذا الرد غريباً وغير مرض الى اوشيما ، وذلك بالنسبة الى مـا قاله الوزير قبل لحظات ، وما لبث ان عاد الى النقطة الاساسية قبيل انتهاء المقابلة . وراح يسأل ريبنتروب : « ترى ماذا سيكون موقف المانيا اذا توسعت الحرب فعلاً لتشمل بلاداً كانت ولا تزال تساعد بريطانيا ? . ورد ريبنتروب قائلاً :

« اذا اشتبكت اليابان في حرب مـع الولايات المتحدة ، فإن المانيا ستشترك في هذه الحرب فوراً . وليس ثمة احتمال مطلقاً لدخول المانيا في صلح منفرد مع الولايات المتحدة في مثل هذه الظروف ، ان الفوهرر واضح كل الوضوح في هذا الموقف . »[1]

وكانت هذه هي الضمانة الصريحة التي تنشدها الحكومة اليابانية . فلقد سبق لهتلر ان قدم مثل هذا الوعد في الربيع المنصرم لماتسوكا ، ولكن خيل لليابان ان هذا الوعد قد نسي في خضم ما تلاه من احداث . ولا سيما اثر ما أحس به هتلر من سخط على رفض اليابان الاشتراك معه في حربه ضد روسيا . ولم يبق من وجهة النظر اليابانية إلا ان تحمل المانيا على تضمين هذا الوعد في وثيقـة خطية . وابرق الفريق اوشيما بهذه المعلومات وهو يكاد يرقص فرحاً الى طوكيو في التاسع والعشرين من تشرين الثاني . وسرعان ما وصلت اليه في برلين تعليمات جديدة في اليوم التالي تقول ان « محادثات واشنطن قـد قطعت ... » ومضت الرسالة تقول :

« فهل لسيادتك ان تقابل المستشار هتلر عـلى الفور ووزير

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

خارجيته ريبنتروب وان تنقل اليهما بصورة مكتومة ملخصاً لما وقع من تطورات . قل لهما ان انكلترا والولايات المتحدة قد اتخذتا اخيراً موقفاً استفزازياً . وقل لهما ايضاً ان هاتين الدولتين تضعان الخطط لنقل قواتها العسكرية الى اماكن عدة في شرق آسيا ، واننا نجد انفسنا مرغمين على مقابلتها بالمثل ونقل قواتنا ايضاً الى اماكن جديدة . وانقل اليهما بصورة سرية للغاية ان ثمة خطراً كبيراً في ان الحرب قد تنشب فجأة بين اليابان والدولتين الانكلوسكسونيتين اثر بعض التصادم في الاسلحة ، وأضف الى ذلك ان موعد اندلاع هذه الحرب قد يأتي في وقت اسرع مما يحلم فيه أي انسان . »[1]

وكان اسطول الحاملات الياباني قد قطع الآن شوطاً في طريقه الى ميناء اللؤلؤ . وغدت اليابان على عجلة من أمرها ، فهي تريد من المانيا التوقيع خطياً على وعدها . وفي نفس اليوم الذي كان اوشيما يتلقى فيه تعليماته الجديدة من طوكيو ، أي في الثلاثين من تشرين الثاني ، كان وزير خارجية اليابان يتشاور في طوكيو مع السفير الالماني اوت ، مؤكداً له ان محادثات واشنطن قد تحطمت بسبب رفض اليابان الموافقة على طلب امريكا بأن تتخلى عن الميثاق الثلاثي . وأعرب عن أمله في ان يقدر الألمان لبلاده هذه التضحية دعماً للقضية المشتركة.

وقال توغو لزائره اوت : « ان هناك قرارات خطيرة على وشك الوقوع . فالولايات المتحدة تستعد استعداداً جدياً للحرب ، ولا يساور اليابان أي خوف من انقطاع المفاوضات . وهي تأمل في مثل هذه الحالة ان تقف المانيا وايطاليا الى جانبها تنفيذاً للميثاق الثلاثي » .. وابرق اوت الى برلين يقول :

« قلت للوزير انه لا يمكن ان يكون ثمة شك في موقف المانيا

---

١ ـ الهجوم على ميناء اللؤلؤ (١٢) ص ٢٠٤ . والمؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٣٠٨ - ٣١٠ ويقول كوردل هل انه تلقى صورة من هذه البرقية عن طريق عملية «السحر». ويتبين من هذا ان كلًا من واشنطن وبرلين كانت تعرفان في نهاية تشرين الثاني ان اليابان قد تهاجم الولايات المتحدة « في وقت اسرع مما يحلم فيه أي انسان » (هل ـ مذكرات ص١٠٩٢).

المقبل . وعاد الوزير الياباني فصرح انه يفهم من كلامي ان المانيا ستعتبر في مثل هذه الحالة ان علاقتها باليابان اضحت قضية مصير مشترك . ورددت بأنني اعتقد ان المانيـا على استعداد حتماً لعقد اتفاق بين الدولتين على هذا الاساس »[1]

عشية الهجوم على ميناء اللؤلؤ

كان الفريق اوشيما ، سفير اليابان في برلين من عشاق الموسيقى الكلاسيكية الالمانية النمسوية ، وعلى الرغم من خطورة الوضع وحراجته مضى الى النمسا ، ليتمتع بحضور عيد « موزار » فيهـا . ولكن قدر له ان لا يتمكن طويلاً من متابعة الاستماع الى معزوفات الموسيقار النمسوي العظيم . فقد تلقى السفير نداءً عاجلاً من برلين في الأول من كانون الأول ، وطار الى سفارته ليتسلّم تعليمات حكومته الجديدة ، التي حثته على العمل فوراً لضمان توقيع المانيا على الاتفاق الجديد . اذ ان الموقف لا يحتمل أي ابطاء .

ولكن ريبنتروب جمد الآن وتردد بعد ان وجـــد نفسه « في زاوية ، » لا يستطيع الخروج منها . ويبدو انه ادرك للمرة الأولى ادراكاً تاماً نتائج الوعود المتهورة الطائشة التي قطعها لليابانيين فحاول الآن التملص منهـــا ، والوقوف موقفاً فاتراً . وراح يقول : لأوشيما في ساعة متأخرة من ليلة الأول من كانون الأول . انه يجد نفسه مضطراً لاستشارة الفوهرر اولاً قبل اتخـاذ أي التزام محدود . وعاد السفير الياباني الى الويلهلمشتراسة يوم الاربعاء في الثالث من كانون الأول ، ملحفاً على عقد الاتفاق الجديد ، ولكن ريبنتروب دفعه مسوّفاً مثل هذه الخطوة . وقال يرد على رجاء السفير وتأكيده بأن الوضع بات دقيقـاً لا يحتمل أي ابطاء ، انه على الرغم من تأييده شخصياً لعقد مثل هـــذا الاتفاق

٢ – المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص ٥٥٦ – ٧٥٥

الخطي ، الا انه لا يرى مندوحة عن تأجيل القضية الى ان يعود الفوهرر من مقر قيادته في وقت لاحق من الاسبوع . وكان هتلر قد طار في الحقيقة ، كما روى شيانو بشيء من الفرح في يومياته ، الى الجبهة الجنوبية في روسيا للاجتماع الى الفريق فون كلايست « الذي كانت جيوشه تواصل التراجع تحت ضغط هجوم روسي غير متوقع »

وكان اليابانيون قد استداروا في هذا الوقت ، نحو موسوليني ايضاً ، الذي لم يكن مشغولاً في أية جبهة من الجبهات . وكان السفير الياباني في رومة ، قد زار الدوتشي في الثالث من كانون الأول، وطلب اليه رسمياً ان تعلن ايطاليا الحرب على الولايات المتحدة ، تنفيذاً للميثاق الثلاثي ، حالما تشتبك اليابان معها في حرب . وأراد السفير ايضاً ان يحصل على معاهدة مع ايطاليا تؤكد استحالة قيام صلح منفرد . وروى شيانو في يومياته ان المترجم الايطالي كان « يرتجف كورقة على شجرة .» ورد الدوتشي بأنه سيكون « سعيداً » للاستجابة الى طلب اليابان بعد التشاور مع برلين .

ووجد شيانو في اليوم التالي برلين قد غدت حذرة كل الحذر ودوّن في مستهل يوميته للرابع من كانون الأول يقول :

« من المحتمل ان يمضي الألمان في هذا الطريق ، اذ لا طريق سواها امامهم ، ولكن فكرة استفزاز امريكا على التدخل ، فكرة يمجّها الألمان ، ويزداد كرههم لها . اما موسوليني فسعيد لمثل هذه الخطوة » .

وكان القرار في موضوع كهذا ، يتعلق باعطاء تعهد رسمي لليابان ، من حق سيد الحرب النازي وحده . ولا عبرة لرأي ريبنتروب ، على الرغم من ان هتلر كان لا يزال يولي آراء وزير خارجيته بعض الاهتمام مما يثير الدهشة . ويبدو ان وزير الخارجية تمكن ليلة الرابع – الخامس من كانون الأول من الحصول على موافقة الفوهرر ، وراح يسلّم السفير الياباني في الساعة الثالثة صباحاً مسوّدة مشروع اتفاق تتعهد المانيا بموجبه بأن تنضم الى اليابان في حربها ضد الولايات

المتحدة وبأن لا تعقد أي صلح منفرد معها. وبعد ان اتخذ هذه الخطوة القدرية ، واتبع زعيمه في « قلب » السياسة التي تمسك بها بإصرار مدة سنتين ، رأساً على عقب ، لم يستطع ريبنتروب إلا ان يحاول التأكد من ان حليفه الايطالي ، سيسير في ركابه . وقد استهل شيانو يوميته للخامس من كانون الاول على النحو التالي :

« قضيت ليلة قطع علي هدوءها ريبنتروب بأرقه وقلقه . فبعد تسويف ومماطلة داما يومين ، بات الآن لا يستطيع إضاعة دقيقة واحدة في الرد على اليابانيين. وقد بعث الي في الساعة الثالثة صباحاً سفيره ماكنزن ، ليقدم إلي في بيتي مشروعاً بميثاق ثلاثي للتدخل الى جانب اليابان مع الوعد القاطع بعدم عقد أي صلح منفرد . وأراد مني الألمان ايقاظ الدوتشي في هذه الساعة المتأخرة، ولكنني امتنعت عن ايقاظه وسر الدوتشي من موقفي غاية السرور» .

وأعد اليابانيون مشروع اتفاق أقره هتلر وموسوليني ولكنهما لم يوقعاه بعد، وكان هذا مصدر قلق لليابانيين . وشكوا في ان مماطلة الفوهرر ناجمة عن الرغبة في المقابلة بالمثل ، أي ان تنضم اليابان الى المانيا في حربها مع روسيا مقابل انضمام هذه اليها في حربها ضد الولايات المتحدة . وقد ضمن وزير خارجية اليابان برقيته التي بعث بها الى سفيره اوشيما في برلين في الثلاثين من تشرين الثاني تعليماته اليه عن الطريقة التي يعالج فيها هذه المشكلة المعقدة إذا اثارها الألمان والايطاليون اذ قال :

« واذا سألوك عن موقفنا من السوفييت، أجب بأننا قد اوضحنا موقفنا من الروس في البيان الذي اصدرناه في تموز الماضي . وقل لهم اننا لا نعني بتحركاتنا جنوباً تخفيف ضغطنا ضد السوفيات ، واننا في حالة اشتراك روسيا مع انكلترا والولايات المتحدة ضدنا ولجوئها الى الأعمال العدوانية ، سننقلب عليها بكل ما لدينا من قوة . أما الآن فإن من مصلحتنا ان نواصل الضغط جنوباً ، واننا نؤثر في

ألوقت الحاضر الامتناع عن أية حركة مباشرة في الشمال . »[1]

وحل السادس من كانون الاول . وشن جوكوف في ذلك اليوم هجومه المضاد امام موسكو ، وتراجعت الجيوش الالمانية في جو تغمره الثلوج ، ويسيطر عليه البرد القارص . وكان هذا التطور حافزاً يدفع هتلر الى المطالبة بالمثل. وأحسّت وزارة الخارجية في طوكيو بالكثير من القلق تجاه هذا الموضوع . فقد غـــدت القوة البحرية الامريكية على مرمى من طائراتهـــا التي تحلق من حاملاتها . ولم تكتشف السفن والطائرات الامريكية موقعها حتى هذه اللحظة نتيجة ما يشبه المعجزة . ولكنها قد تكتشفها في أية لحظـــة . وأبرقت طوكيو رسالة مطوّلة بالراديو الى نومورا وكوروزو في واشنطن تأمرهما فيها بزيارة الوزير كوردل‌هل في الساعة الواحدة من بعد ظهر الغد ، الأحد ، السابع من كانون الاول ، وان يقدما اليه رفض اليـــابان للاقتراحات الامريكية الأخيرة والتأكيد له على ان المفاوضات باتت مقطوعة بحكم الواقع . وتحوّلت طوكيو في غمرة يأسهـا نحو برلين تطلب منها الضمانة الخطية على تأييد المانيا لهـــا . ولم يكن سادة الحرب اليابانيون ليثقوا بالألمان ثقة كافية تمكنهم من ابلاغهم بالضربة التي قد يوجهونهـا الى الولايات المتحدة في اليوم التالي . ولكنهم كانوا اكثر قلقاً من ان يرفض هتلر اعطاء الضمانة الخطية إلا اذا وافقت اليابان على اعلان الحرب ضد روسيا بالاضافة الى الولايات المتحدة وبريطانيا . وابرق توغو رسالة مطولة في هـذا الصدد الى سفيره اوشيما في برلين يحثه فيها على محاولة التسويف مع الألمان في موضوع روسيا ، وان لا يقبل بوجهة نظرهم ، الا اذا اقتضت الضرورة قبوله تمام الاقتضاء. اذ على الرغم من ان القادة العسكريين اليـابانيين كانوا مخدوعين في قدرتهم على التغلب على بريطانيا وامريكا إلا انهم كانوا لا يزالون يحتفظون ببعض التعقل الذي مكنهم من ان يدركوا عجزهم عن محاربة الروس في نفس الوقت حتى مع مساعدة المانيا لهم . وتكشف تعليمات توغو الى اوشيما في ذلك اليوم القدري السبت في السادس

---

١ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٣٠٩

من كانون الأول، والتي عثر عليها بين الرسائل التي حل جهاز «السحر» رموزها، النقاب عن الدبلوماتية التي طبقها ابناء الشمس مع الرايخ الثالث في الساعة الحادية عشرة .. وهذا ما جاء فيها :

« نود لو امكننا تنكّب الصراع المسلح مع روسيا الى ان تسمح به الظروف السوقية . لذا اعمل على تفهيم الحكومة الألمانية وجهة نظرنا هذه وفاوضهم لكي يمتنعوا مؤقتاً على الأقل عن الاصرار على تبادل المذكرات الدبلوماتية في هذا الموضوع .

« وأرجو ان توضح لهم بإسهاب وتفصيل انه بالنسبة الى المواد الامريكية التي تشحن الى روسيا السوفياتية ... فإن هذه المواد ليست وافرة لكم ولا جيّدة الكيف ، وانه في حالة شننا الحرب على الولايات المتحدة ، فإننا سنضع ايدينا على جميع البواخر المتجهة الى روسيا السوفياتية . أرجو ان تحاول الوصول الى تفاهم مع الألمان في هذا الصدد .

« أما اذا أصرّ ريبنتروب على ان نقدم نحن بدورنا ضمانة في هذه القضية ، ولما كنا لا نجد مناصاً آخر ، في هذا الصدد ، فعليك في هذه الحالة ان تؤكد لهم اننا من ناحية المبدأ سنمنع وصول شحنات المعدات الحربية الامريكية الى روسيا السوفياتية عبر المياه اليابانية ، وان تطلب اليهم الموافقة على اجراء يسمح باضافة بيان آخر ينص على اننا قد لا نستطيع تطبيق هذا المنع تمام التطبيق طالما ان الاسباب السوقية تحتم علينا عدم الاشتباك في حرب مع الاتحاد السوفياتي، او بكلمة اخرى طالما اننا عاجزون عن الاستيلاء على السفن السوفياتية .

« وفي حالة رفض الحكومة الالمانية الموافقة على هذا الوضع ، واصرارها على ربط موافقتها على هذا الموضوع ، باشتراكنا في الحرب ، وبتوقيعنا معاهدة تضمن عدم عقد أي صلح منفرد، فإننا

لا نرى مندوحة من تأجيل عقد هذه المعاهدة كلية » .[١]

وكان هذا القلق من جانب اليابانيين في غير موضعه . اذ ان هتلر ، لأسباب جهلها العسكريون اليابانيون كما جهلها كل انسان آخر ، نظراً لخلافها مع المنطق والفهم ، لم يصر على قيام اليابان بمحاربة روسيا بالاضافة الى حربها مع الولايات المتحدة وبريطانيا ، مع ان موقفه هذا كان لا بد وان يتبدل لو ان سير الحرب قد اتخذ اتجاهاً مغايراً .

وعلى أي حال ، فإن اليابانيين كانوا قد قرروا ليلة السبت السادس من كانون الاول عام ١٩٤١ ، توجيه ضربة يتحدث عنها الركبان الى الولايات المتحدة في المحيط الهادي ، وان لم يكن هناك في واشنطن أو في برلين من يعرف متى تقع هذه الضربة وأين توجه . وتولت الاميرالية البريطانية في ذلك الصباح ابلاغ الحكومة الامريكية بأن أسطول غزو يابانياً ضخماً ، شوهد متجهاً عبر خليج سيام نحو برزخ «كرا» (Kra) مما يشير الى ان ابناء الشمس ، كانوا يعتزمون اولاً غزو سيام ولربما الملايو ايضاً . ووجه الرئيس روزفلت في الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه رسالة شخصية الى امبراطور اليابان يرجوه فيها ان يشترك معه في ايجاد « السبل اللازمة لتبديد السحب القاتمة » ، ويحذره في الوقت نفسه من مغبة اندفاع القوات العسكرية اليابانية باتجاه جنوب شرقي آسيا، مؤكداً له ان مثل هذه الخطوة ستخلق وضعاً « لا يمكن تصوره » . وراح ضباط المخابرات في وزارة البحرية الامريكية يعدون آخر تقرير لهم عن مواقع السفن الحربية الرئيسية في الأسطول الياباني . وجاء في هذا التقرير ان معظم هذه الوحدات قابعة في موانئها الداخلية في اليابان وبينها جميع حاملات الطائرات والسفن الحربية الأخرى التي تؤلف القوة التي كانت في نفس تلك اللحظة قد باتت على بعد ثلاثمائة ميل من ميناء اللؤلؤ ، والتي كانت تعد قاذفاتها للتحليق غداً في مهمتها الخطرة .

---

١ ــ المؤامرة النازية والعدوان (٦) ص ٣١٢ - ٣١٣ .

وابلغت وزارة البحرية في نفس تلك الليلة – ليلة السبت - الرئيس والمستر هل ان السفارة اليابانية تقوم باتلاف اوراقها السرية ورموزها . وكان عليها ان تحل اولاً رسالة توغو المطوّلة التي جاءت في اربعة عشر جزءاً . وكان حلاّلو الرموز في البحرية الامريكية يقومون بحل نفس الرسالة وبالسرعة ذاتها ، وفي الساعة التاسعة والنصف مساء وصل الى البيت الابيض ضابط بحري يحمل ترجمة ثلاثة عشر جزءاً منها . وقرأ الرئيس روزفلت هذه البرقية فهتف قائلاً للمستر هاري هوبكنز الذي كان يتشاور معه في مكتبه . . « انها تعني الحرب » ولكن البرقية لا تذكر شيئاً عن مكان الحرب وزمانها ، ولم يعرف الرئيس بالطبع شيئاً عنها . وحتى امير البحر نومورا ، لم يكن يعرف شيئاً عنها ، وكذلك الحال بالنسبة الى ادولف هتلر القابع بعيداً في اوروبا الشرقية ، اذ كان روزفلت يعرف اكثر منه حتماً .

هتلر يعلن الحرب

بوغتت برلين كما بوغتت واشنطن بالهجوم الياباني الكاسح على اسطول امريكا في المحيط الهادي في قاعدته الرئيسية في ميناء اللؤلؤ ، في الساعة السابعة والنصف صباحاً (حسب التوقيت المحلي) من يوم الأحد السابع من كانون الأول عام ١٩٤١ . وعلى الرغم من ان هتلر كان قد وعد ماتسوكا شفوياً بأن تشترك المانيا مع اليابان في الحرب ضد الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من صدور وعد مماثل من ريبنتروب وزير خارجيته الى اوشيما سفير اليابان في برلين ، إلا ان التوكيد الخطي لم يكن قد وقع بعد ولم يكن اليابانيون قد فاهوا ببنت شفة الى الألمان عن مشروعهم لميناء اللؤلؤ .[1] يضاف الى هذا ان هتلر كان غارقاً حتى

---

١ – اعتقد الكثيرون منذ امد طويل ، أن هتلر كان على علم سابق بالساعة المحددة للهجوم على ميناء اللؤلؤ ، ولكنني لم استطع العثور على اية قصاصة ورق في الاوراق الالمانية المصادرة تقيم الدليل على صحة هذا الاعتقاد .

اذنيه في مشاغل الجبهة الشرقية حيث تحتم عليه ان يشدد من عزائم قـــادته العسكريين الخائرة ، ويحول دون تراجع قواته نحو الغرب .

وكان الظلام قد خيم على برلين عندما التقط جهاز الاستماع الى الاذاعـات الأجنبية أول نبأ عن الغارة المتلصصة على ميناء اللؤلؤ . وعندما نقل موظف في قسم الصحافة في وزارة الخارجية الألمانية هاتفياً الى ريبنتروب النبأ الذي هز العالم بأسره ، رفض هذا ان يصدقه في البداية ، وغضب غضباً شديداً لإزعاجه في تلك الساعة . وقد علق على النبأ بقوله : « انه قد يكون من احـــابيل العدو الدعائية » ، وطلب ان لا يزعجه انسان حتى الصباح .[1] ولعـــل ريبنتروب كان صادقاً المرة الوحيدة في حياته عندما شهد في محاكمات نورمبرغ « بأن الهجوم جاء مباغتة كاملة لنا . فلقد كنا نتوقع هجوماً يابانياً على سنغافورة او على هونغ كونغ . ولكننا لم نتوقع مطلقاً ان يستهدف الهجـــوم الياباني الولايات المتحدة ، اذ اننا لم نكن نعتبر ان هـذا الهجوم في مصلحتنا » .[2] ولكنه كان كاذباً عندمـــا قال للمحكمة ان الهجوم قد آلمـــه ،اذ انه احس بالسعادة الغامرة تجاهه ، وكان هذا هو انطباع شيانو الذي استهل يوميته للثامن من كانون الأول على النحو التالي :

« تلقيت هاتفاً ليلياً من ريبنتروب . انه سعيـــد كل السعادة للهجوم الياباني على الولايات المتحدة . ولقـــد احسست بالفرح ينطلق من كلماته الى الحد الذي ارغمني على تهنئته ، على الرغم من انني لم اكن واثقاً من ان هـــذا التطور لمصلحتنا ... ورأيت موسوليني سعيداً ايضاً للانباء . فلقد كان منذ عهد بعيد يود توضيح الموقف بين امريكا والمحور » .

ومضى الفريق اوشيما في الساعة الواحدة من بعد ظهر الاثنين في الثـــامن من كانون الأول الى الويلهلمشتراسة ، ليحمل ريبنتروب على توضيح موقف المانيا .

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر . ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

٢ ـ محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٢٩٧ .

وطلب ان تعلن المانيا الحرب رسمياً على الفور على الولايات المتحـدة . وبعث اوشيا برسالة اذاعية الى طوكيو قال فيها :

« رد ريبنتروب بأن هتلر يجتمع في تلك اللحظـة في مؤتمر في مقر قيادته العامة الى المختصين ليبحث معهم في الشكليات المتعلقة باعلان الحرب ، ليضمن تأثيراً مؤاتياً على الرأي العام الألمـــاني . ووعد الوزير بأنه سينقل رغبتكم فوراً الى هتلر ، ويعمل كل ما في وسعه لتحقيق هذه الرغبة فوراً . »

وابلغ وزير خارجية النازي السفير الياباني ايضاً ، وفقاً لما ورد في برقيـــة الاخير الى طوكيو ، بأن هتلر اصدر في صباح ذلك اليوم ذاتـه « اوامره الى الاسطول الألماني لمهاجمة السفن الامريكية حيثما وجدها وحينما يلقاهـا . »[1] ولكن الديكتاتور تردد في اعلان الحرب .[2]

ويقول التقويم اليومي الذي يسجل حركات الفوهرر ، ان هتلر سارع بالعودة الى برلين ليلة الثامن من كانون الأول فوصلها في الساعة الحادية عشرة من صبـاح اليوم التالي . وادّعى ريبنتروب في نورمبرغ ، انه بيّن للزعيم ان المانيا ليست ملزمة بموجب نصوص الميثاق الثلاثي باعلان الحرب ضد الولايات المتحدة لأن اليابان هي المعتدية كما هو واضح كل الوضوح ... ومضى يقول :

« يلزمنا الميثاق الثلاثي بمساعدة اليابان في حالة واحدة وهي ان تتعرض اليابان لهجوم من جهة ما ... ومضيت لمقابلة الفوهرر واوضحت له الناحية القانونية للوضع وقلت له ، اننا على الرغم من ترحيبنا بحليف جديد ضد انكلترا ، الا ان هذا الوضع يعني ايضـاً ظهور خصم جديد لنا يتحتم علينا ان نعالجه ... هـــذا اذا أعلنا

---

١ - المؤامرة النازية والعدوان (٧) ص ١٦٣ .

٢ - كان وزير الخارجية اليابانية توغو « يقول في نفس الوقت للسفير الألماني اوت » تنتظر الحكومة اليابانية ايضاً ، ان تسارع المانيا الى اعلان الحرب على الولايات المتحدة » (وثائق نورمبرغ الكتاب العاشر قضية وايز ساكر) .

الحرب على الولايات المتحدة .

« وقلت له ان نصوص الميثاق الثلاثي لا تشترط علينا ان نعلن الحرب رسمياً على الولايات المتحدة طالما ان اليابان هي التي هاجمت. وفكر الفوهرر طويلاً في هذه القضية ثم ما لبث ان اتخذ قراراً واضحاً كل الوضوح سرعان ما ابلغنيه ، اذ قال : « اننا اذا لم نقف الى جانب اليابان فإن الميثاق يغدو ميتاً من الناحية السياسية . ولكن هذا لا يعتبر السبب الرئيسي . فالعامل الأول هو ان الولايات المتحدة تطلق النار على بواخرنا . ولقد كان الامريكيون عنصراً قوياً في هذه الحرب وكانوا قد خلقوا بأعمالهم وضعاً يشبه اوضاع الحرب . »

« وكان من رأي الفوهرر في تلك اللحظة أن من الواضح ان الولايات المتحدة ستشن الحرب على المانيا . ولهذا فقد أمرني بأن اسلم الى الممثل الامريكي جواز سفره واوراقه » [1]

وكان روزفلت وهل ينتظران هذا القرار في واشنطن بكل ثقة . ولقد تعرضا لضغط شديد من جانب الكونغرس ليعلنا الحرب على المانيا وايطاليا في الثامن من كانون الأول أي في نفس الوقت التي اعلناها على اليابان . ولكنهما آثرا الانتظار . وكان قصف ميناء اللؤلؤ قد انقذهما من وضع حائر مرتبك ، وقد جاءتهما المعلومات التي اقنعتهما بأن الديكتاتور النازي العنيد سينقذهما من حيرة اخرى [2] وكانا قد فكرا طويلاً في الرسالة التي التقطاها والموجهة من السفير اوشيما في برلين الى طوكيو في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ، وهي الرسالة

---

١ – جمعت هنا بين شهادة ريبنتروب في التحقيق المباشر في نورمبرغ (محاكمات كبار مجرمي الحرب (١٠) ص ٢٩٧ – ٢٩٨) وبين بياناته الاخرى الموجودة في المؤامرة النازية والعدوان – الملحق ب – ص ١١٩٩ - ١٢٠٠) .

٢ – كنت واقفاً في واشنطن في تلك الآونة تحت الانطباع بأنه سيكون من الصعب على الرئيس روزفلت ان يحمل الكونغرس على اعلان الحرب على المانيا . وبدا لي ان ثمة شعوراً قوياً في كل من المجلسين كما في الجيش والبحرية على ان من واجب البلاد تركيز كافة جهودها على ....

التي اكدت لليابانيين ان المانيا ستشترك مع اليابان في الحرب . اذا اشتبكت مع الولايات المتحدة فيها . ولم يكن هناك في الرسالة ما يشير الى ان المانيا قـد اشترطت تقديم مساعدتها في حالة تعرض اليابان للاعتداء . انها اشبه ما تكون بصك على بياض ، وليس ثمة من ريب في ان اليابانيين كانوا يلحفون على برلين

::: هزم اليابان ، وان عليها ان لا تحمل على عاتقها عبئاً اضافياً بقتال المانيا في نفس الوقت .

وقد نقل هانز تومسون القائم بأعمال السفارة الألمانية في واشنطن هذا الشعور الى برلين ، لا سيا انه كان كغيره من المبعوثين في الخارج ، لا يعرف شيئاً عن حقيقة ما كان هتلر وريبنتروب يدبرانه من خطط . وقد بعث تومسون الى برلين رسالة على الراديو فور انتهاء الرئيس من القاء خطابه في الكونغرس صباح الثامن من كانون الاول ، وهو الخطاب الذي اعلن فيه الحرب على اليابان قال فيها : « تشير الحقيقة الماثلة في تجنب روزفلت ذكر المانيا أو ايطاليا في خطابه حتى ولو في كلمة واحدة ، الى ان الرئيس سيحاول اولاً تجنب كل ما يؤدي الى تحرج الوضـع في الاطلسي » . وراح تومسون يبعث في عشية اليوم نفسه برسالة اخرى عن الموضوع قال فيهـا : « ما زال الشك قائماً فيا اذا كان روزفلت سيطلب اعلان الحرب على المانيا وايطاليا أو لا . ومن المنطق بالنسبة الى وجهة نظر القادة العسكريين الامريكيين ،ان تتجنب بلادهم كل ما يؤدي الى حرب في جبهتين » . وكان القائم بالاعمال الألماني قد اكد في عدة برقيات سبقت هجـوم ميناء اللؤلؤ ان الولايات المتحدة ليست على استعداد للحرب في جبهتين . وكان في الرابـع من كانون الأول قد نقل الى حكومته برسالة اذاعية ، ما كتبته « الشيكاغو تريبيون » عن « الخطط الحربية التي اعدتها القيادة العليا الأمريكية وآمالها في هزم المانيا وحلفائها » .

ويؤكد تقرير الصحيفة هذه – على حد رواية القائم بالأعمال الالماني – ان اشتراك امريكا الكامل في الحرب ، لن يكون قبل تموز من عام ١٩٤٣ ، وان الأجراءات العسكرية ضـد اليابان ذات طابع دفاعي .

واكد تومسون في رسالته التي بعث بها الى برلين عشية الثامن من كانون الاول ان الهجوم على ميناء اللؤلؤ سيؤدي حتماً الى تخفيف الضغط عن المانيا بالنسبة الى اعمال امريكا العدائيةلألمانيا في الاطلسي وراح يقول :

« وتعني الحرب مع اليابان تحول جميع النشاط الى مشاريع التسلح الامريكي نفسها . مما يقلل من مساعدات الاعارة والتأجير ، والى انتقال كل نشاط لامريكا الى المحيط الهادي » .

واني مدين بالنسبة الى البرقيات المتبادلة بين الويلهلمشتراسه وبين السفارة الالمانية في واشنطن اثناء هذه الفترة ، الى وزارة الخارجية الامريكية التي مكنتني من الاطلاع على هذه البرقيات وستنشر هذه البرقيات فيا بعد في سلسلة « وثائق وزارة الخارجية الألمانية » .

الآن في دفع قيمة هذا الصك .

وقد وفت المانيا بالتزامها ، ولكن بعد تردد طويل من جانب سيد الحرب النازي . وقد دعا الرايشستاغ الى الاجتماع في التاسع من كانون الأول ، أي يوم وصوله الى برلين ثم عاد فأجل الاجتماع يومين ، أي حتى الحادي عشر من الشهر . ويبدو انه حزم في هذه الآونة امره كما روى ريبنتروب . وكان قد ملّ من الهجمات التي يشنها الرئيس روزفلت عليه وعلى النازية ، وكان صبره قد نفد من الأعمال الحربية التي يشنها الاسطول الامريكي على الغواصات الألمانية في الاطلسي ، والتي ظل امير البحر ريدر يلحف عليه بوجوب مقابلتها بالمثل اكثر من عام تقريباً وكانت كراهيته لامريكا والامريكيين قد تزايدت في الآونة الاخيرة ، كما ازداد لديه الميل ، وهنا يقبع السوء كل السوء، الى التقليل الى حد خطر من قوة الولايات المتحدة واحتمالاتها العسكرية . [1]

وقد بالغ في الوقت نفسه مبالغة ضخمة في تقدير قوة اليابان العسكرية . ويبدو انه اعتقد ، بأن اليابان ، التي كان يعتبر اسطولها اقوى الاساطيل في العالم ، عندما تنتهي من امر البريطان والامريكيين في المحيط الهادي، ستتحول على روسيا وتساعده على انهاء فتوحاته العظيمة في الشرق . وقد اعرب لبعض اعوانه بعد بضعة شهور ، عن اعتقاده بأن دخول اليابان الحرب « كان ذا قيمة كبيرة لنا ، ولا سيما بالنسبة الى الموعد الذي اختارته » ثم قال :

« لقد جاء اشتراكها هذا في الواقع في نفس اللحظة التي كانت مفاجآت الشتاء الروسي ، تضغط بشدة على معنويات شعبنا ،

---

١ – قال هتلر لبعض اخدانه بعد شهر واحد ، في حديث له في مقر قيادته في السابع من كانون الثاني عام ١٩٤٢ ... « انا لا ارى مستقبلاً مشرقاً للامريكيين . فأمريكا بلاد منحلة . وفيها مشاكلها العنصرية ، كما تعاني من الافتقار الى العدالة الاجتماعية. وان عواطفي المناوئة« للامريكانية » هي مشاعر من الكراهية والتقزز ... ويكشف كل ما يتعلق بسلوك المجتمع الامريكي على ان نصف هذا المجتمع « متهود » ، وان النصف الثاني « مترنج » (نسبة الى الزنوج) . فكيف يمكن المرء ان يتوقع من دولة كهذه ان تظل متماسكة ، لا سيا وانها تقيم كل اعتباراتها على اساس الدولار » (محادثات هتلر السرية . ص ١٥٥) .

وعندما كان كل فرد في المانيا ، واقعاً تحت ضغط الحقيقة القائلة
بأن الولايات المتحدة ستشترك في الصراع ان عاجلاً وان آجـلاً .
ولهذا كان التدخل الياباني مؤاتياً كل المواتاة من وجهة نظرنا » [1]

وليس ثمة من شك في ان ضربة اليابان المتلصّصة والقوية للاسطول الامريكي في ميناء اللؤلؤ قد اشعلت اعجابه واستفزّته ، وقد اشتد هذا الاعجاب مـن جراء ما فيها من « مباغتة ، » كان يزهو دائماً بتطبيقها . وقداعرب عن مشاعره هذه للسفير اوشيما في الرابع عشر من كانون الأول عندما انعم عليه بالصليب الاعظم من وسام الاستحقاق للنسر الالماني المذهب اذ قال له :

« لقد اتبعتم الطريقةالصحيحة في اعلان الحرب. فهذه الطريقة هي المثلى دائماً » .

وأضاف انها تشبه طريقته هو ثم قال :

« تتلخص هذه الطريقة في التفاوض اطول زمن ممكن .ولكن اذا رأى المرء ان الجانب الآخر ،غير مهتم إلا بالتسويف والماطلة، وبإلحاق العار والمذلة به ، دون وجود اية رغبة حقيقية لديـه في الوصول الى اتفاق،فإن عليه ان يضرب فوراً، وبأقسى ما يمكن من عنف ،وان لا يضيع وقته في اجراءات اعلان الحرب.ولقد انعش فؤاده ما سمعه عن العمليات اليابانية الأولى . فلقد فاوض هونفسه طويلاً وبمنتهى الصبر مع بولندة ، وكذلك مع روسيا . وعندمـا ادرك ان الجانب الآخر لا ينوي حقاً الوصول الى اتفـاق ، راح يضرب فجأة وبدون انتظار للشكليات . وسيواصل اتباع هـــذا الاسلوب في المستقبل ايضاً . » [2]

وكان ثمة سبب آخر ،حدا بهتلر الى اتخاذ قراره المتسرعهذا باضافة الولايات المتحدة الى قائمة اعدائه الاقوياء . وقد اشار الدكتور شميدت الذي ظـل طيلة

---

١ ـ محادثات هتلر السرية . ص ٣٩٦

٢ ـ المؤامرة النازية والعدوان (٥) ص٦٠٣

ذلك الاسبوع كثير التجوال بين المستشارية ووزارة الخارجية الى هذا السبب بقوله : « تكوّن لدي الانطباع بأن رغبة هتلر المتأصلة في الشهرة هي التي دفعته الى الرغبة في اعلان الحرب على امريكا قبل ان تبادره هي بهذا الاعـلان الذي كان واثقاً من وقوعه . »[1] وقد ايد سيد الحرب النازي هذه الحقيقـــة في الخطاب الذي ألقاه في الرايشستاغ في الحادي عشر مـن كانون الأول ... اذ قال للنواب « الهتافة » : « سنكون نحن دائمـــاً المبادرين بالضرب . وسنكون دائماً أول من يضرب . »

وسادت الخشية برلين حقاً في العاشر من كانون الأول ، من ان تسبقهـــا واشنطن الى اعلان الحرب ، مما دفع ريبنتروب الى ارسال برقية حـازمة الى ممثله تومسون ، في واشنطن ، يحذره فيها من أي تلميح قد يشير الى ما تنتوي برلين فعله ، في اليوم التالي ، مخافة تسرب هذا التلميح الى وزارة الخارجيـــة الامريكية . وبعث الوزير النازي في رسالة برقية « بالراديو » في العاشر من كانون الأول الى تومسون نص الاعلان الذي سيتولى هـــو تبليغه الى القائم بالاعمال الامريكي في برلين في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الحادي عشر من كانون الأول . وتضمنت تعليماته الى تومسون ان يقوم بزيارة وزير الخارجية هل بعد ساعة واحدة تماماً أي في الثالثة والنصف من بعد ظهر اليـــوم نفسه حسب توقيت برلين ، وان يسلمه نسخة من الاعلان ، ويطلب اليه تسليمه جواز سفره ، ثم يسلم مهام التمثيل الدبلوماتي الالماني في واشنطن الى المبعـــوث السويسري . وحذر ريبنتروب في نهاية رسالته مبعوثه من أي اتصال بوزارة الخارجية الامريكية قبل تسليم المذكرة مضيفاً قوله : « نود في جميع الظروف والاحتمالات ان لاتسبقنا الحكومة هناك في مثل هذه الخطوة » .

ومهما كانت الدوافع التي حملت هتلر على التردد وتأجيل اجتماع الرايشستاغ مدة يومين فليس ثمـة من شـــك بالنسبة الى الرسائـــل المتبـادلة بين

---

١ ـ شميدت ـ ترجمان هتلر ص ٢٣٧ .

الويلهلمشتراسه وبين السفارة الالمانية في واشنطن وكذلك بالنسبة الى اوراق اخرى في وزارة الخارجية الالمانية، في ان الفوهرر اتخذ قراره القدري بإعلان الحرب على الولايات المتحدة في التاسع من كانون الأول ، أي في نفس اليوم الذي عاد فيه الى عاصمته من مقر قيادته في الجبهة الروسية. ويبدو ان الطاغية النازي اراد مهلة اليومين الاضافيين لا ليضمن المزيد من التفكير في الموضوع بل ليعد بعناية خطابه في الرايشستاغ ليؤمن له التأثير اللازم على الشعب الألماني، الذي كان يدرك تمام الادراك بما يذكره من وقائع الحرب الكونية الأولى، الدور الحاسم الذي لعبته امريكا بدخول الحرب .

وعهد هتلر في التاسع من كانون الأول الى هانز ديكهوف الذي ما زال يحمل رسمياً لقب السفير الألماني في الولايات المتحدة ، والذي قبع دون عمل في الويلهلمشتراسه منذ سحبت الدولتان سفيريهما في خريف عام ١٩٣٨ ، باعداد قائمة مطولة عن الأعمال المناوئة لألمانيا التي ارتكبها روزفلت منذ نشوب الحرب، ليضمنها الفوهرر في خطابه الى الرايشستاغ .(١)

وصدر الأمر الى تومسون في التاسع من كانون الأول ، ليحرق جميع اوراقه السرية ومفاتيح الرموز الموجودة لديه. وابرق الى برلين في الحادية عشرة والنصف صباحاً يقول : « نفذت جميع تعليماتكم . » وقد تبيّن الآن ولأول مرة حقيقة ما يدور في برلين ، وبعث في المساء ببرقية الى الويلهلمشتراسه يقول فيها ان

١ — كان ديكهوف الذي وصفه هاسيل « بالمستكين بطبيعته » ، قد أعد قبل نحو من اسبوع تلبية لطلب ريبنتروب ، مذكرة مطولة عنوانها « مبادىء للتأثير على الرأي العام الامريكي » . وقد تضمنت مبادؤه الاحد عشر .. « ان روزفلت هو الخطر الحقيقي الذي يهدد امريكا ... لليهود تأثير كبير على روزفلت عن طريق فرانكفورتر وباروخ وبنيامين كوهين وصموئيل روزغان وهنري مورغنتاو وغيرهم .. يجب ان يكون شعار كل ام امريكية :« انا لم انشىء ولدي ليموت في سبيل بريطانيا » . (من اوراق وزارة الخارجية الألمانية التي لم تنشر بعد) . وكانت نظرة بعض الامريكيين في وزارة الخارجية وفي سفارتنا في برلين طيبة بالنسبة الى ديكهوف الذي اعتبروه خصماً للنازية . أما انا فكنت ارى انه يفتقر الى الذكاء اللازم لمن يناهض النازية ، وقد ظل يخدم هتلر حتى النهاية اذ اشغل منصب السفير في اسبانيا بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٥ .

وزارة الخارجية الامريكية تعرف ايضاً ما هو واقع في برلين . واضاف قائلاً :
« والمعتقد هنا ان المانيا ستعلن الحرب على الولايات المتحدة في غضون اربع وعشرين ساعة أو انها ستقطع علاقاتها الدبلوماتية بها » [1]

هتلر في الرايشستاغ - ١١ كانون الأول

خصص هتلر القسم الاعظم من خطابه ، الذي ألقاه في الحادي عشر من كانون الأول على المخلوقات « الآلية » التي تحتل مقاعد الرايشستاغ ، والذي دافع فيه عن اعلانه الحرب على الولايات المتحدة خصصه لتوجيه الاهانات الشخصية الى فرانكلين ديلانو روزفلت . وقد اتهم الرئيس بأنه هو الذي استفز الحرب ليغطي فشله في سياسته الاقتصادية المسماة « بالتوزيع الجديد » او « النيوديل » » كما ذكر مرعداً ومزبداً ان « هذا الرجل وحده » الذي يدعمه اصحاب الملايين اليهود هو « المسؤول عن الحرب الكونية الثانية . » وتفجّر حقد هتلر وغضبه الدفينان على هذا الرجل الذي وقف منذ البداية في طريقه وحال بينه وبين الوصول الى السيطرة العالمية ، والذي ألحق به الاذى دائماً وقدم المساعدات الضخمة الى بريطانيا في اللحظة التي بدت فيها جزيرتها محطمة معزولة وشيكة الانهيار ، والذي وقف اسطوله درعاً في المحيط الاطلسي يفسد عليه خططه ، ويضيع عليه آماله ... وقد استهل هتلر خطابه قائلا:

---

١ - حث تومسون حكومته على اعتقال المراسلين الصحفيين الامريكيين في برلين انتقاماً من اعتقال الحكومة الامريكية عدداً من الصحفيين الألمان في الولايات المتحدة . وتشير مذكرة لوزارة الخارجية الألمانية وقعها وكيل الوزارة ايرنست وورمان ومؤرخة في العاشر من كانون الأول الى ان الأمر قد صدر باعتقال جميع المراسلين الامريكيين في برلين كعمل « ثأري » . وقد استثني من أمر الاعتقال « غيدو ايندريس ، كبير مراسلي « النيويورك تايمز » في برلين «نظراً لمواقفه الودية من المانيا »على حد تعبير وكيل الوزارة المذكور ،وقد يكون هذا القول ظلماً للمرحوم ايندريس، الذي كان يعاني من سوء الحالة الصحية في ذلك الوقت والذي كان مرضه على الغالب السبب في عدم اعتقاله .

« أرجو ان تسمحوا لي بتحديد موقفي من ذلك العالم الآخر ، الذي يمثله رجل كان يؤثر ان يجري احاديثه على مقربة من نيران المدفئة ، بينما كان جنودنا يقاتلون وسط الثلوج وفوق الجليد . انه الرجل الذي يعتبر المسؤول الأول عن هذه الحرب .

« وقد اتغاضى عن الحملات المهينة التي كان يشنها علي هذا الرئيس المزعوم . ولا يهمني قط ، انه يطلق علي اسم قاطع الطريق . فهذا التعبير على أي حال لم يصغ في اوروبا وانما صيغ في امريكا ، لأن اوروبا تفتقر الى قطاع الطرق . يضاف الى هذا انني لا ألوم روزفلت على اهاناته لي ، فأنا اعتبره مجنوناً ، ولا يقل في جنونه عن سلفه ويلسون ... فهو اولاً يحرض على الحرب ، ثم يزوّر الاسباب ويزيفها ، ويعود بعد ذلك فيرتدي مسوح النفاق المسيحي ثم يقود الجنس البشري ببطء ولكن باستمرار ، الى الحرب ، مستجيراً بالله ومشهداً اياه على طهارة هجومه ، على النحو المألوف عند قدماء الماسونيين ...

« وقد ارتكب روزفلت سلسلة من ابشع الآثام في حق القانون الدولي . فهو يغتصب البواخر بدون حق وبصورة لا مشروعة ، ويستولي ظلماً وعدواناً على ممتلكات الرعايا الألمان والايطاليين ، كما يستخدم وسائل التهديد والنهب والسلب مع اولئك الذين حرمهم من حرياتهم عن طريق اعتقالهم . ومضت هجمات روزفلت الى حد بعيد متحدية كل قانون وعرف دوليين ، فأصدر أمره الى الاسطول الأمريكي بمهاجمة السفن التي ترفع العلمين الألماني والايطالي وأغراقها ، مخالفاً بذلك كل شرعة دولية ، وأخذ الوزراء الامريكيون يتبجحون بإغراق الغواصات الألمانية بهذه الطريقة الاجرامية . وهاجمت الطرادات الامريكية سفن المانيا وايطاليا التجارية واستولت عليها واعتقلت ملاحيها .

«وهكذا فشلت جميع الجهود التي بذلتها المانيا وايطاليا للحيلولة دون امتداد الحرب ، وللحفاظ على العلاقـات مع الولايات المتحدة على الرغم من الاستفزازات التي لا تطاق والتي ظل الرئيس روزفلت يحترمها سنوات طويلة . »

وراح هتلر يتساءل بعد ذلك عن دوافع روزفلت لمضاعفة المشاعر المنـاوئة لألمانيا الى حد الحرب . وقدم تفسيرين لها قائلا :

« انني افهم تمام الفهم ان ثمة مسافات شاسعة تفصل بـين آراء روزفلت وآرائي . فروزفلت ينتمي الى اسرة ثرية ، والى الطبقـة التي تجد الطرقات امامها في الدول الديموقراطية مفروشة بالورود. أما انا فأنتمي الى أسرة صغيرة فقيرة ، وقد شققت طريقي بالنضال والعمل والجهد وعندما حلّت الحرب العظمى ، كان روزفلت يحتل مركزاً مكنه من تذوق نتائجها الحسنة ليس إلا ، والتي لا يعرفها الا اولئك الذين يفيدون على حساب دماء الآخرين . أما انا فكنت من تلك الفئة التي تطيع الأوامر ، وعدت بالطبع من الحرب التي خدمت فيها جندياً عادياً ، وانا في حـالة من الفقر تماثل تلك التي دخلت الحرب فيها في عام ١٩١٤ . وقد اشتركت مع الملايين في مصائرهم ، أما روزفلت فكان مصيره مصير تلك الطبقة التي تعد عشرة آلاف ليس إلا .

« وعندما انتهت الحرب ، حـاول روزفلت تجربة حظه في المضاربات المالية . وقد جنى الارباح الطائلة من موجـات الغلاء وعلى حساب شقاء الآخرين ، بينما كنت انا مريضـاً في المستشفى اعاني الآلام .. »

وأسهب هتلر في هذه المقارنة الفردية ، قبل ان ينتهي الى نقطته الثانية وهي ان روزفلت قد لجأ الى الحرب لتغطية فشله كرئيس للجمهورية وقال :

« جاءت الاشتراكية الوطنية الى الحكم في المانيـا في نفس

السنة التي انتخب فيها روزفلت رئيساً للجمهورية ... وهكذا تسلم الزمام في دولة تعاني وضعاً اقتصادياً سيئاً ، بينما تسلـّمت انا قيادة الرايخ وهو يواجه الدمار المطلق بفضل الديموقراطية ...

« وبينما حققت المانيا في ظل الاشتراكية الوطنية بعثاً لا مثيل له في الحياة الاقتصادية ، أخفق روزفلت حتى في ايجاد أي تحسن مهما كان ضئيلاً في بلاده ... وعلى المرء ان لا يدهش من هذه الحقيقة اذا اخذ بعين الاعتبار ان الرجـــال الذين دعاهم الى مساعدته أو الرجال الذين دعوه للحكم بعبارة اخرى ، يمتون الى العنصر اليهودي الذين تتركز مصالحهم دائماً في تفسيخ البلاد لا في تنظيمها وانضباطها .

« وكانت جميع التشريعات الـــتي استنها روزفلت لسياسته الاقتصادية « التوزيع الجديد » خاطئة مغلوطة . وليس ثمة من شك في ان استمرار هـذه السياسة الاقتصادية سيؤدي حتماً الى اخفاق الرئيس في اوقات السلم على الرغم من براعته في الجدل والنقاش . ولو وُجدَ الرئيس في دولة أوروبية ، لتعرض حتماً وفي النهاية الى المحاكمة امام محكمة الدولة ، بتهمة الإتلاف المتعمد للثروة القومية ، وأمام محكمة مدنية عادية ، ما كان لينجو حتماً مـــن عقابها بتهمة اتباع الاساليب التجارية الاجرامية . »

وكان هتلر يعرف ان هـذا التقييم لسياسة « النيوديل » التوزيع الجديد ، يلقى تأييد الكثيرين من دعاة العزلة من الامريكيين ، كما يلقى تأييد شطر كبير من مجتمع رجال الأعمال . وقد حاول استغلاله الى اقصى حدود الاستغلال ، جاهلاً للحقيقة الواقعة ، وهي ان جميع هذه الفئات كغيرها من الفئات الامريكية ، قد سارعت يوم الهجوم على ميـناء اللؤلؤ الى تأييد بلادها . وهكذا نراه يمضي مشيراً الى هذه الفئات :

« وقد ادرك الكثيرون من الامريكيين هذه الحقائق وفهموها فهماً كاملاً ، وبينهم بالطبع عدد من ابرز الرجال . وهكذا اخذت

معارضة ضخمة تتجمع فوق رأس هذا الرجل. وخيل اليه ان سبيله الوحيد للخلاص يقوم في تحويل انتباه البلاد قاطبة مـــن السياسة الداخلية الى السياسة الخارجية ... وقـــد شجعه على تبني هذه الفكرة من يحيط به من اليهود ... وتحلّقت حول هـذا الرجل جميع حقارات اليهود الشيطانية ، فمد اليها يده متعاوناً معها .

« ومن هنا نشأت الجهود المتزايدة الـــتي بذلها هذا الرئيس الامريكي لخلق الحروب .. وتحرّقت في نفسه شهوة عارمة وحيدة سنوات عدة ، وهي ان تنشب الحرب في مكان ما من هذا العالم . »

وعقب ذلك سرد طويل للجهود التي بذلها روزفلت في هذا الاتجاه ابتداء من خطاب « العزل الصحي » في شيكاغو عام ١٩٣٧ ، ودوّى صوت هتلر بعد ذلك قائلاً : « وتسيطر على هذا الرجل الآن مخاوف شديدة ، مـن ان يؤدي حلول السلام في اوروبا ، الى ضياع الملايين من الأموال التي انفقها على التسلح ، مما يحمل الناس الى التطلع اليه على انه « نصّاب مخادع » ، طالما ان ليس ثمة من يهاجم امريكا . ولهذا فقد حزم أمره على ان يستفز الآخرين على مهاجمة بلاده. »

واعرب الطاغية النازي عن ارتياحه لأن القطيعة قد وقعت ، وراح يحاول اشراك الشعب الالماني في شعوره هذا ... وقال :

واني لأعتقد انكم جميعاً ، قد شعرتم بالانفراج الآن ، من ان دولة واحدة على الاقل كانت البادئة في اتخـــاذ الخطوات اللازمة للاعتراض على هذا التشويه المخزي والفريدمن نوعه للحق والحقيقة ، واني لعلى يقين مـــن ان الحقيقة الواقعة ، الممثلة في ان الحكومة اليابانية ، وقد سعت الى مفاوضة هذا الرجل سنوات طوالاً ، ملت اخيراً من سخريته بها بطريقة غير كريمة ، قد ارضت الشعب الالماني وغيره من الشعوب الكريمة في العالم ، ارضاءً عميقاً ...وعلى رئيس الولايات المتحدة ان يدرك اخيراً - واني اقول هـذا لأنني اعرف حق المعرفة عقله المحدود - اننا على عـلم بالهدف من نضاله وهو

تحطيم الدول واحدة اثر اخرى .

« أما الشعب الالماني فلا يطلب احساناً لا من المستر روزفلت ولا من المستر تشرشل ، فكيف يطلبه من المستر ايدن . انه يريد حقه ، ولا شيء غير هذا الحق . وسيؤمن هذا الشعب لنفسه حقه في الحياة ، حتى ولو تآمر عليه الآلاف مـــن امثال تشرشل وروزفلت ...

« ولهذا فقد اعددت العدة اليوم ، لتسليم جوازات السفر للقائم بأعمال امريكا في بلادنا ... »[١]

وعندما وصل هتلر الى هذه النقطة ، قفز جميع اعضاء الرايشستاغ على اقدامهم ، هاتفين ، وضاعت كلماته وســـط هرج ومرج اشبه ما يكون ببرج بابل .

وبعد لحظات ، أي في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، استقبل ريبنتروب في احدى « وقفاته » الجامدة ، ليلاند موريس ، القائم بأعمال امريكا في برلين ، وتركه واقفاً امامه واخذ يتلو على مسامعه اعلان المانيا الحرب ، وبعد ان قدم اليه نسخة من الاعلان ، صرفه من حضرته ... وجاء في الاعلان :

« على الرغم من حرص المانيا الدائم على التمسك بالقواعد التي ينص عليها القانون الدولي في علاقاتها بالولايات المتحدة ، طيلة ايام هذه الحرب ، لجأت الحكومة الامريكية اخيراً الى اعمال حربية مكشوفة ضد المانيا . ولهذا ، خلقت الحكومة الامريكية بأعمالها هذه حالة حرب بين البلدين .

« ولهذا قررت حكومة الرايخ قطع جميع علاقاتها الدبلوماتية مع الولايات المتحدة ، والاعلان بأن هذه الظروف التي خلقها الرئيس

---

١ – توجد ترجمة جزئية لخطاب هتلر في كتاب « كلمات هتلر » اعـــداد غوردون برانج ص٩٧–وص ٣٦٧ – ٣٧٧ .

زوزفلت ، قد دفعتها الى اعتبار نفسها في حالة حرب مع الولايات المتحدة اعتباراً من هذا اليوم . »[1]

وانطوى الفصل الاخير من مسرحية اليوم على قيام المانيا وايطاليا واليابان بتوقيع ميثاق ثلاثي يعلن « تصميم الدول الثلاث الذي لا يهن ، على غمد اغماد سلاحها الى ان تصل الحرب المشتركة ضد الولايات المتحدة وانكلترا الى نتيجة ناجحة » كما تعهدت ايضاً بعدم عقد أي صلح منفرد .

وهكذا نرى هتلر ، الذي كان قبل اقل من ستة اشهر لا يواجه إلا دولة واحدة محاصرة هي بريطانيا في حرب بدت له وكأنها قد انتهت لمصلحته ، قد دفع اعظم ثلاث دول صناعية في العالم ، الى الوقوف ضده ، وكان دفعه لها عن عمد وطواعية . مع علمه المطلق بأن القوة العسكرية في مثل هذه الحرب التي يخوضها معها ، تعتمد كلية ، وعلى المدى الطويل ، على القوة الاقتصادية . وتملك هذه الدول الثلاث في الوقت نفسه ، تفوقاً عددياً هائلاً في عدد رجالها على دول المحور الثلاث . ويبدو ان هتلر وقادته العسكريين وامراء بحره قد اهملوا التفكير في هذه الحقائق العارية المجردة ، في ذلك اليوم العصيب من ايام الشهر الاخير من عام ١٩٤١ .

وقد اهمل الفريق هولدر ، وهو الرئيس الحصيف لهيئة اركان الحرب ، ان يدوّن في يوميته بتاريخ الحادي عشر من كانون الاول ، ان المانيا قد اعلنت الحرب على الولايات المتحدة . واكتفى بأن يذكر حضوره عشية ذلك اليوم محاضرة القاها قبطان الماني عن « اسس الحرب البحرية بين امريكا واليابان » . ويبدو انه تعمد حصر ما تبقى من يوميته للحديث عن الانباء السيئة التي تصل باستمرار من قطاعات الجبهة الشرقية التي انهكتها الحرب . ويبدو ان افكاره لم تتسع للحديث عن ذلك اليوم الخطير ، الذي تقرر فيه ان تواجه جيوشه التي لحقها الضعف قوات جديدة ستتوافد من العالم الجديد .

ورحب أمير البحر ريدر فعلاً بخطوة هتلر الجديدة . وراح يتشاور مع

---

١ – المؤامرة النازية والعدوان (٨) ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

الفوهرر في اليوم التالي ، أي الثاني عشر من كانون الأول مؤكداً له « ان الوضع في الاطلسي سينفرج بعض الانفراج من جرّاء التدخل الياباني الناجح ». واندفع يتحدث عن هذا الموضوع فقال :

« وصلت انباء تقول ان امريكا نقلت بعض بوارجها من الاطلسي الى المحيط الهادي. ومن المؤكد ان امريكا ستحتاج الى بعض الوحدات الخفيفة ولا سيما من المدمّرات بأعداد متزايدة في المحيط الهـادي . وستكون الحاجة الى سفن النقـل ماسة جداً ، مما يدعونا الى توقع نقل عدد من بواخر النقل الى المحيط الهادي ، وبذلك يشتد الضغط على ملاحة بريطانيا التجارية » .

لكن هتـلر ، الذي غطس هذه « الغطسة » متظاهراً بالشجاعـة المتهورة ، ما لبث ان فاء الى عقله ، وأضحى فريسة الشكوك والمخـاوف . وتولدّت لديه اسئلة عدة أراد توجيهها الى أمير البحر الأكبر ، اذ قال يسأله : « هل تعتقد ان العدو ، سيقوم بخطوات قريبة في المستقبـــل ، لاحتلال جزر الآزور والرأس الأخضر ، ومهاجمة دا كار ، ليستعيد بعض هيبته التي فقدها ، نتيجة ما مني به من نكسات في المحيط الهادي ؟ » ولكن أمير البحر لم يكن يشاركه مخاوفه هذه فرد قائلاً :

« ستجد الولايات المتحدة نفسها مرغمة على تركيز كل ما لديهـا من قوى في المحيط الهادي في غضون الأشهر القليلة القادمة. ولا تود بريطانيا حتماً كذلك ان تغامر بأية وحدات جديدة بعدما منيت به من خسائر في بوارجها الضخمة . [1] ولا يحتمل مطلقـاً ان تكون

١ – كانت الطائرات اليابانية قد اغرقت قبل يومين أي في العاشر من كانون الاول بارجتين بريطانيتين هما « الامير ويلز » و « ريبالس » ، على مقربة من ساحل الملايو . وادت هــذه الخسارة الجسيمة مع ما مني به الاسطول الامريكي من خسائر في سفنه الحربية في ميناء اللؤلؤ في السابع من كانون الأول ، الى التفوق الكامل للاسطول الياباني في المحيط الهادي وبحر الصين والمحيط الهندي . وكتب تشرشل فيما بعد ، يصف هذه الخسارة بقوله : « لم اتلق طيلة ايام الحرب مثل تلك الهزة المباشرة » .

البواخر متوافرة لدى الدولتين للقيام بمثل هذه المهام الاحتلالية أو لنقل المؤن الى هذه القوات المحتلة » .

وكان ثمة سؤال آخر ، أكثر أهمية .. فقد قال هتلر : « وهل تعتقد ان هناك احتمالاً في ان تتخلى بريطانيا والولايات المتحدة مؤقتاً عن شرق آسيا، وان تركزا اهتمامهما على سحق المانيا وايطاليا اولاً ؟» ورأى امير البحر ثانية ان واجبه يقضي بتطمين هتلر فقال :

« أرى ان ثمة استحالة في ان يتخلى العدو عن شرق آسيا ولو مؤقتاً، اذ ان مثل هذا التخلي يعرض مركز بريطانيا في الهند لخطر جسيم ، ولا تستطيع الولايات المتحدة في الوقت نفسه سحب اسطولها من المحيط الهادي ، طالما ان الأسطول الياباني هو صاحب اليد العليا في هذا المحيط . »

وحاول ريدر كذلك ، ان يبعث المرح في نفس الفوهرر فأبلغه ان ست غواصات المانية « ضخمة » ستمضي « في اسرع وقت ممكن» الى ساحل الولايات المتحدة الشرقي .[1]

وانصرفت افكار القائد الأعلى ، وقادته العسكريين على الفور عن العدو الجديد، الذي كانوا على ثقة من انشغاله حتى اذنيه في المحيط الهادي، الى الامعان في دراسة الوضع السيىء في الجبهة الشرقية وكذلك في الجبهة الافريقية الشمالية، حيث كان روملي قد اضطر ايضاً الى التراجع والانسحاب . ولم يقدر لأفكارهم ان تعود الى هذه الناحية الجديدة ، الا بعد انصرام عام واحد ، هو اكثر اعوام الحرب حسماً وقدرية ، اذ وقعت فيه نقطة التحول الفاصلة، التي لم تكتف بتقرير مصير الحرب التي كان الألمان قد اعتقدوا طيلة عام ١٩٤١ انهم قد كسبوها ، وانما قررت كذلك مصير الرايخ الثالث ، الذي رفعته انتصاراته المذهلة في اوائل الحرب ، بسرعة خارقة الى مكانة رفيعة جداً ، دفعت هتلر الى الاعتقاد

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية (١٩٤١) ص ١٢٨ - ١٣٠ .

مخلصاً ، بأنه - أي الرايخ - سيظل مزدهراً الف عام .

وعندما هلّ مطلع العام الجديد - ١٩٤٢ - كانت تدوينات هولدر في يومياته قد تحوّلت الى التشاؤم ، اذ كتب يقول في يوميته بتاريخ الثلاثين من كانون الأول عام ١٩٤١ وفي اليوم الذي تلاه ، وهو آخر ايام السنة .. « يوم آخر قاتم كل القتام » . ويبدو ان حاسة رئيس هيئة اركان الحرب السادسة قد دفعته الى توقع اشياء اكثر هولاً وفظاعة .

٢٦

نقطة التحول العظيمة - ١٩٤٢
ستالينغراد والعلمين

عودة المتآمرين الى الحياة

اضرمت النكسات الشديدة التي منيت بها جيوش هتلر في روسيا في غضون شتاء عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، وصرف عدد من «مشيري» هتلر و « فرقائه » من الخدمة ، الآمال من جديد في نفوس المتآمرين على عهد هتلر .

وكان هؤلاء قد اخفقوا في بعث الاهتمام في نفوس كبار القادة العسكريين ، للاشتراك في ثورة ، طالما ان جيوشهم كانت تحطم كل ما امامهـا ، محققة نصراً سهلاً ، وراء آخر ، وطالما ان امجاد السلاح الألماني، والرايخ الالماني كانت تحلـّق الى السماء . اما الآن فقد أخذ الجنود المتعجرفون والذين لا يعرفون الهزيـمة ، يتراجعون في الثلوج وفي زمهرير الجو امام عدو برهن على كفايتـه وقدرته على الوقوف نداً ، وتجاوزت الخسائر في ستة اشهر اكثر من مليون رجـــل ، بينما صرف من الخدمة عدد من أشهر القادة العسكريين وتعرض بعضهم من امثال هوبنر وسبونيك للعار ، بينما لحق الاذلال بالآخرين واعتبروا اكباش الفداء من الطاغية الذي لا يرحم . (١)

---

١ - في وسعنا في ان نذكر ان قائمة القادة الذين احيلوا الى التقاعد، تضمنت المشير فون ::

وانهى فون هاسّيل يوميته بتاريخ الواحد والعشرين من كانون الاول عـام ١٩٤١ بقوله : « لقـــد بات الوقت ناضجاً ومناسباً . وكان هاسّيل وزملاؤه المتآمرون على يقين من ان فيلق الضباط البروسيين سيثأر من المعاملة السيئة التي يتعرض لها ، ويثور على جنون القـائد الأعلى الذي يقودهم ويقود جيوشهم الى شفير الكارثة في الحرب الروسية . وكان المتآمرون قد اقتنعوا منذ عهد بعيد ، كما رأينا من قبل ، بأن القادة العسكريين الذين يتولون قيادة القوات المحاربة هم وحدهم الذين يملكون السلطان الفعلي للاطاحة بالطاغية النازي. وها هي الفرصة متاحة لهم اليوم قبل ان يفوت الأوان . وعامل التوقيت مهم كل الأهمية . ولم يعد في امكان المانيا بعد النكسات التي منيت بها في روسيا ودخول امريـكا في حلبة الصراع ان تكسب الحرب . ولكنها لم تخسرها بعد . ففي وسع حكومة مناهضة للنازية في برلين ان تحصل على شروط مؤاتية ، تترك المانيا دولة قوية ، وفي حوزتها بعض المكاسب التي حققهـا هتلر كالنمسا وبلاد السوديت وبولندة الغربية .

::: براوختش القائد العام للجيش والمشير فون رونشتادت والمشير فون بوك، وهما قائدا مجموعتي جيوش الجنوب والوسط . والفريق غودريان عبقري حرب الدبابات . وسرعان ما لحق بهؤلاء قائد مجموعة جيوش الشمال ، المشير فون ليب ،الذي صرف من الخدمة في الثامن عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٢ . ومات المشير فون رايخناو الذي خلف رونشتادت في قيادته في اليوم الذي سبق هذا التاريخ متأثراً من نوبة قلبية . ومات الفريق اوديت من قادة سلاح الطيران منتحراً باطلاق النار على نفسه في السابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤١ . ونحي نحو من خمسة وثلاثين قائداً من قادة الفيالق والفرق من مناصبهم واستعيض عنهم بآخرين اثناء تراجع الشتاء .

ولم تكن هذه إلا البداية . ولخص المشير فون مانشتاين ما وقع للقادة اثناء شهادته في محكمة نورمبرغ ، عندما شرعوا يخسرون المعارك أو وجدوا اخيراً الجرأة الكافية لمعارضة هتلر . وقال المشير للمحكمة ... (ان عشرة من مجموع سبعة عشر مشيراً . قد سرحوا الى منازلهم إبان الحرب ، ولقي ثلاثة منهم حتفهم نتيجة المؤامرة على حياة هتلر في العشرين من تموز عام ١٩٤٤ . ولم يتمكن إلا مشير واحد من البقاء في مركزه حتى نهاية الحرب . واحيل ثمانية عشر فريقاً من مجموع ستة وثلاثين على التقاعد ، ومات خمسة منهم نتيجة مؤامرة ، أو اقيلوا من مناصبهم طرداً . وتمكن ثلاثة فقط من الفرقاء من البقاء في مراكزهم حتى نهاية الحرب . (محاكمات كبار مجرمي الحرب (٢٠) ص ٦٢٥) .

وكانت هذه الافكار تسيطر على عقولهم في نهاية صيف عام ١٩٤١ ، حتى عندما كانت الأمال في تحطيم الاتحاد السوفياتي ، لا تزال مشرقة وقائمة . وجاء نص ميثاق الاطلسي الذي اصدره روزفلت وتشرشل في التاسع عشر من شهر آب ، ضربة قاسية لهم ، ولاسيما المادة الثامنة منه التي اشترطت نزع السلاح من المانيا بعد الحرب الى ان يتم الوصول الى اتفاق عام لنزع السلاح . وعنت هذه المادة بالنسبة لهاسّيل وغورديلر وبيك وغيرهم من اعضاء حلقة المقاومة ان الحلفاء لا ينوون التمييز بين المانيا النازية وبين المانيا المناهضة للنازية، وانها برهان كما قال هاسيل - على ان انكلترا وامريكا لا تحاربان هتلر فحسب ، وانما ترغبان في تحطيم المانيا وجعلها دولة لا حول لها ولا طول . ورأى هـذا السفير الارستقراطي السابق ، الذي كان والغاً حتى رأسه في خيانة هتلر الآن، والذي كان يريد ان يحصل على اكثر ما يمكنه الحصول عليه لالمانية الجـديدة التي لا يوجد هتلر فيها ، في المادة الثامنة ، طبقاً لما دوّنه في يومياته « تحطيماً لكل فرصة معقولة في السلام » . [1]

وعلى الرغم من ان ميثاق الاطلسي ، قد خيب آمال المتـآمرين ، الا ان اذاعته ، حثتهم على العمل ، اذ بينت لهم ضرورة التخلص من هتلر ، قبل ان يفوت الأوان على قيام عهد مناوىء للنازية يستطيع ان يساوم مساومة ناجحة للحصول على صلح لألمانيا التي لاتزال تحتل معظم انحـاء اوربا . ولم يكونوا يعارضون في استخدام فتوحات هتلر للحصول على افضل الشروط لبـلادهم . واسفرت سلسلة المحادثات التي دارت في برلين إبان الايام الاخـيرة من شهر آب بين هـاسيل وبوبيتز واوستر ودوهنانيي والفريق فريدريك اولبرخت رئيس اركان جيش الوطن عن تعهد « الوطنيين الألمان » كما كانوا يلقبون انفسهم بتقديم « مطالب معتدلة للغاية » الى الحلفاء ولكن هناك بعض المطالب ، على حـد تعبير هاسيل التي « لا يمكن لهم ان يتراجعوا عنها ». لم يحدد هاسيل هذه المطالب

---

١ - هاسيل - يوميات ص ٢٠٨ .

التي لا يستطيعون التراجع عنها ، ولكن في وسع المرء ان يستخلص من يومياته الباقية ، انها تشمل الاصرار على المطالبة بحدود المانيا لعام ١٩١٤ في الشرق مع اضافة النمسا وبلاد السوديت اليها.

لكن الوقت لم يكن يتحمل أي تأجيل او ابطاء . وقد دوّن هاسيل بعد مؤتمر عقده مع شركائه في نهاية شهر آب ، في يوميته يقول : « انهم جميعاً متفقون على ان الوقت يسابقنا . وعندما تغدو فرصنا في النجاح طفيفة او تختفي من الوجود ، فلن يبقى امامنا الكثير مما نستطيع عمله » . [١]

وبذل المتآمرون بعض الجهود مع كبار القادة العسكريين في الجبهة الشرقية لاقناعهم باعتقال هتلر إبان حملة الصيف في روسيا . وعلى الرغم من ان الجهود لم تحقق اكلها في هذه المرحلة ، اذ ان كبار القادة كانوا غارقين في الانتصارات الأولية المدهشة التي حققوها ، بحيث كان من المتعذر عليهم حتى التفكير في الانقلاب على الرجل الذي اتاح لهم الفرصة لتحقيق هذه الانتصارات ، إلا ان بذورها ظلت مختفية في عقول العسكريين بحيث قدر لها ان تنمو في النهاية.

وتركزت المؤامرة في ذلك الصيف في مقر قيادة المشيرفون بوك ، الذي كانت جيوشه في الجبهة الوسطى تستهدف موسكو في زحفها . وكان رأس المتآمرين هنا اللواء هيننغ فون تريسكو من اركان حرب المشيربوك ، الذي انقلب حماسه السابق للاشتراكية الوطنية الى عداء دفعه الى الانضمام الىالمتآمرين ويساعده فابيان فون شلابريندورف مرافقه العسكري ، ومتآمران آخران فرضا على بوك كمرافقين له هما الكونت هانز فون هاردنبرغ ، والكونت هنريخ فون ليهندورف ،وكلاهما ينتميان الى اسرتين المانيتين قديمتين وبارزتين[٢] وكان بين المهام التي عهدت اليهما اقناع المشير باعتقال هتلر في احدى زياراته لمقر قيادة الجيوش الوسطى . ولكن كان من الصعب اقناع بوك . وعلى الرغم من ادعاءاته السابقة باحتقار النازية إلا انه كان قد ارتقى سريعاً في ظلها ،وكان

١ ـ يوميات فون هاسيل ص ٢٠٩ .

٢ ـ اعدم النازيون ليهندورف في الرابع من ايلول عام ١٩٤٤ .

من الغرور والطموح على درجة كبيرة بحيث لم يستطع ان يغامر في هذه المرحلة. وعندما حاول تريسكو ذات يوم ان يلفت نظره الى ان الفوهرر يقود البلاد الى الكارثة رد عليه بوك صارخاً « انا لا أسمح لأحد بمهاجمة الفوهرر » [1]

واسقط في يد تريسكو ومرافقه الشاب ولكنهما لم ييأسا . وعندما قام الفوهرر بزيارة مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط في الرابع من آب عام ١٩٤١، في بلدة بوريسوف ، وضع الضابطان خطتهما لاعتقال الفوهرر وهو في سيارته من المطار الى مقر قيادة بوك . ولكن المتآمرين كانا لا يزالان من الهواة ، ولم يكونا قد حسبا حساباً لترتيبات الأمن التي يتخذها الفوهرر . ولم يتح هتلر للضابطين المتآمرين الفرصة للاقتراب منه ، اذ وصل الى المطار يحيط به حرسه الخاص من الحرس النازي ، ولم يستعمل احدى السيارات العسكرية التي جاءت الى المطار لاستقباله ، وانما استخدم اسطول سياراته الخاص الذي اوفد الى المطار قبل وصوله . وقد علمّت هذه القصة المتآمرين من رجال الجيش بعض الدرس ، واولها ، أن الوصول الى هتلر ليس بالأمر السهل ، اذ ان الحراسة عليه شديدة دائماً . أما الدرس الثاني فهو ان وضع اليد على الفوهرر واعتقاله قد لا يحل المشكلة ، طالما ان الفرقاء المهمين إما ان يكونوا جبناء والى حدٍ كبير ، او متمسكين بقسم الولاء الذي اقسموه ، بحيث يتعذر عليهم ان يساعدوا المتآمرين في تنفيذ خطتهم . ولاريب ان بعض المتآمرين الشبان ، وهم من المدنيين الذين ارتدوا الآن الملابس العسكرية من امثال شلابريندورف قد توصلوا الآن أي في خريف عام ١٩٤١ ، وهم برمون ، الى الاستنتاج القائل بأن الطريقة المثلى للخلاص من هتلر وقد تكون الطريقة الوحيدة ، هي قتله . ففي مثل هذه الحالة يمكن للقادة العسكريين الجبناء وقد تحرروا من قسم الولاء للزعيم ان يسيروا مع العهد الجديد ، وان يضمنوا له دعم الجيش وتأييده .

ولكن قادة المؤامرة في برلين لم يكونوا على اهبة بعد للمضي الى هذا الحد .

---

١ شلابريندورف – ص ٣٦ .

وكانوا يحيكون مؤامرة حمقاء اطلقوا عليها اسم « العمل المنعزل » ، واعتقدوا لسبب او لآخر ان هذه المؤامرة سترضي ضمائر الفرقاء من ناحية الايمان التي اقسموها بالولاء للفوهرر ، وفي الوقت نفسه تخلص الرايخ من ادولف هتلر. ومن الصعب حتى في هذا اليوم ، ان نتابع افكارهم في هذا الموضوع ، وكل ما عرفناه هو أنهم اعتقدوا ان كبار القادة العسكريين سواء في الشرق او في الغرب ، سيرفضون عندما يتلقون اشارة اتفق عليها ، اطاعة اوامر هتلر بوصفه القائد الأعلى للجيش . وكان هذا الترتيب يعني نكثهم بيمينهم للفوهرر . ولكن هؤلاء السفسطائيين في برلين ادعوا انهم لا يرون هذه الحقيقة . وذكروا ان الهدف الحقيقي من الخطة على أي حال خلق الاضطراب، مما يسهل السبيل أمام بيك بمساعدة فصائل من الجيش الداخلي في برلين للاستيلاء على السلطة وخلع هتلر ، واعلان الحركة الاشتراكية الوطنية حركة لاقانونية .

ولم يكن الجيش الداخلي في الحقيقة قوة عسكرية صحيحة، وانما كان مجموعة غريبة من المجندين الذين بعد ان يؤدوا بعض التدريب العسكري الأساسي ، يوفدون الى الجبهة ليحلوا محل القتلى او المفقودين من رجالها. وتطلب نجاح المغامرة ، ضمان تأييد بعض كبار القادة في روسيا أو في البلاد المحتلة ، الذين يسيطرون على بعض القوات المؤقتة . وبدا للمتآمرين ان خير من يصلح لهذه المهمة، هو ذلك القائد الذي اشترك مع هولدر في المؤامرة الرامية للقبض على هتلر إبان ازمة ميونيخ ، وهو المشير فون ويتزليبين الذي بات الآن قائداً عاماً في الجبهة الغربية. وقرر المتآمرون ايفاد فون هاسّيل في اواسط كانون الثاني عام ١٩٤٢ لضمان اشتراكه في المؤامرة مع الفريق فون فالكنهاوزن القائد العسكري في بلجيكا ، وللتشاور معهما . واستخدم السفير السابق ، الذي بات مراقباً من الغستابو ، ستار القيام بجولة لالقاء محاضرات يخطب فيها جماعات الضباط وموظفي الاحتلال في موضوع « المجال الحيوي والاستعمار » . وتمكن بين المحاضرات من التشاور بصورة سرية مع فالكنهاوزن في بروكسل ومع ويتزليبين في باريس ، متلقياً من الرجلين انطباعات طيبة ، ولا سيما من القائد الأخير .

وكان المشير قد أحس بالألم لاختفائه عن الأضواء في فرنسا بينما يخوض رفاقه من المشيرين معارك عظيمة في روسيا ، فكان تواقاً للعمل . وقد اعرب لهاسيل عن رأيه في ان خطة « العمل المنعزل » التي وضعوها خطة خيالية طوبائية . وأكد ان العمل المباشر هو السبيل الوحيد. وكان على استعداد لإداء دور بارز. وكان خير وقت لتوجيه الضربة على الغالب ، الصيف القادم ، عندما يستأنف الهجوم الألماني في روسيا . واعتزم اعداداً منه لذلك اليوم العظيم ان يكون في أحسن حالاته الصحية ، وقرر لذلك اجراء عملية جراحية بسيطة . ومن سوء حظ المشير وشركائه، ان هذا القرار أدى الى عواقب مفجعة. فقد كان ويتزليبين يشكو كما شكا فريدريك الأكبر وكثيرون غيره من قبل، من ألم « البواسير » .[1] وكانت العملية اللازمة للشفاء من هذا المرض من النوع العادي الرتيب في دنيا الجراحة ، ولكن عندما طلب ويتزليبين في الربيع اجازة قصيرة لاجرائها والخلاص من الآلام الشديدة التي يعانيها ، اغتنم هتلر هذه الفرصة ، فأحال المشير الى التقاعد من الخدمة الفعلية، وعيّن خلفاً له ، المشير رونشتادت، الذي لا يميل الى التآمر ضد الزعيم الذي عامله قبل قليل ، معاملة سيئة. وهكذا وجد المتآمرون ان أملهم الكبير في الجيش قد غدا مشيراً بلا جنود تحت قيادته ولم يكن في الامكان اقامة عهد جديد من الحكم بلا جنود .

واسقط في يد قادة المؤامرة . وواصلوا عقد اجتماعاتهم السرية ، والحديث عن المؤامرة ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب على ما لحق بهم من يأس . ودوّن فون هاسيل في يومياته في نهاية شباط عام ١٩٤٢، بعد واحدٍ من هذه الاجتماعات التي لا عد لها ولا حصر قائلاً : يبدو في هذه اللحظة اننا عاجزون عن ان نفعل شيئاً مع هتلر . »[2]

ولكن كان في امكانهم ان يفعلوا الكثير في موضوع تقويم افكارهم بصدد

---

١ – كان ملك بروسيا كثيراً ما يشكو من هذا المرض الذي اثر على قواه العقلية وعلى نشاطه البدني ايضاً .

٢ – فون هاسيل ـ مذكرات ـ ص ٢٤٣ .

طراز الحكومة التي يريدون اقامتها في المانيا بعد خلع هتلر وتقوية الحالة المبعثرة التي يجدون انفسهم فيها ، وتوطيد اركان المنظمة غير المجدية التي ينتمون اليها بحيث تستطيع تسلم زمام الحكم عندما تحين الساعة ·

وكان معظم زعماء المقاومة من المحافظين والطاعنين في السن ، ولذا فقد كانوا يتوقون قبل كل شيء الى اعادة ملكية «الهوهنزلرن» الى المانيا . ولكنهم ظلوا مختلفين امداً طويلاً ، على الامير الذي سيرفعونه الى العرش · وكان بوبيتز وهو احد كبار المدنيين من المتآمرين ، يود اعادة ولي العهد المكروه لدى معظم رفاقه ، أما شاخت فكان يؤثر النجل الاكبر لولي العهد ، امير ويلهلم ، بينما يفضل غويردلر النجل الاصغر من ابناء القيصر غليوم الثاني ، وهو الامير اوسكار امير بروسيا . واتفقوا جميعاً على استبعاد الابن الرابع للقيصر وهو الامير اوغست ويلهلم ، أو « اووي » كما يسمونه ، اذ كان من غلاة المتعصبين للنازية ويشغل منصباً بارزاً في الحرس النازي .

وعندما حل صيف عام ١٩٤١ ، كان ثمة شبه اتفاق ، على ان خير مرشح للعرش هو لويس – فرديناند ، النجل الثاني والاكبر من الاحياء لولي العهد.[١] وكان هذا الامير آنذاك في الثالثة والثلاثين من عمره ، وقد عمل نحواً من خمس سنوات في مصانع فورد في ديربورن ، وبات يعمل الآن موظفاً في شركة طيران « لوفتهانزا » ، وكان على اتصال بالمتآمرين ، ولذا فقد نال اعجابهم جميعاً ، وغدا افضل المرشحين من امراء الهوهنزلرن للعرش، نظراً لفهمه عقلية القرن العشرين، وذكائه وميوله الديموقراطية . يضاف الى هذا ،ان الامير كان متزوجاً من أميرة روسية اسمها «كيرا» وهي «غراندوقة سابقة» وتتميز بسعة ادراكها وشجاعتها، كما كان ، وهذا أمر مهم بالنسبة للمتآمرين في هذه المرحلة ، صديقاً شخصياً للرئيس روزفلت الذي سبق له ان دعا الزوجين الى الاقامة في البيت الابيض عندما كانا يقضيان شهر العسل في امريكا في عام ١٩٣٨ .

---

١ – قتل الامير ويلهلم النجل الاكبر لولي العهد في احدى معارك فرنسا في ٢٦ ايار عام ١٩٤٠ .

ولم يكن هاسيل وبعض اصدقائه على يقين مطلق، من ان لويس - فرديناند هو المرشح النموذجي . وقد علق بقسوة في يوميته التي دوّنها في عيد ميلاد عام ١٩٤١ ، عليه بقوله : « انه يفتقر الى كثير من المزايا ، التي لا يستطيع العمل بدونها » . ولكنه اراد ان يجاري شركاءه فوافق عليه .

وكان هاسيل يحصر جل اهتمامه في شكل الحكومة الألمانية المقبلة وطبيعتها. وكان قد اعد في وقت مبكر من ذلك العام . بعد التشاور مع الفريق بيك ومع غويردلر وبوبيتز برنامجاً للفترة الانتقالية ، سرعان ما عاد الى تعديله ، في مشروع آخر أعده في نهاية عام ١٩٤١ .[1] وتضمن المشروع اعادة الحرية الفردية . وان يسند بالسلطان الأعلى في هذه الفترة التي يعد إبانها الدستور الجديد الى وصي يكون رئيس الدولة، ويعيّن حكومة ومجلساً للدولة. وهكذا كان هذا المشروع «جماعياً» في طبيعته ولذا فقد عارضه غويردلر والنقابيون من المتـآمرين ، واقترحوا بديلاً له اجراء استفتاء فوري ، بحيث تستطيع الحكومة المؤقتة الاستناد الى التأييد الشعبي واقامة الدليل على طبيعتها الديموقراطية. ولكن بالنظر الى افتقار المتآمرين الى خطة افضل من مشروع هاسّيل ، فقد قبلوا به بصورة عامة ، كبيان سياسي مؤقت على الأقل يشرح الأهداف ، الى ان تم في عام ١٩٤٣ ، تحت ضغط « حلقة كريساو » التي يتزعمها الكونت هيلموت فون مولتكيه ، وضع برنامج اكثر ليبرالية وتحرراً .

واتفق المتآمرون اخيراً في ربيع عام ١٩٤٢ ، على اختيار زعيم رسمي لهم . وكانوا قد اعترفوا جميعاً بالفريق بيك زعيماً لهم ، لا بالنسبة الى سعة مداركه وقوة شخصيته فحسب ، بل وبالنسبة الى ما يتمتع به من مكانة بـين القادة العسكريين ، وشهرة في البلاد وخارجها . ومع ذلك ، فقد كانوا على شيء كبير من فتور الهمة ، حتى انهم تهاونوا في تنظيم انفسهم وفي تسليمه مقاليد القيادة .

---

١ - يوجد نص المشروع الأول الذي اعد في كانون الثاني - شباط عام ١٩٤٠ في يوميات هاسيل . ص ٣٦٨ - ٣٧٢ . أما نص المشروع الثاني الذي اعد في نهاية عام ١٩٤١ ففي كتاب ويلر - بنيت - نقمة السلطان - الملحق (ا) ص ٧٠٥ - ٧١٥ .

وعلى الرغم من ان البعض وفي طليعتهم هاسّيل كانوا معجبين أشد الاعجاب بالفريق، ويجلّونه اكبر اجلال، إلا انهم كانوا يشكون فيه بعض الشكوك.

وقد دوّن هاسّيل في يومياته، قبيل عيد ميلاد عـــام ١٩٤١ يقول ان « المشكلة الرئيسية عند بيك، هي انه انسان نظري. ولا ريب في ان بوبيتز كان صادقاً عندما وصفه بأنه رجل بارع في الاساليب « التكتيك »، ولكنـه ضعيف في العزم والارادة وقد اثبتت الاحداث فيما بعد، ان هذا الحكم كان صحيحاً، وان طبيعة الفريق التي تتميز بالمراوغة، وافتقاره الى الحسم في بت الأمور والحزم في العمل، قد اديا الى نتائج مفجعة ومحزنة في النهاية.

ومـع ذلك فقد قرر المتآمرون بعد عدة جلسات سرية عقدوها، في آذار عام ١٩٤٢، اسناد القيادة الى بيك، ودوّن السفير السابق هاسّيل في يومياته انهم قرروا في نهاية ذلك الشهر « اختياره زعيماً رسمياً للجماعة » [١]

ومع ذلك ظلت المؤامرة اقرب الى الخيال منها الى الواقع، ويبدو هذا الجو من اللاواقعية الذي أحاط حتى بأكثر الاعضاء فيها حيوية منذ البداية، مسيطراً على جميع احاديثهم ومشاوراتهم التي لا تنتهي، كما يتبيّن لكل من يتابع اخبارهم في السجلات التي خلّفوها وكانوا يعرفون ان هتلر يعتزم استئناف الهجوم في روسيا في الربيع فور جفاف الأرض. واعتقدوا ان هذا الهجوم لن يؤدي إلا الى المزيد من غرق المانيا في اللجة التي دخلتها. ومع انهم اكثروا من الحديث، إلا انهم ظلوا يفتقرون الى العمل. وجلس فون هاسيّل في الثـامن والعشرين من آذار ١٩٤٢، في دارته في ايبنهاوزن يدوّن في يوميته :

« جرى حديث طويل في برلين في الأيام الاخيرة مع جيسّين. [٢]

---

١ ـ فون هاسيل. يوميات ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٢ ـ كان جينز بطرس جيسين استاذ علم الاقتصاد في جامعة برلين، من ادمغـــة المؤامرة. وكان قد تحول الى نازي متعصب في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣١ و ١٩٣٣، واصبح احد المثقفين العباقرة في الحزب. ولكن سرعان ما طاشت احلامه، وخابت آماله بعد عام ١٩٣٣، وتحول بسرعة الى خصم عنيد للنازية وقد اعتقل بتهمة الاشتراك في المؤامرة على حياة هتلر في ...

وكذلك مع بيك وغويردلر . ويبدو ان الأمل ضعيف .»[1]

وكيف يمكن لهذه الآمال انتكون مشرقة ؟ ان المتآمرين يفتقرون حتىالى خطة العمل ، في هذا الوقت ، وقبل ان يفوت الأوان .

ولكن ادولف هتلر ، هو الذي كان قد أعد خططه، لهذا الربيع الثالث من الحرب ، وكانت لديه الارادة الشرسة لتنفيذ هذه الخطط .

آخر هجوم الماني عظيم في الحرب

على الرغم من ان حماقة الفوهرر ، في رفض السماح للجيوش الألمانية بالتراجع في روسيا في الوقت المناسب، قد أسفرت عن خسائر كبيرة في الرجال والمعدات، وأدت الى الانهيار المعنوي في بعض القيادات والى وضع ظلّ يهدد لبضعة اسابيع من شهري كانون الثاني وشباط من عام ١٩٤٢ بالوصول الى كارثة كليـة ، الا ان الشيء الثابت الذي لا يتطرق اليـه الشك ، هو ان تصميم الفوهرر المتعصب على على الصمود والقتال ، قد ساعد في وقف التيار السوفيـاتي . وتولت الشجاعة المأثورة عن الجندي الألماني وتحمّله الشدائد ، ما تبقى من المهمة .

ولم يحل العشرون من شبـاط حتى كان الهجوم الروسي من البلطيق حتى البحر الأسود قد فقد قوة اندفاعه ، وعندما حلت نهاية آذار ، كان فصـل الوحول قد جاء وأدى الى هدوء نسبي في الجبهة الطويلة الدامية ولحق الأعياء بالفريقين . وحسر تقرير عسكري الماني صدر في الثلاثين من آذار عام ١٩٤٢ ، النقاب عن الضريبة الباهظة التي دفعها الألمـان في حرب الشتاء . فقد ذكر هذا التقرير ان ثماني فرق فقط من مجموع (١٦٢) فرقة محاربة في الشرق قد حافظت على طاقتهـا الهجومية . ولم يبق لدى الفرق الست عشرة المدرعة إلا نحو من

⁂ ٢٠ تموز عام ١٩٤٤ ، ونفذ فيه حكم الاعدام في سجن «بلويتزينسيه» في تشرين الثاني من ذلك العام .

١ ـ فون هاسيل ـ يوميات ص ٢٤٧ .

(١٤٠) دبابة صالحة للخدمة وهو أقل من العدد الموجود في فرقة واحدة في العادة .[١]

وراح هتلر ، الذي بات الآن ، القائد العام للجيش الألماني بالاضافة الى منصبه كقائد أعلى للقوات المسلحة، يشغل نفسه في إعداد الخطط اللازمة لهجوم الصيف المنتظر ، بينما كانت قواته تخلد الى الراحة ، والى اعادة تنظيم نفسها ، بل وقبل ذلك حين كانت تتراجع في ثلوج الشتاء . ولم تكن خططه هذه المرّة على نفس الدرجة من الطموح التي كانت لديه في العام المنصرم . ولكن يبدو انه فاء الآن الى عقله ، وأدرك انه ليس بوسعه تحطيم جميع قوات الجيش الأحمر في حملة واحدة. وقرر ان يحشد جماع قواته في هذا الصيف في الجنوب ، وان يحتل حقول زيت القفقاس ، وحوض الدونتس الصناعي ، وحقول الحنطة في كوبان واحتلال ستالينغراد على نهر الفولغا . وكان من المنتظر ان يؤدي هذا الهجوم الى عدة اهداف رئيسية . فهو يحرم الروس من الزيت ومن الكثير من المواد الغذائية والصناعية التي يحتاجون اليها للمضي في الحرب بينما يتيح للألمان الحصول على ما هم بحاجة ماسة اليه من زيت ومن مواد غذائية .

ولقد صرح هتلر للفريق باولوس قائد الجيش الألماني السادس السيىء الحظ قبيل بدء هجوم الصيف بقوله: « اذا لم يتح لي ان احصل على زيت ميكوب وغروزني، فإني سأضطر الى انهاء هذه الحرب »[٢]

وكان في وسع ستالين ان يقول نفس هذا القول ايضاً. فهو في حاجة الى زيت القفقاس ليستطيع المضي في الحرب . وهنا تقوم أهمية ستالينغراد . فاحتلال الألمان لها ، يغلق امام الروس آخر طريق عبر بحر قزوين ونهر الفولغا ،

---

١ - كتاب وزارة الحربية الامريكية عن الحملة الالمانية في روسيا - التخطيط والعمليات ١٩٤٠ - ١٩٤٢ ص ١٢٠ . وتستند هذه الدراسة الى حد كبير على وثائق الجيش الألماني المصادرة والمذكرات التي اعدها قادة الجيش الألماني للحربية الامريكية بعد الحرب ، والتي لم تقدم المدنيين وان كنت مديناً بالفضل لدائرة التاريخ الحربي في وزارة الحربية الامريكية .

٢ - محاكات كبار مجرمي الحرب (٧) ص ٢٦٠

وهي الطريق التي يمكن بواسطتهـا وصول الزيت الى روسيا الوسطى طالما ان جنودها يسيطرون على آبار الزيت .

واحتاج هتلر بالاضافة الى الزيت اللازم لتحريك طائراته ودباباته وشاحناته الى الرجال لسد الفراغ في صفوف قواته التي غدت مفتقرة الى الكثافة. وبلغت الخسائر الاجمالية في نهاية حرب الشتاء (١,١٦٧,٨٣٥ مع استثناء المرضى، ولم يكن لديه عدد متوافر من الجنود ، يسد الفراغ الذي خلفته هــذه الخسائر . وتحوّلت القيادة العامة الى حلفاء المانيا أو على الأصح الى اتباعها ، طالبة منهم قوات اضافية . وهرع الفريق كايتـــل إبان الشتاء الى بودابست وبوخارست ، لتجميع الجنود الرومانيين والهنغاريين وحشد فرق كاملة منهم، للصيف المقبل . وناشد غورنغ واخيراً هتلر نفسه موسوليني ارسال وحدات ايطالية .

ووصل غورنغ الى رومة في نهاية كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، ليؤمن حصول المانيا على نجدات ايطالية لقواتها في روسيا . مؤكداً لموسوليني ان الاتحـــاد السوفياتي سيهزم في هذا العام وان بريطانيا العظمى ستلقي سلاحها في عــام ١٩٤٣ . ووجد شيانو ان مشير الرايخ البدين المولع بالأوسمة بات من النوع الذي لا يطاق . ودوّن في يوميّاته بتاريخ الثاني من شباط ان المشير «كعادته منتفخ الأوداج ، ثقيل الظل » ثم قال :

« وبعد يومين يغادر غورنغ رومة . تناولنـا العشاء في فندق اكسلسيور ، وظل غورنغ يتحدث طيلة العشاء عن المجوهرات التي يملكها . وبالفعل كان يضع عدداً من الخواتم الجميلة في أصابعه ... وكان يرتدي ونحن في الطريق الى المحطة معطفـاً من فرو السمّور هو وسط بين ما كان يرتديه سائقو السيارات في عـــام ١٩٠٦ ، ومـا ترتديه عاهر من الدرجـــة الاولى عندمـا تذهب الى دار الاوبرا »[١]

---

١ ـ يوميات شيانو ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣

وكان فساد الرجل الثاني في الرايخ واهتراؤه يزيدان يوماً بعد آخر. ووعد موسوليني غورنغ بإرسال فرقتين ايطاليتين الى روسيا في شهر آذار، شريطة ان يزودهما الالمان بالمدافع، ولكن قلقه ما لبث ان اشتد من جراء هزائم حليفه في الجبهة الشرقية الى الحد الذي حمل هتلر على ان يقرر ان الوقت بات مناسباً لعقد اجتماع آخر مع صديقه ليشرح له مدى قوة المانيا.

ووقع الاجتماع في سالزبرغ في التاسع والعشرين والثلاثين من شهر نيسان، وقد حلّ موسوليني وشيانو وحاشيتهما ضيوفاً مكرمين في قصر كليشايم الفخم، الذي كان في يوم ما مقر الاساقفة الامراء، والذي أعاد النازيون الآن زخرفته بالستائر والاثاث والسجاد التي جاءوا بها من فرنسا والتي خيل لشيانو انهم «لم يدفعوا فيها ثمناً عالياً». وبدت على الفوهرر مظاهر الاعياء. ودوّن شيانو في يومياته يقول: «يبدو ان شهور الشتاء في روسيا قد أثرت عليه كل التأثير وقربته من الشيخوخة. فقد لاحظت لأول مرة الشيب يصبغ فوديه بالبياض»[1]

وقد استهل الاجتماع بالبيان الألماني المألوف عن تقدير الاوضاع بصورة عامة. واكد ريبنتروب وهتلر لضيوفهما من الايطاليين ان كل شيء على ما يرام في روسيا وشمال افريقيا والغرب، والحرب البحرية. واسرّا لهم ان الهجوم المقبل في الشرق سيستهدف آبار زيت القفقاس، ومضى ريبنتروب يقول:

«وعندما تفقد روسيا مصادر زيتها، فإنها ستضطر الى التسليم. وحينئذ سيحني البريطانيون رؤوسهم لانقاذ ما يمكن انقاذه من امبراطوريتهم المنهارة... أما امريكا فهي «خدعة» كبيرة»

واصغى شيانو، وهو يكبت جماح مشاعره، الى ما يقوله زميله الألماني

---

١ - كان غوبلز قد رأى هتلر قبل نحو من شهر في مقر قيادته واعرب عن ذهوله في يومياته من الاعياء الذي بدا عليه اذ دون قائلاً: «لاحظت ان شعره قد ابيض.. وقد ابلغني انه عانى من عدة نوبات من الدوار. اني قلق أشد القلق على حالة الفوهرر». واضاف غوبلز قائلاً: «انه بات يكره الصقيع والثلج كرهاً فطرياً. ولعل مما يقلق الفوهرر ان الثلج مازال يغطي البلاد» (يوميات غوبلز ص ١٣١ - ١٣٧).

وخيّل اليه ، وهو يستمع الى حديثه عما يمكن لامريكا ان تفعل ، ان الألمان هم الذين « يبلفون » في الحقيقة لا الامريكان ، وانهم عندما يفكرون حقاً في هذا الموضوع « تنتشر الرعشة في ظورهم » .

وكان الفوهرر هو الذي تكلم كعادته طيلة الوقت . ودوّن شيانو في يومياته قائلاً :

« ان هتلر يتكلم ويتكلم ويتكلم ويعاني موسوليني من ذلك اشد الآلام ، فقد تعوّد على ان يكون هو المتكلم دائماً ، ولكنه الآن يجد نفسه مضطراً الى السكوت والاصغاء . وبعد الغداء ، في اليوم الثاني ، وكانت جعبة الحديث قد فرغت ظل هتلر يتكلم بلا انقطاع اربعين دقيقة . ولم ينس حجة واحدة ،أو موضوعاً واحداً . فهو يتحدث عـــن الحرب والسلام ، والدين والفلسفة ، والتاريخ والفن . وظل موسوليني يتطلع بصورة آلية الى ساعته .. والألمان التعساء ملزمون بالاستماع الى هذا الحديث كل يوم ، واني لعلى ثقة من انه ليست ثمة ايماءة أو كلمة أو عبارة ، او وقفة ، لم يحفظها الألمان عن ظهر قلوبهم . وراح الفريق يودل بعد نضال اسطوري يجاهد ويغالب جفنيه ليبعد عنهـما الكرى ، وهو جالس على الاريكة . وكان كايتل مستلقياً في مقعده ولكنه نجـــح في الابقاء على رأسه عالياً . ان صلاته الوثيقة بهتلر تمنعه من النوم »[1]

وعلى الرغم من هذا التهور الهائل من الحديث والثرثرة او ربما نتيجة له ، تمكن هتلر من الحصول على وعدٍ من الدوتشي بإرسال المزيد من «الطعام البشري» لنيران مدافـع الجبهة الروسية . وهكذا كللت مهمته هو وكايتل بالنجاح لدى « الاتباع » حتى ان القيادة العليا الألمانـية حسبت ان في استطاعتها الحصول على اثنتين وخمسين فرقة « حليفة » لمهمة الصيف ، منها (٢٧) فرقة رومانية و

---

١ - يوميات شيانو ص ٤٧٨ - ٤٧٩

(١٣) مجرية و (٩) ايطالية ، وفرقتان سلوفاكيتان وفرقة اسبانية . وتؤلف هذه الفرق ربع قوة المحور المشتركة في الشرق . وهكذا تقرر تزويد الجبهة الجنوبية حيث ستوجه الضربة الرئيسية ، بإحدى واربعين فرقة جديدة منها احدى وعشرون فرقة من حلفاء المانيا تضم عشراً مجرية وستاً ايطالية وخمساً رومانية . ولم يرغب هولدر ومعظم القادة العسكريين الآخرين في ان يركزوا آمالاً كثيرة على مثل هذا العدد الضخم من الفرق « الاجنبية » ، التي كانوا يشكون حقاً في كفاياتها القتالية . ولكنهم نظراً لافتقارهم الشديد الى الرجال ، اضطروا الى قبول هذا الوضع ، وكان قرارهم هذا عاملاً مهمّاً قريب في الكارثة التي حلت في الشرق .

وكان نجم المحور في مطلع صيف عام ١٩٤٢ في سعود . فقد حقق حتى قبل بدء الوثوب نحو القفقاس وستالينغراد نصراً مثيراً في شمال افريقيا. وكان الفريق رومل قد استأنف الهجوم في الصحراء في السابع والعشرين من ايار عام ١٩٤٢ .[1] ووجه بفيلقه الافريقي المشهور المؤلف من فرقتين مدرعتين وفرقة مشاة آلية اخرى ، هجوماً سريعاً تعززه ثماني فرق ايطالية احداها مدرعة . وسرعان ما ارغم جيش بريطانيا الصحراوي على التراجع نحو الحدود المصرية . واستولى في الواحد والعشرين من حزيران على طبرق مفتاح الخطوط الدفاعية البريطانية بعد ان صمدت في الهجوم الأول تسعة اشهر طويلة ، وبعد يومين كان يجتاز الحدود المصرية . ولم تحل نهاية حزيران ، حتى كان على ابواب العلمين التي تبعد خمسة وستين ميلاً الى الغرب من الاسكندرية ومن دلتا النيل . وخيّل للكثيرين من ساسة الحلفاء الذين وقفوا مشدوهين أمام الخرائط يتطلعون إليها

---

١ - كانت قوات رومل قد اجبرت بعد سلسلة من المعارك الوحشية مع البريطانيين في شهري تشرين الثاني وكانون الأول عام ١٩٤١ ، على التراجع عبر برقة الى منطقة العقيلة في طرفها الغربي ولكنه ما لبث بدهائه المألوف وجرأته ان عاد الى الاندفاع في كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، فاستولى على الاراضي التي فقدها ، وذلك في زحف سريع دام سبعة عشر يوماً احتل الغزالة التي شرع منها في زحفه الجديد في ايار عام ١٩٤٢ .

انه لم يعد ثمة ما يحول بين رومل وبين توجيه ضربة قاضية الى البريطانيين باحتلال مصر ، ومن ثم الزحف بعد وصول النجدات اليه شمالاً لاحتلال حقول الزيت العظيمة في الشرق الاوسط ، والاندفاع الى القفقاس للالتقاء مع الجيوش الألمانية في روسيا ، التي كانت قد شرعت في زحفها باتجاه تلك المنطقة من الشمال .

ومثلت هذه اللحظات اكثر ايام الحرب قتاماً بالنسبة الى الحلفاء واكثرها اشراقاً بالنسبة الى المحور . ولكن هتلر ، لم يكن يفهم كما ذكرنا من قبل الحرب على صعيدها العالمي ، ولم يـدرِ كيف يستغل انتصارات رومل المدهشة في افريقيا . وقد انعم على القائد الجريء بعصا الماريشالية . ولكنه لم يبعث اليه بما هو في حاجة اليه من نجدات ومؤن .[1] وكان تحت إلحاف امير البحر ريدر وحث رومل ، قد وافق برماً على ايفاد الفيلق الافريقي وقوة طيران صغيرة الى ليبيا ، ولكنه لم يفعل هذا إلا ليحول دون انهيار الايطاليين في شمال افريقيا ، لا بقصد الانسجام مع اهمية احتلال مصر .

وكانت جزيرة مالطة الصغيرة هي محور هذا الاحتلال بالفعل . وهي جزيرة صغيرة في المتوسط تقع بـين صقلية وقواعد المحور في ليبيا . وكانت القاذفات البريطانية والغواصات والسفن الحربية الاخرى ، تعمل من هذه القلعة ، وتنزل

---

١ - تألم موسوليني اشد الألم من إنعام هتلر على رومل برتبة « المشير » بعد احتلاله طبرق ، وذلك لأن هذا الانعام ، كما دون شيانو في يومياته قد اضفى على المعركة طابعاً المانياً . وهرع الدوتشي فوراً الى ليبيا ليغتصب الأمجاد لنفسه ، معتقداً انه سيكون في وسعه دخول الاسكندرية ، كما قال شيانو ، « في غضون خمسة عشر يوماً » . واتصل في الثاني من تموز بهتلر برقياً للتشاور معه في « موضوع الحكومة السياسية المقبلة في مصر » ، مقترحاً ان يكون رومل القائد العسكري وان يعين ايطالي لمنصب « المفوض المدني » ورد هتلر بأنه لا يعتبر المسألة مستعجلة تستحق هـذا الاهتمام (يوميات شيانو ص ٥٠٣ – ٥٠٤) .

وظل موسوليني ينتظر بفارغ الصبر في درنه الواقعة وراء الجبهة . وتذكر الفريق فريتز بايرلين رئيس اركان حرب رومل فيما بعد فقال :(أجل ظل موسوليني ينتظر اليوم الذي يستعرض فيه دبابات المحور في ظلال الاهرامات) - (القرارات القدرية اعـداد فريدين وريشاردسون ص ١٠٣) .

الدمار بالبواخر الألمانية والايطالية التي تحمل الرجال والعتاد الى شمال افريقيا. وقد غرق من هذه البواخر في شهر آب عام ١٩٤١ نحو من (٣٥) في المائة من مجموع البواخر التي تنقل لرومل نجداتـــه ومؤنه ، بينما غرق في شهر تشرين الأول نحو من (٦٣) في المائة . ودوّن شيانو في يومياته في التاسع من تشرين الثاني بشيء مـن الأسى يقول :

« لقد تخلينا منذ التاسع عشر من ايـــلول عن محاولة مرور القوافل الى ليبيا . فقد دفعنا ثمناً غالياً لكل محاولة من هـــذه المحاولات ... وقد اعدنا المحاولة الليلة . وارسلنا قافـلة من سبـع بواخر يحرسها طرادان مـــن حمولة العشرة آلاف طـــن وعشر مدمرات ... وقد غرقت جميع بواخرنا ، اجـل جميعها . وعاد البريطانيون الى مينائهم في مالطة بعد ان ذبحونا . »[١]

وحوّل الألمان ولكن بعد طويل وقت ، عدداً من غواصاتهم من معركة الاطلسي الى البحر الابيض المتوسط ، وتلقى كيسلرنغ اسراباً اضافية جديدة من الطائرات لقواعده في صقلية . وقد تقرر تجميد مالطة ومنعها من العمل ، وتحطيم الاسطول البريطاني في شرق المتوسط ، اذا كان ذلـك ممكناً . وكان البريطانيون قد خسروا حتى نهاية عام ١٩٤١ ، ثلاث بوارج ،وحاملة للطائرات وطرادين وعدة مدمرات وغواصات ، واضطر ما تبقى من اسطولهم الى اللجوء الى القواعد المصرية . وظلت القاذفات الألمانية تقصف الجزيرة بحممها ليلاً ونهاراً عدة اسابيع متلاحقة . وادى ذلك الى مرور التموينات الألمانية بسلام ، ولم يخسر المحور في شهر كانون الاول أية باخرة وتمكن رومل مـــن تعزيز قواته استعداداً للاندفاع العظيم داخل مصر .

وتحدث امير البحر ريدر الى هتلر في شهر آذار ، وحثه على الموافقـة على الخطة التي وضعت لهجوم رومل نحو نهر النيل (عملية عائدة) وعلى الخطـــة

---

١ - يوميات شيانو ص ٤٠٣ - ٤٠٤

الرامية لاستيلاء المظليين على مالطه (عملية هرقل) وكان من المقرر ان يبدأ الهجوم من ليبيا في نهاية ايار ، وان يقع على مالطه في منتصف تموز . ولكن هتلر ما لبث في الخامس عشر من حزيران ، وكان رومل في خضم انتصاراته الأولية ، أن أجل الهجوم على مالطة . وراح يوضح لريدر قائلاً انه لا يستطيع توفير أي جنود أو طائرات من الجبهة الروسية وعاد بعد بضعة اسابيع فكرر تأجيل عملية هرقل ، قائلاً ان في وسعها ان تنتظر حتى يتم هجوم الصيف في الشرق تحقيق هدفه ، وحتى يكون رومل قد احتل مصر .[1] واضاف ان في الامكان ابقاء مالطة هادئة في غضون ذلك بفضل الغارات الجوية المستمرة عليها .

ولكن مالطه لم تهدأ ،وادى فشل الألمان في تجميدها،أو الاستيلاء عليها الى دفعهم عما قريب ثمناً غالياً . وتمكنت قافلة بريطانية ضخمة من الوصول الى الجزيرة المحاصرة في السادس عشر من حزيران ، وادى وصولها على الرغم من خسارة بعض السفن الحربية وبواخر الشحن في العملية ، الى عودتها الى الحياة . ونقلت طائرات «السبيتفاير» الى الجزيرة من حاملة الطائرات واسب (Wasp) ، وتمكنت بعد برهة قصيرة من طرد القاذفات الالمانية من الاجواء . وسرعان ما أحس رومل بالأثر اذ اغرق ثلاثة ارباع سفن التموين المرسلة اليه .

وكان قد وصل الى العلمين ، ولديه ثلاث عشرة دبابة فقط صالحة للعمل .[2] ودوّن في يوميته بتاريخ الثالث من تموز يقول : « ان قوتنا قد اضمحلت » وقد وقع هذا في اللحظة التي بدأت تترامى فيها أمام انظار الالمان اهرامات مصر ، والجائزة المغرية بالوصول الى النيل والسويس . وهكذا ضاعت فرصة اخرى ، ولعلها من آخر الفرص التي شاءت العناية الالهية ان تمنحها لهتلر ، مع ما فيها من طلائع الحرب وسعودها .

---

١ - مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٤٢ . ص ٤٢ و ٤٧ .

٢ - جاءت هذه المعلومات في شهادة الفريق بايرلين بعد الحرب . ومن المحتمل ان يكون مبالغاً في تعداد خسائره . أما مخابرات الحلفاء فتقدر العدد ب (١٢٥) دبابة .

هجوم الصيف الالماني في روسيا

١٩٤٢

بدا هتلر في نهاية صيف عام ١٩٤٢ . وكأنه مازال في قمة العالم . فالغواصات الالمانية تغرق ما حمولته (٧٠٠) الف طن من البواخر البريطانية والامريكية في الشهر الواحد في الاطلسي ، وهو رقم يفوق ما يمكن لاحواض بناء السفن في الولايات المتحدة وكندا واسكوتلندة ان تنتجه . وعلى الرغم من أن الفوهرر كان قد عرّى قواته في الغرب من رجالها ودباباتها وطائراتها ، رغبة منـــه في الخلاص من روسيا ، إلا انه لم تبد ثمة اية دلالة في الصيف على ان البريطانيين والامريكيين كانوا اقوياء الى الحد الذي يمكنهم من القيام بحركة انزال مهـما ضؤلت عبر القناة . ولم يغامروا حتى بمحاولة الاستيلاء على ممتلكات فرنسا في افريقيا الشمالية ، على الرغم من الحقيقة الواقعة وهي ان فرنسا التي اضعفتهـا الولاءات المجزأة لم تكن تملك ما تدرأ به هذه المحاولات إن وقعت ، بينما لم يكن الالمان يملكون شيئاً سوى بعض الغواصات ، وحفنة من الطائرات العاملة من ايطاليا وطرابلس .

وعجزت الطائرات البريطانية والاسطول البريطاني عن منـع الطرادين – البارجتين الالمانتين ، شارنهورست « وغنيزناد » والطراد الثقيـــل « البرنس يوجين » من اقتحام القناة الانكليزية في وضح النهار ، والوصول بأمان الى مياه الوطن من بريست . [1] وكان هتلر يخشى ان يقوم البريطانيون والامريكيون

---

١ ـ وقع هذا في ١١ - ١٢ شباط عام ١٩٤٢ ، وكان بمثابة مباغتة ضخمة فوجىء بهـــا البريطانيون . ولم يكن بالإمكان إلا حشد قوى ضعيفة بحرية وجوية في الوقت المناسب لمهاجمة الاسطول الألماني وقد الحقت به خسائر طفيفة . وعلقت صحيفة التايمز اللندنية تقول : لقد نجح نائب الاميرال سيلياكس (الذي قاد عملية التسلل) ، حيث فشل الدوق ميدينا سيدونيا ... ولم يحدث منذ القرن السابع عشر ما هو اشد ايلاماً لكرامة قوة بحرية كبريطانيا في مياهها الداخلية من هذا) .

باحتلال شمال النروج ، ولعل هذا كان السبب في اصراره على إعادة هـذه القطع البحرية من بريست ، وذلك لاستخدام هـذه القطع الثلاث الثقيلة في الدفاع عن المياه النروجية . وراح يقول لريدر في نهاية كانون الثاني عام ١٩٤٢ ان « النروج هي منطقة القدر » وان من الواجب الدفاع عنها مهما كان الثمن. وقد اثبتت الوقائع التي تلت ، ان لا ضرورة لكل هذه الاحتياطات . فلقد كانت هناك خطط أخرى تنتظر القوات الانكليزية والامريكيـة في الغرب .

وبدت مساحات الفتوحات الالمانية على الخريطة في ايلول عـام ١٩٤٢ ، مدهشة تأخذ العقل . وكان البحر الابيض المتوسط قد غدا في الواقـع بحيرة المحور ، تحتل المانيا وايطاليا معظم سواحله الشمالية من اسبانيا الى تركيا والقسم الاكبر من سواحله الجنوبية من تونس الى نحو ستين ميلاً من نهر الراين . وكانت القوات الالمانية بالفعل تقف موقف الحارس من رأس الشمال في النروج عند المنطقة القطبية حتى مصر ومن بريست على الاطلسي الى القسم الادنى من نهر الفولغا على حدود آسيا الوسطى .

ووصلت قوات الجيش الالماني السادس الى الفولغا الى الشمال من ستالينغراد في الثالث والعشرين من آب . وكان عـلم الصليب المعقوف قد ارتفع قبل يومين فوق جبل البروس ، وهي اعلى قمة في جبال القفقاس اذ ترتفع (١٨,٤٨١) قدماً عن سطح البحر . واستولى الالمان في الثامن من شهر آب ، على حقول زيت ميكوب التي تنتج مليونين ونصف ميلون من الاطنان في العام ، ولكنهـم وجدوها مخربة كل التخريب . ووصلت دبابات كلايست في الخامس والعشرين الى موزدوك التي لا تبعد الا خمسين ميلاً عن مركز الزيت السوفياتي الأساسي حول غروزني ، وقرابة مائة ميل فقط عن بحر قزوين . ولم يحل الواحد والثلاثون من آب حتى كان هتلر يحث المشير ليست قائد الجيوش العـاملة في القفقاس ، ليحشد كل ما لديه من قوات للشروع في الاندفاع الاخير نحو غروزني حتى يضع يده على حقول الزيت . وفي ذلك اليوم نفسه ، الاخير من شهر آب ، شن رومل هجومـه على العلمين يحدوه الأمل الكامل باختراق الجبهة البريطانيـة

والوصول الى النيل .

وعلى الرغم من ان هتلر لم يكن قط راضياً عن النتائج التي حققها قادته العسكريون ، اذ كان قد نحى المشير فون بوك من قيادة الجبهة الجنوبية كلها ، في الثالث عشر من تموز، وعلى الرغم من انه كان كما يقول هولدر في يومياته يلحف باستمرار ، شاتماً مرعداً ومزبداً ، على القادة الآخرين وهيئة اركان الحرب ، بوجوب التقدم بسرعة اكبر، إلا انه كان يعتقد ان النصر الحاسم بات في قبضته. وقد اصدر امره الى الجيش السادس والى الجيش المدرع الرابع بالالتفاف شمالاً مع نهر الفولغا ، وراء ستالينغراد بعد احتلالها ، في حركة تطويقية ضخمة تمكنه في النهاية من التقدم نحو روسيا الوسطى وموسكو من الشرق ، في الوقت الذي تتقدم فيه قواته من الغرب . واعتقد ان الروس قد انتهوا ، وتحدث عنه هولدر في هذه اللحظة ، فقال انه كان يتكلم عن الاندفاع بجزء من قواته عبر ايران الى الخليج الفارسي ، [1] وعن الالتقاء سريعاً مع اليابانيين في المحيط الهندي . ولم يكن لديه شك في صحة تقرير للمخابرات الالمانية بتاريخ التاسع من ايلول ، يقول ان الروس قد استخدموا كل ما لديهم من قوات احتياطية في الجبهة كلها. وكانت افكاره تتحول في حديث له مع امير البحر ريدر في نهاية شهر آب ، من روسيا التي بات يعتبرها « المجال الحيوي الواقي من الحصار » الى البريطانيين والامريكيين ، الذين كان على ثقة من انهم سيرغمون عما قريب « على التفاوض لعقد الصلح . » [2]

ولكن على الرغم من اشراق جميع الظواهر في تلك الفترة ، إلا انها كانت على حد تعبير الفريق زيتزلر ، سراباً خادعاً . وكان جميع القادة العسكريين ، سواء منهم قادة الميدان أو رجال هيئة اركان الحرب ، يرون نقاط ضعف وعيوباً في الصورة الجميلة . وفي الامكان تلخيص هذه العيوب . فالألمان لا يملكون الموارد من رجال ومدافع ودبابات وطائرات ، ووسائل نقل ، التي

---

١ — هولدر « هتلر كقائد ميدان » ص ٥٠ ، ٥١ .

٢ — مؤتمرات هتلر في الشؤون البحرية ١٩٤٢ ، ص ٥٣

تمكنهم من الوصول الى الاهداف التي اصر هتلر على وجوب تحقيقها وعندما حاول روملل ان يسرد هذه العقبات لسيد الحرب بالنسبة الى جبهة مصر، أمره هتلر بأن يمضي الى اجازة مرضية يقضيها في جبال سيميرينغ . وعندما حاول هولدر والمشير ليست ، ان يقوما بنفس العمل بالنسبة الى الجبهة أمر بصرفهما من الخدمة .

وكان في وسع اكثر الهواة في فن السوقية العسكرية بداية ، ان يرى الخطر المتزايد على الجيوش الألمانية في جنوب روسيا، عندما شرعت المقاومة السوفياتية تتصلب في القفقاس وستالينغراد ، وعندما اقترب موسم امطار الخريف. وكان الجناح الشمالي للجيش السادس ، مكشوفاً بصورة خطرة على طول خط اعالي الدون مسافة (٣٥٠) ميلاً من ستالينغراد الى فوردنج . وكان هتلر قد عهد بحماية هذا الجناح الى ثلاثة جيوش تابعة ، وهي الجيش المجري الثاني الى الجنوب من فوردنج والجيش الايطالي الثامن الى الجنوب الشرقي والجيش الروماني الثالث الى اليمين عند منحنى الدون الى الغرب من ستالينغراد. وبالنظر الى العداء المستحكم بين الرومانيين والمجريين ، تطلب الوضع ، الفصل بينهما بالقوات الايطالية وكان ثمة جيش تابع رابع في السهوب الواقعة الى الجنوب من ستالينغراد، وهو الجيش الروماني الرابع وبالاضافة الى ان الكفايات القتالية في هذه الجيوش كلها كانت ضعيفة فإنها كانت مفتقرة الى العتاد اللازم،كالقوة المدرعة والمدفعية الثقيلة والحركة . وكانت منتشرة كذلك بشكل جعلها تفتقر الى التكثف . فالجيش الروماني الثالث مسؤول عن الدفاع بأفواجه التسعة والستين عن جبهة تمتد (١٠٥) اميال . ولكن ماذا يفعل هتلر ، وهذه الجيوش الحليفة هي كل ما تبقى لديه . ولم تكن هناك وحدات المانية كافية لملء الفراغ . ولما كان يعتقد كما قال لهولدر ان الروس قد «انتهوا» ، فلم يكن يحس بأي قلق من هذه الجبهة الطويلة والعارية على نهر الدون .

ومع ذلك ، فقد كانت هذه الجبهة هي مفتاح الحفاظ على الجيشين السادس والرابع المدرع في ستالينغراد ، ومجموعة الجيوش (ا) في القفقاس . فإذا انهار

جناح الدون تعرضت القوات الالمانيـة في ستالينغراد للتطويق وقطعت طريق العودة على القوات العاملة في القفقاس . وأراد سيد الحرب النازي ان يقامر مرة اخرى . ولم تكن هذه المقامرة هي الوحيدة في حملة الصيف كلها .

ففي الثالث والعشرين من تموز ، وكان الهجوم في ذروته ، قامر هتلر مقامرة سابقة . كان الروس يتراجعون تراجعاً كاملاً بين الدونتس والدون الأعـــلى ، متقهقرين بسرعة الى ستالينغراد باتجاه الشرق ، والى مصب الدون في الجنوب . وتحتم عليه ان يتخذ قراراً ، فهل يركز القوات الالمانية لاحتـــلال ستالينغراد واغلاق طريق نهر الفولغا ، أو يوجه ضربته الرئيسية في القفقاس بحثاً عن الزيت الروسي ؟ وكان هتلر في وقت مبكر من ذلك الشهر قد فكر في هذه القضيـة المعقدة ، ولكنه لم يكن قد حزم أمره مطلقاً . كانت رائحة الزيت قد استهوته في البداية ، وفي الثالث عشر من تموز فصل الجيش المدرع الرابع من مجموعة الجيوش (ب) ، الزاحفة جنوباً مع الدون نحو المنحنى ونحو ستالينغراد الواقعة الى الوراء ، وأمر بإيفادها جنوباً لمساعدة جيش كلايست المدرع الاول ، في عبور الدون الادنى على مقربة من روستوف باتجاه حقول الزيت في القفقاس . وكان من المحتمل ان يتمكن الجيش المدرع الرابع آنذاك من الاسراع الى ستالينغراد واحتلالها ، اذ لم تكن قد حصنت بعد . وعندما أدرك هتلر غلطته ، كان الوقت قد فات ، وضاعف خطأه . فقد أمر بإعادة الجيش الرابع بسرعة الى جبهـــة ستالينغراد بعد اسبوعين ، وكان الروس قد استفاقوا من هول الضربة الاولى ، وأعدوا مواقعهم لوقف زحفه ، بينما أدى سحبه من جبهة القفقاس الى اضعاف قوات كلايست بحيث غدت عـاجزة عن اكمال زحفهـــا الى حقول الزيت في غروزني .[1]

---

١ — أيد كلايست هذه الحقيقة لليدل هارت فقال : « كان في وسع الجيش المدرع الرابع ان يجعل ستالينغراد دون قتال في نهاية شهر تموز ، ولكنه تحول نحو الجنوب لمساعدتي في عبور نهر الدون . ولم اكن في حاجة الى مساعدته . اذ ضايقني في الطرق التي استخدمها . وعندمـــا عاد الى الشمال بعد اسبوعين كان الروس قد حشدوا قوات كافية في ستالينغراد لوقف زحفه » ....

وكان نقل هذه الوحدة المدرعة الضخمة الى ستالينغراد نتيجة القرار القدري الذي اتخذه هتلر في الثالث والعشرين من تموز . فقد ضمّن تصميمه العنيد على احتلال ستالينغراد والقفقاس في نفس الوقت خلافاً لنصيحة هولدر وقادة الميدان الذين لم يصدقوا إمكان تحقيق الهدفين في وقت واحد ، توجيهه رقم (٤٥) الذى بات مشهوراً بين اساطير الجيش الألماني . حقاً لقد كان هذا التوجيه من اكثر الحركات التي اتخذها هتلر في الحرب قدرية ، اذ انه ادى في النهاية وبعد وقت قصير الى فشله في تحقيق الهدفين وأسفر عن اكبر هزيمة اذلالاً في تاريخ السلاح الألماني ، مؤكداً له انه لن يستطيع كسب الحرب ، وان ايام الرايخ الثالث الذي سيعيش الف عام قد باتت معدودة .

واصاب الذعر الفريق هولدر ، ووقعت جلسة عاصفة في « وكر الذئب » في مقر القيادة العامة في اوكرانيا على مقربة من فينيتسا ، الذي كان هتلر قد انتقل اليه في السادس عشر من تموز ليكون قريباً من الجبهة . وقد حث رئيس هيئة اركان الحرب على وجوب تركيز القوات الرئيسية على هدف الاستيلاء على ستالينغراد ، وحاول ان يوضح ان الجيش الالماني لا يملك القوة الكافية لتنفيذ الهجومين القويين في وقت واحد وفي اتجاهين مختلفين . وعندما رد هتلر بأن الروس قد « انتهوا » ، حاول هولدر إقناعه ، بأنه وفقاً لما لدى مخابرات الجيش من معلومات ، فإن هذا القول بعيد عن الحقيقة كل البعد . ودوّن هولدر بأسى في يومياته تلك الليلة يقول :

« يتخذ التقليل المستمر من ممكنات العدو وطاقاته شكلاً ضخماً ، وقد بات خطراً كل الخطورة . وقد بات العمل الجدي هنا مستحيلاً . وتضفي ردود الفعل المريضة على التأثيرات الوقتية ، والافتقار الكامل الى الطاقة على تصميم الوضع . وما فيه من

---

* وكان كلايست في هذا الوقت قد بات في حاجة الى قوة الدبابات الاضافية . «وكان في وسعنا ان نصل الى هدفنا - وهو زيت غروزني - لو لم تسحب هذه القوات مني .. المساعدة في الهجوم على ستالينغراد » (ليدل هارت - الفرقاء الألمان يتكلمون ص ١٦٩ - ١٧١) .

احتمالات على هذه « القيادة » المزعومة طبيعة غريبة كل الغرابة » .

وعاد رئيس هيئة اركان الحرب ، الذي باتت ايامه معدودة في منصبه الآن الى هذا الوضع ثانية وكتب يقول :

« باتت قرارات هتلر لا تتفق مطلقاً مع مبادىء السوقية العسكرية والعمليات الحربية ، المقررة في الفن العسكري منذ اجيال بعيدة . ولم تكن هذه القرارات إلا ثمرة مزاج عنيف يتبع التأثيرات المؤقتة ، ولا يعترف بأية حدود للطاقات والممكنات ، وانما يجعل من احلام يقظته ، الدافع لجميع هذه الاعمال . » [1]

وعاد هولدر فيما بعد فروى قصة عما اسماه « بالمبالغات المريضة في تقدير القوة الحقيقية لطاقات القائد الاعلى ، والتقليل الاجرامي في تقدير قوة العدو » على النحو التالي :

« وفي ذات يوم تلا أحد المسؤولين تقريراً موضوعياً على مسامع هتلر ، يظهر ان ستالين كان لا يزال قادراً في عام ١٩٤٢ ، على حشد قوات تتراوح بين المليون والمليون والربع من الجنود غير المجهدين في المنطقة الواقعة الى الشمال من ستالينغراد والغرب من نهر الفولغا ، وحشد نحو من نصف مليون من الجنود في القفقاس، ويقدم الدليل المادي على ان انتاج روسيا من الدبابات للخط الأول يبلغ نحواً من (١٢٠٠) دبابة في الشهر ، هجم القائد الاعلى على الرجل، وقد ضم قبضته وتدفق الزبد من شدقيه ، ومنعه من قراءة ما اسماه بالهذر الأحمق » [2]

ويقول هولدر ، « ولم يكن المرء في حاجة الى مواهب الانبياء والعرافين ليتبين ماسيقع عندما يطلق ستالين هذه القوات التي يبلغ تعدادها مليوناً ونصف

---

١ ـ هولدر « هتلر كقائد ميدان » ص ٥٠ .
٢ ـ هولدر « هتلر كقائد ميدان » ص ٥٢

المليون على ستالينغراد وجناح الدون [1] . وقد بيّنت هذه الحقيقة لهتلر بكل وضوح . » وكانت النتيجة تنحية رئيس هيئة اركان الحرب من منصبه .

ووقع هذا في الرابع والعشرين من ايلول . وعندما كان هولدر قبل ذلك بأيام أي في التاسع من ايلول ، قد سمع من كايتل نبأ تنحية المشير ليست مـــن القيادة العامة لجميع القوات العاملة في القفقاس ، ادرك انّدوره قد اتى. وقيل له ان الفوهرر بات مقتنعاً من انه « لم يعد ذا كفاية للمتطلبات النفسية التي يفرضها عليه مركزه » . وقد شرح هتلر قوله هــذا شرحاً اكثر تفصيلاً لرئيس اركان حربه في اجتماعهما الوداعي في الرابع والعشرين .

قال هتلر : « لقد كنت واياك نعاني من اعصابنا . ويرجع نصف مـــا اعانيه من اجهاد عصبي اليك . ولا أرى خيراً في الاستمرار على هذا النحو . ونحن في حاجة الآن الى الحماس الاشتراكي الوطني لا الى القدرة المهنية. ولا يمكنني ان اتوقع مثل هذا الحماس من ضابط من ابناء المدرسة القديمة مثلك » .

وعلق هولدر فيما بعد قائلاً : « كان هذا هو حديثه . وكان فيــه اقرب الى المتعصب السياسي منه الى القائد العسكري المسؤول » . [1]

وهكذا اخرج فرانز هولدر من المسرح . ولم يكن بدوره خاليـــاً من الاخطاء . التي تشبه اخطاء سلفه الفريق بيك ، في انه كان مشوش الفكر ، خائر العزيمة ، مشلول الارادة على العمل . وعلى الرغم من انه كثيراً ما وقف ضد هتلر ، وان كانت وقفاته دون أي تأثير ، إلا انه كان كغيره من ضبــاط الجيش الذين احتلوا ارفع الرتب في الحرب الكونية الثانية ، قد قطع اشواطاً

---

١ - ويقول هولدر انه وجد عرضاً في اوكرانيا في ذلك الوقت كتاباً عن الهزيمة التي ألحقها ستالين بالفريق دينيكين ، بين منحنى الدون وستالينغراد اثنـــاء الحرب الاهلية في روسيا . ويضيف ان الوضع كان آنذاك مماثلاً للوضع الحالي في عام ١٩٤٢ ، وكيف ان ستالين استغل « ببراعة فائقة » ضعف دفاع دينيكين على طول نهر الدون . ثم مضى يقول : (ومن هنا نشأ تبديل اسم المدينة من (تساريتسين) الى ستالينغراد .

٢ - اقتبست اقوال هتلر وهولدر من يوميات الاخير وكتابه ومن كتاب (هاينز شرويتر) - ستالينغراد ص ٥٣

بعيدة معه ، مساعداً اياه في اعتداءاته الشريرة وفتوحاته . ومع ذلك فقد ظلّ محتفظاً ببعض الفضائل التي تمت الى عصور اكثر فضيلة . وكان آخر من تولى رئاسة اركان حرب جيش الرايخ الثالث من ابناء المدرسة القديمة [١] . وقد خلفه في منصبه الفريق كورت زيتزلر وهو ضابط شاب من طراز مختلف ، كان يعمل رئيساً لاركان المشير رونشتادت في الغرب ، واحتمل الآن في منصبه الجديد الذي كان يعتبر ولا سيما في الحرب الكونية الأولى اعلى مناصب الجيش الألماني واكثرها مسؤولية ، ما لا يحتمله « آذن » في مكتب الفوهرر ، حتى جرت محاولة اغتيال الديكتاتور في تموز عام ١٩٤٤ . [٢]

ولم يؤد تبدل رئيس هيئة اركان الحرب الى أي تبدل في وضع الجيش الألماني الذي توقف زحفه المزدوج الآن من جراء اشتداد المقاومة السوفياتية . واستمر قتال الشوارع المرير طيلة شهر تشرين الأول في مدينة ستالينغراد نفسها . واحرز الألمان بعض التقدم من بناية الى بناية ، ولكن بعد خسائر مذهلة ، اذ ان حطام مدينة كبيرة يقدم ، كما يعرف كل من خبر الحروب العصرية ، فرصاً عدة لاشتداد المقاومة وإطالتها ، وقد استغل الروس كل شبر من هذا الحطام اكبر استغلال .

---

١ كان فصل هولدر من منصبه خسارة ، لا للجيش الألماني وحده بل وللمؤرخين ايضاً ، اذ ان يومياته التي لا تقدر بثمن قد انتهت في الرابع والعشرين من ايلول عام ١٩٤٢ . وقد اعتقل في النهاية واودع في معتقل داخاو ، مع غيره من كبار المسجونين من امثال شوشنيغ وشاخت ، وحررته القوات الامريكية في نيدر دوف في جنوب التيرول في ٢٨ نيسان ١٩٤٥ . وقد تعاون منذ ذلك التاريخ حتى وضع هذا الكتاب مع الجيش الأمريكي في عدد من الدراسات التاريخية للحرب العالمية الثانية . واني لمدين له بكثير من الردود على الاسئلة التي وجهتها اليه وبارشادي الى بعض المصادر .

٢ كان الفريق يودل ، رئيس قسم العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة ، والمعروف بأمانته وولائه للفوهرر ، موضع الزراية في هذا الوقت ايضاً فقد عارض في فصل المشير ليست والفريق هولدر وساقه دفاعه عنهما الى التعرض لغضب هتلر الذي ظل شهوراً طويلة ، يرفض مصافحة يودل ، أو تناول الطعام معه أو مع غيره من ضباط الاركان . وكاد هتلر يأمر بفصل يودل من منصبه في نهاية شهر كانون الثاني عام ١٩٤٣ . وان يعين الفريق باولوس خلفاً له ، ولكن الوقت قد فات ، فان باولوس كما سنروي فيما بعد . لم يعد بين يدي هتلر .

وعلى الرغم من ان هولدر وخلفه فيما بعد قد حذرا هتلر من ان القوات الالمانية في ستالينغراد قد بلغت نهاية طاقتها ، فإن القائد الأعلى اصرّ على وجوب الاستمرار في التقدم ، وكان يقذف بفرق جديدة سرعان ما تلتهمها نيران الجحيم .

وبدلاً من ان تكون ستالينغراد وسيلة لتحقيق غاية ، وهي غاية تحققت فعلاً عندما وصلت الوحدات الألمانية الى ضفاف الفولغا الغربية الى الشمال والجنوب من المدينة ، وقطعت حركة النقل في النهر ، باتت الآن ، أي ستالينغراد ، هي الغاية نفسها . وبات احتلالها الآن بالنسبة الى هتلر ، قضية كرامة شخصية . وعندما حاول حتى زيتزلر ، متدرعاً بالشجاعة الكافية ان يقترح على الفوهرر نظراً للخطر الماثل على الجناح الشمالي الطويل على نهر الدون ، سحب الجيش السادس من ستالينغراد الى منحنى الدون ، ثار هياج هتلر وصرخ بقائده قائلاً : « حيث يضع الجندي قدمه ، لن يكون هناك تراجع » .

وعلى الرغم من الاهوال والخسائر الفادحة فإن الفريق باولوس ، قائد الجيش السادس ، ابلغ هتلر في رسالة بعث بها عن طريق «الراديو» في الخامس والعشرين من تشرين الأول ، بأنه ينتظر اتمام الاستيلاء على ستالينغراد على ابعد تقدير في العاشر من تشرين الثاني . وانتعشت معنويات هتلر بهذا التأكيد ، فأصدر هتلر اوامره في اليوم التالي الى الجيش السادس والجيش المدرع الرابع ، الذي كان لا يزال يقاتل الى الجنوب من المدينة بالاستعداد للاندفاع شمالاً رجنوباً على طول نهر الفولغا فور سقوط ستالينغراد .

ولم يكن هتلر في الحقيقة جاهلاً بالخطر الذي يهدد جناح الدون . وتوضح يوميات القيادة العليا للقوات المسلحة ان هذا الخطر كان يسبب له قلقاً بالغاً . ولكن المشكلة في انه لم يحمل هذا الخطر على محمل الجد الى حدٍ كبير ، وانه نتيجة لذلك ، لم يقم بأي عمل لتجنبه . أجل لقد كان واثقاً كل الثقة من السيطرة على الوضع حتى انه في اليوم الاخير من شهر تشرين الأول ، غادر هو واركان حرب القيادة العليا وهيئة اركان حرب الجيش ، مقرهم في فينيتسا في اوكرانيا عائدين الى « عش النسر » « وولفشانزي » في راستينبرغ . وكان الفوهرر قد

اقنع نفسه ، بأنه اذا كان ثمة هجوم سوفياتي في الشتاء فإن هذا الهجوم سيقع في الجبهتين الوسطى والشمالية .

ولكنه ما كاد يصل الى هناك حتى كانت الانباء السيئة قد بدأت في التوارد اليه ، من جبهة اخرى اكثر بعداً ، ففيلق رومل الافريقي ، بدأ يتعرض الى الخطر .

الضربة الاولى

العلمين والنزول الانكليزي ـ الامريكي

استأنف ثعلب الصحراء ، وهو الاسم الذي اطلق على رومل ، على جانبي الجبهة ، هجومه في العلمين في الواحد والثلاثين من آب ، هادفاً الى اجتياح الجيش البريطاني الثامن ، والزحف الى الاسكندرية ونهر النيل . ودارت معركة عنيفة في حرارة الصيف اللاهبة على طول الجبهة الصحراوية التي تمتد اربعين ميلاً بين البحر ومنخفض القطاره ، ولكن رومل عجز عن اختراق الجبهة واضطر في الثالث من ايلول الى التحول الى الدفاع . وكان الجيش البريطاني قد تلقى اخيراً في مصر ، تعزيزات قوية في الرجال والمدافع والدبابات والطائرات ، وكان القسم الاكبر من المادتين الاخيرتين من امريكا وكان هذا الجيش قد تلقى في الخامس عشر من آب قائدين جديدين ، احدهما فريق شاذ الطباع ولكنه موهوب يدعى السير برنارد لو مونتغومري ، الذي تولى قيادة الجيش الثامن والفريق السير هارولد اليكزاندر ، الذي اثبت فيما بعد انه بارع في الشؤون السوقية وماهر في الادارة ، وقد تولى الآن مركز القائد العام في الشرق الأوسط .

وكان رومل قد مضى بعد نكسته لقضاء اجازة مرضية في جبال سيميرينغ الى الجنوب من فيينا ، ليتعالج من انف مصاب وكبد متقرّح . وسرعان ما

تلقى مكالمة هاتفية من هتلر هناك .. قال الفوهرر : « اسمع يا رومل ، الانباء سيئة من افريقيا . ويبدو لي ان الوضع غامض الى حدٍ ما ، كما يظهر ان ليس ثمة من يعرف حقيقة ما وقع للفريق شتوم .[1] وهل في استطاعتك ان تعود الى افريقيا وتتسلم القيادة من جديد ؟ »[2] وقد وافق رومل على العودة فوراً على الرغم من مرضه .

وعندما وصل رومل الى مقر قيادته في غرب العلمين في المساء التالي ، كانت المعركة التي شنها مونتغومري في الساعة التاسعة والدقيقة الاربعين من الثالث والعشرين من تشرين الأول قد انتهت بالخسارة للالمان . فلقد كان لدى الجيش الثامن عدد وافر من المدافع والدبابات والطائرات ، وعلى الرغم من ان الخطوط الألمانية – الايطالية كانت لا تزال صامدة ، وعلى الرغم من الجهود اليائسة التي بذلها رومل ، لنقل فرقه المحطمة لوقف الهجمات المختلفة ، ولشن هجمات مضادة احياناً ، إلا انه ادرك ان الوضع بات يائساً . فلم تكن لديه قوات احتياطية لا في الرجال ولا في الدبابات ولا في الزيت . فلقـــد بات السلاح الجوي البريطاني مسيطراً في الجو لأول مرة ، وكان يضرب قواته ومدرعاته ومـــا تبقى من مستودعات تموينه دون رحمة أو شفقة .

وتمكنت مشاة مونتغومري ومدرعاته في الثاني والعشرين من تشرين الثاني من اختراق الخطوط الايطالية في جنوب الجبهة ، وبدأت تجتاح امامهـا الفرق الايطالية فيها . وبعث رومل في تلك الليلة برسالة اذاعية الى مقر قيادة هتلر في الجبهة الشرقية في بروسيا الشرقية على بعد الفي ميل ، قائلاً انه لم يعد في وسعه الصمود ، وانه يعتزم الانسحاب ، قبل ان تضيع الفرصة الى موقع الفوقه على بعد

---

١ – توفي شتوم ، الذي تولى القيادة نيابة عن رومل اثناء مرضه ، من نوبة قلبية اصابته في الليلة الأولى من الهجوم البريطاني اثناء فراره على اقدامه فوق رمال الصحراء من دورية بريطانية كادت تقتله .

٢ – اقتبسها الفريق بايرلين نقلاً عن اوراق رومل – القرارات القدرية – اعـــداد فريدين دريشاردسون ص ١١٠

اربعين ميلاً غرباً .

وكان قد شرع في الانسحاب عندما جاءته في اليوم التـالي رسالة مطولة على أمواج الأثير من سيد الحرب الأعلى هذا نصها :

« الى المشير رومل

« أرقب ويرقب معي الشعب الألماني بأسره ، المعركة الدفاعية البطولية التي تخوضونها في مصر ،مع ثقتنا المطلقة بكفايات قيادتك وبسالة القوات الألمانية والايطالية العاملة تحت امرتك . وفي مثل هذا الوضع الذي تجد نفسك فيه ، لا يمكن ان يكون ثمة اعتبار اخر ، سوى الصمود بقوة واصرار ،وعدم التراجع خطوة واحدة ، والقذف بكل مدفع وكل رجل في المعركة . وليس في مكنتك ان تعرض على جنودك سوى الطريقة الوحيدة التي تقودك إما الى النصر او الى الموت .

ادولف هتلر »[1]

وعنى هذا الأمر الأحمق شيئاً واحداً اذا أطيع ، وهو القضاء على الجيوش الايطالية والالمانية بالموت والابادة السريعـة ، ويقول بايرلين ، ان رومل لأول مرة في افريقيا لم يدر ما يصنعه . فبعد نضال قصير مع ضميره وعلى الرغم من اعتراضات الفريق ريترفون توما ، القائد الفعلي للفيلق الافريقي الالمـاني الذي قال بأنه سينسحب على أي حال ،قرر اطاعة أمر القائد الأعلى.[2] ودوّن رومل فيما بعد في يومياته يقول : « وقد قررت اخيراً ان اتخذ هذا القرار لانني كنت دائمـاً اطلب الطاعة العمياء من جنودي ، وأردت ان افرض هذه الطاعـة

---

١ - اقتبس الرسالة بايرلين ايضاً ، القرارات القدرية - فريدين وريشاردسون ص ١٢٠ .

٢ - وفي اليوم التالي ، الرابع من تشرين الثاني قال الفريق فون توما للفريق بايرلين : « ان امر هتلر جنون مطبق لا مثيل له . وليس في مكنتي ان امضي في تنفيذه مدة اطول » ... ثم راح يرتدي بزة نظيفة تحمل شارة رتبته والأوسمة التي يحملها ، ووقف الى جانب دبابته المحترقة ، الى ان جاءت وحدة بريطانية فاستسلم لها ، وتناول في المساء عشاءه مع مونتغومري في مطعم القيادة .

على نفسي » . ولكنه عاد فكتب في يومية لاحقة ، ما يدل على انه كان اكثر وعياً .

وأصدر رومل ، وهو برم ، الأمر بوقف الهجوم ، وبعث في الوقت نفسه رسولاً بالطائرة الى هتلر ، محاولاً ان يشرح له ، انه ما لم يسمح له بالتراجع فوراً ، فسيضيع كل شيء . ولكن الاحداث كانت اسرع منه ، وقرر عشية الرابع من تشرين الثاني ، مغامراً باحتمال تقديمه الى محكمة عسكرية بتهمة عصيان أوامر القائد الأعلى ، ان ينقذ ما تبقى من قواته وأن يتراجع الى الفوقه. ولم يكن في وسعه ان يسحب إلا ما تبقى من وحداته المدرعة والآلية . أما قوات المشاة ومعظمهم من الايطاليين ، فقد خلّفوا الى الوراء ، ليستسلموا وهو ما فعلته غالبيتهم حتماً .[1] وتلقى في الخامس من تشرين الثاني رسالة قصيرة من الفوهرر تقول : « اني موافق على انسحاب جيشك الى موقع الفوقه » . ولكن دبابات مونتغومري كانت قد اجتاحت ذلك الموضع ايضاً . ولم تمض سبعة ايام ، حتى كان رومل قد تراجع سبعمائة ميل الى ما وراء بنغازي بما تبقى من جيشه الافريقي ، الذي لا يربو عدد من بقي منه على الخمسة والعشرين الف ايطالي وعشرة آلاف الماني وستين دبابة ، ولم تعد لديه فرصة للوقوف حتى في مكانه الجديد .

وكانت هذه بداية النهاية بالنسبة الى أدولف هتلر ، كما كانت اكثر معركة حسماً ، فاز فيها اعداؤه ، وان كانت هناك معركة ثانية اكثر حسماً على وشك ان تبدأ على السهوب الثلجية في جنوب روسيا. ولكن قبل ان تبدأ هذه المعركة فعلاً ، قدر للفوهرر ان يسمع المزيد من الانباء السيئة من شمال افريقيا ، وهي التي قررت مصير المحور في ذلك الجزء من العالم

وفي الثالث من تشرين الثاني وكانت الانباء الأولى قد جاءت عن كارثة

---

١ ـ بلغت خسائر رومل في العلمين (٥٩) الف شخص بين قتيل وجريح وأسير ، بينهم (٣٤) الفاً من الألمان ، وذلك من مجموع قوة تعد ستة وتسعين الفاً .

روميل ، تلقى مقر قيادة الفوهرر كلمة تقول ان اسطولاً ضخماً للحلفاء قد شوهد متجمعاً في جبل طارق، ولم يستطع احد في القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية ان يتكهن بالغاية التي يهدف اليها هذا الأسطول ومال هتلر الى الاعتقاد ، بأنه لم يكن اكثر من مجرد قافلة اخرى قوية الحماية متجهة الى مالطة . ولا ريب في ان لهذا الاعتقاد أهمية ، اذ ان عدداً من كبار رجال القيادة العليا ، كانوا قبل نحو من اسبوعين أي في الخامس عشر من تشرين الأول ، قد ناقشوا عدة تقارير عن « نزول انكلو سكسوني » وشيك الوقوع في غرب افريقيا ويبدو ان النبأ جاء من رومة ، اذ ان شيانو قبل نحو من اسبوع أي في التاسع من تشرين الأول ، دوّن في يومياته بعد حديث مع رئيس المخابرات السرية العسكرية ، ان « الانكليز والامريكيين يتأهبون للنزول بقوة في شمال افريقيا . » وقد أحزنت هذه الانباء شيانو ، اذ توقع ، وكان توقعه صحيحاً ، ان مثل هذه الخطوة ستؤدي حتماً الى هجوم مباشر للحلفاء على ايطاليا .

ولم يحمل هتلر وهو المشغول في محاولة منع الروس من ابداء مقاومتهم الجهنمية ، هذه الانباء الأولية على محمل الجد . واقترح يودل في اجتماع عقدته القيادة العليا للقوات المسلحة في الخامس عشر من تشرين الاول ، ان يسمح لفرنسة فيشي بارسال نجدات الى افريقيا الشمالية ليتمكن الفرنسيون من صد أي انزال يقوم به الانكليز والامريكيون . ولكن الفوهرر ، رفض كما تقول يوميات القيادة العليا ، هذا الاقتراح ، لأنه قد يؤدي الى اغضاب الايطاليين الذين كانوا يتوجسون خيفة ويتقدون غيظاً من أي حركة تهدف الى تقوية فرنسا . ويبدو ان القضية قد نسيت في مقر القيادة الى ان عادت الى الذاكرة في الثالث من تشرين الثاني . ولكن في ذلك اليوم ، وعلى الرغم من ان العملاء الالمان في الجانب الاسباني من جبل طارق قد نقلوا الى برلين مشاهدتهم اسطولاً انكليزياً امريكياً ضخماً يتجمع هناك ، فإن هتلر كان مشغولاً بحمل روميل على الصمود في العلمين ، الى حد انه لم يكلف نفسه عناء التفكير بما بدا له ، مجرد قافلة اخرى متجهة الى مالطه

وابلغت القيادة العليا الالمانية في الخامس من تشرين الثاني ان قوة بحرية بريطانية قد ابحرت شرقاً من جبل طارق ولكن هتلر ، لم يولِ ما وصله من اخبار من جبل طارق أي اهتمام إلا في السابع من تشرين الثاني أي قبل اثنتي عشرة ساعة من بدء نزول الحلفاء في شمال افريقيا وكانت التقارير التي وصلت قبل ظهر ذلك اليوم الى مقر قيادته في بروسيا الشرقية قد أكدت ان قوات بحرية بريطانية قد عادت الى جبل طارق ، حيث التقت بأسطول ضخم من سفن النقل والسفن الحربية كان قادماً من الاطلسي ، ثم اتجهت كلها معاً شرقاً نحو البحر المتوسط . ودار نقاش طويل بين ضباط الاركان وبين الفوهرر. ترى ماذا تعني هذه الحركات كلها ؟ وما هو هدف هذه القوة البحرية الضخمة ؟ قال هتلر انه بات ميالاً الى الاعتقاد ، بأن الحلفاء قد يحاولون القيام بعملية انزال رئيسية بأربع فرق أو خمس في طرابلس او بنغازي ، لتطويق رومل من مؤخرته . وأعلن أمير البحر كرانكي ، ضابط الاتصال البحري في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، بأنه لا يمكن ان تكون هناك اكثر من فرقتين معاديتين ، هذا على اكثر تقدير ومع ذلك ، يجب القيام بعمل ما . وطلب هتلر تعزيز السلاح الجوي في البحر المتوسط فوراً ، ولكن قيل له ان هذا مستحيل في الوقت الحاضر . واذا حكمنا على ضوء ما ورد في يوميات القيادة العامة للقوات المسلحة ، تبيّن لنا ان كل ما فعله هتلر في ذلك الصباح هو ابلاغ رونشتادت القائد العام في الغرب ليكون على استعداد لتنفيذ عملية « انطون » ، وهو الأسم الرمزي الذي اطلق على خطة احتلال ما تبقى من فرنسا .

وعلى اثر ذلك ، غادر القائد الاعلى مقر قيادته بعد ان تناول غداءه في السابع من تشرين الثاني متجهاً الى ميونيخ حيث كان من المقرر ان يلقي في الليلة التالية خطابه السنوي على اخدانه القدماء في الحزب الذين يجتمعون للاحتفال بالذكرى السنوية لانقلاب حانة الجعة . وبدا الفوهرر بعمله هذا غير مكترث بحالة رومل الذي سيسقط في الفخ اذا نزلت القوات البريطانية والامريكية وراء ظهره ، ولا بالانباء الاخيرة التي وردته عن توقع البدء بهجوم

روسي مضاد في حوض الدون مستهدفاً مــؤخرة الجيش السادس في ستالينغراد .[1]

وتغلب السياسي في الرجل ، كما دوّن هولدر ، على الجندي في هذه اللحظة الحرجة في الحرب . وعهد بأمر القيادة العليا في الشرق الى عقيد يدعى فريهير تروخ فون بوتلر براندينفيلز ، لأن كايتل ويودل ، وهما اكبر ضابطين فيها قــد رافقا الفوهرر للاشتراك في احتفالات حانة الجعة . وليس ثمة من وجود غرابة في مثل هذا التصرف الذي يحمل سيد الحرب الاعلى، الذي كان يصر على توجيه الحرب في جبهات بعيدة ومترامية حتى على مستويات الفرق والالوية والافواج، على الابتعاد ألوف الاميال عن الميادين ليشترك في مهمة سياسية في وقت كان البيت فيه قد بدأ بالتهدم على رأس آهليه . وكان ثمة تحول في الرجل ، نوع من الاهتراء والانحلال ، تماماً كما وقع بالنسبة الى غورنغ ، الذي راح يزداد اهتمامه على الرغم من تدهور سلاحه الجوي الذي كان في يوم مــا متناهياً في القوة ، بمجوهراته وقطاراته الدمى ، دون ان يترك وقتاً للاهتمام بالواقع البشع الناجم عن حرب طويلة تزداد عنفاً وشدة .

ووصلت القوات الانكليزية الامريكية بقيادة الفريــق ايزنهاور الى سواحل مراكش (المغرب) والجزائر في الساعة الواحدة والنصف من صباح الثامن من تشرين الثاني عــام ١٩٤٢ ، وفي الساعة الخامسة والنصف كان ريبنتروب يتحدث هاتفياً من ميونيخ الى شيانو في روما ناقــلاً اليه الانباء . ودوّن شيانو في يومياته يقول :

« كان ثائر الاعصاب في حديثه وود ان يعرف ما ننتوي نحن عمله . واری ان اعترف انني وقد فوجئت بالنبأ ، وكنت لا ازال

---

١ ـ علمت من تقويم هتلر اليومي الذي عثر عليه مع الوثائق المصادرة ان الاحتفالات قد نقلت من حانة الجعة القديمة التي وقع فيها الانقلاب حقاً الى حانة جعة اخرى اكثر اناقة وهي حانة لوين بروكلر . ولعل القراء يذكرون ان الحانة القديمة كانت قد تحطمت من جراء انفجار القنبلة الموقوتة التي كادت تقضي على الفوهرر ليلة الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٣٩ .

أحس بالنعاس لم استطع ان اعطيه رداً مرضياً . »

وعلم وزير خارجية ايطاليا من السفارة الألمانية ان الموظفين فيها قد «فزعوا من الضربة الجديدة »

ولم يصل قطار هتلر الخاص مـن بروسيا الشرقية الى ميونيخ حتى الساعة الثالثة والدقيقة الاربعين من بعد ظهر ذلك اليوم ، وكان اول ما تلقاه من انباء عن نزول قوات الحلفاء في شمال غربي افريقيا من النوع المتفائل . [١] اذ قيل له ان الفرنسيين يبدون مقاومة عنيدة في كل مكان ، وانهم احبطوا محاولات النزول في كل من الجزائر ووهران . وكان امـير البحر دارلان ، وهو صديق للألمان ، ينظم اعمال الدفاع في الجزائر بموافقة حكومة فيشي . أما ردود فعل هتلر الأولى فكانت متضاربة تمام التضارب واصدر امره بوجوب تقوية حامية كريت التي كانت خارجة تماماً عـن مسرح الحرب الجديد ، موضحاً ان مثل هذه الخطوة لا تقل في اهميتها عـن ارسال النجدات الى افريقيا . وأصدر أمراً الى الغستابو بنقل الفريق ويغان والفريق جـيرو فيشي والاحتفاظ بهما هناك تحت الرقابة . [٢] وطلب الى المشير فون رونشتادت ان يهيء عملية « انطون » شرط ان لا يجتاز بقواته خط الحدود الى فيشي الى ان يتلقى اوامر جديدة . وطلب الى شيانو [٣] والى بيير لافال الذي كان قد غدا الآن رئيس وزراء حكومة

---

١ – اعتمدت في مصدري هنا كما في اماكن اخرى من هذا الفصل عن اجتماعات هتلر في مقر قيادته العليا ، على ما يسمى بيوميات القيادة ، التي كان يعدها حتى ربيع عام ١٩٤٣ الدكتور هيلموت غرينر ، ليخلفه في اعدادها حتى نهاية الحرب الدكتور بيرسي ايرنست شرام . وقد اتلفت اليوميات الأصلية في مطلع ايار عام ١٩٤٥ بأمر من الفريق وينتر نائب يودل . وتولى غرينر بعد انتهاء الحرب اعادة كتابة القسم الذي كان قد أعده هو من ملاحظاته الأصلية ومسوداته وسلمه الى فرع التاريخ العسكري في وزارة الحربية الامريكية. وقد طبع جزء من هذه المادة في كتاب غرينر نفسه .

٢ – كان الفريق جيرو يصل في تلك الساعة الى الجزائر . وكان قد فر من معسكر الماني لأسرى الحرب وأقام في شمال فرنسا حيث نقلته غواصة بريطانية في الخامس من تشرين الثاني الى جبل طارق للتشاور مع ايزنهاور قبل البدء بعمليات الانزال .

٣ - دون شيانو في يومياته بتاريخ التاسع من تشرين الثاني : « هتف لي ريبنتروب اثناء .....

فيشي مقابلته في ميونيخ في اليوم التالي .

وظلت فكرة التحالف مع فرنسا تداعب خيال هتلر مدة اربع وعشرين ساعة ، محاولاً ادخالها الحرب الى جانبه ضـد بريطانيا وامريكا ، وحملها في الوقت الحاضر على تقوية تصميم بتان على مقاومة نزول الحلفاء في افريقيا . ويبدو انه لقي تشجيعاً لفكرته هذه من العمل الذي قام بـه بتان بقطع العلاقات الدبلوماتية مع الولايات المتحدة صباح الاحد في الثامن من تشرين الثاني ومن بيان المشير الفرنسي العجوز الى القائم بالاعمال الامريكي من ان قواته ستقاوم الغزو الانكلو – امريكي وتؤكد يوميات القيادة لذلـك اليوم الأحد ان هتلر كان منشغلاً في اعداد « تعاون واسع النطاق مع الفرنسيين » . وقدم الممثل الألماني في فيشي ، كروغ فون ندّا ، في مساء ذلك اليوم نفسه ، اقتراحاً الى بتان لعقد تحالف وثيق بين المانيا وفرنسا .[١]

ولكن هتلر ما لبث ان غير فكره في الصباح التالي ، بعد ان القى خطابه التقليدي على مناضـلي الحزب القدامى ، وهو الخطاب الذي اعلن فيه ان ستالينغراد باتت في ايدي الألمان بشكل جازم . وقد ابلغ شيانو ، بأنه لا يشك مطلقاً في رغبة الفرنسيين في القتال ، وانه صمـم على احتلال فرنسا الكامل ، والنزول بقواته في كورسيكا واقامة رأس جسر في تونس . وقـد نقل هذا القرار دون تحديد الوقت الى لافال عندما وصل الى ميونيخ بالسيارة في العاشر من تشرين الثاني . ووعد الفرنسي الخائن بـأن يحث بتان على الاذعان لرغبات الفوهرر ولكنه اقـترح ان يمضي الألمان بخططهم دون ترقب موافقة المشير الخرف ، وهو ما اراد هتلر ان يعمله فعلاً . وقد ترك شيانو لنا وصفاً عن رئيس وزراء فيشي الذي اعدم بتهمة الخيانة بعد انتهاء الحرب ... هذا ما جاء فيه :

= الليل ، قائلًا ان علي أو على الدوتشي ان نذهب الى ميونيخ في أسرع وقت . وسيكون لافال هناك ايضاً ايقظت الدوتشي ولكنه لم يكن راغبـاً في الذهاب لا سيا وانه كان متعباً ومريضاً ، اذن سأذهب انا » .

١ – محاكمة المسيو بتان – شهادة لافال . ص ٢٠٢ .

« بدا لافال برباط عنقه الابيض وبزته التي تشبه ما يرتديه فلاحو الطبقة الوسطى في فرنسا ، غريباً كل الغرابة في ذلك البهو الفسيح بين هذا العدد الضخم من اصحاب البزات العسكرية . وهو يحاول ان يتحدث بلهجة أليفة عن رحلته . وعن نومه الطويل في السيارة ، ولكن كلماته تمضي دون ان يأبه بها احد . ويعامله هتلر بشيء من الكياسة الباردة ...

« ولم يكن في وسع المسكين ان يتصور « الأمر الواقع الذي سيواجهه به الألمان . ولم يحدثه احد عن العمل الوشيك الوقوع . وعن أن الأوامر باحتلال فرنسا قد صدرت بينما يجلس هو في الغرفة المجاورة يدخن سيجارته متحدثاً الى مختلف الناس . وذكر لي فون ريبنتروب ان لافال سيبلغ بما هو حادث ، في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، وانه بالنظر الى ما ورد من معلومات فإن هتلر وجد نفسه مرغماً على اتخاذ اجرائه باحتلال البلاد . » [١]

وقد اصدر هتلر امره باحتلال ما تبقى من فرنسا ، متحدياً بذلك اتفاق الهدنة في الساعة الثامنة والنصف من مساء العاشر من تشرين الثاني ، وتم تنفيذه صباح اليوم التالي دون أي حادث، سوى الاحتجاج الذي لا جدوى منه، والذي قدمه بتان . واحتل الايطاليون كورسيكا ، وشرعت الطائرات الألمانية في نقل القوات لاحتلال تونس التي يسيطر عليها الفرنسيون قبل ان تصل اليها قوات ايزنهاور .

وكان ثمة قصة اخرى من قصص الخداع النموذجي الذي تميز به هتلر . ففي الثالث عشر من تشرين الثاني ، أكد الفوهرر لبتان ان الالمان والايطاليين لن يحتلوا طولون حيث يرابط الأسطول الفرنسي منذ توقيع الهدنة . وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني سجلت يوميات القيادة العليا للقوات المسلحة ان هتلر

---

١ - يوميات شيانو ص ٥٤١ - ٥٤٢

قرر تنفيذ عملية «ليلى» في أسرع وقت ممكن.[1] وكان «ليلى» هو الأسم الرمزي الذي اطلق على عمليـــة احتلال طولون والاستيلاء على الاسطول الفرنسي. وهاجمت القوات الألمانية صباح السابع والعشرين القاعدة البحرية ولكن البحارة الفرنسيين صمدوا لها وقتاً مكن ملاحي السفن الحربيـــة الفرنسية من تنفيذ تعليمات أمير البحر دي لابورد بإغراقها وهكذا أضاع المحور الأسطول الفرنسي، بعد ان كان في حاجة ماسة الى سفنه الحربيـة في المتوسط، ولكن الاسطول، ضاع كذلك بالنسبة الى الحلفاء الذين لو انضم اليهم لأضافوا قوة ثمينة الى قوتهم.

وتغلب هتلر على ايزنهاور في السباق لاحتلال تونس. ولكن هذا النصر كان موضع الشك فقد نقل بناء على امر هتلر نحو ربع مليون من الجنود الألمـان والايطاليين لاحتلال رأس الجسر هذا ولو كان الفوهرر قـد بعث بنحو خمس هذه القوة والدبابات الى روميل قبل بضعة اشهر، لكان من الممكن ان يكون ثعلب الصحراء، قد وصل الآن الى ما وراء نهر النيل، ولمـــا كان في مكنة الانكليز والامريكيين ان ينزلوا في افريقيا الشمالية الغربيـــة، ولخسر الحلفاء حوض البحر الابيض المتوسط خسارة كلية، مؤمناً المحور بذلك الوقاية السرية لبطنه. ولكن قدر لكل جندي ودبابة ومدفع، اوفدها هتلر على جناح السرعة الى تونس في ذلك الشتاء وللبقية الباقية من الفيلق الافريقي ان تضيع كلها في

---

١ - أرى من الانصاف ان نذكر ان هتلر شك كثيراً، وكان له بعض الحق في ذلك، في ان الاسطول الفرنسي قد يحاول الابحار الى الجزائر والانضمام الى الحلفـــاء. فعلى الرغم من تعامله الخائن مع الالمان وكراهيته المنيفة للبريطان، كان أمير البحر دارلان، الذي كان يزور ولده المريض في الجزائر آنذاك، قد تعرض لضغط شديد من ايزنهاور ليعمل كقائد لفرنسا في افريقيا الشمالية، لا بوصفه الضابط الفرنسي الوحيد الذي يستطيع وقف مقاومة الاسطول والجيش الفرنسيين للحلفاء فحسب، بل لان في استطاعته ان يحمل أمير البحر الفرنسي الذي يقود الأسطول في طولون على الاسراع بأسطوله الى افريقيا الشمالية للانضمام الى قوات الحلفاء البحرية ايضاً. ولكن هذه الآمال ما لبثت ان تحطمت على الرغم من المحاولة التي قام بها دارلان. وقد تلقى من أمير البحر دي لابورد رداً على الرسالة التي بعث بها اليه، لنقل الأسطول من طولون الى افريقيا الشمالية، عبارة واحدة تحمل الكثير من المعاني رغم خشونتها وهي عبارة «.. لعنـــة!» راجع كتاب «محاكمة المشير بتان».

الربيع ، وان يمضي عدد آخر من الجنود الألمان الى اقفاص اسرى الحرب اكبر من العدد الذي اسر في ستالينغراد ، وهو المسرح الذي يجب ان نعود اليه الآن . [1]

كارثة ستالينغراد

كان هتلر والقادة الكبار من رجال القيادة العليا للقوات المسلحة يقضون وقتاً طيباً في الأجواء الألبية المحيطة ببرختسغادن عندما وصلت اليهم الانباء الأولى عن الهجوم الروسي المضاد عند نهر الدون بعد بضع ساعات من شنه وسط زوبعة شديدة فجر التاسع عشر من تشرين الثاني . وعلى الرغم من ان الالمان كانوا يتوقعون هجوماً في هذه المنطقة ، إلا ان اركان القيادة لم يتوقعوا ان يكون من النوع الذي يتطلب عودة هتلر وكبار مستشاريه العسكريين من امثال كايتل ويودل بسرعة بالغة الى مقر القيادة في بروسيا الشرقية ، بعد الخطاب الداوي الذي القاه الفوهرر في حانة الجعة على رفاقه القدامى عشية الثامن من تشرين الثاني . وهكذا فقد انتجعوا شيئاً من الراحة في هذا الجو الجبلي المحيط ببرختسغادن .

وقد قطع عليهم راحتهم هذه ، نداء هاتفي مستعجـل من الفريق زيتزلر الرئيس الجديد لهيئة اركان الحرب ، الذي كان قد تخلف عنهم في راستينبرغ . وكان ينقل اليهم انباء وصفتها يوميات القيادة العليا بأنها « مفزعة للغاية » . وتمكنت قوة مدرعة روسية هائلة في الساعات الأولى من الهجوم من اختراق جبهة الجيش الروماني الثالث بين سيرافيموفيتش وكليتسكايا على نهر الدون الى الشمال الغربي من ستالينغراد . والى الجنوب من المدينة المحاصرة شرعت قوات سوفياتية

---

١ - يقول ايزنهاور ان قوات المحور بلغت (٢٤٠) الف جندي بينها (١٢٥) الفاً من الالمان والباقي من الايطاليين . وتضمنت هذه الارقام اولئك الذين استسلموا في الاسبوع الاخير من الحملة أي من ٥ حتى ١٢ ايار ١٩٤٣ . (حملة صليبية في اوروبا ص ١٥٦) .

قوية اخرى تهاجم بضراوة الجيش الألماني المدرع الرابع والجيش الروماني الرابع ، وباتت تهدد جبهة الجيشين بالاختراق .

وكان هدف الروس واضحاً لكل من يتطلع الى الخريطة ، وكان هذا واضحاً بصورة خاصة لزيتزلر ، الذي عرف من مخابراته العسكرية ان العدو قد حشد ثلاثة عشر جيشاً مع ألوف الدبابات في الجنوب لتحقيق هذا الهدف . وكان الروس يندفعون بهذه القوة الهائلة من الشمال والجنوب لقطع ستالينغراد وارغام الجيش الألماني السادس إما على التراجع بسرعة الى الغرب أو الاقتناع بالحصار . وادعى زيتزلر فيما بعد ، انه عندما رأى هذا الخطر ، حث هتلر على السماح للجيش السادس بالانسحاب من ستالينغراد الى منحنى الدون ، حيث كان في الامكان تثبيت الجبهة المحطمة . ولكن مجرد صدور هذا الاقتراح قذف بهتلر في سورة من سورات غضبه .

وصرخ القائد الاعلى قائلاً : « لن اتخلى عن نهر الفولغا ... لن ارجع عن الفولغا » . وهنا انتهى كل شيء . ولكن هذا القرار الذي اتخذ في سورة من سورات الغضب ادى الى كارثة . واصدر هتلر امراً شخصياً الى الجيش السادس بالصمود حول ستالينغراد . (١)

وعاد هتلر واركان حربه الى مقر القيادة العليا في الثاني والعشرين من تشرين الثاني . وكانت الانباء التي وصلت في هذا اليوم الرابع من الهجوم

---

١ ـ يوجد مقال الفريق زيتزلر عن معركة ستالينغراد في كتاب « القرارت القدرية » من اعداد فريدين وقد اعتمدت عليه في كتابة هذا الجزء . ومن المصادر الاخرى يوميات القيادة العليا الالمانية وكتاب هولدر ، وكتاب هاينز شرويتر . « ستالينغراد » . وقد تمكن شرويتر وهو مراسل حربي الماني كان مع الجيش السادس من الوصول الى سجلات القيادة العليا ورسائلها الاذاعية والبرقية مع مختلف القيادات والى اوامر العمليات الحربية والخرائط العسكرية والاوراق الخاصة لعدد من الذين شهدوا معركة ستالينغراد وقد تمكن من الخلاص من المدينة قبل استسلامها ، وعهد اليه بكتابة القصة الرسمية لمعركة ستالينغراد ، ولكن الدكتور غوبلز منع طباعة كتابه . وتمكن شرويتر من انقاذ مسودة الكتاب بعد الحرب وواصل دراساته للمعركة قبل ان يعيد كتابته من جديد .

مفجعة . فقد التقى الجيشان السوفياتيان الزاحفان من الشمال والجنوب عند كالاش التي تقع على بعد اربعين ميلاً الى الغرب من ستالينغراد عند منحنى الدون . ووصلت في المساء رسالة لاسلكية من الفريق باولوس قائد الجيش السادس تؤكد تطويق قواته . واصدر هتلر فوراً اوامره الاذاعية الى باولوس بنقل قيادته الى المدينة للدفاع عنها بإصرار وعناد ، واكد ان تموين الجيش سيتم عن طريق الطائرات الى ان يتم انقاذه .

لكن هذا الحديث لم يكن اكثر من مجون وهذر. فهناك عشرون فرقة المانية وفرقتان رومانيتان تم تطويقهما في ستالينغراد ورد باولوس بإشارة اذاعية يقول ان هذه القوات تحتاج الى (٧٥٠) طناً من المؤن يومياً . وكان هذا الرقم فوق طاقة السلاح الجوي الالماني الذي كان يفتقر الى العدد المطلوب من طائرات النقل . وحتى لو كان هذا العدد متوافراً ، لما كان في امكان هذه الطائرات ان تخترق الزوابع والاعاصير ، عبر منطقة حقق فيها الروس الآن التفوق في طائرات القتال . ومع ذلك اكد غورنغ لهتلر ان في وسع سلاحه الجوي ان يؤدي المهمة . ولكنه لم يستطع حتى الشروع فيها .

وكان انقاذ الجيش السادس المطوق ، احتمالاً اكثر عملية وتفاؤلاً . واستدعى هتلر في الخامس والعشرين من تشرين الثاني المشير فون مانشتاين ، اكثر قادته في الميدان كفاية وموهبة عسكرية ، فجاء من جبهة لينينغراد ليتولى قيادة التشكيلة الجديدة التي تم خلقها والتي اطلق عليها اسم مجموعة جيوش الدون . وكانت مهمته ان يندفع من الجنوب الغربي وان ينجد الجيش السادس في ستالينغراد .

ولكن الفوهرر فرض الآن شروطاً مستحيلة على قائده الجديد . وحاول مانشتاين ان يوضح له ، ان الأمل الوحيد في النجاح ، يقوم في محاولة الجيش السادس المحصور الخروج من ستالينغراد باتجاه الغرب ، بينما تقوم قواته هو ، التي يؤلف الجيش المدرع الرابع طليعتها ، بالضغط باتجاه الشمال الشرقي ضد الجيوش الروسية التي تقوم حاجزاً بين القوتين الالمانيتين . ولكن هتلر رفض مرة ثانية

الانسحاب من نهر الفولغا . فعلى الجيش السادس ان يبقى في ستالينغراد وعلى مانشتاين ان يشق طريقه اليه فيها .

وحاول مانشتاين اقناع سيد الحرب الأعلى باستحالة تحقيق خطته ، فالقوة الروسية ضخمة للغاية . ومع ذلك .فقد شن مانشتاين وقلبه مفعم بالأسى هجومه في الثاني عشر من كانون الأول . وقد اطلق على هذه العملية اسم « عملية زوابع الشتاء » ، اذ ان الشتاء الروسي كان قد بلغ اشده الآن في السهوب الجنوبية ، مكوّماً الثلوج في تلال عالية ، وهابطاً بدرجة الحرارة دون الصفر . وحقق الهجوم في البداية بعض النجاح ،وتمكن الجيش المدرع الرابع الذي يقوده الفريق هوث من الاندفاع باتجاه الشمال الشرقي على جانبي السكة الحديدية الممتدة من كوتيلنيكوفسكي الى ستالينغراد التي تبعد نحواً من خمسة وسبعين ميلاً . وعندما حل التاسع عشر من كانون الأول كان هذا الجيش قد بلغ في زحفه الى بعد اربعين ميلاً من القطاع الجنوبي للمدينة ، وبات في الواحد والعشرين على بعد ثلاثين ميلاً ،واصبح في مكنة القوات المحاصرة من الجيش السادس ان ترى عبر السهوب الثلجية في الليل ، اشارات النور التي يطلقها منقذوها .

واكد القادة الألمان في شهاداتهم ، انه كان في وسع الجيش المحاصر في ستالينغراد في هذه الآونة ان يحاول الخلاص بالزحف باتجاه الجيش الرابع المدرع ، وان يحقق النجاح المطلوب . ولكن هتلر عاد من جديد يمنع الجيش السادس من المحاولة . وابرق زيتزلر في الواحد والعشرين الى باولوس يبلغه سماح الزعيم للقوات بمحاولة شق طريقها ، شريطة ان تحتفظ في الوقت نفسه بمواقفها في ستالينغراد . ويقول رئيس هيئة اركان الحرب ، ان هذه الحماقة المطبقة كادت تودي به الى الجنون .

وعاد زيتزلر يقول فيما بعد : « وفي الليلة التالية توسّلت الى هتلر ان يسمح بعملية الاختراق والنجاة . وقلت له ان هذه هي فرصتنا الاخيرة لانقاذ مائتي الف رجل من جيش باولوس »

« ولكن هتلر ، يرفض .. ويصر على رفضه . وحاولت عبثاً

ان اشرح له الاوضاع داخل القلعة المزعومة. من يأس الجنود الجياع وفقدهم الثقة في قيادتهم العليـــا ، والجرحى الذين يلقون حتفهم بسبب الافتقار الى العناية الطبية اللازمة ، بينما يتجمد الألوف من البرد حتى الموت . ولكنه ظل يصم اذنيه عن الاستماع الى هـذه الحجج التي قدمتها . »

وفشل الفريق هوث في قطع الثلاثين ميـلاً الباقية الى ستالينغراد في وجه مقاومة روسية اخذت في الازدياد في وجهه وعلى جناحيه . وكان يعتقد انه لو حاول الجيش السادس خرق الحصار ، لـــتم الاتصال بين الجيشين ، ولكان في وسعهما ان ينسحبا معاً الى كوتيلنيكوفسكي . وكان مثل هذا العمل كافياً لانقاذ نحو من مائتي روح المانية .[1] وكان من المحتمل ان يتحقق ذلك بـين الواحد والعشرين والثالث والعشرين من كانون الأول . ولكن هذا العمل بات مستحيلاً بعد ذلك التاريخ . فلقد كان هوث جاهلاً بأن الجيش الاحمر قد وجه ضربته من الشمال وبات الآن يهدد الجناح الايسر لمجموعة جيوش الدون كلها . وهتف مانشتاين في الثاني والعشرين من كانون الأول الى هوث يأمره بإعداد نفسه لتلقي اوامر خطيرة جديدة وجاءت الأوامر في اليوم التالي ، وهي تقضي على هوث بالتخلي عن زحفه الى ستالينغراد ، وان يوفد احدى فرقـه المدرعة الثلاث الى جبهة الدون في الشمال ، وان يدافع عن نفسه حيث هو ، وبكل ما تبقى لديه من قوات ، اطول مدة ممكنة .

وهكذا فشلت محاولة انقاذ ستالينغراد .

---

١ - ذكر المشير فون مانشتاين في مذكراته التي كتبها بعد الحرب انه في التاسع عشر من كانون الأول أمر خلافـــاً لأوامر الفوهرر ، الجيش السادس ، ان يبدأ محاولة الاختراق من ستالينغراد نحو الجنوب الشرقي ليتصل بالجيش الرابع المدرع وقد نشر في كتابه نص الأمر الذي اصدره ، ولكنه تضمن بعض التحفظات ، التي حيرت باولوس الذي كان لايزال خـــاضعاً لاوامر هتلر بعدم القيام بالمحاولة . ويضيف مانشتاين ان «هذه كانت الفرصة الاخيرة الوحيدة امامنا لانقاذ الجيش السادس» (مانشتاين ـ الانتصارات الضائعة . ص ٣٣٦ - ٣٤١ و ص ٥٦٢ - ٥٦٣) .

وكانت اوامر مانشتاين الخطيرة الجديدة ، نتيجة الانباء المفزعة التي وصلت اليه في السابع عشر من كانون الأول . ففي صباح ذلك اليوم تمكن جيش سوفياتي من اختراق جبهة الجيش الايطالي الثامن في الشمال على الدون عند بوغوشار ، ولم يحل المساء حتى كان يفتح ثغرة عمقها سبعة وعشرون ميلاً . ولم تمض ثلاثة ايام حتى كانت الفجوة قد بلغت في عرضها تسعين ميلاً ، بينما فرّ الايطاليون في هلع من الميدان واخذ الجيش الروماني الثالث الى الجنوب في الانحلال والتفسخ ولا سيما بعد الضربات العنيفة التي تعرض لها في المرحلة الأولى من الهجوم الروسي في التاسع عشر من تشرين الثاني . ولم يكن من المستغرب والحالة هذه ان يطلب مانشتاين النجدة من قوات هوث المدرعة لتساعده في سد الفجوة . وادت هذه الخطوة الى سلسلة من ردود الفعل .

ولم تتراجع جيوش الدون وحدها ، بل تراجعت معها قوات هوث ايضاً ، وهي التي كانت قد باتت على مقربة من ستالينغراد . وادت هذه الانسحابات الى تهديد الجيش الألماني في القفقاس ايضاً . اذ ان وصول القوات السوفياتية الى روستوف على بحر آزوف يهدد طريق رجعته . وبعد يوم أو يومين من عيد الميلاد لفت زيتزلر نظر هتلر الى الحقيقة الواقعة ، وهي انه ما لم يأمر بالانسحاب من القفقاس الآن فإن الألمان سيواجهون ستالينغراد ثانية . وأصدر القائد الأعلى ، وهو برم تعليماته بالانسحاب في التاسع والعشرين من كانون الأول الى مجموعة جيوش (أ) التي يتولى كلايست قيادتها والتي تضم الجيش المدرع الأول والجيش السابع عشر ، والتي فشلت في تحقيق مهمتها في الاستيلاء على حقول الزيت في غروزني . وبدأت هذه القوات ايضاً تراجعاً طويلاً بعد ان كانت على قاب قوسين أو ادنى من هدفها .

وحملت الانتكاسات التي مني بها الألمان في روسيا والجيوش الالمانية الايطالية في شمال افريقيا موسوليني على التفكير . وكان هتلر قد دعاه للمجيء الى سالزبرغ للتحدث اليه في اواسط شهر كانون الأول ، وقبل الدعوة الدوتشي المريض ، الذي كان يراعي الآن حمية شديدة من جراء اوجاع معدته ، على الرغم

من أنه قال لشيانو انه سيذهب الى هناك بشرط واحد فقط ، وهو ان يتناول وجبات طعامه وحيداً ، « لأنه لا يريد ان يراه الألمان النهمون وهو يعيش على الارز والحليب » .

وقرر موسوليني ان الوقت قد حان لابلاغ هتلر بوجوب تخفيض خسائره في الشرق ، والوصول الى نوع من المساومة مـــع ستالين ، وتركيز قوة المحور للدفاع عما تبقى من شمال افريقيا والبلقان واوروبا الغربية . وراح يقول لشيانو: « سيكون عام ١٩٤٣ ، سنة الجهد مـن الانكليز والامريكان » . وعجز هتلر عن مغادرة مقر قيادته في الشرق لمقابلة موسوليني ، فسافر شيانو تلك المسافة الطويلة الى راستنبرغ في الثامن عشر مـن كانون الأول ، وكرر ، دون تعليمات من الدوتشي على مسامع الفوهرر ، اقتراحات موسوليني . واظهر هتلر زرايته بهذه الاقتراحات واكد لوزير خارجية ايطاليا ، ان في وسعه ، دون ان يضعف الجبهة الروسية ، ايفاد قوات اضافية جديدة الى شمال افريقيا التي يجب الحفاظ عليها . وقد وجد شيانو الروح المعنوية عند الالمان في مقر القيادة العليا في اسوأ حالاتها ، على الرغم من تأكيدات هتلر المطمئنة . فدوّن في يومياته يقول :

« الجو كئيب وثقيل . فبالاضافة الى الانباء السيئة ، هناك هذا الجو الحزين الذي يخيم على هذه الغابة الكئيبة ، والملل الذي ينتج عن الحياة الجماعية في الثكنات .. ولا يحاول انسان ان يخفي عني مـا يحسون به جميعاً من تعاسة من انبـاء خرق الروس للجبهة . وهناك محاولات مفضوحة لإلقاء اللوم علينا » .

وكان الناجون من الجيش الايطالي الثامن ، عند الدون ، يحـــاولون الفرار بأرواحهم ، وعندما حاول احد اعضاء حاشية شيانو ان يسأل احد ضباط القيادة العليا الالمانية عما اذا كان الايطاليون قد منوا بخسائر فادحة ، رد عليه الضابط قائلاً : « ليست هناك خسائر ، لأنهم يركضون فراراً »[١]

---

١ - يوميات شيانو ص ٥٥٦ ، وتوجد اقتراحات موسوليني في يوميات القيادة العليا بتاريخ ١٩ كانون الأول .

واذا كانت القوات الالمانية في القفقاس وفي الدون ، لم تفر راكضة ، فإنها كانت تتراجع بأقصى سرعة ممكنة لتجنب خطر التطويق . وكان كل يوم جديد من مستهل عام ١٩٤٣ يحمل معه انباء تراجعهم مسافة جديدة عن ستالينغراد . وقد حان الوقت الآن للروس للقضاء على الألمان هناك . ولكنهم أتاحوا اولاً للجنود الذين تقرر مصيرهم من رجال الجيش السادس الفرصة للنجاة بجلودهم .

ودخل ثلاثة من الضباط الشبان في الجيش الأحمر ، صبيحة الثامن من كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، الخطوط الألمانية وهم يحملون الراية البيضاء ، عند القطاع الشمالي لمدينة ستالينغراد ، ووجهوا انذاراً نهائياً الى الفريق باولوس من الفريق روكوسوفسكي قائد القوات السوفياتية في جبهة الدون . وبعد ان ذكره الإنذار بأن جيشه بات معزولاً ، وبأن النجدات لا تستطيع الوصول اليه ، ولا التموينات من الجو ، اضاف قائلاً :

« بات وضع قواتك يائساً . ان جنودك يعانون من الجوع والمرض والبرد . ولم يبدأ الشتاء الروسي الغليظ القلب بعد . فأمامكم صقيع قاس ورياح قرّة ، وأعاصير شديدة . وليست لدى جنودك ملابس شتوية تقيهم البرد القارس ، والأوضاع الصحية رهيبة ومفزعة . وهكذا فإن وضعك يائس وليس لأية مقاومة اخرى من معنى .

« وبالنظر الى هذه الاوضاع وتجنباً للمزيد من سفك الدماء ، فإننا نقترح عليك القبول بالشروط التالية للتسليم .. »

وكانت الشروط مشرفة للغاية . فسيعطى للأسرى جميعاً حصص غذائية عادية . وسيحصل الجرحى والمرضى والمصابون بعضة البرد على العلاج الطبي . وفي وسع جميع الأسرى الحفاظ على أشرطة رتبهم ، وأوسمتهم ، وحاجياتهم الخاصة . ومنح بارلوس اربعاً وعشرين ساعة للرد على هذا الانذار .

وعلى الفور بعث باولوس بنص الانذار الى هتلر ، طالباً منه السماح له بحرية العمل . ولكن سيد الحرب الأعلى رفض طلبه فوراً . وبعد اربع وعشرين ساعة من انقضاء المهلة المحددة في طلب التسليم ، في صباح العاشر من كانون الثاني ،

أستهل الروس المرحلة الأخيرة من معركة ستالينغراد بقصف مدفعي شديد من نحو من خمسة آلاف مدفع .

وكان القتال الذي تلا مراً ودموياً . وحارب الفريقـان ببسالة وتهور على الحطام المتجمد من اطلال المدينـة ، ولكن حربهم لم تطل ، اذ لم تمض ستة ايام حتى كان الجيب الألماني قد تقلص الى النصف أو الى بقعة سعتها خمسة عشر ميلاً طولاً وتسعة اميال عرضاً . وفي الرابع والعشرين من كانون الثاني تم تمزيق الجيب الى جزئين ، وخسر الألمان آخر ارض تصلح للطيران ، ولم يعد في وسع الطائرات التي جاءت لهم ببعض المؤن ولا سيما بالعلاجات الطبية للمرضى والجرحى ، والتي نقلت نحواً من تسعـــة وعشرين الف مريض الى المستشفيات ان تهبـــط في حطام المدينة .

وعاد الروس فأتاحوا لعدوهم الباسل الفرصة من جديد للاستسلام . ووصل المبعوثون الروس الى الخطوط الألمانية في الرابع والعشرين من كانون الثاني حاملين عرضاً جديداً . وعاد باولوس يتنازعه واجبه في اطاعة اوامر الفوهرر المجنون ، والتزامه بانقاذ جنوده الاحياء من خطر الابادة يناشد الفوهرر فأبرق اليـــه في الرابع والعشرين من كانون الثاني رسالة بالراديو هذا نصها :

« بات الجنود بلا عتاد أو طعام .. لم تعد القيادة الفعّالة ممكنة .. عندي ثمانية عشر الفاً من الجرحى دون مؤن أو عقاقير أو لفافات .. بات الدفاع مدة أطول لا معنى له . اصبح الانهيـار محتومـــاً . يطلب الجيش الأذن الفوري بالاستســلام لانقــاذ ارواح من تبقى من الجنود . »

وقد حفظ رد هتلر في الوثائق وهذا نصه :

« أمنعـكم من الاستسلام ، على الجيش السادس ان يحافظ على مواقعه حتى الرجل الأخير والطلقـــة الأخيرة ، وسيساهمون بصبرهم البطولي إسهاماً لا ينسى في اقامة جبهة دفاعية وانقاذ العالم الغربي ... »

العالم الغربي !! لقد كانت هذه العبارة برشامة مرة للجيش السادس الذي قاتل ضد ذلك العالم في فرنسا وفي الفلاندرز قبل وقت قصير .

ولم تكن المقاومة لأمد أطول غير مجدية ، ولا منطقيـة فحسب ، بل كانت مستحيلة ايضاً ، وعندما اقترب شهر كانون الثاني عام ١٩٤٣ من نهايته ، كانت المعركة الاسطورية قد انتهت من نفسها ، متضائلة كلهب شمعة أخذ في التضاؤل الى ان خفت وانتهى . ولم يحل الثامن والعشرون من كانون الثاني حتى كان ما تبقى من جيش عظيم في يوم ما ، قد تجزأ الى ثلاثة جيوب ، في الجنوبي منها يقع مقر قيادة الفريق باولوس الذي اقامه في قبو ما تبقى من حطام حانوت ضخم لبيع مختلف انواع السلع . ويقول شاهد عيان ، ان القائد العام جلس على سريره السفري في زاوية معتمة في حالة تقرب من الانهيار .

ولم يكن باولوس في هذه الآونة ولا جنوده ، في حالة تسمح لهم بتقبل سيل الرسائل البرقية الذي بدأ ينهال عليهم لتهنئتهم ببطولتهم . وبعث غورنغ الذي كان يتمتع بعض الوقت بشمس ايطاليا الدافئة في الشتاء ، زاهياً بمعطفه الثمين من الفراء ، وبالخواتم والجواهر المتألقة في اصابعه برسالة اذاعية في الثامن والعشرين قال فيها :

« سيخلد التاريخ النضال البطولي الذي خاضه الجيش السادس ، وستتحدث الأجيال المقبلة ببسالة عن جرأة لانغيمارك ، وعن صلابة القصر (في اسبانيا) ، وعن شجاعة نارفيك ، والتضحية بالذات في ستالينغراد » .

ولم يتسرب المرح الى صدورهم وهم يصغون في الليلة الاخيرة ، ليلة الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، وهي الذكرى العاشرة لوصول النازيين الى الحكم الى مشير الرايخ البدين وهو يلقي اذاعته المليئة بالخيلاء والغرور فيقول :

« سيتحدث الناس والألمان بعد ألف عـــام عن هذه المعركة (ستالينغراد) بما تستحقه من اجلال ومهابة ، وسيذكرون ، انه على الرغم من كل شيء ، فإن نصر المانيا النهائي قد تقرر فيها . . وسيتحدث الناس في السنوات المقبلة عن المعركة البطولية على نهر

الفولغا ويقولون: اذا جئتم المانيا،قولوا انكم رأيتمونا في ستالينغراد
نموت دفاعاً عن شرفنا واطاعة لأمر قادتنا كما يجب ان نموت في
سبيل مجد المانيا » .

وهكذا بلغت امجاد الجيش السادس وآلامه الفظيعة نهايتها . وبعث باولوس في الثلاثين من كانون الثاني ، رسالة اذاعية الى هتلر : « لن يتأخر الانهيار النهائي اكثر من اربع وعشرين ساعة » .

وحفزت هذه الاشارة القائد الأعلى على ان يمطر الضباط الذين تقرر مصيرهم في ستالينغراد بسلسلة من الترقيات ، آملاً في ان تؤدي الى التشديد من عزيمتهم على الموت موتاً مجيداً في مراكزهم التي تغمرها الدماء . وقال هتلر ليودل : « لم يحدث قط في تاريخ المانيا العسكري ان أسر قائد برتبة المشير » .. وراح ينعم على باولوس برتبة المشير برسالة اذاعية . ورفع نحواً من ١١٧ ضابطاً آخرين الى رتب أعلى . فكانت ايماءة من ايماءات المقابر .

وكانت النهاية في حد ذاتها ، ذروة في التخاذل . وبعث باولوس في اليوم الاخير من كانون الثاني برسالته الاخيرة الى مقر القيادة .

« لقد صمد الجيش السادس وفاء منه بقسمه ، وإدراكاً لأهمية
رسالته السامية في مراكزه حتى الرجل الأخير والطلقة الاخيرة
في سبيل الزعيم والوطن » .

وبعث عامل اللاسلكي في مقر قيادة الجيش السادس في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين رسالته الاخيرة من جانبه .. « ان الروس على ابواب المخزن الذي نحن فيه . وها نحن نحطم اجهزتنا » واضاف حرفي (CL) وهما الاشارة اللاسلكية المتفق عليها دولياً لترمز الى ان هذه المحطة قد توقفت عن البث » .

ولم يدر هناك قتال في اللحظة الاخيرة في مقر القيادة . ولم يصمد باولوس واركان حربه حتى الرجل الاخير . ومدت ثلة من الروس يقودها ضابط صغير رؤوسها الى الجحر المعتم الذي يقيم فيه القائد العام .. وطلب الروس منه التسليم

فوافق رئيس اركان حرب الجيش السادس الفريق شميدت على التسليم . وجلس المشير باولوس حزيناً على سريره . وعندما وجه شميدت اليه الحديث قـائلاً : « هل لي ان اسأل المشير اذا كان ثمة ما يقال ايضاً ؟ » كان المشير اكثر تعباً من ان يرد على رئيس اركان حربه .

وظل جيب الماني صغير يضم كل ما تبقى من فرقتين مدرعتين وأربع فرق المشاة صامداً في الشمال في خرائب مصنع للجرارات . وتلقى هذا الجيب ليـلة الأول من شباط رسالة من مقر قيادة الفوهرر تقول :

« ينتظر الشعب الألماني منكم ان تقوموا بواجبكم تماماً كما فعـل الجنود في القلعة الجنوبية . وكل يوم بل وكل ساعة تواصلون القتال فيها ، يسهلان علينا اقامة جبهة جديدة » .

واستسلمت هذه الجماعة قبل ظهر الثاني من شباط بعـد ان بعثت برسالة اخيرة الى القائد الأعلى ... « لقد حاربنا حتى الرجل الأخير ، ضـد قوات هائلة تفوقنا عدداً . عاشت المانيا » .

وخيم الصمت اخيراً على ميدان المعركة الذي تغطيه الثلوج وتنتشر فوق حطامه الدماء . وحلقت في الساعة الثانية والدقيقة السادسة والاربعين من بعد ظهر الثاني من شباط طائرة استطلاع المانية فوق المدينة وبعثت بالرسالة الاذاعية التالية : « ليس ثمة اية اشارة على وجود قتال في ستالينغراد » .

وفي ذلك الوقت كان نحو من (٩١) الف جندي الماني بينهم اربعـة وعشرون فريقاً نصفهم يتضورون جوعاً ويئنون من عضة البرد ، والكثيرون منهـم جرحى ، وجلهم ذاهلون محطمون ، يحجلون فوق الثلوج والجليد ، يضمون « حراماتهم » التي غسلتها الدماء فوق رؤوسهم في درجة حرارة تقـل عن الصفر بأربع وعشرين ، متجهين الى معسكرات الاسرى المتجمدة في متاهات سيبريا . واذا ما استثنينا عشرين الف روماني وتسعـة وعشرين الف جريح تم اخذهم جواً فقد كان هؤلاء كل ما تبقى من جيش فاتح ، كان يعد نحواً مـن (٢٨٥) الفاً قبل شهرين ليس إلا . أما الباقون فقد ذبحوا ذبح النعاج . ولم يقدر

إلا لخمسة آلاف فقط من هؤلاء الواحد والتسعين الفاً الذين بدأوا سيرهم المجهد نحو الاسر ، في ذلك اليوم من ايام الشتاء ، ان تكتحل عيونهم بمرأى الوطن ثانية . [1]

وفي غضون ذلك كان سيد الحرب النازي يعود الى مقر قيادته الدافىء في بروسيا الشرقية ، وهو المسؤول بعناده وبلادته عن هذه الكارثة ، وينحي بالملامة على قادته العسكريين في ستالينغراد ، لأنهم لم يعرفوا كيف ومتى يموتون . وقد عاشت سجلات أحد المؤتمرات التي عقدها هتلر في مقر قيادته مع فرقائه في الأول من شباط ، الى ما بعد الحرب لتلقي ضوءاً على طبيعة الديكتاتور النازي في تلك الفترة القاسية من حياته ومن حياة جيشه وبلاده .. ولتتحدث بصراحة عن هذه الطبيعة ...

« لقد استسلموا هناك ، رسمياً ، وكلياً . وكان في إمكانهم ان ينظموا صفوفهم ، وان يؤلفوا متراساً دفاعياً كالقنافذ ، ثم يطلقون النار على انفسهم بآخر الطلقات المتبقية لديهم ... كان من واجب الرجل (باولوس) ان يقتل نفسه ، تماماً كما كان يفعل القادة السابقون اذ يلقون انفسهم على سيوفهم عندما يرون انفسهم خاسرين ... وحتى فاروس ، اصدر امره الى عبده قائلاً : « والآن اقتلني ... »

واخذ حقد هتلر على باولوس، لانه قرر ان يعيش،يزداد سماً كل ما عادت به افكاره الى ذلك الموضوع :

« وعليكم ان تفكروا انهم سيحملونه الى موسكو .. وتصوروا المأزق الذي سيقع هناك ... انهم سيحملونه على توقيع ما يريدون ... وسيقدم لهم اعترافات كثيرة ... ويصدر بيانات ...

---

١ ـ هذه هي الارقام التي اوردتها حكومة بون في عام ١٩٥٨ . وقد مات كثيرون من الأسرى من جراء انتشار وباء التيفوس في الربيع المقبل .

وسوف ترون . انهم سيسيرون الآن في منحدر الافلاس الروحي الى اقصى اعماقه ... وسترون ان اسبوعاً واحداً لن ينقضي ، قبل ان يتحدث سايدليتز وشميدت وحتى باولوس من الاذاعة ... [1] وسينقلونهم بعد ذلك الى ليوبلانكا حيث ستأكلهم الجرذان هناك.. فكيف يمكن للمرء ان يكون جباناً على هـــذا النحو ؟ إنني لا استطيع ان افهم ذلك ...

« وما هي الحياة . ان الحياة هي الأمة . والفرد ميّت على أي حال . ووراء حياة الفرد تقوم حيــاة الأمة . فكيف يمكن للمرء ان يخاف من هذه اللحظة التي يموت فيها ، والتي يستطيع ان يحرر فيها نفسه من هذا الشقاء ، اذا كان واجبه لا يستطيع ان يقيده الى وادي الدموع هذا . لا !

« وهكذا يتحتم على الكثيرين من النــاس ان يموتوا ، ثم يظهر رجل واحد يلوّث بطولات الكثيرين ، في اللحظة الاخيرة. وكان في وسعه ان يحرر نفسه من جميع الاحزان وان يمضي الى الأبدية ، والى الخلود القومي ، ولكنه آثر ان يمضي الى موسكو !..

« وما يؤلمني شخصياً أشد الألم هو انني رفـّعته الى رتبة المشير . كنت أريد ان أقدم له هذه الترضيــة الاخيرة . انه المشير الاخير الذي سأعينه في هذه الحرب . على المرء ان لا يعد « الصيصــان » قبل تفريخ البيوض » [2]

وتبع ذلك تبادل قصير في وجهـات النظر بين هتلر والفريق زيتزلر ، عن

---

١ ـ كان هتلر على حق في تكهنه ، باستثناء التوقيت ليس إلا . فلم يحل تموز من الصيف التالي حتى كان باولوس وسايدليتز اللذان اصبحا قائدي ما اطلق عليه اسم اللجنة الوطنية لألمانيا الحرة، قد اذاعا من محطة اذاعة موسكو ، رسائل تحث الجيش الألماني على التخلص من هتلر .

٢ ـ فيليكس جيلبرت ـ هتلر يوجه حربه . ص ١٧ - ٢٢ . والكتاب مجموعة من الوثائق عن مؤتمرات هتلر .

الطريقة التي يمكن بها نقل انباء الاستسلام الى الشعب الالماني . ففي الثالث من شباط أي بعد ثلاثة ايام من العملية ،اصدرت القيادة العليا للقوات المسلحةالبلاغ الخاص التالي :

« انتهت معركة ستالينغراد . وقد قاتل الجيش السادس وفاء منه لقسمه بالقتال حتى النفس الاخير قتال الابطال في ظل القيادة المثالية للمشير بارلوس،ولكن تغلب عليه العدو بفضل تفوقه العددي الهائل ، وبفضل الظروف القاسية التي واجهت قواتنا » .

وقد سبق عزف الطبول تلاوة هذا البلاغ من الاذاعة الالمانية ، وعزفت بعد انتهاء البلاغ القطعة الثانية من سيمفونية بتهوفن الخامسة . وأعلن هتلر الحداد العام اربعة ايام ، وأغلقت في هذه المدة جميع المسارح ودور السينما وقاعات الرقص .

* * *

وكتب وولتر غويرليتز المؤرخ الالماني في كتابه عن هيئة اركان الحرب يقول : « كانت ستالينغراد بمثابة « يينا » ثانية ، وكانت ولا ريب أعظم هزيمة مني بها أي جيش الماني في تاريخه » .[1]

ولكنها كانت اكثر من ذلك . فهي تمثل مجتمعة مع معركة العلمين ومع نزول القوات البريطانية والامريكية في شمال افريقيا اعظم نقطة تحول في تاريخ الحرب الكونية الثانية . فالمد العالي للفتوحات النازية الذي اجتاح معظم انحاء اوروبا حتى حدود آسيا على نهر الفولغا . واجتاح افريقيا حتى نهر النيل تقريباً قد بدأ يتحول الى جزر الآن ، ولن يعود الى حالة المد ابداً . وقد انتهى الآن عهد الهجمات النازية العظيمة الصاعقة ، التي تستخدم فيها ألوف الدبابات والطائرات والتي تنشر الفزع في صفوف جيوش العدو ممزقة إياها شر ممزق . وقد تقع حتماً هجمات محلية يائسة ، كهجوم خاركوف في ربيع عام ١٩٤٣ وهجوم

١ – غويرليتز ـ تاريخ هيئة اركان الحرب الالمانية ص ٤٣١ .

الاردين في اعياد ميلاد عام ١٩٤٤ . ولكنها تؤلف في مجموعها جزءاً من النضال الدفاعي ، الذي قدر للألمان أن يمضوا فيه بصلابة هائلة وبسالة عظيمة ، طيلة السنتين الاخيرتين من الحرب . وقد انتقل زمام المبادرة من يدي هتلر ، وان يعود قط اليهما . واصبح هذا الزمام الآن في ايدي اعدائه وسيظل فيها . وهذا لا يقتصر على الحرب في الارض فحسب ، بـل وفي الهواء ايضاً . وفي ليلة الثلاثين من ايار عام ١٩٤٢ ، قام البريطانيون بأول هجوم تشنه الف طائرة ، فقصفوا كولون ليلحقوا بها المدن الاخرى في ذلك الصيف الرهيب . وقد خبر المدنيون الألمان شأنهم في ذلك شأن الجنود الالمـان في ستالينغراد والعلمين ، لأول مرة الاهوال التي كانت قواتهم المسلحة قد الحقتها بالآخرين حتى الآن .

واخيراً وفي ثلوج ستالينغراد ، وعلى رمـال الصحراء الافريقية المحرقة تحطمت احـلام النازيين الرهيبة . ولم تقرر الكوارث التي حلت بباولوس وروملِ مصير الرايخ الثالث وحده بل مصير النظام الجديد المزعوم والمخيف والعجيب الذي اشتغل هتلر واجلافه من رجال الحرس النازي في اقامته في البلاد المحتلة . وقبل ان نصل الى الفصل الاخير وهو انهيار الرايخ الثالث ، ارى حرياً بنا ان نقف هنيهة ،وان نرى ما هو شكل هذا النظام الجديد،في نظرياته واجراءاته الوحشية ، لنقدر كيف نجت هذه القارة الاوروبية ذات الحضارة العريقة والتليدة ، بأعجوبة من هذا الكابوس القصير والمخيـف ، الذي خبرت فيه استهلال اهواله . ولا ريب في ان هذا الفصل ، بالنسبة الى هذا الكتاب كما بالنسبة الى الاوروبيين الاخيار ، الذين عاشوه ، أو لقوا حتفهم قبل انتهائه اشد الفصول في تاريخ الرايخ الثالث قتاماً وادلهاماً .

فهرست القسم الثالث

ص

انتهى الكتاب الرابـع

وبانتهائـــه

وصلنا الى خاتمـة القسم الثالث

٥٠٥ — ١١ — ٦٢